آداب الرافدين

تصدر عن كلية الآداب

جامعة الموصل

٩

آداب الرافدين

تصدر عن كلية الآداب ـ
جامعة الموصل

العدد التاسع
١/ ايلول / ١٩٧٨

المراسلات باسم سكرتير التحرير ـ كلية الآداب ـ جامعة الموصل

في هذا العدد

الصفحة

أ . البحوث التاريخية

ب. البحوث اللغوية والادبية

اهدائی موسسه آموزشی پژوهشی امام خمینی کتابخانه فیضیه تاریخ وقف ۷۹/۱۲/۲۱ ۸۱/۳/۲۶ مطابق با ۱۵ ذی حجه

۱۴ قمری

علينا ان نركز على تاريخنا العربي الإسلامي، ونوليه اهتماماً
بارزاً واضحاً، لأن التاريخ الإسلامي هو تاريخ العرب في
أساسه. بالإضافة الى دور الرسالة واتجاهاتها .....
وهو تاريخ مشرق في الحضارة العربية ... فعلينا ان نهتم به ....
وان نكتبه بما ينسجم مع هذا الفهم لا ان نحرّفه ونكتبه حسب الهوى الشخصي

صدام حسين

تقديم :

لم تقتصر المعرفة الانسانية على لون معين من العلوم،ولا جمدت على جانب واحد من سبل البحث،بل هي واسعة سعة افق تفكير الانسان ، ومتنوعة تنوع آماله وأمانية ، وخسر من ظن غير ذلك وسار في الطريق الضد في الحياة ، وهكذا كانت كلية الاداب في قطرنا العراقي ، كانت مصانع لصياغة الانسان المفكر ، الانسان التقدمي الذى لايريد من الحياة الا بأن تتطور، تبعا لتطور الانسان في العالم اليوم ولصياغة الانسان الانساني الذى يحمل الخير لكل الناس .

ولهذا ازداد اهتمام الثورة بها ، وبتطوير مناهجها لتستجيب لمتطلبات الحياة في المستقبل ، ومن اجل ان توصل افكارها ، للناس ، وان تستمر في متابعة التقدم العلمي اصدرت مجلتها العلمية «ادآب الرافدين»لتوثق الصلة بين المجتمع والجامعة ، وبين الانسان المفكر فيها وبين المفكرين في العالم .

وهي لاتقتصر فيما ينشر فيها على ما ينتجه تدريسيوها ، وانما تفتح صفحاتها لكل باحث ، ولكن ينبغي ان يبرأ ما يردها قبل نشره وتتوثق هي منه ؛ وذلك عن طريقين :

اولهما : هو ان يشترك اعضاء كل قسم في مناقشة مايقدمه منتسبوها فاذا ما تأكدت من ان البحث قد استكمل الجوانب التي تنقصه ، واخذ صاحبه بالملاحظات التي لحظها المناقشون اجازت نشره .

وثانيهما : وهو فيما يردها من خارج الكلية فقد شرطت بان يبرئه اعلام مشهود لهم بالتقدم العلمي وذلك بتقرير موقع من اثنين منهما .

لتحافظ بذلك على خط سيرها العلمي الرصين الذى فرضته منذ اعدادها الأولى ، ولتتأكد من فائدةما تقدمه للمعرفة الانسانية.

والمجلة بعد تعد الباحثين والقراء ، بأنها ستكون على الطريق وانها ستساهم في ابراز خطط التنمية وحملات التقدم العلمي التي وضعتها قيادتنا السياسية ، وتجعلها من اهم ماتسعي اليها.

هيئة التحرير

لمحات من تاريخ الحركة الطلابية في العراق

١٩٢٦ ـ ١٩٣٠

الدكتور
ياسر عباس الزيدي

تمهيد : —

يتميز القطاع الطلابي في العالم الثالث وفي جميع البلدان المتخلفة عن باقي القطاعات الشعبية في كونه يلعب دوراً قيادياً ورائداً في عملية تغيير المجتمع ونقله من حالة التخلف الى واقع الحضارة والتقدم الانساني .

ولقد اسقطت الحركة الطلابية بالفعل تلك النظرات التقليدية التي كانت تتحكم بطبيعة عملها والتي تقف في طريق مساهمتها القيادية لخدمة الشعب فاتخذت طابعاً آخر من العمل احدثت من خلاله تغيرات كبيرة في بنية المجتمع نفسه . فلم تعد الحركة تعتمد الدفع المهني كوازع للعمل وكمحدد لمسيرتها بل تعدت حدود ذلك العمل لتشارك مشاركة جدية في عمليات البناء حيث وضعت جميع دوافعها الذاتية في سبيل الشعب والوطن .

والحركة الطلابية في العراق لعبت أدواراً مشرفة في جميع المعارك التي خاضها الشعب ضد الاحتلال ، فقدمت التضحيات العظيمة وساهمت في توعية الجماهير ورص صفوفها في تلك المعارك الوطنية وهيأت الارضية الشعبية لها : ففي الوقت الذي كنا نجد فيه قوى معينة كانت تتحرك حركة ميكانيكية بحكـــم وعيها نجد الطلبة يشاركون بالرغم من الضغوط المسلطة ويقودون المظاهرات والاضرابات في كل مناسبة تعبيراً عن سخط الجماهير على السلطة الديكتاتورية العسكرية وكانوا باستمرار يشخصون التناقضات المميتة في واقع تلك السلطة ، وكانت حركتهم تشكل امتداداً حيوياً وطبيعياً بين قوى الثوره وكان من نتيجتها ان سقط الشهيد تلو الشهيد . لقد تلاحمت الحركة الطلابية مع قطاعات الشعب المناضلة الاخرى وخاضت معها جنباً الى جنب الكفاح من أجل التحرر والديمقراطية والتقدم . فمرت تلك الحركة بمراحل عديدة وخاضت تجارب مختلفة اكسبتها وعياً ونضجاً ثوريين واعطتها نظرة قومية تسمو بها عن الاقليمية الضيقة ومن هنا كان شعار وحدة الحركة الطلابية يجد صدى واسعاً لدى جميع الطلبة في العراق . وما الحركات الطلابية التي سنستعرضها من ١٩٢٦ ــ ١٩٣٠ الا مثال حي لتلك الوحدة الطلابية المتينة

التي تميزت بوعي سياسي واندفاع في العمل فكانت من أنشط فئات المجتمع ، وفي غياب الاحزاب الموجهة لنشاطاتهم كانوا يقومون على طريقتهم الخاصة، بالمشاركة في التظاهرات والاضرابات الوطنية ، كانوا يساهمون في مجال النشر المحدود وفي الجرائد والمجلات واصدار المنشورات والكراسات .

« حركة سنة ١٩٢٦ احتجاجاً على ابرام المعاهدة العراقية البريطانية »

تعتبر المعاهدة العراقية—البريطانية الاولى التي ارغم المجلس التأسيسي العراقي على تصديقها سنة ١٩٢٤ (١) مجحفة بحق السيادة العراقية وكانت ملاحقها الاربعة المتعلقة بالموظفين البريطانيين والشؤون المالية، والسياسية، والعدلية، قد قيدت العراق بقيود شديدة . وقد وفق « السيد برسي كوكس » المندوب السامي البريطاني حينذاك، على حمل حكومته على تقصير مدة المعاهدة لغرضين: اولهما للتخفيف من شدة الانتقادات التي وجهت في البرلمان البريطاني إلى الحكومة البريطانية، نظراً لجسامة المبالغ التي كانت تصرفها بريطانيا على جيش الاحتلال في العراق، وثانيهما هو التخفيف من شدة المعارضة العراقية ضد المعاهدة . ولكن سرعان ماتغير موقف بريطانيا فصممت على اتخاذ قرار عصبة الامم(٢) . وسيلة للطلب إلى العراق بان يصدق المعاهدة العراقية البريطانية الثانية (٣) . فبدأت المحادثات التمهيدية لعقد المعاهدة الجديدة في اواخر عام ١٩٢٥ وكانت بريطانيا تعتبر عقد المعاهدة على جانب من الاهمية اذ انها الوسيلة الوحيدة التي يمكن بها تأمين حدود العراق(٤). وكان قبول المعاهدة العراقية البريطانية بشرطين: الاول ضمان منطقة الموصل للعراق، خلافاً لما كانت تريده تركيا من

---

(١) انظر، محمد مظفر الأدهمي، المجلس التأسيسي العراقي، دراسة تأريخية سياسية ص٥٦٩.

(٢) اتخذت عصبة الامم في ١٦ كانون الاول سنة ١٩٢٥ قراراً يدعو حكومة بريطانيا إلى ان تعرض معاهدة جديدة مع حكومة العراق تضمن تحديد نظام الانتداب لمدة ٢٥ سنة كما هو مبين في معاهدة التحالف بين بريطانيا والعراق التي صدقها في ٢٧ ايلول سنة ١٩٢٤ .

(٣) عبد الرحمن البزاز، العراق من الاحتلال حتى الأستقلال، ص١٧٨. كذلك انظر سجلات البلاط الملكي، المعاهدة العراقية— البريطانية لسنة ١٩٢٥—١٩٢٦، كتاب دار الاعتماد إلى الملك رقم س، و، ن، في ١٩٢٦/٢/٩، ص ٨٢—٨٥.

(٤) وجاء حسين حسني الخطاب، العراق بين ١٩٢١— ١٩٢٧، ص١٨٤،

ضم المنطقة اليها، والثاني تحوير المعاهدة نفسها على شاكلة تكون اقرب لتحقيق الآمال الوطنية(٥).

واستغلت بريطانيا النزاع الدولي حول ولاية الموصل (٦) لتحقيق مآربها وتتلخص في :

(١) مد اجل المعاهدة العراقية- البريطانية إلى (٢٥) سنة بعد ان كانت اربع سنوات.

(٢) الحصول على امتيازات النفط.

وقد تم لبريطانيا ماارادت فقد هدد المعتمد السامي (السير هنري دوبس) صراحة بقوله «اما ترك الموصل للترك أو توقيع المعاهدة حسب الشروط البريطانية» (٧).

لقد ادى هذا إلى هياج شعبي ، وحاول عبد المحسن السعدون رئيس الوزراء الاستقالة ولكنه باصرار من الملك سحب استقالته، وقام حزب التقدم بامرار المعاهدة في مجلس النواب وازاء ذلك انسحب المعارضون وعددهم ١٨ نائباً من المجلس ونتيجة لهذه الملابسات ازداد النقد لهذه المعاهدة واصبحت محل نقمة العناصر الوطنية(٨). فقد استنكر الرأي العام العراقي المعاهدة ولاسيما الشرط الملحق بها الذي قضى بتحديد الانتداب على العراق لمدة (٢٥) سنة (٩). وكان الطلاب في مقدمة المستنكرين فقد احدثت

(٥) د. زكي صالح، مقدمة في تاريخ العراق المعاصر، ص٧٣.

(٦) للاطلاع على هذا النزاع انظر، د. فاضل حسين، مشكلة الموصل(رسالة دكتوراه) ارنولد توينبي، العالم الاسلامي، ص٤٧١- ٥٣٠(وهو الجزء الاول في سلسلة موجز العلاقات الدولية لعام ١٩٢٥). هنري فوستر، تكوين العراق الحديث، ص١٤٢-١٧٧.

(٧) عبد الرزاق الحسني، العراق في ظل المعاهدات، ص ١٠٧.
انظر كذلك د. زاهية قدوره، تاريخ العرب الحديث، ص١٤١.

(٨) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج٢، ص٢٨.

(٩) جريدة المفيد، العدد الصادر في ١٣ كانون الثان ١٩٢٦. كذلك، سامي القيسي ياسين الهاشمي ودوره في السياسة العراقية بين عامين ١٩٢٢- ١٩٣٦، ج٢ ص١٦.

انباء المعاهدة والتوقيع عليها وامرارها بهذه السرعة في المجلس النيابي وقعاً سيئاً بين طلاب المدرسة الثانوية وكان من بين المدرسين في المدرسة الثانوية مدرس انكليزي اسمه« كوديل» (GOODALL) وكأي مستعمر ، لم يرق له مالمسه من ردود الفعل في الصحافة والاوساط الشعبية وبين الطلبة من نقد لبريطانيا وللمعاهدة ، فتفوه بالفاظ نابية ضد العراقيين والعرب عامة مبدياً استنكاره للنقد الذي يوجه إلى بريطانيا وهي تقوم حسب رأيه « بتعليمهم » و« تحضيرهم » واتهمهم« بنكران الجميل» واشتط في السباب والشتائم ضد الحركة الوطنية خاصة والعراقيين بصفة عامة بقوله« حمير» لانهم لايقبلون معاهدة ١٩٢٦.

وازاء هذا الاستفزاز والتهجم ، قام الطلبة بالاضراب ورفضوا حضور دروسه وقدموا العرائض إلى مدير المدرسة ووزارة المعارف مطالبين باخراجه من العراق، وكان كل من حسين جميل، وعبد القادر اسماعيل من طلاب الصف الثالث ثانوي في المدرسة المذكورة آنذاك فقاما بدور بارز في الاضراب، وفي تحريض الطلاب على الاستمرار فيه إلى ان قبلت مطاليبهم ولما رأت وزارة المعارف اصرار الطلبة على موقفهم ولخشيتها من اتساع نطاق الاضراب قامت الوزارة باستبداله بمدرس آخر اسمه « Prayer » (١٠) وبذلك انتصرت ارادة الطلبة ورضخت السلطة لارادتهم.

«حركة سنة ١٩٢٧ بسبب فصل النصولي»

في سنة ١٩٢٤ — ١٩٢٥ تم استقدام اربعة مدرسين من خريجي الجامعة الامريكية في بيروت ، لتدريس التاريخ والتربية ، والعلوم الرياضية في المدارس الثانوية ودار المعلمين وهم انيس النصولي ، عبد الله المشنوق ،من بيروت، درويش المقدادي من طولكرم ، وجلال زريق من اللاذقية (١١) .

---

(١٠) محمد يوسف خليل، الاهالي والحركة الوطنية في العراق، ص٨٨.
(١١) ساطع الحصري، مذكراتي في العراق، ج١، سنة ١٩٢١— ١٩٢٧، ص ٥٥٧.

قرر أنيس(١٢) النصولي في سنة ١٩٢٦ ان يطبع ابحاثه ودروسه المتعلقة بالدولة الاموية في الشام في ملازم بلغ عددصفحاتها ٣٦٠ صفحة وتم توزيعها (١٣) على الطلبة ومن ثم قام بطبعها بكتاب عنوانه«الدولـة الاموية في الشام » وما كادَ يطلع عليه الرأي العام حتى هبت حملة شديدة من الاستنكار تستهجن ما توصل اليه المؤلف من استنتاجات تؤدي الى تشجيع النعرات الطائفية فارتفعت اصوات الاستنكار ترمي النصولي بتفريق الجامعة الاسلامية (١٤) .

وفي ٢٩ كانون الثاني سنة ١٩٢٧ اصدرت وزارة المعارف العراقية امراً بطرد النصولي من وظيفته ومنع الكتاب من التداول ، فقام المدرسون السوريون المستخدمون في المدارس العراقية بالثار لزميلهم فحرضوا الطلبة على التظاهر ضد ما أسموه بـ«خنق الحركة الفكرية»(١٥). وفي ٣٠ كانون الثاني ١٩٢٧ خرجت جموع من طلبة المدرسة الثانوية ودار المعلمين و أجتمعوا في حديقة الصالحية حيث عقدوا مؤتمراً طلابياً يعتبر أول مؤتمر لطلبة العراق بحثوا خلاله فصل استاذهم وأكدوا شعار حرية الفكر في جو من الحماسة (١٦) ، وتعاقب الخطباء يؤكدون العزم على هذه المعاني واستقر رايهم بعد المداولة على تقديم عريضة الى وزير المعارف يحتجون فيها على فصل النصولي وقد وقعها الطلبة (١٧) ونصت على ما يلي :ـ

(١٢) انيس زكريا النصولي : لبناني الاصل، تخرج في الجامعة الامريكية عام ١٩٢٤ وانصرف إلى العناية بدراسة التاريخ العربي فكتب في (الهلال) و(المقتطف)و(الزهراء)فصولا في التاريخ واشترك في مسابقة نظمتها الجامعة الامريكية في تأليف احسن كتاب عن النهضة العربية في القرن التاسع عشر ففاز في الأولوية ،وانتدبته حكومة العراق للتدريس في مدارسها فعمل في الموصل اولا ثم انتقل إلى بغداد . انظر خيري العمري حكايات سياسية من تاريخ في العراق الحديث، ص ١٤٦ .

(١٣) ساطع الحصري، المصدر السابق، ص ٥٥٧.

(١٤) د. عبد الامير هادي العكام، الحركة الوطنية في العراق ١٩٢١- ١٩٣٣، ص ٢٢١.

(١٥) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج٢، ص ٨٤.

(١٦) جريدة الاستقلال، العدد الصادر في ٣١ كانون الثاني سنة ١٩٢٧.

(١٧) المصدر نفسه.

«نحن الموقعين أدناه طلاب المدرستين الثانوية ودار المعلمين نحتج على قراركم القاضي بفصل الاستاذ انيس زكريا النصولي وذلك قتلا للحركة الفكرية فنطلب اعادة النظر في قضية الاستاذ ولكم مزيد من الشكر » (١٨)، واتجه الطلبة في مظاهرة قاصدة الوصول الى وزارة المعارف لتسليم تلك العريضة الى وزير المعارف فسارت في شارع الرشيد وهي تهتف بحياة الحرية الفكرية وتردد الاناشيد الحماسية ، وواصلت المظاهرة سيرها يتقدم صفوفها الطلبة حسين جميل وفائق السامرائي وعبد الرزاق الظاهر حتى وصلت الى شارع المأمون حيث مقر وزارة المعارف ، وحاول وفد يمثل الطلبة ان يدخل على الوزير ليقابله غير ان سكرتير الوزارة أخبرهم بأن الوزير غائب وطلب اليهم الانصراف فلم ينصرفوا مما اضطرّ قوات الشرطة ان تهجم على الطلبة فدارت معركة بين الشرطة والطلبة استخدمت فيها الشرطة العصي الغليظة واستخدم فيها الطلبة الحجارة والحصى وعندما فشلت الشرطة في تفريق الطلبة اضطرت الاستعانة بسيارات فرقة اطفاء الحريق (٢٠) وخراطيم مياهها لتفريق شمل المتظاهرين وسرعان ما وصلت تلك السيارات يسبقها بوق الانذار وهبط منها رجال الاطفاء بخوذهم الفولاذية ووقف المستر (فيشر) مدير الاطفاء يلقي عليهم تعليماته بالقرب من مدير شرطة بغداد (حسام الدين جمعة) وبدأ رجال الاطفاء بتوجيه خراطيم المياه على الطلبة فتدفقت المياه بسرعة وقوة فأضطرب الطلبة وتفرقوا في بادىء الامر — ثم تجمعوا بعد قليل وهجموا على رجال الشرطة ورجال الاطفاء يرمونهم بالحجارة وبعد ذلك قرروا الرجوع الى مدارسهم للاعتصام حتى تنفذ مطاليبهم (٢١) والفت وزارة المعارف

(١٨) خيري العمري، حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث، ص ١٥٤.

(١٩) كان التفكير بالاستعانة برجال الاطفاء من اقتراح ساطع الحصري، اذ رأى بان اسلوب الضرب الذي تمارسه الشرطة ضد الطلبة سيزيدهم هياجاً وعناداً، انظر ساطع الحصري، مذكراته في العراق، ج١ ص ٥٦٤.

(٢٠) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج٢، ص ٨٨.

(٢١) ساطع الحصري، مذكراتي في العراق، ج١، ص٥٦٣.

لجنة برئاسة (سمرقيل) المستشار الانكليزي وعضويه بعض موظفي الديوان للتحقيق ، وأنصرف «سمرقيل» يتجه بالتحقيق اتجاهاً يتمشى مع سياسة تفريق الصفوف وأثـارت النعرات الطائفية وقـد ادرك الطـلبة ذلك فعملوا على احباطها وقرروا انهاء الاضراب واصدروا بياناً في الاول من شباط ١٩٢٧ جاء فيه : —

: « لقد اشاع البعض ان المظاهرة التي قمنا بها نحن طلاب المدرسة الثانوية ودار المعلمين كانت ناشئة عن دافع خارجي كما انهم اشاعوا ان تلك المظاهرات صدرت من طائفة من الطوائف فنحن ازاء هذه الاشاعات الكاذبة نصرح إلى آبنائنا وامهاتنا واخواننا من ابناء العراق بأننا لم نعمل بأي وحي خارجي سوى ارضاء ضمائرنا ووجداننا وحرصاً منا على الحرية الفكرية من ان ينهدم كيانها فضلا عن اننا سعينا يداً واحدة لافرق بين طائفة من الطوائف الاسلامية بل تكاتفنا وتعاضدنا والوحدة المقدسة رايتنا وارضاء الضمير رائدنا ». (٢٢)

وانهت لجنة التحقيق اعمالها فاصدرت وزارة المعارف قراراً تضمن:

(١) فصل الاستاذ عبد الله مشنوق وجلال زريق ودرويش المقدادي وتسفيرهم .

(٢) فصل الاستاذ يوسف زينل باعتباره محرضاً وتخفيض درجة يوسف عز الدين من مدير المدرسة الثانوية إلى معلم في دار المعلمين باعتباره مهملا في واجبات وظيفته .

(٣) يطرد الطلاب محمد خالد ابراهيم وعبد القادر اسماعيل وعبد الرحمن الجوربجي وعبد اللطيف عطا وكامل ابراهيم وفؤاد درويش وعبد الستار عبد الجبار لمدة شهر .

(٤) ويطرد الطلاب حسين جميل وفائق السامرائي وعبد اللطيف محي الدين وانور نجيب طردا مؤبدا.

---

(٢٢) د. عبد الامير هادي العكام : الحركة الوطنية في العراق ١٩٢١ - ١٩٣٣، ص ٢٢٤ ٢٢٥

(٥) ويطرد الطلاب ادهم مشتاق ومحمود عبد الكريم وعزيز علي وانيس وزير وجلال عبد الرزاق وصبحي كمال وعبد الله شريف واحمد فوزي ومحمد الحاج علي وخليل جميل وحسام الدين العبيدي لمدة اسبوعين.
(٦) انذار الطلاب قاسم وجواد حسين وعبد الرزاق الظاهر ويوسف عبود وشاكر محمود وظافر صالح (٢٣).

واصدرت وزارة المعارف امراً آخر منعت بموجبه الطلبة من الانتساب للمدرسة الثانوية ودار المعلمين والى اي جمعية او ناد أو من الكتابة في الصحف واذاعة البيانات باسم الطلبة. وبعث انيس النصولي عندما بلغه هذا الخبر برسالة من بيروت إلى بعض طلابه الذين فصلوا نهائياً يواسيهم ويشد من ازرهم(٢٤).

وحاول الطلبة اثارة قضيتهم في المجلس النيابي وكانوا يطالبون باعادتهم إلى مدارسهم كما بحثت هذه القصية في اجتماع طلابي عقد في سينما (رويال) في بغداد (٢٥). واخذ الطلاب المطرودون وذووهم يستعطفون المراجع العليا ورجال الحكومة لارجاعهم إلى مدارسهم وتمكينهم من مواصلة دروسهم، بدون أن يجدوا عطفاً على قضيتهم، فحاول زملاء لهم الاضراب عن الدرس احتجاجاً على عدم تلبية طلبات اخوانهم، وقاموا بمظاهرة في السادس من آذار سنة ١٩٢٧ ولم تسفر تلك المظاهرات عن نتيجة (٢٦). فلم ير الطلبة المفصولون بدأ من تقديم التماس إلى الملك فيصل بينوا فيه ان وزارة المعارف قد عاقبتهم بالطرد النهائي والمؤقت لقيامهم بالمظاهرة الاحتجاجية ضد فصل استاذهم النصولي وقد اختصتهم الوزارة

---

(٢٣) خيري العمري، حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث، ص ١٥٨.
(٢٤) نفس المصدر، ص ١٦٢. انظر كذلك خيري العمري مقالته في مجلة الهلال العدد ١٤٦ يناير سنة ١٩٦٧، ص ٥٥٧.
(٢٥) د. عبد الامير هادي العكام، المصدر السابق ص ٢٢٧.
(٢٦) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج٢، ص ٨٨.

بالعقاب الصارم من مجموع ثمانمائة طالب من مدرستي الثانوية ودار المعلمين ولم تستمع الوزارة لدفاعهم ضد التهم الموجهة اليهم وقد أدت إلى عقابهم وطلبوا اخيراً ببراءتهم (٢٧). ونتيجة لهذا الالتماس امر الملك فيصل الاول ارجاع الطلبة المفصولين إلى مدارسهم(٢٨) الا ان اعادة الطلبة المفصولين لم تكن النهاية لهذه القضية بل أنها كانت المشكلة وبداية لاخرى لعلها اشد خطورة، فهي بالنسبة للطلاب رغم ان اعادة المطرودين منهم، قد يكون تراجعاً بسيطاً من السلطة حمل في طياته اعترافاً— ولو ضمنيا— بصرامة الاجراءات التي سبق اتخاذها بحق الطلبة، الا أنه مع هذا نجح في تهدئة الطلبة، ولو بصورة مؤقته على الاقل (٢٩).

ومن الامور الهامة التي تمخضت عنها حركة الطلاب مايلي : —

(١) طرحت على الرأي العام لاول مرة وبشكل صاخب شعار « حرية الفكر » في بلد تتنوع فيه المعتقدات والمذاهب ويشتد التمسك بها وقد يتعرض للمس والانتقاد في حالة تطبيق الحرية الفكرية.

(٢) كان الطلاب مع « الحرية الفكرية » بكل ابعادها ، متاثرين بسحر هذا المبدأ الذي نادت به الثورة الفرنسية غير مبالين بالخلافات المذهبية والدينية على حين لم يجرؤ كبار المفكرين والاحرار في العراق آنذاك من الجهر بآرائهم فلاذوا بالصمت وتركوا الطلبة وحدهم في الميدان.

(٣) تصرف الطلبة بأسلوب يدل على نضج سياسي، وحس وطني عميق حين لم يسمحوا لانفسهم بان ينزلقوا في متاهات المشاكل التي دأبت على تمزيق وحدة الشعب العراقي منذ عهد بعيد كما فوتوا الفرصة على الاستعماريين الانكليز حينما اخذوا يوجهون التحقيق نحو هذا المنعطف الخطير وتكاتف

---

(٢٧) جريدة العراق: العدد ٢٠٨٦ الصادر عام ١٩٢٧.

(٢٨) عبد الامير هادي العكام، المصدر السابق ١٩٢٧.

(٢٩) محمد يوسف خليل، الاهالي والحركة الوطنية في العراق ص ١٠٣ رسالة ماجستير غير منشور

الطلاب بمختلف مذاهبهم للعمل معاً فنجحوا لذلك في توجيه الاحداث في الوجهة التي ارادوها عندما فكروا في القيام بحركتهم.

(٤) يقابل النجاح الطلابي في عدم السماح للخلافات الطائفية بالتسرب إلى صفوفهم فشل خطير لدى الشارع العراقي، حيث نجح تجار السياسة والمغرضون، والمتصيدون في الماء العكر الذين حذر منهم الطلبة في بياناتهم، في التسلل إلى صفوف من يدعون بقادة « الرأي العام».

حركة ١٩٢٨ لزيارة «الفرد موند» لبغداد

منذ تكوين الحكم الاهلي(٣٠)في العراق والصراع في فلسطين بين العرب والصهاينة يشغل (٣١) أذهان الرأي العام العراقي ولاسيما الطلبة ، ويثيراً اهتمامه وقد عنيت الصحافة (٣٢) المحلية بهذا الصراع عناية بالغة فكتبت المقالات في شجب الحركة الصهيونية (٣٣) واستنكار وعد بلفور (٣٤) وكانت حوادث

---

(٣٠) يطلق مصطلح الحكم الاهلي على الفترة التي تلت يوم (٥ تشرين الاول ١٩٢٠) حين تم تشكيل الحكومة العراقية المؤقته برئاسة السيد عبد الرحمن الكيلاني.

(٣١) للاطلاع على تاريخ الصراع العربي الصهيوني في هذه الفترة انظر د. عبد الوهاب الكيالي، الموجز في تاريخ فلسطين الحديث، ص ٢٢. محمود زايد، تاريخ فلسطين ١٩١٤- ١٩٤٨ ص ٤٥. محمد عزة دروزه، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، ج١، ص ٢٣.

(٣٢) صحف. العراق، النهضة، الزمان، السياسة الاسبوعية، العالم العربي.

(٣٣) الصهيونية: حركة عنصرية ذات طبيعة استعمارية تهدف إلى تهجير يهود العالم من مجتمعاتهم التي يقيمون فيها واحلالهم محل سكان فلسطين وذلك بتأييد الدول الاستعمارية الصهيونية الحديثة إلى القرن التاسع عشر وتقترن بلفظ « صهيون» وهو جبل يقع شرق القدس، انظر محمد عبد الرؤوف سليم، تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة، ص١٥.

(٣٤) آثر بلفور وزير خارجية بريطانيا في عهد حكومة لويد جورج وهو من الصهاينة البارزين سعى إلى ان تلتزم بريطانيا بتحقيق حلم الصهيونية في اقامة وطن قومي يهودي في فلسطين ولقد جاء هذا الألتزام على شكل رسالة بعث بها في الثاني من تشرين الثاني سنة ١٩١٧ إلى اللورد روتشيلد الثري الصهيوني. انظر عبد الوهاب الكيالي، الموجز في تاريخ فلسطين الحديث ص ٣٤.

فلسطين الدامية تترك صداها العميق في نفوس الطلبة وقد سارع الطلبة الى عقد الاجتماعات الاحتجاجية وجمع الاعانات المالية لمساعدة عرب فلسطين العربية .

وفي اوائل عام ١٩٢٨ تناقلت وكالات الانباء العالمية ان السير (الفرد موند»(٣٥) سيقوم بجولة في اقطار الشرق الاوسط ، وقد يزور العراق لاغراض أقتصادية منها ما يتعلق بدراسة مشروع مد أنابيب النفط من كركوك الى حيفا على البحر المتوسط ومنها ما يتصل بدراسة امكانية تحسين الاراضي الزراعية في العراق بأختيار السماد الكيمياوي الملائم للتربة (٣٦) .

وقد أثارت هذه الزيارات ارتياب الطلبة وشكوكهم ، وسرعان ما تحولت تلك الشكوك الى مشاعر عميقة من السخط والغضب عندما سرت في بغداد شائعة مفادها ان السير «الفرد موند» سيصل العاصمة في ٨ شباط وان الطائفة اليهودية تستعد للترحيب به واقامة الاحتفالات ابتهاجاً بمقدمه ، وقد استفزت هذه الشائعة الطلبة لما تنطوي عليه من تحد لمشاعرهم الوطنية ولما تضمنته من استهانة بعواطفهم القومية ،وقد حفزت تلك الاشاعة طلبة دار المعلمين والثانوية المركزية والحقوق وغيرهم الى عقد اجتماع في (نادي التضامن) تداولوا فيه الامر مع بعضهم فاستقر رأيهم على انتهاز هذه الفرصة للقيام بمظاهرات تعبر عن سخطهم على الحركة الصهيونية وتفصح عن مشاعرهم القومية ، وقد شجعهم على ذلك نجاح المظاهرات التي قامت في العام الماضي عن «النصولي» وانتصاراً لحرية الرأي وما حققته تلك الحركة من « بطولات» وما اثارته من صدى بعيد في مختلف الاوساط (٣٧) .

وتسلل الطلبة بعد هذا الاجتماع فمضى بعضهم يعد الشعارات وراح بعضهم الآخر يحضر الاعلام العراقية والفلسطينية وانصرف آخرون الى حث الطلبة

---

(٣٥) انكليزي يهودي صهيوني أحد اقطاب الحركة الصهيونية ومن كبار رجال المال وقد كانت لزيارته اهداف صهيونية بعيدة المدى، انظر ، طالب مشتاق، اوراق من ايامي، ص ١٨٨.

(٣٦) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية ج٢، ص ١٥٨.

(٣٧) خيري العمري، حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث، ص ١٧٣.

على الاشتراك في هذه الانتفاضة وفي ظهر يوم ٨ شباط أجتاحت شارع الرشيد مظاهرة طلابية ترفع لافتات كتب على بعضها (ليسقط وعد بلفور) (لتسقط الصهيونية) (تحيا الامة العربية) (٣٨) ويرددون هتافاً (ليسقط بلفور ووعده) وطوراً (بيت المقدس عربية) وحينا آخر (فليرجع الزعيم الصهيوني الفرد موند) (٣٩) .

وبعد ان سارت المظاهرات في شارع الرشيد عبرت الى جانب الكرخ حيث انضمت اليها جموع شتى من الجماهير ، واتجهت نحو جسر الخر بعد ان اتسعت وتعاظمت حتى بلغت ثلاثة آلاف طالب .

وقد تصدى رجال الشرطة لهذه المظاهرة في محاولة لمنعها من مواصلة سيرها نحو جسر الخر فاشتبكوا معها في معركة عنيفة استعان فيها الطلبة بالحجارة والحصى والقناني واستخدم فيها الشرطة هراواتهم وخيولهم فداسوا بسنابكها عدداً من الطلبة فواصل الطلبة سيرهم نحو جسر الخر في جو من الحماسة ونشوة الظفر (٤٠) .

وعند جسر الخر رابط الطلبة وعيونهم ترقب بحذر وهم يفتشون السيارات القادمة بغية العثور على سيارة «الفرد موند »حتى اذا خيم الظلام ولم يجدوا اثراً لسيارة (موند) عادوا الى شارع الرشيد في الليل وهم يهزجون بحماسة اشد« ردينا السير موند وجينا » والمارة في الشارع تصفق لهم والنساء من الشرفات يزغردن .

لقد فوجئت حكومة «عبد المحسن السعدون » (٤١) بهذه المظاهرة العنيفة وخشيت ان يتعرض «الفرد موند » الى اعتداء فسارعت الى حمايته من غضب

(٣٨) انظر ملحق جريدة العراق العدد الصادر بتأريخ ٩ شباط ١٩٢٨.
(٣٩) كذلك انظر ملحق جريدة العالم العربي العدد الصادر بتاريخ ٩ شباط ١٩٢٨
(٤٠) خيري العمري، المصدر السابق ، ص ١٧٩
(٤١) وهي الحكومة السعدونية الثالثة التي تم تشكيلها في تشرين الثاني سنة ١٩٢٦ واستمرت في الحكم حتى ٢٠ كانون الثاني سنة ١٩٢٩ عندما استقالت فالفت الوزارة السويدية الاولى. انظر ، عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية،ج٢ ، ص ١٥٣ ، ص ٢٤١.

الطلبة ، فارسلت بعد أن فشلت الشرطة في منع المظاهرات من الوصول الى جسر الخر بسرعة مدير شرطة بغداد (٤٢) مع قوة من الشرطة الى منطقة «ابي منيصير» حيث استقبل من هناك (السير الفرد موند) ووضعته تحت حراسة مشددة فنقلته تحت ستار الظلام الى الكاظمية ومنها الى الاعظمية والى (دار الاعتماد البريطاني) حيث حل ضيفاً هناك مع زوجته وأبنته الليدى (ايرليا) اما حاشيته فقد نزلت في دار اليازر خضوري احد اثرياء اليهود العراقيين المقيمين في لندن (٤٣) .

وبادرت الحكومة في مساء اليوم نفسه الى اتخاذ اجراءات سريعة فكبست الشرطة (نادي التضامن) وابعدت رئيسه (يوسف زينل) الى البصرة وفق أحكام المادة (٤٠) من قانون دعاوي العشائر .. وذلك باعتباره الشخص الذي يختفي وراء المظاهرات (٤٤) . كما القت الحكومة على ستة من الاهلين وعلى خمسة وثلاثين طالباً . (٤٥)

وبدأ التدخل البريطاني سريعاً وفعالا في هذه الازمة فارسلت دائرة المندوب السامي البريطاني فور وقوع الحادث في ١٠ شباط سنة ١٩٢٨ كتاباً سرياً(٤٦) الى وزارة الداخلية انتقدت فيه تصرفات الشرطة لمواجهة هذه الحادثة ولعدم اتخاذها الاحتياطات لتفريق المتظاهرين ولمنعهم من عبور الجسور من الرصافة الى الكرخ وعدم حماية المندوب السامي واقترح ان تشدد الحراسة

(٤٢) حسام الدين جمعة.

(٤٣) خيري العمري، المصدر السابق نفسه، ص ١٧٧.

(٤٤) عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ص ١٥٩. انظر كذلك جريدة العراق العدد (٢٣٧٣) الصادر بتاريخ ١٠ شباط ١٩٢٨.

(٤٥) المصدر السابق نفسه.

(٤٦) للاطلاع على تفاصيل الرسالة راجع ملفات البلاط الملكي في مركز الوثائق ببغداد ملف رقم د / ٦ / ٣ لسنة ١٩٢٧، ١٩٢٨، ١٩٢٩، ص ١٨- ٢١.

وان يكون احدضباط الشرطة مسؤولا عنها (٤٧) وفي ١٠ شباط ١٩٢٨ اجتمع لفيف كبيرمن الاهلين في جامع «الحيدر خانة» للاحتجاج على سياسة الحكومة ازاء المتظاهرين في حادثة الثامن من شباط ، ولاعلان السخط على وعد بلفور، القاضي باتخاذ فلسطين العربية وطناً قومياً لليهود، خلافاً لمبادىء العدل والقانون وقد تعالت الهتافات المدوية بسقوط الصهيونية ، وبحياة الامة العربية فأتخذت الشرطة التدابير الصارمة لمنع توسع هذه الحركة فقبضت على عدد من الخطباء وفرقت المتجمعين بعنف (٤٨) .

وفي ٩ شباط صدر مرسوم رقم ١٩ لسنة ١٩٢٨ هذا نصه :

المادة الاولى : اذا تحقق ان أحد طلاب المدارس ممن لم يكمل الثامنة من عمره قد اشترك في اي أجتماع غير قانوني او أقلق او حاول ان يقلق السلم العام بصورة اخرى يسوغ عقابه بالجلد بعد المعاينة الطبية على ان لايزيد ذلك على (٢٥) جلدة .

المادة الثانية : على وزير المعارف تنفيذ هذا المرسوم الذي يعتبر نافذاً من يوم نشره في الجريدة الرسمية وله ان يصدر تعليمات لتسهيل تطبيقه . اما الطلاب الذين تجاوزوا سن الثامنة عشرة فقد صدر بحقهم القرار التالي :

١ ـ ان يطردوا طرداً مؤقتاً او مؤيداً الطلاب الذين لم تشملهم احكام المرسوم لكبر سنهم والذين يثبت بانهم اشتركوا في المظاهرات التي وقعت في ٨ شباط .

٢ ـ أن لايستخدم في دوائر الدولة في المستقبل من تقرر طرده من هؤلاء طرداً مؤبداً بسبب الحادث المذكور. عندما انعقد مجلس الوزراء فقد باغت

---

(٤٧) عبد الامير هادي العكام، الحركة الوطنية في العراق ١٩٢١- ١٩٣٣، ص ٢٩٠ وللاطلاع على تفاصيل الرسالة راجع ملفات البلاط الملكي في مركز الوثائق ببغداد ملف رقم/د/٦/٣ لسنة ١٩٢٧ ١٩٢٨، ص ١٨ص ٢١.

(٤٨) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات العراقية، ج٢، ص ١٥٩، انظر كذلك العكام ص ٢٩١.

المستشار القانوني لوزارة العدل المستر (دراور) الوزراء باقتراح يتضمن اصدار مرسوم رقم (٤) يخول وزير الداخلية سلطة وضع الاشخاص تحت الرقابة، على ان يتضمن اثراً رجعياً يشمل الوقائع السابقة لصدورة

« واستدعت السلطة عدداً من مديري المدارس لاستجوابهم والتحقيق معهم وسارعت وزارة المعارف إلى اتخاذ قرارات سريعة يقضي بعضها بالطرد المؤبد فمن كلية الحقوق طرد . حسين جميل وعبد القادر اسماعيل ومن دار المعلمين مزاحم ماهر، سعيد عباس، صالح عبد الوهاب، عبد الوهاب الخطيب، عبد الحميد الخالدي، عبد الرزاق قاسم، محمود الحمودي، حسن مرهون، عزيز علي، اسماعيل علي، عبد الحافظ ابراهيم ومن الثانوية المركزية: سعيد عبد الله، احمد قاسم راجي، ادهم مشتاق عزيز شريف، عبد اللطيف محيي الدين، وطرد مؤقتاً لمدة شهر كل من جواد حسين وديع فتح الله، محمود عبد الجبار ،، عبد الهادي عبد الخالق، ومن الثانوية المركزية ولمدة اسبوع: عبد الجليل علي، حسين راجي، خضير الحاج طالب، وطرد لمدة شهرين من مدرسة الكرخ: عبد العزيز علي الخليل وسعيد حميد.

وعقد وزير المعارف اجتماعاً مع مديري المدارس واساتذتها هدد فيه برمي المتظاهرين بالرصاص.... وقد بادرت السلطات إلى احالة عدد من الطلاب إلى محاكم الجزاء بتهمة القيام بمظاهرات مخالفة لاحكام المادة ٨٤، ٨٥ من قانون العقوبات البغدادي متطوع كل من كمال السنوي وعبد العزيز جميل ومحمد سالم الكيلاني بالدفاع عنهم» (٥٠).

يلاحظ ان القرارات التي اتخذتها الحكومة بسبب حوادث ٨ شباط كانت مستعجلة وصارمة واسباب ذلك تعود إلى ظروف الزمان فان المظاهرات المذكورة حدثت بعد اقل من سنة من قيام المظاهرات العنيفة التي اشتركت فيها جميع طبقات الشعب وفي مقدمتهم الطلبة بمناسبة فصل انيس زكريا النصولي ومن ناحية اخرى كانت الحكومة قد حلت مجلس النواب فكان

---

(٤٩) محمد يوسف خليل، الاهالي والحركة الوطنية في العراق، رسالة ماجستير غير مطبوعة ص١٢٣.

(٥٠) خيري العمري حكايات سياسته من تاريخ العراق الحديث، ص ١٧٨- ١٧٩.

عليها ان تجري انتخابات جديدة خلال المدة التي ينص عليها الدستور فخشيت من وقوع مظاهرات مماثلة لها عند الانتخابات الجديدة فيختل النظام العام اختلالا تصعب معالجته.

غير ان هذه الاحكام الجائرة بحق الطلبة صارت هدفاً لانتقادات شديدة من الصحافة والاحزاب (٥١) ولا سيما المفعول الرجعي الذي نص عليه المرسوم رقم (١٤) فقد أثر تأثيراً سيئاً جداً على رجال الحقوق (٥٢).

وفي صلابة وعناد رفع الطلبة الى (عبد المحسن السعدون) رئيس الوزراء أحتجاجاً نص على«... تبلغنا بتاريخ ٤ شباط بقرار وزارة المعارف الجليل القاضي بطردنا من المدرسة طرداً مؤبداً بناء على أدعائها بان لنا صلة بالمظاهرة التي اقيمت ضد الصهيونية يوم ٨ شباط وبما ان القرار الوزاري المشار اليه مجحف بحقوقنا فنحن نطلب من فخامتكم ان تصدروا امركم الى هذه الوزارة باعادة النظر في قرارها المذكور نظراً للاسباب التالية :

(١) ان وزارة المعارف الجليلة لم تجر تحقيقاتها في قضيتنا وفق القواعد القانونية فانها لم تحضرنا امام المحققين ولم تسمع منا دفاعاً يبرىء ساحتنا او شهداء ينفون عنا التهم التي الصقت بنا بالاقوال المجردة وانما اخذنا بالشبهات خلافاً للقاعدة الشرعية القائلة بان الحدود تدرأ الشبهات. وانه لشيء كبير ياصاحب الفخامة ان يعاقب بهذا العقاب الصارم عدد غير قليل من الشباب بمجرد الاقوال والشبهات.

(٢) ان الحادثة التي عوقبنا من أجل الاشتراك بها وقعت في اصيل ٨ شباط اي في وقت غير وقت الدوام في المدارس وان طلاب المدارس انما يعاقبون أذا ارتكبوا افعالا مخلة بالنظام المدرسي ولم يكونوا بوجه من الوجوه معرضين للعقاب عن امور لم تقع في بناية المدرسة اللهم الا أذا تصرفوا بأخلاق مشينة

---

(٥١) حزب الامة الذي انشئ في ١٩آب ١٩٢٤ برئاسة جعفر الشبيبي، وحزب الاستقلال الذي انشئ ، في الاول من ايلول ١٩٢٤ برئاسة عبد الله رأفت، والحزب الوطني الذي انشئ في نيسان ١٩٢٥ برئاسة عبد الله آل سليمان. انظر عبد الامير هادي العكام الحركة الوطنية في العراق، ١٩٢١– ١٩٣٣، ص ٤٦٢. ص ٤٧٠.

(٥٢) ساطع الحصري، مذكراتي في العراق، ج٢، ص١١– ١٤.

لايقبلها نظام المدارس وان المظاهرة ضد الصهيونية لم تكن من هذا القبيل بل كانت حركة شريفة سامية .

(٣) ان القواعد القانونية لاتجيز العقاب بدون نص وليس باستطاعة الوزارة الجليلة ان تبين لنا المادة التي استندت اليها في طردنا ومعاقبتها ايانا هذا العقاب الصارم .

(٤) ان مظاهرة ٨ شباط ليست من الحوادث المخلة بالنظام العام وسلامة الدولة لان المظاهرة المذكورة اقيمت احتجاجاً ضد الصهيونية التي تعاني منها فلسطين العربية الشهيدة ، وان الصهيونية يا صاحب الفخامة ليست من المبادىء المعترف بمشروعيتها في العراق حتى يكون الاحتجاج عليها مخالفة للنظام العام او يهدد سلامة الدولة . وانها بالضد من ذلك فان السماح بالدعوة اليها وتثبيت اصولها وجعل هذه البلاد مسرحاً يرتع فيه زعماؤها ودعاتها مما يستوجب الاخلال بالنظام العام وسلامة الدولة لان الرأي العام العراقي مجمع على مقاتلتها ومقاومتها ونحن على يقين من ان قلب كل عربي يخفق عطفاً على فلسطين العربية كما خفقت قلوب المتظاهرين بالامس .

وان قولنا بمشروعية المظاهرة يوم ٨ شباط لايستفاد منه أننا كنا من المتصلين بها ، وان اردنا ان نصارح فخامتكم بان الاشتراك في مثل هذه المظاهرة السلمية لايستلزم هذه الضحايا .

(٥) ان العقوبات التي فرضتها الوزارة لم تفرض من مقام ذي اختصاص بفرضها لان هيئة التحقيق في هذه الحادثة لم تؤلف من مدرسي المدارس التي طرد طلابها وان القواعد المتبعة تستلزم اشتراك المدرسين لانهم أدرى بطلابهم واهدى من غيرهم الى سبيل التحقيق المنتج .

(٦) نحن لاندري ما هو الاصلاح المنشود من طرد عدد غير قليل من الشبان من المدارس وحرمانهم من ارتياد مناهل العلم مع ان الغاية المتوخاة من العقوبة هي الاصلاح فنحن نعرض اليكم ياصاحب الفخامة طلبنا هذا منتظرين اصدار

امركم الى الوزارة الجليلة باعادة النظر في قرارها المنوه عنه وارجاعنا الى مدارسنا ولكم الشكر» (٥٣) .

لم يستطع (الفرد موند) بسبب تلك الضجة التي أثارها الطلبة ضده ان يبقى في بغداد اكثر من اسبوع ، زار خلالها في تكتم شديد المدارس (٥٤) والنوادي اليهودية وحضر مأدبة اقامها له الملك فيصل الاول وصرح انه جاء الى العراق لمشاهدة اطلال بابل . ودراسة بعض المشروعات الاقتصادية وفي ١٥ شباط سنة ١٩٢٨ غادر بغداد مع حاشيته على متن طائرة نقلته الى الرطبة حيث كانت سيارة نيرن بانتظارة (٥٥) .

وبعد سفر «موند» تكررت الانتقادات بشدة خلال اجتماعات مجلس النواب الجديد عندما عرضت عليه الحكومة المرسومين عملا بأحكام الدستور وفي آخر الامر رأت الحكومة ان تلغي المرسومين (٥٦) .

«حركة ١٩٢٨ عند تشييع جثمان الشيخ ضاري»

كان الشيخ ضاري المحمود رئيس عشيرة (زوبع) على رأس الثائرين في منطقة الرمادي سنة ١٩٢٠ وفي شهر آب ١٩٢٠ (٥٧) دعاه الكولونيل (لجمان) حاكم الرمادي العسكري لمقابلته في «خان النقطة» (٥٨) فجرت اثناء المقابلة مناقشات

---

(٥٣) خيري العمري. حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث، ص ١٨٥.

(٥٤) مدرسة البيرساسون الابتدائية والمتوسطة للبنين، مدرسة لوبه خضوري الابتدائية والمتوسطة مدرسة راحيل شمعون الابتدائية للبنين المدرسة الوطنية، مدرسة شماش الاعدادية للبنين، مدرسة مسعود سلمان، مدرسة منشي صالح الابتدائية للبنين، الثانوية الأهلية، مدرسة فرنك عيني المتوسطة انظر خلدون ناجي معروف ، الاقلية اليهودية في العراق ١٩٢١-١٩٥٢. ج١ ص ١٥٠- ١٥٤.

(٥٥) خيري العمري، المصدر السابق، ص ١٩٢.

(٥٦) ساطع الحصري، المصدر السابق، ص ١١ - ١٤.

(٥٧) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية ص ١٧٠- ١٧١.

(٥٨) خان بناه الشيخ ضاري على طريق الفلوجة، يبعد عن بغداد ثمانية كيلومترات في هذا الخان مثوى الشيخ ضاري.

حادة بين لجمان وضاري مما حدا بالشيخ ضاري ان يطلق النار على لجمان فقتله(٥٩). كما اسر ثلاثين من افراد الشبانة من الذين كانوا بمعية لجمان(٦٠). وبعد مقتل لجمان اتجه الشيخ ضاري نحو عشيرة «المحامدة» وحل ضيفاً على رئيسها الشيخ حبيب الشلال ومن هناك اخذ يراسل(٦١) بعض رؤساء الرمادي للانضواء تحت لواء ثورة العشرين ، ولم يلبث طويلا حتى اتجه نحو مدينة كربلاء وقد استقبل بحفاوة بالغة وحل ضيفاً في دار السيد«حسين الددة»(٦٢) ثم استقر الشيخ ضاري في قرية « كفرتوثا » بالجزيرة مع ولده خميس وقد وضعت السلطات البريطانية جائزة مالية لمن ياتي بالشيخ ضاري حياً او ميتاً (٦٣) وقد غالت الحكومة في عقاب الشيخ ضاري وعشيرتة فقد احرقت مزارعه ونهبت بيوته، ثم سدت قنوات المياه عن مزارعه(٦٤) كما البت ضد عشيرة زوبع كافة العشائر المحيطة بها كعشائر الدليم وعنزة (٦٥) ولم تكتف السلطات البريطانية بهذه الوسائل القمعية بل الفت جيشاً لملاحقة الشيخ ضاري . ولكنها اخفقت وخسرت كثيراً من الاموال والرجال(٦٦) «وفي ٢٣ كانون الثاني ١٩٢٨ القى القبض على الشيخ ضاري وحوكم امام محكمة جزاء بغداد الكبرى واصدرت عليه الحكم بالاعدام شنقاً حتى الموت في ٣٠ كانون الثاني بالرغم من مطالبة الادعاء العام ببراءته ثم أبدل قرار الاعدام بالسجن المؤبد وقد تطوع بالدفاع عنه عدد من المحامين الوطنيين (٦٧)وفي الاول من شباط ١٩٢٨ توفي الشيخ

---

(٥٩) نفس المصدر، ص ١٧٠– ١٧١.

(٦٠) محمد علي كمال الدين، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين ص ٢٩٥.

(٦١) كان يقوم بتحرير تلك الكتب السيد داود العجيل احد ملاكي الصقلاوية.

(٦٢) عبد الجبار الجسام، ثلاثون سنة في الوظيفة، ص ٣٥.

(٦٣) عبد الرزاق الحسني، العراق في دوري الاحتلال والانتداب ج٢ ص ١٤٨ انظر كذلك د. زكي صالح مقدمة في دراسة العراق المعاصر، ص ٣١، المس بيل فصول، من تاريخ العراق الحديث، ص ٤٥٣.

(٦٤) د. عبد الله الفياض، الثورة العراقية الكبرى، ص ٣٠٠.

(٦٥) فريق آل مزهر فرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ص ٥٧٨.

(٦٦) محمد علي كمال الدين، المصدر السابق ص ٣٨٢.

(٦٧) عبد الحميد العلوجي، وعزيز جاسم الحجية، الشيخ ضاري قاتل الكولونيل لجمان في خان النقطة، ص ٧٧.

ضارى وهو في السجن وسرى نعيه في نفوس الوطنيين . وعند سماع الطلبة بنبأ الوفاة اتجهت جموعهم الغفيرة إلى المستشفى وطالبوا بتسليم الجثة إلى زوجته ولكن السلطة البريطانية رفضت طلبهم وقررت دفنها في مقبرة الشيخ معروف بصورة خفية خشية من قيام المظاهرات وبينما كانت الشرطة تحمل الجثة وتضعها في السيارة اقتحم الطلبة بناية المستشفى الملكي(٦٨) واخذوا الجثمان عنوة وساروا به في شوارع بغداد وهم يهتفون باستقلال العراق وبسقوط بريطانيا وكان الموكب مؤلفاً من مائة الف نسمة فساروا بالنعش بين «الهوسات» وزغردة النسوة وتصفيق الجماهير وهتافاتهم من باب المعظم إلى جسر الاحرار(٦٩) مارا امام دار الاعتمـــاد البريطاني (٧٠) فطريق الشواكـة المؤدى إلى ترام الكاظمية(٧١) ثم إلى بيت زوجة الفقيد (٧٢) ولما كان الطلبة متلهفين على فقيدهم، لم يمهلوا اهل الفقيد النظر إلى جثته الا قليلا ، وبعد ذلك اخرج الطلبة النعش من البيت وساروا به إلى مرقد الشيخ معروف(٧٣). « ولما اتم الناس صلاة الجنازة للمرة الثانية استقبل طلاب المدارس النعش الكريم ، واصروا على ان يحملوه دون سواهم إلى مقره الاخير . وقد انصف الخلق شبيبتهم المهذبة ، وقدروا الروح السامية التي ظهروا بها . وهكذا فاز التلاميذ بشرف حملوا جثمان الفقيد (٧٤)» .

---

(٦٨) المستشفى الجمهوري حالياً.
(٦٩) جسر الاحرار: الذي كان يسمى جسر مود حينذاك.
(٧٠) عبد الجبار العمر مقتل الكولونيل لجمان، مقالة بمجلة آفاق عربية ، العدد ١١ تموز ١٩٧٧.
(٧١) كانت الكاظمية مرتبطة بالكرخ بسكة حديد(تراموای) انشأه مدحت باشا وقد ازيل هذا الخط عام ١٩٤٩ بصورة نهائية.
(٧٢) عبد الحميد العلوجي وعزيز جاسم الحجية، المصدر السابق، ص ١٢٠ - ١٢٤.
(٧٣) (٧٤) المصدر السابق نفسه، ص ١٢٥ - ١٢٨.

«حركة ١٩٣٠ احتجاجاً على ابرام المعاهدة العراقية ـ البريطانية»

في ٣٠ حزيران وقع المندوب السامي البريطاني ونورى السعيد وزير الخارجية معاهدة انكليزية ـ عراقية جديدة ، كانت آخر معاهدة في تاريخ العراق السياسي الحديث ، وكانت هذه المعاهدة تنص على عقد حلف امده خمس وعشرون سنة بين بريطانيا والعراق ، تؤيد عزم بريطانيا على انهاء مسؤوليات الانتداب البريطاني فيه ابتداء من تاريخ دخوله العصبة (٧٥) وبذلك كبلت هذه المعاهدة العراق بقيود اثقل من قيود الانتداب وربطته بعجلة الاستعمار البريطاني سياسياً وعسكرياً واقتصادياً (٧٦).وقد اختار الانكليز نورى السعيد، ليقوم بخداع الشعب في تصريحاته المستمرة من ان المعاهدة تضمن تحقيق المطاليب التي ينشدها المواطنون ، وذلك بعد ان بلغ الهياج الشعبي ذروته سخطاً على سياسة المماطلة والتسويف سياسة اهمال رغبات الشعب وكبح حرياته . وقد توالت الاضرابات في العاصمة وسائر المدن وتدفقت التظاهرات الجماهيرية في الشوارع (٧٧)وما ان اذيعت محتويات هذه المعاهدة حتى تناولها ساسة العراق(٧٨) وصحافته (٧٩) بالنقد اللاذع ، اما على النطاق الشعبي فقد رأت الحركة الوطنية هذه المعاهدة صكا انتدابيا مغلقاً يتغلغل النفوذ البريطاني في مطاوى فقراتها

---

(٧٥) Helen M . Davis , ed . ,constitutions , Electoral laws , Treaties of ststes in the Near and Middle East (Durham , N · C . 1947) P·148 ·

(٧٦) جلال الطالباني، كردستان والحركة القومية الكردية، ص ١١٦.

(٧٧) حسين مروة، ثورة العراق، ص٢١.

(٧٨) نقد المعاهدة بشدة كل من ياسين الهاشمي ورشيد عالي الكيلاني، وحكمت سليمان وتوفيق السويدي، وعبد العزيز القصاب، وكامل الجادرجي والسيد عبد المهدي ، ويوسف غنيمة ومزاحم الباجه جي، وناجي السويدي،انظر د. زكي صالح، مقدمة في تاريخ العراق المعاصر ص٨٥.
وكذلك انظر : Ireland , philipw ., Iraq : Astudy in politicaı pevelopment (N.w York , 1938) , P416—417 ·

(٧٩) جريدة العالم العربي، العدد الصادر في ١٧، ١٨ تشرين الثاني ١٩٣٠.
جريدة البلاد، العدد الصادر في ١٩٣٠/٧/٧.
جريدة صوت العراق، العدد الصادر في ١٩٣٠/٧/٢٠.

وموادها . وماهي الا وسيلة لتنفيذ مآرب الحكومة البريطانية على اراضي الرافدين وعلى حساب الحكومة العراقية لذلك عارضتها وحملت الشعب على رفضها وقد عبرت عن آرائها في نشر المقالات الواسعة في الصحف والقيام بالتظاهرات وتقديم المذكرات الى الملك فيصل الاول ورؤساء الدول الاجنبية. (٨٠)

وعلى الرغم من التصديق على المعاهدة في المجلس النيابي من قبل أكثرية ساحقة فان الرأي العام العراقي كان قد تلقاها بعدم ارتياح ، بلغ حد السخط في البيئات المثقفة المدركة (٨١) فلم يتخلف الطلبة من اظهار شعورهم الوطني تجاه صك الانتداب الذي فرضته بريطانيا على العراق في عهد الحكومة السعيدية فارسل الطلبة برقيات استنكار للحكومة يطالبون فيها باعطاء الاستقلال للعراق وبالتخلص من التبعية البريطانية ونتيجة لوجود اسماء وعناوين هؤلاء الطلبة على صفحات تلك البرقيات قامت الحكومة بفصلهم من مدارسهم ولكن ذلك لم يفت في عضد الحركة الطلابية فما ان اذيعت نصوص المعاهدة حتى قام كل من عبدالقادر اسماعيل وحسين جميل بالتعاون مع مجموعة الطلاب بكتابة منشور طبع في مطبعة الآداب وقد نص على دعوة الشعب العراقي للاجتماع والقيام بالتظاهر استنكارا للمعاهدة فتم القاء القبض على هؤلاء الطلبة وتم تقديمهم الى محكمة جزاء بغداد (٨٢) . وبعد هذه الانتفاضة كون الطلبة الاكراد في معاهد بغداد رابطة ثقافية واجتماعية وسياسية تجمعهم تحت اسم (كومه لي لاوان) ومع ان هذه الرابطة لم تكن منظمة ذات اهداف وبرامج سياسية اونظام داخلي مدون ،الا انها كانت جامعة لنشاط وفعاليات الطلبة الاكراد وانماء روح التعاون والتعاضد بينهم وخدمة الثقافة الكردية (٨٣) .

---

(٨٠) د. عبد الامير هادي العكام، الحركة الوطنية في العراق ١٩٢١- ١٩٣٣، ص ٢٤٤.
(٨١) عبد الرحمن البزاز، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، ص٢٠٢.
(٨٢) محمد يوسف خليل، الاهالي والحركة الوطنية في العراق، ص١٢٠.
(٨٣) جلال الطالباني، كردستان والحركة القومية الكردية، ص١١٩.

الخاتمـــة :ـ

مما سبق يتضح لنا جهود الطلبةالهام والمشرف في قيادة الجماهير ضد المعاهدات الاستعمارية الجائرة ورفضهم للاغلال والقيود التي حاول الاستعمارتكبيل الشعب بها فكان اولئك الشباب الرجال الذين يقهرون بوضوح رؤياهم وارادتهم تحديات الذات وينطلقون بصدور عامرة بالنضال فيعلنون الثورة تلو الثورة ويكتبون حروفها بدمائهم ويرسمون طريقها بعرقهم . وقد عرفوا كيف يتعاملون مع العلم في خدمة الانسان العربي ذلك الانسان المغلوب على امره كما عرفوا كيف يوفقون بين طلب العلم وممارسة النضال ويوجهونهما في قناة الاهداف الستراتيجية والمرحلية . كل هذا بدافع الايمان بالهدف وكانت لغة الايمان بالهدف والتصميم عليه هي الانتصار الحقيقي ، فالحركة الطلابية حقيقة واقعة تجلت باعظم صورها في تنظيمها الواعي المنظم ونضالها الدؤوب المتلازم مع نضال الجماهير الكادحة. فكانت الحركـــة الطلابية تدافع عن اماني الجماهير وطموحاتها المشروعة من خلال تصدرها للنضالات الجماهيرية كفصيلة واعية ومثقفة قدمت الكثير من الشهداء فاحتلت مواقع متقدمة في مراحل النضال ضد الملكية والدكتاتورية والرجعية .

المصادر التي اعتمد عليها في كتابة البحث

١ — الكتب

١ — البزاز ، عبد الرحمن،العراق من الاحتلال حتى الاستقلال (بغداد — مطبعه العاني ١٩٦٧) .

٢ — بيل ، المس ، فصول من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط ، (بيروت ، مطبعة دار الكتب ١٩٤٧) .

٣ — الجسام ، عبد الجبار عباس ، ثلاثون سنة في الوظيفة ، (بغداد ، مطبعة دار السلام ، ١٩٥٠)

٤ — حسين ، فاضل ، مشكلة الموصل ، دراسة في الدبلوماسية العراقية الانكليزية التركية وفي الرأى العام (بغداد مطبعة الرابطة ١٩٥٥).

٥ — الحسني ، عبد الرزاق ، تاريخ الوزارات العراقية ج ٢ (بيروت مطبعة دار الكتب ١٩٧٤) .

٦ — الحسني ، عبد الرزاق ، الثورة العراقية الكبرى (صيدا — مطبعة العرفان ١٩٦٥).

٧ — الحسني ،عبد الرزاق،العراق في دوري الاحتلال والانتداب (صيدا — مطبعة العرفان ١٩٣٥) .

٨ — الحسني ،عبد الرزاق،العراق في ظل المعاهدات (صيدا — مطبعة العرفان ١٩٥٧) .

٩ — الحصرى ، ساطع ، مذكراتي في العراق ١٩٢١ — ١٩٢٧ ، ج١ ، (بيروت دار الطليعة ١٩٦٨) .

١٠ — الخطاب ، رجاء حسين حسني ، العراق بين ١٩٢١ — ١٩٢٧ بغداد — مطبعة دار الحرية ١٩٧٧) .

١١ – خليل ، محمد يوسف ، الاهالي والحركة الوطنية في العراق ، (رسالة ماجستير غير منشوره) مطبوعة بالرونيو ١٩٧٢ .
١٢ – سليم ، محمد عبد الرؤوف ، تاريخ الحركة الصهيونية ، الحديثة (القاهرة – المطبعة السلفية ١٩٥٠) .
١٣ – الطالباني ، جلال ، كردستان والحركة القومية الكردية (بيروت – مطبعة دار الطليعة ١٩٧١) ط٢ .
١٤ – صالح ، زكي ، مقدمة في دراسة العراق المعاصر (بغداد – مطبعة الرابطة ١٩٥٣) .
١٥ – العمري ، خيري ، حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث (بغداد مطبعة العاني ١٩٦٥) .
١٦ – العكام ، عبد الامير هادى ، الحركة الوطنية في العراق ١٩٢١ – ١٩٣٣ (النجف – مطبعة الاداب ١٩٧٥) .
١٧ – العلوجي ، عبد الحميد واخرون ، الشيخ ضارى قاتل الكولونيل لجمان في خان النقطة (بغداد – مطبعة اسعد ١٩٦٨) .
١٨ – فوستر ، هنري ، تكوين العراق الحديث ، ترجمة عبد المسيح جويدة (بغداد ١٩٣٤) .
١٩ – الفياض ، عبدالله ، الثورة العراقية الكبرى (بغداد ، مطبعة الارشاد ١٩٦٢) .
٢٠ – الفرعون ، فريق المزهر ، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية (بغداد مطبعة النجاح ١٩٥٢) .
٢١ – القيسي ، سامي عبد الحافظ ، ياسين الهاشمي ودوره في السياسة العراقية ١٩٢٢ – ١٩٤٦ ج٢ (بغداد – مطبعة العاني ١٩٧٥) .
٢٢ – قدوره ، زاهية ، تاريخ العرب الحديث (بيروت – دار النهضة العربية للطباعة والنشر ١٩٧٥) .

٢٣ ـ معروف ، خلدون ناجي ، الاقلية اليهودية في العراق بين١٩٢١
ـ ١٩٥٢ (بغداد ـ مطبعة دار الساعة ١٩٧٥) .
٢٤ ـ مشتاق ، طالب ،اوراق ايامي ١٩٠٠ ـ ١٩٥٨ جا (بيروت ـ
دار الطليعة ١٩٦٨) .
٢٥ ـ كمال الدين ، محمد علي ، ثورة العشرين في ذكراها الخمسين (بغداد
ـ مطبعة التضامن ١٩٧١) .
٢٦ ـ الكيالي ، عبد الوهاب ، موجز تاريخ فلسطين الحديث (بيروت ـ
المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧١) .
٢٧ ـ زايد ، محمود زايد ، تاريخ فلسطين ١٩١٤ ـ ١٩٤٨ (القاهرة
مطبعة المتوسط ١٩٧٤) .
٢٨ ـ دروزة ، محمد عزة ، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ، ج١
(بيروت ـ المطبعة العصرية ١٩٦٠) .

٢ ـ الصحف

١ ـ جريدة الاستقلال ، العدد الصادر في ٣١ كانون الثاني سنة ١٩٢٧.
٢ ـ مجلة الهلال ، العدد ١٤٦ ، يناير سنة ١٩٦٧ .
٣ ـ جريدة العراق ، العدد ٢٠٨٦ سنة ١٩٢٧ .
٤ ـ ملحق جريدة العراق ، العدد الصادر بتاريخ ٩ شباط ١٩٢٨ .
٥ ـ ملحق جريدة العالم العربي ، العدد الصادر بتاريخ ١٠ شباط ١٩٢٨.
٦ ـ جريدة العراق ، العدد (٣٧٣) الصادر بتاريخ ١٠ شباط ١٩٢٨.
٧ ـ مجلة آفاق عربية ، العدد ١١ تموز ١٩٧٧ ، مقالة لعبد الجبار العمر
بعنوان مقتل الكولونيل لجمان.
٨ ـ جريدة المفيد ، العدد الصادر في ١٣ كانون الثاني ١٩٢٦ .

٩ — جريدة العالم العربي ، العدد الصادر في ١٣ كانون الثاني ١٩٣٠ .

١٠ — جريدة البلاد ، العدد الصادر في ٧ تموز سنة ١٩٣٠ .

١١ — جريدة صوت العراق ، العدد الصادر في ٢٠ تموز سنة ١٩٣٠

٣ — الوثائق

١ — ملفات البلاط الملكي في مركز الوثائق ، ببغداد رقم د/٦/ ٣ لسنة ١٩٢٧ ١٩٢٨ ، ١٩٢٩ ص١٨ — ٢٢ .

٢ — سجلات البلاط الملكي المعاهدة العراقية — البريطانية لسنة ١٩٢٥ — ١٩٢٦ ، كتاب دار الاعتماد إلى الملك فيصل الاول رقم س ، و ن ، في ١٩٢٦/٢/٩ ص٨٢ — ٨٥ .

٤ — المصادر الاجنبية

Helon M. Davis, ed. , constitutions Eelctoeal Laws, Treaties of States in the Near & Middle East (Durham, N. C. 1947) P. 148

Ireland , Philip W. , Iarq : A study in Political development (New York, 1938) P 416) -- 417.

سياسة المنصور سيف الدين قلاوون تجاه القوى الصليبية في بلاد الشام

دريد عبد القادر نوري
قسم التاريخ / كلية الآداب

م/٣/٢

تقديم

نتيجة للغزو الصليبي لبلاد الشام، ظهر حكام مسلمون تمكنوا — بما يتمتعون به من مقدرة وكفاءة — ان يحتلوا مركز القيادة لمنطقة الشام او لبعض مدنه وان يتزعموا الجبهة الموحدة التي يكونونها مما يمكنهم توحيده من بلاد مصر والشام وبلاد الجزيرة ، نظرا لضعف السلطة المركزية في بغداد من ناحية وامكانية اولئك الزعماء في اكتشاف امنيات امتهم في الوحدة والتحرير من ناحية ثانية. ولذلك فلم يكن من الغريب ان يصل إلى القيادة من سائر المماليك من يستطيع اكتشاف اهداف شعبه ويعمل على تحقيقها .

وماسيف الدين قلاوون الا واحد من اولئك الزعماء الذين تطلعوا بعمق إلى اهداف امتهم في التصدي للصليبيين وتحرير بلاد الشام من سيطرتهم وعمل على تحقيقها كما حققها من قبله نور الدين محمود زنكي (ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م) وصلاح الدين الايوبي (٥٨٩هـ / ١١٩٣م) اللذين نالا بفضل تصديهم للصليبيين اعجاب الامة الاسلامية .

ولما كانت محاربة الصليبيين لاتتأتى بالعمل البطولي الارتجالي وحده ، بل بالوحدة وببناء الجبهة الداخلية اولا ، وباعداد العدة ثانيا . لذلك فقد شمل موضوع البحث فقرتين ، كانت الاولى في ماهية السياسة التي اتبعها قلاوون في سبيل بناء الجبهة الداخلية ، على حين شملت الفقرة الثانية موقفه من الصليبيين والخطوات التي اتبعها في وقف هجماتهم على بلاد الشام وخططه العسكرية والدبلوماسية في صد ذلك الهجوم .

وقد عمدت إلى بحث هذا الموضوع نظرا لان ماوجدته في المكتبه العربية من بحوث في هذا الباب لم يف بالغرض المطلوب خاصة وان البحث في موضوع الحروب الصليبية يعتبر من المواضيع الهامة ، لان الامة العربية اليوم لاتزال تغزى من الغرب الاستعماري ، كما كانت تغزى من قبل الغرب الصليبي . ولذلك فدراسة اسباب الغزوات التي واجهتها امتنا سابقاً والاطلاع على مواقفهم

وحلولهم لها ، ربما يفيد في القاء الضوء على مشاكلنا المعاصرة ويدفع بنا إلى التعرف على العوامل التي مكنت اولئك القادة ومنهم سيف الدين قلاوون من الانتصار على اولئك الغزاة الذين كانوا يستهدفون القضاء على الوجود الاسلامي في منطقة الشام ، لان من اهم نتائج دراستنا للتاريخ ، كسب العبرة والافادة منها في تصحيح خطوات الحاضر.

ظهرت فكرة الاستعانة بالمماليك منذ عهد الخليفة العباسي المأمون ثم استعان بهم المعتصم بشكل اكثر اذ جلب فرقا كبيرة من التركمان لتدعيم سطانه . ولما تأسست الدولة الاخشيدية في مصر جعل محمد بن طغج جيشه من الاتراك ومن الديلم ، ولما آلت السلطة الى الايوبيين أكثروا من شراء المماليك الترك حتى اصبحوا اعدادا كبيرة داخل مصر وكانت لهم مميزاتهم الخاصة وارستقراطيتهم المتميزة في المجتمع.

وقد انتقلت اليهم السلطة بعد وفاة نجم الدين الايوبي حيث جاءتهم ظروف مواتية سيطروا من خلالها على مقاليد الحكم في مصر بعد سنة ٦٥٠هـ /١٢٥٢م . وكان من اولئك الامراء المماليك الظاهر بيبرس (١) مؤسس دولة المماليك البحرية — والسلطان قلاوون ، موضوع البحث، وقد تمكن اولئك المماليك من القيام بدورهم التاريخي في صد الهجوم المغولي على بلاد الشام ، كما تصدوا بحزم للصليبيين.

امتازت حروب السلطان بيبرس مع الصليبيين بعنفها وطولها كما امتازت برجحان كفته وانتصاره المستمر، فلم تنقض سنة من السنوات العشر الواقعة بين ٦٥٩ — ٦٦٩هـ / ١٢٦١ — ١٢٧١م دون ان يوجه بيبرس حملة صغيرة اوكبيرة ضد الصليبيين بالشام . فقد هاجم عكا واستولى على يافا

(١) الظاهر بيبرس : هو السلطان ركن الدين البندقداري الصالحي ، قفجاقي الجنس . كان رجلا مملوكاً قوياً من مماليك نجم الدين ايوب في مصر . وقد تقلبت به الاحوال إلى ان صار سلطان الشام ومصر ما بين سنتين (٦٥٨— ٦٧٦هـ / ١٢٦٠— ١٢٧٧م) لما كان يتمتع به من مقدرة وصلاح. انظر: تاريخ ابن الفرات : ٧/٨١–٨٦ .

وقيسارية وارسوف والرملة وصفد ومدينة انطاكية(٢).

وقد سار على سياسة الظاهر بيبرس السلطان المنصور سيف الدين قلاوون بن عبدالله التركي(٣) الذي يعتبر السابع من ملوك المماليك الذين حكموا مصر وبلاد الشام «لما قام به من فتوح واعمال جليلة لانه رأس أسرة قلاوون التي تتابع على عرش مصر منها أربعة عشر ملكا وحكمو ماوحدهم قرابة مائة عام.» (٤).

وقد جاءت قلاوون هذا ظروف مواتية جعلته يحتل مركز القيادة في حكم اسرة الظاهر بيبرس، نظرا لشجاعته ومساندته الفعلية للظاهر بيبرس، وقد ال الامراليه فعلا سنة ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م بعد وفاة السلطان بيبرس الذي لم يخلف من بعده الاولادا في الثامنة عشرة من عمره اسمه السعيد ناصر الدين محمد بركة خان ومن دون ان يعين له اتابكا(٥)فاضطربت الاحوال السياسية في البلاد واخذ الحاكم الصبي في ملاحقة كبار الامراء والتضييق عليهم، ومنهم قلاوون مما دفع الى الاجماع على عزلة فتقدموا في اوائل شهر ربيع الاول سنة ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م الى قلعة الجبل التي كان فيها

---

(٢) انظر بخصوص حروب الظاهر بيبرس مع الصليبيين: تاريخ ابن الفرات: ٧/٨٣–٨٦. سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام في عصر المماليك: ص ١٨٠–١٨٣، احمد مختار العبادي قيام دولة المماليك الاولى في مصر والشام: ص ٢٢١–٢٢٩.

(٣) ينتمي السلطان قلاوون إلى قبيلة برج اغلي الساكنة بحوض نهر الفولكا، فهو تركي الاصل ولمعرفة المزيد عن اصله ومولده وموطنه وبعض اعماله انظر: المقريزي السلوك لمعرفة دول الملوك: ق٣ ج١/٦٦٣ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات ٧/٩٤–٩٥ ابن اياس بدائع الزهور: ١/١١٤، محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات: ٣/٢٠٣–٢٠٤.

(٤) محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك: ٢٩.

(٥) تعني كلمة (اتابك) في اللغة التركية المنصب الذي يطلق على مربي الامراء والملوك الصغار والكلمة تتألف من لفظين هما: (اتا بمعنى اب و(بك) بمعنى امير او سيد. واول من لقب بهذا اللقب هو الوزير نظام الملك من قبل السلطان السلجوقي ملكشاه سنة ٤٦٥هـ.انظر: القلقشندي، صبح الاعشى: ٤/١٨، Ency. of Islam, vol, 1, Art, Atabak p. p. 731 — 732.

مقر الحكم وحاصروها وانتهى الامر بخلع الامير الصغير نفسه عن الحكم(٦) والتعويض له عنها بحكم حصن الكرك (٧) .

وبعد خلع السلطان سعيد انتخب السلطان قلاوون اتابكا للملك سلامش بن الظاهر بيبرس الذي كان صبيا ايضا في السابعة من عمره وعلى اثرها انتقلت السلطة الفعلية للسلطان قلاوون واصبح هو الوحيد المتصرف في السلطنة(٨) ومن ثم اخذ يعمل جاهداً في تثبيت حكمه والقبض على مقاليد الامور عن طريق تعيين الموالين له في المراكز الحساسة من البلاد. ومن جهة ثانية فقد القي القبض على القادة والامراء الموالين للسلطان(ناصر الدين) والعادل (سلامش) واودعهم السجن من دون الاعتداء عليهم والسيطرة على اموالهم بقصد تخويفهم واجبارهم على تقديم فروض الطاعة له.(٩)

وهكذا نجح قلاوون بتلك السياسة السلمية في السيطرة على مقاليد الامور واوضح للجميع من الامراء والقادة ان لافائدة من بقاء ذلك الصبي ملكا عليهم . وان الرأى في عزله وانتخاب قلاوون بدلا منه (١٠) وبذلك تم له مااراد وعزل سلامش من السلطة في رجب من سنة ٦٧٨هـ وبذلك انتهى حكم اسرة الظاهر بيبرس البند قد ارى وظهرت اسرة قلاوون التي كونت العمود الفقري لدولة المماليك البحرية .

ففي مجال السياسة الداخلية عمد إلى القضاء على تمردات العشائر وقطاع الطرق امثال جاموس والمحوجب اللذين كانا يعيثان في ارض مصر فسادا

(٦) لمعرفة المزيد عن ظروف العزل وسياسة الصغير انظر : ابن اياس بدائع الزهور: ١/١١٤ ، المقريزي، السلوك: ق٣ج١/٦٥٤ .

(٧) الكرك: حصن منيع يقع إلى الجنوب الغربي من طبرية، استولى عليه الصليبيون بعد مجيئهم إلى الشام بعد سنة ٤٩١هـ وبقي بايديهم يشنون منه الغارات على المواقع الاسلامية المجاورة ويقطعون بواسطته الطريق التجاري بين مصر والشام إلى ان فتحه صلاح الدين الايوبي سنة ٥٨٤ وانتقل بعده إلى سلطة المماليك. انظر: ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة بذكر امراء الشام والجزيرة : ق٣ج٢/٦٩-٧٣ .

(٨) السيوطي، تاريخ الخلفاء: ٢٣٢.

(٩) انظر: ابن خلدون، تاريخ العبر: ق٤ج٥/٨٥٠ .

(١٠) ابن اياس، بدائع الزهور: ١/١١٤ .

بالسلب مرة اخرى بالقتل حيث قبض عليهم وامر بقتلهما (١١) وفي شوال من سنة ٦٧٨ هـ امر بطرد كتاب الجيوش من النصارى وامر استخدام الكتاب من المسلمين عوضا عنهم . فقد عين مثلا القاضي امين الدين (شاهد صندوق النفقات) كاتبا في ديوان الجيش بدلا من الاسعد ابراهيم النصراني(١٢) وفي هذه الاجراءات مايدل على رغبته في ضبط الشؤون العسكرية ومنع تسرب المعلومات العسكرية للجانب الصليبي .

ولما كان الجيش هو الدعامة الاولى التي يستطيع بها تحقيق اهدافه القاضية بضرب الصيبيين وارجاع ماكانوا قد استولوا عليه من بلاد المسلمين في الشام لذلك اولاه قلاوون عناية كثيرة وعمد لتقويته والاكثار من شراء المماليك (١٤) الذين اخذ يعدهم اعدادا حسنا بتربيتهم والاشراف على شؤونهم الخاصة حتى قدر عدد مماليكه باثني عشر الف مملوك اختار منهم ثلاثة الاف واسكنهم ابراج القلعة وعرفوا فيما بعد باسم المماليك البرجية (١٥) .

والحقيقة ان اولئك المماليك كانوا قد قاموا بدورمهم في عملية بناء الجيش الملوكي انذاك والوقوف بوجه الخطر المغولي والصليبي الذي كان يهدد منطقة الشام نظرا لحسن تدريبهم وتربيتهم اذ كان جيشا مدربا على فنون القتال المختلفة التي كان يشرف عليها قلاوون بنفسه بالاضافة إلى التربية الدينية المعروفة في ذلك الوقت (١٦).

وبعد ان وثق قلاوون من مقدرته توجه صوب توحيد القوى والطاقات وكان اول عمل بدأ به هو التخلص من منافسيه الذين كانوا يسعون للوصول إلى السلطة داخل مصر وعمل على ابعادهم إلى خارج البلاد ليتسنى له الانفراد

(١١) انظر ابن الفرات ، التاريخ : ١٩٢/٧.
(١٢) نفس المصدر السابق: ٧ / ١٩٣.
(١٤) راجع بخصوص الجيش المملوكي في عهد قلاوون السيد الباز العريني، المماليك: ٥٣-٨٣ .
(١٥) انظر: ابن اياس ، بدائع الزهور: ١ / ١٢٠ ،حسن ابراهيم حسن : دراسات في تاريخ المماليك البحرية: ٤٧.
(١٦) انظر: حكيم امين عبد السيد: قيام دولة المماليك الثانية: ١٣

بالحكم وبالتالي التفرغ للسياسة الخارجية . وكان من اهم الامراء المشكوك في امرهم (سنقر الاشقر) فقد ابعده قلاوون إلى مدينة دمشق بعيدا عن مصر ليكون نائباً عنه فيها غير انه استغل وجوده في دمشق وعمل على الاستقلال بحكمها واخذ يستقطب الاتباع حوله حتى تمكن من مد سلطانه إلى بعض المدن والقلاع الشامية (١٧).

والحقيقة ان قلاوون كان مخطئا في سياسته السابقة فقد كان عليه ان يحاصر الامراء الذين يشك في نواياهم تجاه الدولة ويعمل على تجريدهم من مناصبهم لا أن يمنحهم امارة مدن بعيدة عن مركز الحكم .

وهكذا تحتم على قلاوون مقارعة الاشقر والتخطيط للقضاء عليه واعادة حكم بلاد الشام تابعاً لمصر فبعث اليه جيشا مصريا كبيرا فيه عدد من المماليك الاشداء بقيادة عز الدين ايبك وما ان وصل الجيش إلى مشارف غزة سنة ٦٧٨هـ حتى حدثت عدة معارك كان نتيجتها اندحار الاشقر وهروبه نحو مشارف دمشق وهناك عمل على استجماع قواته من جديد وتقدم لخوض المعركة الجديدة التي عرفت باسم (الجسورة) والتي انتهت في ١٩ صفر سنة ٦٧٩هـ بهزيمته من جديد وانضمام عدد كبير من جنده إلى الامير عز الدين ايبك الذي تعقب فلول المنهزمين ودخل دمشق (مركز حكم الاشقر) منتصراً (١٨) .

ولما كان قلاوون ينوي في حروبه ضد الامراء المماليك المناوئين له اجبارهم على الدخول في الوحدة لتتوحد الطاقات لذلك فان سياسته اقتضت الوقوف امام جمهور الامه موقفاً ايجابياً، يختلف عن موقفه الذي يقفه امام الامراء الذين كانوا يقفون بوجه محاولات توحيد الامة لذلك اصدر اوامره بالعفو العام عن اهالي دمشق كما امر باكرام الاسرى واطلاق سراحهم (١٩).

والحقيقة ان سنقر الاشقر كان قوياً وله كثير من الاتباع في الشام لذلك

---

(١٧) ابن الفرات، التاريخ: ١٦٣/٧.

(١٨) راجع بخصوص موقف قلاوون من الاشقر وهزيمة الامير العام القوات المصرية المصادر التالية: ابن الفرات: ٦٣/٧، ١٦٩، الذهبي، تاريخ الاسلام: ٣٢/٩.

(١٩) انظر تاريخ ابن الفرات، تحقيق قسطنطين زريق (بيروت : ١٩٤٣) : ١٧٠/٧--١٧١ .

فان قوته لم تنته رغم ماحصل من نتائج في معركة الجسورة فقد تمكن من اعادة سلطانه على حصن صهيون وشيزر (٢٠) وبكاس(٢١) وهدد الوحدة التي كادت ان تقام بين مصر ومعظم بلاد الشام بالفشل، لذلك خطط قلاوون القضاء عليهم نهائياً، غير ان تقدم المغول نحو الشام دفع بكلا الطرفين إلى التهادن والاتفاق على مقارعة الخطر الخارجي وقد تمكنا فعلا من الانتصار على التتار قرب مدينة حمص ومنعوا تقدمهم نحو داخل بلاد الشام ثم انتهت المعارك مع التتار وعاد الاشقر إلى حصونه من دون ان يحصل على موافقة قلاوون (٢٢).

ولما كان هدف قلاوون توحيد بلاد الشام ومصر تحت سلطانه، لذلك فانه في كل الاحوال لم يرض باستقلال الاشقر ببعض الحصون في بلاد الشام وكان عليه ان يحقق الهدف ولو بالقوة فتقدم بقواته نحو الحصون التي كانت تابعة للاشقر واخذ يفتحها ويجبرها على الدخول في الوحدة واحدة بعد الاخرى فقد استرجع حصن بلاطنس (٢٣) ،في صفر سنة ٦٨٤ هـ ، كما استرجع المرقب وبرزية والشغر وبكاس في ربيع الاول من نفس السنة ، ثم انتهت العلاقات السلبية مع الاشقر بفتح حصن صهيون واستسلام الاشقر في ٢٢ صفر سنة ٦٨٦ هـ واعادته إلى القاهرة مكرما . (٢٤)

وبعد الانتهاء من فتح ماكان بيد الاشقر من المدن توجه للسيطرة على املاك اولاد السلطان بيبرس في منطقة الشام فاسترجع حصن الشوبك (٢٥) في ١٨

(٢٠) شيزر: قلعة بالشام قرب المعرة، بينهما وبين مدينة حماة يوم يجري من وسطها نهر الاردن وهي تابعة لمدينة حمص وقد افتتحها صلحاً ابو عبيدة بن الجراح سنة ١٧هـ ويقترن اسمها بين منقذ الكنانيين. (ياقوت الحموي، معجم البلدان(بيروت: ١٩٥٧): ٣٨٣-٣٨٤.

(٢١) بكاس: قلعة من نواحي حلب على شاطئ العاصي(ياقوت الحموي، معجم البلدان: ١/ ٤٧٤).

(٢٢) انظر: تاريخ ابن الفرات: ٧ /١٨٦-١٩٠.

(٢٣) بلاطنس: حصن منيع بسواحل الشام مقابل اللاذقية كانت تابعة لمدينة حلب : ياقوت الحموي معجم البلدان: ١ /٤٧٨.

(٢٤) انظر: ابن الفرات: التاريخ: ٨/٤٩-٥٠، ابن اياس بدائع الزهور: ١/١١٧.

(٢٥) المقريزي السلوك: جـ١ق٣/ ٦٦٦.

ذى الحجة من سنة ٦٧٨ هـ كما استرجع الصلت في نفس العام ايضا (٢٦) وفي سنة ٦٨٠هـ تمكن قلاوون من ضم بلاد تونس إلى حكمه وفي سنة ٦٨٥هـ ضايق حصن الكرك(٢٧) كثيرا الذي كان بيد مسعود الظاهر بيبرس حتى تمكن من استرجاعه(٢٨)

وهكذا تمت الوحدة بين مصر ومعظم بلاد الشام وثبت مركز سيف الدين قلاوون واصبح بفضلها سلطانا لاينافسه احد من الامراء المسلمين القيادة البتة في كل من الشام ومصر وبلاد الجزيرة والحجاز كما اصبح اعداؤه من الصليبيين - بفضل تلك الوحدة - تحت قبضة يده محاصرين من الشمال والشرق ومن الجنوب وقد اصبحت تلك المناطق جميعاً بعد ان سادها الاستقرار بين مختلف عناصرها مادة لجيوش قلاوون وكان من نتائج تلك الوحدة ان هزم الصليبيون امام قلاوون في عده معارك واستعيدت كل من مدينتي عكا وطرابلس كما سيتبين ذلك في الصفحات القادمة .

ولم يبق لقلاوون بعد اتمام سيطرته على معظم بلاد الشام ومصر الا كسب المسلمين في منطقة الحجاز فعمد إلى اصلاح موقفه من امرائهم والزيادة في أعطياتهم التي بلغت عشرين الف درهم سنوياً مع تقديم الكسوة السنوية للكعبة مما دفع بشريف مكة إلى الاعتراف به والخطبة باسمه والحلف له على ذلك بقسم غليظ (٢٩).

اما بلاد النوبة واليمن فان السلطان قلاوون تمكن من كسب جانب اهلهما عن طريق اخذ الولاء له والموافقة على بقاء البلاد تابعة لحكامها الاصليين بعد ان اتفق الطرفان على استمرار العلاقات طيبة وسليمة (٣٠) وذلك وفقاً للمخاطر التي يتعرض لها حكمه في حالة قيام الاضطرابات هناك .

---

(٢٦) ابن الفرات، التاريخ: ١٦١/٧ .
(٢٧) الكرك: انظر هامش رقم(٧) صفحة رقم (٤٦) .
(٢٨) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في اخبار من ذهب: ٣٩٠/٥.
(٢٩) انظر القسم الذي حلف به شريف مكة وعلاقته بقلاوون: تاريخ ابن الفرات: ٢٤٧/٧.
(٣٠) لمعرفة المزيد عن العلاقات بين قلاوون وامراء اليمن انظر : المقريزي: السلوك: ج١ق٣/٩٥ ٧٠٢،٦٢١ اما عن العلاقات بين قلاوون وبلاد النوبة انظر : السلوك: ج١ق٣/-٧٤٣-٧٤٩ ابن الفرات: ٩٢/٨ .

بعد ان سيطر قلاوون على الاوضاع الداخلية وقضى على منافسيه،
تقدم لمحاربة الصليبين بعد ان امن خطوط رجعته وكسب ثقة المسلمين به
وكان اول عمل بدا به هو ارسال الوحدات العسكرية المنظمة لحفظ الساحل
الشامي من غدر الهجمات الصليبية التي اخذت تتحول في تلك الظروف مستغلة
الوضع الداخلي المتأزم في بلاد الشام (٣١) . لان الصليبيين لم يتمكنوا من اقامة
اماراتهم والاستمرار في حكمها الا لضعف المسلمين وتفرقهم في منطقة
الشام والجزيرة ومصر مع وجود تناقضات بين مصالح اولئك الامراء .
وكمثال على ذلك فقد استغل جماعة الاسبتارية(٣٢) سنة ٦٧٩ هـ فرصة اغارة
المغول على حلب وحاولوا الاستيلاء على حصن الاكراد (٣٣) ونكلوا باهله
(٣٤) الا أن تلك الاحوال لم تدم بفضل يقظة العالم الاسلامي انذاك وما
تمخضت عنه المنطقة من ظهور قادة مخلصين اكفاء تمكنوا من استغلال الظروف
السياسية التي كانت تسود المنطقة وتمكنوا من الاطاحة باعمال الصليبيين العدوانية
في منطقة الشام .

ويكفي ان اقول ان ظهور مثل اولئك القادة كان طبيعياً استجابة للتحدى
الذي اصاب المشرق الاسلامي بفعل الغزو الصليبي حتى إنه كان من المألوف

---

(٣١) انظر المقريزي: السلوك ٦٨٣/٤.

(٣٢) الاسبتارية : الكلمة تحريف ظاهر للفظ الافرنجي Hospitallers وتطلق على احدى جمعيات الاخوان الرهبانيين التي شكلت في عهد الحروب الصليبية بالشرق وهي معروفة كذلك باسم فرسان القديس يوحنا وقد خرجت من الشام مع الصليبيين بعد سقوط عكا سنة ١٢٩١م واستقرت بجزيرة رودس بعد ان كانت قد اقسمت القيام بالحرب المقدسة ضد المسلمين مهما بلغت التضحيات ولمعرفة المزيد عن هذه الطائفة انظر :

King (E. J.) The Knights Hospitallers P. P. I – 33

توفيق اليوزبكي تجارة مصر في العصر المماليكي هامش رقم (٦) صفحة رقم(٢٨)

هربرت فيشر تاريخ اوربا في العصور الوسطى، ص ٤٤٤.

(٣٣) حصن الأكراد: حصن منيع على جبل مقابل مدينة حمص من جهة الغرب وكان قد سكنه الأكراد ليكون طليعة بوجه الغزو الصليبي ولهذا سمي باسمهم(ياقوت الحموي معجم البلدان : ٢٦٤/٢).

ان يصل إلى القيادة والامارة رجال من المماليك ممن فهموا روح العصر الذي يعيشون فيه ومبادئه السائدة وافادوا منها وما سيف الدين قلاوون الا دليل على صحة ذلك الافتراض .

وقد سار سيف الدين قلاوون على سياسة صلاح الدين الايوبي والظاهر بيبرس في اخراج الصليبيين من بلاد الشام واستولى على مابقي في ايديهم سنة ٦٨٦هـ / ١٢٨٩م عدا مدينة عكا التي استولى عليها من بعده ابنه السلطان خليل سنة ٦٩١ هـ / ١٢٩٤م . وقد كان قوياً بحيث فتح الكثير من القلاع التي لم يتمكن صلاح الدين من فتحها لحصانتها وكثرة الامدادات الصليبية التي كانت تصلها من الغرب كمدينة طرابلس وحصن المرقب (٣٥) .

وكانت سياسة قلاوون تجاه الصليبيين في فترة الاعداد لبناء الجبهة الداخلية تتمثل بالموافقة على عقد مهادنات موقتة مع الصليبيين نظرا للانشغال بصد الهجوم المغولي و التفرغ للقضاء على منافسيه من الامراء المسلمين ومن جهة ثانية فان قلاوون قصد من تلك المهادنات «فصل الصليبيين بالشام عن المغول في العراق وفارس »(٣٦) .

وقد وقع اول تقرير للهدنة بين الاسبتارية بطرابلس وقلاوون وحلف عليه سنة ٦٨٠هـ ــ ١٢٨١م «لمدة عشر سنين وعشرة اشهر وعشرة ايام وعشر ساعات اولها يوم السبت ثاني عشرى المحرم ... وتقررت [الهدنة ايضا] مع تملك طرابلس والشام ... لمدة عشر سنين » (٣٧) وكان جوهر الاتفاقيه ينص على الشروط التالية :

(١) يقيم نواب السلطان قلاوون وصاحب طرابلس الصليبي بمدينة اللاذقية

---

(٣٤) انظر : The Knights Hospitallers – P. 232

(٣٥) انظر علي ابراهيم حسن، تاريخ المماليك البحرية : ٥٨، ٥٩ .

(٣٦) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية : ١١٦٦/٢ .

(٣٧) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ق٣، ج١/٦٨٥، انظر تاريخ ابن الفرات : ٢٠٤/٧ .

(٣٨) انظر : تاريخ ابن الفرات : ٢٠٥/٧–٢٠٦ محمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون ٢٣٣ .

للاشراف على استخراج الجبايات وتقسيمها مناصفة .

(٢) على الطرفين المتهادنين الا يبنيا او ينشئا قلعة او مدينة تجاور البلاد خارج مناطقهما .

(٣) لايجوز نقضا لهدنه بوفاة احد الطرفين او بانتقال الحكم إلى غيره(٣٨)

و الحقيقة ان قلاوون كان مضطرا لعقد مثل تلك المهادنات لانه كان واقعاً تحت تاثير الخوف من الهجوم المغولي ومن احتمال استغلال الصليبيين لتلك الظروف والهجوم على المسلمين (٣٩) كما كان منهمكاً في القضاء على المشاكل الداخلية فاراد ان يموه على الصليبيين بمثل تلك الاتفاقيات .ولكي يبرهن على ظاهر صدقة ويمرر طريقته عليهم عمد إلى الموافقة على قبول مهادنات ذات امد طويل يستغل بعض وقتها للاعداد لهم ، والهجوم عليهم بعدما يرى منهم ايه محاولة ولو كانت غير جادةفي نقض شروط الهدنه .

وفعلا بعد اربع سنوات هاجم حصن المرقب العائد للطائفة الاسبتارية سنة ٦٨٤هـ ١٢٨٥م وتمكن من فتحه بعد ان امن مخاوف المغول ورای من الاسبتارية مايهدد قوافل التجار المسلمين (٤٠) وكان حصن المرقب هذا من أعظم الحصون الصليبية خطورة عليه نظرا لمناعته وحصانته (٤١) ومن ناحية ثانية فان الصليبيين ايضا قبلوا تلك المهادنة للمشاكل الداخلية التي كانوا يعانون منها ، وتخلي بعض المدن الصليبية في اوربا عنهم (٤٢) نظرا لان قلاوون حافظ على العلاقات

---

(٣٩) من الادلة التي تثبت ان الصليبيين كانوا يستغلون الفرص في الهجوم على المسلمين في الاوقات الحرجة ماذكره ابن الفرات انه سنة ٦٧٩هـ كتب امير الشام إلى قلاوون يستأذنه في غزو الصليبيين بالمرقب لانهم لما بلغهم قدوم المغول قويت نفوسهم وامتد طمعهم فاذن السلطان قلاوون في ذلك.(تاريخ ابن الفرات: ٧/١٩٥).

(٤٠) Lane Pool, A History of Egypt in the middle ages ,P. 281
stevenson ,The Crusader in East ,P.349

(٤١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة: ٧/٣١٧.

(٤٢) انظر: عاشور، الحركة الصليبية: ٢/١١٦٨.

الودية التي احكم اواصرها السلطان بيبرس مع امبراطور القسطنطنية كما ابرم معاهدة دفاعية بينه وبين جيمس ملك صقليا والفونسو صاحب قشتالة مما اضعف قوى الصليبيين في الشرق وجعلهم يخسرون بعض حلفائهم (٤٣) .

ويتبين من دراسة الفترة الاولى لعلاقة قلاوون بالصليبيين ان سياسته تجاههم كانت مقتصرة على غارات خاطفة ومركزة على بعض المعاقل والحصون الصليبية المهمة و الموافقة على عقد مهادنات مؤقتة لغرض التفرغ الكامل لبناء الجبهة الداخلية، كما تبين من قبل، وبعد ان حقق هدفه السابق تقدم لتصفية حسابه الكامل مع الصليبيين فاسقط طرابلس معقل تجمعهم الاول . وقبل التطرق إلى شرح تلك الخطوات اشير إلى مسألتين هامتين اولاهما : ان قلاوون ماكان له ان يحقق اهدافه لولا نجاح سياسته في تثبيت الجبهة الداخلية والسيطرة على معظم بلاد الشام والجزيرة . وثانيهما : ان قلاوون لم يتمكن من انجاح سياسته تجاه الصليبيين لولا ان خدمته بعض الظروف المواتية التي تمثلت بمساندة امراء المسلمين له واضطراب احوال الصليبيين الداخلية من جهة ثانية .

الا أنه يجب الا نبالغ كثيراً في تعظيم مساندة الامراء المسلمين له ولا في التفكك الداخلي والاضطراب الذي ساد بين الصليبيين في منطقة الشام لان ذلك يخالف الوقائع التاريخية ويخدم وجهة النظر الصليبية من ناحيتين اولاهما: انه يبرر خسارة الصليبيين امام قلاوون . وثانيهما انه يقلل من اهمية تلك الانتصارات .

وكثيرا ماذكرت بعض المصادر الغربية والعربية المقلدة لها وصفاً لايخلو من مبالغة كبيرة في تبيان مدى الضعف الذي كانت عليه الامارات الصليبية قبل ان يغزوها قلاوون وكمثال على ذلك جاء في احدى المراجع مايلي :—
« لعل الغريب في قصة الدور الاخير من ادوار المعركة الصليبية بالشام هو أن الصليبيين ظلوا حتى اللحظة الاخيرة لايشعرون بالخطر الذي يهددهم جانب المماليك فاستمروا غارقين في منازعاتهم الداخلية ... وفي ذلك الوقت

---

٤٣) انظر : توفيق اليوزبكي، تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المماليكي: ٥٧ .

نشبت الحرب في ايطاليا بين بيزا وجنوا فامتدت بعد قليل إلى بلاد الشام...» (٤٤)

وفي النص السابق مبالغة واضحة في تبيان الضعف الذي كان عليه الصليبيون في الشام ويتبين منه وكأن الصليبيين كانوا غافلين عن الحرب ضد المسلمين فهجم عليهم قلاوون بقواته وانتصر عليهم وبذلك فان انتصاره عليهم لم يكن له اهمية تاريخية لان الظرف الثاني لم يكن مستعدا للحرب .

ولو تفحصنا المصادر العربية لوجدنا مايدل على ان الصليبيين كانوا مستعدين للحرب وانه كانت تصلهم امدادات قوية من الصليبيين في اوربا يقول المقريزي : « في اول ربيع الاخر [من سنة ٦٨٣ هـ] ورد الخبر بحركة الفرنج لاخذ الشام [دمشق] فتجهز السلطان للسفر ... » (٤٥) اى ان الصليبيين كانوا هم البادئون في التحرك ضد المسلمين . وفي سنة ٦٨٧ هـ ١٢٨٨ نقض الصليبيون في طرابلس الهدنة واسروا جماعة من التجار وغيرهم (٤٦) مما يدل على شعورهم بقوتهم العسكرية وتخطيطهم للهجوم على المسلمين وفي سنة ٦٨٨هـ ١٢٨٩ م قدمت مساعدات من الصليبيين في اوربا إلى مدينة طرابلس قبل فتحها وهي اربع شوان (٤٧) محملة بالعدد والعدة لتقوية الحامية الصليبية في المدينة (٤٨) كل هذه الادلة تثبت قوة الصليبيين في منطقة الشام، وامكانياتهم العسكرية وقدرتهم على التحرك ضد المسلمين .

على اية حال فان الهدنة بين الصليبيين في طرابلس والسلطان قلاوون وقعت تحت تأثير مصلحة الطرفين المتبادلة غير ان بعض الامراء من المماليك

---

(٤٤) انظر : عاشور ، الحركة الصليبية : ١١٦٩/٢.

(٤٥) السلوك لمعرفة دول الملوك: ق٣جـ٧٢٢/١.

(٤٦) نفس المصدر السابق: ٧٤٦/١.

(٤٧) الشيني او الشواني او الشوانه : وهي السفن الحربية الكبيرة وتعتبر من اهم القطع العسكرية البحرية وهي من اصل مصري وكانت تسير بمائة واربعين مجدافاً وتقدر حمولتها بمائة وخمسين جندياً وكان يقام فيها الابراج والقلاع كما كانت ترمي منها النار على العدو . انظر : ابن شداد، النوادر السلطانية : ص٤٨ هامش رقم(٤) ابن واصل مفرج الكروب: ١٣/٢ هامش رقم (١)

(٤٨) نفس المصدر السابق: ٦٨٦/١.

رفضوا الصلح مع الصليبين واعتبروا السلطان خائناً يجب قتله وبالتالي نقض الهدنة مع الصليبيين. ففي سنة ٦٨٠هـ علم السلطان ان جماعة من امرائه قد اتفقوا مع الامير سيف الدين كوندك الظاهر السعيدي على قتله « وكاتبوا الفرنج بانهم لايصالحون» (٤٩)

وقد تمكن قلاوون من السيطرة على الموقف وقتل مناوئيه بعد ان بين لعامة الناس حسن نواياه فقد تلطف في الامر وتحفظ على نفسه حتى اجتمع الامراء عنده« فوبخ كوندك ومن معه وذكر لهم ماعتمدوه من مكاتبة الفرنج فلم ينكروا وسألوا العفو فامر السلطان بهم فقبض عليهم وهم كوندك وايدغمش ... مع ثلاث وثلاثين من الامراء ... وفر عشرة امراء ومائتا فارس...» (٥٠)

وقد انتهت المؤامرة التي احيكت ضد قلاوون بالفشل وثبت مركزه ولم يتبين من دراسة المصادر التأريخية مايدل على تأييد شعبي لاولئك الامراء وربما كان لسياسة استخدام القوة واعدام الامراء المناوئين اثر في ذلك، غير ان النص السابق يظهر منه ان الذين وقفوا ضد سياسة قلاوون كانوا كثرة من الامراء والجند يقدر عددهم بنحو ثلاثمائة رجل.

وبعد نجاح الصليبيين بطرابلس في الوصول إلى اهدافهم السابقة مع قلاوون تشجع الصليبيون في منطقة عكا (٥١) على مراسلة السلطان قلاوون

---

(٤٩) نفس المصدر السابق: ٦٨٦/١.

(٥٠) المقريزي السلوك: ق٣ج١/٦٨٦.

(٥١) من الجدير بالذكر ان مدينة عكا كانت من اهم معاقل الصليبيين انذاك، نظراً لمناعتها اذ كانت قد استولى عليها الصليبيون سنة ١١٠٤م واستعادها منهم صلاح الدين الايوبي ١١٨٧م ثم سقطت بأيديهم مرة ثانية سنة ١١٩١م بعد مجيء الحملة الصليبية الثالثة حيث نكل الصليبيون باهلها من المسلمين وذبحوهم خارج أسوار المدينة انظر: دريد عبد القادر نوري، سياسة صلاح الدين الايوبي: ص ٢٩٧-٢٩٨ وص ٣٢٨-٣٣٥، هارولد لامب، شعلة الاسلام: ص ٢١٧.

في محاولة للوصول إلى هدنة للسلام معه كالتي وقعت مع الاسبتارية في طرابلس فوافق عليها قلاوون لمصلحة بدت له معهم .

ففي خامس شهر ربيع الاول من سنة ٦٨٢هـ / ٣ يونية سنة ١٢٨٣م عقدت الهدنة بين السلطان قلاوون وبين حكام الصليبيين بمملكة عكا وصيدا وبلادها وهم اودو بولشيان نائب ملك مملكة بيت المقدس الصليبية (٥٢) . وقد حضر معه كل من مقدم الداوية (٥٣) والاسبتارية وبعض كبار الامراء الصليبيين واتفقوا على ان تكون الهدنة لمدة عشر سنين وعشرة اشهر وعشرة أيام وعشر ساعات . وقد ورد نص الاتفاقية في كتاب تاريخ الدول والملوك لابن الفرات (٥٤) . ويمكن أجمال اهم شروطها بما يلي :

١ — ان تكون جميع بلاد المسلمين وما يملكون في مأمن من غدر الصليبيين المتواجدين في الشام او الذين يأتون اليهم من اوربا وقد جاء في نص المعاهدة ما يلي :

« ان جميع ما هو للسلطان ولولده من البلاد ... وجميع العساكر والرعايا ... وجميع التجار والسفار والمترددين في البر والبحر والسهل والجبل في الليل والنهار يكونون آمنين . في حالتي صدورهم وورودهم على أنفسهم واموالهم واولادهم وحريمهم وبضائعهم ... وعلى جميع ما يتعلق بهم ... وانه لاينال بلاد السلطان وولده وحصونهما ولاقلاعهما ولابلادهما ولا عساكرهما ولا جيوشهما ولا عربهما ولا تركمانهما ولا أكرادهما على اختلاف الاجناس والانفار ولا على ما تحويه ايديهم من المواشي والاموال

---

(٥٢) King , The Knights Hospitallers in the Holy land , P.284.

(٥٣) الداوية : Templers منظمة عسكرية دينية تطلق على جماعة فرسان المعبد. وقد اسس هذه الجمعية (Hugh de Payns) سنة ١١١٩م لحماية طريق الحجاج النصاري بين يافا والقدس ثم تحولت بعد ذلك إلى هيئة حربية، كان لرؤسائها وفرسانها شأن كبير في تاريخ الامارات الصليبية في الشام. اما اعداد هذه الطائفة فغير معروف وقد اشترك من هذه الطائفة حوالي ٣٠٠ في معركة حطين ضد صلاح الدين ولمعرفة المزيد عنها انظر : K·nd·op. Cit, p.p. 1 – 5, 7 – 33

(٥٤) انظر نص المعاهدة في تاريخ ابن الفرات: ٧/٢٦٢–٢٧٠.

والغلال وسائر الاشياء منهم [اي من الصليبيين] بغدر ولا بسوء ولا يخشون من جهتهم امراً مكروهاً ولا اغارة ولا تعرضاً ولا أذية ... » . (٥٥)

٢ — وبالمقابل تعهد قلاون ان تكون جميع البلاد العكاوية الداخلة تحت نفوذ الصليبيين آمنة منه ومن ولده ومن عساكرهما « وتكون هذه البلاد المشروحة الداخلة في هذه الهدنة المباركة الخاصة منها وما هو مناصفة مطمينة هي ورعاياها وساير اجناس الناس فيها والقاطنين بها والمترددين اليها على أختلاف اجناسهم وأديانهم والمترددين اليها من جميع بلاد الفرنجية والتجار والسفار ... منها واليها في بر وبحر وليل ونهار ... » (٥٦) .

٣ — على الصليبيين ان لايجددو في غير عكا وعثليت وصيدا [المناطق الداخلة في الهدنة] قلعة او برجا ولا يجددوا حصناً قديماً ولا مستجداً (٥٧) .

٤ — أذا هرب احد من المسلمين الى الاراضي الصليبية الداخلة في الهدنة وتنصر بارادته ترد جميع ممتلكاته الى السلطان . وان كان لايقصد الدخول في دين النصرانية ، يرد الى السلطان قلاوون بما معه بعد ان يعطى الامان وتؤخذ له الشفاعة . وكذلك اذا حضر احد من عكا والمدن الواقعة تحت النفوذ الصليبي بقصد الدخول في دين الاسلام بارأدته يرد الى الصليبيين كل ما معه . وان كان لايقصد الدخول في دين الاسلام ، يرد الى الحكام بعكا بشفاعة بعد ان يعطي له الامان .

---

(٥٥) ابن الفرات، التاريخ(بيروت: ١٩٤٢): ٧/٢٦٣–٢٦٤.

(٥٦) نفس المصدر السابق: ٧/٢٦٤–٢٦٥.

(٥٧) جاء خطأً في كتاب دولة بني قلاوون في مصر للدكتور محمد جمال الدين سرور ص ٢٣٤ ان على الفرنجة ان لايجددوا في عكا وعثليت وصيدا حصناً او سوراً. وقد أعتمد د. سرور على مخطوط لتاريخ ابن الفرات. والصحيح ماورد اعلاه. لان النسخة المحققة لتاريخ ابن الفرات اوضحت انه يحق لكلا الطرفين التصرف بما يملكون بحرية. وان على الصليبيين ان لا يتجاوزوا حدودهم ويبنون أو يجددوا قلعة او حصنا فيما عدا عكا وعثليت وصيدا التي هي ممتلكاتهم الداخلة في الهدنة. انظر: تاريخ ابن الفرات: ٧/٢٦٥.

٥ ــ أذا وجد في صحبة أحد تجار المسلمين في عكا والبلاد العائدة للصليبيين والداخلة في الهدنة شيء من الممنوعات مثل السلاح ، تعاد الى صاحبها الذي اشتراه منه ويعاد اليه ثمنه ولا تصادر امواله ولا يؤذي بشيء . يعامل التجار الصليبيون بمثل ذلك في البلاد الاسلامية .

٦ ــ «متى اخذت اخيذه من الجانبين او قتل قتيل على اي وجه كان ، ردت الاخيذة بعينها ان كانت موجودة او قيمتها ان كانت مفقودة . والقتل يكون العوض عنه بنظيره من جنسه ... وان لم تظهر كانت اليمين على والي المكان المدعي عليه ، وثلث نفر يقع أختيار المدعي عليهم من تلك الولاية ». (٥٨)

٧ ــ ان على الصليبيين بعكا ان يحافظوا على اموال ومتاع المسلمين أذا حدث عطب في سفنهم او أذا انكسرت . وأذا لم يجدوا اصحاب تلك السفن فان عليهم ان يسلموا ما يعثرون عليه لنواب السلطان قلاوون في بلاد الشام . ويجري للصليبيين مثل ذلك في بلاد المسلمين .وكذلك الحال بالنسبة لتجار الطرفين أذا توفي احدهم في غير بلاده فان الطرف الثاني يحافظ على امواله ومتاعه وتسلم بامانة الى الجهة ذات العلاقة .

٨ ــ أذا حاول الصليبيون الموجودون في الغرب الهجوم على بلاد المسلمين من البحر فان على الصليبيين الموجودين بعكا والبلاد الواقعة في الهدنة ان لاينصروهم وان يخبروا السلطان قلاوون بخبرهم قبل وصولهم بمدة شهرين . أما أذا كان العدو من جهة البر كالمغول مثلاً ،فان على من يسبق اليه خبر تحركهم الى الشام ان يخبر الطرف الثاني .

٩ ــ على الصليبيين الذين توقع الهدنة معهم ان لايساعدوا لصوص البحر بشيء ، وان لا يسهلوا لهم مهمة بيع المواد المسروقة ،وان ظفروا باحد منهم فيجب القاء القبض عليه وكذلك الحال بالنسبة لامراء المسلمين .

(٥٨) تاريخ ابن الفرات : ٧/٢٦٦ .

١٠ –لايجوز وضع عراقيل امام حركة تجار الطرفين. ويجب ان يجروا على عوايدهم المستمرة وان لا يوضع عليهم رسوم جديدة، ويكونون آمنين مطمئنين في حالة سفرهم واقامتهم بما معهم من اموال ومتاع ما عدا المواد الممنوعة.

١١ – من كان من فلاحي البلاد العائدة للسلطان مسلماً كان ام نصرانياً العودة الى ارضه ومن كان من فلاحي الارض التابعة للصليبيين ان يعود الى أرضه مسلماً كان ام نصرانياً. ومن لم يرجع بعد هذا الاعلان يطرد من الجهتين بحيث لايبقى فلاحو بلاد المسلمين في البلاد الصليبية ولا فلاحو البلاد الصليبية في الاراضي الاسلامية. ويكون رجوع الفلاح من الجهة الى الجهة الاخرى بامان.

١٢ – يسمح السلطان قلاوون لكل الحجاج من النصارى بمختلف اجناسهم بزيارة كنيسة الناصرة ويحافظ عليهم وعلى اموالهم، كما يحافظ على بلادهم من كل اعتداء من جنوده او المفسدين كذلك يحافظ الطرف الثاني على ممتلكات المسلمين في بلادهم ويمنعون اي اعتداء يقع على اراضي المسلمين.

١٣ –كل طرف مسؤول عن الشروط السابقة بعينها شرطاً شرطاً وفصلا فصلا، وأذا اخل ببعضها، فقد نقض الهدنة وهو مسؤول عن نقضها ومهلته في ذلك اربعون يوماً من الجهتين وينادى برجوع كل جماعة الى وطنها مطمئنة.

وقد تعهد السلطان قلاوون بالحفاظ على المعاهدة السابقة وتنفيذ نصوصها واقسم على ذلك امام الشهود بقسم طويل جاء في بعضه مايلي: « والله... وبالله... وحق القرآن ومن انزله... انني افي بحفظ هذه الهدنة... من اولها إلى اخرها... ولا اتأول فيها ولا في شيء منها، ولا استفتي فيها طلباً لنقضها مادام الحاكمون بمدينة عكا وصيدا وعثليت... وافين باليمين... عاملين بشروطها... وان نكثت في هذه اليمين فيلزمني الحج إلى بيت الله الحرام... حاسراً ثلاثين حجة ويلزمني صوم الدهر كله...» (٥٩).

(٥٩) نفس المصدر السابق: ٧/٢٧٠–٢٧١.

كذلك تعهد الامير الصليبي اودوبولشيان - نائب الملك شارل بالبلاد الشامية- ان يحافظ على الهدنة وان لايخل بشروطها وقد جاء في بعض قسمه مايلي :-« والله... وبالله... وحق المسيح... وحق الصليب... وحق الاناجيل الاربعه ... وحق الست مارية ام النور ... وما تلقيته من الاباء والاقساء المعمودية ، انني قد اخلصت نيتي في الوفاء للسلطان المنصور... بجميع ماتضمنته هذه الهدنة ...(وان لااتعرض لكافة المسلمين ولبلادهم) باذية ولاضرر ... ماداً الملك المنصور وافياً باليمين.. ومتى خالفتها او نقضتها فاكون بريئاً من ديني... واكون مخالفاً للكنيسة ...» (٦٠).

ويتبين من دراسة نصوص المعاهدة السابقة والحلف عليها ان كلا الطرفين المتهادنين كانا صادقين في مسعاهما وانهما رغبا بكل جدية ان يحل في بلاد الشام فترة من السلام والاطمئنان لتنعم المنطقة برفاهيةاقتصادية وبتقدم مادي يكسب كلا الطرفين الوقت في اعداد العدة للنهوض بالواجب المحتم ، طالما لم يتمكنا من الاستمرار به في الفترة التي وقعت فيها الهدنة.

وقد دل التأكيد على التجار والفلاحين في المعاهدة السابقة وورود اكثر من نص بحق التجار مايدل على اهميتهم مادياً وعسكرياً وبالتالي على رغبة كلا الطرفين بتطوير العمليات التجارية والاستفادة منها في مجال كشف احوال الطرف الثاني ومعرفة امكانياته.

كما دل النص الخامس في الاتفاقية السابقة على انه كانت تقوم بين الطرفين- لاعلى المستوى الرسمي- عملية بيع الاسلحة. ومما يدل على ذلك انه في سنة ٦٨٧هـ ورد الخبر إلى السلطان قلاوون ان الامير علم الدين سنجر الشجاعي وزير الديار المصرية باع جملة من الرماح والسلاح للصليبيين .
فاعترف الامير الشجاعي بما فعل وقال : « انا بعته بالغبطة الوافرة والمصلحة الظاهرة فالغبطة انني بعتهم من الرماح والسلاح ماعتق وفسد وقل الانتفاع

(٦٠) نفس المصدر السابق: ٢٧٠/٧ - ٢٧١.

به وبعته بأضعاف قيمته والمصلحة ليعلم الفرنج انا نبيعهم السلاح هواناً بهم واستحقاراً لامرهم وعدم مبالاة بهم» (٦١).

غير ان دفاعه لم يؤخذ به واتهم بانه يحاول اساءة سمعة السلطان قلاوون وعسكره وقيل له « ان الاعداء لايحملون بيع السلاح لهم على ماظننت انت، وانما الذي يشيعونه بينهم وتنقله الاعداء إلى امثالهم ان يقولوا قد احتاج صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية حتى باع سلاحه لاعدائه»(٦٢) لذلك امر السلطان باحتجازه ومصادرة امواله.

وعملية بيع الاسلحة هذه تدل من وجه ثان إلى ان الصليبيين كانوا فعلا قد استغلوا فترة انعقاد الهدنة في عملية تجميع قواهم واعداد عدتهم، وانهم اضطروا إلى شراء الاسلحة المستعملة من المسلمين لان تموين الصليبيين الغربي انخفض بسبب المشاكل الدائرية في اوربا آنذاك(٦٣). او لانهم كانوا يخافون ان يفتضح امرهم اما السلطان قلاوون بان الغرب الصليبي يمدهم بالسلاح فتنتقض الهدنة لان قلاوون كان قد فصل بالمعاهدة السابقة بحكمته في الفقرة الثانية من المعاهدة السابقة بين الصليبيين المتواجدين في الشرق وبين الصليبيين الموجودين في اوربا.

على ايةحال فان الهدنة بين الصليبيين والسلطان قلاوون لم تستمر بسبب المشاكل التي آثارها الصليبيون وقبل التطرق اليها ارى من الضروري الكلام على بعض المؤرخين الذين أساؤا عن غير قصد، ان يظهروا السلطان قلاوون بمظهر الرجل الخداع الماكر الناقض للعهود والمواثيق من دون مبرر انتهازا للفرص من دون الاستناد في ذلك إلى ادلة تأريخية. علماً بان قلاوون كان قد حلف الايمان المغلظة في الحفاظ على المعاهدة السابقة ان حافظ الصليبيون عليها.

(٦١) تاريخ ابن الفرات: ٦٣/٨.

(٦٢) نفس المصدر والمكان السابق، السلوك، ق٣، ج١/٧٤٠.

(٦٣) للاطلاع على ماذكر من ظهور مشاكل في داخل بعض المدن الاوربية في هذه الفترة واثره على ضعف الصليبيين في منطقة الشام: انظر: عاشور، الحركة الصليبية: ١١٧٠/٢-١١٧١.

وقد جاء في بعض تلك المراجع ما يدل على ان قلاوون كان البادىء في نقض الهدنة مع الصليبيين بعد ان تحجج عليهم وعلم فيهم ضعفاً (٦٤).

وعلى الرغم من أن نكث العهود كان في تلك الفترة يعتبر جزء من الاعمال الدبلوماسية والسياسية التي يموه بها ضد الاعداء ، غير انه من دراسة بعض النصوص القديمة تبين ان قلاوون لم يكن هو البادىء في نقضها ، بل ان الذين نقضوا الهدنة هم الصليبيون بطرابلس فقد هاجموا قافلة تجارية وقطعوا طرق المواصلات واسروا التجار المسلمين ففي سنة ٦٨٧هـ/١٢٨٩م ورد الى السلطان قلاوون في مصر كتاب من نائبه في الشام يقول فيه «ان الفرنج بطرابلس نقضوا الهدنه واخذوا جماعة من التجار وغيرهم وصار بايديهم عدة اسرى وكانوا لما ملك السلطان قلعة المرقب قد بعثوا اليه هدية وصالحوه على الا يتركوا عندهم اسيراً ولا يتعرضوا لتاجر ولا يقطعوا الطريق على مسافر ... » (٦٥) . وهذا النص لايستنتج منه مطلقاً ما يدل على ان قلاوون تحجج على الصليبيين بل الذي يبدو منه ان الصليبيين هم الذين نقضوا العهد . فهل يفسر رد الاعتبار واخذ الثار بأنه تحجج ! ؟ .

وهكذا نقض الصليبيون في طرابلس العهد فتجهز قلاوون للحرب ولبس شعار السلطنة وسار بقواته من مصر متوجهاً الى بلاد الشام في عاشر محرم سنة ٦٨٨هـ/١٢٨٩م بعد ان كاتب الامراء في الشام بتجهيز العساكر لقتال طرابلس وفي ٢٠ من شهر صفر نزل على طرابلس وحاصرها حصاراً شديداً وامر بضربها بالمجانيق ثم توالى الزحف عليها حتى تمكن الحجازين من احداث عدة ثقوب في اسوارها حتى سقطت بايديهم ونكل بمن فيها من الصليبيين لان البلد فتح عنوة واسر عدد كبير منهم رغم ان متملك جزيرة قبرص الصليبي

---

(٦٤) جاء في كتاب الحركة الصليبية مانصه : « بعد ان اضطربت احوال طرابلس وانقسم اهلها شيماً ... تحجج قلاوون بان اهل طرابلس نقضوا الهدنة واعتدوا على التجار المسلمين ... » عاشور . ٢/١١٧٣ ، انظر كذلك : سرور ، دولة ابن قلاوون ٢٣٧ .

(٦٥) المقريزي ، السلوك : ق٣ج١ : ٧٤٦ ، وانظر : تاريخ ابن الفرات : ٨/٨٠ .

كان قد امدهم باربع سفن حربية محملة بالكثير من العدد والعدة . (٦٦)

وبعد دخول قلاوون لمدينة طرابلس منتصراً امر بهدمها لكي لاتكون ملجئاً للصليبيين في المستقبل يحاولون العودة اليها من جديد أذا ما سنحت لهم فرصة مواتية او اذا وصلهم امداد من الصليبيين في الغرب لانها قريبة من البحر ، ولذلك فان هدمها كان اولى بالنسبة لقلاوون فهدمها ، ثم عمر مدينة مجاورة لها في الداخل بني فيها العديد من الحمامات والمساجد والمدارس كما اجري المياه في دورها بقساطل واحتفل ببنائها (٦٧) .

اما الصليبيون فقد امر بأخراجهم من المدينة وتوزيع ما بقي منهم على القرى المجاورة التابعة لطرابلس والخالية من التحصينات العسكرية ليسلم من أذاهم بعد أن أبقى بيد الاميرة لوكانت اخت الامير بوهمند السابع — الاميرة الشرعية التي كانت سوف تحكم طرابلس — قريتين من قرى المدينة (٦٨) كذلك نصب اميرا صليبياً على منطقة جبيل اكراماً لابيه المقتول حاكم مدينة طرابلس والذي كان قد حضر الى السلطان قلاوون متشفعاً مستسلماً (٦٩) .

وعلى الرغم من ان التنازل للصليبيين ، بعد ذلك الانتصار ، لم يحدث له مثيل في الفترة التاريخية السابقة غير انه يبدو ان السلطان قلاوون قصد من وراءه ترضية خواطر الدول الاوربية المساندة للصليبيين . والحفاظ على مصالحه التجارية التي كانت مرتبطة مع بعض الدول الاوربية (٧٠) . وقد كان لهذه السياسة التي اتبعها قلاوون مع الصليبيين اثر فيما جرى من تطورات في عالم السياسة والدبلوماسية بينه وبين بعض الممالك النصرانية .

---

(٦٦) ابو المحاسن، النجوم الزاهرة: ٣٢١/٧، المقريزي، السلوك: ق٣ج١/٧٤٧.

King: OP. cit., P288

(٦٧) انظر: تاريخ ابن الفرات: ٨١/٨، السلوك لمعرفة دول الملوك: ق٣ج١/٧٤٧-٧٤٨.

(٦٨) Stevenson, The crusader in the East, P. 350.

(٦٩) تاريخ ابن الفرات: ٨١/٨، السلوك: ق٣ج١/٧٤٨.

(٧٠) انظر: توفيق اليوزبكي، تاريخ تجارة مصر البحرية: ص ٧٤.

فقد اتفق ملك ارغونة وصقلية على مهادنة قلاوون ومساعدته ضد الصليبيين بالشام اذا ماأخلوا بالهدنة الجديدة وحاولوا الاعتداء على المسلمين (٧١).

ولم يكد قلاوون ينتهي من تصفية حسابه مع الصليبيين في منطقة طرابلس ويعود مطمئناً إلى مصر حتى جاءته الاخبار من الشام في شعبان سنة ٦٨٩هـ ان الصليبيين بعكا نقضوا العهد وهجموا على التجار المسلمين وقتلوهم فغضب قلاوون غضباً شديداً وحلف ان ينتقم للتجار المسلمين. وقد حاول عبثاً الصليبيون تهدئة خواطره بأن إدعوا ان الذي قتل التجار المسلمين كانوا من« الفرنج الغرب وانه ليس برضاهم» (٧٢) غير ان السلطان لم يلتفت اليهم وامر بالتجهز للحرب وكتب إلى الامراء في الشام بعمل المجانيق وتجهيز العدد والعدة لحصار عكا. غير انه لم يكمل مهامه ويصل إلى الشام، لان المرض داهمه قبل مغادرته مدينة القاهرة فتوفي في ليلة ٦ ذي القعدة سنة ٦٨٩هـ نوفمبر سنة ١٢٩٠م فخلفه ابنه السلطان اشرف خليل الذي تمكن من اتمام مشروع ابيه في مقاتلة الصليبيين في الشام فتوجه إلى عكا وحاصرها حصاراً شديداً وتمكن من فتحها نظراً لكفاية جيشه ومعداته العسكرية وبخاصة المجانيق الضخمة التي اشتركت في القتال والتي دكت اسوار المدينة (٧٣).

---

(٧١) Stevenson, op. cit, p. 351,

(٧٢) تاريخ ابن الفرات: ٩٣/٨.

(٧٣) انظر: ابن الفرات: ٩٣/٨؛ السلوك: ق٣جـ١/٧٥٣-٧٥٥.
Stevenson, op. cit, p. 352,

قائمة المصادر والمراجع

آ ـ المصادر القديمة

١ ـ ابن اياس ، محمد بن احمد (ت : ٩٣ هـ) .
بدائع الزهور في وقائع الدهور (بولاق : ١٣١١هـ) .

٢ ـ ابن تغرى بردى، جمال الدين ابو المحاسن يوسف (ت : ٨٧٤هـ)
النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة (القاهرة: ١٩٢٩م و ١٩٣٥) .

٣ ـ ابن خلدون ، عبد الرحمن (ت : ٨٠٨هـ)
العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر المسمى تاريخ ابن خلدون (بولاق : ١٢٨٤هـ) .

٤ ـ ابو شامة ، شهاب الدين ابو محمد بن عبد الرحمن (ت : ٦٦٥هـ)
الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية (القاهرة : ١٢٨٧هـ) .

٥ ـ ابن شداد، بهاء الدين يوسف بن رافع (ت: ٦٣٢هـ)
النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية تحقيق جمال الدين الشيال (القاهرة : ١٩٦٤) .

٦ ـ ابن شداد ، عزالدين ابو عبد الله محمد بن علي (ت : ٦٨٤هـ)
الاعلاق الخطيرة بذكر امراء الشام والجزيرة تحقيق سامي الدهان (دمشق : ١٩٥٦) .

٧ ـ ابن كثير ، عماد الدين ابن ابي الفداء اسماعيل (ت : ٧٧٤هـ)
البداية والنهاية تحقيق د . قسطنطين زريق وزميله (بيروت : ١٩٣٩) .

٨ ـ ابن الفرات ، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت : ٨٠٧ هـ)
تاريخ ابن الفرات (ج٧ تحقيق د. قسطنطين زريق) بيروت: ١٩٤٢.
٩ ـ ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت : ٦٩٧ هـ)
مفرج الكروب في أخبار بني أيوب (القاهرة : ١٩٥٧)
١٠ ـ الحنبلي ، ابن العماد عبد الحي (ت: ١٠٨٩هـ)
شذرات الذهب في أخبار من اذهب.
١١ ـ الذهبي ، الحافظ ابو عبد الله محمد (ت : ٧٤٨)
تأريخ دول الاسلام (القاهرة : ١٩٤٩).
١٢ ـ الكتبي ، محمد بن شاكر
فوات الوفيات والذيل عليها عليها (بيروت : ت)
١٣ ـ المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (ت: ٨٤٥هـ)
أ ـ السلوك لمعرفة دول الملوك تحقيق محمد مصطفى زيادة (القاهرة: ١٩٣٩).
ب ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار (بولاق: ١٢٧٠هـ) .
١٤ ـ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت: ٩١١هـ).
تاريخ الخلفاء امراء المؤمنين (القاهرة: ١٣٥١هـ) .
١٥ ـ ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبدالله(ت: ٦٢٦هـ)
معجم البلدان (القاهرة: ١٣٢٣هـ). وطبعة(بيروت : ١٩٥٧)
١٦ ـ القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي (ت: ٨٢١هـ)
صبح الاعشى في صناعة الانشا(القاهرة: ١٩٦٣) .

ب – المراجع الحديثة

١٧ – امين السيد، حكيم
قيام دولة المماليك الثانية(القاهرة: ١٩٦٧).
١٨ – حسن ، علي ابراهيم
تاريخ المماليك البحرية(القاهرة: ١٩٦٧) .
١٩ – لامب، هارولد ،
شعلة الاسلام، ترجمة محمد عبدالله (بغداد: ١٩٦٧).
٢٠ – نوري، دريد عبد القادر،
سياسة صلاح الدين الايوبي في بلاد مصر والشام والجزيرة (بغداد: ١٩٧٦).
٢١ – سليم، محمد زرق.
عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والادبي(القاهرة: ١٩٦٢).
٢٢ – سرور، محمد جمال الدين،
دولة بني قلاوون (القاهرة: د ت)
٢٣ – عاشور، سعيد عبد الفتاح،
الحركة الصليبية(القاهرة : ١٩٧١) .
٢٤ – العريني، السيد الباز
المماليك(بيروت : ١٩٦٧).
٢٥ – رانسيمان ستيفن ،
المدينة البيزنطية، ترجمة د. صالح احمد العلي بغداد: ١٩٥٦).
٢٦ – حسن، ابراهيم حسن،
دراسات في تاريخ المماليك البحرية (القاهرة: ١٩٤٨).

٢٧ ـ فيشر، هربرت
تاريخ اوربا في العصور الوسطى(القاهرة: ١٩٦٩).
٢٨ ـ اليوزبكي، توفيق
تاريخ تجارة مصر البحرية في عهد المماليك(الموصل: ١٩٧٥).

29 – Encylopaedia of Islam ,Vol,1,2, (London. 1960) .
30– King (E.J.) :
The kinghts Hospitallers in the Holy Land ,London . 1931.
31 – Lane pool (S.) .
A–A History of of Egypt in the middle ages. London .1963.
B– Saladin and the fall of the kingdom of Jerusalem . London, 1898.
33– Stevenson (W.R.) :
The crusaders in the East , canbridge , 1907 .

حول الموقف العثماني من الأطماع الصهيونية الاستيطانية في فلسطين ١٨٧٦ ١٩٠٨

عماد احمد الجواهري

تطور المصالح الاستعمارية والاطماع الصهيونية في البلاد العثمانية :

شهدت البلاد العثمانية عموماً ومنها بلاد الشام تطورات مهمة خلال القرن التاسع عشر وذلك في اوضاعها الاقتصادية والاجتماعية ، وقد كان هذا التطور واضحا في اتساع حجم التجارة وتطور وسائل المواصلات(١) ونمو طبقة الملاكين في المدن وزيادة فعالياتما الاقتصادية والسياسية (٢) . وفي موجة المد الاستعماري الغربي الحديث للسيطرة على العالم اعتبرت الدولة العثمانية التي كانت تعاني من اضطراب عام في مؤسساتها كافة مجالا حيويا للنشاط الاستعماري. وهكذا يمكن تعقب الخطوات الاستعمارية خطوة خطوة وذلك من خلال ابراز اوجه التدخل المختلفة التي رسمتها القوى الاستعمارية والتي كانت في مجملها مشاريع استعمارية متعددة الاوجه واحدة الاهداف ولئن كان استغلال الدول الاستعمارية للاقليات والطوائف الدينية اسلوبا من اساليب نفوذ عجلة الاستعمار وسحقها للشعوب ، فلقد شهدت ولاية سورية العثمانية منذ فترة مبكرة من تاريخها الحديث محاولات القوى الاستعمارية لاستخدام الطائفة اليهودية (٣) ضمن خططها ومشاريعها الاستعمارية فقد

---

(١) ز.ي. هرشلاغ، مدخل إلى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الاوسط ، ترجمة مصطفى الحسيني ص٦٥–٧٠، عبد العزيز محمد عوض، الادارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤– ١٩١٤ ، (القاهرة ١٩٦٩) ص ٢٧٨–٢٨٦.

(٢) يقول جوستورك :«ان التطورات العامة في القرن التاسع عشر في البلاد العثمانية ادت إلى نشوء طبقة برجوازية مرصوصة البنيان «كذا» وكانت ثروتها تقوم في الغالب على تملك الاراضي ولدرجة اقل على التجارة الخارجية وقد اصبحت تمثل العمود الفقري للنظام السياسي كما قادت فيما بعد النضال السياسي ضد الصهيونية وانصارها ولكن مصلحتها الذاتية املت عليها التصرف بشكل لايمس امتيازاتها» الابعاد الاقتصادية للمقاومة العربية ضد الصهيونية» مجلة مركز الدراسات الفلسطينية عدد ايلول– تشرين اول ١٩٧٧، ص ٥–٣٢. ولغرض البحث انظر ص١١.

(٣) حول نفوس الطائفة اليهودية ينسب د. عبد الوهاب الكيالي ، الموجز في تاريخ فلسطين الحديث((بيروت ١٩٧٣) ص١٧ ، إلى نائب القنصل البريطاني في القدس ان عدد اليهود في فلسطين(حوالي منتصف القرن التاسع عشر) كان(٩٧٠٠) نسمة. ويذكر فلاديمير لوتسكي ، في ص ١٥٨ ، من كتابه، تاريخ الاقطار العربية الحديث ان عدد اليهود كان (١١) الف نسمة وذلك حوالي منتصف القرن التاسع عشر ايضاً وان الكثير منهم اقاموا لاغراض دينية. اما يوسف الحكيم نيقول في ص ١٩٩ من كتابه سورية في العهد العثماني بان عدد اليهود كان (٢٠) الف نسمة منهم خمسة او ستة الاف في مدينة القدس وذلك في حوالي الثلث الاخير من القرن التاسع عشر .

١/٥/٢

ارتبطت فكرة نابليون لانشاء دولة يهودية في فلسطين (١) بخططه لاقامة امبراطورية استعمارية فرنسية في الشرق اواخر القرن الثامن عشر.
كما ارتبطت فكرة انشاء ارسالية دينية في القدس عام ١٨٤٩ (٢) من لدن الروس بمحاولات روسيا الاستعمارية في البلقان على حين اتضحت الاطماع الاستعمارية البريطانية في المشرق العربي عن طريق تشجيعها لخطط الاستعمار اليهودي في فلسطين(٣)ويذكر ان عددا من رجالات الاستعمار البريطاني كانوا قد وضعوا عام ١٨٣٨ جملة مشاريع لاسكان اليهود في فلسطين وانشاء دوله يهودية تحت الحماية البريطانية فحظيت تلك الخطط بتأييد بالمرستون (٤) رئيس الحكومة البريطانية بعد ان راى فيها ضمانا لامن المواصلات الامبراطورية. (٥) ومن جهة اخرى فقد كتب بالمرستون الى قناصل بريطانية كافة في غرب آسيا طالبا منهم تأييد حماية اليهود (٦) الذين زعم ان انكلترا ستسعى من اجل تحقيق

(١) يروى بأن نابليون اصدر عام ١٧٩٩ بياناً رسمياً دعا فيه يهود وآسيا وافريقيا ان يهرعوا تحت رايته إلى دخول القدس واعادة بناء الهيكل: انظر عمر عبد العزيز عمر، بريطانيا وتصريح بلفور، دراسة في نشأة القضية الفلسطينية، بحوث المؤتمر الدولي للتاريخ ١٩٧٣ ص ٢٣٦ – ٢٨٨ ولغرض البحث انظر ص ٢٥٩، يوسف هيكل، فلسطين قبل وبعد، ص ٨٤–٨٥.

(٢) في عام ١٨٤٣ عينت روسيا بازيلي قنصلا عاما في سورية بما فيها فلسطين ومنح صلاحيات جميع الوكلاء القنصليين في البلاد وكانت التعليمات التي لديه تقضي بانشاء علاقات وطيدة مع السلطات الكنسية كافة في جميع انحاء سورية وفلسطين، كما زود بتعليمات من اجل خدمة الحجاج الروس. ويقول القنصل البريطاني في القدس ان هولاء الحجاج الذين معظمهم من المحاربين القدماء كانوا يتحدثون عن اليوم الذي ستصبح فيه فلسطين تحت السيطرة الروسية. انظر:
Derek Hopwood, the Rassian Presence In Syria and Palestine 1843—1914. Church and Politics In The Near East, Claredon press, Oxford 1969, pp. 15-16.

(٣) لوتسكي: المصدر السابق، ص ٤٤، ١٥٨.

(٤) Viscount palmerstone رأس الحكومة البريطانية عام ١٨٥٥ وكذلك عام ١٨٥٩. توفي في ١٨ اكتوبر عام ١٨٦٥.

(٥) لوتسكي، المصدر السابق، ص ١٥٨.

(٦) انظر المكاتبات بين السفارة البريطانية في الاستانة والباب العالي حول رعاية بريطانيا لليهود في فلسطين: د. خيرية قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ١٩٠٨–١٩١٨ (بيروت ١٩٧٣) ص٢٥.

عودتهم الى فلسطين ليكونوا عونا للانكليز على محمد علي باشا الذى بات خطره يهدد المصالح الامبراطورية. (١)

وبالرغم من استجابة بعض كبار المتمولين اليهود وتأيدهم لخطط بالمرستون الا ان انقسامات خطيرة نشبت من اليهود الغربيين والصهيونيين السياسيين وذلك حول الافاق والابعاد النهائية لعملية الاستيطان اليهودي في فلسطين .

ويفهم ان اولئك اليهود الغربيين من اللاصهيونيين او المعادين للصهيونية اعاقوا الى حدما تطور الفكر الصهيوني وذلك خلال القرن التاسع عشر ففي هذا المجال يقول بن هالبرن Ben Halpern

> ان تاثير اليهود اللاصهيونيين واليهود المعادين للصهيونية واتجاهاتهم يجب ان تكون مفهومة في التحليل التاريخي الاجتماعي للفكرة الصهيونية السياسية (٢) .

ويقال ان مونتفيورى(٣)وروتشيد(٤) كانا يحبذان الاستيطان اليهودى في فلسطين والبلاد الاخرى التي لاتوجد فيها روح معاداة السامية بينما كان الصهاينة

---

(١) د. عمر عبد العزيز عمر، المصدر السابق، ص ٢٦٢ ويقول ابراهيم ابو لغد، تهويد فلسطين ص٥٤ بأن بالمرستون تاثر بنفوذ شافتزبري Shaftesbury (١٨٠١–١٨٨٥) وهو رجل مال يهودي شغل منصب مندوب هيئة الرقابة ورئيس اللجنة الصحية في القرم. ساند الاصلاح الاجتماعي واسهم في النشاط الخيري والديني.

(٢) The Idea of the Jewish State , London , Oxord University Press , 1961 p . 55 ,

(٣) مونتفيوري، كلود جوزف جولد سمث(١٨٥٨–١٩٣٨) وهو زعيم طائفة من يهود بريطانيا« اليهود المتحررين» ومؤلف عدد من الكتب. اسس المجلة اليهودية عام ١٨٨٨ وترأس تحريرها ومولها حتى عام ١٩٠٨. رئيس الجمعية اليهودية الانكليزية ١٨٩٥–١٩٢٠ عارض الصهيونية وهاجم وعد بلفور. انظر الملحق بالاسماء والمؤسسات في يوميات هرتزل، ص٥٤٢.

(٤). البارون ادمون دي روتشيلد(١٨٤٥–١٩٣٤). رئيس القسم المصرفي الفرنسي في عائلة روتشيلد. تبنى اوائل المستعمرات اليهودية في فلسطين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تنازل عام ١٩٠٠ عن ادارة المستعمرات إلى جمعية الاستعمار اليهودي. وفي عام ١٩٢٥ اسس « جمعية الاستعمار الفلسطيني اليهودي» لتشرف على المستعمرات. انتخب عام ١٩٢٩ رئيساً فخرياً للوكالة اليهودية. انظر الملحق بالاسماء والمؤسسات في يوميات هرتزل، ص٥٥١

يعتبرون فلسفةالاستيطان التي لاتودى إلى قيام دولةصهيونية امرا غير مقبول(١) يمكن القول ان ذلك الخلاف يعود في الواقع إلى ان الصهاينة السياسيين من البرجوازية الصناعية التي ساهمت في تقديم الخطط الاستعمارية المذكورة آنفاً . لم تكن قد استطاعت بعد صياغة وبلورة الصهيونية لتكون ايديولوجية قادرة على استقطاب اليهود كافة باعتبارهم الوسيلة التي تكون الصهيونية بدونها مشروعاً لاقيمة له في الواقع (٢) . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان صيغة الترابط العضوى بين الايديولوجية الصهيونية والايديولوجية الاستعمارية الحديثة لم تتكامل حتى وقت مبكر من القرن العشرين (٣) بعد احتضان دعوة هرتزل من الصهيونيين العمليين (٤) وما اعقب ذلك من انحسار دور المدرسة الصهيونية الروحية التي كانت تطالب بمركز روحي لليهود في فلسطين (٥) ان النتيجة المنطقيةلهذا التطور تعني ان المدرسة الصهيونية العملية ستلتزم بدفع الهجرة اليهودية ذات الافق الايديولوجي المحدد باتجاه صهيوني يرتبط (٦) بمقاصد

(١) ابراهيم ابولغد ، المصدر السابق، ص ٤٥.

(٢) ويقال انه حتى عام ١٩١٤ كان من بين الثلاثة عشر مليون يهودي في العالم (١٣٠,٠٠٠) صهيوني فقط. انظر ألن تايلر، تاريخ الحركة الصهيونية، تحليل للدبلوماسية الصهيونية ١٨٩٧-١٩٤٧، ترجمة بسام ابو غزالة، ص٢٠.

(٣) انظر في هذا الموضوع شفيق الرشيدات، فلسطين تاريخاً وعبرة ومصيراً، ص٣٥-٤٤، ٤٥.

(٤) كانت وجهة نظر الصهيونيين العمليين تتلخص بضرورة المضي في المشاريع الاستعمارية الصهيونية اعتماداً على اساس سياسة الواقع« ان خلاص اسرائيل لن يتم عن طريق الدبلوماسية، وانما عن طريق الانجازات العملية. تاج السر احمد حران، فلسطين والتحديات الصهيونية، وسائل العمل الصهيوني ١٨٩٧- ١٩١٧، بحوث المؤتمر الدولي للتاريخ، المصدر السابق، ص ٤٥٣- ٤٨٤. ولغرض البحث انظر: ص ٤٧٢- ٤٧٤.

(٥) د. خيرية قاسمية، المصدر السابق، ص ٢٠.

(٦) على الرغم من الادلة القاطعة نفى وأيزمان، ان تكون هناك علاقة بين مقاصد دول اوربا الاستعمارية وبين مسألة انشاء الوطن القومي الصهيوني وقال في هذا المعنى: « كثيراً مانسمع القول يتردد بأن وعد بلفور انما تم... لاسباب استعمارية او لما يشبهها من اسباب مبتذلة وكل ذلك كذب محض... ويرى جورج انطونيوس بأن قول وايزمان لايتفق والحقائق بل ولاحتى مع الرواية الموجزة الوردة في التقرير الذي نشرته سنة١٩٢١ الهيئة التنفيذية للمنظمة الصهيونية، فقد جاء في ذلك التقرير ان تقدير القيمة الستراتيجية لفلسطين في نظر الامبراطورية البريطانية هو الذي كان له الوزن الراجح لدى من سعوا لاستصدار وعد بلفور. للمعلومات الاضافية انظر: كتابه الموسوم: يقظة العرب، ترجمة د. ناصر الدين اسد ود. احسان عباس، دار العلم للملايين، ط٤(بيروت ١٩٧٤)، ص ٣٧٠-٣٧٤

الاستعمار واهدافه التوسعية جاعلا من اسرائيل في النهاية ظاهرة استعمارية خطيرة (١) .

تعثر المساعي الصهيونية

كان المؤتمر الصهيوني الاول (١٨٩٧) قد تبنى دعوة هرتزل في برنامج محدد اطلق عليه برنامج بال وقد جاء في البرنامج بان هدف الصهيونيين هو انشاء وطن لليهود في فلسطين يضمنه القانون العام. ولتحقيق هذا الهدف يرى المؤتمر تطوير الاستيطان في فلسطين وتنظيم ودمج اليهودية على اسس مناسبة وتعزيز الشعور والوعي القوميين لدى اليهود واتخاذ خطوات تمهيدية من اجل الحصول على موافقة حكومية عند الضرورة لتحقيق اهداف الصهيونية (٢).

ورغم نجاح العناصر الصهيونية في تذليل العقبات الناجمة عن معارضة اليهود غير المؤيدين للصهيونية فقد واجهتهم جملة عقبات ومصاعب عاقت برامجهم بشأن الاستيطان والهجرة الصهيونية وتشكيل الدولة اليهودية .

١ — ان ظروف ونتائج التطور الرأسمالي في البلاد العثمانية ومنها بلاد الشام رغم بطئها النسبي ساهمت في خلق طبقة برجوازية ذات فكر واهداف قومية تقف على وجه التأكيد ضد الاطماع والمساعي الصهيونية في فلسطين (٣) .

٢ — لم يكن بوسع الصهاينة ضمان موافقة دولية جماعية لمشروع الدولة الصهيونية بسبب صعوبة التوفيق بين مصالح الدول الاستعمارية يومذاك (٤).

٣ — ان القوانين العثمانية مازالت تقف حجر عثرة بوجه العملتين الرئيسيتين اللازمتين لتنفيذ اي مخطط صهيوني وهما :

---

(١) انظر من اجل ذلك :—

The Palestine Question, Seminar of Arab Jurists on Palestine Algiens, 22 — 27 July, 1967 Translated from French by Edward Rizk, The Institute for Palestine Studies, Beirut 1968, PP . 35 — 36.

(٢) انظر حران، المصدر السابق، ص ٤٥٨

(٣) انظر الهامش رقم (٢) ص (٧٣).

(٤) انظر : يوميات هرتزل، اعداد انيس صايغ ترجمة هلدا شعبان صايغ، سلسلة كتب فلسطينية — ١٠ مركز الابحاث، منظمة التحرير الفلسطينية(بيروت ١٩٦٨)— الفصل الاول المرسوم هرتزل والاستعمار ص ١٧—٣٣٢.

آ ـ انتقال الاراضي إلى الاجانب في البلاد العثمانية .
ب ـ اقامة الاجانب في الدولة العثمانية .

والواقع ان الدولة العثمانية لم تقر اجراءات قانونية تخص قبول انتقال الاراضي إلى الاجانب حتى صدور نظام عام ١٨٦٧ الذي سمح لهم بتملك الاراضي في معظم أنحاء الدولة العثمانية (١) وفي الوقت نفسه حظرت القوانين العثمانية ١٨٥٦ و ١٨٨٢ و ١٨٩٣ و ١٨٩٩ انتقال الاراضي إلى اليهود بشكل خاص (٢) ، اما فيما يتعلق باقامه الاجانب في البلاد العثمانية فان السلطات العثمانية فرضت قيودا مهمة على دخول اليهود إلى فلسطين عام ١٨٨٨ كما انها قصرت دخولهم إلى فلسطين على اغراض الحج وحددت اقامتهم بثلاثة اشهر . وا صدرت الدولة العثمانية قانون الجواز الاحمر خاصاً باليهود الذين يدخلون فلسطين لغرض السياحة او الزيارة . (٣)

لقد وقفت الدولة العثمانية ضد المحاولات والجهود الصهيونية الرامية إلى استعمار فلسطين وان هذا الموقف يتجلى بشكل واضح في الجانب التشريعي الذي سبقت الاشارة اليه وفي الموقف الشخصي للسلطان عبد الحميد الذي انعكس بالضرورة على الموقف الرسمي للدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ايضا

نمط الحكم العثماني في فلسطين :ـ

كان السلطان والجهاز الادارى المؤلف من طبقة الموظفين الاداريين المدنيين والعسكريين يمثلون الطبقة المستغلة في المجتمع العثماني : وفي فلسطين كان كان الشعب العربي ينوء تحت وطأة الاستغلال الذي مارسته ضده تلك الطبقة ممثلة بملتزمي الضرائب والفرسان الاقطاعيين .

---

(١) عبد العزيز محمد عوض، المصدر السابق، ص ٢٣٤. وجدير بالذكر ان القانون منع الاجانب من تملك الاراضي في الحجاز فقط.

(٢) د. خيرية قلسمية، المصدر السابق، ص ٢٤-٢٥، ناجي علوش، الحركة الوطنية الفلسطينية امام اليهود والصهيونية ١٨٨٢-١٩٤٨، ص٧٧.

(٣) جاسم محمد حسن، العراق في العهد الحميدي، اطروحة ماجستير غير منشورة بغداد ١٩٧٥ ص٦٧.

ف « في ظل النظام العثماني ساد فلسطين النظام الاقطاعي فاحتكرت حفنه من عائلات فلسطين ملكية مساحات واسعة من الاراضي واستغلت طبقة الفلاحين المتخلفين . ومن الناحية السياسية كانت هذة العائلات متحالفة مع الطبقة العثمانية الحاكمة عبر علاقة المنافع المتبادلة والمصالح المشتركة وبالتالي فقد سيطرت تلك العائلات — طبقة الوجهاء — على المناصب الحكومية والدينية الهامة » (١) .

واذا كان لهذه الظروف الاجتماعية والاقتصادية مظاهرها السياسية حينما ضعف النظام الاقطاعي العثماني — فقد تجلت في ضعف سلطة الدولة على الولايات وانتشار الامارات الاقطاعية على امتداد الرقعة الجغرافية للدولة العثمانية، على ان النصف الثاني من القرن التاسع عشر شهد محاولات الدولة العثمانية لاستعادة هيمنتها وتعزيز سلطتها على الولايات التابعة لها وتصفية الامارات الاقطاعية كما عمدت إلى الغاء اساليب الجباية القديمة (٢) وهي الاساليب التي تمكن الاشخاص القائمين بعملية الجباية من تكريس وضع يتيح لهم السيطرة على الارض والانسان على حساب ايرادات الدولة. (٣) وعلى الرغم من ان الفضل في ذلك يرجع إلى تشريع الدولة لقوانين الاراضي والطابو ١٨٥٨، ١٨٥٩ ونظام الولايات ١٨٦٤ فان الابعاد الاجتماعية للقوانين الاخيرة بشكل خاص ارادت من ناحية اخرى اقرار صيغة التصرف بالارض على اساس الواقع القائم فعلا مما يجعلها ذات اثار اجتماعية بعيدة المدى، غير ان اخفاق الدولة العثمانية الذريع في تطبيق قوانين الاراضي لمصلحة المتصرفين الفعليين بالاراضي

(١) د. عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ط١، (بيروت ١٩٧٠) ص ٤٤–٤٥.

(٢) وهي الاساليب القائمة على طريقة الالتزام.

(٣) هرشلاغ، المصدر السابق، ص ٥٤.

ادى إلى تكريس ظاهرة الاستغلال والسيطرة على الارض والانسان من جديد ، مما كان له اسوأ الاثر على قدرات وامكانات الشعب العربي بعد ما زادت اهمية القوى الاجتماعية المستغلة وتعززت بدخول السلطان وكبار رجال الدولة في صفوف تلك الطبقة. وهكذا مثلما كانت اراضي الملاكين الاقطاعيين تشمل مساحات واسعة جداً من الاراضي في البلاد العثمانية فان مساحات واسعة من الاراضي واعدادا من القرى وهي الاملاك المعروفة في العراق وسورية وفلسطين بالاراضي السنية سجلت باسم السلطان عبد الحميد واستغلت لمصلحته الخاصة (١). هذا من ناحيةومن ناحية اخرى يمكن القول ان ذلك الاستغلال الذي كانت تمارسه تلك الطبقة كان في اطاره العام يدخل ضمن ما سمي بعملية اعتصار موارد وخيرات البلاد التابعة للدولة العثمانية لتصب في «المتروبول التركي» (٢)

يمكن للباحث ان ينظر إلى مسألة وراثة السلطان عبد الحميد للاراضي السلطانية وتسجيل مساحات كبيرة منها باسمه بالطابو من زاويتين مختلفتين الاولى ان سيطرته على الارض تعبر عن ظروف سيطرة القوى الاجتماعية المستغلة التي كانت الشعوب العثمانية تنوء تحتها . والثانية انها تعبر عن ادراك السلطان للاهمية الاستثنائية التي يمكن اعتبارها في حالة وجود املاك سنية في البلاد العثمانية بحيث يبرز دور اكبر للوجود العثماني . على انه قد يبدو امرا غريباً في بابه ان يحمل وجود السلطان ممثلا باملاكه السنية في فلسطين دورا يفوق الدور الطبيعي الذي يقتضيه المنطق والواقع على السواء.

والحقيقة انه مادامت السنية تمثل املاك الطابو المسجلة باسم السلطان عبد الحميد فان الدور الاقتصادى والاجتماعي لهذه الاملاك — ممثلا بطبيعة العلاقات الانتاجية الاقطاعية التي عملت على تعميقها نتائج تطبيق قوانين الاراضي والطابو في سورية وفلسطين — ينبغي ان يشابه بالضرورة الدور الاقتصادى والاجتماعي للاملاك المسجلة باسماء ملاكي المدن الذين

---

(١) عن الاملاك الهمايونية او السنية في سورية وفلسطين انظر:
عبد العزيز محمد عوض، المصدر السابق، ص ٢٣٨-٢٣٩.

(٢) د. جمال حمدان، ستراتيجية الاستعمار والتحرير، دار الهلال (القاهرة ١٩٦٨) ص٥٣.

استحوذوا على الأراضي وسيطروا على الفلاحين خاصة ان اراضي السنية استخدمت الاساليب عينها التي اتبعت في اراضي املاك الطابو .

ان الحالات غير المرضية والمؤثرات المتعددة التي عملتها الحكومة والتي حملت كثيرا من اصحاب الاملاك على تسليم اراضيهم بسهولة إلى السلطان عبد الحميد لقاء ماكانوا يؤدونه اليه من خمس المحصول هي نفسها التي دفعت اصحاب هذه القرى لتسجيل اراضيهم على بعض ال سرسق راجين انها ستبقى في تصرفهم مقابل مايسلمون لهم من خمس المحصول» (١)

وهكذا يجد الباحث ان السلطان عبد الحميد الذي وجد في السلطة اداة مكنته من انتزاع حقوق الفلاحين (٢) اضطر إلى التخلي عنها بعدما افلت زمام الامور من يده وهو موقف كان يتكرر باستمرار في تلك الحقبة من الزمن بسبب اضطرار – ملاكي الطابو إلى بيع حقوق الاراضي بأي ثمن حين وجدوا انفسهم عاجزين عن حماية الارض التي لم يعودوا ضامنين لمصلحتهم فيها في ظل موقف السلطة العاجزة عن عمل شي ما وهذه النتيجة قد تكون امرا مستحيلا عندما تجد تلك الحقوق من يريق الدماء من اجل الحفاظ عليها .(٣)

---

(١) انظر احتجاج اللجنة التنفيذية العربية على بيوع اراضي قضاء الناصرة (من قبل آل سرسق)، للصهيونيين وموقف الحكومة من حقوق المزارعين العرب فيها(١٩٢٤/٨/٢٥) يافا١٩٢٤/٩/٩ وثائق المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية ١٩١٨–١٩٣٩، (بيروت ١٩٦٨)ص٨٥ .

(٢) يقول عبد العزيز عوض، المصدر السابق ص ٢٣٨ : « انه كان للسلطان(عبد الحميد) مزارع خاصه به في بيسان بفلسطين يشرف على ادارتها ضباط عسكريون، وكان السلطان يوجه اليهم الرتب والاوسمة بين الحين والاخر» وقد قال الكاتب عن هذه الظاهرة بأنها « تبدو غريبة ومتناقضة مع تسجيل الاراضي» وذلك لانها تقوم على اساس انتزاع حقوق الفلاحين ومع ذلك يرى البعض ان السلطان العثماني عبد الحميد كان ارحم ملاك في فلسطين، انظر عن ذلك شهادة عوني عبد الهادي امام اللجنة الملكية البريطانية(لجنة بيل) وثائق المقاومة الفلسطينية، المصدر السابق، ص٥٢١ .

(٣) وفي ذلك يقول جمال الحسيني في شهادته امام اللجنة الملكية البريطانية « يجوز (يمكن) تقسيم اراضي فلسطين إلى قسمين الاراضي التي يفلحها اصحابها والاراضي التي يفلحها مستأجرون ويملكها ملاكون اكثرهم من خارج البلاد، اما فيما يتعلق بالقسم الاول.فان الفلاح المالك في فلسطين شديد المحافظة على ارضه والتعلق بها ولهذا نرى ان الخوف من تسرب تلك الارض قليل جداً وعند العرب مثل يقول: الفلاح يموت بين اتلام ارضه». وثائق المقاومة المصدر السابق، ص٤٨٥ .

موقف السلطان عبد الحميد الثاني من النشاط الصهيوني في فلسطين

كان السلطان عبد الحميد الثاني رجل الساعة الذي انجبته مؤسسة السلطنة العثمانية فقد تمكن ان ينزل ضربة عنيفة بدعاة الدستور وعلى راسهم مدحت باشا واعوانه كما انه نجح في تعميق الصراع بين القوى الاستعمارية الاوربية خاصة بعد توطيد عرى الصداقة مع المانيا .

ومع كل تلك الجهود فان السلطان عبد الحميد لم يكن قادرا على ايقاف الزحف الاستعماري الذي كانت الدولة العثمانية تتعرض له .

واذا كان في ذلك ميزة ايجابية فان ذلك يبدو إلى حد ما في ان الدولة العثمانية اصبحت اكثر قدرة على فرض سلطتها المركزية على الولايات العثمانية ناهيك عن وعي السلطان العثماني للاطماع الاستعمارية وادراكه لبعض المشاريع والخطط الموضوعة في هذا المجال . ومن جهة اخرى فقد كانت للسلطان عبد الحميد مطامحه حول بناء الدولة العثمانية والايفاء بتعهداتها. غير ان المخاطر الناجمة عن زيادة الديون الاجنبية (١) على الدولة العثمانية كانت تعرقل امال السلطان وتطلعاته. وفي هذه الاثناء بالذات كانت مظاهر النشاط الصهيوني في فلسطين ملحوظة كما حمل هرتزل إلى السلطان عبد الحميد استعداد الراسمال الصهيوني للمساهمة في حل المصاعب التي تعاني منها الدولة العثمانية .

ويعتبر موقف السلطان عبد الحميد من النشاط الصهيوني في فلسطين القضية الاكثر اهمية في هذه الدراسة لقد تعددت الاشارة إلى موقف السلطان عبد الحميد من الاطماع الصهيونية في فلسطين وتناقلت المصادر المختلفة(٢) رفض(٣) السلطان

---

(١) حول الديون الاجنبية على الدولة العثمانية انظر : هرشلاغ ، المصدر السابق ص٧٢–١٠٤.

(٢) انظر على سبيل المثال جاسم محمد حسن، المصدر السابق، ص ٦٧، الرشيدات، المصدر السابق ص٣٥، يوسف هيكل، المصدر السابق، ص٩٧، اكرم زعيتر، القضية الفلسطينية، ص ٤٣ .

(٣) يقدم د. تاج السر احمد حران حول هذه المسألة التحفظات الاتية :–

أ – ان السلطان عبد الحميد كان يخشى ان يؤدي انشاء كيان يهودي في فلسطين إلى تشجيع العناصر الاخرى في الدولة العثمانية على الانفصال في وقت كانت الدولة مهددة بانتشار المبادئ القومية بين مختلف عناصرها .

لعروض مالية كبيرة مقابل موافقته على مشروع يهدف إلى تمكين الحركة الصيونية الفتية من استعمار — فلسطين . لقد اعتمدت اغلب (٣) تلك المصادر على ماروراه هرتزل حول نتائج اتصالاته الاولى بالسلطان «١٩حزيران ١٨٩٦».

(... لاأقدر ان ابيع ولو قدما واحدا من البلاد لانها ليست لي بل لشعبي . لقد حصل شعبي على هذه الامبراطورية باراقة دمائهم وقد غذوها فيما بعد بدمائهم وسوف نغطيها بدمائنا قبل ان نسمح لاحد باغتصابها منا . لقد حاربت كتيبتان من جيشنا في سورية وفلسطين وقتل رجالنا الواحد تلو الاخر في بلفنة لان احدا منهم لم يرض بالتسليم ، وفضلوا ان يموتوا في ساحة القتال .

ب — ان هرتزل كان يعتمد في عروضه المالية التي وعد السلطان بها على المموِلين اليهوديين هيرش وروتشيلد وان الاخرين لم يوافقا الاهداف السياسية لدعوة هرتزل وهكذا تكون عروض وانجازات هرتزل المالية وعوداً مهزوزة .

ج — على الرغم من محاولات هرتزل ابداء فروض الاحترام المقرونة بتأييد اليهود كرعايا «مخلصين» للدولة العلية الا انه كان واضحاً ان هرتزل كان ينظر الى السلطان نظرة احتقار ولنظامه الازدراء ولم يكن خافياً عن السلطان مثلما لم تكن محاولات هرتزل لانشاء دولة يهودية تحت حماية احدى دول اوربا الطامعة بالدولة العثمانية خافية ايضاً، المصدر السابق ص ٤٦٤—٤٦٥.

(٣) نقلت د. خيرية قاسمية، المصدر السابق ص٤٠١—٤٠٣ صورة رسالة قالت عنها انها: « رسالة يقال ان السلطان عبد الحميد قد بعثها بعد خلعه من منفاه في سالونيك إلى الشيخ محمود ابو الشامات في دمشق(وهو استاذ السلطان عبد الحميد في الطريقة الشاذلية) ويذكر فيها عبد الحميد انه لم يتخل عن الخلافة الا لان الاتحاديين قد الحوا عليه بأن يصادق على تاسيس وطن قومي لليهود في الاراضي المقدسة(فلسطين) مع انهم وعدوه بتقديم (١٥٠) مليون ليرة انكليزية ذهباً». ومن المرجح ان تكون الوثائق العثمانية حول هذا الموضوع مصدراً مهماً في تقويم الموقف العثماني. ويحدد الدكتور عبد الكريم غرايبة الوثائق العثمانية (وثائق يلدز) حول هذا الموضوع بالملفات ١٢٧، ١٧٧، ٢٦٩، ٣٣٤، ٧٧٠(من القسم الاداري) والملفات ٩٣، ٣٢٢، ٣٣٣(من القسم السياسي) وتحتوي هذه الملفات على معلومات مهمة حول المستعمرات في البلاد العربية وهجرة اليهود من روسيا عام ١٨٨٩ وهجرة عام ١٨٩١ وهجرة اليهود والمسلمين من بولونيا وتضم الاضبارة ٣٢٢ وثائق تتحدث عن(مشروع اقامة مستعمرة يهودية والمؤتمر الصهيوني عام ١٨٩٨» «كذا» ويقول غرايبة بأن السلطات المسؤولة عن دار الوثائق لاتسمح بالاطلاع عليها. انظر وثائق يلدز كمصدر لتاريخ البصرة وخليجها والنشاط الاوربي في تلك المناطق، بحوث المؤتمر الدولي للتاريخ ، ص ٦٩٢— ٦٩٣

الامبرطوارية التركية ليست لي وانما للشعب التركي (١) لاستطيع ابدا ان اعطي احداً اي جزء منها . ليحتفظ اليهود بلايينهم فاذا قسمت الامبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين بدون مقابل. »

على انه مهما كانت حقيقة هذا الموقف اوتحفظات السلطان عبد الحميد في هذه المسألة فان من الصعب الجزم بان السلطان العثماني وقف ضد هجرة يهودية محددة في البلاد العثمانية (٢) كما انه لم يقف من مشاريع الاستيطان اليهودي في فلسطين موقفا حاسما وفي ذلك يقول بن هالبرن «لقد كان السلطان متحفظا في مساومة هرتزل لقد قرر انه عندما يجهز الصهاينة القرض اولا فانه سينظر بروح ودية الى مشروع الامتيازات الصهونية Jewesh Octoman Land Company المقترحة»(٣) عليه يمكن ان يرجح في هذه المسألة ان السلطان العثماني الذي استطاع ان يكتشف الافق الايديولوجي الصهيوني المرتبط بحركة الاستعمار الحديث(٤)، قد اخفق في ادراك ابعاد العلاقة بين الحركة الصهيونية والهجرة اليهودية (٥) وهما حركتان سارتا في بداية الامر في خطين متوازيين غير ان الدلائل اثبتت فيما بعد بان الايديولوجية الصهيونية المرتبطة بالاستعمار قد تمكنت من استثمار الهجرات اليهودية لمصلحتها مستغلة ظروف اليهود السيئة ونفسية المهاجرين المتعبة .

(١) انظر، يوميات هرتزل، المصدر السابق، ص ٣٥.

(٢) نسب إلى هرتزل قوله بان السلطان وعده بالسماح باقامة مستعمرات يهودية في العراق وفي سنجق عكا عن طريق فتح باب الهجرة اليهودية إلى تلك الاقاليم . انظر :
د. تاج السر احمد حران المصدر السابق، ص٤٦٦ — ٤٦٧.

(٣) وجدير بالذكر ان الحدود العليا لقيمة القرض الذي زعمت الدوائر الصهيونية انها ستقدمه للسلطان العثماني بلغت (٢٦) مليون ليرة عثمانية .

(٤) د. عمر عبد العزيز عمر ، المصدر السابق، ص ٢٦٩، فقرتج هامش رقم (٣)ص٨٢ (تحفظات د. تاج السر احمد حران) المصدر السابق، ص ٤٦٤ — ٤٦٥.

(٥) انظر الهامش رقم ٢ ص٨٧ . ويذكر ان السبب الرئيس لخروج تلك الهجرات اليهودية يعود إلى اضطهاد اليهود في روسيا ونزعة المعادات للسامية في عموم اوربا تقريباً .

وفي مقابل ذلك ادى اعتماد الباحثين لموقف السلطان عبد الحميد الثاني المشار اليه سابقاً والموقف الرسمي المتمثل بالقوانين العثمانية التي قيدت دخول اليهود إلى فلسطين إلى :

١ ــ ان السلطان عبد الحميد الثاني اعتبر مناهضاً للصهيونية رغم وجود ملاحظات صهيونية تشير إلى تعاطفه .

٢ ــ تزكية الدولة العثمانية من المسؤولية التي تتحمل ادارتها في فلسطين جانباً منها في قضية الاستيطان اليهودي ــ والصهيوني في فلسطين .

ففي المسألة الاولى ادانت ملاحظات صهيونية ــ توازى في اهميتها الملاحظات التي نسبت إلى السلطان العثماني حول موقفه من الاستيطان الصهيوني في فلسطين ــ السلطان العثماني عبد الحميد الثاني والدولة العثمانية لتعاطفها مع الصهيونية فقد اشار « ٢٥ ، ٢٧ حزيران ١٨٩٦ » هرتزل إلى ان عزت(١) او السلطان مستعد أن يسمح بفلسطين شرط ان توجد الصيغة المناسبة (٢) ونقل ايضا « وذلك بواسطة» نيولنسكي (٣) قولا مبتذلا جاء فيه :

«ان الاتراك (كذا) راغبون في اعطائنا فلسطين ... وان وضع الاتراك في هذه المسألة هو عين مايحصل للرجل عندما يحس ان المرأة مستعدة ان تستسلم له »(٤) .

---

(١) عزت باشا العابد، سياسي عربي من دمشق لمع نجمة ايام السلطان عبد الحميد. كان(عزت بك) سكرتيراً للسلطان إلى ان نال الباشوية عام ١٩٠٢ واصبح وزيراً. كان قوى النفوذ وصاحب سطوة على السلطان، عرف بالفساد والرشوة هرب من تركية عام ١٩٠٨. انظر: الملحق بالاشخاص والمؤسسات في: يوميات هرتزل، ص ٥٢٩.

(٢) يوميات هرتزل المصدر السابق، ص ٣٦.

(٣) فيليب مايكل دي نيولنسكي (١٨٤١-١٨٤٦). صحافي وعميل سياسي نمساوي من اصل بولوني عمل مسؤولا عن الادارة السياسية في السفارة النمساوية في الاستانة واصبح صديقاً للسلطان عبد الحميد ترك العمل الديبلوماسي عام ١٨٧٩ واقام في باريس كصحافي في ١٨٨٧. اسس وكالة انباء في فينا واصدر نشرة(بريد الشرق) اليومية. الملحق بالاشخاص ، يوميات هرتزل ص ٥٤٥.

(٤) يوميات هرتزل، المصدر السابق، ص ٣٦.

ويقول هرتزل ايضا «٢٦تموز ١٨٩٦» «كنت في القسطنطينية حيث حصلت على نتائج اذهلتني انا ايضا . اخذ السلطان علما بمشروعي « فلسطين لليهود» ومع انه يعارض فكرة البيع عاملني بامتياز من عدة نواح وجعلتني افهم انه ، يمكن عقد الصفقة اذا وجدنا الصيغة المناسبة ... وقد قدم العرض التالي من حاشية السلطان : يدعو السلطان اليهود بحفاوة للعودة إلى وطنهم التاريخي . وليستقروا هناك بحكم ذاتي مستقلين اداريا وتابعين للامبراطورية التركية ، ومقابل ذلك يدفعون ضريبة »(١) ويذكر ايضا ان هرتزل كتب إلى السلطان عبد الحميد «٢٢ تشرين الاول ١٨٩٦» بمناسبة تسلمه براءة الوسام الذي منحه السلطان اليه فقال :ـ

« حينما يسر جلالتكم ان تقبلوا خدمات اليهود
سيسعدهم ان يضعوا قواهم تحت تصرف
ملك عظيم مثلكم . »(٢) .

ومن ناحية اخرى ثبت بالدليل التاريخي ان القوانين والتشريعات الخاصة بمنع انتقال الاراضي إلى الاجانب (اليهود) او اقامتهم في فلسطين والتي سبقت الاشارة اليها لم تؤد مفعولها بشكل دقيق فقد سارت عملية بناء المستعمرات في فلسطين على قدم وساق ونجحت الجماعات اليهودية اولا ثم الحركة الصهيونية بعدها في تشييد عدد ليس بالقليل من المستعمرات خلال عهد السلطان عبد الحميد وبضع سنوات تلت خلعه (٣) وقد بلغ مجموع تلك المستعمرات (٤٧) مستعمرة كما بلغت مجموع مساحة الاراضي التي تملكها اليهود منظمات وافراد

(١) المصدر السابق، ص ٤٣-٤٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٦.

(٣) اظهرت الدوائر الصهيونية ابتهاجها لعملية اقصاء السلطان عبد الحميد التي جرت في العام التالي للانقلاب العثماني ١٩٠٨. واذا كان من الثابت تاريخياً نفوذ اليهود وبعض المتعاطفين مع الحركة الصهيونية على اعضاء جماعة الاتحاد والترقي يمكن القول او حتى التسليم بان قضية الوطن الصهيوني ستجد اذنا اكثر اصغاء مادام الامر اصبح لايتعلق بعاتق شخص واحد كما كان في السابق. انظر حول ابتهاج الدولة الصهيونية وتغلغل اليهود والصهاينة في جماعة الاتحاد والترقي: د. خيرية قاسمية، المصدر السابق، ص ٣١ وما بعدها.

حوالي (٦٥٠) الف دونم من اجود الاراضي اما عدد المهاجرين فقد زاد على (٦٠) الف مهاجر (١) ويشير إلى ظاهرة تفاقم الهجرة اليهودية إلى فلسطين في عهد السلطان عبد الحميد احد المعنيين فيقول :

« ورغم تنبه عبد الحميد ووعيه لاخطار الصهيونية شهد عهده تتابع موجتين من موجات التهجير اليهودى إلى فلسطين . بدأت اولاهما عام ١٨٨٢ واستمرت حتى عام ١٩٠٤ ، وحملت معها مابين . عشرين وخمسةوعشرين الف مهاجر ، غالبيتهم . من اليهود الروس ، سكنوا القدس والخليل وصفد وطبرية وبدأت الثانية عام ١٩٠٤ (٢) واستمرت حتى عام ١٩١٣ اي بعد نهاية حكم عبد الحميد باربع سنوات وحملت من يهود روسيا مابين ثلاثين واربعين الفاً (٣) »

وهكذا لم ينقطع التسلل الصهيوني الى فلسطين طوال عهد السلطان عبد الحميد الذي انتهى برصيد صهيوني جيد على صعيد بناء الوطن القومي الصهيوني، وبانية اساساً يمكن ان يعتمد عليه حين صدور وعد بلفور المشؤوم «١٩١٧/١١/٢» من الجدير بالذكر ان يشار هنا الى الخطأ الذي يقع فيه بعض المؤرخين

---

(١) انظر د . يوسف عبد الله صايغ، الاقتصاد الاسرائيلي ، ط٢ (القاهرة ١٩٦٦) الاحصائية رقم (١) ص ٤٤ ، عادل احمد الجادر ، اثر قوانين الانتداب البريطاني في اقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين، (بغداد ١٩٧٦) ص ١٨٥.

(٢) يذكر Nadav safran ان معظم المهاجرين اليهود في الموجتين الاولى والثانية البالغ عددهم (٢,٥) مليون مهاجر غادروا من روسيا خلال الفترة ١٨٨٢-١٩١٤ وقد هاجر معظمهم إلى الولايات المتحدة الامريكية أما الباقون فقد توزعوا على الاقطار الاخرى غير الاوربية ويؤلف الذين استوطنوا منهم في فلسطين نسبة قدرها ٣٪من مجموع المهاجرين وان نصف هؤلاء وصلوا بعد عام ١٩٠٤.

The United States and Israel, Harvard University press Cambridge Massachusetts, 1963 ‘ P. 67.

(٣) د. عمر عبد العزيز عمر، المصدر السابق، ص ٢٦٩-٢٧٠.

وهو خطأ يقوم على التقليل من اهمية ماتم من عمل صهيوني خلال العهد العثماني (١) . ومما يقال في هذا الصدد ايضاً ان (٦٥٠) الف دونم التي حازها اليهود لاتشكل غير ٢ ٪ من مجموع مساحة فلسطين كما ان (٦٠) الف مهاجر لايمثلون غير ٧٪ من مجموع سكان فلسطين (٢) . اما الـ (٤٧) مستعمرة صهيونية فلا قيمة لها امام العمران العربي في فلسطين .

في اعتقادي ان هذه القضية محتاجة الى اعادة نظر وذلك بناء على الاسس الآتية

١ — ان مجموع مساحة الاراضي التي استولى عليها المهاجرون حتى قيام الحرب العالمية الاولى لاتقاس نسبتها الى مجموع مساحة فلسطين وانما مجموع مساحة الاراضي المعمورة فيها وقيمتها قياساً على قيمة الاراضي المعمورة عموماً (٣) .

٢ — ان مجموع اعداد المهاجرين اليهود والصهاينة الى فلسطين لاتقاس نسبتهم الى مجموع السكان العرب الفلسطينيين وانما على اساس نسبة المستوطنين اليهود كأشخاص اجانب الى المجموع الكلي للمقيمين من غير الفلسطينيين الذين دخلوا فلسطين في الفترة نفسها والذين يدينون بديانات اخرى غير اليهودية .

٣ — ان تقويم العمران الصهيوني لايقاس الى العمران العربي الذي يمتد عمره

---

(١) انظر على سبيل المثال: لوتسكي ، المصدر السابق ص ٤٦٧ ، الرشيدات المصدر السابق ص ٥٤ .

(٢) يخطىء شفيق الرشيدات ، المصدر السابق ص ٥٤ في قوله « ولم يكن فيها انذاك اكثر من (٥٠) الف مواطن يدينون بالديانة اليهودية.. » لقد كان معظم هؤلاء اليهود. اجانب ولايمتلكون صفة المواطنة ابداً ، ويؤيد هذه الحقيقة مادلى به طلعت باشا عام ١٩١٨ تعقيباً على وعد بلفور اذ قال : « ان اية قيود ادارية فرضتها الحكومة العثمانية على الاستيطان اليهودي يعود إلى سياسة روسية القيصرية التي أجبرت اليهود المهاجرين من روسية على الاحتفاظ بجنسيتهم الروسية مما أدى بموجب نظام الامتيازات إلى بقائهم تحت السلطة القضائية للسلطات القنصلية الروسية. للتوسع في ذلك انظر :

د. خيرية قاسمية ، المصدر السابق ، ص ٢٨٥ .

(٣) يشير يوسف صايغ بوضوح إلى ارتفاع قيمة الاملاك الاقتصادية لليهود والصهاينة في فلسطين انظر : كتابه السابق الذكر ص ٧٥–٧٦ .

آلاف السنين وانما بالظروف المادية المكانية والزمانية المتيسرة امام هؤلاء المهاجرين المستوطنين للحصول على العمران المذكور.

ان تصور هذه الافتراضات يمكن ان يعطي صورة اكثر دقة للموقف العثماني ــ ممثلا بالسلطان عبدالحميد او السلطات العثمانية ــ من الاستعمار الصهيوني والهجرة الصهيونية الى فلسطين . اذن ان نسبة الاراضي التي استولى عليها اليهود والصهاينة خلال الفترة المشار اليها سابقاً ستزداد أذا ما قورنت بمساحة الاراضي المعمورة.

ان الاراضي الصالحة للزراعة في فلسطين تقل عن (٣٠٪) من جملة مساحة فلسطين ، او بحدود ستة ملايين ونصف المليون دونم (١) وان معظم ــ حوالي ٨٧٪ من الاراضي التي يملكها اليهود والصهاينة يقع في البقاع الصالحة جداً للزراعة(٢)وهكذا يمكن تقدير نسبة ما حصل عليه اليهود والصهاينة الى مجموع الاراضي الصالحة للزراعة حتى الحرب العالمية الاولى بـ ١ : ١٠ مع الملاحظة بان اولئك المتملكين لتلك الاراضي اجانب .

وتتضح خطورة ما انجز من عمل يهودي وصهيوني للاستحواذ على الاراضي خلال الفترة المشار اليها ايضاً عند مقارنة مجموع مساحة ما استحوذ عليه اليهود والصهاينة بمجموع مساحة الاراضي التي استحوذوا عليها حتى عام ١٨٨٢ والبالغة (٢٥) الف دونم فقط (٣) حيث تقفز هذا الرقم خلال حكم السلطان عبد الحميد والسنوات التي اعقبت خلعه وفقاً للصورة التالية : (٤)

---

(١) جاء ذلك في تقرير الخبير البريطاني في شؤون الاراضي السرجون هوب سمبسون الذي نشر عام ١٩٣٠ واكد بأن الاراضي القابلة للزراعة في فلسطين لم تكن تزيد على (٦,٥) مليون وليس (١٦) مليون دونم لما يشيع الصهاينة وهذا يعني عدم كفاية الارض للعرب.
كما انه ليس هناك متسع من الاراضي للمهاجرين الصهاينة. انظر:
الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص ٢٥٨، ٢٥٩.

(٢) صايغ، المصدر السابق، ٣٩.

(٣) A Handbook To The Palestine Question, Questions And Answers By Ibrahim Al Abid, Books – No.17, Palestine Liberatine Organization Research center, Beirut, 1969. P 25.

(٤) Ibid. P. 25.

السنة	مساحة الاراضي المستولى عليها
حتى عام ١٨٨٢	(٢٥) الف دونم
١٨٩٠	(١٠٧) الف دونم
١٩٠٠	(٢٢٠) الف دونم
١٩١٤	(٤٢٠) الف دونم

وهذا يعني ان مساحة الاراضي التي تملكها اليهود والصهاينة قد تضاعفت بنسبة مئوية قدرها ٤٢٨٪ و٢٠٥٪ و١٩٠٪ على التوالي ، وذلك خلال الفترة المعنية وتبرز خطورة تلك الزيادات عندما تقارن مع مجموع مساحة الاراضي المعمورة والصالحة للزراعة البالغة (٦,٥) مليون دونم أذا أنها ستكون ٠,٣٨٪، ١,٦٤٦٪ ، ٣,٥٣٨٪ ، ٦,٤٦١٪ وأخيراً ١٠٪ عند الحرب العالمية الاولى كما سبقت الاشارة .

ومن ناحية أخرى فان تدفق المهاجرين اليهود والصهاينة الى فلسطين في عهد السلطان عبد الحميد وست سنوات من حكم الاتحاديين قد أدى الى مضاعفة عدد اليهود الى حوالي عشرة امثال ما كانوا عليه قبل عام ١٨٨٢ اي بنسبة قدرها ١٠٠٠٪ خلال (٤٢) عاماً . ففي الوقت الذي قدر فيه القنصل البريطاني في القدس عدد افراد الجالية اليهودية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بـ(٩٧٠٠) نسمة (١) ، اشارات احصائيات اخرى الى تقديرات مرتفعة نسبياً لعدد اليهود عشية الحرب العالمية الاولى فقد قدر لوتسكي عددهم بـ(٩٠) الف نسمة (٢) . ونسب ابراهيم العابد الى تقرير رسمي صادر عن حكومة فلسطين « Asurvey of Palestine 1945 - 1946 » بان عدد اليهود في فلسطين انخفض في زمن الحرب (عام ١٩١٨)الى(٥٦) الف بعد أن كان (٨٥) الف

(١) الكيالي، الموجز في تاريخ فلسطين، ص ١٧.
(٢) لوتسكي، المصدر السابق، ص ٤٦٧.

نسمة قبل بدء الحرب(١). اما عبد الرؤوف سليم فينسب الى William Polk قوله بان عدد اليهود كان يتراوح بين (٩٠) الف الى (١٠٠) الف نسمة (٢).

ولتقويم العمران الصهيوني في فلسطين في اواخر العهد العثماني يمكن القول ان ذلك العمران يمثل دون شك اقصى مايمكن ان تقدمه الجهود الصهيونية لاولئك المستوطنين قياسا الى الطاقات والامكانات البشرية المتوفرة لليهود والصهاينة في فلسطين . فقد نقل عن بعض المراجع ان مجموع الاموال التي انفقها البارون روتشيلد وحده في اعمال بناء فلسطين كانت تقدر بـ(١٥) مليون جنية فلسطيني وفي مرجع آخر (٢٠) مليون دولار وفي مرجع ثالث انها تتراوح بين (٦٠) مليون فرنك فرنسي (٣) .

وقد انعكس هذا الاتفاق السخي على اعمال بناء المستعمرات بطبيعة الحال، وتقدم العمران الصهيوني في فلسطين بشكل لافت للنظر، لقد ارتفع عدد المستعمرات خلال السنوات ١٨٨٢ ، ١٨٩٠ ، ١٩٠٠ ، ١٩١٤ من [٥] مستعمرات فقط الى ١٤، ٢٢، ٤٧، على التوالى (٤) اي بنسبة مئوية قدرها ٢٨٠٪ و ١٦٠٪ و ٢٢٠٪ وعلى التوالى ايضا .

لقد استفادت الصهيونية من الانحلال العام الذي كانت تعاني منه الدولة العثمانية وذلك في ممارسة شتى الضغوط على السلطان والحكومة العثمانية كما كان الجهاز الاداري العثماني في احايين عديدة اداة طيعة بيد الصهاينة . فقد كثرت الاشارة إلى النشاط الصهيوني ايام ولاية متصرف القدس أحمد رشيد بك ١٩٠٤–١٩٠٦ الذي يقال عنه بأنه« ايد الهجرة اليهودية » علانية كما انه ضرب القوانين التي اصدرتها الدولة العثمانية بشأن منع الهجرة

(١) Ibrahim Al -- Abid. op. Cit. pp. 48,53

(٢) محمد عبد الرؤوف سليم، المصدر السابق، ج١، ص ١٧٠.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٣، انظر ايضاً يوميات هرتزل، الملحق بالاشخاص، ص ٥٢١.

(٤) د. يوسف صايغ، المصدر السابق، الاحصائية المشار اليها سابقاً، ص ٤٤.

اليهودية والاستيطان الصهيوني في فلسطين عرض الحائط (٥) فكان لتلك الظروف نتائجها الخطيرة على مستقبل فلسطين وعروبتها .

---

(٥) الياس سعد، الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة، ص ١٧–١٨؛ عمر عبد العزيز عمر، المصدر السابق، ص ٢٧٠.

الخاتمة :

في ضوء النتائج التي امكن الوصول اليها يمكن القول ان عهد السلطان، عبدالحميد ١٨٧٦ — ١٩٠٨ شهد تطوراً ملحوظاً للاستعمار الاستيطاني الصهيوني حيث يمكن تصوره كما يأتي :

١ — زيادة مساحة الاراضي التي استحوذ عليها اليهود والصهاينة .

٢ — سجلت احصائيات الهجرة ونمو العمران المادي زيادة ملحوظة .

وقد حاول الباحث تقويم تلك الزيادات في ضوء معايير جديدة وذلك من اجل الوصول الى نتائج جديدة . ومن ناحية اخرى فقد اشار البحث الى تأثر عدد من رجال حكومة السلطان وحاشيته بالضغوط الصهيونية (١) كما اوضحت بعض المصادر مدى ماكانت تعانيه الادارة العثمانية في فلسطين من فساد مما كان لذلك تأثيره الخاص على شل القوانين العثمانية اذ اصبحت حبراً على ورق .

ان الباحث وهو ينظر باعجاب الى صمود شعبنا العربي في فلسطين منذ بدء المؤامراة (٢) . بامكاناته المحدودة التي اضعفتها ظروف الاستغلال والقهر يرى : ان للاراء والوقائع التاريخية المذكورة اهمية ملحوظة في تقويم الموقف العثماني من الاطماع الصهيونية الاستيطانية في فلسطين .

(١) انظر على سبيل المثال مانقله هرتزل حول هذا الموضوع ص ٣٥-٣٦، ٤٣-٤٤.

(٢) انظر من اجل ذلك ناجي علوش، المصدر السابق، الفصل الاول الموسوم « خلفية الصراع العربي الصهيوني ١٨٨٢-١٩٤٨ ص ١١-٧٢، الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ص‌ص٤٨-٤٩، ٥٠ خيرية قاسمية، المصدر السابق ص ٣١ وما يلي ذلك في مواضع متعددة من كتابها سابق الذكر، يوسف الحكيم المصدر السابق، ص ٢٤٩- ٢٥٠.

ABSTRACT

The relation between Imperialism and Zionism has been the object of research and study by scholers and authors. The present study treat of that relation, for it is the important basis for the understanding of the political stand point of the ottoman Empire (as respresented in the person of the Sultan and in the Government) towards the attempts to colonized Palestine and to establish a ((Jewish homeland)) therin.

As for the s ate of affairs in the Arab Palestine community, which gravely declined and betrayed its inability to confront effectively the nasoent Zionist activety, the reader is able to conclude the responsibility of the Ottomans for the consolidation of Zionism in Palestine on to score of their policy of oppression and the deliberate impoverishment of the Arab people.

المصادر

١ ــ ابو الغد ابراهيم (اعداد)، تهويد فلسطين، ترجمة د. اسعد زوق (بيروت ١٩٦١) .

٢ ــ انطونيوس ، جورج يقظة العرب ترجمة د. ناصر الدين اسدد . احسان عباس (بيروت ١٩٧٤) .

٣ ــ تايلر ، الن ، تاريخ الحركة الصهيونية ، تحليل للدبلوماسية الصهيونية ١٨٩٧ ــ ١٩٤٧ ترجمة بسام او غزالة (بيروت ١٩٦٦) .

٤ ــ الجادر ، عادل احمد اثر قوانين الانتداب البريطاني في اقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين (بغداد ١٩٧٦) .

٥ ــ جوستورك الأبعاد الاقتصادية للمقاومة العربية ضد الصهيونية، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية ، العدد (٢٤) ايلول = تشرين الاول ١٩٧٧ .

٦ ــ حران ، تاج السر احمد د. فلسطين والتحديات الصهيونية وسائل العمل الصهيوني ١٨٩٧ ــ ١٩١٧ من بحوث المؤتمر الدولي للتا يخ ــ بغداد ١٩٧٣ ، وطبعت وزارة الاعلام العراقية بحوث المؤتمر في كتاب واحد (بغداد ١٩٧٤) لاغراض البحث انظر ص ٤٥٣ ــ ٤٨٤.

٧ ــ حسن ، جاسم محمد ، العراق في العصر الحميدي ، اطروحة ماجستير غير منشورة ، (بغداد ١٩٧٥) .

٨ ــ الحكيم ، يوسف ، سورية في العهد العثماني، (بيروت ١٩٦٦).

٩ ــ حمدان ، جمال د.، ستراتيجية الاستعمار والتحرير ، دار الهلال (القاهره ١٩٦٨) .

١٠ ــ الرشيدات ، شفيق ، فلسطين ، تاريخاً وعبرة ومصيراً ، (بيروت ١٩٦١).

١١ ــ سعد، الياس، الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة (بيروت ١٩٦٩)

١٢ ـ سليم ، محمد عبدالرؤوف ، تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ١٨٩٧ ـ ١٩١٨ معهد البحوث والدراسات العربية (القاهرة ١٩٧٤) جزءان.

١٣ ـ صايغ ، انيس ، (اعداد) ، وهلدا شعبان . ،(المترجمة) يوميات هرتزل ، سلسلة كتب فلسطينية ـ ١٠. مركز الابحاث منظمة التحرير الفلسطينية (بيروت ١٩٦٨) .

١٤ ـ صايغ ، د. يوسف عبدالله ، الاقتصاد الاسرائيلي ، ط٢. (القاهرة ١٩٦٦) .

١٥ ـ علوش ، ناجي ، الحركة الوطنية الفلسطينية امام اليهود ١٨٨٢ ـ ١٩٤٨ (بيروت ١٩٧٤)

١٦ ـ عمر، د.عمر عبدالعزيز ، بريطانيا وتصريح بلفور ، دراسة في نشأة القضية الفلسطينية من بحوث المؤتمر الدولي للتاريخ ١٩٧٣ طبع وزارة الاعلام ١٩٧٤ ص ٢٣٦ ـ ٢٨٨ .

١٧ ـ عوض عبدالعزيز محمد ، الادارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤ ـ ١٩١٤ .
(القاهرة ١٩٦٩) .

١٨ـ غرابية ، عبدالكريم،وثائق يلدز كمصدر لتأريخ البصرة وخليجها والنشاط الاوربي في تلك المناطق بحوث المؤتمر الدولي للتاريخ بغداد ١٩٧٣ وزارة الاعلام ١٩٧٤ ص ٦٨٨ ـ ٧٠٥ .

١٩ ـ قاسمية ، د. خيرية ، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ١٩٠٨ ـ ١٩١٨ (بيروت ١٩٧٣) .

٢٠ ـ الكيالي د. عبدالوهاب ، تاريخ فلسطين الحديث ، ط١ ، (بيروت ١٩٧٠) .

٢١ ـ الكيالي ، د. عبدالوهاب ، الموجز في تاريخ فلسطين الحديث (بيروت ١٩٧٣) .

٢٢ ـ الكيالي د. عبدالوهاب ، (جمع وتصنيف) ، وثائق المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية ١٩١٨ ـ ١٩٣٩ ، (بيروت ١٩٦٨) .

٢٣ ـ لوتسكي ، فلادمير، تاريخ الاقطار العربية الحديث ، موسكو ،

٢٤ ـ هرشلاغ ، ز.ي. مدخل الى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الاوسط ، ترجمة مصطفى الحسيني (بيروت ١٩٧٣) .

٢٥ ـ هيكل يوسف، فلسطين قبل وبعد ، (بيروت ١٩٧١)

26- Al Abid , Ibrahim , A Handbook to the Palestine Question , Questions and Answers, Palestine Books No ' 17 Palestine Liberation Organization Research Center, (Beirut, 1969).

27--Pen Halbpern, The Idea of the Jewish state (London , Oxford University press 1961).

28- Hopwood , Derek , The Russian Presence In Syria and Palestine 1843-1914 , Church and politics in the Near East ,Claredon press (Oxford ,1969).

29- Rizk , Edward , (Tran . from French) , The Palestine Question , Seminar of Arab Jurists an Palestine Algiers, 22-27 July ,1967 . The Institute for Palestine Stydies , (Beirut ,1968).

30- Safran , Nadav , The United States and Israel , Harvard University press Cambrigdge (Massachusetts , 1963).

ملامح في الفكر العراقي القديم

كيورك مرزينا كرومي
مدرس مساعد / قسم التاريخ
كلية الاداب / جامعة الموصل

مقدمة :

١ — يدور هذا البحث حول الاجابة عن السؤال الآتي: ماذا نعني بالفكر» العراقي القديم ؟ وأرى الاجابة عن هذا التساؤل تتحدد في الكشف عن النقاط الاساسية في الفكر العراقي القديم ، واسميه الفكر لانه لايخلو من نفحات عقليه ، على الرغم من كونه فكراً اسطورياً (١) أذ أن الاساطير قد دخلت في تقييم بعض الحقائق وأبداء الآراء ، من حيث ان الفكر العراقي الممترج بالاسطورة ، لايعني بكونه فكر خيالي لاعلاقه له بالواقع ، بل على العكس من هذا نجده خلاقاً ، وفيه اصالة لانه عبر عن الواقع الانساني والطبيعي في تلك الحقبة التاريخية ، واستعمل المنطق — اي المنطق الاسطوري (٢) — الذي ليس باقل منزلة من المنطق الذي استعمله فلاسفة اليونان — وخاصة المعلم الاول «ارسطو » — في تفسيره للظواهر الكونية وتنسيقها .

المقصود بالفكر العراقي القديم :

٢ — نعني بالفكر العراقي القديم ، جملة الاسئلة التي حددها المفكر العراقي والاجابات التي طرحها امام الاسئلة التي واجهته ومن هذه الاسئلة : ما أصل

---

١ — الاسطورة ضرب من الشعور يسمو الشعر، باعلانه عن حقيقة ما، ضرب من التعليل، يسمو على التعليل بانه يبغي احداث الحقيقة التي يعلن عنها : أنها ضرب من الفعل، انظر فراتكفورت: ماقبل الفلسفة ص١٩

٢ — هو المنطق الذي ينظر إلى الكون نظرة شاملة لايميز بين الطبيعة والانسان والمجتمع والالهة ويعتمد على العاطفة، ولايرتفع إلى تحكيم العقل في التميز بين الصادق والكاذب بين الحقيالي والزائف، اما المنطق الفلسفي هو المنطق القائم على التحكيم والحجة البينة الواضحة على العقل في التميز بين الصائب والخاطيء بين الحقيقة والمظهر، بين الحق والباطل.
ياسين خليل: نظرة الانسان الشاملة إلى الكون آفاق عربية ٥/٤٦-٤٧

العالم ؟ وما الانسان ؟ لماذا وجد هذا العالم ؟ من اوجده ؟ أنهاية هذا الانسان تنتهي بمجرد خروج النفس منه ؟ وما هي النفس ؟ وهل هناك خلود ؟ (١) وقادته مثل هذه الاسئلة الى ان يجد حلولا شافية ومقنعة .. وعالج المفكر العراقي بالاضافة الى ذلك مشاكل عديدة كالجمالية والاخلاقية والفيزيقية — الطبيعة — والميثافيزيقية — ما وراء الطبيعة — والميثولوجية والسياسية ، والقانونية ، والعلمية الرياضية والفلكية ، ولا يمكن اعتبار هذه الفترة فترة مظلمة مرت بها البشرية ، بل كانت فترة ازدهار حضاري ، وسوف نبين مقدرة الانسان ودوره الفكري في الحضارة الانسانية ، كي نوضح للقارىء بان الفكر في معظم مراحله مدين بالشيء الكثير لفكر ما بين النهرين .

وعلى هذا الاساس سيكون موضوعنا مركزاً على ابراز البذور الفلسفية في الفكر العراقي القديم مع الاخذ بنظر الاعتبار الفارق الزمني . واذا كان الفكر في الفترة اليونانية قد عنى بدراسة هذا الكون والانسان وعلوم ما بعد الطبيعة ، فهل من الصعب ان نصف آراء المفكر العراقي الذي بحث في المشاكل ذاتها ، التي بحث بها اليونان فكر ؟ تتحدد الاجابة على هذا التساؤل ، في رأي احد المفكرين المعاصرين ، نعم لانهم أدركوا بعض المشاكل الذهنية وتساؤوا لماذا حدثت الظاهرة الفلانية ، وكيف نشأ الشيء الفلاني ومن اين جاءت النتائج الفلانية :... اضافة الى ذلك نجدهم قد استعملوا اسلوب التجريد (٢) ولسنا مغالين لو قلنا بان معظم جذور النظريات التي عالجها المفكر اليوناني ، والتي اعتبرها الباحثون آية من آيات الابداع والاصالة تعود الى نظريات شرقية (٣) . التي سبقتها نظريات شرقية مشابهة لها .. وخاصة في الفكر الطبيعي ،

---

١ — للمزيد من هذا المجال انظر رسالتنا الموسومة « النفس عند ابن العبري» ص٢

٢ — انظر فراتكفورت : ماقبل الفلسفة ، ص ١٧

٣ — المصدر السابق ، ص ٢٧٥ ، وانظر كذلك طه باقر ، بابل وبورسبا ص ١١ ، وتوفيق الطويل ، الفلسفة الخلقية ص ٦٩

ذلك الفكر الذي رد كل ما هو متغير ومتبدل من ظواهر واشياء العالم ، أما الى مبدأ اول ــ الماء ، الهواء اللامحدود ، النار والى عدة مبادىء ، اعتبارها أساسية واولية وهي (النار ، الهواء ، الماء ، التراب (١) ولا بد من كلمة تقال بان المفكر العراقي لم يقف عند هذا الحد ، بل استطاع ان يتسامى من المحسوس الى المعقول ، لذا نجده وقد ابتكر فكراً أدبياً عريقاً عالج فيه المشاكل الانسانية حيث خصص وقتاً كبيراً لدراسة عالم الواقع وعالم ما بعد الموت ، وكان هدفه من هذه الدراسة ايجاد الأسباب والمسببات للحوادث الطبيعية البشرية .

٣ ــ لقد بدأ الانسان منذ ظهوره على الطبيعة ، يسأل نفسه عن بعض غوامض الكون ، والبحث عن حلول لعدة مشاكل واجهته في حياته (٢) ، وكانت

(١) ــبرز في الفلسفة اليونانية اتجاهان طبيعيان :
الاتجاه الطبيعي الأول : الذي أكد على موقف احادي التفسير ، وادأ كل الأشياء والظواهر إلى مبدأ أول ، فهو «الماء» عند " طاليس " ام الهواء عند " انكسيمانس " ام "النار" عند "قليطس " ام اللا محدود" عند " انكسيمندر "الاتجاه الطبيعي الثاني : وهو اتجاه فكري أكد على موقف تعددي في التفسير ، وهو موقف كل من " الباذوقليس " " وانكساغوراس " و " ديمقريطس " وهذا الموقف يؤكد على : ان ليس هناك مبدأ اول واحد للعالم . بل هناك مبادىء اولى واساسية اكثر من مبدأ واحد ، هي " النار ، والهواء ، الماء ، التراب "
See:
Barnet . J. Early Greek Philosophy, PP. 25 — 39

(٢) ــ ومن الجدير بالذكر ان هناك محاولة بدأت في القرن العشرين ، من قبل عدد من المفكرين لارجاع الفكر اليوناني ، او لايجاد البذور الفكرية له في الفكر الشرقي اي المصري والعراقي القديم والهندي. واعتمد انصار هذا المذهب على الاكتشافات الاثارية في الحضارات الشرقية وخاصة في الامور المتعلقة بالخلق والمبدأ الأول الذي وجدت منه العناصر ، وكذلك الاكتشافات على اوراق البردي حيث حدوث معالم الفكر المصري فيها ، واكتشاف الرقم الفخارية في الامور المتعلقة بالفلك والهندسة عند البابليين ، وكذلك وجدوا من خلال الاتصال الذي قام به بعض فلاسفة اليونان للمدارس الشرقية. كطاليس ، وفيثاغورس وافلاطون ، دفع بعض المفكرين في هذا القرن .

اجاباته مقنعة ، وبعملة هذا استطاع ان يتسامى على المادة الجامدة ونسب اليها صفات حياتية (١) تشابه صفات الكائن الحي من حس وأدراك وتفكير حتى اصبح الانسان جزءاً من الطبيعة (٢) يخضع لقوانينها ، يشاركها وتشاركه في السراء والضراء لذا نجده وقد نظر الى الكون نظرة شمولية . وان هذه النظرة هي من المشاكل الفلسفية الكبرى في الفكر اليوناني (٣) .

وجسد المفكر العراقي الظواهر الطبيعية التي فاق أدراكه تفسيرها ، حيث اعطاها صفات الهية ، وذهب الى القول بان هناك قوى عديدة فوق العالم المحسوس لها صفات تفوق صفات العالم المحسوس، وتلك القوى هي : قوى عناصر الطبيعة كقوة الماء ، وقوة الهواء والشمس (النار) والتراب .. ثم استمر في حواره النفسي ، فحدد الاجابة عن السؤال الذي طرحه ، الا وهو : ما اصل هذا العالم ؟ وقد انحصرت اجابته بان « ايا » قام بخلق جزء مهم من الكون وهو مياه العمق من جسد (آبسو) ، وان «مردوخ» قام ايضاً بخلق جزء آخر من الكون من جسد (تيامه) أذ انه شطر جسدها الى شطرين

تابع هامش (٢) =

" كبرنيت" إلى التأكيد على أن الفكر الشرقي كان سباقاً للفكر اليوناني .. واستنتج هؤلاء بان الفكر الذي قيل في الفترة اليونانية الاولى اي عصر ماقبل سقراط ، كلام تكتنفه الأساطير الشرقية هنا وهناك ، كالافكار المتعلقة بالقضاء والقدر ، والعدالة ، وذهب هذا الفريق إلى القول بان الافكار هذه لعبت دوراً كبيراً في الكفكر الفلسفي والاسطوري في آن واحد.

See

A. James, B, Ancient near eastern text, PP--3--4

ب — بدوي ،عبد الرحمن : ربيع الفكر اليوناني ص ٨ — ٩.

١ — انظر فرانكفورت : ماقبل الفلسفة ، ص ١٦٢

٢ — انظر فرانكفورت ماقبل الفلسفة ص ١٤— ١٥ وكذلك ملحمة كلكامش تأليف : أ.م. ديكيانوف وب . س . ترافيوس ترجمة عزيز حداد ص ١٦٦ — ١٦٧

٣ — انظر اولف جيمين : المشكلات الكبرى في الفلسفة اليونانية ص ٢٧٩

جعل من اعلاه السماء .. (١) ويمكننا الافتراض بناء على ذلك بان المغزى الرئيسي لذكر مقتل (آبسو) و(تياسة) لم يكن مجرد اظهار حدة الصراع بين الالهة الجديدة والآلهة العتيقة وانما كان القصد منه التوضيح بان الكون اي السماء والارض (AN — KI) ومعهما حياة العمق «(APSU) قد تم خلقهما من مياه الهية (٢)

وعلى هذا الاساس نجد المفكر العراقي القديم لأول مرة في تاريخ الفكر الانساني قد بحث عن المبدأ الاول الذي نشأت، منه المادة المحسوسة ، فكانت اجابته تقترب لما توصل اليه مفكري اليونان الطبيعيين بقرون عديدة .. اذ بات من البديهي في الفكر الفلسفي اليوناني بان عظمة طاليس تعود الى انه قال بان العنصر او المبدأ الاول للموجودات هو الماء ، لانه يغذي الموجودات، وتخرج جميع الاشياء منه وتعود اليه ، ولهذا السبب سمي طاليس اباً للفلسفة اليونانية (٣) . في حين يرى بعض المفكرين ؛بان عظمة طاليس التي انحصرت في « حيوية » المادة ، هي فكرة شرقية ، وان طاليس الذي ارجع صدور الحياة الى الماء (البحر) ، ربما اخذها من الشرقيين (٤) . ويؤيد ماذهب اليه، الرأي القائل ؛ « من الخطأ الاعتقاد بأن الفكر الفلسفي والعلمي في البحث عن العلاقات الثابتة قد بدأ باليونان ، لان مثل هذا الاعتقاد ينطوي على تحيز من جهة ، وعلى تعمد غايته الغاء ماتقدمت به الشعوب — شعوب الشرق الادنى من انجازات علمية من جهة أخرى . ففي مجال التفسير الطبيعي للكون نجد ان الحضارة البابلية قد ساهمت مساهمة فعالة في تقدم علمي الفلك والطبيعة، اذ لم تكن ملاحظات البابلي للطبيعة مجرد اشارات عابرة .. » (٥) .

---

١ — نائل حنون، عقائد مابعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة (رسالة ماجستير غير منشورة) ص ٢٩ — ٣٠

٢ — مجلة سومر ح ٣ — م ٣١ سنة ١٩٧٥ ؛ مفهوم الزمان والمكان في وادي الرافدين القديم بقلم د. وليد الجادر . ص ٣٣٣ .

3 — Taylor. M· E Greeky Philosophy., p12

٤ — فرانكفورت : ماقبل الفلسفة ص ٢٨٠

٥ — ياسين خليل : منطق البحث العلمي ، ص ٣٣ .

وثمة نقطة اخرى منحت طاليس قيمة في الفكر ، قوله بان المادة حية ، وان حركة المادة ديناميكية اي ان المادة تتحرك في الداخل — وفي هذه الحركة ابطل طاليس المحرك الخارجي واعتقد بان العالم كله حي وتابعه في هذا الصدد فلاسفة آخرون .. وسمي هؤلاء باصحاب المادة الحية « الهيلوزويرت »

وان حياتية الكون كانت من المشاكل الفلسفية الكبرى في الفكر اليوناني (١) . ونجد مايقابل هذه الفكرة اليونانية فكرة شرقية عراقية بحتة قديمة تذهب الى القول بان الكون بمادته عضو هرمي حي (٢) .

ورب سائل يتساءل : من اين جاءت فكرة حياتية العالم في الفكر العراقي القديم ؟ ان الجواب على هذا التساؤل يمكن ان نتلمسه في اسطورة الخليقة ، تلك الاسطورة التي حددت الموقف بالصورة الآتية : ان العالم قد خلق من جسم تيامت ، وتيامت الهة الحياة المالحة . وبما ان الاله حي بجسمه وروحه فيكون العالم المتأتي من جسم حي كذلك ، وان فكرة خلود الالهة في الفكر العراقي القديم جازمة . لذا فالحركة الموجودة في العناصر تكون ازلية ابدية كذلك لانها من جسم الالهة (٣) . ومن الضروري ان نشير الى ان هذه الفكرة التي جاء بها المفكر العراقي ؛ اي خاق العالم من جسم الاله كانت لها صدى في الفكر الفلسفي اليوناني عن طريق النحلة الاورفية (٤) .

٤ — ومن الافكار الاخرى التي تلفت الانتباه والدراسة ، تلك الفكرة التي حددت الاجابة عن التساؤل القائم : من اين جاءت فكرة الماء في الفكر العراقي القديم بأنه اصل الموجودات او العنصر الاول الذي يمكن ان يكون اساساً للعناصر الاخرى ثم الموجودات ؟ نقول ان التأملات والظنون التي تلقاها هنا ؛ هي التي هيأت للعراقيين القدامى ان يخترقوا بها الغموض الذي

---

١ — انظر اولف جيجين : المشكلات الكبرى في الفلسفة اليونانية ، ص ٢٦١

٢ — ياسين خليل : منطق البحث العلمي ص ١٠٥ — ١٠٨

٣ — نائل حنون : عقائد مابعد الموت ، ص ٢٩

٤ — كريم متى : الفلسفة اليونانية ، ص ١٧

يكتنف اصل الكون تلك التأملات المبينة على معرفتهم بالطريقة التي تتكون بها مساحات جديدة من الارض في البلاد. فالعراق بلد نشأت ارضه على آلاف السنين من الطمي الذي يجيء به النهران دجلة والفرات ويرسبانه في المصب (١) وأذا قارنا هذه الفكرة العراقية بفكرة مشابهة لها في الطرح عند اليونان ، وهي الفكرة التي تؤكد على ظهور اليابس من الماء ، والتي أشار اليها طاليس حيث اعتقد بان عناصر الموجودات قد خرجت من الماء (٢) فاننا ننتهي الى ان مفكري العراق القدامى قد سبقوا طاليس في هذا المجال قروناً عديدة ، ويؤيد ذلك الرأي الذي يذهب الى « ان تصور فلاسفة ايونية للطبيعة على اساس انها حية هو تصور بابلي ولا شك ، وان تصور طاليس للمادة الاولى او المبدأ الاول هو الماء باعتباره اصل الاشياء يمكن فهمه على ضوء الاسطورة البابلية بعد ان تنتزع منها الرداء الاسطوري .. »، (٣) .

نستنتج مما سبق بان الماء في تصور العراقيين الاوائل كان موجوداً أزلياً ، وان الاشياء قد خرجت منه ، وان المبدأ الاول وهو ميتافيزيقية — او صدأ تفسيري — ان صح التعبير . وهي في حالة «هيولى » قابلة للتموضع او ان تكون شيأ ما ، وان خروجها من القوة الى الفعل بلغة ارسطية ، نتج منها العالم المحسوس ، واول العوالم كان (الماء) . ثم نشأت منه العناصر الاخرى التراب ، الهواء ، النار . وان نشوء العوالم من الماء عند العراقيين القدامى يمثل تفسيراً عقلياً وان غلفته في بعض الاحيان اغلفة اسطورية ، وبذلك يمكن القول بان هذا التفسير « يمثل مدارك المفكر (العراقي) ونضوج آرائه وتأملاته في قوى الطبيعة وفي خصائص وجوده في هذا الكون » (٤) لان هدفه بيان العلل التي أنشأت الموجودات .

---

١ — نائل حنون : عقائد مابعد الموت ، ص ٢٧— ٣٢

٢ — يوسف كرم — تأريخ الفلسفة اليونانية ص ١٣

٣ — ياسين خليل ، منطق البحث العلمي ، ص ٣٥ — ٣٦

٤ — صموئيل نوح كريمر : الأساطير السومرية — ترجمة يوسف داود ص ١١٨

وبالاضافة الى كل ذلك فان العراقيين القدامى اعتقدوا بان الاشياء تعود الى العنصر الذي خرجت منه ، حيث جاء في احدى الرقم نص صريح في هذا المجال : قال صاحب النص : « عسى ان يعود اجرك الطيني الى حالته الاولى في الماء . » (١) . ومن اللازم ان نشير الى ان فكرة خروج العناصر من العنصر الاول والعودة اليها ثانية هو المنهج الذي اتبعه مفكرو اليونان في الفترة التي عرفت بسيادة الفلسفة الطبيعية في عصر ما قبل سقراط (٢).

يعني هذا ان المفكر العراقي قد ادرك بان الاشياء الطبيعية تنشأ من العناصر الاربعة بعد خروجها من البحر الاول بواسطة اتحاد العناصر والصراع فيما بينها . فالعالم عندهم في حركة مستمرة ومزيج غير متعادل (٣) . . ولما كانت الطبيعة في حركة مستمرة ، لذا فقد تصورها المفكر العراقي موضوعاً غير جامد حياً متحرك ، وان ظواهر الطبيعة ليست منفصلة عن الكائن الانساني . ولذلك ذهب الى الاعتقاد بان ظواهر الطبيعة ليست الا تجارب أنسانية وبتفكيره هذا استطاع ان يميز النظام في الطبيعة الذي تقابلة الفوضى وأدرك القوى التي تؤثر على الطبيعة والانسان .

واستكمالا لهذه المسألة لابد ان نشير الى ان الماء الاول الذي اعتبره المفكر العراقي اساساً للعناصر الطبيعية ، كان في حالة مضطربة مشوشة لاشكل له ، وكان يحتوي على متضادين الموجب والسالب ، ونتيجة الصراع اتحد احدهما مع الآخر فانبثقت العناصر الاخرى (٤) . وتنسجم هذه الفكرة في اسمى صورها عند العراقيين القدامى في مفهوم يمر أعادة الحق او

---

١ – صموئيل كريمر : السومريون تأريخهم ، ترجمة فيصل الوائلي ص ٨٦

٢ – انظر أحمد امين وزكي نجيب محمود : قصة الفلسفة الحديثة ، ص ١٤

٣ – انظر صموئيل كريمر : المصدر السابق ص ١١٩
ويذهب مترجم الكتاب في ص ١٢٠ إلى أن هذه النظرية قد سبقت نظرية " الباذوقليس"

٤ – طه باقر : المقدمة في تأريخ الحضارات .ج١ ، ص ٢٣٦ .

العدالة(١) ويبرز هذا الموقف في النص الآتي: «في تتابع الزمن الدوري في الخلق والعودة الى الماء والشيء بعد، وفي الحالة الاخيرة فقط نجد ان الذي يلعب دوره هو مفهوم او حالة الرجوع الى الفوضى...» (٢) ونجد صدى لهذه الفكرة عند فلاسفة اليونان كأنكسمندر على سبيل المثال، أذ ان العناصر عنده: عندما تكون في «الابيرون» تكون غير مرئية وتصبح مرئية بعد عملية الصراع، وفي «الابيرون» أو اللامحدود قوتين الموجبة والسالبة، ولا يمكن ان تخرج الاشياء الا نتيجة للصراع بين الاضداد. (٣) وكذلك نجد هذه الفكرة عند «انباذوقليس» فيطلق عليها فكرة غلبة احدى القوى قوة الحب والكرة — او تعادلها. ففي التعادل تحدث المحسوسات، وفي غلبة احدى القوى على العناصر تفني الموجودات الحسية وفي هذه الحالة لايمكن الحصول على العالم الحسي.. ومن هذا نلخص الى ان العراقيين القدامى قد سبقوا ايضاً المفكر هيراقليطس» الذي يعتبر أباً لفلسفة الصراع والذي ذهب الى القول بان عملية الخلق والعودة الى النار والشيء غير المخلوق (٤) ربما قد يكون وضعها بتأثير الفكر العراقي القديم الذي انتقل عن طريق الاتصال الحضاري.

٥ — وعالج المفكر العراقي مقولة فكرية مهمة. لعبت دوراً مؤثراً في مجمل طروحات التفكير الانساني. وكانت مناقشته لهذه المقولة. تقوم على اعتقاده بانه جزء من الطبيعة يتأثر بها، كما تتأثر باقي الموجودات الاخرى، لكن هذا لايعني بانه لم يعرف بين ما هو مادي وما هو غير مادي، بل بالعكس نجده يفرق بكل وضوح بين ماهو مادي وماهو روحي وادرك كذلك ان النفس الانسانية تتألف من قوى كالعاقلة والعاطفة والحياتية، وحدد مكان كل قوة منها في البدن كالكبد والقلب حيث جعل الكبد مركزاً للحياة

---

١ — نعني بالعدالة بمعناها الفلسفي: اجتماع العناصر المتشابهة بعضها مع البعض الآخر وتكون تلك العناصر بعيدة عن الصراع والتناقض.

٢ — مجلة سومر ج ٢، مجلد ٣١ سنة ١٩٧٥ ص ٣٣٩

٣ — انظر كريم متى: الفلسفة اليونانية ص ٣١ — ٣٦

٤ — انظر يوسف كرم: تأريخ الفلسفة اليونانية ص ٢١

والعاطفة والقلب مركزاً للعقل (١). وعلى هذا الاساس نجد ان ادراك المفكر العراقي لقوى النفس، يقترب من فهم افلاطون، للنفس وقواها واماكنها في البدن (٢). وكذلك فانه اعتقد بان المادة قد يطرأ عليها الفساد وتتحول من شكل الى آخر، أما الروح فلا تطرأ عليها ظاهرة الكون والفساد، وانها هبطت من العالم العلوي الى العالم السفلي وقادته هذه الفكرة الى الايمان ببقاء النفوس الانسانية بعد انسلاخها من ابدانها، فقد جاء في احد الادعية مانصه: «ياارواح عائلتي، ياارواح ابي وامي واجدادي واخي واختي واقربائي طالما انت مستقرة في العالم الاسفل كنت اقدم اليك القرابين الجنائزية، واسكب لك الماء وكنت ابذل العناية لك وابجلك، ففي الآن امام شمس كلكامش واعرضي قضيتي واحصلي على قرار رأفة بحقي، ليتسلم نمتاروزير العالم الاسفل الروح الشريرة التي في جسدي واعصابي وليحرسها نبمهثزيدا- منادى العالم الاسفل حراسة قوية وليمنعها «نيدو» رئيس وابو العالم الاسفل من العودة ثانية خذي هذه الروح الى ارض اللاعودة ودعيني انا خادمك، حياً ...» (٣).

وعلى الرغم من ايمان فريق من مفكري العراق القدامى ببقاء النفوس البشرية بعد مفارقتها للابدان الا اننا نجد فريقاً آخر، آمن بفكرة معاكسة اي انهم اعتقدوا بأن النفوس لايمكن ان تبقى بعد فناء ابدانها وقادتهم هذة الفكرة الى الاخذ أو السير في اتجاه وجودي صرف حيث استعانوا باسلوب التحدي للطبيعة والالهة، واستطاع المفكر العراقي –وخاصة السومري ان يحرر عقله؛ فادرك ولاول مرة في تاريخ الفكر البشري من ان قدرته تفوق قدرة الآلهة، أذ جاء في احد الرقم: يقول كلكامش لصديقه انكيدوا: (نحن الذين بغضبنا انتصرنا على الثور

١ – انظر حكمت نجيب: دراسات في تأريخ العلوم عند العرب، ص ٣٣
٢ – انظر افلاطون، الطيماوس واكريتس، ترجمة بربارة، ص ١٣٢
٣ – نائل حنون: عقائد مابعد الموت، ص ١١٠

السماوي فلم تستطع الالهة تحقيق رغبتها ، ورغبتنا فقط هي تحققت . ’’ (١)

٦ـ ومن الامور الفكرية الاخرى التي تطرق اليها المفكر العراقي هي الفضائل، بمعنى أدق انه اقترب من صياغة مذهب أخلاقي أذبين بان الانسان حين يموت فانه يمثل امام شمس ، حيث يجب عليه ان يبرر سلوكه الارضي ، وانه لن يحصل على الغفران الا بعد حصوله على حكم في صالحه (٢) ، وكذلك فان الالهة وضعت امام الانسان التزامات اخلاقية منها : الامتناع عن غش الناس او غش الالهة في القرابين، الامتناع عن الكذب، عدم اضطهاد الكادحين والعبيد والضعفاء والاطفال ، العمل على اطاعة القواعد الاجتماعية (٣) .

غير ان المكان الاول يظل الى الامل في الخلود ، تلك الصورة التي اتخذها الفكر العراقي فأثر بها على التأمل الاخلاقي اللاحق ، لان فكرة اعترافه بالخلود تتضمن نواة الفكرة الاخلاقية القائمة على المسؤولية الشخصية (٤) .

٧ ــ وتوصل المفكر العراقي الى فكرتين جديرتين بالاهتمام الا وهما فكرة التقمص والحلول ، والتقمص فكرة فلسفية تعني في جملة ما تعني ان نفس الانسان تستطيع ان تتقمص في ابدان كثيرة سواء اكانت تلك الابدان حيوانية او جمادية أو أنسانية وبهذا الاسلوب «يستطيع ان يصبح الهاً ، وتتقمص شخصيته القوى الكونية الكبرى التي تحيط به ، وهكذا يستطيع التأثر عليها بالفعل والحركة لا بمجرد الرجاء والضراعة »(٥)

اما الفكرة الثانية وهي فكرة الحلول فهي تعني ان الاله يحل في ابدان البشر لاداء مهمة ما ويعبر النص الاسطوري في الفكر العراقي القديم عن هذه الحالة عندما كانت «ننليل» تبحث عن «انليل» فحل «انليل» في حارس الباب لكي

---

١ ــ انظر فاضل عبد الواحد علي : مأساة تموز ص ٦٥

٢ ــ نائل حنون : عقائد مابعد الموت ص ١٠٩

٣ ــ آ. م. دياكونوف ، ملحمة كلكامش ص ١٦٥

٤ ــ انظر فرانكفورت ، ماقبل الفلسفة ص ٣٣٩

٥ ــ المصدر السابق ص ٢٣٧

يختفي عنها ، وجاءت «ننليل» تسأل الحارس دون ان تعرف ذلك «ياحارس نهر العالم الاسفل ، النهر الذي يفترس البشر (انليل) صككك الى اين هو ذاهب؟ « انليل » يجيب بلسان حارس نهر العالم الاسفل ، النهر الذي يفترس البشر « انليل» ملك جميع البلاد قد امرني ... » (١)

وآمن المفكر العراقي كذلك بفكرة القضاء والقدر ، ولهذا السبب اعتقد بان الانسان مسير في تصرفاته من قبل الالهة في كل شيء وواضح بان الانسان مسلوب الحرية ، حيث يقول ، الآن قد قرر «قدر» الكون واعطى الشاطيء والقناة اتجاههما الصحيح وأقيمت ضفتا دجلة والفرات فماذا نحن غير ذلك فاعلون » . (٢)

ونجد عند المفكر العراقي كذلك فكرتين جديرتين بالاهتمام اخذ بهما بعض المفكرين فيما بعد الاولى تخص الناحية الاجتماعية ، حيث نجده وقد قسم المجتمع الى طبقات ووضع لكل طبقة قوانين خاصة (٣) ، والثانية تخص الناحية السياسية أذ نجده قد آمن بنظرية التفويض الالهي في الحكم (٤).

٨ — وحاول المفكر العراقي القديم طرح تفسير رياضي للكون ،وهذا يعني بانه أراد أن يفهم العالم الخارجي فهماً عقلياً ،لايمانه بان العالم يسوده النظام والانسجام .وان الاساس الرياضي الذي اعتمده نعثر على صداه

---

١ — صموئيل كريمر : الاساطير السومرية ، ص ٧٣—ص٧٤
٢ — صموئيل كريمر ، السومريون تأريخهم وحضارتهم ص ١٦٤
٣ — انظر عامر سليمان ، القانون في العراق القديم ص ٤٦
٤ — المصدر السابق ص ١٣٨

صداه في الرقم الطينية التي خلفها وراءه هذا المفكر ، فتكشف لنا ذلك الرقم محاولة المفكر العراقي لوضع اسس ومفاهيم العلم الرياضي وصياغة بعض القضايا .وما يؤكد ماتذهب اليه « كلاين Kline »في كتابة «الرياضيات في الحضارة الغربية» (١) هذا من ناحية ومن ناحية أخرى نجده قد اهتم بعلم الهندسة ،وكان اهتمامه بالهندسة قد استدعته حاجته اليها في بناء معبد أو تعبيد طريق .. وعبر تطور تاريخي طويل وممارسات عديدة قام بها المفكر العراقي ،انتقلت فيها الهندسة من الجانب العملي الحسي إلى الجانب النظري التجريدي (٢) ،اذ نجده قد استطاع اقامة البرهان على المبرهنة التي عرفت في تاريخ الرياضيات باسم فيثاغورس .حيث اكتشف لوح طيني يدل بوضوح على معرفة بنظرية المثلث القائم الزاوية (٣) .

٩ ــ وختاماً أستطيع أن أقول بكل تواضع بان البذور الفكرية التي ناقشها العراقي قد أثرت ودخلت في بناء افكار جديدة لاحقة مع اضافات جديدة تلائم العصر الذي وجد فيه المفكرون فيما بعد ،لان التقدم لم يبتدىء من الصفر ، وان أي حضارة تنشأ على أنقاض الحضارات السابقة .فالفكر ليس ملكاً لشخص .بل ملك للانسانية جمعاء ،والفكر له خصيصه الانتشار ولهذا السبب يصعب فهم وتحديد القنوات التي يمر منها أو طرق انتقال تراث إلى أمة أخرى .

---

١ ــ محمد جلوب فرحان : تحليل ارسطو للعلم البرهاني ، ص ١٣

٢ ــ المصدر السابق ص ١٤ ــ ١٥

٣ ــ انظر طه باقر ،لوح رياضي على نظرية لا قليدس في تل حرمل ، مجلة سومر سنة ١٩٥٠ ج ١ ــ المجلد ٦ .

مصادر البحث

أ ــ المصادر العربية :

١ ــ احمد امين ، زكي نجيب محمود ، قصة الفلسفة اليونانية مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٦ م

٢ ــ أم . دياكونوف ،ب‍س ترافيوف ، ملحمة كلكامش ، ترجمة عزيز حداد ، منشورات مكتبة الصياد ط١ ١٩٧٣م

٣ ــ افلاطون : الطيماوس وأكرتيس تحقيق البير ريفو ترجمة فؤاد جرجي بربارة منشورات وزارة الثقافة والسياسة والارشاد القومي ١٩٦٨ م .

٤ ــ اولف جيمن : المشكلات الكبرى في الفلسفة اليونانية ، ترجمة عن الالمانية وعلق عليه د . عزت فرني مطبعة الكيلاني ، القاهرة ١٩٧٦

٥ ــ توفيق الطويل الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها ، الاسكندرية ١٩٦٠ م .

٦ ــ جورج هاوك وهارر ، معجم في الاساطير اليونانية ، ترجمة امين سلام ط١ سنة ١٩٥٥ م

٧ ــ حكمت نجيب دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ،

٨ ــ طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات ،ج١ط٢ ١٩٥٥م
: بابل وبورسيا ، مطبعة الحكومة بغداد ١٩٥٩.

٩ ــ صموئيل نوح كريمر الاساطير السومرية ، ترجمة يوسف داود وعبد القادر ، مطبعة المعارف بغداد ١٩٧١.
: السومريون تاريخهم ترجمة فيصل الوائلي دار غريب للطباعة ، بغداد ١٩٧٣ م .

١٠ ــ عامر سليمان ، القانون في العراق القديم الموصل ١٩٧٧ م

١١ ــ عبد الرحمن بدوي ، ربيع الفكر اليوناني ، القاهرة ١٩٤٣ م

١٤ ــ فاضل عبد الواحد علي ، عشتار ومأساة تموز ، بغداد ١٩٦٣ .
١٥ ــ فرانكفورت ، هـ، ماقبل الفلسفة، الانسان في مغامراته الفكرية الاولى الاولى ــ ترجمة جبرا ابراهيم جبرا بغداد ١٩٦٠ م
١٦ ــ كريم متّى : الفلسفة اليونانية ، بغداد ١٩٧١ .
١٧ ــ كيورك مرزينا ، النفس عند ابن العبري ، رسالة ماجستير في الفلسفة (غير منشورة) ١٩٧٥ م .
١٨ ــ محمد حلوب فرحان : تحليل ارسطو للعلم البرهاني رسالة ماجستير (غير منشورة) ١٩٧٦ .
١٩ ــ نائل حنون ، عقائد مابعد الموت في حضارة وادى الرافدين ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ١٩٧٥ م
٢٠ ــ ياسين خليل : منطق البحث العلمي ، بغداد ١٩٧٤ .
٢١ ــ يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٦ .

ب ــ المصادر الاجنبية :

22- Barnet·J·, Early Greek Philosphy, London, 1958
23- James·R·, Ancient near eastern, New Jersy, 1955
24- Taylor'M·E·J·, Greek Philosophy., London, 1953

جـ ــ المجلات

٢٥ ــ افاق عربية ، مقالة نشرها الدكتور ياسين خليل تحت عنوان ، «نظرة الانسان الشاملة إلى الكون ».
العدد الخامس سنة ١٩٧٦ م.
٢٦ ــ مجلة سومر ، مقالة بقلم مدام ايليا كاسان ترجمها ونشرها الدكتور وليد الجادر تحت عنوان «مفهوم الزمان والمكان في الفكر العراقي القديم» . ٢٩ مجلد ٣١ سنة ١٩٧٥) .
٢٧ ــ مجلة سومر مقالة بقلم طه باقر تحت عنوان لوح رياضي على نظرية الاقليدس في كل حرص ، ج ١ مجلد ٦ سنة ١٩٥٠ م.

الأثر المنطقي لأرسطو

على هندسة إقليدس

محمد جلوب فرحان
مدرس مساعد
كلية الاداب / قسم التاريخ

مقدمة :

١ ـ تستهدف هذه الدراسة الاجابة عن السؤالين الآتيين : ماالمقصود بالاثر المنطقي ؟ وما المقصود بهندسة اقليدس (١) وقبل الاجابة عن هذين السؤالين اجد لزاماً عليّ ان احدد ابعاد الموضوع الذي تتناوله هذه الدراسة ، والطريقة المستخدمة فيها .

تنحصر ابعاد الموضوع في ناحيتين : يفهم الباحث في الناحية الاولى ان هندسة «اقليدس» نظام لغوي يتألف من مجموعة من المفاهيم الاولية التي تمثل الف باء النظام، ومن مجموعة من القضايا التي هي ابنية اعقد من المفاهيم السابقة، ويفهم في الناحية الثانية ان هندسة «اقليدس» نظرية استدلالية تسود فيها مجموعة من البراهين المنطقية لاشتقاق قضايا جديدة من قضايا اولية موضوعة في بداية النظام . اما الطريقة المستخدمة في هذه الدراسة فتقوم على تحليل النظام الهندسي إلى مفاهيمه الاولية، محاولة كشف طبيعة هذه المفاهيم ، قصد التمييز بين ماهو اولي منها وما هو ثانوي ، وتحليل القضايا في سبيل ابراز القواعد المنطقية ، التي يخضع لها بناء القضية، والتمييز بين القضايا الاولية والقضايا الثانوية، والكشف عن البراهين المنطقية السائدة في ذلك البناء من اجل الوقوف عند طبيعة هذه البراهين ومكوناتها ، وابراز الاختلاف بين البرهان المباشر والبرهان غير المباشر ودور الالزام المنطقي بين مقدمات البرهان والنتائج المشتقة منها . ومن الضروري ان اشير إلى انني في التحليل الذي قمت به لمنطق ارسطو ، قد اقتفيت اثر الطريقة التي طرحها الدكتور ياسين خليل في كتابه «نظرية ارسطو المنطقية » ، تلك الطريقة التي نظرت إلى منطق « ارسطو » من وجهة نظر رياضية معاصرة .

المقصود بالاثر المنطقي :

٢ — نقصد بالاثر المنطقي جملة من الاسس والقواعد المنطقية التي حددها «ارسطو» والتي لعبت دورا مؤثرا في بناء هندسة «اقليدس»، ونرى بان هذا الاثر ينحصر في ناحيتين : «تتحدد الناحية الاولى في نظرية التعريف وتتعين الناحية الثانية في نظرية البرهان» . (٣)

التعريف : Definition

يحدد ارسطو ، التعريف بكونه «صيغة تحدد الطبيعة الجوهرية للشيء (٤) ويشترط في هذه الصيغة ان تتألف من حدود اولية بسيطة وواضحة ، وان «تكون من طبيعة او جنس ذلك الحقل العلمي »(٥) ويعني هذا ان التعريف عملية تركيب او بناء تتألف من جنس genus وفصل differentia الموضوع المراد تعريفه ، واستنادا إلى ذلك وضع «ارسطو» امام المعرف شروطا تحدد عمله، ومن هذه الشروط ان يضع في البداية «جنس الشيء والذي يتحدد بكونه مشتركا مع اشياء اخرى ثم يضيف اليه فصله الخاص به والذي يميزه عن الاشياء الاخرى »(٦) .

ونحاول ان نقف لنكشف عن كيفية بناء التعريف من المباديء التي تؤلف جوهر الشيء فاذا نشدنا على سبيل المثال، تعريف المثلث ، فاءننا نجد ان المثلث يتحدد بانه « سطح مستو » وسبب ذلك يعود الى ان الحد « سطح مستو » هو جنس يشترك فيه المثلث مع السطوح المستوية الاخرى من مربع ومستطيل ،والسؤال القائم: كيف نميز بين المثلث والمربع الذي يتصف ايضا بكونه سطحا مستويا ؟ في الحقيقة ان الذي يميز المثلث عن المربع هو « فصلة الخاص به والذي يتمثل بكونه محاط بثلاثة خطوط مستقيمة » (٧) .

ورب سائل يتسائل: هل ان الحد العكسي يظهر في التعريف ؟ اوبمعنى اخر اذا حاولنا تعريف الخط المستقيم فهل يشمل اويتضمن هذا التعريف

على الانحناء (الحد العكسي للاستقامة) ؟ وتتحدد الاجابة عن هذا التساؤل في ان تعريف الخط المستقيم لايتضمن الحد العكسي وذلك يعود الى ان الطبيعة الجوهرية للأستقامة لاتشمل غير الاستقامة فقط ، وبهذا فقد ادرك ارسطو ذلك واشترط في التعريف الدقيق الجامع المانع ان «لايشير الى شيء خارج الطبيعة الجوهرية للموضوع المراد تعريفه» (٨) وان التعريف من حيث كونه تحديدا يشترط ان تتوفر فيه جملة من الشروط ، تجعل منه نظرية دقيقة محكمة وذلك يرجع الى ان التعريف عند ارسطو عبارة تدل على طبيعة الشيء ،ومن الضروري ان تتوفر في هذه العبارة جملة من الشروط التي يستوفيها كل تعريف:

١ – يجب ان يتألف التعريف من حدود اولية primitive terms تتميز بكونها «اولية غير قابلة للتعريف ويستلزم هذا ان يتكون التعريف من حدود غير معرفة » (٩) ويشير هذا ان نميز في التعريف :

١ – الحدود اللامعرّفة او اللامعرّفات Indefinables

٢ – الحدود المعرّفة او المعرّفات Definables

وعلى هذا الاساس فان كل معرفة علمية تبدأ في رأى «ارسطو» باختيار مجموعة من الحدود الاولية،وان عملية اختيار هذه الحدود تخضع لشروط منطقية معينة ، وعن طريق الاستعانة بتلك الحدود نستطيع بناء الحدود الباقية ولاجل ذلك فان «ارسطو» لم يسلم في بنائه المنطقي بأي حد بصورة عشوائية «ما لم حد أوليا في هذا الحقل من المعرفة العلمية اوحدا معرفا عن طريق ذلك الحد الاولى أو الحد اللامعرف » (١٠) وهذا يبرز الدور الذي تلعبه اللامعرفات في بناء اسس العلوم اذا ان كل تعريف يشييد بنائه المعرفي بالاعتماد على اللامعرفات ، « التي تتميز بكونها حدودا واضحة ودقيقة وبينه بذاتها »(١١) وبذلك فان عملية تعريف الحدود الاخرى يتم بواسطة اللامعرفات ، فالنقاط على سبيل المثال، تدخل حدود أولية في تعريف الخط

وكذلك الحال بالنسبة للمستوى اذ ان «الخط» يدخل حدا اوليا في بنائه وقد ادرك ارسطو ذلك فحدد الخط المستقيم بكونه «اقرب مسافة بين نقطتين» والمثلث بكونه «سطحا مستويا محاطا بثلاثة خطوط مستقيمة» (١٣) .

يظهر من هذا ان الحدود خط مستقيم «ومثلث» تمثل حدودا ثانوية او حدودا معرفة ولاجل هذا اعتقد «ارسطو» في ان كل علم يجب ان تكون له حدود اولية دقيقة وعن طريقها نستطيع تحديد الحدود الباقية وتكون الحدود الاخيرة حدودا معرفة عن طريق الحدود الاولى (١٤) .

ب — ويشترط في التعريف ان يكون مساواة بين حدين وهذا يعني ان نستبدل الحد الذي يراد تعريفه بالحد المعرف فاذا اردنا تعريف المثلث على سبيل المثال فان تعريفه يجب ان يتألف من مجموعة من الحدود التي تكون بعدد المبادىء التي تؤلف جوهر المثلث (١٥) .

ج — ويستلزم في التعريف ان يكون دقيقاً وبمعنى اخر ان لايكون غامضا او يثير الالتباس ويشترط هذا ان يتوفر في التعريف، وفي لغته الدقة والوضوح (١٦) .

د — يجب ان يكون التعريف جامعا مانعا ويشترط هذا ان ينحصر التعريف في حدود مايراد تعريفه وان لايتضمن اى حدود زائدة اذا اريد به ان يكون مانعاً (١٧) .

ه — ينبغي ان يتألف التعريف من جنس مايراد تعريفه وكذلك من فصله الخاص به وهذه هي الميزة الاساسية التي تميز شيئا ما من الاشياء وقد اشار ارسطو إلى ذلك فذهب إلى ان المعرف اذا حاول تحديد شيء ما فمن الضروري ان يحدده في البداية في جنسه فاذا قصد تعريف «المثلث» فانه يحاول تحديده اولا «كسطح مستوٍ» باعتبار ان السطح المستو جنس يشترك فيه المثلث مع اشكال هندسية اخرى وعلى هذا الاساس فان المثلث من حيث هو سطح مستوي لم يكن تعريفاً تاما شاملا ، ولاستكمال ذلك يشترط ان يضاف اليه فصله الخاص به والذي يتحدد «بانه سطح مستو ، محاط بثلاثة خطوط مستقيمة (١٨) » .

و — ويشترط في التعريف ان لايكون دائريا Circular اى لايمكن ان نعرف ماهو اولي من الحدود من خلال ماهو ثانوي بعد ان عرفنا ماهو

ثانوي في حدود ماهو اولي (١٩) ولاجل ذلك فقد رفض ارسطو التعريف الدائري من حيث لانستطيع ان نحدد «النقطة» في حدود الخط المستقيم. وسبب ذلك يعود إلى ان النقطة تدخل حدا في تعريف الخط المستقيم في حين لانجد ان الخط المستقيم يظهر حدا في تعريف النقطة (٢٠).

البرهان Demonstration :

٣ ــ يمثل البرهان طريقة منطقية توسل بها ارسطو لتشييد بنائه البديهي في المنطق وقد افرد لذلك كتابيه التحليلات الاولى والتحليلات الثانية وان دراسته لهذا الموضوع تشكل دراسة منهجية ونقصد بالدراسة المنهجية ان ارسطو قد حدد قبل كل شيء موضوع البحث والعلم الذي يهتم به فذهب إلى «ان موضوعه البرهان وان العلم الذي يهتم به هو العلم البرهاني» (٢١).

وان البرهان في رأية قياس Syllogism لذلك هدف إلى تحديد القياس، فحدده بانه قول اذا وضعت فيه اشياء اكثر من واحد لزم شيئا ما اخر من الاضطرار لوجود تلك الاشياء الموضوعة بذاتها (٢٢) وهذا يعني ان القياس طريقه علمية تتألف من ثلاث قضايا مقدمتان ونتيجة واحدة تلزم عنهما بالضرورة، ويعد القياس بهذا المعنى «نظرية الزامية Implicational بين مقدمتين ونتيجة (٢٣)

توجه بعد ذلك إلى تحديد المقصود بالمقدمة فذهب إلى انها «قول يوجب شيئا لشيء او يسلب شيئا عن شيء» (٢٤) ثم حدد النتيجة بانها: شيء مقول على شيء (٢٥) بالاضافة إلى ذلك وجد بان كل مقدمة في القياس تتألف من حدين ــ اما موضوع او محمول ــ (٢٦) كذلك نشد إلى تعريف الحد فعرفه بكون «ما اليه تنحل المقدمة» (٢٧).

يبدو من كل ماسبق ان نظرية ارسطو القياسية، وكذلك الحال في كل معرفة علمية تبدا بحثها باختيار مجموعة من الحدود التي تمثل اللبنات الاساسية تتخطى بعد ذلك إلى بناء المقدمات عن طريق الاستعانة بالحدود لذلك انحصر هدف ارسطو في تأسيس المعرفة العلمية عن طريق ترتيب هذه المقدمات او القضايا في نظام متين تام نتمكن عن طريقة البرهنة على جميع القضايا التي تنتمي الى

هذا العلم (٢٨) غير ان ارسطو لم يقف عند هذا الحد بل استهدف في نظريته التمييز بين :

١ — بديهيات Axioms النظرية الاستدلالية وما يسمى بالاقيسة الكاملة Perfect لذلك حدد القياس الكامل — او البديهية — بانه «القياس الذي لايحتاج في بيان مايجب عن مقدماته إلى استعمال شي غيرها » (٢٩) .

ب — مبرهنات Theorems النظرية الاستدلالية او مايسمى بالاقسية الناقصة Imprefect فذهب إلى تحديد القياس الناقص — او — المبرهنة — بانه القياس الذي يحتاج في بيان مايجب عن مقدماته إلى استعمال شيء واحد او اشياء مما هو واجب عن المقدمات التي الف منها ، غير انها لم تكن استعملت في المقدمة (٣٠) .

ان هدف ارسطو من تمييزه بين الاقيسة اختيار بديهيات لنظريته القياسية وعلى هذا اختار ضروب الشكل الاول First Figure بديهيات لنظريته باعتبار ان هذا الشكل هو القياس الكامل الوحيد (٣١) وان هذا الاختيار للشكل الاول ، لم يأت بشكل عشوائي بل نتيجة لاعتقاد ارسطو بان الارتباط بين المقدمات والنتيجة في القياس الكامل يكون واضحا بذاته ولايحتاج إلى قضايا اخرى تحدد معناه اذ ان الاقيسة الكاملة قضايا بينة بذاتها لاتحتاج إلى برهان(٣٢) كما ان حصر ارسطو للاقسية الكاملة في ضروب الشكل الاول وهي : Barbara (٣٣)، Celarent(٣٤)، Ferio (٣٥)، Darii(٣٦) يدل على انه قد سلم بالاقيسة الكاملة بديهيات لنظريته من حيث انها قضايا صادقة وبينة بذاتها ولاتحتاج إلى برهان لذلك نشد إلى اقامة البرهان على الاقيسة الناقصة (المبرهنات) عن طريق الاستعانة بالاقيسة الكاملة (البديهيات) .

وان ارسطو لم يقف عند هذا بل ذهب إلى رد الضربين الثالث والرابع إلى الضربين الاولين وبذلك اتخذ الضربين Barbara ، Celarent بديهتين في بنائه المنطقي لانهما اكثر الاقيسة وضوحاً .. وعلى هذا الاساس رد مبرهنات المنطق الكثيرة إلى بديهيات قليلة العدد (٣٧) ويتضمن هذا بالاضافة إلى ماسبق في ان صحة Validity الاشكال الاخرى (الاقيسة الناقصة) تتكشف

عن طريق ردها إلى الشكل الاول (الاقية الكاملة) (٣٨) .

٤ ـــ نشد ارسطو من رد الاقيسة الناقصة إلى الاقيسة الكاملة ، تقليص عدد الاقيسة لوضع بديهيات قليلة تخص نظريته القياسية ، وقد ادرك ان عملية اقامة البرهان على المبرهنات المنطقية ، لا يمكن ان تتم من دون طريقة لذلك وضع طريقة الرد Reduction ونقصد بالرد عملية منطقية «نقوم بها على عمل الاقيسة الناقصة اقيسة كاملة ،وذلك باتباع خطوات منطقية استدلالية إلى ان نصل إلى البديهيات الموضوعة في بداية النظام المنطقي» (٣٩)

ان استعانة ارسطو بطريقة الرد لاقامة البرهان على مبرهنات النظرية الاستدلالية ، عن طريق اللجوء إلى البديهيات تشير بوضوح إلى الدور الذي تلعبه هذه الطريقة في البناء المنطقي وان هذا الدور ينحصر في ان طريقة الرد ماهي الا برهان ردى ،ورب سائل يتسائل : ماالمقصود بالبرهان الردى ؟ ونعني بالبرهان الردى عملية ارجاع المبرهنات إلى البديهيات كما وان دور هذه الطريقة لايقف عند هذا الحد بل يتسع ليشمل الرياضيات كذلك ويعود هذا إلى ان عالم الرياضيات يستعين بها في الانتقال من المبرهنات الى قضايا اكثر صدقا وقد «اشار ارسطو إلى هذا المعنى مؤكدا على ان طريقة الرد هي الطريقة النموذجية للاكتشاف الرياضي » (٤٠) وتقوم طريقة الرد المنطقية على نوعين من البراهين .

١ ـــ البرهان بالجزم Ostensive demonstration

ويتحدد هذا البرهان بكونه طريقة رد مباشرة Direct reduction وهي محاولة الانتقال من المبرهنات إلى البديهيات بواسطة قوانين العكس Conversion وذلك يعود إلى ان هذه القوانين تؤدى إلى الشكل الاول (٤١) وقد استخدم ارسطو في هذا البرهان قوانين العكس الثلاثة الاتية .

١ ـــ قانون عكس الكلية الموجبة :

أ A ب ← ب I أ

٢ ـــ قانون عكس الكلية السالبة :

أ E ب ← ب E أ

٣ – قانون عكس الجزئية الموجبة : –(٤٢)

أ I ب ← ب I أ

ب —البرهان بالخلف : Reductio ad impossible

ويتحدد هذا البرهان بكونه طريقة رد غير مباشر Indirect reduction ويعتمد هذا البرهان على قوانين «نفي النقيض»(٤٣) وتتحدد هذه القوانين بالشكل الآتي .

١ – قانون نفي الجزئية الموجبة :

~(أ I ب) ← أ E ب

٢ – قانون نفي الجزئية السالبة :

~(أ O ب) ← أ A ب

وفي خاتمة هذا العرض ارى لزاماً عليّ ان اشير الى ان هناك اختلافاً بين البرهان بالجزم وبين البرهان بالخلف من حيث ان «مقدمات البرهان بالجزم هي قضايا نسلم بانها قضايا صادقة ، بينما يتميز البرهان بالخلف بان أحدى مقدماته تتحدد بكونها كاذبة»(٤٥) ومن الضروري ان أشير ايضاً الى ان براهين النظرية الاستدلالية هي براهين الزامية Implicatinal ونعني بالالزام ان المبرهنة تتبع البديهيات بالضرورة وعلى هذا الاساس فان الالزام ضروري من جهة «اننا لانستطيع ان نحصل على نتيجة كاذبة من مقدمات صادقة (٤٦) » .

المقصود بهندسة اقليدس :

٥ – نعني بهندسة «اقليدس» نظاماً يتألف من مجموعة من التعريفات ومن مجموعة من القضايا التي تمثل ابنية اعقد من التعريفات وان هذا النظام يتألف بالاضافة الى ذلك من مجموعة من الاستدلالات الالزامية ونقصد بالاستدلال الالزامي ، أن المبرهنات الهندسية تتبع البديهيات بالضرورة وان صدق المبرهنات يعتمد على صدق المقدمات ، فاذا صدقت المقدمات ، فمن الضروري ان تصدق النتائج :

وهذا يعني ان نميز في مكونات الاستدلال الهندسي بين القضايا الا ولية والقضايا الثانوية وبمعنى اخر بين البديهيات والمصادرات وبين المبرهنات المشتقة منها منطقياً(٤٧)

تبدأ هندسة أقليدس بمجموعة من التعريفات ومن هذه التعريفات :

آ ـ النقطة : ـ وضع لاسمك ولاطول ولا عرض له (٤٨)

ب ـ الخط المستقيم : ـ طول لاسمك ولا عرض له (٤٩)

غير ان «اقليدس» سرعان ما طرح تعريف للخط المستقيم في نهاية البرهان على المبرهنة القائلة« مجموع اي ضلعين في المثلث اكبر من الضلع الثالث» أنه : اقصر مسافة بين نقطتين (٥٠)

ج ـ المثلث : ـ سطح مستو محاط بثلاثة خطوط مستقيمة (٥١)

ومن الضروري ان أشير في البداية الى ان اقليدس قد وقع في خطأ عندما طرح تعريفاً للنقطة لان هذا التعريف لايحدد طبيعة النقطة وكذلك الحال بالنسبة للخط المستقيم ـ لان هذا التعريف لايشير الى شيء وكان من المفروض به أن يسلم بالنقطة حداً اولياً لايحتاج الى تعريف (٥٢) ، ولاجل هذا وجه عدد من الرياضيين المتأخرين نقداً لمحاولة « اقليدس» بخصوص التعريفات ، ذاهبين الى تثبيت قواعد محددة لبناء التعريفات . وهذه القواعد تنحصر في ناحيتين :

١ ـ التسليم بمجموعة من الحدود الاولية الواضحة التي لا يمكن تعريفها لانها بينة بذاتها ، وكان من المفروض على اقليدس في هذا المجال التسليم بان النقطة والخط هي الحدود الاولية .

٢ ـ عملية تعريف الحدود الباقية عن طريق الاستعانة بالحدود الاولية ومثال ذلك تعريف المستوى سواءا أكان مثلثاً او مربعاً او مستطيلا ، أم جسماً عند أقليدس (٥٣) .

ومن اللازم ان اشير ايضاً الى ان اقليدس قد أدرك بان البناء الهندسي لايمكن ان يقوم من دون أيجاد تعريفات ، لان التعريفات تمثل اللبنات الاساس لهذا الموضوع وان النظام الذي يبدأ بهذه المكونات يتميز بكونه نظاماً منطقياً تاماً بذاته Logical self sufficient system (٥٤)وعلى هذا الاساس اتخذ «اقليدس» النقطة ركيزة اساسية في تشييد بنائه الهندسي ، أذ اعتمد عليها في بناء الخط

المستقيم لأنها تدخل حدا أولياً في بنائه وكذلك فان الخط المستقيم يدخل اولياً في بناء المثلث .

وان هذا التحديد يجعلنا ان نميز بين النقطة والخط من ناحية وبين الخط والمستوى من ناحية اخرى والى التأكيد على ان «اقليدس» قد أدرك بان علم الهندسة يجب ومن الضروري ان يبدأ بحثه بجملة من الحدود الاولية الواضحة والبسيطة والتي تتميز بكونها حدوداً غير معروفة من حيث انها لا تحتاج الى بيان معناها الى حدود اخرى في حين تستعين بها وتعتمد عليها حدوداً اخرى لتحديد معناها ولاجــل ذلك استهدف «اقليدس» تحديد بعض المفاهيم الهندسية من خلال ايجاد تعريفات لها عن طريق الحدود الاولية التي ثبتها في بداية النظام، ، وهذا لم يأت اعتباطاً بل أدراكاً منه لدور التعريف في بناء المبادىء وأختيـار المفاهيم في علم الهندسة (٥٥) .

نلخص من كل هذا الى ان اقليدس قد ميز في بنائه :

أ ـــ الحدود غير المعرفـة Undefined terms وهـي «النقطة» في هندسة الخطوط ـــ والخط في هندسة المستويات ـــ وسبب، ذلك يعود الى ان النقطة» مفهوم اولي يدخل في تحديد الحدود الاخرى ولهذا فقد منحهـا «اقليدس» دوراً مهماً في بناء المفاهيم الهندسية الاخرى لكونها حداً غير معرف تحتاجـه الحدود الاخرى .

ب ـــ الحدود المعرفة Defined terms : وهي « الخط المستقيم » في هندسة الخطوط ـــ والمثلث والمستوى في هندسة المستويات ـــ وهي مفاهيم ثانويـة تحتاج الى المفهوم الاولي ـــ النقطة ـــ في بنائها المعرفي .. واستناداً الى ما سبق يظهر لنا بشكل جلي ان «اقليدس» أدرك في بنائه ، أن المستوى اقل جوهرية من الخط والخط من النقطـة وهــذا واضح من أن المستوى يعتمـــد في تحديـده على الخط ـــ والخط على النقطه ـــ بينما تظل المفاهيم الاخرى لاتحتاجـه ولا تعتمد عليه وهذا يعني ان اقليدس قد رد المفاهيم الثانوية الى المفاهيم الاوليـة (٥٦)

وان العودة الى كتاب «الاصول» تكشف لنا بشكل واضح : ان «اقليدس» في تعريفه للحدود مثل المثلث والمربع والمستطيل والدائرة .. قد التزم بجملة شروط سبق ان حددها «ارسطو» في محاولته المنطقية ـ منهـا : انه حصر التعريف في جنس ما يراد تعريفه ، ثم اضاف اليه فصله الخاص به ، فنرى ان تعريف المثلث كما ورد في «الاصول» : كسطح مستوى محاط بثلاثة خطوط مستقيمة يتألف من الحد «سطح مستوٍ» وهو جنس المثلث الذي يشترك فيه مع سطوح مستوية اخرى . في حين نجد ان الحد «محاط بثلاثة خطوط مستقيمة» يمثل فصل المثلث الخاص به والذي يميزه عن السطوح المستوية الباقية . وقد اشترط في لغة التعريف ايضاً ان تكون دقيقة من حيث ان الحدود التي أختارهـا في بناء التعريفات تتميز بكونها واضحة ودقيقة وبينة بذاتها وكذلك نجد في محاولته بان التعريف لايحتوي على اى حدود زائدة ـ أذا استثنينا تعريفه للنقطة والخط ـ ويعني هذا أنه اشترط في التعريف ان يكون جامعاً مانعاً . وان التعريف عنده بالاضافة الى ذلك مساواة بين حـدين ونقصد بذلك ان مجموعة الحدود التي يتألف منهـا التعريف يجب ان تكون بعدد المبادىء التي تؤلف جوهر المثلث على سبيل المثال كما أن «اقليدس» قد أبعد عن محاولته التعريف الدائري وهو التعريف الذي يقوم على تعريف «الخط المستقيم» مثلا بحد «المثلث» ومن الضروري ان أشير الى أننا لانجد أثراً لهذا النوع من التعريفات في كتابه الاصول وننتهي من هذا الى أن «اقليدس» قد طرح محاولته في التعريفات الهندسية بوحي وأثراً ارسطو . (٥٧) .

٦ -- يتميز البرهان بكونه معرفة علمية ذات درجة عالية نحاول فيه الانتقال من بعض القضايا المحددة في هذا الحقل من المعرفة العلمية الى نتائج تستلزمها تلك القضايا بالضرورة وهذا يعني ان البرهان عُملية اشتقاق قضايا صادقة من مقدمات او قضايا صادقة لاتحتاج الى برهان (٥٨)

والبرهان في منطق ارسطو يتحدد بكونه قياساً علمياً Scientific Syllogism . يسلم بالمعرفة الصادقة (٥٩) .

وان البرهان — وفقاً لما سبق — قد تحدد بكونه عملية استدلالية تعتمد على مقدمات صادقة وان هندسة «اقليدس» هي الاخرى تتميز بكونها علماً أستدلالياً Deductive Science او ان استطعت فقل ان البراهين السائدة في هذا البناء هي براهين استدلالية (٦٠) ويشترط في كل علم استدلالي ، ان تتوفر فيه عدة امور منها : —

١ — افتراض مجموعة من القضايا التي تخص هذا العلم ويشترط في هذه القضايا ان تكون صادقة true وغير قابلة للبرهان Indemonstrable .

٢ — ان قضايا العلم الاخرى تشتق derived من القضايا الاولى .

٣ — ان عملية الاشتقاق يجب ان تكون صورية formal (٦١) .

ويعني هذا أن «اقليدس» ثبت في بداية نظامه مجموعة من القضايا الهندسية الصادقة استهدف بعد ذلك التثبت من صدق القضايا الاخرى ، عن طريق اشتقاقها من القضايا الاولى وبمعنى آخر أن أدراك «اقليدس » ان الهندسة علم استدلالي قاده الى وضع القضايا الهندسية وفق نظام منطقي Logical system كما هو الحال عند «ارسطو» (٦٢) ويظهر من هذا أن «اقليدس» قد تنبه الى ان العملية البرهانية لاتقوم من دون وضع مقدمات صادقة يتم الانتقال منها الى النتائج ، وهذه النتائج هي المبرهنات الهندسية وان التثبت من صدق هذه المبرهنات مرتبط بصدق المقدمات الموضوعة وهذا يدل دلالة واضحة على ان هنالك علاقة الزام منطقي Logical implication بين البديهيات والمبرهنات (٦٣)

ويبرز من خلال تحليل المقدمات الاولية في بناء «اقليدس» بانه اشترط في بناء القضايا ان لايشير الى اي تناقض . وهذا يدل على ان بناء القضية الهندسية يخضع الى مبداء منطقي هو مبدأ عدم التناقض الذي ينص على انه : من المستحيل ان تكون «آ» هي «آ» ولا «آ» في آن واحد (٦٤) . ويشير هذا الى ان القضية الهندسية اذا أريد لها ان تكون متينة ودقيقة فانه يشترط فيها ان تكون خالية من التناقض وبالتالي ان تخضع لهذا المبدأ المنطقي . ويظهر هذا ايضاً الدور الذي يلعبه

هذا المبدأ في الكشف عن طبيعة بناء المقدمات وفروض علم الهندسة . وهذه حقيقة لاتزال ذات اثر في بناء النظريات العلمية ومن أجل ذلك ذهب رايخنباخ الى ان كل علم يستعين بمبدأ عدم التناقض عند بناء او افتراض مبادئه ، لكي يصل الى أتساق هذه المبادىء بعضها ببعض وكذلك اتساق المفاهيم بعضها ببعض في المبدأ الواحد (٦٥).

٧ — لقد هدف اقليدس من بناء الهندسة وتأسيسها على مبادىء اولية صادقة وضرورية الى بيان موقفه من المعرفة الهندسية ويبدو انه أدرك بانه من غير الممكن ان تكون جميع قضايا الهندسة قضايا برهانية وانه من الضروري ان تبدأ بمقدمات لاتحتاج الى برهان في النظام الذي تنتمي اليه وقد كشف عن موقفه بشكل واضح عندما منح مقدمات البرهان الضرورة والصدق وعدم اقامة البرهان عليها (٦٦) . كما يتأكد ذلك ايضاً من خلال رفضه للبرهان الدائري Circular Demo nstartion وعدم استخدامه في بنائه . أذ لم نجد في ذلك البناء ولانعثر على ملامح تؤكد بانه اقام البرهان على البديهيات بواسطة بديهيات اخرى ، او عن طريق مبرهنات سبق البرهان عليها (٦٧) .

وان المنطق يشترط فيالبديهيات جملة من الشروط التي يستلزم ان تستوفيها، وهذه الشروط تتحدد في : ان تكون المقدمة صادقة ، ومباشرة ، واولية ، ومعروفة افضل واسبق من النتيجة ، وان تكون سبباً للنتيجة ومناسبة (٦٨). ونحاول في ضوء هذا التحديد لشروط البديهيات تحليل مقدمات البرهان في هندسة «اقليدس» ولاجل ذلك نحاول طرح السؤال الآتي : كيف تكون المقدمات الاولية في الهندسة صادقة ؟ ان الاجابة تتحدد في ان «اقليدس» اختار هذه القضايا من بين جميع القضايا الهندسية الاخرى وافترض صدقها وان افتراض «اقليدس» لصدق البديهيات كان من أجل سلامة المبرهنات المشتقة منها هذا من جهة وأننا لانعثر من جهة أخرى في هندسته على مبرهنات كاذبة قد أشتقت من بديهيات صادقة . وذلك يعود الى ان صدق البديهيات يتكشف من خلال اتساق هذه المقدمات بعضها مع البعض الآخر وكذلك في ضوء الالزام المنطقي بين المقدمات والنتائج (٦٩) .

وربَّ سائل يتسائل : كيف تكون مقدمات البرهان الهندسي اولية ؟ تكمن الاجابة في ان «اقليدس» لم يقم البرهان عليها من حيث انها غير محتاجة اليه ويعني هذا ان القضايا الاولية قضايا بينة بذاتها ولا تفتقر الى البرهان في النظام الذي تنتمي اليه (٧٠) . غير ان هذا الشرط غير كاف لاعتبار البديهية الهندسية قضية اولية ولذلك نستطيع القول ان البديهية تكون اولية من حيث انها مباشرة اي لاتوجد قضية اسبق منها وانها معروفة افضل من النتيجة (٧١) .

اما كيف تكون المقدمة مباشرة ؟ فان قصده يتحدد في كون المقدمة مباشرة من حيث لاتوجد مقدمة اقدم منها (٧٢) ، واما كيف تكون المقدمة سبباً للنتيجة واعرف منها ؟ فان هذا يتحدد في ان «اقليدس» قصد من ذلك بان مقدمات البرهان يجب ان تكون سبباً في ايجاد المبرهنة من حيث ان المبرهنة قد اشتقت من بديهية موضوعية في بداية النظام الهندسي (٧٣) . اما كيف تكون المقدمة مناسبة ؟ فان ذلك يعني ان نستخدم في البرهان مقدمات تخص كل حقل خاص من حقول المعرفة العلمية ، وهذا يعني ان نستخدم مقدمات هندسية في البرهان الهندسي ونجد ذلك بشكل واضح في كتابه «الاصول» أذ لم نعثر في محاولة «اقليدس» البرهان على مبرهنات هندسية عن طريق الاستعانة بقضايا علوم أخرى (٧٤) .

٨ — تقوم هندسة «اقليدس» على نوعين من القضايا : —

١ — الفروض hypotheses : وهي قضايا نفترض صدقها ، من حيث انها قضايا ضرورية لايمكن البرهان عليها ، وانها ضرورية تحقيقاً لمبدأ عدم امكانية قيام معرفة علمية من دون مقدمات او فروض ومعنى هذا وجوب التسليم بصدق مجموعة من القضايا باعتبارها لاتحتاج الى برهان (٧٥) . وان أختيار هذه الفروض يجب ان يخضع لجملة من الشروط منها الدقة والوضوح والمتانة (٧٦) . وقد طرح «اقليدس» في بنائه الهندسي عشرة فروض استند اليها في رد او اشتقاق جميع القضايا الهندسية الاخرى . وهذه الفروض تنقسم

الى مجموعتين: —

المجموعة الاولى : وتضم المفاهيم العامة Common notions (٧٧) او البديهيات axioms وقد حصر « اقليدس » عددها في خمس قضايا وهي :

أ ــ الاشياء المساوية لشيء واحد متساوية .

ب ــ أذا أضيفت كميات متساوية الى اخرى متساوية تكون النتائج متساوية .

ج ــ أذا طرحت كميات متساوية من أخرى متساوية تبقى النتائج متساوية .

د ــ الاشياء المتطابقة متساوية .

هـ ــ الكل اكبر من الجزء (٧٨) .

وتشكل القضايا السابقة مقدمات البرهان الهندسي وان هذه القضايا تتميز بكونها واحدة في اكثر من علم واحد ، من حيث انها تدور حول الكمية (٨٠). ونقصد بانها تستخدم في اكثر من علم واحد وذلك لان علم الحساب يستخدم البديهيات السابقة في حقله وكانها مبادىء حسابية وان علم الهندسة يستخدمها أيضاً وكأنها مبادىء هندسية ويعود سبب ذلك الى الطبيعة المشتركة لهذه العلوم وان هذه البديهيات تعبر عن تلك الطبيعة المشتركة (٨١) .

وان الافكار العامة عند «اقليدس» في رأى اكثر من باحث هي في اي معنى من المعاني تشبه بديهيات ارسطو (٨٢). ومهما يكن المعنى الذي قصده «اقليدس» بالبديهيات فان العلم الذي يراد به ان يكون ضرورياً لابد ان يكون بناؤه يعتمد على البديهيات لان البديهية قضية صادقة مسلم بها لاتحتاج الى برهان في النظام الذي تنتمي اليه .

ومن الضروري ان أشير ايضاً الى ان اهتمام «اقليدس» في هندسته انصب على ايجاد استدلال متين او بمعنى آخر : هل ان هندسة اقليدس جميعها هندسة استدلالية او برهانية ولاجل ذلك يمكن طرح السؤال الآتي :

لماذا لم يبرهن « اقليدس » على صحة البديهيات ؟ او بمعنى آخر: أذا كانت الرياضيات بشكل عام والهندسة بشكل خاص ، تقوم بكل اعمالها عن طريق المنطق الصرف فلم لا تبرهن على صحة البديهيات ؟ تتحدد الاجابة بانه ليس

بامكاننا ان نبرهن على شيء ما من لاشيء وانه يجب ان يكون لدينا ما نستند اليه في اقامة برهاننا الاول هذا من جهة ومن جهة اخرى فقد عمد « اقليدس » ردا منه على وجوب تقبل هذه البديهيات دون برهان الى محاولة انتقائها بشكل تكون صحتها معه امرا مسلماً به(٨٣)، وذلك فان هندسة اقليدس لم تكن جميعها معرفة برهانية ،لان هناك حقائق لم يقم عليها البرهان ومنها الفروض الهندسية (بديهيات مصادرات).

المجموعة الثانية :— وتضم المصادرات postulates او المسلّمات وهي مبادىء تخص علم الهندسة فقط وقد حصر « اقليدس » هذه المبادىء في خمس قضايا وهي :

أ— من الممكن رسم خط مستقيم بين نقطتين .

ب— يجوز مد قطعة المستقيم من جهتها الى غير حد .

ج — يمكن رسم دائرة ، أذا علم مركزها ونصف قطرها .

د — جميع الزوايا القوائم متساوية.

هـ — أذا قطع مستقيمان بمستقيم ثالث ، بحيث كان مجموع الزاويتين الداخليتين الواقعتين على جهة واحدة من القاطع ، أقل من قائمتين فان المستقيمين يتلاقيان في تلك الجهة من القاطع أذا مد الى غير حد (٨٤) .

وتشير هذه القضايا الى ان المصادرات عند «اقليدس» تدل على عمليات بناء للقضايا في المفاهيم او الحدود الهندسية وان المصادرات هي على هذا الاساس قضايا تختلف من حقل الى حقل آخر من حقول المعرفة العلمية فهي تمثل قضايا هندسية في علم الهندسة وقضايا حسابية في علم الحساب وقد أشار «هيت» الى هذا المعنى مؤكداً ان لكل علم خاص مصادراته الخاصة به (٨٥) .

ومن الجدير بالذكر ان «أقليدس» قد ميز في نظامه الهندسي بين البديهية والمصادرة على اساس ان البديهية مقدمة اولية ضرورية لاتحتاج الى برهان وقد تشترك في اكثر من علم واحد بينما المصادرة مقدمة خاصة بموضوع البحث وذات

صلة بموضوع واحد بعينه(٨٦)ويشير هذا إلى الاختلاف بين البديهيات والمصادرات من حيث ان البديهيات بالنسبة لاقليدس قضايا مشتركة تدور حول الكمية مثال ذلك : الاشياء المساوية لشي واحد متساوية اما المصادرات فقد اعتقد « اقليدس » بأنها تقول شيئاً حول امكانية البناء Construction ومثال ذلك: من الممكن رسم مستقيم بين نقطتين ومثل هذا النوع من العبارات تشكل اسساً اقام عليها اقليدس بناؤه الهندسي (٨٧).

٢ ـ المبرهنات Theorems : وتضم مجموعة من القضايا الهندسية المشتقة من المقدمات الاولية وقد حصر اقليدس هذه القضايا في ثمان واربعين مبرهنة تمكن من اقامة البرهان عليها عن طريق اشتقاقها من المصادرات (٨٨). ومن الامثلة على هذه المبرهنات مايأتي.

أ ـ اذا تلاقى مستقيمان فان مجموع الزاويتين المتجاورتين يساوي زاويتين قائمتين (٨٩).

ب ـ اذا قطع مستقيمان بقاطع واحدث معهما زاويتين متبادلتين متساويتين كان المستقيمان متوازيين (٩٠).

ج ـ اذا تباينت زاويتان في مثلث فالضلعان المقابلان لهما يتباينان ايضاً ويكون اكبرهما هو الذي يقابل الزاوية الكبرى (٩١).

تشكل المبرهنات السابقة قضايا مشتقة من المقدمات ويعني هذا أن البرهان هو الوسيلة في اثبات كونها مشتقة من البديهيات والقضايا المفروضة وفي عملية البرهان او الاشتقاق يظهر عامل الاستدلال المنطقي باجلى صوره حيث يتم الانتقال من قضية إلى اخرى لازمة عنها بالضرورة حتى ينتهي الاستدلال إلى القضية التي اردنا البرهان عليها (٩٢).

٩ ـ لقد توسل(اقليدس) في بنائه الهندسي، بطريقة البرهان المنطقية لاشتقاق ورد المبرهنات الكثيرة إلى المقدمات الاولية القليلة العدد ولكشف طبيعة هذا البرهان واستخدامه في هندسة اقليدس ارى من الضروري ان احدد قواعد

البرهان بالشكل الاتي :

١ – يسلم البرهان في البداية التمييز بين نوعين من القضايا :

أ – قضايا واضحة وبينه بذاتها، لاتحتاج إلى قضايا اخرى يطلق عليها البديهيات والمصادرات.

ب – قضايا غير واضحة بذاتها وتحتاج إلى القضايا الاولى في البرهان ويطلق عليها المبرهنات.

٢ – يعتمد البرهان في سبيل البرهنة على جميع المبرهنات اما على البديهيات او على المصادرات او على مبرهنات سبق البرهان عليها (٩٣) .

وان المبرهنة، كما سبق ان اشرنا، هي القضية التي تنتهي عندها العلمية البرهانية وهذا يعني ان البرهان هو عملية اشتقاق ، وان عملية الاشتقاق تشترط ان يتوفر بين المقدمات الاولية والمبرهنة علاقة منطقية ، وهذه العلاقة هي رابطة الالزام المنطقي Logical implication ومن دون توفر هذه الرابطة يستحيل ان يتم البرهان عمله وقد تحددت هذه الرابطة في البداية في المنطق باالشكل الاتي : اذا صدقت المقدمات فمن الضروري ان تصدق النتائج (٩٤) وانتقلت بعد ذلك الى مجال اوسع فلعبت دورا مهما في العلوم بشكل عام وفي هندسة « اقليدس » بشكل خاص . اذ نلحظ في بناء « اقليدس » ان افتراض صدق المقدمات يؤدي بالضرورة الى صدق النتائج المشتقة منها باستدلال منطقي (٩٥) ويعني هذا في جملة ما يعينة ، ان البراهين هي الاسمنت الذي يمسك البناء الهندسي بعضه بالبعض الآخر ، فبالبرهان ترتبط كل مبرهنة بما سبقها من بديهيات وتعريفات ومبرهنات سبق البرهان عليها (٩٦) .

ونصل من كل هذا الى ان المبرهنات الهندسية قضايا نبرهن على صدقها عن طريق صدق البديهيات او المصادرات يتوفر علاقة الالزام المنطقي وتشترط هذه العلاقة ان تتألف كل مقدمة من مقدمات البرهان من موضوع subject ومحمول predicate(٩٧)ويعتمد الالزام المنطقي كذلك على الحد الاوسط(٩٨) .

والذي يكـــون مستغرقـــا في كلتـــا المقدمتين واذا اردنـــا ان نبين ذلك بشكل اوضح ، فمن الضروري ان نرمز لموضوع المقدمة بالرمز « آ » ، ولمحمولها بالرمز « ب » ، ولمحمول المقدمة الثانية بالرمز « ج » فاننا نحصل على الشكل المنطقي التالي مع مايشبهة من تطبيق له في بناء « اقليدس » الهندسي :

المنطق :	هندسة اقليدس :
كل آ هي ب	$\angle A = \angle B$
وكل ب هي حـ	$\angle B = \angle C$
اذن كل آ هي حـ	$\therefore \angle A = \angle C$

نخلص من هذا الى ان البراهين السائـدة في هندسة « اقليدس » « هي » براهين الزاميـة اوقوانين قياسيـــة syllogistic laws (٩٩) ونعني بذلك ان البرهـان الهندسي هو عملية اشتقاق قضايا صادقة عن طريق وضع مقدمات صادقة في بداية النظام ، وان هذه المقدمات صغيت وفق نظام منطقي يتحدد فيها موضوع القضية ومحمولها . وان هناك حدا اوسط مستغرقـــا في مقدمتي البرهان . وان صح التعبير فان الحد الاوسط يمثل قنطرة للأنتقـال من المقدمات الى النتيجة . وعلى هـذا يتحـدد الدور الذي يلعبه هذا الحد في اتمام العملية البرهانية من حيث ان صدق القضايا التي حصلنا عليها يرتبط بصدق المقدمات ويعني هذا بلغة منطقية ان هناك علاقة بين المقدمات والنتيجة المشتقة منهـا وهذه العلاقة هي رابطة الالزام المنطقي وان الالزام المنطقي يبرز لنا حقيقة منطقية لعبت دورا مؤثرا في هندسة « اقليدس » وهذه الحقيقة ترتبط بمعيار الصدق المنطقي والذي يتحدد بالشكل الاتي :— اما من مقدمات صادقة ، فلايمكن الحصول على نتيجة كاذبة (١٠٠) . ويبدو من خلال استقراء محاولة اقليدس الهندسية انه قد ادرك قيمة هذا المعيار المنطقي في بنائه اذ لم يستطيع « اقليدس » حيث لم نستطيع العثور على شيء من ذلك اشتقاق قضايا كاذبة من مقدمات صادقة في برهان صحيح ، وقد استخدم « اقليدس » في هندسته نوعين من البراهين :

آ ــ البرهان المباشر Direct Demonstration

يبدأ هذا البرهان بالبديهيات او المصادرات ثم ينتهي عندما هو مطلوب اثباته ،اي ان المبرهنة المطروحة امام هذا البرهان تعتمد على ماسبقها من بديهيات ومصادرات او مبرهنات سبق البرهان عليها(١٠١). وقد اشرنا سابقا الى ان هذا البرهان يتميز بجملة من الشروط منها تثبيت قضايا صادقة في بداية النظام وتوفرعلاقة الالزام المنطقي .. ونجد هذا البرهان سائدافي اغلب براهين «اقليدس» (١٠٢) وقد استخدم اقليدس في هذا البرهان قوانين العكس كما هو المحال عند ارسطو ونقصد بهذا عملية رد المبرهنات الى البديهيات او الى المصادرات .

ب ــ البرهان غير المباشر Indirect Demonstration او برهان الخلف Reductio ad absurdum كما اطلق عليه اكثر من باحث . (١٠٣) وهي طريقة تثبت صحة المبرهنة باثبات ان عكسها باطل وهي تبدأ من فرض خاطيء، نستخلص منه نتائج خطؤها كخطئه (١٠٤). وقد برز دور هذا البرهان عندما عجز البرهان المباشر في الوصول الى الحل (١٠٥) لذلك استعان اقليدس بهذا البرهان المنطقي ومن اللازم ان نذكر بان هذا البرهان قد لعب دورا مهما في الكشف عن طبيعة المقدمات الأولية لان هذا البرهان يكشف عن حقيقة مهمة وهذه الحقيقة تتمثل في ان صدق المقدمات يقود الى نتائج صادقة، بينما كذب المقدمات يؤدي الى نتائج تتناقض مع تؤكده المقدمات . وان هذا البرهان بالاضافة الى ماسبق يتميز باختيار مقدمات ماللموضوع قيدالبحث ينشد بعد ذلك البرهنة على ما هو مطلوب اثباته، واذا انتهت العملية البرهانية الى نتائج متناقضة فمن اللازم التأكيدعلى ان العكس هو الصحيح اذ ان النتيجة المتناقضة تضعنا امام الاحتمال الذي يذهب الى ان بعض خطوات او فروض البرهان كاذبة ولذلك فان هذا البرهان يرتبط بمبدأ عدم التناقض المنطقي (١٠٦).

وان «اقليدس» استخدم هذا البرهان في نظامه الهندسي (١٠٧) وطبقه بالفعل على عده مبرهنات ومن هذه المبرهنات على سبيل المثال وليس الحصر

المبرهنة السابعة والعشرون والتي تنص على انه : «اذا قطع مستقيم مستقيمين واحدث معهما زاويتين متبادلتين متساويتين ، كان المستقيمان متوازيين. (١٠٨)

وخلاصة الحل لهذه المبرهنة يتحدد بان «اقليدس» افترض عكس ماهو مطلوب اى ان المستقيمين يتلاقيان ومن التلاقي تكون لدى اقليدس مثلث وعلى هذا الاساس تصبح الزاوية الخارجية اكبر من الزاوية الداخلية التي افترض انها تساويها ويعني هذا ان افتراض التلاقي اوصل «اقليدس» إلى تناقض انتهى من ذلك إلى ان العكس هو الصحيح ، اى ان التوازى هو الصحيح (١٠٩) ويدل هذا دلالة واضحة على ان هذا البرهان يعتمد على قوانين نفي النقيض كما هو الحال عند ارسطو ، فطرح الفرضية الخاطئة يقودنا إلى نتيجة خاطئة وان نفي هذه النتيجة يؤكد لنا صدق المبرهنة .

ننتهي في ضوء ماسبق إلى ان «اقليدس» قد ادرك الامور المنطقية الاتية : –

آ – مبدأ الاتساق المنطقي وهو المبدأ الذي يؤكد على ان صدق المقدمة يتحدد عن طريق اتساقها مع المقدمات الاخرى (١١٠).

ب – ان كذب القضية يتحدد في عدم اتساقها مع القضايا الاخرى في النظام الذي تنتمي اليه (١١١) .

ج – قيمة الالزام المنطقي بين المقدمات والنتائج ويبرز هذا الالزام متانة البرهان الهندسي من حيث ان هذه المتانة تتحدد بان صدق المقدمات يقود بالضرورة إلى نتائج صادقة (١١٢).

الخلاصة : –

١٠ – استهدفت هذه الدراسة ابراز محاولة «اقليدس» التي طرحت اول بناء استدلالي غير مفتقر للواقع الحسي وابرزت ايضا من خلال تحليل البناء الهندسي وتحديد مقدماته الاولية والشروط التي تستوفيها كل مقدمة اولية ، وكذلك من خلال تمييز «اقليدس» بين مكونات بنائه إلى فروض (بديهيات ومصادرات) ومبرهنات إلى ان هنالك علامات تشابه بين البرهان الارسطي والطريقة الرياضية التي اعتمدها «اقليدس» (١٣٣) وكشفت كذلك الى ان «كتاب الاصول لاقليدس ظل محتفظاً بتلك الروح الواضحة في المنطق الارسطي (١١٤).

ولعل ابرز ماشارت اليه هذه الدراسة انها كشفت عن الطريقة البديهية Axiomatic method المستخدمة في هندسة«اقليدس»تلك الطريقة التي استعارتها من المنطق والتي تقوم على تثبيت مجموعة من البديهيات في البداية باعتبارها قضايا اولية تامة وبينة بذاتها تشتق منها قضايا اخرى .وان «اقليدس» قد طبق ذلك فثبت مجموعة من البديهيات والمصادرت ثم استعان بالاستدلال للحصول على قضايا جديدة من القضايا الموضوعة كما هو الحال عند«ارسطو»(١١٥)

ويعني هذا في راي الرياضيين المحدثين ، اول عمل خضعت فيه قضايا الهندسة لنظام منطقي Logical System (١١٦) وهذا يدل ايضا على ان الهندسة كما وضعها«اقليدس»ليست مجرد حشد للحقائق ولكنها نظام منطقي تسود فيه التعريفات والبديهيات والمصادرات والمبرهنات وان هذه الابنية لم ترد بشكل عشوائي بلا ترتيب بل انها بترتيب رائع فكل مبرهنة وضعت بحيث تعتمد على ماسبقها من بديهيات ومصادرات او مبرهنات سبق البرهان عليها وان ميزة هذه الهندسة هو النظام المنطقي الذي ينتظمها (١١٧).

هوامش البحث :—

١ – هو أحد علماء الرياضيات في مدرسة الاسكندرية ولا تذكر المصادر التأريخية سواء كانت تأريخية ام التي اهتمت بالرياضيات شيئاً عن ولادته او وفاته ، بل كل ماتذكر أن اسمه يرتبط بكتاب " الاصول Elements " وانه علم في الاسكندرية ولبعض الأسباب تذهب المصادر إلى انه درس في أثينا " وتذهب اغلب المصادر إلى أن " اقليدس" لم يكن واضعاً ومبتكراً لتلك المبادىء الهندسية في كتاب " الاصول " وتشير إلى أن أهميته تكمن في انه اعاد تنظيم وكتابة هذه المبادىء سنة ٣٠٠ ق. م. تلك المبادىء التي كانت سائدة في عصره في حين تذهب مصادر أخرى إلى أن عمل " اقليدس " لا ينحصر عند ترتيب واعادة تنظيم القضايا الهندسية في عصره بل ابتكر واضاف قضايا اخرى إلى القضايا الهندسية السابقة . وترى مصادر اخرى ان كتاب " الاصول " يتألف من ثلاثة عشر جزءاً وان المطالع لهذه الأجزاء يستنتج بان كتابة هذه الأجزاء قد اتمها أكثر من مؤلف واحد . وتعالج هذه الأجزاء موضوعات متعددة فالكتاب الاول يحتوي على ثلاثة وعشرين تعريفاً . وخمس بديهيات وخمس مصادرات ويبحث الكتاب الثاني في الجبر الهندسي ويدور الكتاب الثالث حول الدوائر والكتاب الرابع حول المضلعات ويبحث الكتاب الخامس نظرية عامة في النسبة بين المقادير ، ويهتم الكتاب السادس بتطبيق نظرية على الأشكال الهندسية ، ويعالج الكتاب (٧ ، ٨ ، ٩) الحساب وخواص الأعداد ويهتم الكتاب العاشر بالخطوط اللا نسبية والجذور الصماء ،ويعالج الكتاب الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر الهندسة المجسمة .

See : A -Meschkowski .H., Evolution of Mathematical thought., Holden-Day , Inc : London , 1965 , p. 5.

B- Heath. T. L., A history of Greek Mathematics., Oxford ., 1921, 1., PP. 354 - 357 .

C - Caurruccio . E., Mathematics and logic in history and in contemporary thought., London, 1964 , P. 80

D - Smith. D. E., History of Mathematics., New York, 1951 ., PP. 103-106

٢ – فيلسوف يوناني وعالم في المنطق وباحث في مختلف الحقول العلمية ولد في " اسطاغيرا " سنة ٣٨٤ ق.م. وكان احد اعضاء اكاديمية " افلاطون " في الفترة بين ٣٦٧/٦٦– ٣٤٨/٤٧ ، قام بعد موت " افلاطون " برحلات عديدة منها إلى " اسوس " وإلى

" ليسبوس" في الفترة بين ٣٤٨/٤٧- ٣٤٣/٤٢ ، وكان في الفترة بين ٣٤٤/٤٣-
٣٣٦/٣٥ ، استاداً للاسكندر . غادر إلى "أثينا" سنة ٣٣٥/٣٤ ، واسس مدرسة جديدة ،
اصبحت تعرف فيما بعد " اللوقيـون " او " بريباتوس " وتعني المشى غادر " اثينا"
بعد موت الاسكندر سنة ٣٢٣ إلى " شالس" ومات بعد سنة من ذلك أي سنة ٣٢٢/٢١
وله عدة مؤلفات منها : المقولات ، التحليلا ت الاولى ، التحليلا ت الثانية ، الطبيعة
وما بعد الطبيعة ، الأخلا ق النقوماخية ...

See., A- Ross. W. D., Aristotle ., London, 1946. PP. 1–4 .
B- Bochenski . M., Ancient Formal logic., Amsterdam ., 1968 . P. 20,

3 – Aristotle., Analyt ica posteriora ., In the works of Aristotle (Trans. in to English ,Oxford , 1950)., 90b18 .

4 – Aristotle., Topica., In the Works of Aristotle., lolb 21-22 ,

5 – Aristotle., Aalytica posteriora ., 87b 36 - 37, 76b37 - 38,

6 – Aristotle ., Topica ., 1o3 b13 - 16 ,

7 – Aristotle., Analytica poseriora ., 86a 1-2 ,

8 – Aristotle ., Topica ., 154 a 26 - 30 .

9 – Ibid ., 141 a28 - 29 .

10– Robinson. R., Definition., oxford , 1962 . P. 153 .

11– Traski . A., Introduction to Logic ., Trans . O. Helmer , New York 1956 ., P. 188 .

12 – Apostle H.C., Aristole' philosophy of Mathematics., chicago,1959 P. 92.

13– Aristotle ., Analytica posteriora ., 86 a 12-

14– Barker ., S.F., philosohy of Mathematics ., ohio., 1965, P. 24.

15– Aristotle ., Topica'., 148b33 -38 .

16– Ibid ., IoI bi9 -22, 139bI0 - 14.

17– Ibid ., 139bI5 -18 , 139 b33 - 36

18– see Aristotle : A- Topica ., 155a 20
B– Ibid ., 143a 19 - 22
C– De Anima ., In the Works of Aristotle., 4I4b28 -30.

19– Aristotle ., Topica ., 14Ib15 - 20.

20- Blanche . R., Axiomatics., London , 1962 , P. 8,

21- Aristotle Analytica priora., In the Works of Aristotle., 24a10 -11.

22- Ibid., 24b1 .

23- Nidditch., P. H. The Development of Mathematical logic., London, 1974, P. 6,

24- Aristotle., OP. Cit., 24a16 -18 .

25- Ibid ., 24b17.

ومن الأمثلة على المقدمات الموجبة : كل عراقي اسيوي .
ومن الأمثلة على المقدمات السالبة : لا واحد من العراقيين افريقي .

27- Ibid ., 24b17 .

ومن الأمثلة التي تكشف لنا النتيجة : كل انسان فان (مقدمة اولى)
سقراط انسان (مقدمة ثانية)
سقراط فان (النتيجة)

٢٦ - " الموضوع " هو الشيء الذي تحمل عليه الصفات اما " المحمول " فيمثل مجموعة الصفات التي تحمل على الشيء : مثال ذلك : " سقراط انسان " فالموضوع هو "سقراط " والمحمول هو " انسان".

٢٨ - انظر محمد جلوب فرحان : تحليل ارسطو للعلم البرهاني ،رسالة ماجستير (غير منشورة) ص ٢٠١ .

29- Aristotle ., op. Cit., 24b25 - 26 .

30- Ibid .,

31- Bird . O., Syllogistic and Its Extensions., New Jersey , 1964. P. 27.

32- Lukasiewicz . J., Aristotles syllogistic., oxford, 1958, P. 43.

33- Bochenski . M., OP. Cit ., P. 45,

ويتحدد هذا الضرب بان كلتا المقدمتين فيه كليتان موجبتان وبالتالي يستلزم هذا الضرب نتيجة كلية موجبة ،مثال ذلك.

كل ب هو آ
وكل جـ هو ب
____
كل جـ هو آ

انظر : ياسين خليل : نظرية ارسطو المنطقية ، بغداد ، ١٩٦٤ ، ص ١٠١

٣٤ - ويتحدد هذا الضرب بان تكون المقدمة الاولى كلية سالبة والمقدمة الثانية كلية موجبة، ويستلزم هذا الضرب أن تكون النتيجة كلية سالبة وبالضرورة مثال ذلك :-

لا واحد من ب هو آ

وكل ج هو ب

لا واحد من ج هو آ

انظر : المصدر السابق ص ١٠١

٣٥ - ويتحدد هذا الضرب بان تكون المقدمة الاولى فيه كلية سالبة والمقدمة الثانية جزئية موجبة، فالنتيجة تكون بالضرورة جزئية سالبة مثال ذلك :-

إذا لا واحد من ب هو آ

وبعض ج هو ب

فان بعض ح ليس آ

انظر المصدر السابق ص ١٠٣

٣٦ - يتحدد هذا الضرب بان تكون فيه المقدمة الاولى كلية موجبة والمقدمة الثانية جزئية موجبة فالنتيجة تكون جزئية موجبة مثال ذلك :-

إذا كل ب هو آ

و بعض ح هو ب

فان بعض ج هو آ

انظر المصدر السابق ص ١٠٢

37- Bochenski . M., OP. Cit ., P. 46 .

38- carruccio. E , OP. Cit ., P. 69

٣٩ - ياسين خليل ، نظرية ارسطو المنطقية ، ص ٢٨.

40- Ross. W. D., OP Cit ., P. 43.

41- Strawson.P.E.,Introduction to logical theory.,London,1964, P.161

٤٢ - ياسين خليل : المصدر السابق، ص ١١٩ .

١ - نعني بالعكس ان نجعل (المحمول) من القضيـة (موضوعهـا) و (الموضوع) (محمولا) مع حفظ الكيفية وبقاء الصدق بحاله . وتنعكس الكلية الموجبة (حيث أن الرمز A يشير

الى الكلي الموجب) الى الجزئية الموجبة (حيث ان الرمز I يشير الى الجزئي الموجب) و (ان الرمز ← يعني الزام القضية الثانية من القضية الاولى بالضرورة) مثال على ذلك . « كل انسان حيوان » تنعكس الى ان « بعض الحيوان انسان » .

٢ – تنعكس القضية الكلية السالبة (حيث ان الرمز E يشير الى الكلية السالب) الى كلية سالبة بالضرورة مثال ذلك :

« لا واحد من العراقيين افريقي » تنعكس الى « لا واحد من الافريقيين عراقي » .

٣ – تنعكس الجزئية الموجبة الى جزئية موجبة مثال ذلك :

« بعض العرب افريقيون » تنعكس الى « بعض الافريقيين عرب »

43– see . A– Aristotle ., OP. Cit., 29a34- 35 .

B– strawson .P. E., OP., Cit., 162 - 163 .

٤٤ – ياسين خليل : المصدر السابق، ص١١٩ .

١ – ونعني بنفي النقيض محاولة نفي الكم مع الحفاظ على مواقع الموضوع والمحمول بشكل ثابت . وان نفي القضية الجزئية الموجبة (الرمز ⁓ يشير الى النفي) يؤدي الى قضية كلية سالبة ، ومثال ذلك :

« بعض الناس حجر » نفي هذه القضية يؤدي الى « لا واحد من الناس حجر » .

٢ – ان نفي القضية الجزئية السالبة يؤدي الى قضية كلية موجبة مثال ذلك :

« ليس بعض الناس بحيوان » نفي هذه القضية (النقيضة) يؤدي الى « كل انسان حيوان » .

45– Aristotle ., op. Cit., 45b7 -10.

46– Ibid ., 53 b14 - 15.

47– See : A- Kline .M., Mathematics in western culture ., Oxford, 1964 P. 42 .

B– smith. D.E., OP. Cit., I., P. 106 .

48– Euclid., Elements, In "The great Books ,13 Books, Trans. by L. T. Heath., Chicago 1952, Book. 1. P. 1.

49– Ibid.,

50– Ibid., P. 25

51– Ibid ., P. 2.

52– See :A carrcuccio . E., OP .Cit ., P. 81.

B– Meschkowski .H., Noneuclidean Geometry., Amsterdam 1971 , P. 5.

53– See– A: Meschkowski .H. ,OP. Cit ., p.6.

ب — ج. بوليا، البحث عن الحل، ترجمة سليم سعيدان، ص ١٢٤ – ١٢٥.

C– Meschkowski H. ways of thought of great mathematicians Amsterdam, 1964, P. 43.

54– Kline . M., OP. Cit .,P. 42 .

55– See: A Heath. T. L., OP. Cit .,I., P. 371.

B– Meschkowski. H., Noneuclidean Geometry '., PP. 5-6.

56-- B– See: A- stoll .R., Sets, logic and Axiomatice theories, California, 1964, P. 138 .

B- kline .M., OP. Cit ., P. 42 .

57– See: A-Burtt . E. A., Metaphysical Founditions of Modern Physical science., London, 1964. P. 31.

B– Meschkowski .H., ways of thought of great Mathematicians., P. 43.

٥٨ – محمد جلوب فرحان : المصدر السابق ص ٧٣ .

59– Randall. T., A., Aristotle .,New York , 1965. P. 33.

60– Kline .M., OP. Cit., P. 44, P. 45.

61– See: A- Kneale .W. and M., The Development of logic ., Oxford, 1971, PP. 3-4.

Mesckowski .H., Noneuclidean Geometry., P. 4.

ونعني بالصورى ان ليس لقضايا البرهان علاقة بالوقائع الحسية .

62– kline.M., OP. Cit., P. 43 .

63– strawson., op. Cit ., PP. 60- 61 .

64– Read .c. Logic deductive and inductive., London 1898, P. 62.

65– Reichenbach .H., philosophic Foundations of quantum machanics., London, 1965 , p. 15.

66– Kline. M., OP. Cit., P. 43.

67– See Euclid ., OP. Cit ., Book. 1, PP. 6 – 7.

ويتحدد هذا البرهان بالكشف عن صدق البديهيات عن طريق مبرهنات سبق ان اقام البرهان عليها .

68– See: A– Aristotle ., Analytica posteriora., 71b 20 - 22.

B– carruccio. E., OP. Cit ., PP. 70 - 71

69– See: A- strawson. P. E. OP. Cit ., PP. 60 - 61.

B– Meschkowski. H., OP. Cit ., P. 4.

70– See : A--Kline . M., OP. Cit -, 34

طرحنا امام بديهيات اقليدس الشروط المنطقية التي طرحها ارسطو امام القضايا الاولية البرهان .

ب – جون كيمني : الفيلسوف والعلم ، ترجمة د. امين الشريف ، بيروت ١٩٦٥ ، ص٤٦.

71– Meschkowski . H., ways of thought of great mathematicians., P.44.

72– See : Euclid., OP Cit ., Book . 1, P. 6

73– Meschkowski .H., OP. Cit., P. 44.

74– Euclid ., OP. Cit Book. I, P. 12.

٧٥ – ياسين خليل ، منطق البحث العلمي ، بيروت ١٩٧٤ ، ص ٢٤٠.

76– See Meschkowski . H., Noneuclidean Geometry. P. 4.

77– Euclid ., OP .Cit., Book . I, P. 6.

78– Ibid.,

79– See Heath. T. L., OP. cit., I. P. 374.

80– Meschkowski .H., OP. Cit ., P. 6.

81– Kline ., OP. Cit. P. 43.

82– See– A- Newsom . C. V., Mathematical discourses. London , 1964, P. 24.

B– Heath .T. L., OP. Cit ., I., P. 345.

C– Coolidige . J., A history of Geometrical Methods, New York, 1940, P. 29.

٨٣ – انظر جون كيمني ، المصدر السابق ص ٤٦ .

84– Euclid., OP. Cit., Book. I, P. 5.

85– See Heath . T. L., OP. Cit. I. P. 336 .

٨٦ – انظر ياسين خليل ، الطريقة البديهية في المنطق والرياضيات والفيزياء النظرية بحث منشور في مجلة الرياضيات والفيزياء ، العدد ٣ ، تموز ١٩٧٥ ، ص ١٥ .

87– See: A– Meschkowski ., H., Evolution of of Mathematical thought., P. 6.,
B– Carruccio. E., OP. Cit ., P. 83.

88– See: A– stoll. R., OP. Cit , P. 138.
B– Meschkowski. H., ways of thouhgt of great Mathematicians P. 44.

89– Enclid, OP. Cit., Book I. P. 7.

90– Ibid., P. 13 .

91– Ibid., P. 21.

٩٢ – انظر ياسين خليل : منطق البحث العلمي، ص ٢٤٠ .

93– See: A -Meschkowski. H., Noneuclidean Geometry., P. 4.
B– Nowsom., OP. Cit ., P. 18 .

94– Aristotle., Analytica posteriora., 72931 - 32.

٩٥ – ياسين خليل : المصدر السابق، ص ٢٤١ .

٩٦ – ج. بوليا : المصدر السابق، ص ١٨٠ .

٩٧ – يتحدد المقصود بالموضوع والمحمول في المثال القائل :
« الكل اكبر من الجزء » تتألف هذه القضية من موضوع هو « الكل » وهو الشيء الذي تحمل عليه الصفات ، والمحمول وهو « اكبر من الجزء » وهو الصفة التي تحمل عليه .

٩٨ – وهو الحد الذي يظهر في كلتا المقدمتين ، فنجد في المثال المذكور ان الرمز ب هو الحد الاوسط والذي ظهر محمولا في المقدمة الاولى وموضوعاً في المقدمة الثانية وان الالزام المنطقي يعتمد على هذا الحد في الانتقال من المقدمات الى النتائج .

99– See Kline .M., OP. Cit., P. 54.

100– Aristotle., Analytica priora., 53b8 .

١٠١ – ج. بوليا : المصدر السابق، ص ١٥٠ .

102– See : A Euclid., OP . Cit., I., P. 17.
B– Sanford. V., A short history of Mathematics., U. S. A. 1958, P.69

103– See: A- Heath. T. L., OP. Cit., I., P. 372.
B– Sanford . V., OP. Cit., P. 270.

١٠٤ – انظر ج. بوليا : المصدر السابق ص ١٦٠ .

١٠٥ – المصدر السابق ص ١٦١ .

106- See Kline. M., OP. Cit., P. 54 .

107- Heath. T.L. OP. Cit.I. P. 372 .

108- Euclid., OP. Cit., I., PP. 17-18 .

109- I bid.,

110- Heyting .A. Logic and Foundations of Mathematics., printed in the Netherlands . 1968, PP. 191- 192.

111- Meschkowski. H., Noneuclidean Geometry., P. 4.

112- See: A- Smith. D. E., OP. Cit., I., P. 16 .

B- Meschkowski. H. ,OP. Cit., P. 7

113- Boyer. C.B., The history of the calculas and Its conceptual devlopment., Dover Publications, Inc., 1959 ., P. 1,

114- Burtt .E.A., OP. Cit., P. 31.

وفي الامكان ان نزيد على ذلك فنشير إلى ان اهمية اقليدس تكمن في انه طرح في هندسة تمارين منطقية Logical exercises ونماذج للاستدلال "Model of reasoning

Kline .M., OP., Cit., P. 55.

ويكشف كتاب الاصول بالاضافة إلى ذلك محاولة اقليدس لبناء الهندسة على اسس منطقية "Logical basis.

Sanford. V., OP., Cit., P. 268 .

وان البراهين السائدة في الاصول تتصف بالمتانة اوالصرامة المنطقية Logical rigor

See: A- Meschkowski .H., Evolution of Mathematical thought ., P. 107.

B- Smith. D.E., OP. Cit., I., P. 106.

ونستطيع القول بان جميع البراهين التي ضمنها اقليدس كتابة مبنية بالطبع على مبادى أساسية متفق عليها وكانت استنتاجاته صحيحة ماظلت المبادى متفقاً عليها ، اما اذا كانت بعض المبادى التي استخدمها في مناقشاته غير متفق عليها اضطربت بالتالي بعض الاستنتاجات .

الفريد هوبر : رواد الرياضيات ، ترجمة لبيب جورجي القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٧٥ .

115– See : A- Heyting .A., OP. Cit PP. 191- 192 .

B- Meschkowski. H., Ways of thought of great mathematicians. P. 44.

116– Meschowski. H., Noneuclidean Geometry ., P. 7.

١١٧ – ج. بوليا: المصدر السابق ص ١٧٩

تغلب ... ودورها في التاريخ

الدكتورة رمزية الاطرقجي
كلية الآداب/جامعة بغداد

اصلها :

كانت تغلب من قبائل ربيعة ذات الشأن في الجاهلية بحيث آل اليها لواؤها فوليه منهم وائل بن ربيعة وهو كليب ، وتعد قبيلة تغلب من القبائل الحربية التي لايهدأ لها بال، الا بالقتال والغزوات ، فقد اشتبكت بالقتال مع كثير من القبائل وخاضت مع بكر عدة حروب كما ظهر فيها خلق كثير من العمال والشعراء والفرسان(١)وتغلب من القبائل التي يحشرها اهل الاخبار في جملة(العرب المتصرة)مثل غسان وتنوخ ولخم وجذام وسليخ(٢)

وهي حي من وائل ، من ربيعة ، من عدنان ، ووائل بن قاسط بن هنب بن افصى بن دعمي بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن (٣) عدنان كان لوائل من الولد بكر بن وائل . وتغلب بن وائل،وعنز ، والشنحيص دخل في بني تغلب ، والحارث دخل في تيم الله بن ثعلبة (٤).

وتغلب وبكر اعظم قبائل ربيعة شأناً في بلاد العرب ، وابناء بكر بن حبيب سته وتسمى بالارقام (٥)،اما ابناء تغلب فهم عمران والاوس وغنم،والعرب يعدون الاوس من أشأم الاحياء،بسبب رجل منهم وقعت حرب البسوس . (٦)

وقيل تغلب اسم لجده جاهلية ينسب اليها التغالبة ، وربما قالوا تغلب بنت وائل بالتأنيث ذهاباً إلى القبيلة ، قال الفرزدق (٧).

---

(١) الهمداني : عجالة المبتدي ، وفضالة المنتهي في النسب ص ٣١

(٢) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب ج٦ ص٢١٦

(٣) القلقشندي : نهاية الارب ص١٨٦ طبعة القاهرة ١٩٥٩ ، وابن حزم جمهرة انساب العرب ص٢٨٦ وابن عبد ربه والعقد الفريد ج٣ ص ٣٥٩ ، جرجي زيدان التمدن الاسلامي ج٣ ص١٣

(٤) القلقشندي : ص ٤٤٦ ، العقد الفريد ج٢ ص ٤٥

(٥) وهم جشم ، مالك ، عمرو ، ثعلبه ، الحارث ، ومعاوية سموا بالارقام لان عيونهم شبهت بعيون الارقام وهي نوع من الحيات (ابن دريد ، الاشتقاق ، ص ٣٣٦ ، والازدي تاريخ الموصل . واحمد عطية الله ، القاموس الاسلامي المجلد الاول ص ٤٨ ومنهم الشاعر الاخطل

(٦) كحالة : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ص ٤٨ ، ٥٣٥

(٧) القلقشندي ، نهاية الارب ص ١٨٦ ، الدينوري ، الاخبار الطوال ص ٥٥

م / ١٠ / أ

لولا فوارس تغلب بنه وائل ورد العدو عليك كل مكان
ويقول الاخنس بن شهاب :
فوارسها من تغلب إبنـه وائل حماة كماة ليس فيهم اشايب (١)

فالشعر القديم يجعل تغلب ابنة وائل لا ابنه ، فتغلب اذن ابن وائل بن قاسط او بنت وائل بن قاسط .

وان جد هذه القبيلة اسمه وتار(٢) وان اباه تمنى له ان يغلب فلحق به هذا الاسم وكانت تغلب تسمى (الغلباء ، والنسبة اليها الغلباوي (٣)) وهو نعت يدل على فخر القبيلة بنفسها وعن تباهيها على غيرها من القبائل .

ويجب عدم الخلط بين تغلب وائل وتغلب بن حلوان بن عمران الحافي بن قضاعة والتي تسمى تغلب العلياء ، ومن اعقابها قبائل اسد والنمر وكلب (٤) والبرك والثعلب .

وكان من تغلب في الاسلام ثلاث بيوتات آل عمر بن الخطاب العدوي ، وآل هارون المغمر ، وال حمدان بن حمدون(٥)بن الحرث بن لقمان بن اسد وبنو حمدان حسب اغلب الروايات وارجحها — بطن من بني تغلب(٦)بن وائل وشذ عن هذا الراى الهمداني فاعتبر بني حمدان ، موالي لبني تغلب (٧) ، غير اننا نجد الحمدانيين شديدي الفخر بنسبهم إلى تغلب بن وائل ، والذي يقرا شعر ابي فراس الحمداني يجده يغالي في التغني بامجاد تغلب . ومكانتها في الجاهلية والاسلام ، ويؤكد السامر (٨) نسب الحمدانيين إلى قبيلة تغلب

(١) شيخو : شعراء النصرانية قبل الاسلام ص ١٨٦ الطبعة الثانية
(٢) ابن حزم : جمهرة الانساب ص ٢٨٥
(٣) القلقشندي : نهاية الارب ص ١٨٦
(٤) ابن حزم : جمهرة انساب العرب ص ٤٢٢
(٥) ابن خلدون العبر جـ٤ ص ٢٢٧ ، والازدي : تاريخ الموصل ص ٣٢٦
(٦) القلقشندي : نهاية الارب جـ١ ص ٣٣٨
(٧) الهمداني صفه جزيرة العرب ص ١٣٣ ، والسامر ، الدولة الحمدانية جـ ١ ص ١٧٥
(٨) السامر الدولة الحمدانية في الموصل وحلب : جـ١ ص ٣٩

وتسمية انفسهم باسمها ، اذ نجد اثنين من افراد هذه الاسرة يسميان بتغلب هما ابو وائل تغلب بن داود بن حمدان ، وابو تغلب ابن ناصر الدولة.

موطنها : اما مساكن ربيعة بالجزيرة العربية فهي على وجه التحديد في مهبط الجبل من غمرة ذى كندة وبطن ذات عرق وما حولها من بلاد نجد إلى الغور من تهامة (تهامة الحجاز وتهامة اليمن) كما اننا نستطيع من وقائع حرب البسوس ان نحدد منازل بكر وتغلب قبل وصولها إلى ديار ربيعة ، وهي ارض يحدها من الجنوب البحرين وجبال العارض ويحدها من الشمال خط العرض. الذي انشيئت عليه مدينة البصرة فيما بعد (١) فمثلا «النهى» (٢) وهي احدى مواقع حرب البسوس تقع بين البحرين واليمامة ، وكباث (٣) وتقع بالجزيرة كانت تقام بها سوق في الجاهلية وهي لبني تغلب وقد غزاه المسلمون في اول ايام عمر وامارة المثنى بن الحارثة على العراق ، وبعد ان ضاقت مواطن ربيعة الاصليه في شبة جزيرة العرب لاسباب كثيرة ومنها حرب البسوس وما تبعها من حروب ثار ثائرها بعد مقتل كليب انقسمت قبيلة ربيعة إلى قسمين عظيمين ذهبوا إلى انحاء الجزيرة ، واحتل بنو بكر شمالها وهبط بنو تغلب جنوبها ومن الاسباب التي دعت إلى هجرتهم ايضا ، العصبية القبلية ، وزيادة السكان مع شحة بالموارد والارزاق يقول السامر (٤) اخذت هذه القبائل توطد اقدامها شيئاً فشيئاً على المجرى الادنى لنهر الفرات في ديار ربيعة وسميت بديار ربيعة بعد ان سكنتها قبائل ربيعية ، ويقول سليمان صائغ ربما جمعت ديار بكر وديار ربيعة وسميت كلها ربيعة (٥) .

وان هجرة بكر وتغلب كانت ايام ذى نواس حوالي ٣٨٠ م (٦) واستغرقت

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية : مادة تغلب ج ٥ ص ٣٢٤

(٢) صفي الدين البغدادي : مراصد الاطلاع ج٣ ص ١٤٠٩

(٣) ياقوت : معجم البلدان ج٤ ص ٢٣٢ ، وفي دائرة المعارف ، مادة تغلب ، كباث تقع شمال الانبار

(٤) السامر : الدولة الحمدانية في الموصل وحلب ج١ ص ١٦٨– ١٦٩

(٥) سليمان صايغ : نصارى العرب في التاريخ ص ٥٢

(٦) دائرة المعارف : مادة تغلب ج٥ ص٣٢٤

هجرتهم إلى الجزيرة قروناً ، ولم تنته الا في العهد الاسلامي وكانت تغلب حتى القرن السادس الميلادى ، ماتزال شاغلة بعض اجزاء من البقاع في مواطنها الاصلية والتي ذكرتها آنفاً (١) .

وفي بداية القرن الاول الهجري (السابع الميلادى) كانت منازل تغلب وسط الجزيرة بين قرقيسيا (٢) وسنجار ونصيبين والموصل شمالا وعانة وتكريت جنوباً (٣) وقيل انتشرت بطون تغلب في الثرثار بين سنجار وتكريت (٤) وكان هذا الاقليم يقرب ان يكون شبه جزيرة ، اذ يحده نهر الخابور ودجلة والفرات (٥) وعاشت جماعة من تغلب في مضارب على الضفة اليمنى لنهر الفرات عند منبج والرصافة ، وصعدوا فيما بعد إلى جوار قنسرين ودمشق ، وفي الجنوب حتى عين النمر وجبل (لاهة) وعبرت جماعة اخرى في الوقت نفسه دجلة إلى اذربيجان (٦) وان سابور ذى الاكتاف اسكن من بني تغلب وعبد القيس وبكر بن وائل كرمان وتوج والاهواز (٧) (وقيل اسكنهم بلاد السوس) .

ونزلت جماعة من بني تغلب اطراف الموصل ، ثم انتقلت اليها وسكنوا فيها ومحلتهم اليوم تعرف بمحلة التغالبة وتسمى ايضا محلة البارودجية بجوار

---

(١) أحمد عطيه الله : القاموس الاسلامي : المجلد الأول ص ٤٨٠

(٢) الهمداني : صفةجزيرة العرب ص ١٣٣ ويقول ان رحبه مالك بن طوق وقرقيسيا ثراة بني تغلب وهي ديار عبيد بن تغلب ، وقرقيسيا مدينة على الخابور « ابن حوقل صورة الأرض ، ص ٢٠٤

(٣) دائرة المعارف ١ مادة تغلب

(٤) البلاذري : فتوح البلدان ج ١ ص ٢١.٩

(٥) ابن الأثير : الكامل ج٤ ص ٣١٠ ،شعر الأخطل ص ٣٦٣ ، رواية ابي عبدالله محمد بن العباس

(٦) دائرة المعارف : مادة تغلب ،وشعر الأخطل ص ٣٠٨ ، روايات أخرى تذكر انهم هاجروا إلى أذربيجان والشام ، والبحرين بعد اسلامهم ،ومن احتفظ بمسيحته هاجر بعضهم إلى بلاد الروم ، احمد عطيه الله : القاموس الاسلامي المجلد الأول ص٤٨٠

(٧) الازدي تأريخ الموصل ص ٣٨١ والمسعودي مروج ص ٢٨٤ .

باب الحديد في جنوب الموصل (١) كما نزحت قبائل بعد الفتح الاسلامي مع تغلب قبائل اخرى مثل الازد والخزرج وتميم وتغلب وشيبان وسلى(٢) يقول البلاذري: « لما فتحت الموصل اختطها هرثمة بن عرفجة البارقي واسكنها قوما من العرب تغلب واياد والنمر ، حيث اتت الموصل مع القائد ربعي بن الافكل (٣) ويروى اهل الاخبار ان اول من نزل بطون تغلب في الجزيرة الفراتية هو « علقمة بن سيف بن شرحبيل بن مالك بن سعد بن جشم بن بكر وقد قاتل اهل الجزيرة حتى غلبهم وانزل قومه بها ويؤيد هذا الرأي ماجاء في معلقة عمرو بن كلثوم (٤)

ورثنا مجد علقمة بن سيف اباح لنا حصون المجد دينا

كما زحفت قبائل ربيعية إلى البحرين وهجر ، وكان بالبحرين بنو عقيل بن عامر بن صعصعة وبنو سليم ، واجتمعت بنو عقيل، وبنو تغلب على بني سليم واخرجوهم من البحرين (٥) ويذكر محمد ابو الفضل ابراهيم (٦) ان من كان بالبحرين من قبائل ربيعة (بكر وتغلب) وفدوا على الرسول (ص) واسلموا وامر عليهم الرسول المنذر بن ساوى . ومن قبيلة تغلب من سكنى الكوفة ويذكر ابن الاثير (٧) ان سبب مجيئهم للكوفة فيقول : (ولما ارسل سعد بن ابي وقاص وفدا إلى عمر بن الخطاب يعلموه بالفتوحات التي تمت كان مع الوفد جماعة من بني تغلب ليعاقدوا عمر على قومهم فقال لهم: « اعاقدهم على ان من اسلم منكم كان له ماللمسلمين وعليه ماعليهم فهاجر هؤلاء التغلبيون ومن اطاعهم من النمر واياد إلى سعد بالمدائن ، ثم نزلوا معه بعد الكوفة ويؤيد ذلك الاصفهاني بوجود قبائل

---

(١) سليمان صائغ : ص ٥٢ وقدم للموصل قبائل أخرى وهي فروع من تغلب منهم قبيلة ابو نجمة ، والخواتنة ، والشهوان ، المصدر السابق ص ٥٢ - ٥٣

(٢) السامر : الدولة الحمدانية في الموصل وحلب ج ١ ص ٤٦

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ص ٣٢٧

(٤) ابن حزم : جمهرة انساب العرب ص ١٢٤

(٥) القلقشندي نهاية الارب جا ص ٣٤٢

(٦) محمد ابو الفضل ابراهيم ، وعلي محمد البجاوي ،ايام العرب في الاسلام ص ١٧٦

(٧) ابن الأثير : الكامل ص ٥٢٧

عربية نصرانية في بادية الكوفة (١) اما البكري فيحدد منازل تغلب بين خفان والعذيب ، بالقرب من حدود الشام ، ولم يستق هذه المنازل الا من الشواهد الشعرية.

ليهن تراثى تغلب بنة وائل اذا نزلوا بين العذيب وخفان (٢)

اما المحتسب فينفى نزول تغلب او بعض منها في الكوفة (٣)

حروب تغلب مع القبائل الاخرى :

كانت قبيلة تغلب كثيرة الميل إلى الحروب ليس فقط مع اختها بكر بل خاضت كذلك حروباً دامية مع بني يربوع التميمية (٤) ومع بني شيبان ومع بني سليم في دير لبى (لنبى) على جانب الفرات الشرقي (٥) ومع سعد بن تميم (٦) .

وقد كانت تغلب مثل سائر قبائل « معد» خاضعة لنفوذ حكام اليمن ، وقد سئمت من جور الحكام الذين ينصبهم (التبابعة) عليها فظهر رجال منها عزموا على التخلص من ذلك النفوذ ، وتكوين حلف قوي يكبح جماح اليمن يتألف من قبائل معد وكان بين اولئك الرجال (ربيعة بن الحارث بن زهير) والد (كليب) وكانت خطته ضرب اليمن للتخلص من حكم (زهير بن جناب) الذي كان حكام اليمن قد اقاموه على قبائل معد ، وجمع قبائل مضر وربيعة تحت زعامة واحدة وبذلك تتخلص القبائل من تحكم اليمن في شؤونها ، ومن دفع الاتاوة ، لها وكان زهير قد قسا في جمع الاتاوه فضجر الناس منه فجمع قومه ومن كان معهم من قبائل قحطان وغزا بكرا وتغلب فانهزمت بكر وتغلب واسر كليب ومهلهل ابنا ربيعة وجماعة من اشراف تغلب فتأثرت قبائل ربيعة وعينت (ربيعة بن مرة بن الحارث التغلبي) رئيسا فاسترجع الاسرى ، ولكن زهير لم يلبث ان عاد إلى ماكان عليه من جمع

---

(١) الاصفهاني : الأغاني ج ١٢ص ١٢٧ طبعة بيروت

(٢) البكري : معجم ما استعجم ج ٣ ص ٥٠٥ ، الخفان موضع قرب الكوفة فوق القادسية والعذيب : ماء عن يمين القادسية لبنى تميم بينها وبين القادسية أربعة اميال.

(٣) نقائض جرير والأخطل ، منشورات مكتبة المحتسب ، دار الفكر ص ١٥٩

(٤) كحالة : معجم قبائل العرب ص ١٢١

(٥) ياقوت معجم البلدان ج ٢ ص ٦٩.

(٦) لا يزال اسم هذه القبيلة مخلدا في (ديار بكر) فيليب حتى : تأريخ العرب ص ١٢٠

الاتاوة من قبائل معد ومنها تغلب (١).

وكما مر آنفاً ان تغلب من القبائل العربية التي لا يهدأ لها بال الا بالغزوات والغارات والقتال ، ففي اول الامر يحتدم النزاع بين بضعة رجال على اثر خلاف اما على حدود او ماء او اهانة لحقت باحد افراد القبيلة ، فما تلبث خصومة الافراد حتى تستحيل إلى نزاع عام يشترك فيه عدة قبائل ويذهب ضحيتها اعداد كثيرة من القتلى وتسبى النساء وتفتدى الاشخاص بكذا من المواشي وغيرها.

وكانت الحروب مستمرة بينها وبين اختها بكر ، فبكر وتغلب هما اعظم قبائل ربيعة شأناً وظلت الايام الدامية تتوالى ، بين بكر وتغلب ، على اثر حرب البسوس فقد دامت اربعين سنة — نشبت في العشر سنين الاخيرة من القرن الخامس الميلادى إلى ان انسحب عدي بن ربيعة المعروف بالمهلهل (٢) فيما يقرب من ٥٢٥م فكليب بن ربيعة(٣)وهو الذي يقال فيه اعز من كليب وائل(٤) وهو رجل صلب قوي لقب كليباً لانه اذا سار اخذ معه جرو كليب فاذا مر بروضة او موضع يعجبه ضربه ثم القاه في ذلك المكان وهو يصيح ويعوي فلا يسمع عواه احد الا تجنبه ولم يقربه وكان يقال له كليب وائل (ثم اختصروا فقالوا كليب) وكان لواء ربيعة بن نزار يتحول للاكبر فالاكبر من ولده فوليه وائل بن ربيعة (٥) وارتفع نجمه بعد يوم (فزارى) (خزار) (٦) وانتخب رئيساً على هذه القبائل وبقي على ذلك دهراً حتى دخله زهو شديد فاخذ يشدد في اخذ الاتاوة ، وفي

(١) بن عبدربه العقد الفريد ج ٦ ص ٩٧ ، والقلقشندي نهاية الارب ج ١٥ ص ٤٢٠ ، وجواد علي المفصل في تاريخ العرب ج ٤ ص٤٩٣

(٢) القلقشندي : نهاية الارب ص ٤٥٧ طبعة القاهرة ،والبكري ،معجم مااستعجم ص ٨٤٢– ٨٤٣ وسالم عبد العزيز : تأريخ العرب في عصر الجاهلية ص ٤٣٠ ،الأغاني ج٤ ص ١٤٣

(٣) واسمه وائل بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب الكامل لابن الاثير ج١ ص ٥٢٣ والقلقشندي نهاية الارب ص ٩٥ .

(٤) ابن دريد الاشتقاق ص ٢٠٤ وابن الأثير الكامل ج١ ص ٢١٤ ، بكاريوس . نهاية الارب في اخبار العرب ص ٩٥

(٥) ابو الفداء : المختصر في أخبار البشر ج١ ص ٦٥ ومابعدها

(٦) خزار ،جبل مابين البصرة ومكة ، معجم البلدان لياقوت ص ٤٣٣ .

اتخاذ (١) خيرة الارض المخصبة ذات المياة الغزيرة مناطق حمى لايجوز لابل غيره على الرعي فيها وبلغ من بغيه انه كان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى حماه ، ويجير على الدهر فلا تخفر ذمته ، ولاتورد أبل احد مع ابله ولاتوقد نار مع ناره وكان يحمي الصيد فيقول : « ناحية كذا وكذا في جواري » فلا يصيد احد منه شيئا .

وقد أدت غطرسة كليب الى مقتله ، فقد كانت بنو جشم وبنو شيبان في دار واحدة بتهامة وكان كليب قد تزوج جليلة بنت مرة بن ذهل بن شيبان واخوها جساس بن مرة ، وكانت البسوس بنت منقذ التميمية خالة جساس بن مرة سيد بكر ، جاءت ونزلت على ابن اخيها (٢) وكانت نازلة في بني شيبان مجاورة لجساس ، وكانت لها ناقة يقال لها سراب ولها تقول العرب : أشام من سراب وأشام من البسوس ، فمرت ابل كليب بسراب ناقة البسوس (٣) وهي معقولة بفناء بيتها في جوار جساس بن مرة ، فلما رأت سراب الابل نازعت عقالها حتى قطعته وتبعت الابل ، وأختلطت بها حتى أنتهت الى كليب وهو على الحوض ، فلما رأها انكرها ، فانتزع لها سهما فخرم خرعها ، فنفرت وهي ترغو (٤) .

وفي رواية أخرى ، حدث ان كليب دخل على امرأته جليلة يوماً (٥) ، وكان لمرة عشرة بنين اصغرهم جساس ، وكان يلقب بحامي الجار فقال لها : هل تعلمين على الارض اضع مني ذمة ، ثم اعاد عليها الثانية فسكتت ، ثم اعاد عليها الثالثة فقالت : نعم أخي جساس وندمائه ابن عمه عمرو بن ابي ربيعة بن ذهل بن شيبان ، فسكت كليب ومضت مدة وبينما هي تغسل رأسه وتسرحه ذات يوم أذ قال لها : من اعز وائل ، قالت : اخواي جساس وهمام ، فنزع رأسه من يدها وخرج غاضباً من قول زوجته جليلة ورأى ناقة البسوس

(١) جواد علي : تأريخ العرب قبل الاسلام ج ٤ ص ٤٩٤ . والنقائض ص ٩٠٥ ومابعدها
(٢) محمد أحمد جاد المولى : ايام العرب في الجاهلية ص ١٤٤
(٣) في بعض الروايات : ان هذه الناقه كانت لرجل من بني جرم اسمه سعد بن شمس ، وانه نزل بناقته على جساس (محمد احمد جاد المولى : ايام العرب في الجاهلية ص ١٤٤
(٤) بن عبد ربه : العقد الفريد ج ٥ ص ٢١٣ وما بعدها
(٥) جليلة بنت مرة بن ذهل بن شيبان

فرماها بقوسه فقتلها (١) بسهم خرم ضرعها فنفرت وهي ترغو ، فلما رأتها البسوس قذفت خمارها من رأسها وصاحت : وأذلاه ، واجاراه ، وخرجت فركب جساساً فرسا له وتبعه عمرو بن الحارث بن ذهل بن شيبان على فرس ومعه رمحه حتى دخلا على كليب فطعنه جساس وطعنه عمرو بن الحارث من خلفه فقطع بطنه فقال لجساس: «اغثني بشربة من ماء فقال هيهات تجاوزت شبيثاً والاحصى (٢) وبحوث كليب وقعت معارك في اوقات متقطعة بين بكر وتغلب، وارتحلوا بنو شيبان حتى نزلوا بماء يقال له النهى، وتشمر المهلهل أخو كليب، فاستعد لحرب بكر، وترك النساء والغزل وحرم القمار والشرب وقال :

وادى الاحصى لقد سقاك العدى فيضي الدموع باهله الدعسُ (٣)

وذكر اهل الاخبار اهم معاركهم وهي (يوم النهى) . وهو اول يوم من أيام حرب البسوس ، وقد توسط رؤساء بكر عند (مهلهل) (٤) (اخو كليب) بان يوقف القتال بعد ان سقط القاتل وهو (جساس) قتيلا في معركة من هذه المعارك يقال انها معركة (يوم واردات) لكنه لم يقبل وابى الا الاستمرار في القتال حتى تسقى نفسه من بني بكر (٥)

والاخبار حول نهاية حياة ، مهلهل ، أختلفت وكان قد كبر وتقدم في السن وضف حالة فجاءة بعد مدة غير طويلة ، ويقال ان عبدين من عبيده اشتراهما ليغزوان معه ، فلما كانا بموضع قفزا جميعاً على قتله، فقتلاه، وبذلك انتهت حياته وحياة حرب البسوس (٦) .

---

(١) جاد المولى : ايام العرب في الجاهلية ص ١٤٤

(٢) السويدي ، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ص ١٠٦ وشبيب الاحصن غديران في منازل ربيعة بنجد (العقد الفريد ج ٥ ص ٢١٣ ومابعدها .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج ١ ص ٥٢٣ ، والدعس من منازل بكر

(٤) واسمه عدي بن ربيعة ، انما قيل له المهلهل لأنه اول من هلهل الشعر — أي ارقه ، كما انه اول من كذب في شعره (المصدر السابق ج ١ ص ٥٢٣

(٥) ابن عبد ربه العقد الفريد : ج٥ (حرب البسوس)ص٢١٣ والأيام التي جرت بعدها، وجواد علي ، المفصل في تأريخ العرب ج ٤ ص ٤٩٦ ، وشيخر ص ١٧١

(٦) ابن عبد ربه : العقد الفريد ج٥ مادة حرب البسوس ص ٢١٣ ، والنويري نهاية الارب ص٣٩٦، وابن الأثير الكامل ج١ ص ٣١٢

ولقد تركت حرب البسوس اثراً في الاداب العربية لاتمحوه الايام بما حاكه الشعراء من القصائد والاغاني في وصفها (وأشأم من البسوس) اصبح من الامثال السائرة ، يقول حتي : لو ان أقدم شعراء العربية ممن اتصلت بنا آثارهم الادبية كانوا من معاصري تلك الحروب (١) ومن ايامهم التي قاتلوا فيها بسبب حرب البسوس هي :

١ – النهي لبكر على تغلب ٢ – الذنائب ظفرت تغلب ٣ – إراب لتغلب على بني يربوع ٤ – الحنو لبكر على تغلب ٥ – التحالف بين بكر وتغلب حلق احد الفريقين رؤوسهم لتكون علامة لهم ٦ – واردات (٢) بين بكر وتغلب

اما أخبار وقائع تغلب بينها وبين قيس (وخاصة سليم) يقول السامر كلها اخبار متشابهة وحمله وتحتل صفحات من الصراع القبلي مليئة بالدمار والثأر المتبادل الذي وصل الى حدود غاية في القسوة تعدت قتل الاعداد العديدة من الرجال والى بقربطون النساء(٣)ومن هذه الايام بين تغلب وقيس يوم لبنى وقعت بين تكريت والموصل ،ويوم ماكسين (٤) . ويوم الثرثار الاول وفي هذا اليوم استعدت تغلب لتثأر ليوم ماكسين . وفي هذا اليوم بقر التغلبيون بطون ثلاثين امرأة من بني سليم (٥) ويوم الثرثار الثاني كانت حرب وحامية أبلت فيها سليم وبنو عامر بلاء حسناً وانهزمت تغلب وقتل بني عبد يسوع بن حرب وعبد الحارث من بني الاوس بن تغلب (٦) ويوم الفدين ، غارة قام بها عمير على القرية فقتل عامة اهلها (٧)

---

(١) حتي : تأريخ العرب ج ١ ص ١٢١

(٢) واردات : يسار مكة ، العقد الفريد : ج٥ حرب البسوس ص٢١٣ ، ودائرة المعارف ، مادة تغلب .

(٣) السامر : الدولة الحمدانية في الموصل وحلب ج١ ص ٥٧ ، وشعر الأخطل ص ٣٦٢

(٤) قرية قرب الخابور ، البلاذري : انساب بالاشراف ج ٥ ص ٣١٨ .

(٥) البلاذري : انساب الاشراف ج٥ ص ٣١٨ ، وشعر الأخطل ص ٣٦٤

(٦) ياقوت : معجم البلدان ج١ ص ٩٢١ والبلاذري انساب الاشراف : ج٥ ص ٣٢٠

(٧) البلاذري انساب الاشراف ج ٥ ص ٣٢١

وهناك امثلة عديدة متنوعة عن اسباب حدوث الوقائع والحروب بين تغلب وغيرها من القبائل استعانت النساء بقبائلهن ، وقتل فيها العديد من كلا الطرفين فبسبب اهانة لحقت ام عمرو بن كلثوم التغلبي يروى ان صاحب الحيرة (عمرو بن المنذر) كان قوياً شديداً وامه هند بنت الحارث بن عمرو المقصور التغلبي وكان سبب قتله له ان عمرو بن المنذر قال : هل تعلمون ان احد من العرب من اهل مملكتي يأنف ان تخدم امه امي ؟ قالوا ما نعرفه الا ان يكون عمرو بن كلثوم التغلبي فان امه ليلى بنت مهلهل بن ربيعة وعمها كليب وائل وزوجها كلثوم وابنها عمرو ، فسكت عمرو بن المنذر على ما في نفسه وبعث الى عمرو بن كلثوم ليزوده ويأمر ان تزور امه ليلى ام نفسه (هند بنت الحارث) فقدم عمرو بن كلثوم في فرسان من بني تغلب ومعه امه ليلى ، فنزل على شاطيء الفرات وبلغ عمرو بن هند قدومه فامر فضربت خيامه بين الحيرة والفرات وارسل الى وجوه اهل مملكته فصنع طعاماً ثم دعا الناس فقرب اليهم الطعام على باب السرادق وجلس هو وعمر بن كلثوم وخواص اصحابه في السرادق ، ولأمه هند قبة في جانب السرادق وليلى ام عمرو بن كلثوم معها في القبة ، وقد قال عمرو بن المنذر لامه : اذا فرغ الناس من الطعام ولم يبق الا الطرف فنحن خدمك عنك ؛ فاذا دنا الطرف فاستخدمي ليلى ومريها فلتناولك الشيء بعد الشيء .

ففعلت هند ما أمرها به ابنها ، فلما استدعى الطرف قالت هند لليلى ناوليني ذلك الطبق فقالت : لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها فألحت عليها فقالت ليلى وأذلاه ياأل تغلب فسمعها ولدها عمرو بن كلثوم ، فثار الدم في وجهه والقوم يشربون فعرف عمرو بن هند الشرفي وجهه ، وثار ابن كلثوم الى سيف ابن هند وهو معلق في السرادق وليس هناك سيف غيره ، فاخذه ثم ضرب به رأس عمرو بن المنذر فقتله وخرج فنادى يا آل تغلب فأنتهوا ماله وخيله وسبوا النساء وساروا فلحقوا بالحيرة (١)

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ ١ ص ٥٤٧

ولكننا نرى تغلب في صراعها ضد النفوذ الخارجي كانت تتحالف وتجتمع فتتفق مع اختها بكر ويحتشدون على العدو حتى يرفعوا وطأته ويبددوا الشمل حتى اذا كسروا شوكته وفتوا في عضده ارتدوا بعضاً إلى بعض ليستكملوا سلسلة الثارات فيما بينهم متناسين حلفهم وقرابتهم وفي هذا التقاتل القبلي كان الباعث يتباين عما كان عليه في حروبهم الخارجية ، لقد كان يدفعهم إلى التغازي، والتناحر حافز الشرف والثأر والفروسية الخالصة الهادفة إلى الانتصار والشعور بالتفوق اماما كان يحفزهم إلى التحالف على الاعداء الخارجين الخطر المشترك المداهم.

تغلب النصرانية والاسلام : دخلت تغلب العراق قبل الاسلام،وسكنت في الاقسام العليا منه كما جاء ذكره واتصلت بالفرس والروم وقد ادى اتصالها بالروم وبالنصارى الساكنين في الجزيرة إلى دخول منهم في النصرانيه(١)، ولم يتغلغل الاسلام في تغلب في السنين الاولى لذلك نجدها عند بدء حركة الفتوحات، والوفد الذي قدم من تغلب على الرسول في المدينة عام (٩) للهجرة فمن قدم من الوفود الكثيرة خلال هذا العام والعام الذي تلاه وذلك بعد ان ثبت الاسلام اقدامه في شبه الجزيرة(٢) وعقدت هذه الوفود صلحاً مع محمد ابقوا فيه على دينهم على ان لاينصروا اولادهم ومع ذلك فقد يكون هؤلاء التغالبه هم انفسهم الذين اقترحوا هذا الحل تخلصاً من الجزية في الاسلام.

وقد كان لتغلب جملة رؤساء منهم رئيس يقال له الجرار ادرك النبي وابى الاسلام،فبعث رسول‌الله اليه زيد الخيل الشاعر المشهور، واحد الشجعان المشهورين ليطلب منه الدخول في الاسلام او القتال ، فابى الاسلام وقاتل حتى قتل (٣) وكانت تغلب ايام الفتوحات الاسلامية تحارب إلى جانب

(١) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب ج ٦ ص ٢١٩

(٢) وقدمت ايضاً وفود بهراء ووفود بني فزار وبني تميم وعامر، وبني سعد بن بكر وطي (الطبري : ج ٢ ص ٣٦٣ — ٣٨٤ ،

(٣) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب ج٦ ص ٢٢٠ ، وابن هشام السيرة ج ٤ ص ٢٠٥

الفرس والروم، وترتبط معهم في عدة مواقف قبل الاسلام، ففي عهد ابي بكر نجد بني تغلب تعيش قرب عين القمر على ماء سمى باسمها حيث ارسل القائد خالد بن الوليد سريه طرقتهم ليلا، وان اسيرا من بني تغلب دل المسلمين على حي لربيعه دهمه المسلمون (١).

وفي عام ١٢ للهجره كانت تغلب واياد والنمر مع جيش الفرس في عين التمر وكان هؤلاء العرب بقيادة عقه بن ابي عقه(عقبه بن ابي عقه)(٢) الذي هزم على يد خالد بن الوليد (٣) شر هزيمة، وعوقب بالقتل لانه اصر على حرب المسلمين وكمن للجيش الاسلامي بقيادة خالد، وفي المصيخ (٤)، والحصيد، استطاع خالد ان يشتت فلول بني تغلب وحلفائها بقيادة الهذيل بن عمران(٥). وارادت تغلب ان تثأر لمقتل عقه فتحالفت بقيادة ربيعه بن بجير التغلبي مع القائد الفارسي روزيه وتجمعت في الثنن (في سنة ١٢هـ) ولكنها لقيت هزيمة جديدة على يد خالد. وقد اساءت تغلب للمسلمين إلى حد كبير مما دفع خالد إلى ان يقسم (ليبغتن تغلب في دارها) (٦). فقاتلهم وقاتلوه فهزمهم وسبى وبعث بالسبي الى ابي بكر، فكانت منهم ام حبيب الصهباء بنت حبيب بن بجير التغلبي وهي ام عمر بن علي ابي طالب (٧) (رض) ورقيه، وعمر عمر بن على حتى بلغ خمساً وثمانين سنة، وحاز نصف ميراثه ومات بينبع.

ثم سار خالد بن الوليد بعد ذلك إلى الغراض (٨)، ولما احتشد الجيش الاسلامي الفاتح في هذه المنطقة التي تعتبر حدوداً للروم والفرس معاً، تحالف

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٢٥٧
(٢) ياقوت : معجم البلدان جـ١ ص ٦٣١-٦٣٢
(٣) الطبري : جـ٣ القاهرة ١٩٣٩
(٤) ياقوت : معجم البلدان جـ٤ ص ٥٥٦. والطبري جـ٢ ص ٥٨٠-٥٨١
(٥) الطبري : جـ٢ ص ٥٨٠-٥٨١
(٦) المصدر السابق جـ٢ ص ٥٨١
(٧) البلاذري انساب الاشراف ص ١١٠، والطبري جـ٥ ص ١٥٤
(٨) الغراض تخوم الشام والعراق والجزيرة، الطبري جـ٢ ص ٥٨٣

الجيشان الفارسي والبيزنطي لصد خطر المسلمين ، مستعينين بتغلب، واياد والنمر، الذين امدوهم بنجدات(١) كبيرة، غير ان جيش المسلمين حقق على يد خالد بن الوليد نصراً عظيماً في معركة(الغراض) سنه ١٢ ﻫ حتى بلغ عدد القتلى على حد قول الطبري مائة الف (٢). فلما علم سعد بانصراف فلول من الفرس إلى تكريت وتحصنهم بها ومعهم الاحلاف من اياد وتغلب والنمر وارسل اليهم عبد الله بن المعتم، وسار إلى تكريت، فوجد الفرس قد خندقوا بها فحاصرهم اربعين يوماً. ووكل عبد الله بن المعتم من يدعو العرب لتعرفه، فاستجابوا له واقبلت العيون من تغلب واياد والنمر إلى عبد الله بن المعتم بالخبر، وسألوه للعرب السلم واخبروه انهم قد استجابوا له . فارسل اليهم ان كنتم صادقين بذلك فاشهدوا ان لااله الا الله وان محمداً رسول الله واقروا بما جاء به من عند الله : اعلمونا رايكم فرجعوا اليه بقبول ذلك،ولم يفلت منهم الا من اسلم تغلب وأياد او النمر(٣)

وفي اوائل خلافه عمر بن الخطاب هزمت تغلب هزيمة أخرى على يد المثنى بن حارثه في الكبات سنة ١٣ﻫ لما رجع المثنى من بغداد إلى الانبار(٤) ولكننا نراها تقاتل في نفس العام إلى جانب العرب لما قدم ابنه مردي الفهر التغلبي في اناس من بنى تغلب فقالوا حين راوا نزلوا العرب بالعجم نقاتل مع قومنا فيقول الطبري: «وقتل غلام التغلبي نصراني(مهران) واستولى على فرسه وقال «انا الغلام التغلبي ، انا قتلت المرزبان في حين يقول ابن قتيبه (ان المثنى قتله) (٥) ، وكان ذلك في معركة البويب ، ويضيف (ابن الاثير) إلى هذا فيقول وساعد التغلبيون المسلمين في فتح تكريت والموصل (الحصن الشرقي نينوى— والحصن الغربي الموصل) (٦).

---

(١) المصدر السابق حـ٢ ص ٥٨٣

(٢) المصدر السابق حـ٢ ص ٥٨٣

(٣) محمد ابو الفضل ابراهيم: ايام العرب في الاسلام ص٣٠٠-٣٠١

(٤) كحالة : معجم القبائل حـ١ ص١٢٢

(٥) ابن قتيبة : الاخبار الطوال ص١٢٠. ومحمد ابو الفضل، ايام العرب ص ٢٣٦

(٦) ابن الاثير : حـ٢ ص٤٤٣

وفي مقال لسليمان صايغ يقول: ان خالد بن الوليد كاتب اعراب العراق دعاهم إلى نصرته فلبى دعوته بنو بكر وبنو عجل وبنو تغلب وجميع القبائل التي كانت تشغل اراضي الحيره والموصل، واستماتوا في القتال مع اخوانهم الفاتحين (١).

وقد انحاز قسم من التغلبين إلى على (رض) لانهم طلبوا من معاوية اطلاق سراح اصحابهم فلم يفعل فاعتزلوا معاوية، وانحازوا إلى على وكان عليهم قريع بن الحارث التغلبي علماً بأنهم كانوا قد حاربوا معه في صفين ثم حاربوا مع معاوية ضد على بسبب موقف على منها لانها نقضت العهد ونصرت اولادها وبعد ذلك حاربوا مع يزيد في وقعه الحره. ومع مروان بن الحكم في مرج راهط (٢) سنة ٦٥ عندما تحارب مروان بن الحكم والضحاك وصار اهل الشام قسمين وكانت تغلب مع ابن الحكم، حتى ان الاخطل يذكر هذه الحروب في اشعاره، ويفتخر بقبيلته (٣) وحاربت تغلب سنه ٧٧هـ مع الحجاج بن يوسف ضد تسبيب بن قحطبه (٤). وفي خلافه عبد الملك بن مروان تدخل لحسم النزاع بين تغلب وقيس سلميا بينهما حيث انتهى النزاع خلال فترة خلافته كنتيجة لسياسته الحكيمة تجاه القبائل يقول الاصفهاني وأجتمع الناس على عبد الملك بن مروان، فكانت قيس وتغلب من المغازي بالشام والجزيرة، وظن كل واحد من الفريقين ان عنده فضلا لصاحبه (٥).

وقد استغل الخلفاء تكتل القبائل نتيجة كثرة الحروب والوقائع بدافع العصبية لتحقيق مصالحهم السياسية وهذه التكتلات القبلية احزت باستقرار الجزيرة، وأخرت تقدمها وتحضرها، وقد بقيت العصبية القبلية امداً طويلا

(١) سليمان صائغ: نصاري العرب في التاريخ، مجلة النجم المجلد٨ العدد العاشر ص٣٧٩
(٢) البلاذري انساب الاشراف ص ١٩١، والطبري ح١ ص ٤٩٥
(٣) شفر الاخطل ص٢٣
(٤) كحالة معجم القبائل ح١ ص ١٢٢
(٥) الاصفهاني: الاغاني ج١٢ ص ٢٠

وكانت تعود للاشتعال بين الحين والحين لتعبر القبائل عن عدم ارتباطها وعدم خضوعها للسلطة المركزية .

اما الحوادث الهامة في تاريخ تغلب المتأخرة فسنذكر منها حوادث سنة ١٧١هـ حين خرج روح بن صالح (١) في اربعة آلاف يغير على بني تغلب ففزعت تغلب الى حرقل بن محجن ابي مطر المالكي ، فأتوا ليلا روحاً وجماعته وقتلوه ، وأخذ حاتم بن صالح بثأر اخيه فقتل من تغلب خلقاً واسر خلقاً ، ودخل مدينة بني أسيد وكانت هذه البلدة فيها بنو تغلب وهي مدينتهم (٢) ، فقتل منهم خلقاً كثيراً .

ومن قبيلة تغلب الوليد بن طريف الخارجي الذي خرج بالجزيرة على ابراهيم بن خازم بن خزيمة بنصيبين وقتل ابراهيم وارسل اليه الرشيد يزيد بن مزيد فقتله وجماعته وكان ذلك سنة ١٧٨ هـ وقالت اخته ليلى بوفاته (٣)

أياشجر الخابور مالك مــــورقاً كأنك لم تجزع عـلى ابـن طـريف

وتعتبر ليلى بنت طريف فارسة من نساء بني تغلب ، كانت تركب الخيل ، وتقاتل وعليها الدروع .

وكأن المأمون قد عين والياً على الموصل مالك بن طوق التغلبي صاحب الرحبة القيسية ، فأخضع الذين كانوا بجوار الرحبة وتزوج مالك بابنه الحسن بن عمر التغلبي (٤)الذي كان والياً على الموصل في خلافة الامين سنة ١٩٧هـ(٥) وحملها الى رحبة مالك (٦) وعمر الحسن بن عمر بن الخطاب التغلبي جزيرة ابن عمر ، وقد ساعد بنو تغلب الخوارج (هارون الشاري) خلال صراعه

---

(١) الازدي تاريخ الموصل. احداث سنة ١٧١هـ ص ٢٦٨، وكان هارون قد قلد روحا صدقات بنى تغلب

(٢) المصدر السابق ص ٢٦٨ وابن الاثير، الكامل. حـ٦ حوادث سنة ١٧١هـ ص ١١٣

(٣) الطبري حـ٨ ص ٢٥٦، وانساب العرب لابن حزم ص ٢٨٩، اما الازدي فيذكر ابن الحارث كان سنة ١٧٩هـ وليس ١٧٨هـ

(٤) الازدي تاريخ الموصل ص ٣٩٦ و ص ٣٢٦، ودائرة المعارف ص ٣٣٢ مادة تغلب حـ٥ ص ٣٢٤

(٥) الازدي تاريخ الموصل ص ٣٢٦

(٦) رحبة مالك على شاطئ الفرات بين الرقه وبغداد(معجم البلدان حـ٤ ص ٢٣٦)

على زعامة الخوارج سنة ٢٦٣هـ ، وفي القرن الرابع الهجري نسمع بعشائر تغلب الكبيرة في البحرين حيث نازلو سليما و عقيلا بن عامر بن صعصعة وسرعان ما اشتركوا في فتنة القرامطة ، ولما هزم القرامطة عام ٣٧٨هـ طرد امير تغلب ابو الحسن الاصفر سليما بمساعدة عقيل ثم اجبر عقيلا على الهجرة ، ثم طرد السلاجقة هؤلاء الى البحرين حيث استطاعوا ان يزيلوا سلطان تغلب الذي كان قد تراخا آنئذ كما ان جماعة من تغلب كانوا قد ذهبوا في تاريخ مبكر الى جزر فرسان (١)

ولعل معظم التغالبة قد تفرقوا في بادية الشام ، ولما دخل المغول الشام سنة ٦٨١هـ في خمسين الف التقى بجند الشام بين حماة وحمص فقوي جانب المغول على جانب الشاميين ، خرج على المغول كمين العرب من بني تغلب من مسيرتهم فتوهم المغول ، ان جنوداً كثيرة ، قد احاطت بهم من امامهم ومن خلفهم فانهزموا (٢) ، وقاتل كمين بني تغلب قتال الظافر ، ولم يعد اسم هذه القبيلة العظيمة الشأن يذكر في التاريخ منذ القرن التاسع الهجري (الرابع عشر الميلادي) ولم نجد قبيلة محدثة في الوقت الحاضر تربط نسبها بتغلب (٣) ولكن بعض من دواسر ، وشمر يقال انها خليط من تغلب وعبس وهوازن(٤)ولاعتزاز تغلب بنفسها ، ولشعورها بعزتها كما جاء على لسان كثير من شعرائها(٥)وقد امتنعت عن دفع الجزية ، المفروض أداؤها على اهل الكتاب(٦)فمنذ الفتوحات الاسلامية الاولى للجزيرة اعتبر المسلمون ، النصارى اهل كتاب او اهل ذمة ، وقد اشار ابن قيم الجوزية الى نصارى الجزيرة بقوله : «انتم اهل الكتاب الذي لغتهم غير لغة العرب

---

(١) ياقوت : حـ٣ ص ٤٩٧ و ص ٨٧٤، ودائرة المعارف، مادة تغلب حـ٥ ص ٣٢٤

(٢) ابن العبري تاريخ مختصر الدول ص ٥٠٤

(٣) دائرة المعارف : مادة تغلب حـ٥ ص ٣٢٤

(٤) فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب ص ١٥٠

(٥) الشيريزي : شرح القصائد العشر ، معلقة عمرو بن كلثوم ص ١٠٨ ومابعدها

(٦) جواد علي مفصل تاريخ العرب قبل الاسلام : حـ٦ ص ٢٢٠

كنصارى الشام والجزيرة اذ ذاك وغيرها من البلاد ودون نصارى العرب الذين لم تكن لغتهم غير العربية» فمنعهم الخليفة عمر من التكلم بكلام العرب لئلا يشتبه بهم في كلامهم، كما صنعوا من التشبيه بهم في زيهم ولباسهم، ومراكبهم، وهيئة شعورهم(١)، وبقوا ينازعون الوليد بن عقبه، فهم بهم الوليد(وكان على عرب الجزيرة)(٢) وقال في ذلك: —

اذا ماعصبت الراس مني بمسود فضيك بني تغلب ابنة وائل

وبلغت عنه عمر بن الخطاب فخاف ان يخرجوه،وان يضعف صبره فيسطو عليهم فعزله، وأمر عليهم (فرات بن حيان) وهند بن عمرو الجملي.

وقد ادت انفة تغلب، وعدم رضاها عن فعال الوليد بن عقبه إلى قبولها الصدقه المضاعفه(٣).

وعن ابي سيف التغلبي قال: كان رسول الله (ص) قد عاهد وفد تغلب على الاينصروا وليداً فكان ذلك الشرط على الوفد وعلى من وفدهم ولم يكن على غيرهم(٤)

وخرج وفد إلى عمر بن الخطاب ولما قال لهم: أدوا الجزيه قالوا: « ابلغنا مأمننا والله لئن وضعت علينا الجزاء لندخلن ارض الروم، والله لتفضحنا من بين العرب». فقال لهم:« انتم فضحتم انفسكم، وخالفتم امتكم، وتالله لتودنه وانتم صفره قماة(٥)، ولئن هربتم إلى الروم لأكتبن فيكم ثم لاسبينكم قالوا فخد منا شيئاً ولاتسمه جزاء، فقال « اما نحن فنسميه جزاء، وسموه انتم ماشئتم: فقال له على بن ابي طالب: « ياأمير

---

(١) ابن قيم الجوزيه: شرح شروط العمريه ص ٣٦٣-٣٨٢
(٢) البلاذري أنساب الاشراف ص ١٨٢
(٣) الزبيدي: تاج العروس حـ١ ص ٤١٤، والمسعودي التنبيه والاشراف ص ١٧٦
(٤) الطبري: حـ٤ ص ٥٦
(٥) القمي: الحقير، الطبري حـ٤ ص ٥٦

المؤمنين ألم يضعف عليهم سعد بن مالك الصدقه؟ قال بلى ، واصغى اليه فرضى به منهم جزاء فرجعوا على ذلك(١) .

وفي رواية اخرى ان تغلب امتنعت عن دفع الجزية المفروض اداؤها على اهل الكتاب ، ورضيت بدفع ضعف مايدفعه المسلمون صدقة أنفة من كلمة الجزية ، واقتدت قبائل اخرى مثل تنوخ وبهراء بتغلب ، فرضيت بدفع الصدقة التي يدفعها المسلمون مضاعفة مفضلين اياها على دفع (الجزية) اي الضريبة التي يدفعها اهل الكتاب لكي لا تكون في مصاف النبط ومن لف لفهم من غير العرب ، والمساواة فيها تعد اهانة لهم في نظرهم ، وان كان دافعوها نصارى مثلهم ، وهم اخوانهم في الدين (٢) . للبلاذرى قول اخر في معاملة عمر (رض) لبني تغلب فيقول : « لما آتى عمير بن سعد شق الفرات الشامي ، وكان هنالك من بني تغلب وطلب منهم الدخول في الاسلام ولكنهم ابوه وهموا باللحاق بارض الروم . وكذلك وقف التغلبون في الشق الشرقي من الفرات لنفس الموقف فكتب اليه عمر (رض) يامره ان يضعف عليهم الصدقة التي تؤخذ من المسلمين في المواشي والارض وان ابو ذلك حاربهم حتى يبيدهم او يسلموا فقبلوا ان يؤخذ منهم ضعف الصدقة (٣) فرضى التغالبة بهذا الحل قائلين : « اما اذا لم تكن جزية كجزية الاعلاج فانا نرضى ونحفظ ديننا (٤) ويقول عمر فروخ « اخذ عمر منهم الزكاة مضاعفة (خمسة بالمائة) شرط ان لايعمدوا اولادهم » (٥) . وان عمر اثاب بني تغلب لانهم حاربوا الفرس يوم القادسية في صفوف المسلمين هذا يفسر لنا ترفق عمر بهذه القبيلة القوية الابية والتي حسدها ناس بعد ذلك

---

(١) المصدر السابق : الطبري ج٤ ص ٥٦
(٢) جواد علي مفصل تاريخ العرب : ص ٢٢٠-٢٢١
(٣) البلاذري ص ١٩٢ وقال ان عمر صالح بنى تغلب بعدما قطعوا الفرات وارادوا اللحاق بأرض الروم
(٤) المصدر السابق على ان لا ينصروا صبيا ولايكرهوه على دينهم على ان تكون الصدقة مضعفة
(٥) عمر فروخ : تاريخ صدر الاسلام والدوله الامويه ص ١٠٤

على هذا المكان الملحوظ .

واما الخليفة عثمان فاراد ان يعيد النظر في وضع بنو تغلب فامر أن تؤخذ الجزية من بني تغلب ذهبا وفضة ، الا انه تراجع بعد ان تثبت له ان عمراً اخذ منهم الصدقة مضاعفة (١) .

ولكن هناك روايات وضعت في الخط من شأنها ومنها رواية نسبت إلى علي (رض) تذكر إلى انه رغب في القضاء على تغلب لانها دأبت على تنصير اولاد ها على الرغم من عهدها لعمر (٢)

وقد اتفق معظم الفقهاء ومنهم سفيان الثورى والاوزاعي، ومالك بن انس وابو حنيفة ، وابو يوسف على ان يؤخذ من التغلبي ضعف مايؤخذ من المسلم في ارضه وماشيته وماله ، وقالوا جميعاً ان سبيل مايؤخذ من اموال بني تغلب سبيل مال الخراج لانه بدل من ا لجزية (٣) .

وهناك روايات كثيرة ومختلفة التواريخ تحاول تعليل ماكان لتغلب من شأن خاص من صلاتها بغيرها من الجماعة الاسلامية ، فيقول البلاذري لاتؤكل ذبائح نصارى بني تغلب ، ولاتنكح نساؤهم ،ليسوا منا ولامن اهل الكتاب (٤) وهناك قول ينسب إلى علي بن ابي طالب (رض) يقال انه قال ، حينما سئل عن ذبائح نصارى تغلب ، ايجوز للمسلم ان يأكلها فقال: لا تأكلوها فانهم لم يتعلقوا من دينهم بشيء الا بشرب الخمر (٥) .

وممن ارتد عن الاسلام من مسيحي تغلب سجاح (٦) متنبئة وعرافة وهي واحدة من طائفة من المتنبئين وشيوخ القبائل الذين ظهروا في بلاد العرب

(١) البلاذري : ص ١٨٣

(٢) العقد الفريد: حـ٣ ص ٥٦، والبلاذري ص ١٨٣

(٣) البلاذري انساب الاشراف : ص ١٨٣

(٤) المصدر السابق ص١٨١ —٢٨٢

(٥) جواد علي : حـ٦ القسم الديني من تاريخ العرب قبل الاسلامعن السنن الكبرى حـ٩ ص٢١٧

(٦) ام صادر بنت اوس بن حق بن اسامه . وكان لها علم بالكتاب اخذته عن نصاري تغلب. وكان لها مؤذن يؤذن ، واشهد ان سجاح نبية الله(الفتوح لابن اعتم الكوفي حـ١ص ٢٥)

قبيل الردة، أو ابانها ، ويستدل من نسبها ، الذي اتضح من تاريخها انه صحيح ان سجاح كانت من بني تميم ، وكانت امها من بني تغلب وكانت نصرانية وتقدمت سجاح الصفوف في سنة ١١ هـ بعد ان توفي النبي (ص) وتقول الروايات ، انها برزت في تغلب وانها وفدت من بلاد الجزيرة على رأس شرذمة من اتباعها من ربيعة ، تغلب وبني النمر وبني شيبان ، وانضمت إلى المتنبيء مسليمة الكذاب وكان مسيطراً على معظم قبيلة يمامة ، واعترف كل منهما برسالة الاخر ، وتزوجا وقيل انها ماتت بعد ان عادت إلى قبيلتها التي ولدت بينها . وفي رواية اخرى انها دخلت الاسلام عندما انتهى رأي اسرتها إلى الاستقرار في البصرة التي كانت قد غدت المركز الاكبر لبني تميم في عهد بني امية وعاشت مسلمة وماتت مسلمة ودفنت بعد الصلاة عليها (١) من قبل سمرة بن جندب وهو على البصرة لمعاوية (٢) .

حياتها الاجتماعية : ان اكثر اخبار تغلب الاجتماعية استقيناها من شعرائهم ونقائض خصومهم من شعراء القبائل الاخرى ، وتذكر بعض الروايات ، ومنها المسعودي فيقول انهم ليسوا عربا (بدوا) وانما هم نبط مستعربه (اي مزارعون تخلقوا باخلاق البدو) (٣) ، ويؤكد البلاذري هذا القول بقوله ، انهم اصحاب حروث ومواشي (٤) ، ويتغزل الاخطل في شعره باحراج النخيل ، وحقول القمح ، والعجيب انهم كانوا ملاحين ، وكانت تجارة السفن تدر عليهم المال ، وتجلب لهم السلطان ، ومن الاشارات الى الملاحة في الشعر العربي القديم (٥) فالبيت رقم (١٠٢) من معلقه عمرو بن كلثوم هي اشارة هامة يقول :

(١) دائرة المعارف : حـ١١ ص ٢٧٣ — ٢٧٤
(٢) ابن الاثير : الكامل حـ٢ ص ٣٥٧
(٣) المسعودي ، مروج الذهب حـ١ ص ٢٤٩
(٤) البلاذري ص ١٨٢
(٥) الاخطل ص ٢٢٢

ملأنا البر حتى ضاق عنا وظهر البحر نملأه سفينا

فهو يفتخر بقومه ، بني تغلب قائلا ان سفنهم تغطي وجه البحر (١) .

وتعليقاً على قول المسعودي بانهم نبط مستعربه فهذا مالايرضيه بنو تغلب ، فانهم رفضوا ان يدفعوا الضريبة التي يدفعها اهل الكتاب كي لايكونوا في مصاف النبط ومن لف لفهم من غير العرب وقالوا ان المساواة فيها تعد اهانه لهم في نظرهم ، وان كانوا دافعوها نصارى مثلهم ، وهم اخوانهم في الدين(٢) ، كما سماهم جواد علي بالاعراب او العرب المستعربه (٣) .

اما ملاحظة التبريزي في شرحه لمعلقه عمرو بن كلثوم « لو ابطأ الاسلام لاكلت بنو تغلب الناس » ، انما هو تعبير على قوة وسعة انتشار تغلب ويضيف الى هذا تعليلا اخراً وهو ان طريق الهند كان يمر بأرضهم ، وان الجزيرة تمر بها بصفة عامة الطرق من جميع الاتجاهات (٤) .

كانت تغلب تعبد الاوثان عندما كانت في شبه جزيرة العرب شأنها في ذلك شأن سائر القبائل العربية ، وكانت تعبد في اول امرها الصنم « أوال » (٥) ثم اعتنقت المسيحية ، وذلك قبل مجيء الاسلام اي في الجاهلية بتأثير اتصالها بالروم ونصارى العراق والجزيرة وبلاد الشام ويحشرها المؤرخون بأنها من قبائل العرب المتنصرة ومن سكنة الخيام (٦) تمييزا لها عن العرب الاخرين الذين لم يدخلوا في هذه الديانه بل بقيت على اخلاصها وولائها لديانة ابائها واجدادها ، وهي عبادة الاوثان .

---

(١) دائرة المعارف : مادة السفينة ج١١ ص ٤٦٣

والحقيقة ان العرب قبل الاسلام بما فيهم تغلب لم يتوغلوا في تجارتهم إلى ابعد من سواحل البحر الاحمر والخليج العربي

(٢) راجع ماسبق عن جواد علي ص ٢٢٠ – ٢٢١ ، جاء ذكره في ص ١٦ من هذا البحث

(٣) جواد علي ص ٨١–٨٢ : عن تاريخ العرب قبل الاسلام

(٤) التبريزي : شرح القصائد العشر ص ١٠٨

(٥) ياقوت : معجم البلدان ج١ ص ٣٤٦ . وهذا الصنم كان لبكر بن وائل واختها تغلب

(٦) جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام ج٦ ص ٢١٦

وباعتناق تغلب المسيحية اصبحت اكثر القبائل تمسكا بنصرانيتها ، فلم تفلح جميع المحاولات التي بذلها المسلمون في القرون الاولى للاسلام لادخالهم في دينهم ، ويستثنى من جميع ذلك جماعة صغيرة منهم لعلها تغلب التي كانت جوار طي (١) وبقيت تغلب متمسكة بدينها بضعة قرون ولم يتغلغل الاسلام في قلوبها شأن البدو عامة (٢) ولئن كانت الاحوال السياسية قد اضطرت الدولة الاموية إلى اخذ التغلبيين باللين في دينهم ، وخطب ودهم عليه ، فانهم كانوا يشعرون بالغربة والانتباذ من قبل العرب عامة لاقامتهم على دينهم من دونهم ، وقد كان هذا موضع نزاع دائم بينهم وبين السلطة القائمة وكانت تغلب تجمع عليه الا أقلها ، وكانه إطار لاستقلالها وحفاظها على كيانها ، وخير مثال على عناد تغلب على البقاء على دينها وتمسكها به شاعرها النصراني الاخطل .

ومن خصال تغلب شرب الخمر ، وجاء في رواية شائعة عن لسان علي (رض) قال : ان تغلب اخذت شرب الخمر من النصارى (٣) وكان شربهم للخمر (٤) من الخلال التي طالما عابهم عليها خصومهم ، وقيل ان شاعرهم عمر بن كلثوم شرب الخمر صرفا حتى مات (٥) .

---

(١) الطبري جـ٤ ص ٥٦ : تغلب التي كانت تعيش في جوار طي قد تكون دخلت الاسلام مبكراً حباً في السلام

(٢) المصدر السابق جـ١ ص ٢٥١٠ . والبلاذري ص ١٨١ وما بعدها

(٣) الزمخشري في تفسير سورة المائدة الاية (٧)

(٤) وكانت تؤخذ ضرائب على الخمور بديار ربيعة ، ففي عهد المقتدر كانت تجبى من قبل علي بن عيسى (محمد بن عبد الملك الهمداني) تكملة تاريخ الطبري جـ١ ص ١٣

(٥) ابن الاثير ، الكامل ص ٥٠٦

ولقد حسدها (تغلب) جيرانها لانهم كانوا دونهم شمائل ووصفوها بأخلال ردئية منها الطمع والبخل (١) وان هذا الوصف استهدفوا له لمجرد السخرية التي لذعهم بها جرير ، ولكن هذا لاينقص من مجدهم وانفتهم المعهودة وان كثير من هذه الفضائل اجتمعت بزعيمهم كليب .

وقد وصفت لغة تغلب بعدم النقاء، فقد اختصت بالكشكشة كما اختصت بكر بالكسكسة وقيل ان الكشكشة اختصت بها بكر اما الغشغشة فاختصت بها تغلب(٢) ذكرت ان تغلب اعتنقت المسيحية بعد تركها الاوثان ، فان جزيرة العرب لم تكن منعزلة تماماً بل تعرضت إلى كثير من المؤثرات الخارجية ، فقد جاءتها البعثات التبشيرية المسيحية من العراق وسوريا والحبشة ، وانشأت لها في القطر مطرنة ، كما انشأت لها عدة كنائس ، وعند ظهور الاسلام كانت المسيحية منتشرة بين الغساسنة والمناذرة ، وبكر وتغلب (٣) .

ومن اهم المزارات التي تقصدها المتنصرة من عرب الشام ، مثل الغساسنة وتغلب هو مشهد القديس (سرجيوس) في الرصافة ، وقد عدّ التغالبيون هذا القديس شفيعهم ، وجعلوا له راية حملوها معهم في الحروب ، وكانوا يحملونها مع الصليب تبركا وتيمنا بالنصر ، وظل هذا المزار مقدسا مقصودا مدة في الاسلام ، وإلى هذا القديس اشار الشاعر (٤) الاخطل بقوله :

لما راؤنا والصليب طالعاً ومار سرجيس وسماً نامقاً
وابصروا رايـاتنا لوامعاً خلوا لنا راذان والمـزارعا

فـأجـابـه جريـر :

فبالصليب ومار سرجيس تتقي شهباء ذات مناكب جمهورا

وقد ذهب احد تلاميذ يعقوب البرداعي وبسمى بـ (جيمس) مولود سنة

---

(١) ديوان النظامي ص٩ الاصفهاني الاغاني حـ٧ص١٨٦ . المسعودي : مروج الذهب حـ٦ص١٥١

(٢) السيوطي تاريخ الخلفاء : حـ١ ص ١٠٩ وما بعدها ، ولسان العرب حـ٨ ص ٢٣٢

(٣) صالح احمد العلي ، محاضرات في تاريخ العرب حـ١ ص ٤٧ ، ٤٩ ، وسالم عبد العزيز تاريخ العرب قبل الاسلام ص ٤٨٣

(٤) جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام حـ٦ ص ٢١٦

٥٠٠ للميلاد في نصيبين ، واليه تنسب اليعاقبة ويدعون بـ (المفوفسيتين) اى القائلين بالطبيعة الواحدة لقولهم ان للمسيح طبيعة واحدة ، فقيل لهم من اجل ذلك لاصحاب الطبيعة الواحدة)(١)

هم (مذهب من مذاهب الكنيسة الشرقية) وكان من المبشرين النبطين ، ذهب إلى بني تغلب ، وبشر بينهم ، وأقام بينهم كهاناً ورهباناً ، وبني لهم ديراً عرف في السريانية بـ « عين قنا» اى « عين الوكر» ودير اخر بتكريت سمي « دير جلتاني» وكانت لهم في ايامه اسقفية التغلبين او (السن) وكريسها بـ (عاقولا) (عاقول) وعاقولا هي الكوفة (٢)

وقد خرج من تغلب عدد من مشاهير الشعراء منهم في الجاهلية ومنهم في الاسلام ، وهم المهلهل اخو كايب ، زعيم تغلب وكان يسميه كليب « زير النساء » اي جليسهن (٣) وبعد مقتل اخيه انتبه للحرب وشمر ذراعيه ، وجمع اطراف قومه وهجر اللهو وحرم القمار والشراب، وهو في نظر تغلب اول من قصد القصائد ، واول من كذب في شعره (٤) والمهلهل ضال امرؤ القيس بن حجر الكندي وقد سألهم النصر على بني اسد حين قتلوا اباه حجر (٥) (والسفاح) وهو سلمه بن خالد الذي قاد تغلب يوم الكلاب (٦) (وافنون) ،لقب (صريم بن معشر) (٧) واسمه ايضا ظالم بن معشر وسمي افنوناً لشعر قاله .

فتّينا الود مضنون مضنونا أيامنا ان للشباب افنونا .

وعمر بن كلثوم ، سبق الكلام عنه وعن امة (٨) (ليلى بنت المهلهل) وهو

---

(١) المصدر السابق حـ٦ ص ٨١-٨٢

(٢) جواد علي المفصل في تاريخ العرب ص ٨١ -٨٢

(٣) شيخو: شعراء النصرانية ص ١٦٠-١٦١

(٤) ابن الاثير: الكامل ص ٥٢٩

(٥) المصدر السابق في مواضيع متفرقه

(٦) دائرة المعارف: مادة تغلب حـ٥ ص ٣٢٤

(٧) ابن دريد: الاشتقاق ص ٣٣٦

(٨) ابن حزم: انساب العرب ص ٢٨٧

احد اصحاب المعلقات (١) وكثيرون غيرهم يذكرهم ابن خلدون(٢) في كتابه العبر . ومن ابيات من معلقة عمرو بن كلثوم يشيد بامجاد قبيلة تغلب قوله :

لنا الدنيا ومن احس عليها ونبطش حين نبطش قادرينا (٣)

وقوله :

بان المطعمون اذا قدرنا وانا المهلكون اذا ابتلينا

وقوله ايضا :

اذا بلغ الرضيع (٤) لنا فطاما تخر له الجبابرة ساجدينا .

اما الاخطل فقد اشتهر اسمه في الاسلام،وهو غياث بن غوث وانما سمي الاخطل لسفهه واضطراب شعره ، فشعره مرآة عكست حياة تغلب الاجتماعية ، ومن ديوانه شواهد على اعتزازه بتاريخ امته وزهابه ، يقص عليه اسلافه بعض رواياته ، فيعتز بعز القبيلة ، ويتحفز لمتابعة اشواطها ، معددا ايامها وابطالها زاهياً لها كل زهو ، وكان يخيل للتغلبيين في عنفوانهم البدائي، انهم اسياد عالمهم لاينازعهم فيه منازع ، ولايزعجهم عن بطونهم اى غاز او ناتح مقتدر(٥) . حتى انه لم ينظر في امر النصرانية نظرة اخلاقية او روحانية، ولم يتثقف بها ويفطن إلى مراميها الزهدية بل انها كانت بالنسبة اليه جزء من تراث قبيلته ومن تاريخها وقد تلقنها وانخرط فيها كاحد تقاليدها وعاداتها وهو اذا استدل لرجل الدين واسلمه امره ، كان في الواقع يحقر من امر نفسه ليعظم من امر دينه ، وتعظيمه لدين قبيلته هو تعظيم لها بوجه من كانوا يعارضونها به فقد شهد الاخطل منذ حداثته ما كان يقاسي بنو قومه من تضييق وحرمان

(١) محمد احمد جاد المولى : ايام العرب ص ٤١٦

(٢) ابن خلدون العبر ج٢ ص ٣٠١

(٣) الشنقيطي : شرح المعلقات العشر واخبار شعرائها ص١٥١

(٤) الشنقيطي المصدر السابق وفي مواضع اخرى، اذا بلغ الفطام لنا صبي(ابو الفتوح محمد التوانس) ياقوت الحموي ص ١٨

(٥) الحاوي : شرح ديوان الاخطل ص ١٤-١٥

اذ فرض عليهم عمر لبس الزنانير ،والقلانس المضربه الطوال والنعال المتينة(١)

وقد عرض عبدالملك على الاخطل الاسلام فابى وكان محباً للخمر ، وكثيرا ما عيره جرير شرب الخمر فرد عليه الاخطل (٢) وقال جرير يعرض بالاخطل ، ماقمنا بين يدي قسيس لاخذ قربان ، ولا لاداء جزية بين يدي سلطان.

(١) والمصدر السابق ص ٣٥ الاصفهاني الاغاني حـ٨ ص ٣١٠

(٢) شعر الاخطل ص ٢٢٨ (رواية ابي عبد الله محمد بن العباس)

مصادر البحث

١ ــ الالوسي : محمود شكري الالوسي : (بلوغ الارب في معرفة احوال العرب)صححة محمد بهجت الاثري ،الطبعة الثالثة، مطبعة الكتاب العربي بمصر .

٢ ــ احمد عطية الله : (القاموس الاسلامي) المجلد الاول ١٣٨٣ هـ ــ ١٩٦٣ مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة .

٣ ــ ابراهيم : محمد ابو الفضل ابراهيم ، وعلي محمد البجاوى . (ايام العرب في الاسلام) القاهرة مطبعة عيسى الباي الحلبي ١٩٧٤ .

٤ ــ البكــــري : ابو عبدالله بن عبد العزيز البكري الاندلسي المتوفى ٤٨٧ هـ (معجم ماastعجم) حققه مصطفى الشعار طبعة اولى القاهرة ١٩٤٥ .

٥ ــ البكالوريوس :المعلم اسكندر البكالوريوس الارمني (نهاية الارب في اخبار العرب) مطبعة الفعلة في مرسيليا ١٨٥٢ .

٦ ــ البغــــدادى : صفي الدين عبد المؤمن عبد الحق البغدادى المتوفي سنة ٧٣٩ (مراصد الاطلاع) (مختصر معجم البلدان لياقوت) تحقيق علي محمد البجاوى طبعة اولى ١٣٧٤هـ ــ ١٩٥٥ مطبعة دار احياء الكتب العربية مطبعة عيسى الباي الحلبي

٧ ــ البلاذرى :ابي العباس احمد بن يحيي بن جابر البلاذرى (فتوح البلدان)،وانساب الاشراف .

٨ ـ البيهقي :ابو بكر احمد بن الحسن ابن علي البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ الطبعة الاولى حيدر اباد الهند ١٣٤٧هـ (السنن الكبرى)

٩ ـ ابن حزم :ابي محمد علي بن سعيد حزم الاندلسي ، تحقيق ليفي بروقنسال دار المعارف بمصر ١٩٤٨ (جمهرة انساب العرب) .

١٠ ـ ابن خلدون :عبد الرحمن بن خلدون المغربي (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر) ج٤ دار الكتاب اللبناني للطباعة ١٩٥٧

١١ ـ ابن دريد :ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية ٢٢٣ ـ ٣٢١ تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٨ .

١٢ ـ ابن الاثير : الشيخ عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الاثير . دار صادر للطباعة والنشر بيروت ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ (الكامل في في التاريخ حـ٢) .

١٣ ـ ابن عبد ربه : ابو عمر احمد بن عبد ربه الاندلسي القاهرة مطبعة لجنة التأليف ١٩٦٥ م (العقد الفريد حـ٥).

١٤ ابن حوقل ابي القاسم بن حوقل النصيبي : (صورة الارض) منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت .

١٥ ـ ابن قيم الجوزية (شرح شروط العمرية) ١٩٣٩ م

١٦ ـ ابن العبري : غريفورس الملطي ، المعروف بابن العبري ١٢٢٦ ـ ١٢٨٦ (تاريخ مختصر الدول) مطبعة الكاثوليكية بيروت طبعة اولى ١٩٥٨

١٧ — ابن منظور :ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري (لسان العرب)، دار الصادر للطباعة والنشر بيروت ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥م

١٨ ابن هشام : ابو محمد عبد الملك بن هشام (السيرة) راجع اصولها محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة حجازي القاهرة .

١٩ — ابو الفدا :عماد الدين اسماعيل بن علي شاهنشاه — القاهرة — مطبعة الحسين ١٣٢٥هـ (٦٧٢هـ ٧٣١هـ) (المختصر في اخبار البشر) .

٢٠ — ابو الفضل :محمد ابو الفضل ابراهيم ، وعلي محمد البجاوي (ايام العرب في الاسلام) الطبعة الرابعة مطبعة احياء الكتب العربية ١٩٧٤

٢١ — التوانسي : ابو الفتوح محمد التوانسي .: (ياقوت الحموي الجغرافي) الهيئة المصرية ١٩٧١.

٢٢ — جاد المولى : محمد احمد جاد المولى (ايام العرب في الجاهلية) الطبعة الثالثة مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر .

٢٣ — الحاوى : :ايليا سليم ،(ديوان شرح الاخطل التغلبي) دار الثقافة بيروت .

٢٤ — الحمـــــــــوي : ياقوت الحموي والشيخ الامام شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت ابن ابي عبدالله الحموي (معجم البلدان ج٢ ج ٤) طبعه طهران ١٩٦٥ .

٢٥ — حمزة : فؤاد حمزة . (قلب جزيرة العرب) ١٣٥٢هـ

٢٦ـ حتى :فيليب حتى : (تاريخ العرب المطول حـ١)
١٩٥٢ م دار الكشاف للنشر .

٢٧ ـ الدينوري : ابو حنيفة احمد بن داود الدينوري .
(الاخبار الطوال) ١٩١٢ م

٢٨ ـ دائرة المعارف الاسلامية: نقلها إلى العربية احمد السيناوى ،
وابراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس
وحافظ جلال . (مادة تغلب والسفينة).

٢٩ ـ الازدى : ابو زكريا يزيد بن محمد بن اياس (تاريخ
الموصل) طبعه القاهرة تحقيق علي حبيب بن القاسم
الازدي ٣٣٤هـ ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م.

٣٠ ـ الزبيدي (تاج العروس)

٣١ ـ الزمخشري : ابو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن احمد الزمخشري
توفي ٥٢٨هـ (الامكنة والمياه والجبال) مطبعة بغداد

٣٢ ـ السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي
المتوفى سنة ٩١١هـ (تاريخ الخلفاء حـ١)
حققه محمد محي الدين عبد الحميد الطبعة
الثالثة مطبعة المدني بالقاهرة ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٤م

٣٣ ـ السويدي :محمد امين البغدادي الشهير بالسويدى (سبائك
الذهب في معرفة قبائل العرب) المطبعة المرتضوية
بالنجف ١٣٤٥ هـ

٣٤ ـ سالم :عبد العزيز سالم (تاريخ العرب قبل الاسلام)
مطبعة كرموز بالاسكندرية .

٣٥ ـ السامر : فيصل جرير السامر . (الدولة الحمدانية
في الموصل وحلب جـ١) مطبعة الايمان بغداد
١٩٧٠م

٣٦ ــ شيخو :الاب لويس شيخو اليسوعي : جمع وصحح ووقف على طبع كتاب (شعراء النصرانية ج١) مطبعة المرسلين اليسوعين ، بيروت ١٩٢٦م

٣٧ ــ الشنقطي :احمد بن الامين ١٣٣١ ﻫ (شرح المعلقات العشر واخبارها وشعرائها بيروت دار الاندلس ١٩٧٣م .

٣٨ ــ الاصفهاني :ابو الفرج الاصفهاني (الاغاني ح١٢) طبعة بيروت ١٩٥٨ م ــ ١٣٧٨ ﻫ .

٣٩ ــ صائغ :سليمان صائغ : (نصارى العرب في التاريخ) مجلة النجم المجلد ٨ العدد العاشر ١٩٣٦ .

٤٠ ــ الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير الطبري ٢٢٤هـ ــ ٣١٠ﻫ (تاريخ الرسل والملوك) الطبعة الثانية تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم دار المعارف بمصر .

٤١ ــ علي : جواد علي (المفصل في تاريخ العرب) ج٤ ، ح٦ دار العام للملايين بيروت

٤٢ ــ العلى : صالح احمد العلي : (محاضرات في تاريخ العرب) ح١ مطبعة المعارف بغداد ١٩٥٥م

٤٣ ــ غربال :محمد شفيق غربال (الموسوعة العربية الميسرة) مؤسسة فرانكلين للطباعة القاهرة ١٩٦٥م(مادة تغلب)

٤٤ ــ فروخ : عمرفروخ : تاريخ صدر الاسلام والدولة الاموية) دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٠م

٤٥ ــ القلقشندي :ابو العباس احمد القلقشندي ٧٥٦ ﻫ ــ ٨٢١ﻫ (نهاية الارب في معرفة انساب العرب) تحقيق ابراهيم الابياري ، القاهرة ١٩٥٩م .

٤٦ ـ كحالة : عمر رضا كحالة (معجم قبائل العرب القديمة والحديثة) جـ١ المكتبة الهاشمية بدمشق ١٩٤٩ م.

٤٧ ـ الكوفي ابو محمد احمد ابن أعثم الكوفي : (كتاب الفتوح) الطبعه الاولى ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م المتوفي ٣١٤هـ

٤٨ ـ المسعودى ابو الحسن علي بن الحسين المسعودى ٣٤٦هـ: (١)(التنبيه والاشراف) عني بتصحيحه ومراجعته عبدالله اسماعيل الصاوى القاهرة ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨ (٢)م (مروج الذهب ومعادن الجوهر) جـ١ مطبعة دار الاندلس . دققه يوسف أسعد

٤٩ ـ الهمداني (١) : محمد الحسن بن احمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الهمداني المتوفى ٣٣٤ هـ (صفة جزيرة العرب) مطبعة السعادة بمصر، صححه ونشره محمد عبدالله النجدي .

٥٠ ـ الهمداني (٢) : ابو بكر محمد بن ابي عثمان الحازمي الهمداني. متوفى ٥٨٤ هـ كتابة (عجالة المبتدى ، وفضالة المنتهي في النسب) حققه عبدالله كنون، المطابع الاميرية القاهرة (١٣٨٤هـ-١٩٦٥م)

٥١ ـ اليزيدي : ابو عبدالله محمد بن العباس اليزيدي ، روايه (شعر الاخطل) عن ابي سعيد السكري ، صححه وعاق حواشه، الاب انطون صالحاني في اليسوعي بيروت المطبعة الكاثوليكية ١٨٩١ م .

أهمّ التأثيرات المعماريّة والفنيّة المتبادلة بين العراق والمغرب العربيّ في العصر الإسلاميّ

الدكتور
احمد قاسم جمعة

قام العرب بعد ان وحد الاسلام كلمتهم بحمل مبادئه وكانوا في بداية الامر منشغلين بالجهاد والفتوحات غير مكترثين بالمظاهر الدنيوية ولهذا فلا عجب اذا تأثروا في مجال العمارة والفنون بالطرز التي سبقتهم ولاسيما الساسانية والبيزنطية منها التي كانت سائدة في المناطق التي دانت لسلطانهم .

واقتباس كل امة من الامم لبعض المظاهر الحضارية – ومنها العمارة والفنون – من الامم التي سبقتها أمر طبيعي ، لان الحضارة الانسانية حلقات متعددة يكمل بعضها بعضا . ساهمت في تكوينها اقوام متعددة في اماكن مختلفة وازمنه متفاوتة .

ولكن سرعان ما انتقل العرب قبل انتهاء القرن الاول الهجري/السابع الميلادي من دور اقتباس الى دور التطوير والابتكار وكونوا طرازا فنيا ومعماريا له اساليبه ومميزاته بحيث اثر في كثير من النواحي المعماريه والفنية في اوربا خلال القرون الوسطى .

ومما يؤسف له ان الوجه الحقيقي لذلك الطراز العربي الاسلامي لم يبدو على حقيقته بصورة كاملة وذلك لاندثار كثير من العمائر وعدم صيانة معظمها على اسس سليمة فضلا عن فقدان كثير من النفائس الاثرية المنقولة ، كما ان بعض المستشرقين الذين كان لهم السبق في دراسة الاثار العربية قد خصصوا جانبا من جهودهم لحجب اي فضل للعرب والمسلمين في مجال الفنون والعمارة علاوة على التوجيهات التي اوحت الى بعض الدارسين والمثقفين العرب بتركيز الجانب الاكبر من اهتمامهم على الاثار القديمة السابقة للاسلام ثم منح ما بقي من ذلك الاهتمام للاثار العربية في العصر الاسلامي (١) . ونحن لاننكر اهمية الاثار القديمة السابقة للاسلام ولكن آن الاوان للكشف عن اثارنا العربية الاسلامية والعمل على حفظها ودراستها لكي لانبقى في فراغ حضاري في هذا المجال ولكي لا يفقد جيلنا الحاضر واجيالنا اللاحقة الصلة بتراث الاجداد .

(١) الدكتور فريد شافعي : العمارة العربية في مصر الاسلامية، القاهرة ١٩٧٠م، المجلد ١، ص ٢٥ .

والبحث سيركز على أهم التأثيرات المتبادلة بين العراق واقطار المغرب العربي في العصر الاسلامي من حيث المظاهر الفنية والعناصر المعمارية في المباني الاثرية واسباب ذلك وكيفية حدوثها، والتطرق الى اصولها وكيفية تطورها بالقدر الذي يفي بالغرض وتقتضيه طبيعة البحث.

وسيكون اعتمادنا في ذلك على مدى التشابه بين تلك المظاهر والعناصر. علما بأن التشابه الحاصل بينها لايكون في جميع الحالات دالا بالضرورة على التأثير المتبادل.، وانما يكون محليا في بعض الاحيان ينشأ عن طريق الصدفة. والعراق يعد من اهم اقطار المشرق العربي حضاريا بفعل نشأة بعض الجذور الحضارية التي ترقى فيه الى عصور ماقبل التاريخ اذ ترعرع في كنفه كثير من الحضارات القديمة : كالحضارة السومرية والاكدية والبابلية والاشورية ، فضلا عن تأثره بالحضاره الساسانية نظرا لوقوع معظم مناطقه ضمن الحكم الساساني انذاك ، كما اصبح مركزا للخلافة العباسية مدة ناهزت الخمسة قرون ابان العصر الاسلامي.

اما اقطار المغرب العربي فقد كان لها هي الاخرى دور حضاري لانها وقعت تحت التأثيرات الحضارية السابقة للاسلام ومنها الحضارة الاغريقية والرومانية والبيزنطية ، كذلك اصبح لها دور الريادة في تغذية الحضارة الاوربية بكثير من اصول حضارتها العربية الاسلامية بحكم موقعها .

ولما كانت مصر تعد من اهم حلقات الربط الحضاري بين مشرق العالم العربي ومغربه بحكم موقعها الجغرافي ؛ لذ سنتعرض الى عناصرها المعمارية وظواهرها الفنية ذات العلاقة بالتأثيرات الوافدة من العراق الى اقطار المغرب العربي وبالعكس .

وقد امتازت الفنون والعمارة العربية الاسلامية بالوحدة التعبيرية التي جاءت نتيجة للتاثيرات الفنية المتبادلة بين اقطار الوطن العربي بفضل الوحدة السياسية والحضارية فيما بينها لفترة طويلة بعد ظهور الاسلام وحتى حينما كان يحدث انفصال بعض المناطق الا ان اغلبها كان يدين بالولاء ولو بصورة اسمية — للدولة المركزية

ادى هذا بطبيعة الحال إلى تبادل الولاة والحكام بين الاقاليم المختلفة الذين كان لهم الفضل الكبير في نقل الظواهر الفنية والمعمارية من اقليم لآخر ومن الامثلة على ذلك الوالي الاموي عبيدالله ابن الحبحاب الموصلي الذي ولي مصر وشمال افريقيا من بعدها (١) فقد ذكر انـه جاب قسما من عائلات الموصل إلى تونس واقرها فيها وادخلت هذه العوائل بعض المميزات الفنية من العراق الى هذه الربوع (٢) كما نقل الولاة العباسيون من الاغالبة إلى تونس قسماً من المميزات الفنية والمعمارية من العراق ومصر ومنهم ابراهيم بن الاغلب (٣) كما ان احمد بن طولون الذي ترعرع بمدينة ساماراء بالعراق تأثر بتصميمها المعماري وزخارفها ونقلها إلى مصر عندما ولي امرها (٤) كذلك فان الحكام الفاطميين لما نقلوا مقر حكمهم من القطر التونسي إلى مصر سنة (٣٦١هـ/٩٧١م) ادخلوا بعض اساليب العمارة التونسية إلى القاهرة (٥).

وكان لتنقل الصناع وهجرتهم من قطر إلى آخر اثره الفعال في هذا المجال وكدليل على ذلك قدوم بعض الصناع واهل الحرف من مصر إلى الموصل في

---

(١) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م؛ ج١ ، ص ٢٦٦ ؛ ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب في اخبار المغرب ، (أخبار العرب) ، بيروت ١٩٥٠ م ، ص ٥١ ؛ أبو العباس بن خالد الناصري : الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى ، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري ، الدار البيضاء ١٩٥٤م ، ج١ ، ص ١٠٥ ؛ خير الدين الزركلي : الاعلام ، قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، الطبعة الثانية ، طبعة كوستاتسوماس وشركاه ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٤ م ، ج٤ ، ص٣٤٥.

(٢) سليمان مصطفى زبيس : المحاريب في العمارة الدينية بالمغرب العربي ، المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية ، تونس ١٨-٢٩ مايو (آيار) ، القاهرة ١٩٦٣ م ؛ ص٥٥٥ و ٥٥٦.

(٣) الدكتور احمد فكري : مسجد القيروان ، مصر ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م ص ١٢٩ ؛ حسن عبد الوهاب : الآثار الفاطمية بين تونس والقاهرة ، المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية ، ص٣٥٩ ، و ٣٦٠.

(٤) شافعي : المرجع السابق . ص ٤٢١ ؛ حسن عبد الوهاب : من روائع العمارة الاسلامية في مصر ، المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية ، ص ٣٠٢.

(٥) عبد الوهاب : الآثار الفاطمية بين تونس والقاهرة ، ص ٣٦١.

اواخر القرن (٦هـ/١٢م) اثره في تنشيط الصناعة والفنون في مدينة الموصل (١)، وهجرة الفنانين من الموصل إلى ربوع الشام ومصر بعد استيلاء المغول على مدينتهم سنة (٦٠٠هـ /١٢٦٢م) ادى إلى نقل بعض الفنون والصناعات الموصلية — ومنها صناعة المعادن — الى دمشق والقاهرة (٢).

ولاننسى للفنون التطبيقية والعناصر المعمارية التي يمكن نقلها من قطر إلى آخر على ذلك التاثير كما هو الحال بالنسبة لمنبر جامع القيروان الذي صنع في العراق ثم نقل إلى هذا الجامع (٣) فمما لاشك فيه ان المميزات الفنية لمثل هذه التحف تؤثر في المناطق التي نقلت اليها.

ومن اهم العوامل الاخرى التي ادت إلى ذلك التأثير: التبادل الثقافي وتنقل الرحالة وما سطروه في معاجمهم من وصف للبلدان والاثار (٤) كما هو الحال بالنسبة للرحالة الاندلسي بن جبير الذي زار معظم اقطار المغرب والمشرق العربي ووصف كل ماشاهده من الاثار الشاخصة (٥) ورحلة العلماء من قطر لاخر وما ينتج عن ذلك من تأثير فني اضافة إلى التأثير العلمي وذلك لالمام بعضهم بالنواحي الفنية والصناعات التطبيقية إلى جانب تخصصهم بمختلف العلوم. ومن امثلتهم العالم النحوي اسماعيل بن يوسف المعروف بالطلاء المنجم فهو اول من

---

(١) سعيد الديوه جي: الموصل العهد الاتابكي، بغداد ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م، ص ٤٥.

(٢) الدكتور احمد قاسم الجمعه: الآثار الرخاميه في الموصل خلال العهدين الاتابكي والايلخاني: رسالة دكتوراه (غير منشوره) مقدمة جامعة القاهرة ١٩٧٥م، ص ٣٥٧؛ صلاح حسين العبيدي: التحف المعدنية الموصلية في العصر العباسي، بغداد ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م ص ٢٥.

(٣) الدكتور فريد شافعي: الاخشاب المزخرفة في الطراز الاموي، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة. المجلد ١٤، ج٢، سنة ١٩٥٢م، ص٧٥؛ مانويل جوميث: الفن الاسلامي في اسبانيا، ترجمة الدكتور لطفي عبد البديع والدكتور محمد عبد العزيز سالم ومراجعة الدكتور جمال محمد محرز، مصر ١٩٦٨م، ص ٤٣.

(٤) عبد الوهاب: المرجع السابق، ص٣٦٠.

(٥) انظر رحلة بن جبير.

من ادخل الطلاء العراقي (الترجيج او القاشاني) إلى المغرب العربي بالقيروان(١) عام (٢٤٨)هـ في محراب المسجد الجامع (٢) علاوة على افواج الحجاج الذين ، كان منهم فنانين على الارجح (٣) وكذلك النواحي السياسية التي ادت إلى تنقل الجيوش بين المناطق (٤) بغية القيام بالفتوحات والقضاء على الحركات الانفصالية وطرد الغزاة لتوحيد البلاد .

ومن تلك التأثيرات المتبادلة ظاهرة المداخل البارزة عن مستوى الجدران المثبتة فيها قد وجدت امثلتها الاولى في العراق في مداخل الواجهة الشمالية لخان عطشان (١٦١هـ/ ٧٧٧م) وطالعتنا هي الاخرى في بعض عمائر المغرب العربي ومنها مدخل مسجد المهدية في تونس (٣٠٣ — ٣٠٨ هـ / ٩١٥ — ٩٢٠ م) (٥) ومسجد تينملل (٥٥٨ هـ / ١١٥٣م) بالمغرب (٦) وقد تمثلت نفس الظاهرة بالمدخل الرئيسي لجامع الحاكم بالقاهرة (٣٨٠ ـ ٤٠٣هـ / ٩٩٠ ـ ١٠١٢م) (٧) من العهد الفاطمي ، وربما تأثر هذا المدخل بمدخل مسجد المهدية المذكور (٨) لان شمال افريقيا كان خاضعاً للحكم الفاطمي في هذه الفترة (٩) .

---

(١) القفطي : انباه الرواة على انباه النحاة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، القاهرة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠م، حـ١، ص ١٣.

(٢) جورج مارسيه : الفن الاسلامي، ترجمة الدكتور عفيف بهنسي، ومراجعة عدنان بني، دمشق ١٩٦٨م ؛ ص٦٧.

(٣) عبد الوهاب : المرجع السابق، ص ٣٦٠ ؛ شافعي : العمارة العربية في مصر الاسلامية، ص ٥٦٧.

(٤) المرجع والصفحة نفسها.

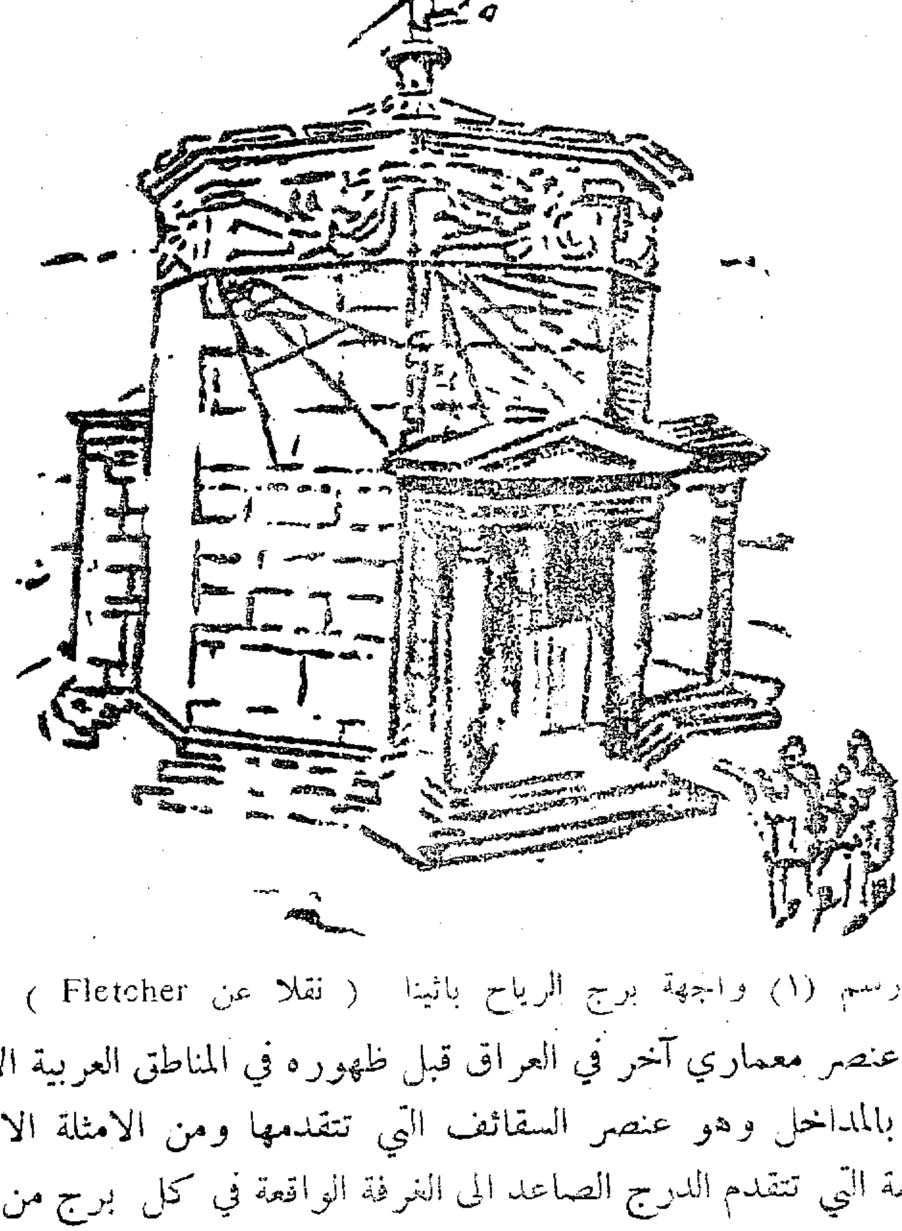
(٥) الدكتور احمد فكري : العمارة الاسلامية ، في مصر ، القاهرة، ص ٨٢ .

(٦) صبحي أعشي : نماذج من الفن المعماري الموحدي بالمغرب، المحمدية بالمغرب ١٩٧٧م، ص ١٨.

(٧) عبد الوهاب : المرجع السابق، ص ٣٧١ ؛ الدكتور عبد الرحمن زكي : القاهرة تاريخها وآثارها من جوهر الصقلي إلى الجبرتي المؤرخ، القاهرة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، ص٥٤.

(٨) سامح : المرجع السابق، ص ٨٢ ؛ الجمعة : المرجع السابق، ص ٤٨.

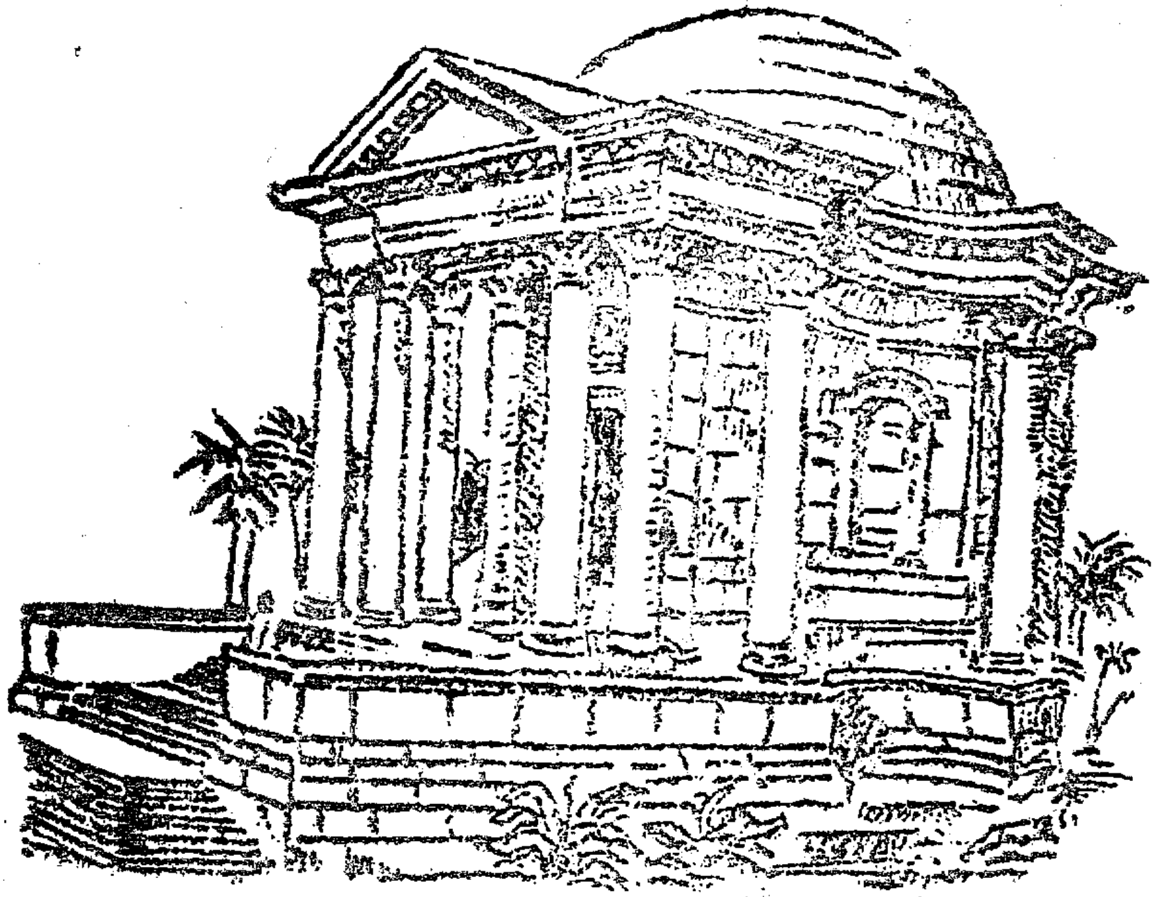
(٩) عبد الوهاب : المرجع السابق، ص ٣٦٠و ٣٦١.



رسم (١) واجهة برج الرياح بأثينا (نقلا عن Fletcher)

وظهر عنصر معماري آخر في العراق قبل ظهوره في المناطق العربية الاسلامية له علاقة بالمداخل وهو عنصر السقائف التي تتقدمها ومن الامثلة الاولى على ذلك السقيفة التي تتقدم الدرج الصاعد الى الغرفة الواقعة في كل برج من الابراج نصف الدائرية المحيطة بسور قصر الاخيضر (١) ، ثم أنتقل هذا العنصر الى بعض اقطار المغرب العربي الاسلامي ، كما هو الحال في سقيفة مدخل جامع ابي فتاتة في مدينة سوس (٣١٣، ٣٢٦هـ/٩٣٤، ٩٣٧م) . ويظهر ان الفاطميين تأثروا بفكرة سقيفة الجامع المذكور ونقلوها الى مدخل مسجد الصالح طلائع بالقاهرة (٥٥٥هـ/١١٦٠م) (٢) التي تعد من أقدم الامثلة

(١) سامح : العمارة في صدر الاسلام، ص ٩٨ .
(٢) المرجع نفسه، ص٨٢.



رسم (٢) واجهة معبد فينوس ببعلبك (نقلاً عن Fletcher)

على السقائف التي تتقدم المداخل في مصر (١) .

والجدير بالذكر ان ظاهرتي المداخل البارزة والسقائف التي تتقدم المداخل وجدت في الطرز المعمارية السابقة للاسلام . ومن الامثلة على الظاهرة الاولى بعض المداخل في العراق القديم (٢) ، بينما وجدت الظاهرة الثانية في العمارة الهلنستية (٣) (رسم ١) والرومانية (٤) رسم (٢) .

---

(١) عبد الوهاب: المرجع السابق، ٣٧٨ ؛ الجمعه: المرجع السابق، ص ٥٠ .

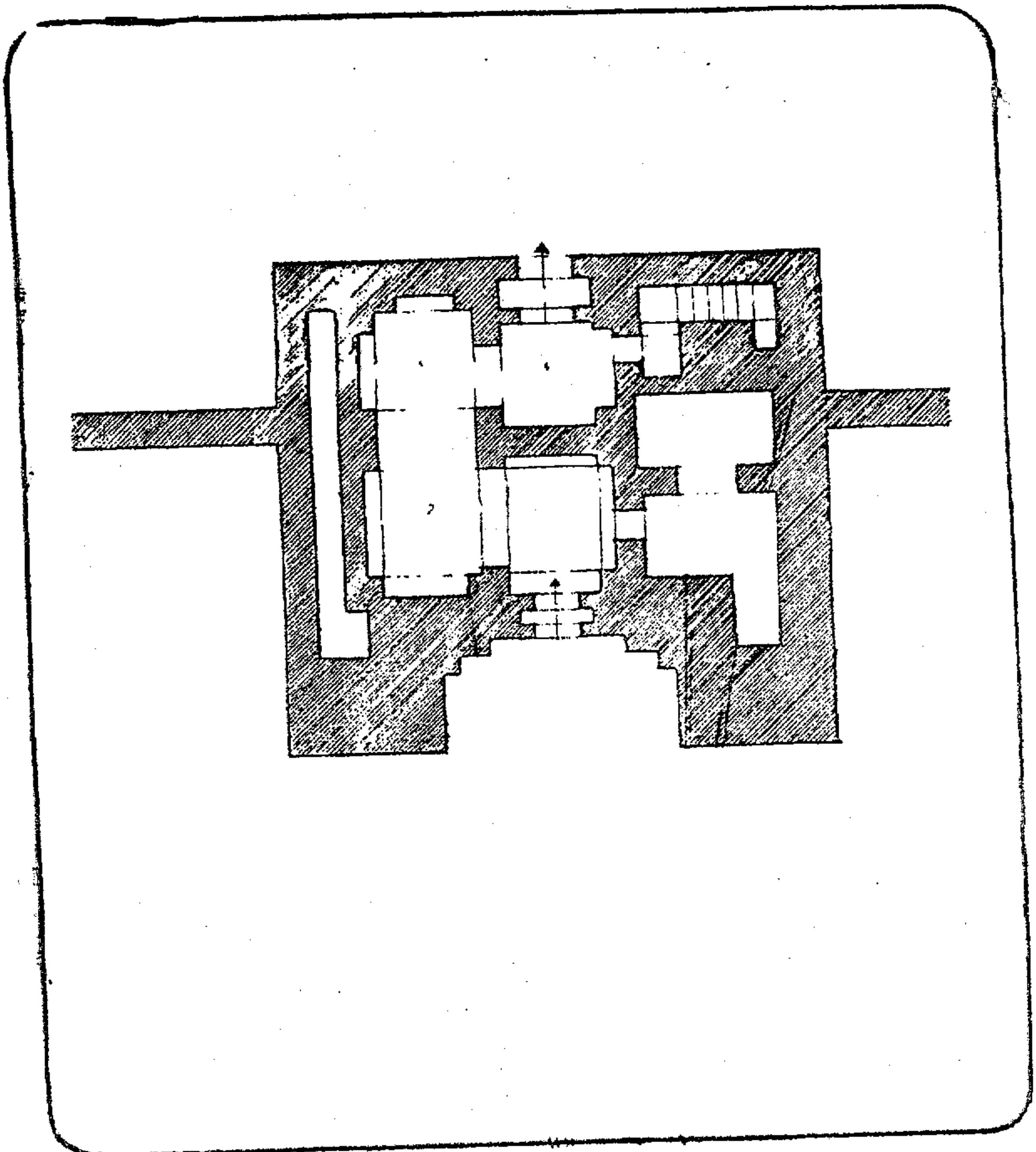
(٢) سبتينو موسكاتي: الحضارات السامية القديمة، ترجمة الدكتور السيد يعقوب ابو بكر ومراجعة الدكتور محمد القصاص، القاهرة، ص ١٠٩ ؛

Scranton (R.L.), Aesthetic Aspects of Ancient Art, Chicago 1964 Pl.42.

(3) Fletcher (B.), A history of Architecture on the Comparative Method, 7th Edition, London 1961. 1963, P. 141G .

(4) Ibid ., P. 195H .

كما ان ظاهرة المداخل المنحرفة (المزورة) (١) التي وجدت في مدينة بغداد



رسم (٣) باب الرواح بالرباط في المغرب (نقلا عن صبحي اعش)

(١). المدخل المنحرف اوالمزور : يخفي وراءه غرضاً عسكرياً اذ لوحظ فيه ان يضطر الغزاة بعد اقتحامه إلى الانحراف إلى اليسار العبور إلى مدخل ثان، فتتعرض جوانبهم اليمنى للسهام الموجهة اليهم من شرفات الحصن المقابل للمدخل، وكان الجند يحملون الدروع بايديهم اليسرى، فتبقى جوانبهم مكشوفه.
الدكتور احمد فكري : مساجد القاهره ومدارسها-المدخل-القاهره ١٩٦١م. ص ٣٤ حاشية٢ ؛ طاهر مظفر العميد : بغداد مدينة المنصور المدورة؛ النجف ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ص ٢٢٠- ٢٢١).

(٥٤١هـ / ٧٦٦م) (١) ظهرت بعد ذلك في مصر كما في قلعة صلاح الدين بالقاهرة القرن (٦هـ / ١٢) وتعدتها الى المغرب العربي كما في مدخل الرواح بالرباط من فترة معاصرة (٢) رسم (٣) .

ويمكن اعتبار المداخل المذكورة من العناصر المعمارية المبتكرة في العمارة العربية السابقة للاسلام وذلك لوجودها في مدينة الحضر بصورة واضحة (٣). ووجود مثال بيزنطي في شمال افريقيا يرجع تاريخه الى سنة (٨٥٩م) لا يعني انه أبتكار بيزنطي لانه جاء متأخر عن بناء مدينة بغداد بما يقرب من مائة سنة (٤) . وبهذا تعد مداخل بغداد من اقدم الامثلة العربية للمداخل المزورة (٥) في العصر الاسلامي .

واذا تناولنا المحراب المجوف نجد ان اقدم امثلته الباقية في العالم الاسلامي محراب جامع القيروان من ايام الوالي عقبة بن نافع (٥٠ هـ/ ٦٧٠ م) (٦) ثم انتقلت فكرة المحاريب المجوفة إلى اقطار المشرق العربي الاسلامي بعد ذلك ومن اقدم امثلتها المحراب الموجود في الضلع الجنوبية من المثمن الخارجي لقبة الصخرة

---

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، القاهرة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣١م، حـ١، ص ٧٤ ؛ ابن الفقيه الهمداني : بغداد مدينة السلام، تحقيق الدكتور احمد صالح العلي، سلسلة التراث (٦١)، الطبعه الاولى، باريس ١٩٧٧م، ص ٣٦ ؛ الدكتور مصطفى جواد والدكتور احمد سوسه: بغداد قديماً وحديثاً، بغداد ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م، ص ٥٠ ؛ الدكتور احمد فكري: المرجع السابق، ص ٣٤، حاشية ٢ ؛ طاهر مظفر العميد: المرجع السابق ، ص ٢٢٠ و٢٢١ و٢٣٢ .

Creswell (K.A.C.), A short Account of Early Moslim Architecture, Penguin and Pelican Book 1958, P. 175- 179.

(٢) اعشى : المرجع السابق، ص ٥٠، شكل ٦.

(٣) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى : الحضر مدينة الشمس، بغداد ١٩٧٤ م، ص ١١.

(٤) فكري : المرجع السابق، ص ٣٤، حاشية ٢ .

(٥) المرجع والصفحه نفسها ؛ العميد: المرجع السابق، ص ٢٣٢ ؛ اعشى: المرجع السابق، ص ٥٠ .

(٦) فكري : مسجد القيروان، ص ٥٩ ؛ شافعي: المرجع السابق ص ٦٠٧ .

من عهد عبد الملك بن مروان (٧٢ هـ/ ٦٩١م) ثم محراب الجامع الاموي (١) وامتدت الفكرة بعد ذلك إلى الحجاز كما هو الحال في المسجد النبوي من عهد عبد الملك بن مروان وفي ولاية عمر بن عبد العزيز (٨٨هـ/ ٧٠٦م) (٢) ثم انتقلت بعد ذلك إلى العراق ومن اقدم الامثلة على ذلك المحراب المجوف في قصر الاخيضر (١٦١هـ/٧٧٧م) (٣) .

كما ان المحاريب المجوفة ذات الصدور والمساقط المضلعة ظهرت في العراق ومثالها محراب الجامع الثالث في واسط (٤) ، كما وجدت امثلتها في المغرب العربي الاسلامي ويلاحظ في محراب جامع قرطبة (٥) ومحراب مسجد تينملل بالمغرب (٦) .

وأذا تتبعنا التكوين المعماري لهيئة محراب مزار بنجة علي في الموصل بالعراق (٦٨٦هـ/١٢٨٧م) المتكون من تجويف وسطي تخيطه طاقتان (رسم٤) وما يماثله من تكوين في الحنية الواقعة في الحائط الغربي لكنيسة مار بهنام

---

(١) المرجع نفسه، ص ٦١٣.

(٢) شافعي : المرجع السابق، ص ٦٠٤ .

(٣) المرجع نفسه، ص ٦٠٠ .

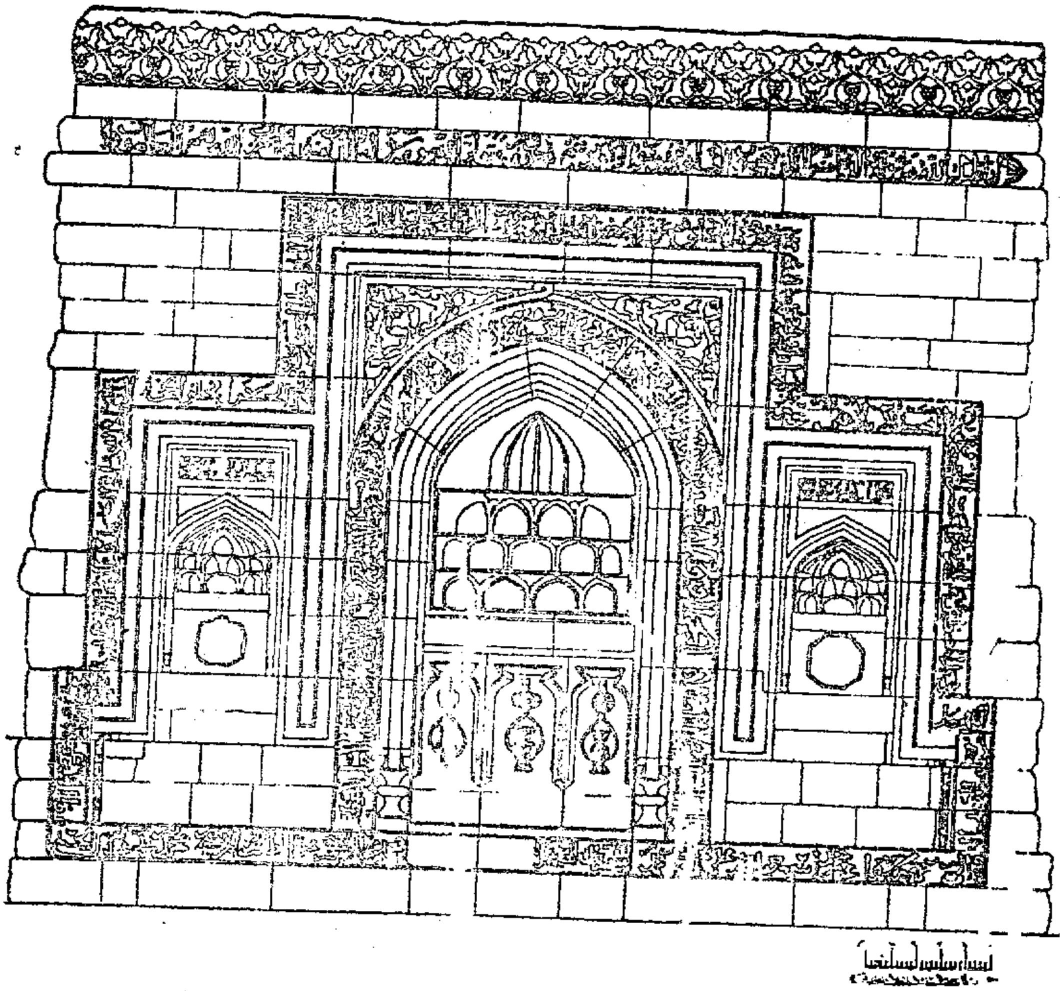
ومما يجدر التنويه اليه أن بعض العلماء العرب ومنهم الدكتور احمد فكري والدكتور فريد الشافعي قد اثبتوا ان فكرة المحراب المجوف في الاسلام اقتضتها الحاجه الوظيفية والضرورة المعمارية، وفندوا ماأورده بعض المستشرقين من ان الفكرة مقتبسة من الحنية المجوفة في الكنائس ومنهم مس بل وكريسوول(فكري : المرجع السابق ص ٥٤–٦٠؛ بدعة المحاريب، مجلة الكاتب المصرية ، المجلد٤ ، العدد ١٤ ص ٣٠٦– ٣٢٠ شافعي: المرجع السابق ص ٥٨٤– ٦١٩ ؛

Bell (G.L.), Palace and Mosque at Ukhaidir. Oxford 1914, P. 147; Greswell (K.A.C.), Early Muslim Architecture, Oxford 1932, Vol. I, P. 99.

(٤) فؤاد سفر : تنقيبات واسط، القاهرة ١٩٥٢م، ص٢.

(٥) Sordo (E.), Moorish Spain Cordoba Seville Granada, Canada 1963, P. 24, Fig. 93.

(٦) امشي : المرجع السابق، لوحه(٤) .



رسم (٤) تخطيط واجهة محراب دزار بقجة علي بالموصل
(تخطيط الدكتور احمد قاسم الجمعة)

بجوار الموصل(١) من فترة مقاربة نجد ــ ما يماثل ذلك من حيث الفكرة قد شاع في اقطار المغرب العربي كما هو الحال في بوابة مسجد المهدية بتونس (٣٠٣ــ ٣٠٨هـ/٩١٥ــ٩٢٠م)من العهد الفاطمي الذي يحف به برجان(٢)ومحراب مسجد تينملل (٥٤٨هـ/١١٥٣م)بالمغرب الذي يحف به بابان صغيران (٣)،ثم اقتبس التكوين مع شيء من التحوير في بعض مداخل ومحاريب العمائر الفاطمية ومن

(١) Ministere de la Culture et de l ' Information Direction general de l' Information. Mar Behnam, P. 24. Fig. 3

(٢) فكري : مساجد القاهرة ومدارسها، ج١، ص ١٤٣.

(٣) اعش : المرجع السابق، ص٩ .

امثلة ذلك مدخل مسجد الحاكم (٣٨٠ – ٤٠٣هـ/٩٩٠ – ١٠١٢م) (١) ومدخل مسجد الاقمر (٥١٩هـ/١١٢٥م ((٢) ومدخل القبة الكائن في الايوان الخارجي لمشهد السيدة رقية (٥٢٧هـ/١١٣٢م)(٣) ومحراب مسجد الحاكم (٤) .

وانتقل التكوين المعماري ذاته إلى المداخل الايوبيه بالقاهرة، كما هو الحال في مدخل الركن الشرقي لقاعدة قبة ضريح الامام الشافعي (٥٧٤هـ/ ١١٧٨م) (٥) ومدخل جدار الشمالي لمشهد الخلفاء العباسيين (٦٤٠ هـ/ ١٢٤٢م) (٦) . وامتد إلى العمائر الايوبية في سوريا، كما هو الحال في محراب المدرسة الظاهرية في حلب (٦١٣هـ / ١٢١٦م) (٧) وربما انتقل من سوريا او مصر إلى العراق او انه تأثير محلي حيث وجدت الفكرة نفسها في العراق قبل الاسلام ، كما هو الحال في بعض معابد الحضر التي كانت واجهاتها تتكون من ايوان كبير يحف به اواوين اخرى اصغر منه (٨) .

---

(١) فكري: المرجع السابق، جـ١، ص ١٤٣.

Rivoira, Moslem Architecture its Origins and Development Edinburgh 1918(٢)
P. 179, Fig. 152; Creswell , The Muslim Architecture of Egypt, Vol.
11, P. 82 . (c)

(٣) عبد الوهاب: من روائع الآثار الفاطمية بين تونس والقاهرة، ص ٤٠٤ لوحة ٢٤.

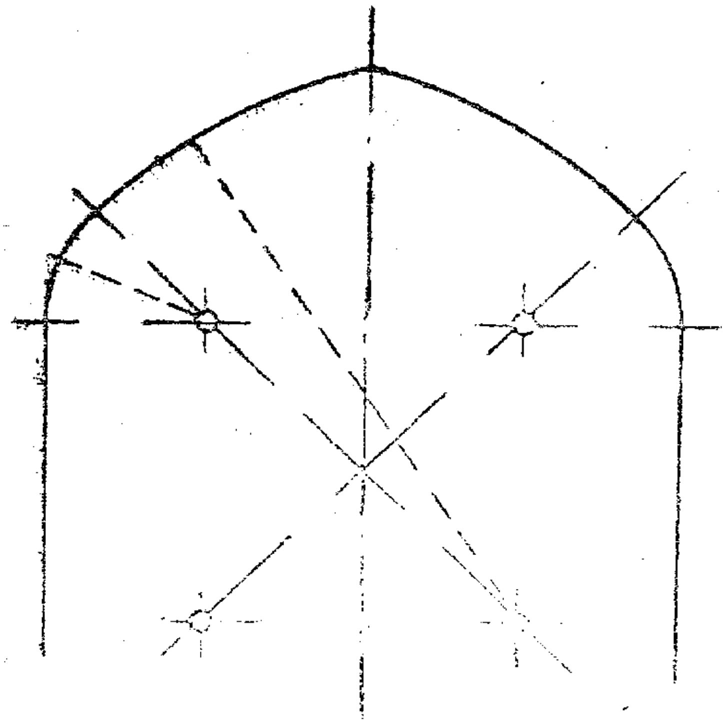
(٤) فكري: المرجع السابق، جـ١، ص ٧٣، لوحة ٢١.

(٥) Creswell, OP. Cit., Vol. 11. Pl. 23 (a).

(٦) فكري: المرجع السابق، جـ٢، ص ٣٨، لوحة ١٢ .

(٧) Abb (A. N.,) The Ayyubid Domed Buildings of Syria Vol. 3,
Fig. 317 .

(٨) سفر ومصطفى: المرجع السابق، صورة رقم ٣٣٤.
تقع الحضر إلى الجنوب الغربي لمدينة الموصل بحدود ١١٠ كم في بادية الجزيرة قريباً من منخفض الثرثار، ولقد نشأت قبل الاسلام كعاصمة لمملكة عربية وكان لها دور حضاري وسياسي إلى ان سقطت على يد الفرس عام (٢٤٠–٢٤١م) واتخذت بعد ذلك قاعدة عسكرية في العهد الاتابكي بالموصل (٥٢١–٦٦٠هـ/ ١١٢٧–١٢٦١م) ولازالت اطلالها ماثلة للعيان.



رسم (٥) عقد مدبب ذو اربعة مراكز من باب بغداد بالرقة
(نقلا عن الدكتور فريد شافعي)

وقد حدثت تأثيرات متبادلة بين العراق واقطار المغرب العربي الاسلامي في مجال عنصر معماري هام وهي العقود ولاسيما العقود المدببة ذات المراكز الاربعة والعقود المتقاطعة والمزدوجة والمخصصة والصماء.

فالعقد المدبب ذو المراكز الاربعة بعد من الابتكارات العربية الاسلامية المهمة فقد وجدت اقدم امثلته في باب بغداد في الرقة في حدود سنة (١٥٥ هـ/٧٧١م) (رسم٥) وهو احد ابواب مدينة الرقة وفي باب العامة في قصر الجوسق الخاقاني، كما استخدم في عقود بائكات جامع ابي دلف ثم انتقل إلى عمائر المغرب العربي الاسلامي. وعدم ظهوره فيما بعد في عمائر العهد الفاطمي يوحى بأن انتقاله في مصر لم يأت عن طريق العراق وانما عن طريق المغرب العربي (١).

وقد وجد العقد المدبب العادي في العراق قبل الاسلام منذ العصر الساساني

(١) شافعي: المرجع السابق ص ٤١٣-٤١٥.

لضرورة معمارية ثم ظهرت امثلته الاولى في العمائر العربية الاسلامية في المسجد الاموي بدمشق (٩٦هـ/٧١٤م) (١) وبعد ذلك استحصل في العراق بقصر الاخيضر (١٦١هـ/٧٧٧م) والجوسق الخاقاني بسامراء (٢٢١هـ/٨٣٥م) ثم شوهد بعد ذلك في المغرب العربي، كماهو الحال في جامع القيروان في نفس السنة. وطالعنا فيما بعد في مقياس الروضة بمصر (٢٤٧هـ/٨٦١م) وفي مسجد احمد بن طولون (٢٦٥هـ/٨٧٨م) وربما كان انتقاله اليها عن طريق العراق (٢).

اما انتقال العقد المدبب إلى اقطار المغرب العربي قبل ظهوره في مصر فيوحي بأنه عن طريق العراق ومن المرجح ان ذلك كان على يد الامراء الاغالبة الذين نقلوا بعض الظواهر الفنية والمعمارية إلى تلك الاقطار ولاسيما تونس بالذات (٣).

وقد تمكن المعماريون العرب المسلمون في تطوير هذا النوع من العقود من مركزين (رسم٦) والعقد المدبب المكون من اربعة اقواس رسمت من اربعة مراكز كما تقدم، والعقد المدبب الذي يتكون من قوسين رسماً من مركزين، ويمس كل قوس منهما مستقيم يلتقي مع المستقيم الاخر في قمه العقد المدببة ويسمى بالعقد الفاطمي نظراً لكثرة استخدامه في عمائر مصر في العصر الفاطمي. كما ابتكروا نوعاً اخر من هذه العقود وهو العقد الذي يجمع بين العقد المدبب ذي القوسين وشكل حذوة الفرس ووجدت امثلته في جامع القيروان (٢٢١هـ/٨٣٥م) وبعدها في جامع ابن طولون (٢٦٣—٢٦٥هـ/٨٧٦—٨٧٨م) (٤).

اما العقود المتقاطعة فهي الاخرى من المبتكرات في العمارة العربية الاسلامية ظهرت في بداية الامر في المسجد الجامع بقرطبة من عهد الحكم

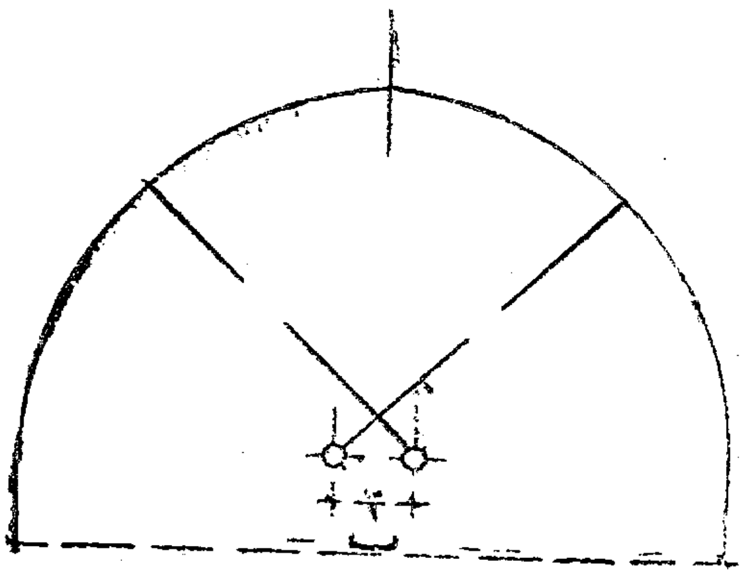
---

(١) المرجع نفسه، ص ١٧٣، ٢٠٧.

(٢) فكري: التأثيرات الفنية الاسلامية العربية على الفنون الاوربية، مجلة سومر لمجلد ٢٣، بغداد ١٩٦٧ م. ص ٧٥.

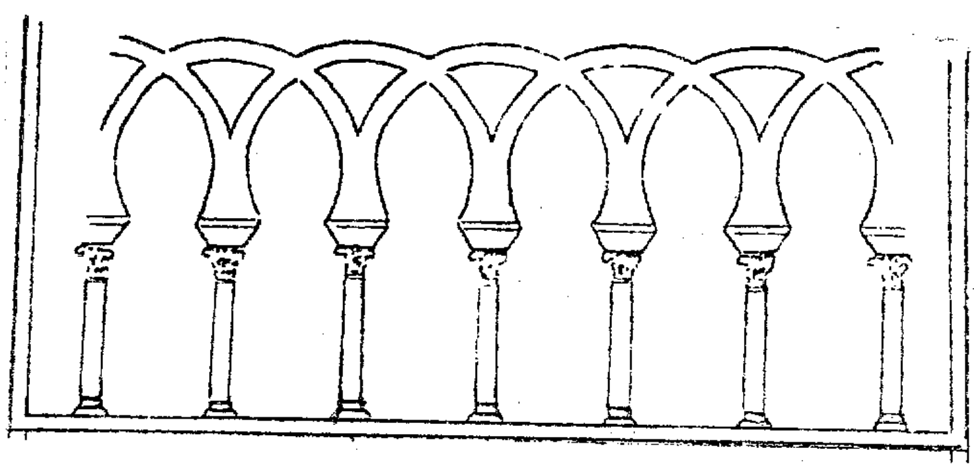
(٣) فكري: مسجد القيروان، ص ١٢٩؛ زبيس المرجع السابق، ص ٥٥٦.

(٤) شافعي: المرجع السابق. ص ٢٠٧.



رسم (٦) عقد سدبب ذو مركزين بالمسجد الجامع بدمشق :
(نقلا عن الدكتور فريد شافعي)

المستنصر (رسم٧) لتؤدي وظيفة معمارية وجمالية في آن واحد(١) وتعدته إلى منارة الكتيبة في مراكش لغايات زخرفية (٢) وفي عصر الموحدين زينت الجدران باعمدة صغيرة تعلوها اقواس متقاطعة ، كما ان بني

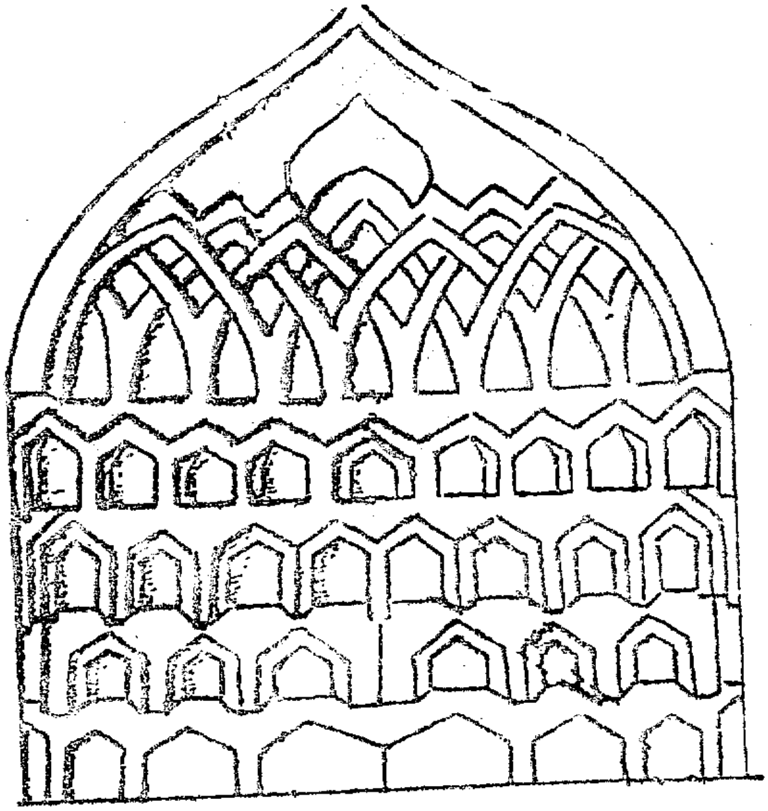


رسم (٧) عقود متقاطعة بالمسجد الجامع بقرطبة
(نقلا عن جوميث)

(١) جوميث : المرجع السابق، ص ١٢٠ .
(٢) الدكتور حماد شهاب : الطرز المعماريه واصولها، ص ٢٧، شكل ٤٣.

الاحمر في غرناطة اتخذوها في زخارفهم الجصية التي تميزت بصغر الحجم ودقة التنفيذ .

وطالعتنا الاقواس المتقاطعة لاغراض زخرفية في الموصل منذ العهد الايلخاني ، فقد وجدناها تعلو المقرنصات المزينة لمشكاة شاهد الصندوق الرخامي لقبر مزار الامام علي الهادي (رسم٨). ولاندري هل ان الاقواس



رسم (٨) عقود متقاطعة بشاهد قبر مزار الامام علي الهادى بالموصل.
(تخطيط الدكتور احمد قاسم الجمعه)

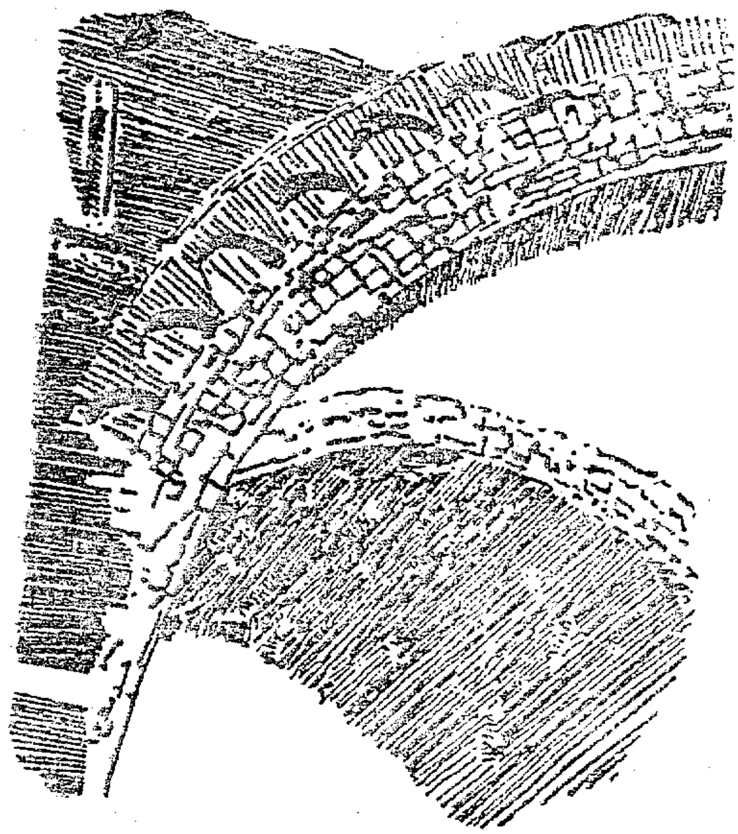
المذكورة اشتقت من تشكيلات الخطوط الهندسية التي اشتهرت بها الموصل ولاسيما في العهد الاتابكي (٥٢١ — ٦٦٠هـ/١١٢٧—١٢٦١م) (٢) ام ترجع باصولها إلى تأثيرات واحدة من المغرب العربي.

---

(١) الدكتور نادر العطار : العماره الاندلسيه في عصر الموحدين ، مجلة الحوليات الاثريه السوريه ١٠٣ لسنة ١٩٦٠م ص ٦٥.

(٢) احمد قاسم الجمعه : محاريب مساجد الموصل إلى نهاية حكم الاتابكة سنة ٦٦٠هـ/ رسالة ماجستير (غير منشورة) قدمت إلى جامعة القاهرة ١٩٧١م ص ٢٣٣.

وبالنسبة للعقود المفصصة التي تعتمد على التدوير والانحناء فعلى الرغم من وجودها في الفنون السابقة للاسلام كالفن الهندسي(١) والفن الساساني (رسم٩) (٢) ، الا انها كانت تؤدي غرضاً زخرفياً وتمكن العرب والمسلمون



رسم (٩) عقد مفصص بطاق كسرى في طيسفون بالعراق
(نقلا عن الدكتور فريد شافعي)

من تطويره واستخدامه في الاغراض المعمارية والاغراض الزخرفية في آن واحد .

وعلى الاغلب فان فكرة العقود المفصصة في العمارة العربية الاسلامية تأثرت بفكرة الفصوص التي كانت تحلي عقد طاق كسرى في طيسفون

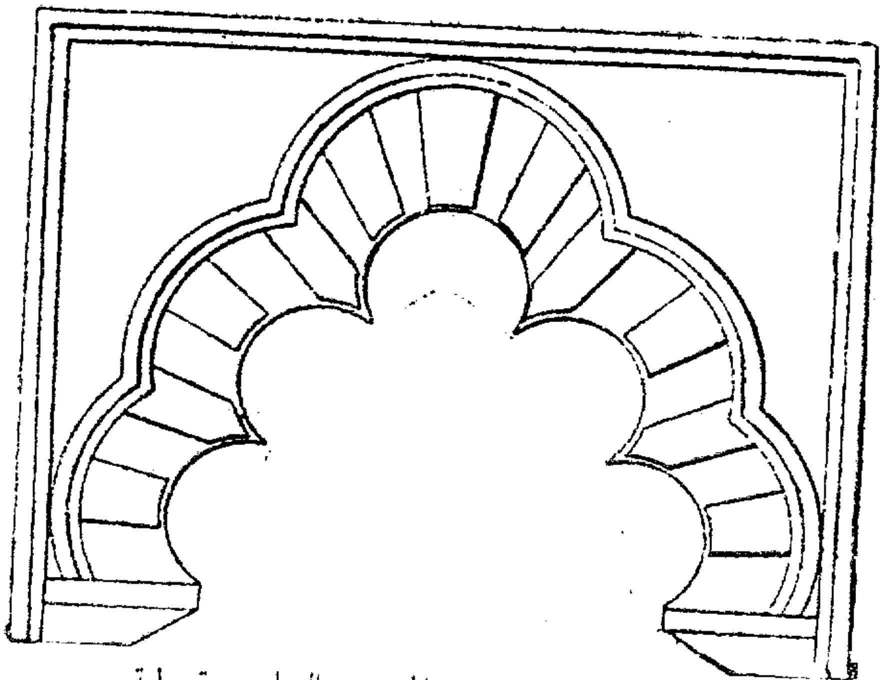
(١) Havell (E. B), Indian Architecture, 2nd, Ed., London 1927 P. 82-86 .
(٢) Ghirshman (R.), Iran Parthians and Sassanian, Thams and Hudson, France 1962, Fig. 375 .

بالعراق من العهد الساساني حيث وجدث الامثلة الاولى لهذه العقود في العصر العباسي المبكر في الشبابيك الوهمية المزينة لواجهة باب بغداد في مدينة الرقة (١٥٥هـ/٧٧١م) (١) وتلتها عقود اخرى وجامع سامراء (٢٣٤–٢٣٧هـ/ ٨٤٨–٨٥٠م) (٢) وقصر العاشق قرب سامراء (٢٦٤هـ/٨٧٨م) (٣). وقد انتقلت من العراق إلى مصر حيث وجدت في حشوات زخرفية في مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط ترجع إلى اعمال الوالي عبد الله بن طاهر (٢١٢هـ/٨٢٧م) ثم تعدتها الى جامع ابن طولون حوالي (٢٦٥هـ/٨٧٩م)(٤).

اما ظهورها في المغرب العربي فكان بواجهة الطاقة الركنية في قبة المسجد الجامع بالقيروان (٢٢١هـ/٨٣٥م) (٥) وربما انتقلت مباشرة من العراق بفعل التأثيرات العراقية التي نقلها الامراء الاغالبة إلى تونس، كما وجدت في حشوات منبر القيروان (٢٤٢ – ٢٤٩هـ/٨٥٦ – ٨٦٣م) (٦) الذي تم صنعه في العراق (٧). ثم دخل التكوين نفسه إلى الاندلس كما يلاحظ في العقد الذي يعلو المحراب في المسجد الجامع بقرطبة (رسم١٠) (٨).

والجدير بالتنويه أن العرب المسلمين تمكنوا من ابتكار نوع آخر من العقود المفصصة تعتمد فصوصها على التدوير والانكسار الذي ظهر في مصر منذ العهد الفاطمي كما في منارة مسجد الحاكم (٣٨٠ – ٤٠٣هـ/٩٩٠ – ١٠١٢م) واحد

(١) شافعي: المرجع السابق، ص ٢٠٩.
(٢) جوميث: المرجع السابق، ص ١١٦؛ شافعي: المرجع السابق، ص ٢٠٩.
(٣) فكري: التأثيرات الفنية الاسلامية العربية على الفنون الاوربية، ص ٧٣.
(٤) جوميث: المرجع السابق، ص ١١٦.
(٥) فكري: المرجع السابق، ص ٧٣.
(٦) جوميث: المرجع السابق، ص ١١٦.
(٧) شافعي: الاخشاب المزخرفة في الطراز الاموي، ص ٧٥.
(٨) جوميث: المرجع السابق، ص ١١٦، شكل ١٣٦.



رسم(١٠) عقد مفصص من المسجد الجامع بقرطبة
(نقلا عن جوميث)

محاريب الجامع الطولوني (نهاية العهد الفاطمي)(١).

ومن المرجع أن تصميم هذه العقود انتقل من مصر إلى العراق ومن امثلة ذلك عقد محراب عمارة الأربعين في تكريت (من نهاية القرن الخامس) (٢) كما امتدت إلى أقطار المغرب العربي مثلما وجد في قلعة بني حماد بالجزائر (٥هـ/١١م) (٣).

اما العقو د الصماء التي تتخلل المشكاوات في محراب عمارة الأربعين في تكريت والتي تجلت باجلى مظاهرها في اطر بعض المداخل والمحاريب في الموصل في العهد الاتابكي ، مثلما وجد في محراب الجامع النوري من القرن

(١) Shafiei (F.) An Early Fatimid in the Mosque of IbnTulun, Bulletin of the Faculty Arts , Vol. xv- art I, May 1953, PP. 75, 81, Fig. 16, 01. 1,

(٢) Shafiei, OP. Cit., P. 73 .

(٣) Marcais (G.) Manuel D'Art Muslman I' Architecture, Paris 1920 PP. 155, 368, Fig. 80 , 199B .

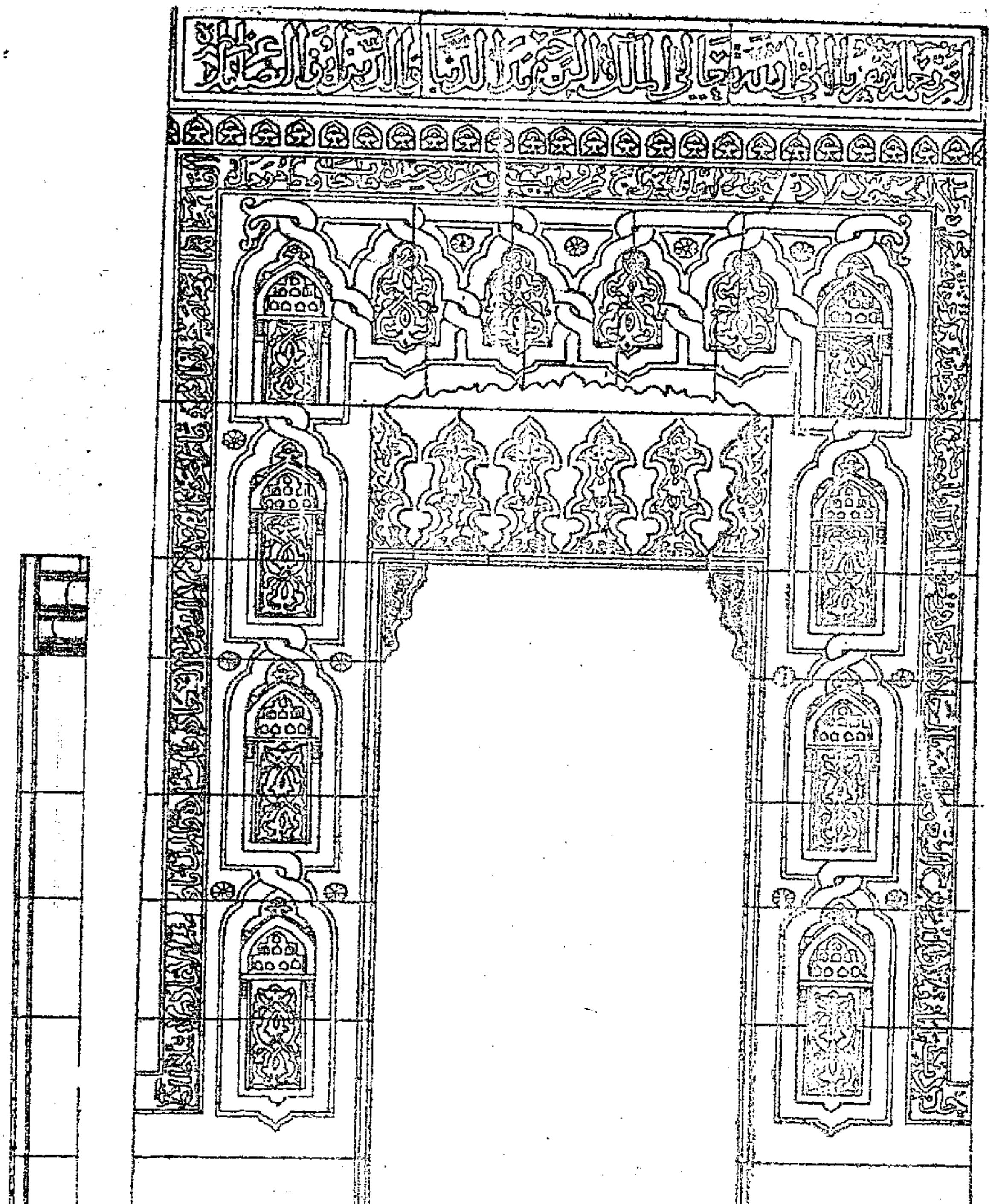
(٥٧هـ/١٣م)(١) ومدخل حضرة مزار الامام عون الدين (٦٤٦هـ/١٢٤٨م) (رسم ١١)(٢) فهي من الابتكارات العربية الاسلامية في المغرب العربي. حيث ظهرت لاول مرة في المسجد الجامع بقرطبة (٣٥٤هـ/٩٦٥م) وعلى واجهة مسجد تطيلة (٣٦٩هـ/٩٧٩م) (٣) وانتشر استعمالها في مآذن الأندلس والمغرب، ثم تاثرت بها اقطار المشرق العربي ومنها العراق.

ولابد لنا ونحن في سبيل التعرض للعقود أن نشير إلى ابتكار عربي اسلامي في هذا المجال وهو ظاهرة تشكيل العقود من صنجة من الحجر تليها مجموعة من الحجارة الملونة أو قوالب الأجر بالتبادل . فقد وجدت الأمثلة الصريحة لذلك في جامع قرطبة الذي شيده عبد الرحمن الداخل سنة (١٧٠هـ/ ٧٨٦ م) ثم انتشرت الظاهرة بعد ذلك في بناء الجدران وسميت عند العرب (الابلق) حيث كان يستخدم الحجر الفاتح اللون في المدماك الأول والحجر الداكن أو البازلت في المدماك الثاني بالتبادل ،وشاع هذا الاسلوب في العمارة العربية في الشام نظراً لتوفر الحجر الجيري وحجر البازلت (٤)، كما شاع في عمائر مصر منذ العصر الأيوبي (٥) لنفس السبب .

وربما انتقلت نفس الفكرة من مصر أو الشام إلى العراق وبالموصل بالذات منذ العصر الاتابكي ، كما يلاحظ ذلك في العتبات العليا لبعض المداخل فقد كانت تزخرف صنجة ثم تترك التي تليها صماء خالية من الزخرفة وهكذا بالتبادل، كما هو الحال في مدخل حضرة مزار الامام عون الدين (٦٤٦هـ/١٢٤٨م)

---

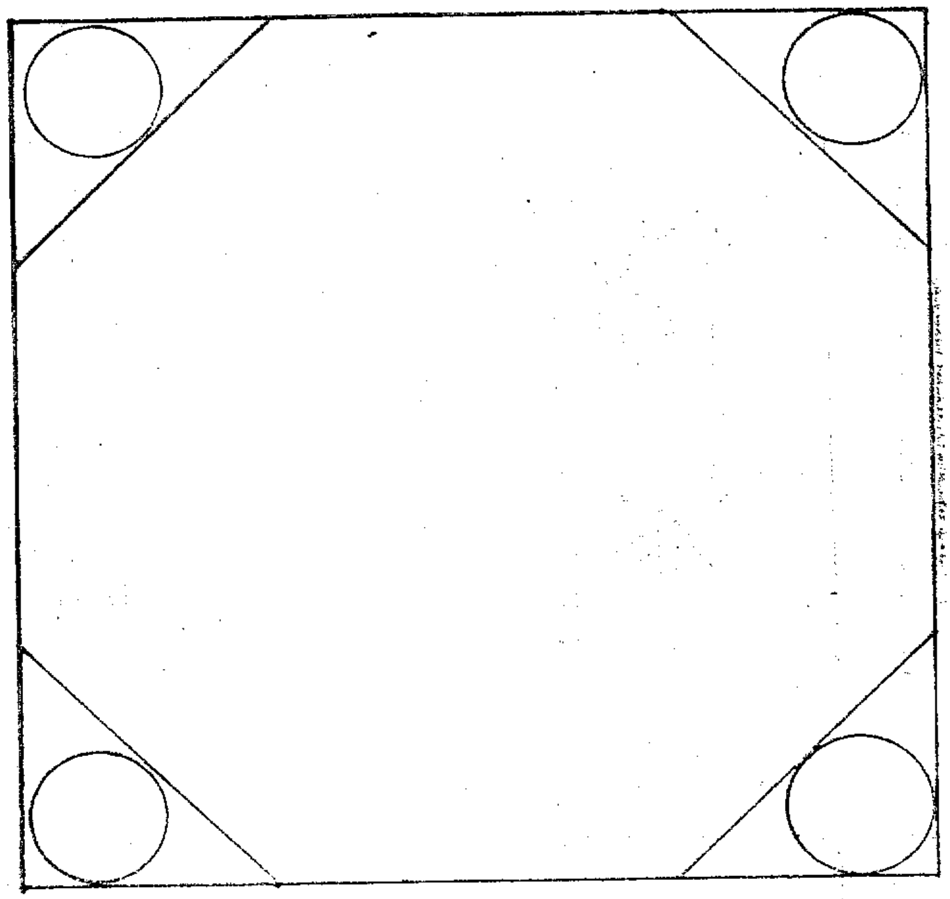
(١) الجمعة : المرجع السابق، ص ٢٨٨، صورة ٧٤.
(٢) الجمعة : المرجع السابق، ص ٤٥٠.
(٣) فكري : المرجع السابق، ص ٧٥.
(٤) شافعي : العمارة العربية في مصر الاسلامية ص ٢١١.
(٥) فكري : مساجد القاهرة ومدارسها، مصر ١٩٦٩. جـ٢ لوحة ٢٥-٢٧.



رسم (١١) مدخل حضرة مزار الامام عون الدين بالموصل
(تخطيط الدكتور أحمد قاسم الجمعة)

(الرسم السابـــق) ومدخـــل جامع الامـام الباهر المماثل لـه في الموصل . وندرة الأحجار الملونة في الموصل كانت السبب في لجوء الفنان إلى ذلك (١) .

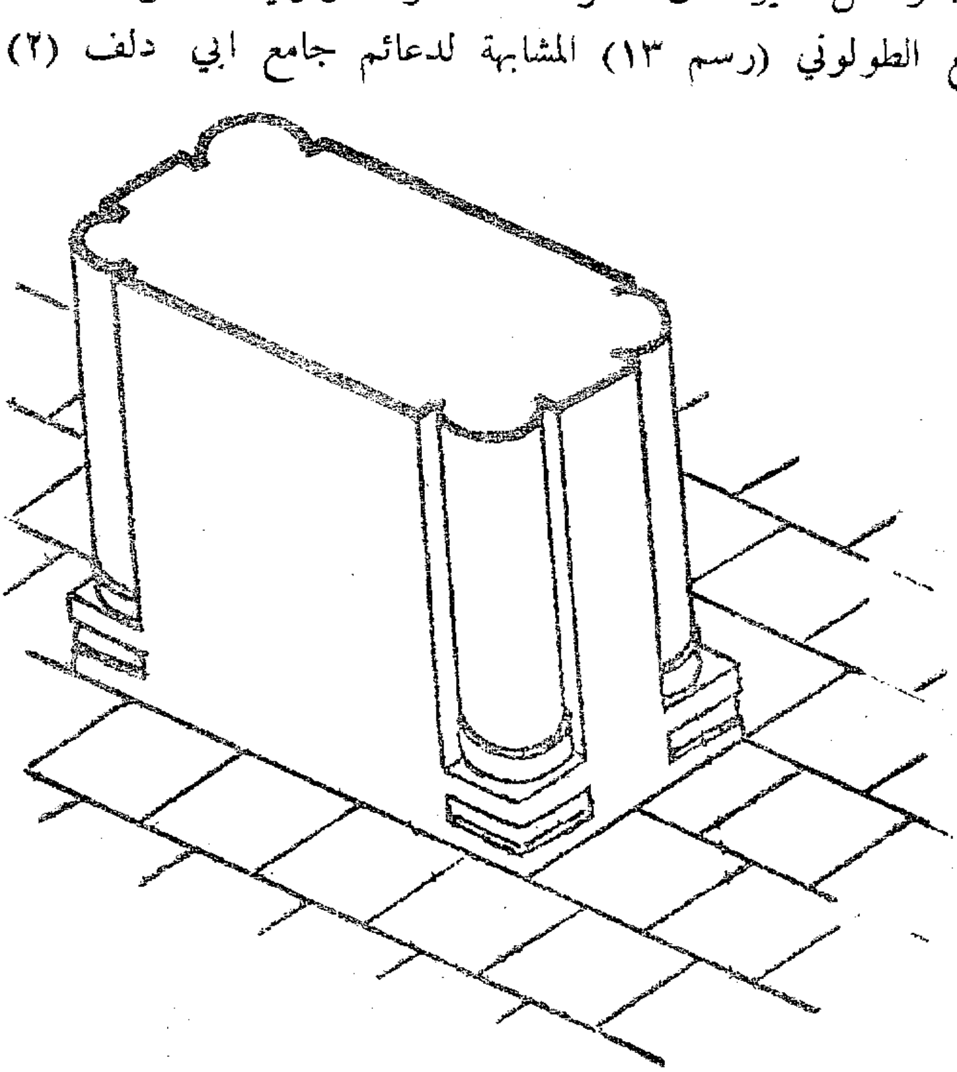
وبالاضافة لما تقدم نجد أن التأثير الفني والمعماري المتبادل بين العراق واقطار المغرب العربي تناول مجالاً آخر من العناصر المعمارية وهي الدعائم واعمدة المزدوجة فالدعائم المحاطة بأعمدة مثمنة صغيرة الحجم تحمل العقود في المسجد الجامع بقرطبة من عهد الخليفة المستنصر (٢) تماثل من حيث الشكل والفكرة والدعائم التي ظهرت في العراق منذ العصر العباسي ،وهي تعد من الابتكارات المهمة لدى العرب المسلمين في مجال الفنون والعمارة . فقد وجدت



رسم (١٢) دعامة بالمسجد الجامع في سامراء
(نقلاً عن ربيع القيسي)

(١) الجمعة : المرجع السابق، ص ٤٥٢ .
(٢) جورديث : المرجع السابق، ص ١٠٩ .

في الجامع الكبير في سامراء اعمدة ثمانيــة تحف بهــا اسطوانيــة أخرى اصغر منهــا (١) (رســم ١٢) وتعــد مــن أول الأمثلــة على هــذا النوع من الاعمــدة ، ثم وجدت بعد ذلك في جامع ابي دلف على هيئة دعائم مستطيلة يوجد في كل ركن من اركانها عمود رشيق اسطواني الهيئة. وأنتقل تأثيرها الى مصر منذ العصر الطولوني . ومن امثلة ذلك دعائم الجامع الطولوني (رسم ١٣) المشابهة لدعائم جامع ابي دلف (٢) وامتدت



رسم (١٣) دعامة بجامع ابن طولون في القاهرة
(نقلاً عن الدكتور فريد شافعي)

(١) ربيع القيسي : جامع الجمعة في سامراء تخطيطه وصيانته، مجلة سومر، ج١، م٢٥ لسـ ١٩٦٩، ص ١٤٨، مخطط رقم ٢.

(٢) شافعي: المرجع السابق، ص ٤٠٣، شكل ٢٣٤و٢٣٥.

الى العهد الاخشيدي حيث وجدت في مشهد آل طباطبا بالقرافة الصغرى بالقاهرة (١) وتعدتها الى العهد الفاطمي حيث وجدت في جامع الحاكم (٢) ومن المرجح ان الاعمدة المماثلة التي نوهنا عنها في المسجد الجامع بقرطبة أنتقلت الى الاندلس عن طريق مصر لان ظهورها في هذا الجامع كان بعد أنتقالها من العراق الى مصر ، وربما كان تأثير ذلك بفضل الحجاج الذين كانوا يفدون من اقطار المغرب العربي الى الحجاز مارين ذهاباً وأياباً .

اما الاعمدة المزدوجة فكان معظم استخدامها في الفنون القديمة للاغراض الزخرفية (٣) وأنتقلت الى الفن الاسلامي ، ومن اقدم امثلتها التي استعملت كغرض معماري هي الاعمدة المزدوجة والثلاثية الملصقة في باب بغداد بالرقة (١٥٥هـ/ ٧٧١م) (٤) كما وجدت اعمدة ثنائية الازدواج في محراب الجوسق الخاقاني بسامراء (٢٢١هـ/٨٣٥م) (٥) . وأنتقلت من العراق الى مصر ومن امثلتها الاعمدة الثلاثية الملصقة لحنيات جامع عمرو بن العاص (٦) ، ثم طالعتنا بعد ذلك في جامع القيروان «(٢٢١هـ/٨٣٥م) (٧) من عهد زيادة الله الاغلبي .

ويجب التنويه بوجود نوع خاص من الاعمدة في الجامع النوري بالموصل تنسب الى القرن (٤ أو ٥)هـ (٨) يتكون بدن كل منها من اربعة أنصاف اعمدة

---

(١) عبد الوهاب : مميزات العمارة الاسلامية في مصر ، ص ١٧٧ .

(٢) عبد الوهاب : تاريخ المساجد الاثرية ، القاهرة ١٩٤٦م ، حـ١ ، ص ٣٥ .

(٣) شافعي : المرجع السابق ، ص ١٧٦ ، شكل ١١٥ ؛ محمد وهبة : الزخرفة التاريخية ، القاهرة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢ م ص ٣٥ .

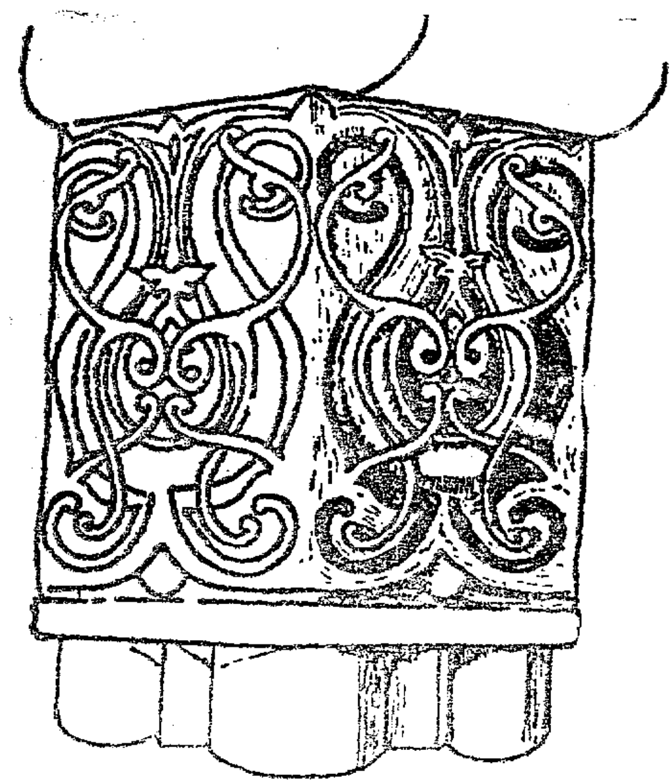
(٤) شافعي : المرجع السابق ، ص ٣٨٢ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ٦١٥-٦١٧ ، شكل ٤١٢ .

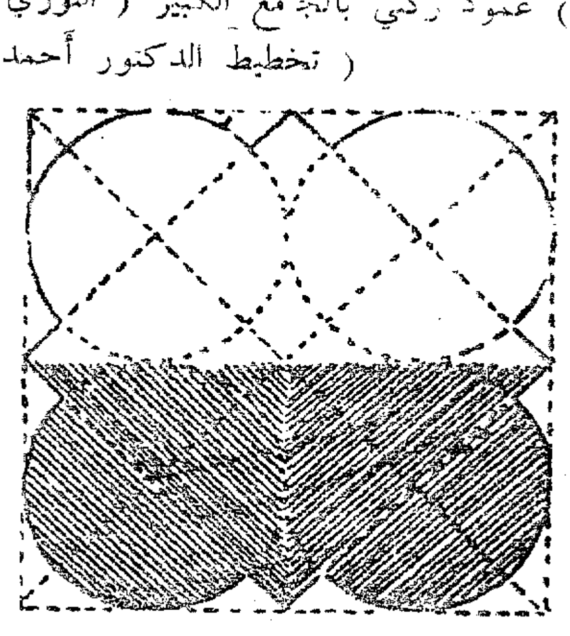
(٦) المرجع نفسه ، ص ٣٨٢ ، شكل ٢١١-٢١٤ .

(٧) فكري : مسجد القيروان ، ص ٦٧ ، شكل ١١ .

(٨) الجمعة : المرجع السابق ، ص ٦٨٦ .



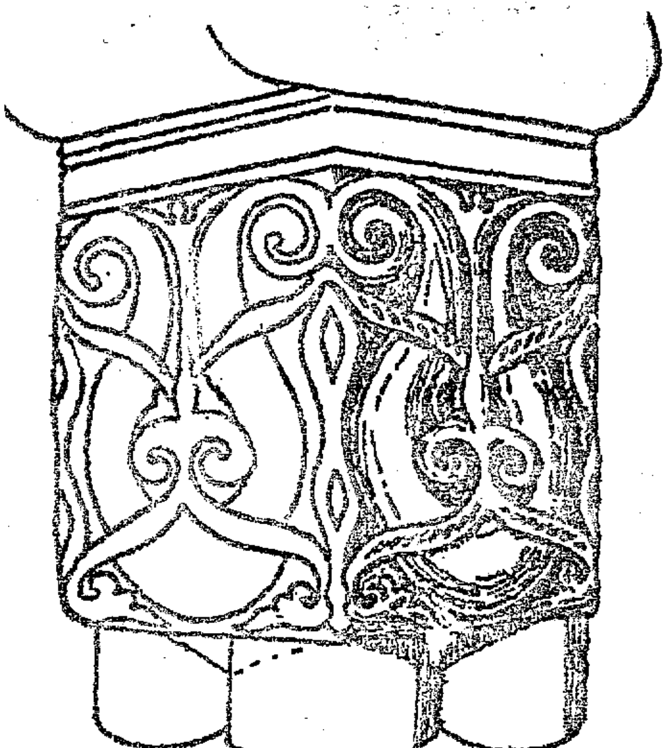
رسم (١٤) عمود ركني بالجامع الكبير (النوري) بالموصل
(تخطيط الدكتور أحمد قاسم الجمعة)



رسم (١٥) الأساس الهندسي للعمود السابق
(تخطيط الدكتور احمد قاسم الجمعة)

اسطوانية ركينة تفصل أفيما بينها الاخاديد الغائرة و البروزات الرمحية المدببة احياناً (١) .

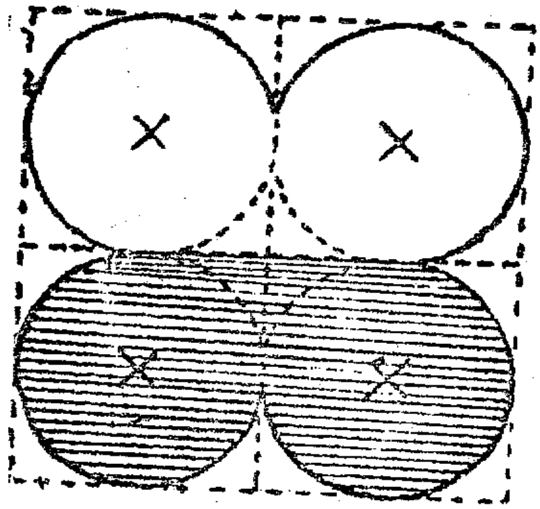
اما التيجان الكأسية للاعمدة التي اشتهرت بها اقطار المشرق العربي الاسلامي فقد تطورت التيجان الكورنثية التي وجدت في بعض الطرز الفنية القديمة كالاغريقية والرومانية والبيزنطية .



رسم (١٦) عمود ركني بالجامع الكبير (النوري) بالموصل
(تخطيط الدكتور احمد قاسم الجمعة)

واقدم امثلتها الصريحة والواضحة وجدت في سامراء (رسم ١٨) ولا سيما الجوسق الخاقاني بسامراء (٢٢١هـ/٨٣٥م) (رسم ١٩) (٢) و ربما كانت بعض التيجان الشبيهة بالكأسية التي ظهرت في العصر الاموي في الشام مرحلة

(١) انظر الرسوم: ١٤-١٧ .
(٢) شافعي: المرجع السابق، ص ٤١١.

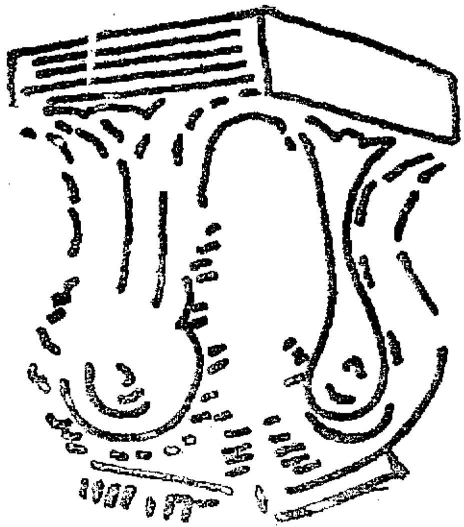


رسم (١٧) الاساس الهندسي للعمود السابق
(تخطيط الدكتور أحمد قاسم الجمعة)

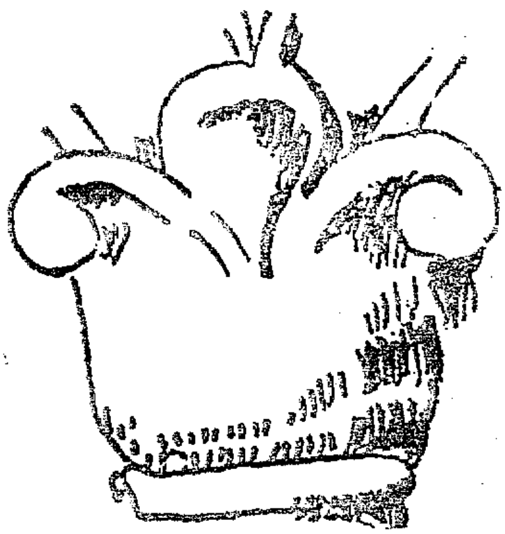


رسم (١٨) تاج عمود من سامراء
(نقلاً عن الدكتور فريد شافعي)

تمهيدية لهذه التيجان (رسم ٢٠) (١) وأنتقلت الى مصر . ومن اقدم امثلتها شاهد قبر مؤرخ في سنة (٢٤٥هـ / ٨٥٩م) (٢) .



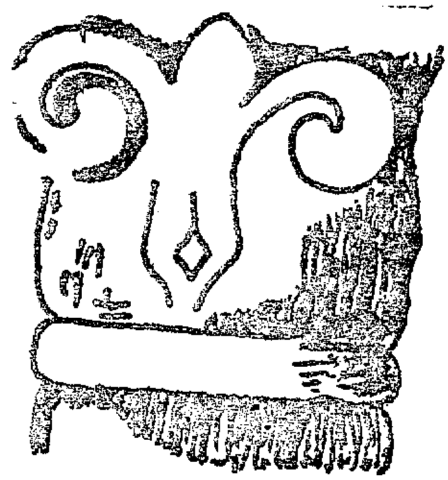
رسم (١٩) تاج عمود بالجوسق الخاقاني بسامراء
(نقلاً عن Creswell)



رسم (٢٠) تاج عمود من خربة المفجر بالشام
(نقلاً عن الدكتور فريدشافعي)

(١) شافعي، الاخشاب المزخرفة في الطراز الاموي، ص ٨١و٩٣.
(٢) شافعي : العمارة العربية في مصر الاسلامية، ص ٤١١

وعلى الرغم من ندرة هذه التيجان في المغرب العربي ، ألا انها وجدت في اعمدة طاقات جامع القيروان (١) (رسم ٢١) .



رسم (٢١) تاج عمود بجامع القيروان . (نقلاً عن Creswell)

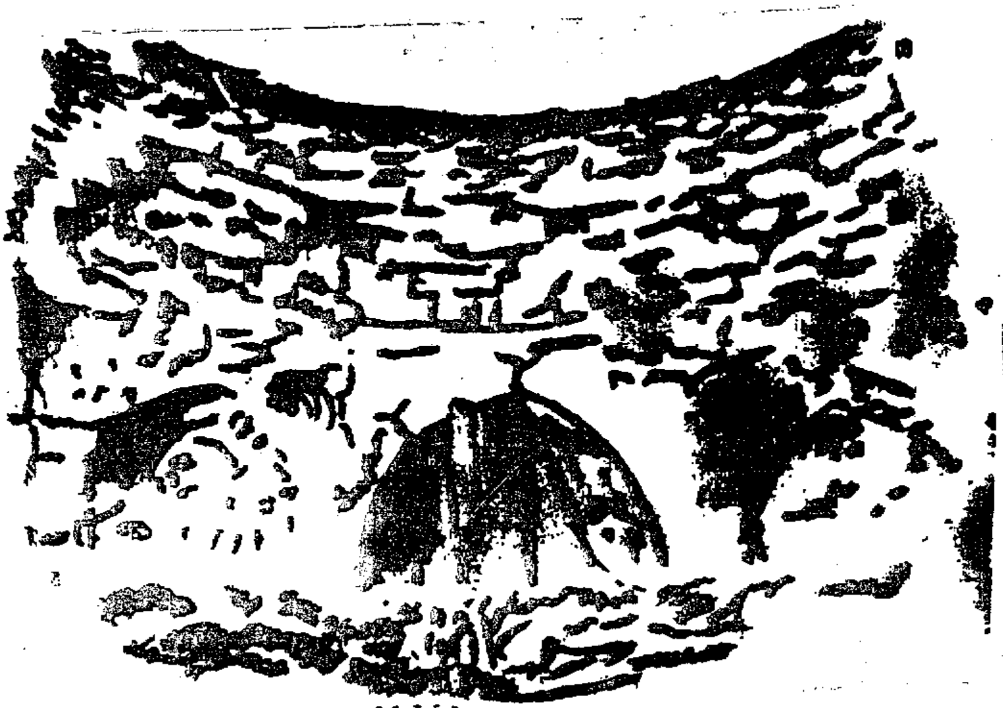
ومن المرجح ان انتقال الاعمدة المزدوجة وكذلك التيجان الكأسية الى الجامع المذكور كان على يد الامراء الاغالبة الذين نقلوا بعض العناصر والمظاهر الفنية من العراق الى ربوع تونس كما اسلفنا .

وهناك ظاهرة معمارية اخرى ظهرت في العراق خلال العصر الاسلامي ثم امتد تأثيرها الى المغرب العربي ، هي ظاهرة المقرنصات الركنية التي تحول المبنى المربع الى مثمن او الى دائري للتوفيق بينه وبين القبة الدائرية التي تقوم فوقه . وقد استمدت هذه الفكرة من الحنيات التي وجدت في الطرز السابقة للاسلام إذ وجد اول امثلتها في بعض القصور الساسانية التي تعود الى القرنين الثالث والخامس للميلاد (٢) في حين ظهرت لاول مرة في العصر الاسلامي في قصر الاخيضر حوالي (١٦١هـ/ ٧٧٧م) بالعراق (رسم ٢٢) الا ان هذه المقرنصات متأثرة بالامثلة الساسانية ، ثم تلتها مقرنصات باب العامة في قصر

(١) Greswell, The Muslim Architecture of Egypt, Oxford 1959, vol. *II* Fig.237.

(٢) شافعي : العمارة العربية في مصر الاسلامية ص ٤١١–٤١٣ .

الجوسق الخاقاني التي اتخذت هيئة عربية اسلامية خالصة من ناحية تجويفها نصف المستدير وطاقتيها التي اتخذت شكل نصف قبة مدببة (١) .



رسم (٢٢) مقرنصة ركنية في مسجد قصر الأخيضر بالعراق
(نقلاً عن الدكتور فريد شافعي)

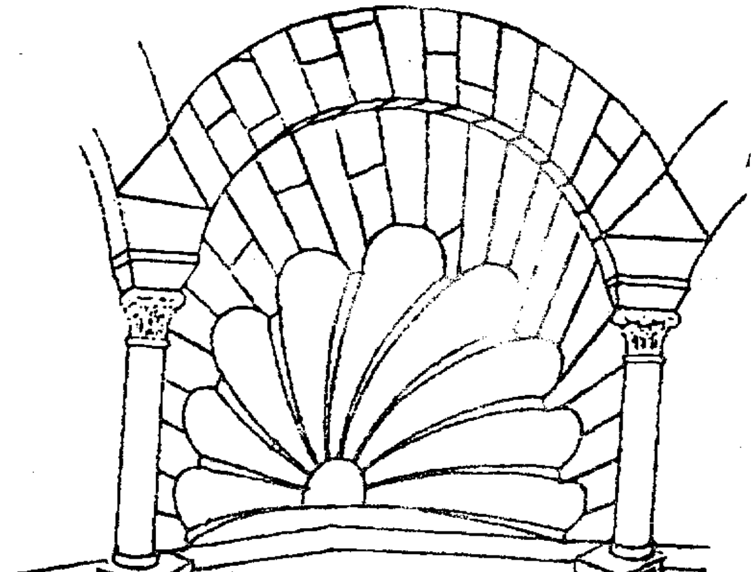
والجدير بالذكر ان الظاهرة المذكورة لم تظهر في عمائر العصر الطولوني وانما ظهرت منذ العصر الفاطمي في مصر ، إذ وجدت في رواق القبلة في جامع الازهر وجامع الحاكم وجامع الجيوشي(٢) كما ان الامثلة التالية في التاريخ للنماذج العراقية وجدت في قبة جامع القيروان (٢٤٨هـ/٨٦٢م) (رسم ٢٣)، مما يبعث على الظن انها انتقلت الى مصر عن طريق المغرب العربي(٣)

كما انه من المرجح ان الطاقات المحارية التي وجدت في اركان قبة جامع

---

(١) شافعي: المرجع السابق ص ٤١٣ .
(٢) سامح : العمارة الاسلامية في مصر، ص ١٧٨.
(٣) شافعي/ المرجع السابق ، ص ٤١٥.

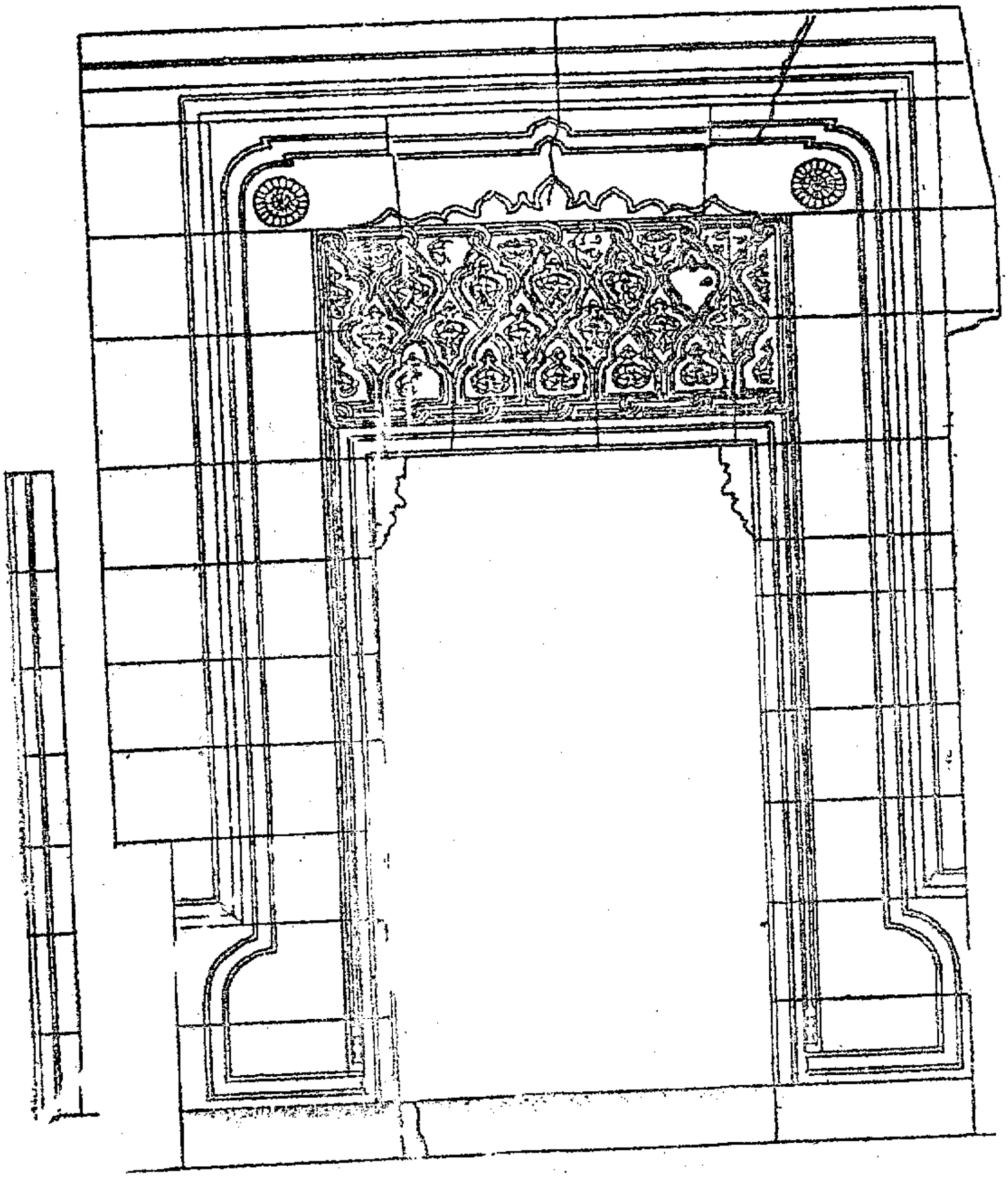
القيروان (٢٤٨هـ/٨٦٢م)(١) قد كانت من جملة التأثيرات الفنية والمعمارية العراقية التي نقلها الاغالبة الى ربوع تونس ، ثم شملت بعد ذلك عقود بعض المحاريب في العمائر الدينية المنسوبة الى القرن (٣هـ/٩م) مثل محراب دار شعبان قرب نايل ومحراب مسجد الذز بالمنستير (٢) .



رسم (٢٣) مقرنصة ركنية بالقبة التي تعلو محراب المسجد الجامع بالقيروان
(نقلاً عن الدكتور احمد فكرى)

كذلك فان المنحنيات والتعرجات البارزة الموجودة على العتبة العليا (الاسكفة) لمدخل بيت الشهداء الشمالي في كنيسة مار اشعيا (من العهد الايلخاني) بالموصل (رسم ٢٤) تذكرنا بأشكال المعينات المتراصة التي شاعت في الطراز المغربي الأندلسي على جوانب المنائر : كمئذنة الزيتونة في تونس ومئذنة تلمسان بالجزائر ومئذنة الكتبية بمراكش ومئذنة الجيرالد في اشبيلية (٣).وربما حدثت تأثيرات متبادلة بين أقطار المغرب العربي والعراق في هذا المجال .

(١) فكري : المرجع السابق، ص ٩٢، شكل ٣٦؛ شافعي: المرجع السابق، ص ٤١٢-٤١٣، شكل ٢٤٢.
(٢) زبيس: المرجع السابق، ص ٥٥٧، ٥٦٤، شكل ٦و٦ م.
(٣) الجمعة : المرجع السابق، ص ١١٥.



رسم (٢٤) مدخل بيت الشهداء بكنيسة ماراشعيا بالموصل
(تخطيط الدكتور أحمد قاسم الجمعة)

ومن المرجح أن نظام المحارس الذي ظهر في المشرق العربي الاسلامي منذ أيام الرشيد أو قبل ذلك امتد تأثيره إلى أقطار المغرب العربي (١) على يد ابراهيم بن أحمد بن الأغلب سنة (٢٦١هـ/٨٧٤م)(مؤسس دولة بني أغلب في تونس(٢).

(١) شافعي : المرجع السابق، ص ٥٣١.
(٢) عبد الوهاب : الآثار الفاطمية بين تونس والقاهرة، ص ٢٥٩و ٢٦٠.

والمحارس هي نقاط حربية أو حصون يقيم فيها الجند بغية الدفاع عند الضرورة وكذلك تزود بأبراج أو منارات عالية على مسافات تسمح أن يرى الواحد منها الآخر ويمكن ارسال اشارات الانذار للعدو بواسطة النار أو الدخان وتصبح هذه المحارس كلها متصلة فيما بينها وبالحصون الرئيسية وبتجمعات الجيوش داخل البلاد(١).

ويظهر أن ظاهرة اكساء المحاريب المغربية الأندلسية بالجص المنقوش كما نلاحظ في محراب جامع بلاد الحضر بتوروز في تونس(٥٩٠هـ/١١٩٤م) (٢) قد تأثرت بنفس الظاهرة التي وجدت في العراق منذ القرن (٣هـ/٩م). ومن أقدم الأمثلة لذلك محراب جامع ابي دلف بسامراء(٢٢١–٢٧٩هـ/٨٣٥ – ٨٩٢م)(٣).

وربما انتقلت هذه الظاهرة إلى سامراء عن طريق الفن الساساني. فمن المعروف أن طلاء الجدران بالجص المزخرف بالزخارف المختلفة يعد من الأساليب الهامة التي برع فيها الساسانيون (٤).

كما ان طريقة اكساء بعض المحاريب في أقطار المغرب العربي كمحراب جامع القيروان (٢٢١هـ/٨٣٥م)(٥) بلوحات من الرخام المنقوش قد جاءت من العراق على أغلب الظن ومن الموصل بالذات، إذ اشتهرت منطقة الموصل وماجاورها بصناعة الرخام (٦) قديماً ولا سيما في العهد الأشوري حيث استخدم الرخام

---

(١) شافعي: المرجع السابق، ص ٥٣١.

(٢) زبيس: المرجع السابق، ص ٥٥٩ و ٥٦٠.

(٣) نجاة يونس: المحاريب العراقية، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بغداد ١٩٦٩م، ص٧١.

(٤) شافعي: المرجع السابق، ص ١٨١.

(٥) فكري: المرجع السابق، ص ١٢٩.

(٦) يقصد بالرخام الصخر المتحول الناتج من بعض الصخور الجيرية(اللايمستون) بفعل الضغط والحرارة واغلب المعادن المكونة لهذه الصخور هي الكالسايت(كاربونات الكالسيوم) والدولومايت (كاربونات الكالسيوم والمغنسيوم المزدوجة). ورخام الموصل الذي يدعى محلياً بـ(الفرش او المرمر) فهو من مادة الجبس اي (كبريتات الكالسيوم المائية)، وبهذا اصبح رخام الموصل يعني دلالات تجارية اكثر مما هي جيولوجية لان تركيبه الكيمياوي- يختلف عن التركيب الكيمياوي للرخام الحقيقي وان جاز لنا ان نطلق عليه اسم الرخام فالاصح ان نسميه بـ(الرخام الموصلي).وقد اطلق البعض على مثل هذا الرخام اسم (الرخام الجصي) لكي يمكن التفريق بينه وبين مفهوم الرخام الحقيقي من الوجهة الجيولوجية.(الجمعة: الاثار الرخامية في الموصل، ص ١٨–٢٢).

في عمل التماثيل والمنحوتات والافاريز الجدارية وذلك لكثرة تواجده ومطاوعته للعمل.

وفي العصر الاسلامي حافظت مدينة الموصل على هذه الصناعة واستعمل الرخام في زخرفة وتلبيس المباني وعناصرها منذ النصف الأول من القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي ،كما هو الحال في قصر المنقوشة(١) وبلغت أوج تطورها في العهد الاتابكي كما يلاحظ في افريز جامع الامام محسن (٥٨٩–٦٠٧هـ/١١٩٣– ١٢١٠م) (٢) (رسم ٢٥) .

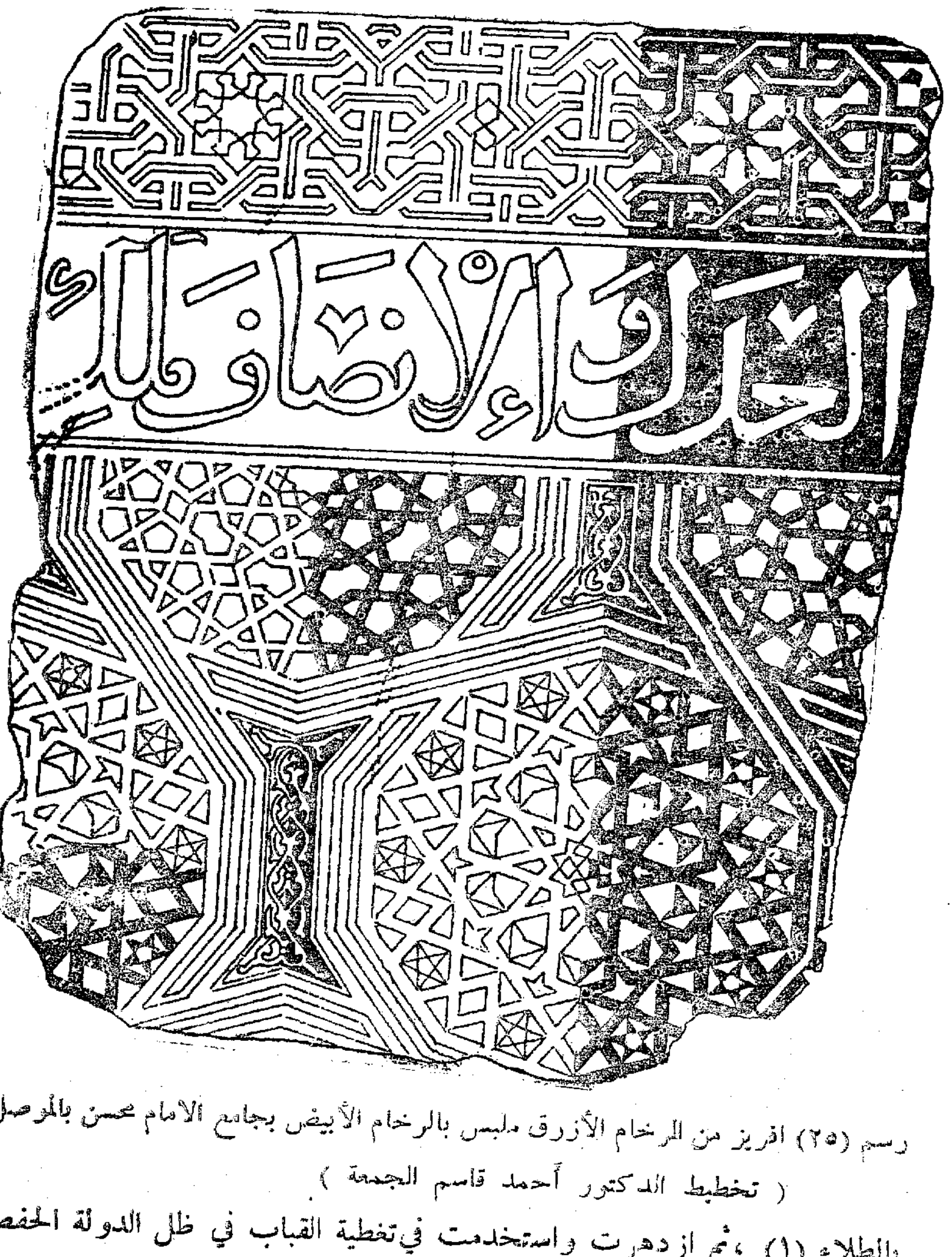
وقد رجح الأستاذ زبيس في معرض كلامه عن طريق تلبيس المحاريب التونسية بالرخام انها دخلت إلى تونس على يد العوائل الموصلية التي جلبها إلى ربوع تونس الوالي الأموي عبيد الله بن الحبحاب ، أو في عهد العباسيين على يد ولاتهم من الأغالبة (٣) .

وكما تأثرت بعض العناصر المعمارية في أقطار المغرب العربي بظاهرة الاكساء بالجص والرخام الوافدة من العراق فقد تأثرت بظاهرة فنية أخرى على نفس الطريق هي ظاهرة التزجيج والكساء بالقاشاني .

وقد ظهرت بوادر هذه الظاهرة في العصر الاسلامي في بداية الأمر في مدينة سامراء (٤) وامتد تأثيرها إلى المغرب العربي حيث تمثلت لأول مرة في محراب الجامع الكبير بالقيروان .
من عهد الامير أبو ابراهيم أحمد الأغلبي فقد مر بنا ان صانعاً عراقياً ادخلها إلى هذا المحراب (٥) ، وربما هو اسماعيل بن يوسف النحوي المعروف

---

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ، القاهرة ١٢٩٠هـ، جـ٥، ص ٤٩و٥٠ .
(٢) الجمعة : المرجع السابق، ص ٧٨٦، رسم ٣٧ .
(٣) زبيس: المرجع السابق، ص ٥٥٥.
(٤) مارسيه : المرجع السابق، ص ٦٧ .
(٥) فكري : المرجع السابق، ص ١٢٩.



رسم (٢٥) افريز من الرخام الأزرق ملبس بالرخام الأبيض بجامع الامام محسن بالموصل .

(تخطيط الدكتور أحمد قاسم الجمعة)

بالطلاء (١) ، ثم ازدهرت واستخدمت في تغطية القباب في ظل الدولة الحفصية منذ الثلث الأول من القرن السابع حتى النصف الأول من القرن العاشر الهجري (٢)

(١) القفطي : المرجع السابق ، ج١ ، ص ١٣

(٢) زبيس : المرجع السابق ، ص ٢٥٠

وفي الجزائر وجدت في قلعة بني حماد (أواخر القرن الخامس أو اوائل القرن السادس الهجري) بينما ظهرت امثلتها الاولى في المغرب في مئذنة الكتيبة . واستخدمت لأول مرة في الأندلس في مباني قرطبة في القرن (٤هـ/١٠م)(١) ثم امتدت إلى عمائر غرناطة في القرن (٧هـ/١٣م) (٢) ، وقد امتدت بعد ذلك الى عصر الموحدين (٣) كما انتقلت إلى جزيرة صقلية حيث نجدها في قصر العزيزة ببلرم الذي انشأه ملوك بني الحسين وجدده غليوم الأول في العهد النورماندي (٤) .

ومما يجدر التنويه به أن استخدام ظاهرة الترجيج بالقاشاني في المباني ترجع باصولها إلى الفنون العراقية القديمة منذ العهد السومري (٥) وربما دخلت الفن الاسلامي بتأثير من تلك الفنون .

كما ان خط الثلث التي ظهرت بوادره في العراق على يد ابن البواب المتوفي سنة (٤١٣هـ/١٠٢٢م) (٦) أمتد تأثيره إلى اقطار المغرب العربي واجمل نماذجه المنفذة على مهاد زخرفي قد وجدت في الجامع الكبير بمدينة تلمسان بالجزائر (٥٣٠هـ/١١٣٥م) (٧) ولانعلم هل ان ظاهرة شيوع هذا الخط في مصر منذ العهد الايوبي (٨)وظاهرة الكساء بالقاشاني منذ العهد

---

(١) الدكتور نادر العطار : العمارة الاندلسية في عصر الموحدين، مجلة الحوليات السورية لسنة ١٩٦١، ١٩٦٢م، المجلد ١١، ١٢، ص ٦٧، ٦٨.

(٢) الدكتور نادر العطار : فن بني نصر في غرناطة(١٢٣٢– ١٤٩٢)، مجلة الحوليات السورية لسنة ١٩٥٨و ١٩٥٩م، المجلد ٨و٩، ص ٦٣.

(٣) العطار : العمارة الاندلسية في عصر الموحدين، ص ٦٨

(٤) عثمان الكعاك : بلرم كأنك تراها، المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية، تونس ١٨–٢٩ مايو(ايار) ١٩٦٣، القاهرة ١٩٦٥، ص ٥٣١ .

(٥) Scranton , OP. Cit. , PL.43

(٦) الجمعة : المرجع السابق، ص ١٥٣.

(٧) Marcais , Op: Cit. , P.463– Fig 231A

(٨) عبد الوهاب: من روائع العمارة الاسلامية في مصر، ص ٣٠٣ .

المملوكي (١) جاءت بفعل التأثيرات الفنية الوافدة من مشرق العالم العربي أم مغربه.

ولكننا نرجح ان الظاهرة الاولى دخلت مصر عن طريق العراق او الشام وذلك لبلوغ هذا النوع من الخط اوج تطوره في الفترة الاتابكية كما هو الحال في محراب الجامع الاموي بالموصل (٥٤٣هـ / ١١٤٨م) (رسم٢٦)(٢) ومنبر الجامع النوري بحماة (٥٥٩هـ/١١٦٤م) (٣) علاوة على الظروف السياسية التي سادت المشرق العربي في هذه الفترة .

أما ظاهرة الكساء بالقاشاني والاجر المزلج فقد اشتهرت بها مدينة الموصل في الفترة الاتابكية، كما في قبة الجامع المجاهدي (٥٧٢ — ٥٧٦هـ/ ١١٧٦ — ١١٨٠م)(٤)،وقبة مزار يحيى بن القاسم (٦٣٧هـ/١٢٣٩م) (٥) ولهذا نرجح انتقالها إلى مصر على يد الفنانين المواصلة الذين هاجروا اليها بعد سقوط مدينتهم بيد المغول .

وبعد فلا بد من الاشارة إلى ان التأثيرات المعمارية والفنية الواردة في البحث اقتصرت على العناصر المعمارية والظواهر الفنية المتمثلة في المباني الاثرية التي اوردتها المصادر والمراجع الاثرية والتي لازال معظمها قائماً حتى الان ، علماً بأن هناك قسماً من العمائر قد انطمر في العالم العربي قبل ان تتناوله اقلام الباحثين والقسم الاخر لازال غير مدروس دراسة علمية وافية ، كما ان البحث لم يتطرق إلى التأثيرات المتبادلة بالنسبة للفنون التشكيلية والتطبيقية وذلك لاتساع الموضوع .

---

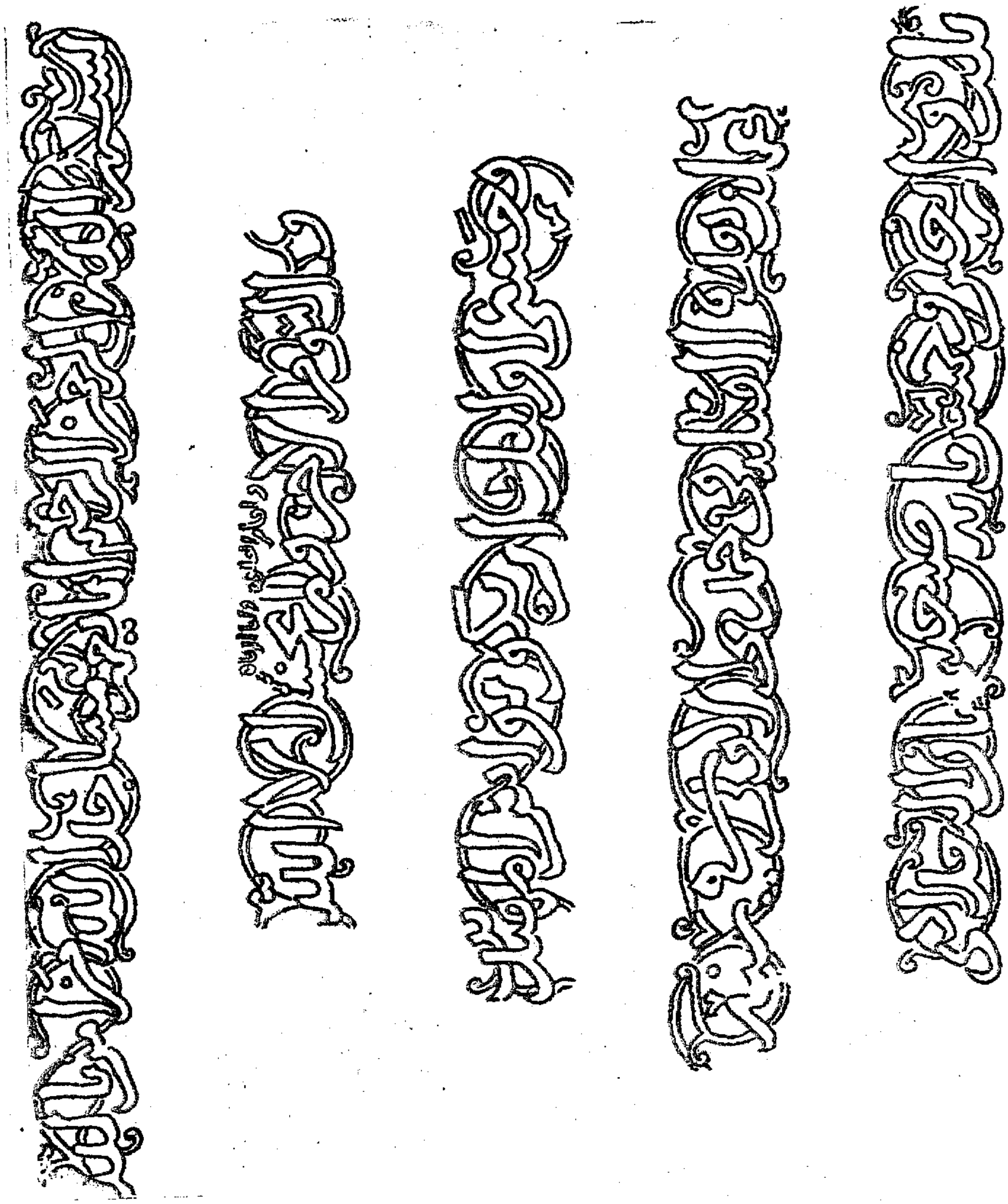
(١) عبدالوهاب : المرجع السابق نفسه، ص ٣٠٦ .

(٢) الجمعة : المرجع السابق، رسم٤١، صورة ٤ .

(٣) كامل شحادة : من مآثر نورالدين زنكي العمرانية بحماة(الجامع النوري)، مجلة الحوليات الاثرية السورية، م١٥، ج٢ لسنة ١٩٦٥ ، ص ٦٤، صورة ٣ .

(٤) الديوه‌جي : المرجع السابق، ص ٣٢ .

(٥) المرجع نفسه، ص ٦٥ .



رسم (٢٦) كتابة بخط الثلث على مهاد زخرفي واقعة على الجوانب الخارجية لصدر محراب الجامع الاموي . (تحليل الدكتور احمد قاسم الجمعة)

مصادر ومراجع البحث

أولاً — المصادر والمراجع العربية :

١ — ابن الأثير (عز الدين ابي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري) :

الكامل في التاريخ (٩أجزاء)، القاهرة ١٢٩٠هـ .

٢ — ابن تغري بردي (أبو المحاسن جمال الدين يوسف):
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ١٣٥٣هـ / ١٩٣٥م .

٣ — الخطيب (الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي):
تأريخ بغداد ، القاهرة ١٣٤٩هـ/١٩٣١م.

٤ — الهمداني (ابن الفقيه) :

بغداد مدينة السلام ، تحقيق الدكتور أحمد صالح العلي، الطبعة الاولى ،باريس١٩٧٧م.

٥ — أحمد فكري (دكتور) :

مساجد القيروان ،مصر ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م .

٦ — ——— مساجد القاهرة ومدارسها (المدخل) ، القاهرة ١٩٦١م .

٧ — ——— مساجد القاهرة ومدارسها ، الجزء الثاني (العصر الفاطمي)، القاهرة ١٩٦٥ م .

٨ — أحمد قاسم الجمعة (دكتور) :

الآثار الرخامية في الموصل خلال العهدين الاتابكي والايلخاني رسالة دكتوراه (غير منشورة) مقدمة إلى جامعة القاهرة ١٩٧٥م .

٩ — احمد قاسم الجمعة : محاريب مساجد الموصل إلى نهاية حكم الاتابكة ٦٦٠هـ ،رسالة ماجستير (غيرمنشورة) مقدمة إلى جامعة القاهرة ١٩٧١م.

١٠ — حسن عبد الوهاب :

تاريخ المساجد الأثرية ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٤٦م .

١١ — الزركلي : خير الدين :

الاعلام — قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، الطبعة الثانية ،مطبعة كوستاتسوماس وشركاه ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤م.

١٢ — سعيد الديوهجي :

الموصل في العهد الاتابكي ،بغداد ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م.

١٣ — طاهر مظفر العميد (دكتور) :

بغداد مدينة المنصور المدورة ، النجف ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧م .

١٤ — صبحي أعشى:

نماذج من الفن المعماري الموحدى بالمغرب، المحمدية بالمغرب ، ١٩٧٧ م.

١٥ — صلاح حسين العبيدي :

التحف المعدنية الموصلية في العصر العباسي، بغداد ١٣٨٩هـ/١٩٧٠ م .

١٦ ــ عبد الرحمن زكي (دكتور):
القاهرة تأريخها وآثارها من جوهر الصقلي إلى الجبرتي المؤرخ ، القاهرة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م .

١٧ ــ فريد شافعي (دكتور) :
العمارة العربية في مصر الاسلامية ، المجلد الاول ، القاهرة ١٩٧٠م.

١٨ ــ فؤاد سفر :
تنقيبات واسط ، القاهرة ١٩٥٢ م .

١٩ ــ كمال الدين سامح (دكتور) :
العمارة الاسلامية في مصر ،مصر.

٢٠ ــ ــــ العمارة في صدر الاسلام ، القاهرة ١٩٧١م.

٢١ ــ محمد وهبة :
الزخرفة التاريخية ، القاهرة ١٣٩١هـ/١٩٧٢.

٢٢ ــ المراكشي (ابن عذارى) :
البيان المغرب في اخبار المغرب (أخبار العرب) ، بيروت ١٩٥٠ م .

٢٣ ــ مصطفى جواد (دكتور) واحمد سوسة (دكتور) :
بغداد، قديماً وحديثاً ، بغداد ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م

٢٤ ــ نجاة يونس :
المحاريب العراقية ، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة الى جامعة بغداد ١٩٦٩م.

٢٥ ــ الناصري (ابو العباس بن خالد) :
الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري ، الدار البيضاء ١٩٥٤ م .

ثانياً — المجلات والمقالات العربية :

١ — احمد فكري (دكتور) :

بدعة المحاريب ، مجلة الكاتب المصرية ، المجلد الرابع ، العدد ١٤ ، نوفمبر ١٩٤٩م .

٢ — ——— التأثيرات الفنية الاسلامية العربية على الفنون الاوربية ، مجلة سومر ، المجلد ٢٣ ، بغداد ١٩٦٧م .

٣ — حسن عبدالوهاب :

الآثار الفاطمية بين تونس والقاهرة ، المؤتمر الرابع الآثار في البلاد العربية ، تونس ١٨ — ٢٩ مايو (آيار) ١٩٦٣م ، القاهرة ١٩٦٥م .

٤ — ——— من روائع العمارة الاسلامية في مصر ، المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية ، تونس ١٨ — ٢٩ مايو (آيار) ١٩٦٣م ، القاهرة ١٩٦٥م .

٥ — سليمان مصطفى زبيس :

المحاريب في العمارة الدينية بالمغرب العربي ، المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية ، تونس ١٨ — ٢٩ مايو (آيار) ١٩٦٣م . القاهرة ١٩٦٥م .

٦ — ربيع القيسي : جامع الجمعة في سامراء تخطيطه وصيانته ، مجلة سومر ، المجلد ٢٥ ، الجزء ١ لسنة ١٩٦٩ .

٧ — عثمان الكعاك :

بلوم كأنك تراها ، المؤتمر الرابع للاثار في البلاد العربية ، تونس ١٨ — ٢٩ مايو (آيار) ١٩٦٣ م ، القاهرة ١٩٦٥م .

٨ ــ فريد شافعي (دكتور) :
الاخشاب المزخرفة في الطراز الاموي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة، المجلد ١٤، الجزء ٢، لسنة ١٩٥٢ م.

٩ ــ كامل شحادة :
من مآثر نور الدين زنكي العمرانية بحماه (الجامع النوري) ، مجلة الحوليات الاثرية السورية ، المجلد ١٥، الجزء ٢ ، لسنة ١٩٦٥ م.

١٠ ــ نادر العطار (دكتور) :
العمارة الاندلسية في عصر الموحدين ، مجلة الحوليات الاثرية السورية المجلد، ١١و١٢ لسنة ١٩٦٠ م.

ثالثاً ــ المراجع الاجنبية المترجمة :

١ ــ حوميث (مانويل) :
الفن الاسلامي في اسبانيا ، ترجمة الدكتور لطفي عبد البديع والدكتور محمد عبدالعزيز سالم ومراجعة الدكتور جمال محمد محرز ، مصر ١٩٦٨ م.

٢ ــ موسكاتي (سبتينو) :
الحضارات السامية القديمة ، ترجمة الدكتور السيد يعقوب ابو بكر ومراجعة الدكتور محمد القصاص ، القاهرة.

رابعا / المراجع الاجنبية غير المترجمة :

1. Abbu (A. N.) , The Ayyubid Domed Buildings of Syria (Ph . D. Thesis, Edinburgh University 1973) .

2. Bell (G. L.) , Palace and Mosque at Ukhaidir , Oxford 1914.

3. Creswell (K.A.C.) , Early Muslim Architecture , Oxford 1932.

4. --------------, The Muslim Architecture of Egypt , Oxfotd 1959 .

5. ....-, Ashort Account of Early Moslim Architecture, Penguin and Pelican Book 1958.

6. Ghirshman (R.) , Iran Parthians and Sassanian , Thames and Hudson, France 1962 .

7. Havell (E.B.) , Indian Architecture , 2nd. Ed. , London 1927 .

8. Marcais (G.) , Manuel D'Art Muslman l'Architecture , paris 1920.

9. Rivoira (G.T.) , Moslem Architecture its Origins and Develompment, Edinburgh 1918.

10. Scranton (R.L.) , Aesthetic Aspects of Ancient Art , Chicago 1964 .

11. Sordo (E.) , Moorish , Spain , Cordoba , Seville , Granada , Canada 1963.

البحوث اللغوية والأدبية

الطبريّ النحويّ الكوفيّ من خلال تفسيره

الدكتور احمد خطاب العمر
قسم اللغة العربية

تمهيد :

لم يذكر مؤرخو النحو كتب التفسير من مصادره ، مع ان بعضها يحتوي على كثير من الاحكام النحوية ، والمصطلحات والخلافات وخاصة الكتب القديمة منها ، كتفسير الطبري * (جامع البيان في تأويل آي القرآن) الذي اخترناه مادة لدراستنا هذه ، وقد تنبهت الى ذلك حينما كنت اعمل في تحقيق كتاب (القطع والائتناف لابي جعفر النحاس المتوفى سنة ٣٣٨هـ) إذ كان ينقل عنه في مواضع عديدة احكاماً كثيرة في النحو ، واستشهد بكثير من شواهد الشعر منه، ولما عدت استقري تلك المواضع ، ظهر لي ان الكتاب غني بهذا ، وأنه ينبغي الا يهمله دارسو النحو ، وخاصة المذهب الكوفي ، لانني بعد دراسته حكمت بأنه قد يكون مصدراً مهماً من مصادرهم على قلتها ، لانه يحتوي على كثير من آرائهم ومصطلحاتهم ، واورد كثيراً من طرق مناقشاتهم وحججهم اضافة الى ان فيه ما يقرب من سبعين مسألة خلافية ، يذكر فيها حجج علماء المذهبين ، وان الكتاب اشتهر وعرفه الناس ، وفضلوه على كثير من الكتب ، في زمن ثعلب والمبرد ، جاء في رواية لياقوت عن ابي بكر بن كامل قال : «أملى علينا كتاب التفسير مائة وخمسين آية ، ثم خرج ذلك الى آخر القرآن ، فقرأه علينا وذلك سنة (٢٧٠هـ) واشتهر الكتاب وارتفع ذكره ،

---

* هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري ولد آخر سنة اربع وعشرين ومائتين ، وقيل اول سنة خمس وعشرين بآمل بطبرستان ورحل لطلب العلم وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، أي سنة ست وثلاثين ومائتين ، وقيل بل هو ابن عشرين سنة ، أخذ مختلف العلوم في كثير من مدن العراق وفي بيروت ومصر والشام والحجاز ، ورجع إلى بغداد ، فاستوطن فيها إلى ان مات سنة عشر وثلاثمائة .
ترجمته في كثير من كتب التراجم ، ولكن ينظر انباه الرواة ٣ / ٨٩ وهامشه وهو غير أبي جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري . ينظر ميزان الاعتدال ٣/٤٩٩ .

وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، وابو العباس محمد بن يزيد المبرد يحييان، ولاهل الاعراب والمعاني معقلان ، وكان أيضاً في الوقت غيرهما ، مثل ابي جعفر الرستمي ، وابي الحسن بن كيسان ، والمفضل بن سلمة، والجعد وابي اسحاق الزجاج ، وغيرهم من النحويين من فرسان هذا اللسان ، وحمل هذا الكتاب مشرقاً ومغرباً ، وقرأه كل من كان في وقته من العلماء ، وكلٌّ فضّله وقدّمه » (١) .

والكتاب وان كان خاصاً بتفسير القرآن – كما قلنا – فهو يشتمل على كثير من العلوم ، ومنها علوم العربية من لغة وصرف ونحو ، وأنه تفرد عن غيره من كتب التفسير في أنه كان يورد الآية فيذكر ما فيها من تفسير، فاذا اقتضى أن ينبه على ما فيها من اعراب واختلاف استقرىء آراء النحويين: بصريين وكوفيين، وعلل لكل منها ثم صوب ورجح ، وكان في تعليلاته يميل الى الكوفيين فهو سجل مهم لآرائهم ، وسجل أيضاً لكثير من المسائل الخلافية ، لانه تقدم زمناً على غيره في ذكره هذا العدد منها ، وان كتب الخلاف التي الفّها العلماء في زمانه ، لم يصل الينا منها شيء ، مما يجعل لهذا الكتاب قيمة كبيرة في دراسة تاريخ تلك الخلافات ، وانه يكشف عن كثير من الاسس التي بني المذهب الكوفي عليها .

مذهبه النحوي :

لايستطيع المتتبع لآراء الطبري النحوية أن يجد تبايناً كبيراً بينها وبين ما يراه الكوفيون في المسألة الواحدة ، ولم يخرج عن الخطوط العامة لمذهبهم الذي نلخصه بما يأتي(٢) :

١– كانوا يعتدون بالمثال الواحد. او يعممون الظاهرة الفردية، فهم قد توسعوا في القياس .

---

(١) معجم الادباء ٦/ ٤٣٩

(٢) ينظر مدرسة الكوفة النحوية ص ٣٤١ ، ٣٤٧ ، ٣٧٦ – ٣٧٩ ، والمدارس النحوية ص ١٥٨ – ١٦٠ .

٢ ـ كانوا يغيرون الاصول لتكون وفق الامثلة المستعملة المسموعة .
٣ ـ جعلوا النقل والرواية مصدر القواعد الاول .
٤ ـ مضوا يتوسعون في الاحتجاج بالقراءات .

وأول مايعيننا على تأكيد هذا الميل. أنه تتلمذ على ثعلب . فقد ذكر عنه انه قال : « قرأ علي أبو جعفر الطبري شعر الشعراء قبل أن يكثر الناس عندي بمدة طويلة » (١) وهو الذي نعته بأنه من حذاق الكوفيين . نقل ياقوت ذلك فقال « قال أبو بكر بن المجاهد(ت ٣٢٤هـ) قال لي ابو العباس يوماً : من بقي عندكم في الجانب الشرقي ببغداد من النحويين؟ فقلت : مابقي أحد مات الشيوخ فقال : حتى خلا جانبكم؟ قلت : نعم الا أن يكون الطبري الفقيه ، فقال لي ابن جرير؟ قلت : نعم ، قال : ذاك من حذاق الكوفيين ، قال أبو بكر وهذا من أبي العباس كثير لانه كان شديد النفس ، شرس الاخلاق ، وكان قليل الشهادة لأحد بالحذق في عمله» (٢) اضافة إلى ذلك فانه نقل عن الكسائي في مواضع من الكتاب كثيرة ، وعن الفراء كذلك وقد كان يقول أحياناً في رواية شيء عنه قال أصحابنا عن الفراء»(٣) .

أما اذا مانقل مسألة خلافية فكان يستعرض رأي البصريين والكوفيين فيها ، ثم يرجح وكان كثيراً ما يميل الى الكوفيين في ذلك : قال مثلا في قوله تعالى « ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله » « الانعام/١١٧) بعض نحويي البصرة موضعه خفض بنية الباء .. وقال بعض نحويي الكوفة : موضع رفع ، لانه بمعنى : أي ، والرافع له(يضل) ولما رجح قال :« والصواب من القول في ذلك أنه رفع بـ « يضل » وهو في معنى : أي ، وغير معلوم في كلام العرب اسم مخفوض بغير خافض» (٤)

---

(١) معجم الادباء ٦/ ٤٣٨ .
(٢) معجم الادباء ٦/ ٤٣٨ .
(٣) تفسير الطبري ٧/ ٣١٢ .
(٤) تفسير الطبري ٨/ ١٠ .

وقال في « واختار موسى قومه سبعين رجلا » (الاعراف / ١٥٥) قال بعض نحويي البصرة : معناه واختار موسى من قومه سبعين رجلا ، ثم جاء بشواهدهم فيها ، وقال بعض نحويي الكوفة : أنما استجيز وقوع الفعل عليهم اذا طرحت «من» لانه مأخوذ من قولك هؤلاء خير القوم ، وخير من القوم ، فاذا جازت الاضافة مكان « من » ولم يتغير المعنى استجازوا ان يقولوا : اخترتكم رجلا واخترت منكم رجلا. وجاء بشواهد هم ايضا ، ولما رجح قال : وهذا القول اولى عندي في ذلك بالصواب ، لدلالة الاختيار على طلب « من » التي بمعنى التبعيض، ومن شأن العرب ان تحذف من حشو الكلام اذا عرف موضعه(١)إلى جانب ميله هذا إلى ارائهم، نراه يتشدد في قبول رأى البصريين ويتعصب عليهم ، وينعتهم باقسى النعوت كقوله فيهم : « زعم بعض المنسوبين إلى العلم بلغات العرب من أهل البصرة(٢)و«هذا قول اذا تدبره متدبر علم ان بعضه مفسد بعضا»(٣)

ثم انه يتابعهم في استشهاداتهم باقوال العرب شعرا او نثرا مما سيلحظه القارىء خلال البحث وخاصة ماكان ذكره الفراء في كتابه،وكذلك شأنه في القياس وبعد ان عرض لرأي البصريين والكوفيين في قوله تعالى : « الا أن تكون تجارة » « البقرة/٢٨٢» مثلا قال : «والذي قال من حكينا قوله من البصريين غير خطأ في العربية غير ان الذي قلنا بكلام العرب اشبه، وفي المعنى اصح » (٤) . وفي تعليقه على قوله تعالى : « ان كل نفس لما عليها حافظ » (الطارق/٤) خير دليل على اتباعه طريقتهم في القياس ، فقد نقل ان التخفيف في « لما » هو الكلام المعروف من كلام العرب .

(١) تفسير الطبري ٩ /٧٤.
(٢) تفسير الطبري ١/١٩٥
(٣) تفسير الطبري ١/٢١٩.
(٤) تفسير الطبري ٣/١٣٣.

وقد أنكر التشديد جماعة من أهل المعرفة بكلام العرب، والفراء كان يقول: لانعرف جهة التثقيل في ذلك، ونرى انها لغة في هذيل، فان كان صحيحاً ماذكر الفراء : أنها لغة هذيل، فالقراءة بها جائزة صحيحة، وان كان الاختيار ايضاً اذا صح ذلك عندنا القراءة الاخرى وهي التخفيف لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب. (١).

وفي كتابه نصوص تدل على أنه يقيس على لغات العرب،من غير أن يخطئ لغة منها، فرأيه في القياس اذن كرأي الكوفيين فيه، ونراه يتبعهم ايضاً عندما يتعرض لقراءة آية ، فاذا كان فيها قراءتان ذكرهما من غير أن يخطئ واحدة منها، وفي الكتاب مواضع كثيرة من هذا قال في قوله: «قل العفو»(البقرة/٢١٩) قرئت رفعاً ونصباً، ثم قال: « فبأي القراءتين قرئ ذلك عندي صواب لتقارب معنييها مع استفاضة القراءة بكل واحدة منهما، غير أن أعجب القراءتين الي – وان كان الامر كذلك – قراءة من قرأ بالنصب لأن من قرأ به من القراء أكثر، وهو أعرف» (٢) وفي « لقد تقطع بينكم» (الانعام/٩٤) قرئ« بينكم» نصباً ورفعاً، فقال : « والصواب من القول عندي أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان بأتفاق المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب(٣) وفي « وأن هذا صراطي» (الانعام/١٥٣) ذكر انها قرئت – أي ان – بالكسر والفتح، ثم قال فيها: « والصواب من القول في ذلك عندي: أنهما قراءتان مستفيضتان في قراء الامصار وعوام المسلمين، فبأي القراءتين قرأ القارئ فهو مصيب الحق في قراءته(٤)وفي قوله «يُحلّون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ»(الحج/٢٣)

---

(١) تفسير الطبري ١٤٣/٣٠.

(٢) تفسير الطبري ٣٦٨/٢.

(٣) تفسير الطبري ٢٨٩/٧.

(٤) تفسير الطبري ٨٩/٨.

ذكر أن « لؤلؤ » قرئت نصباً وخفضاً ، ثم قال : « والقول في ذلك عندي انهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منها علماء من القراء، متفقتا المعنى صحيحتا المخرج في العربية، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب » (١) .

والدليل الاخر على انه يميل الى الكوفيين في آرائهم النحوية ، ما نقله في تفسيره من مسائل كثيرة ، كان للبصريين فيها رأيٌ يخالف رأيَ الكوفيين وعندما يرجح ، كان ترجيحه مع الكوفيين في ذلك منها :

١.الكوفيون يجوزون نيابة بعض الحروف عن بعض(٢)،وكذلك اورد الطبري كثيراً من تلك الحروف ، وقال بنيابتها ، كما جاء في قوله تعالى : « ولأصلبنكم في جذوع النخل» (طه / ٧١) ان «في» توضع موضع «على» ، و «على» في موضع « في » في كل واحدة منهما تعاقب صاحبتها في الكلام (٣) ولما نقل تأويل الكوفيين لقوله تعالى «لاقعدن لهم صراطك المستقيم» (الاعراف / ١٦) قال : المعنى لاقعدن لهم على طريقهم او في طريقهم (٤) مما يدل على أنهم أجازوا هنا ان يكون «على» بمعنى «في » وكما قال في قوله تعالى : «عيناً يشرب بها عباد الله » (الدهر / ٦) الباء بمعنى «من » (٥) .

٢.نقل المبرد (٦) : ان الكوفيين يرون أن«الواو» تكون زائدة نحو«حتى أذا جاءوها وفتحت ابوابها» و«فلما اسلما وتله للجبين » وكذلك قال الطبري في قوله تعالى : «واقترب الوعد الحق» (الانبياء / ٩٧) الواومقحمة ومعنى الكلام : حتى أذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق . وذلك نظير قوله : «فلما أسلما وتله للجبين وناديناه»، معناه : ناديناه بغير واو كما قال امرؤالقيس :

---

(١) تفسير الطبري ١٣٦/١٧ .

(٢) مدرسة الكوفة ص ٢٨٤ .

(٣) تفسير الطبري ١٢٥/٧.

(٤) تفسير الطبري ١٣٥/٨.

(٥) تفسير الطبري ٢٠٧/٢٩.

(٦) المقتضب ١٨٠/٢ وينظر الانصاف ص ٤٥٦.

فلما أجزنا ساحة الحـــي وانتحى بنا بطن خبت في حقاف عقنقل

يريد : فلما أجزنا ساحة الحي انتحى (١) .

٣.ويقول الكوفيون : أنه قد يكون للحرف الواحد معان (٢) وكذلك قال الطبري كما في قوله تعالى «أو كصيّب من السماء» (البقرة / ١٩) وفي قوله : « أو اشد قسوة » (البقرة / ٧٤) وفي« وأنا أو أياكم »(سبأ / ٢٤) : « فأو » تأتي بمعنى الشك ، وقيل : بمعنى الواو(٣)

٤.ويسمي الكوفيون لام الابتداء لام اليمين (٤) وكذلك أوردها الطبري بهذه التسمية قال في قوله تعالى : «لما آتيتكم من كتاب»(آل عمران / ٨١) قال بعض نحويي البصرة «اللام» التي في «لما» في اول الكلام لام الابتداء نحو قول القائل : لزيد أفضل منك .. وخطأ بعض نحويي الكوفيين ذلك، وقال : اللام التي تدخل في اوائل الجزاء لاتجاب ب(ما) ولا (لا) : فلا يقال : لمن قام لاتتبعه ، ولا لمن قام ما أحسن ... ثم قال : «فصارت اللام الاولى يميناً اذ تلقيت بجواب اليمين (٥) ونقل في قوله تعالى : «ان الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم » (المؤمن/١٠) قول البصريين أنها لام الابتداء ومثله في الاعراب يقال : لزيد افضل من عمرو .. قال آخر من الكوفيين : هذه لام اليمين ... ثم قال : «واولى الاقوال في ذلك بالصواب من قال : دخلت لتؤذن أن ما بعدها أئتناف وانها لام اليمين » (٦) .

٥. قال الكوفيون : يجوز اضافة الشيء الى نفسه (٧) ، اما الطبري فقد نقل عنهم

---

(١) تفسير الطبري ٩٢/١٧.
(٢) الانصاف ص ٤٧٨، همع الهوامع ٣٦/٢.
(٣) تفسير الطبري ٤٩/١، ٣٦٢، ٩٤/٢٢
(٤) مدرسة الكوفة ص ٢٨٤.
(٥) تفسير الطبري ٣٣٠/٣.
(٦) تفسير الطبري ٤٧/٢٤.
(٧) الانصاف ص ٤٣٦.

قولين وذلك في قوله تعالى : «أو آتيكم بشهاب قبس» (النمل/٧) الاول : أنه أذا أضفت الشهاب الى القبس ، فهو بمنزلة قوله :«ولدار الآخرة» ، مما يضاف الى نفسه أذا اختلف اسما ولفظا توهما بالتالي أنه غير الاول .. والآخر أنه ان كان الشهاب هو القبس لم تجز الاضافة لان القبس نعت ، ولا يضاف الاسم الى نعته الا في قليل من الكلام ، فقال : «والصواب من القول في ذلك: ان الشهاب اذا أريد به أنه غير القبس،فالقراءة فيه بالاضافة لان معنى الكلام حينئذ مابيّنا من أنه شعلة قبس ... وأذا أريد بالشهاب أنه هو القبس أو أنه نعت له فالصواب في «الشهاب» التنوين ، لان الصحيح في كلام العرب ترك اضافة الاسم الى نعته والى نفسه (١) .

٦. «مالك» تحمل عمل كان وظن،فقد نقل عن الكوفيين انهم قالوا بذلك حينما استعرض قوله : «فما لكم في المنافقين فئتين» (النساء/٨٨) قال البصريون: منصوب على الحال . والكوفيون : على فعل «مالك» كما ينصب كان وظن لانهن نواقص في المعنى ثم قال «وهذا القول أولى بالصواب في ذلك لانه المطلوب في قول القائل: مالك قائماً القيام ، فهو في مذهب كان وأخواتها وظن وصواحباتها (٢)

مصطلحاته النحوية :

ولم يخرج الطبري في استعماله المصطلحات النحوية عما استعمله الكوفيون منها وكذلك تابعهم في عباراتهم . ولكن قد يعترض معترض في أنه قد أورد مصطلحات البصريين أيضاً فكيف نحكم أنه يميل الى الكوفيين في هذا . والجواب عن هذا أن الطبري كان يذكرها منفردة ، ثم ينص على قول البصريين فيها أوقد يذكرها منسوبة الى الكوفيين ويورد مايقابلها من الفاظ البصريين ثم يرجح رأي الكوفيين ويؤيده والمصطلح يأتي ضمن ذلك الرأي.فعبارته واضحة توحي انه لايستعمل الا مااستعملوه . ومن السهل على القارىء أن يكشف

(١) تفسير الطبري ١٣٣/١٩ .

(٢) تفسير الطبري ١٩٥/٥ .

هذا . فانه كان يتابع شيوخ الكوفيين الكسائي والفراء وثعلب بذلك كما سنعرضه في هذه الصفحات :

١. المردود :

ورد هذا المصطلح في كتاب الطبري كثيراً ومعناه مختلف في كثير من المواضيع عن غيرها فقد يقصد به البدل او العطف وهو الاكثر. واورده النحويون الكوفيون قبله كالكسائي والفراء فهو عند الكسائي بمعنى البدل . فقد نقل الزجاجي عنه أنه أورده في المناقشة التي جرت بينه وبين الاصمعي في قول الشاعر :

ام كيف ينفع ما تعطي العلوق به   رئمان أنفٍ أذا ماضن باللبنِ

قال الاصمعي : رئمان أنف بالنصب فقال الكسائي : اسكت ما أنت وذاك يجوز بالرفع والنصب والخفض . اما الرفع فعلى الرد على «ما» لانها في موضع رفع بـ«ينفع » والنصب بـ « تعطى » والخفض على الرد على الهاء التي في به (١) واورده الفراء كثيراً في كتابه أيضاً من ذلك قوله في «بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا» (البقرة/٩٠) ان يكفروا في موضع خفض ورفع . واما الخفض فان ترده على الهاء التي في « به »على التكرير (٢) وفي «انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون» (البقرة / ١٢٠) ليست بجواب لقوله «وما يعلمان » انما هي مردودة على قوله « يعلمون الناس السحر فيتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم » . (٣) وفي «قل قتال فيه كبير وصد» (البقرة / ٢١٧) ففي الصد وجهان : ان شئت جعلته مردوداً على الكبير ....)(٤) وفي «مانراك أتبعك الا الذين هم أراذلنا» (هود / ٢٧) فقال : رفعت الاراذل بالاتباع وقد وقع الفعل في اول الكلام على اسمه ولا تكاد العرب تجعل المردود بـ «الا »

---

(١) امالي الزجاجي ص ٥١ .

(٢) معاني القرآن ج١ص٥٦ والتكرير من مصطلحه بمعنى البدل كما سنرى .

(٣) معاني القرآن ج١ ص٦٤ .

(٤) معاني القرآن ج ١ ص١٤١ .

الا على المبتدأ لاعلى راجع ذكره وهو جائز (١) وفي «فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة» (محمد / ١٨) وان مردوده على الساعة (٢) .

فهو في استعمال الكسائي بمعنى البدل وعند الفراء بمعنى البدل والعطف ، واذا ما استقرينا المواضع التي جاء الطبري بهذا المصطلح فيها رأيناه لايخرج عن أحد المعنيين .

وقد يؤكد هذا فيذكر معها العطف أو قد يتركه ومعنى البدلية فيه واضحة . ولكن يمكن أن نقول انه عنى به التبعية التي تدخل تحت معانيها هذه المصطلحات . ففي آية القتال التي أسلفنا ذكرها قال في رفع « صد » : قال بعض نحويي الكوفيين في رفعه وجهان ان يكون مردودا على الكبير يريد القتال فيه كبير وصد عن سبيل الله .... ثم قال ... والبصريون يقولون معطوف على الكبير (٣) وفي «يوم ينفخ في الصور ففزع» (النمل / ٨٧) جعل فزع وهي فعل مردودة على «ينفخ» وهي يفعل) .. (٤) وفي قوله «ويقطعون ماامر الله به ان يوصل» (البقرة /٢٧) «أن» التي مع «يوصل» في محل خفض بمعنى ردها على موضع الهاء التي في « به »وكان معنى الكلام ويقطعون الذي امر الله بان يوصل (٥) وفي قوله «قد كان لكم اية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله» (آل عمران / ١٣) رفعت فئة كقول الشاعر :

وكنت كذى رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت

وكذلك تفعل العرب في كل مكرر على نظير له قد تقدمه اذا كان المكرر

---

(١) المصدر نفسه ج٢ ص ١٥

(٢) المصدر نفسه ج٣ ص ٦١

(٣) تفسير الطبري ٣٠٢/٢

(٤) تفسير الطبري ٦٥/٢٤

(٥) تفسير الطبري ١٨٤/١

خبراً تر ده على اعراب الاول مرة .... وقد جرّ ذلك كله فخفض على الرد على اول الكلام كأنه يعني اذا خفض ذلك.فكنت كذى رجلين كذى رجل صحيحة ورجل سقيمة وكذلك انخفض في قوله «فئة» جائز الردعلى قوله : «في فئتين التقتا فئة تماتل في سبيل الله» (١) وفي «بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين» (ال عمران/١٦٩) لوكان «فرحون» رفعا بالرد على قوله : «بل احياء عند ربهم فرحون» كان جائزا (٢) وفي «مالكم من اله غيره» (الاعراف / ٥٩) ترفع «غير» رد الها على موضع «من» لان موضعها رفع لو نزعت من الكلام لكان الكلام رفعا وقيل «مالكم اله غيره الله» (٣) وفي قوله «واسروا النجوى الذين ظلموا» (الانبياء /٣) الخفض تابع للناس في قوله «اقترب للناس حسابهم» الرفع على الرد على الاسماء الذين في قوله (واسروا النجوى) من ذكر الناس كما قيل (ثم عموا وصموا كثير منهم) (٤) وفيما تقدم معنى العطف والبدل واضح ولكن مع هذا نجده يذكر النعت والصفة مع لنمط المردود ففي قوله «الذي جعل لكم الارض فراشا» (البقرة/٢٢) مردود على الذي الاول في قوله «اعبدوا ربكم الذي خلقكم» (البقرة /٢١) وهما جميعاً من نعت ربكم (٥) وفي قوله «في لوح محفوظ» (البروج / ٢٢) محفوظ رفعا ردا على القرآن على انه من نعته وصفته (٦) . فالمردود من لفظ الكوفيين لم نجد البصريين يستعملونه والمقصود به البدل أوالعطف وقد يدخل النعت فيه ولعل اشارته إلى ان العرب توثر رد الاسماء على الاسماء مثالها والافعال على الافعال (٧) تعيننا على تحديد مصطلح المردود بهذه المعاني التي نقلنا نماذج من استعمال الكوفيين له.

---

(١) تفسير الطبري ١٩٤/٣

(٢) تفسير الطبري ١٧٤/٤

(٣) تفسير الطبري ٢١٣/٨

(٤) تفسير الطبري ٢/١٧

(٥) تفسير الطبري ١٦١/١

(٦) تفسير الطبري ١٢٠/٣٠

(٧) تفسير الطبري ٢٠٣/٣٠

٢. النسق : الغالب أنه من مصطلحاتهم والمراد به : العطف بحروف العطف استعمله الفراء وثعلب (١) واورده السيوطي (٢) على أنه من مصطلحات الكوفيين . اما الطبري فقد أورده في مواضع كثيرة من كتابه وعلى سبيل المثال قال في قوله «ويكفر عنكم من سيئاتكم» (البقرة / ٢٧١) فان قال قائل : وكيف اخترت الجزم على النسق على موضع الفاء . وتركت اختيار نسقه على ما بعد الفاء وقد علمت ان الافصح من الكلام في النسق على جواب الجزاء (٣) وفي «ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى» (البقرة /٢٨٢) نصب نسقاً عليه وان كان في معنى الجزاء وقال : ونسق الثاني . اعني : فتذكر على «تضل»(٤) وفي قوله «او لتعودن في ملتنا» (ابراهيم /١٣) «أو» بمعنى «الا» أذا كانت «او» حرف نسق (٥) وفي «ثم ليقضوا تفثهم»(الحج/٢٩) وكذلك يفعلون في لام الامر أذا كان قبلها حرف من حروف النسق كالواو والفاء وثم (٦).

٣. الترجمة او التكرير :

أورده الفراء كثيراً وثعلب (٧) على أنه يعني البدل وذكر السيوطي (٨) :أنهم يسمونه التبيين ونقل عن ابن كيسان : التكرير اما الترجمة عنده فهي عطف البيان وكذلك ذكره الاشموني وهما عند الطبري بمعنى البدل وعطف البيان فذكره بلفظ الترجمة مرة وبلفظ الترجمة والتكرير مرة أخرى قال في قوله عز وجل «من الذين استحق عليهم الاولیان» (المائدة/١٠٧) الذين قرأوا «الأوّلين» فانهم قصدوا في معناه

---

(١) معاني القرآن ١/٧٥، ٢٣٥و٢/٤١٦ وفي مجالس ثعلب ١/١٤٦
(٢) همع الهوامع ٢/١٢٨ وينظر مدرسة الكوفة ص ٣١٥.
(٣) تفسير الطبري ٣/٩٣
(٤) تفسير الطبري ٣/١٢٤، ١٢٥
(٥) تفسير الطبري ١٣/١٩١
(٦) تفسير الطبري ١٧/١٥٢
(٧) معاني القرآن ١/٧، ٥٦، ٢/١٧٨، ٣/٥ وفي مجالس ثعلب ١/٢٠
(٨) همع الهوامع ٢/١٢١، ١٢٥ وشرح الاشموني ص ٤٣٥

الى الترجمة به عن «الذين» فأخرجوا ذلك على وجه الجمع»(١) وقال في «كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم» (الانعام/٥٤) يجعلون «ان» منصوبة على الترجمة بها عن الرحمة (٢) وفي «جهنم يصلونها» (ابراهيم/٢٩) ترجم عن دار البوار(٣) (الآية/٢٨) وفي «وقطعناهم أثنتي عشرة اسباطاً أمماً» (الاعراف/١٦٠) والصواب من القول في ذلك عندى ان الاثنتي عشرة أنثت لتأنيث القطعة ومعنى الكلام وقطعناهم قطعاً اثنتي عشرة ترجم عن «القطع» بالاسباط وغير جائز ان تكون الاسباط مفسرة عن الاثنتي عشرة .. (٤) وفي «ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال» (النمل/١١٦) خفض «الكذب» فيجعل ترجمة عن «ما» التي في «لما» فتخفضه بما تخفض به «ما» وقد حكي عن بعضهم «الكذب» فيجعل من صفة الألسنة. (٥) وفي «وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار» (المؤمن/٦) قال بعض نحويي البصرة معناه: لأنهم أو بأنهم .. وقال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن قوله أنهم «ترجمة عن الكلمة بمعنى: وكذلك حق عليهم عذاب النار الذي وعد الله اهل الكفر به» (٦) وفي «أن يكفروا» (البقرة/٩٠) أما الخفض في «أن» فان ترده على الهاء التي في «به» على التكرير على كلامين .. أما الرفع فان يكون مكررا على موضع «ما» التي تلي «بئس» وتكون «ان» مترجمةعن «بئسما» (٧) وقال في «ومن أظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه» (البقرة/١١٤) أن نصب بفقد الخافض .وتعلق الفعل بها . والوجه الآخر أن يكون معناه ومن أظلم ممن منع أن يذكر أسم الله في مساجده فتكون «ان» حينئذ في موضع

---

(١) تفسير الطبري ٧/١١٩

(٢) تفسير الطبري ٧/٢٠٨

(٣) تفسير الطبري ١٣/٢١٩

(٤) المصدر نفسه ٩/٨٨

(٥) تفسير الطبري ٢٤/١٨٩

(٦) تفسير الطبري ٢٤/٤٣

(٧) تفسير الطبري ١/٤١٤

نصب تكرير على موضع المساجد وردا عليه (١) وفي «مافعلوه الا قليل منهم» (النساء/٦٩) بعض نحويي البصرة يزعم ان رفع «قليل» لأنه جعل بدلا من الأسماء المضمرة في قوله «مافعلوه» لأن الفعل لهم. وقال بعض نحويي الكوفة إنما رفع على نية التكرير كأن معناه : مافعلوه مافعله الا قليل منهم .. اذ كان الفعل مشغولا بما في كناية من قد جرى ذكره ثم استثنى منهم القليل (٢) وفي قول الشاعر :

ذريني إن امرك لن يطاعا — وما ألفتيني حلمي مضاعا

فالحلم منصوب بـ «ألفتيني» (٣) على التكرير . وفي قوله تعالى «ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع» (الكهف/٣٠) ترك الكلام الاول واعتمد على الثانية بنية التكرير كما قيل : «يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه» بمعنى عن قتال فيه على التكرير وكما قال الشاعر :

ان الخليفة ان الله سربالـه — سربال ملك به ترجى الخواتيم (٤)

وفي قوله «طه مأأنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة» (طه/١ـ ٣) بعض نحويي البصرة يقول : قال الا تذكرة بدلا من قوله : لتشقى ، وكان بعض نحويي الكوفة يقول نصبت على قوله : مأأنزلنا الا تذكرة وكان بعضهم ينكر قول القائل: نصبت بدلا وذلك غير جائز لأن «لتشقى» في الجحد والا تذكرة في التحقيق ولكنه تكرير (٥) وفي « ائن ذكرتم »(يس/٦٩) أدخلت الف الاستفهام على «أن» التي هي حرف جزاء في قول بعض نحويي البصرة وفي قول بعض الكوفيين منوي به التكرير كأنه قيل : قالوا طائركم معكم ان ذكرتم فمعكم طائركم فحذف الجواب اكتفاء بدلالة الكلام عليه (٦)

---

(١) تفسير الطبري ٤٩٨/١

(٢) تفسير الطبري ١٦١/٥

(٣) تفسير الطبري ١٩٦/١٣

(٤) تفسير الطبري ٢٤٢/١٥

(٥) تفسير الطبري ١٩٧/١٧

(٦) تفسير الطبري ١٢٨/٢٢

٤. **القطع** : مصطلح استعمله الكوفيون بمعنى الحال فقد جاء في معاني القرآن للفراء في قوله « هدى » نصب « هدى » على القطع لأن « هدى» نكرة اتصلت بمعرفة قد تم خبرها فنصبها لأن النكرة لاتكون دليلاً على معرفة وان شئت « هدى » على القطع من الهاء التي في « فيه » كأنك قلت : لاشك فيه هادياً (١) وقال في « إنها لأحدى الكبر ، نذيراً للبشر » (المدثر/٣٥) نصبه على القطع وعلى الحال واذا حسن فيه المدح او الذم فهو وجه ثالث (٢) وفي« كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً »(فصلت / ٣) تنصب قرآنا على الفعل اى فصلت آياته كذلك ويكون نصباً على القطع لأن الكلام تام عند قوله : آياته (٣) فهو في هذه النصوص بمعنى الحال وذكره ثعلب مع الحال ايضاً (٤) ثم نجد الطبري يكثر من استعماله مقصودا به الحال فيستعمله مستقلا او يذكر معه لفظ الحال قال في قوله « هدى للمتقين » (البقرة / ٢) وقوله « هدى » يحتمل أوجهاً من المعاني: أحدها ان يكون نصباً لمعنى القطع من الكتاب لأنه نكرة واالكتاب معرفة فيكون التأويل حينئذ : ألم ذلك الكتاب هادياً ، وقد يحتمل أن يكون نصباً على القطع من راجع الكتاب الذي في « فيه » فيكون معنى ذلك حينئذ : الم الذي لاريب فيه هادياً ، وقد يحتمل أن يكون نصباً على هذين الوجهين .أعني على وجه القطع من الهاء التي في «فيه» وفي «الكتاب» (٥) وفي « متاعاً بالمعروف » (البقرة / ٢٣٦) وقد يجوز أن يكون «متاعاً» منصوباً قطعاً من القدر من قوله :«على الموسع قدره» لأن «المتاع » نكرة و القدر معرفة. وفي قوله« حقاً على المحسنين » وهو من نعت المعروف والمعروف معرفة .

---

(١) معاني القرآن ١/ ١٢

(٢) المصدر نفسه ١/ ٣١٩

(٣) المصدر نفسه ٣/ ١١

(٤) مجالس ثعلب ١/ ١٤٦

(٥) تفسير الطبري ١/ ٩٨

والحق نكرة نصب على القطع منه(١) وفي « قائماًبالقسط » (آل عمران /١٨) نصب قائماً على القطع وكان بعض نحويي أهل البصرة يزعم أنه حال من «هو» في قوله «لااله الا هو» وكان بعض نحويي الكوفة يزعم أنه حال من اسم الله . والصواب عندي قول من جعله قطعاً على أنه من نعت اسم الله (٢)

وفي « للذي ببكة مباركاً» (آل عمران/٩٦) والمبارك نكرة فنصب على القطع منه في قول بعضهم وعلى الحال في قول بعضهم (٣) .

وفي « سلقوكم بألسنة حداد اشحة » (الاحزاب/١٩) نصب « اشحة » على الحال من ذكر الاسم الذي في قوله « لاياتون الناس » وقد يحتمل أن يكون قطعاً من قوله «قد يعلم الله المعوقين منكم » .. ويجوز ان يكون قطعاً من قوله «هلم الينا أشحة» (٤).

وفي «إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين» (المؤمن/١٨) قال بعض نحويي البصرة انتصابه على الحال ... وكان بعض نحويي الكوفة يقول : الالف واللام بدل من الاضافة كأنه قال: اذ قلوبهم لدى حناجرهم في حال كظمهم وقال آخر منهم : هو نصب على القطع من المعنى الذي يرجع من ذكرهم في القلوب والحناجر. والمعنى اذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين. قال: فان شئت جعلت قطعه من الهاء التي في قوله :«وأنذرهم»قال والأول أجود في العربية (٥) .

٥. **الصرف** (٦) : عرف الفراء الصرف فقال هو أن تأتي بالواو معطوفة على كلام في أول حادثة لاتستقيم اعادتها على ماعطف عليها ، فاذا كان ذلك كذلك فهو الصرف كقول الشاعر :

لاتنه عن خلق وتأتي مثله . . . .

---

(١) تفسير الطبري ٢/ ٣٨ ٥

(٢) تفسير الطبري ٣/ ٢١٠

(٣) تفسير الطبري ٤/ ١٠

(٤) تفسير الطبري ٢١/ ١٤٠

(٥) تفسير الطبري ٢٤/ ٥٣

(٦) يقول الدكتور المخزومي فيه : أنه النصب على الخلاف. ينظر مدرسة الكوفة ص ٢٩٥.

ألا ترى أنه لايجوز إعادة «لا»في تأتي مثله. فلذلك سمي صرفاً اذا كان معطوفاً ولم يستقم ان يعاد فيه الحادث الذي قبله (١) وفي موضع آخر قال :
والصرف ان يجتمع الفعلان بالواو أو«ثم»او«الفاء»أو «أو»وفي اوله جحد او استفهام. ثم ترى ذلك الجحد أو الاستفهام ممتنعاً أو يكرر في العطف فذلك الصرف(٢) ثم ياتي الطبري ليقول فيه والصرف ان يجتمع فعلان ببعض حروف النسق وفي اوله مالا يحسن اعادته ، مع حرف النسق فينصب الذي بعد حرف العطف على الصرف لأنه مصروف عن معنى الاول ، ولكن يكون مع جحد او استفهام اونهي أول الكلام(٢) وهكذا كان يورده في مواضعه، قال في «ولاتلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق» (البقرة ٤٢) « وتكتموا » منصوباً لانصرافه عن معنى قوله «ولاتلبسوا» اذ كان «ولاتلبسوا» نهياً وقوله «ولاتكتموا الحق» خبرامعطوفاً عليه غير جائز ان يعاد عليه ماعمل في قوله «تلبسوا» من الحرف الجازم ذلك هو المعنى الذي يسميه النحويون: صرفاً ونظير ذلك في المعنى والاعراب قول الشاعر

لاتنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

معناه لاتنه عن خلق وأنت تاتي مثله . فكان الاول نهياً والثاني خبراً فنصب الخبر اذ عطف على غير شكله (٤)

وقال في قوله «وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك وآلهتك» (الاعراف/١٢٧) نصب يذرك على الصرف لا على العطف به على قوله «ليفسدوا» .

والثاني ليفسدوا في الارض وليذرك والهتك ، على العطف. والوجه الأول اولى الوجهين بالصواب وهو أن يكون نصب ويذرك على الصرف وفي قراءة أبي كعب وقد تركوك ان يصدوك وآلهتك دلاله واضحة على أن نصب ذلك على الصرف(٥).

---

(١) معاني القرآن ٣٣/١
(٢) معاني القرآن ١/٥٠٣
(٣) تفسير الطبري ٤/ ١٠٨
(٤) تفسير الطبري ١/٥٥٢
(٥) تفسير الطبري ٩/٢٤ هذه ليست قراءة على الحقيقة وانما هي من باب تأويل القرآن والنحاس يسميها : قراءة على التفسير. ينظر القطع والائتناف ص ١٨٦، ٣٨٤، ٤٦٧.

٦. **التفسير:** وهو التميز استعمله الفراء وثعلب(١)وذكره السيوطي(٢) بـ(التبيين والمبين والتفسير)اولكنه لم ينسبه إلى احد واورده الطبري في كتابه أيضا قال، في «حسن اولئك رفيقاً» (النساء/٦٩) أما نصب الرفيق فان أهل العربية مختلفون فيه فكان بعض نحويي البصرة يرى أنه منصوب على الحال ويقول هو كقول الرجل : كرم زيد رجلا ويعدل به معنى : نعم الرجل ويقول ان « نعم » لاتقع الا على اسم فيه الف ولام او على نكرة وكان بعض نحويي الكوفة يرى أنه منصوب على التفسير وينكر أن يكون حالا ويستشهد على ذلك بان العرب تقول : كرم زيد من رجل وقال : وقد حكي عن العرب : نعمتم رجالا فدل على ان ذلك نظير قوله وحسنتم رفقاء وهذا القول اولى بالصواب للعلة التي ذكرنا لقائليه (٣) .

وفي «اوعدل ذلك صياماً» (المائدة/٩٥) نصب صياماً على التفسير كما يقال: عندى ملء زقٍ سمنا وقدر رطل عسلا (٤) وفي «وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا» (الانعام/١١٥) الصدق والعدل نصبا على التفسير للكلمة كما يقال عندى عشرون درهماً (٥) وفي «فالله خير حافظاً» (يونس/٦٤) على توجيه الحافظ إلى تفسير للخير كما يقال هو خير رجلا (٦) وفي ملء الارض ذهباً (آل عمران/٩١) نصب ذهبا على الخروج من المقدار الذي قبله والتفسير منه وهو قوله «ملء الأرض كقول القائل: عندي قدر زق . سمناً وقدر رطل عسلا . فالعسل مبين به ماذكر من المقدار وهو نكرة منصوبة على التفسير للمقدار والخروج منه (٧)

---

(١) معاني القرآن ١/١٧، ٧٩، ٢٢٥، ٢/١٥٩ ومجالس ثعلب ١/٢٦٥و ٢/٤٣٧.
(٢) همع الهوامع ١/٢٥
(٣) تفسير الطبري ٥/١٦٣
(٤) تفسير الطبري ٧/٥٧
(٥) تفسير الطبري ٨/٩
(٦) تفسير الطبري ٣/٣٤٦
(٧) تفسير الطبري ٣/٣٤٦

وفي «كبرت كلمة» (الكهف/٥) نصب كلمة بمعنى كبرت كلمتهم التي قالوها كلمة على التفسير كما يقال : نعم رجلا عمرو (١) وفي (فله جزاء الحسنى) (الكهف / ٨٨) جزاء منصوب على المصدر بمعنى يجازيهم جزاء الجنة ويكون الجزاء نصباً على التفسير (٢) وفي «كبر مقتاً عند الله» (الصف/ ٣) قال بعض نحويي البصرة اى كبر مقتاً لانه كبر كقوله : بئس رجلا أخوك والصواب من القول عندي ان قوله مقتاً منصوب على التفسير كقول القائل : كبر قولا هذا القول (٣) .

وذكر العدد فقال : العدد كلمة يفسر به . فيقال : رأيت قوماً أربعة فلما جاء باثنين وقد اكتفى بالعدد منه لانهم يقولون : عندي درهم ودرهمان يكفي فاذا قالوا : دراهم قالوا : ثلاثة (٤)

٧. **الكناية والمكنى:** المراد بهما الضمائر استعملهما الفراء وثعلب (٥) وذكرها السيوطي انهما من مصطلحاتهم (٦) وهذا هو استعمال الطبري له قال: في «فسواهن» (البقرة/ ٢٩) أخرج مكنيهن مخرج مكني الجميع (٧) وفي «ثم انتم هؤلاء»(البقرة/٨٦) أنتم كناية عن المخاطبين (٨) وفي «فأنه نزله على قلبك»(البقرة/٩٧) مضافاً إلى كناية نفس المخبر عن نفسه(٩) «وفي ياحسرتا»(الزمر/٥٦) الالف في ياحسرتا هي كناية المتكلم وانما اريد ياحسرتي ولكن العرب تحول

---

(١) تفسير الطبري ١٩٣/١٥

(٢) تفسير الطبري ١٣/١٦

(٣) تفسير الطبري ٨٥/٢٨

(٤) تفسير الطبري ١٧٣/١

(٥) معاني القرآن ١/ ٥٠، ٤١٠، ٢٣١ ومجالس ثعلب ٤٣/١

(٦) همع الهوامع ٥٦/١ وينظر مدرسة الكوفة ص ٣١٤

(٧) تفسير الطبري ١٩٢/١

(٨) تفسير الطبري ٣٩٦/١

(٩) تفسير الطبري ٤٣٦/١

الياء التي في كناية اسم المتكلم في الاستغاثة الفا فتقول يا ياويلتا (١) وفي «أتينا طائعين» (فصلت / ١١) أن النون والالف اللتين هما كناية أسمائهما في قوله «أتينا» ، نظير كناية أسماءالمخبرين من الرجال عن أنفسهم (٢) وفي «فهل عسيتم» (محمد/٢٢) بكسر السين وفتح الياء ولو كان صوابا كسرها اذا اتصل بها مكني جاءت بالكسر مع غير المكني وفي اجماعهم على فتحها مع الاسم الظاهر الدليل الواضح على أنها كذلك مع المكني . (٣)

٨ . **العماد والمجهول :** يقول الدكتور مهدي المخزومي أن العماد من عبارات الكوفيين يقابله عند البصريين الفصل (٤) أما المجهول فيقابله عندهم ضمير الشأن والقصة والحديث (٥) وهذا الأخير ذكره السيوطي (٦) أما الطبري فقد ذكره مرة باسم العماد فيتفق مع الفراء كما قال في «وهو محرم عليكم اخراجهم» (البقرة/٨٥) هو أن يكون كناية عن الاخراج الذي تقدم والتأويل الثاني أن يكون عماداً (٧) وهذا الذي استعمله الفراء (٨) وكما في قوله «فاذا هي شاخصة أبصارُ الذين كفروا» (الانبياء/٩٧) هي تكون عماداً (٩) وكذلك سماه الفراء (١٠) وفي (قل هو الله أحد) هو عماد بمنزلة الهاء في قوله « انه أنا الله العزيز الحكيم » (١١) وكذلك قاله الفراء (١٢) ويورد العماد والمجهول معاً

(١) تفسير الطبري ١٨/٢٤
(٢) تفسير الطبري ٩٩/٢٤
(٣) تفسير الطبري ٥٧/٢٦
(٤) مدرسة الكوفة ص ٣١٢
(٥) مدرسة الكوفة ص ٣١١
(٦) همع الهوامع ٦٧/١–٦٨
(٧) تفسير الطبري ٤٠٠/١
(٨) معاني القرآن ٥١/١
(٩) تفسير القرآن ٩٢/١٧
(١٠) معاني القرآن ٢١٢/٢
(١١) تفسير الطبري ٣٤٣/٣٠
(١٢) معاني القرآن ٢٩٩/٣

مع أن الفراء لم يذكر فيها إلا العماد كما في قوله« إنه أنا الله» (النمل /٩) الهاء هي عماد وهو اسم لايظهر في قول أهل العربية وكان بعض نحويي الكوفة يقول : هي الهاء المجهولة ومعناها أن الامر والشأن أنا الله (١)

ويذكرهما أحياناً بالعماد والمجهول معاً أو بالمجهول أو مستقلين مع أن الفراء لم يذكرهما، كما في قوله «أنه كان فريق من عبادي» (المؤمنون/١٠٩) هذه الهاء التي في قوله «انه» هي الهاء التي يسميها أهل العربية المجهولة (٢) وفي «يابني انها أن تاك مثقال حبة» (لقمان/١٦) قال بعض نحويي البصرة ذلك كناية عن المعصية والخطيئة وقال بعض نحويي الكوفة وهذه الهاء عماد ...

ومن نصب جعل في «تكن» اسماً مضمراً مجهولا مثل الهاء التي في قوله «أنها أن تاك» (٣)

٩. التقريب :

المراد به اسم الاشارة ذكره الفراء وثعلب (٤) واورده السيوطي (٥) ايضاً وستعمله الطبري كما في قوله تعالى «هؤلاء بناتي هن اطهر لكم» (هود/٧٨) فقال : وانما لم يجز أن يقع الفعل ههنا لان التقريب رد كلام فلم يجتمعا لأنه يتناقض لأن ذلك اخبار عن معهود وهذا اخبار عن ابتداء ما هو فيه : ها أنذاً حاضر (٦) وفي «ها أنتم هؤلاء تدعون» (محمد / ٣٨) أدخلت ها في موضعين لان العرب أذا أرادت التقريب جعلت المكني بين «ها» وبين «ذا» فقالت : ها أنت ذا قائماً لان التقريب جواب الكلام فربما اعادت «ها» مع «ذا» وربما أجتزأت بالاولى . وقد حذفت الثانية ولا يقدمون انتم قبل «ها» لان «ها» جواب فلا تقرب بها بعد الكلمة (٧)

---

(١) تفسير الطبري ١٣٥/١٩ وينظر معاني القرآن ٢٨٧/٢

(٢) تفسير الطبري ٦٠/١٨

(٣) تفسير الطبري ٧١/٢١

(٤) معاني القرآن ١٢/١ ، ٢٣٢ ومجالس ثعلب ٤٣/١-٣٥٩/٢

(٥) همع الهوامع ١١١/١ قال: هذا وهذه سموهما تقريبا .

(٦) تفسير الطبري ١٢/ ٨٥

(٧) تفسير الطبري ٦٥/٢٦

١٠. حروف الصلة والحشو :

يقابلها عند البصريين حروف الزيادة (١) واستعملها الفراء (٢) واوردها الطبري في مواضع كثيرة منها في قوله « ولا الضالين » كان بعض أهل البصرة يزعم أن « لا » مع « الضالين » أدخلت تتميماً للكلام والمعنى الغاؤها ويستشهد على قوله ذلك بقول العجاج :

في بئر لاحور سرى وما شعر

....

ويتأوله بمعنى : في بئر حور سرى ، أي في بئر هلكة وان «لا» بمعنى الالغاء والصلة(٣) وفي «فاما يأتينكم مني هدى» (البقرة / ٣٨) ما التي بمعنى توكيد الكلام التي يسميها أهل العربية صلة وحشوا (٤) .

١١. حروف الصفات :

- أوردها الفراء كثيراً في كتابه (٥) ويقصدبها حروف الخفض والظروف فقد قال في قوله (لاتجزي نفس عن نفس شيئاً» (البقرة / ٤٨) قال : يجوز لاتجزي نفس عن نفس شيئاً وتضمر الصفة ثم تظهرها فتقول : لاتجزي فيه وكان الكسائي لايجيز اضمار الصفة في الصلات (٦) وكذلك في قوله «لافيها غول» (الصافات/ ٤٧) لو قلت لاغول فيها كان رفعا ونصباً ، فاذا حلت بين لا وبين القول بلام او بغيرها من الصفات لم يكن الا الرفع (٧) وذكره باسم المحال ايضا (٨) . اما الطبري فقد جاء بالمعنيين أيضاً فقال في « واذا خلوا الى شياطينهم » (البقرة/ ١٤) معنى الى شياطينهم أي مع شياطينهم ، أذ كانت حروف الصفات يعاقب بعضها بعضاً ... (٩) «وفي عليكم أنفسكم»(المائدة/ ١٠٥) نصب أنفسكم بالاغراء ، والعرب تغرى من الصفات بعليك وعندك ودونك واليك (١٠) وفي «هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم» (المائدة / ١١٩) رجح نصب اليوم فيكون حينئذ منصوباً على الوقت والصفة ، بمعنى هذا الامر في يوم ينفع ، واولى

---

(١) مدرسة الكوفة ص ٣١٥
(٢) معاني القرآن ١/ ٢٤٤ ، ٣/ ١٣٧ ، ١٨٩
(٣) تفسير الطبري ١/ ٨٩
(٤) تفسير الطبري ١/ ٢٤٦
(٥) معاني القرآن ١/ ١٢ ، ٢/ ٣٨٥
(٦) معاني القرآن ١/ ٣٢
(٧) معاني القرآن ٢/ ٣٨٥
(٨) معاني القرآن ١/ ٣٦٢
(٩) تفسير الطبري ١/ ١٣١
(١٠) تفسير الطبري ٧/ ٩٤

القراتين في ذلك عندي بالصواب : هذا يوم ينفع بنصب اليوم على انه منصوب على الوقت والصفة(١) وفي «فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب » (هود / ٧١) اسحاق وان كان مخفوضاً فانه بمعنى المنصوب بعمل «بشرنا فيه ..» وأما الكوفي فانه قرأ بتأويل الخفض فيما ذكر عنه غير أنه نصبه لأنه لايجرى وقد أنكر ذلك أهل العلم من العربية من أجل دخول الصفة بين حرف العطف والاسم (٢) وقال في الشاهد :

قالت أجيبي عاشقاً بحبكم مكلف

فمكلف من نعت عاشق وقد رفعه بحرف الصفة وهو الباء (٣)

١٢.مالم يسم فاعله :

وهو نائب الفاعل فقد أورده الفراء وثعلب (٤) واورده الطبري في كتابه كثيراً قال في «الا ان يخافا» (البقرة/٢٢٩) المتروك الذي لم يسم فاعله ، والخوف عامل فيما لم يسم فاعله (٥)وفي« سيكتب ما قالوا» (آل عمران/١٨١) يقرأ على مذهب ما لم يسم فاعله، أو على مذهب ما يسمى فاعله (٦) وفي « فاما الذين سعدوا » (هود / ١٠٨) قرئت «سُعدوا» فيما لم يسم فاعله وانت لاتقول في الخبر فيما سمى فاعله : سعده الله ،بل انما تقول: أسعده الله وقيل: ذلك نظير قولهم : مجنون ومحبوب . فيما لم يسم فاعله فاذا سموا فاعله قيل اجنه الله وأحبه (٧) .

١٣.الاجراء وترك الاجراء :

وهو الصرف والمنع من الصرف ذكره الفراء (٨) ، وأورده الطبري

(١) تفسير الطبري ١٤٥/٧

(٢) تفسير الطبري ٦/١٢ ٧

(٣) تفسير الطبري ١٠٠/٢٠

(٤) معاني القرآن ٢٥٧/١ ومجالس ثعلب ٢٠٨/١

(٥) تفسير الطبري ٤٦١/٢

(٦) تفسير الطبري ١٩٦/٤

(٧) تفسير الطبري ١١٩/١٢

وسماها السيوطي حروف الاضافة فينظر همع الهوامع ١٩/٢ ، والمخزومي : المحل والصفة ينظر مدرسة الكوفة ص ٣٠٩

(٨) معاني القرآن ٢٥٥/١ ، ٣٤٠ ، ٢١٧/٣ .

كثيراً قال في : «اهبطوا مصر » (البقرة/٦١)وقيل مصراً. وقد يجوز أن يكون بعض من قرأ ذلك بالاجراء والتنوين .. غير انه أجراها ونونها اتباعاً منه خط المصحف لأن في المصحف ألفا ثابتة في مصر، فيكون سبيل قراءته بالاجراء والتنوين سبيل من قرأ «قواريراً قواريرا من فضة»(الانسان/١٦)(١)وفي قوله«مثنى وثلاث ورباع» (النساء/٣) ترك اجراؤهن لانهن معدولات عن اثنين وثلاث واربع كما عدل عمر عن عامر وزفر عن زافر فترك اجراؤهن و كذلك: أحاد وثناء وموحد ومثنى ومثلث ومربع لايجري ذلك كله للعلة التي ذكرت من العدول عن وجوهه. (٢)

وفي« ويوم حنين»(التوبة/٢٥) يوم حنين أجرى لأنه مذكر وقد ترك اجراؤه ويراد به أن يجعل اسماً للبلدة التي هو بها ومنه قول الشاعر :

نصروا نبيهم وشدوا أزره
بحنين يوم تواكل الابطال(٣)

وفي «أنك بالواد المقدس طوى»(طه/١٢) من أراد أن يجعله اسماً للوادي، فانه انما ينونه لأنه اسم ذكر لا مؤنث وان لام الفعل منه ياء فزاده ذلك خفة فأجراه، كما قال تعالى«ويوم حنين»اذ كان« حنين»اسم واد والوادي مذكر(٤) وفي «جئتك من سبأ بنبأ يقين» (النمل / ٢٢) قرآه المدينة والكوفة بالاجراء المعنى أنه رجل اسمه سبأ وقرأه بعض أهل مكة والبصرة بترك الاجراء على أنه أسم قبيلة (٥) وفي«وأما ثمود فهديناهم »(فصلت/١٧) برفع«ثمود»وترك الأجراء على أنها اسم للامة التي تعرف بذلك . وأما الاعشى فأنه ذكر أنه كان لايجريه في هذا الموضع خاصة...... والصواب من القراءة في ذلك عندنا الرفع وترك الاجراء. أما الرفع فلما وصفت. وأما ترك الاجراء فلانه أسم للامة (٦)

---

(١) تفسير الطبري ٣١٣/١
(٢) تفسير الطبري ٢٣٧/٤ ، ١١٤/٢٢
(٣) تفسير الطبري ٩٩/١٠
(٤) تفسير الطبري ١٤٧/١٦
(٥) تفسير الطبري ١٤٧/١٩
(٦) تفسير الطبري ١٠٤/٢٤

١٤. الجحد:

وهو النفي كما يقوله البصريون(١) وهو من مصطلحات الفراء وثعلب (٢) وهو مااستعمله الطبري كما في « غير المغضوب» أن « غير » بمعنى الجحد، (٣) وفي «ولا الضالين» ولايعطف بها الا على جحد قد تقدمها (٤) وفي «بلى من كسب سيئة» (البقرة/٨١) بلى اقرار في كل كلام في اوله جحد كما أن نعم اقرار في الاستفهام الذي لاجحد فيه (٥) . وفي « ألم تعلم ان الله ملك السموات والارض» (البقرة/١٠٧) الم تعلم معناه : اماعلمت وهو حرف جحد أدخل عليه حرف استفهام (٦) .

وقال في قول الشاعر :

ما ان ندبت لشيء تكرهه ..

فأدخل على (ما) وهي حرف حجد ، «ان» وهي ايضاً حرف حجد ، لاختلاف اللفظ بهما (٧) .

وقال أيضاً في قول الشاعر :

ما أن رأيت ولا سمعت به   كاليوم طالى أينق جرب

فجمع بين «ما» وبين «ان» وهما جحدان ، يجزيء أحدهما عن الآخر (٨) اضافة الى العبارات التي اكثر الكوفيون من استعمالها كقولهم في المبتدأ والخبر أنهما ترافعا كقوله في «ألم ذلك الكتاب» «ذلك» مرفوع بـ«ألم» و« ألم» «به» (٩) وفي «ماذا ينفقون» (البقرة/٢١٥) برفع «ما» بـ«ذا» و «ذا» بـ«ما» (١٠) وفي «والذي أنزل اليك من ربك الحق» (الرعد/١) «الذي» مرفوع بـ«الحق» و«الحق» به (١١) . وأخيراً هو مثلهم يسمي حروف الجر بحروف الخفض .

---

(١) مدرسة الكوفة ص ٣٠٩

(٢) معاني القرآن ١/٨، ٣٥٢/٣، ١٣٧، ٢٠٧، مجالس ثعلب ١٠١/١

(٣) تفسير الطبري ٧٩/١

(٤) تفسير الطبري ٨١/١

(٥) تفسير الطبري ٣٨٤/١

(٦) تفسير الطبري ٤٨١/١

(٧) تفسير الطبري ١٢/٢٥ .

(٨) تفسير الطبري ٢١٦/٢٦

(٩) تفسير الطبري ٩٨/١ .

(١٠) تفسير الطبري ٣٦٨/٢ .

(١١) تفسير الطبري ٩٢/١٣ .

الخاتمة :

هذا هو مذهب الطبري في النحو ، درسناه من خلال كتابه «جامع البيان» لأنه لم يخلف كتاباً في النحو يعتمد عليه ، وقد ظهر لنا من خلاله أنه نحوي كوفي ، ولاشك في ذلك ، وأكد ثعلب شيخه هذا فقال :

«أنه من حذاق الكوفيين» سار على أسس مذهبهم واستعمل مصطلحاتهم وترجيحاتهم وتعليلاتهم ، وسار على طريقتهم في الاخذ بالقراءات من غير أن يضعف الاخرى منها ، واستنبط الاحكام على قياسهم . الا أنه كان يقول :- «قال بعض نحويي البصرة أو قال بعض نحويي الكوفة» ولكنه لم يسم واحدا منهما ويصعب على الدارس أن يعين المقصود من ذلك ، لكثرة الآراء التي نقلها والمناقشات ، وخاصة ما كان منها في مسائل الخلافات النحوية ، على قلة من ألف فيها من معاصريه ، فجعلنا اشاراته تلك ممثلة لكل مذهب ينقل عنه ، لاننا بمقارنتنا مانقله مع ما نقله غيره ثبت صحة ماينقله عن المذهبيين .

ومما يجعل لهذا الكتاب قيمة كبيرة بين مصادر النحو الكوفي ، أنه تميز عن غيره منها وخاصة كتاب «معاني القرآن للفراء» أنه يأتي بالآية فيذكر ما فيها من أحكام نحوية ، فاذا ما أختلف المذهبان فيها ، ذكر ذلك الخلاف وذكر تعليل وحجة علماء كل مذهب فيها ، ويذكر أحياناً الخلافات اللغوية والاحكام الصرفية في كلماتها . ولكن لايعني ذلك أنه لم يكن له رأي ليس عليه المذهبان فقد كان أحياناً يستقل في ترجيحاته وتأويلاته فيختار رأياً وسطاً كما قال في قوله تعالى «ليسوا سواء من اهل الكتاب أمة قائمة» (آل عمران / ١١٣) «وعرض رأي المذهبين فيها » : «وقد توهم جماعة من نحويي الكوفة والبصرة والمتقدمين منهم في صناعتهم » (١) مما يجعل لآرائه تلك اثرها في هذا العلم ولكتابه قيمة كبرى بين مصادر النحو الكوفي .

---

(١) تفسير الطبري ٤/١/٥١ .

المصادر والمراجع

امالي الزجاجي ط١ تحقيق عبد السلام هارون القاهرة / ١٣٨٢

إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي القاهرة ١٣٦٩ / ١٩٥٠

الانصاف في مسائل الخلاف ـ ابو البركات الانباري ط٤

تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد القاهرة ١٣٨٠ / ١٩٦١

جامع البيان في تأويل آي القرآن الطبري ط٢ القاهرة ١٣٧٣ / ١٩٥٤

شرح الاشموني ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط١مصر ١٣٧٥ / ١٩٥٥

القطع والائتناف ـ لابي جعفر النحاس (بتحقيقنا) على الآلة الكاتبة / ١٩٧٦

مجالس ثعلب ج١ط٣ مصر ١٩٦٩

مجالس ثعلب ج٢ ط٢ مصر ١٩٦٠

مدرسة الكوفة ط٢ د. مهدي المخزومي ١٣٧٧ / ١٩٥٨

المقتضب ـ المبرد تحقيق عبد الخالق عضيمة مصر ١٣٨٨

معاني القرآن ـ للفراء من ١٩٥٥ ـ ١٩٥٨

معجم الادباء ـ ياقوت الحموي نسخة مصورة عن نسخة مصر ١٩٢٤

ميزان الاعتدال ـ الذهبي مصر ١٩٦٣ / ١٣٨٢

صِراعُ الحياةِ والموتِ

في شِعرِ امرئِ القيس

الدكتور
عمر محمد الطالب

م/١٧/٦

كان لقسوة البيئة الصحراوية ونضوب مصادر العيش فيها وقلة مواردها الاقتصادية تأثير كبير على احساس العربي بالموت (١) فهو يتوقعه دائماً، اذا ما حيل بينه وبين الحصول على هذه الموارد.

---

(١) الموت المعنوي او الموت في الحياة نوع آخر من الموت. وهو يصيب الانسان عند بلوغه درجة اليأس من الحياة بسبب الكوارث المستمرة التي تصيبه. او بسبب عدم قدرته على تحقيق مايريد لفقدان التوافق بين عالمه الداخلي(النفسي) وعالمه الخارجي (المجتمع). فحرمان الانسان مما يسعى اليه في حياته يعد موتا معنويا. لذا يهرب الانسان من هذا الواقع الذي لم يحقق له ماأراد إلى الذكريات او الاحلام. وهو هروب من الحياة إلى الماضي الذي يتوهم بانه اسعده. او المستقبل الذي يأمل بأن يحقق له مايصبو اليه قبل ان يصيبه الموت المادي الذي يهدد حياته. ومن هنا ينشأ القلق عند الانسان في الصراع المحتوم بين الحياة والموت. وتعتقد ميلاني كلاين« بأن الخوف من الموت هو اصل كل القلق الذي يصيب المرء في حياته واساس كل الافكار والتصرفات العدائية المشاكسة لدى البشر... امايو تيليش فيقول: ان الانسان فان... وان الشعور بعدم الأمن هو دليل الموت» فخري الدباغ. الموت اختياراً ص ١٢ وعدم الشعور بالأمن هو الذي جابه امرأ القيس في حياته فصارع الموت المتمثل فيه سواء أكان مجتمعياً (الرحيل، الاطلال) ام حياتنا (التغيير والزوال في الحياة والطبيعة) ام كونيا(الاندثار والموت) ام شخصياً(كونه مفركا تكرهه النساء، اصابته في كرامته لعدم قدرته على الأخذ بثأر والده، مطاردة المنذر بن ماء السماء له). يقول رأنك: بأن الخوف من الموت« هو قلق من التأخر وفقدان الفردية، انه خوف الفرد من ان يضيع في المجموع أو خوفه من ان يفقد استقلاله الفردي ويعود إلى حالة الاعتماد على الغير، فرويد، القلق ص ٣٤. وقد كان الخوف من فقدان الحرية والاستقلال هو الخوف من الموت الذي هدد امرأ القيس طوال حياته: (ملك ابيه) في صباه و(طلب الثأر) في شبابه. وقد ثار امرؤ القيس عن طريق فنه الشعري ضد الموت المعنوي الذي لاحقه في حياته. يقول مالرو« الفن هو اعنف ثورة للانسان ضد مصيره» الموت اختياراً ص١٥. كما ثار في حياته ضد الموت المحتمل في جميع انواع القيود التي تعيق الانسان من تحقيق استقلاله وحريته. فكانت حياته صراعاً ضد الموت المعنوي. ويصدق عليه شعر ديلان توماس« لاتتمهل ولاتسر الهويني في هذه الليلة الطيبة بل ثرثر ضد موت ذلك الضياء» الموت اختياراً ص ١٣.

وأدت حياة العرب الاجتماعية المبنية على وحدة القبيلة إلى وجود التناحر بصورة مستديمة بين هذه القبائل للحصول على الموارد الاقتصادية الأساسية بالنسبة لهم (الماء والمرعى).

وقد قادهم هذا التناحر إلى ايجاد مصدر مهم آخر للرزق ألا وهو السلب عن طريق الغزو .

وهكذا عاش الانسان الجاهلي حياة قلقة غير مستقرة فإذا اطمأن إلى وجود الماء والكلأ لايأمن غزو قبيلة معادية . ومن هنا تمثّل له الموت دائماً، واصبح رفيقه حتى انه لم يعد يخشاه .واكبر دليل على ذلك حياة الغزو التي كانوا يحيونها. وقد تفاخر الشعراء بأنفسهم وقومهم لانهم يزجون بانفسهم في غمار الموت دون تردد أو خوف.

ونجد تأكيدا على ذلك في قول الشعراء ولنكتفي بقول عنترة :

يجرون هاما فلقتهـا سيوفنا تزّيل منهن اللحى والمسائح (١)

وقوله :ــ

وانا المنية حين تشتجر القنا والطعن مني سابق الآجال (٢)

ومن احساسهم هذا بمصاحبة الموت ، تولد احساسهم بقصر الحياة ودنو الأجل إذ ((ان احدهم ماكان يأمن الموت في يوم من أيام حياته بل خطره ماثل ابدا)) (٣)

ان الاحساس بالموت احساس باطني ومختف في نفس كل انسان فإذا ما أبان عن نفسه في الاوقات العصيبة فهو في الغالب يختفي وراء الممارسات الحياتية « الشعور بالموت لايمكن أن يكون شعوراً واعياً كالشعور بالحياة بل هو شعور غاية في الخفاء يظهر احياناً في ظروف خاصة متخذاً من من الأقنعة والرموز مرة أخرى مايضمن اختفاءه وان نمّ عليه .... ان قليلا من البحث ليكشف لنا رموز الحياة والموت في كل جوانب حياتنا حيث تداخلت في نسيج تأريخنا واساطيرنا ، في شعرنا وتصويرنا

(١، ٢) ديوان عنترة ص ٣٣٦، ٧٥

(٣) محمد النويهي، الشعر الجاهلي ص ٤٢٠ .

في احلامنا وحديثنا بل انه لمن المحتمل ان تسيطر هذه الرموز بطرق عدة بارعة على حياة كل فرد » (١) ولما كان الجاهلي لايؤمن بوجود حياة غير الحياة الدنيا ، نستثني ... النصارى واليهود والاحناف ، ولما كانت الحياة الدنيا قصيرة ومهددة دائماً بالموت حاول الجاهلي ان يغترف من لذات الحياة اقصى ما يستطيع ، وان يتمتع بها قصارى جهده ، أنه ليس اكثر من مغامر في هذه الحياة مادام يقتنص لذاتها اقتناصاً ، اذاً لم لايجابه الموت بكل ما يستطيع من قوة ليغنم من مصارعة الموت ، الحياة التي يبتغي ؟ ! وهكذا كانت مصارعة الموت سمة الكرامة والرجولة وكان بتحديه الموت يستنزف طاقات الحياة،فكما يسعى الجاهلي الى نهب متع الحياة ، يصبر على قسوة الحياة ويتحمل شظفها ، ولكنه لايستكين ابداً. فهو دائم الحركة في دأب ونشاط للتخلص من هذا الشظف والوصول الى المتعة وان كان ذلك الوصول عن طريق القسوة (الغزو) «فليجعلوها أذن حياة كاملة ... يحيون بعنف كل لحظة من لحظاتها وينفعلون بكل ما يستطيعون من نشاطها وحركتها قبل ان يخمدهم سكون الموت الابدى ... لذلك كان شعرهم شعر هذه الحياة بكل حدودها وكل امكانياتها الفانية فمن وراء هذا الشعر يكمن احساسهم بالزمن ومأساة انقضائه احساساً قوياً بليغاً عظيم المرارة . تجلى هذا الاحساس في مختلف موضوعاتهم الشعرية في وصفهم لرحيل المحبوبة وانفصام الصداقات ، وتبدد الشمل وخراب الديار التي كانت آهلة ... ومصارع الحيوان الوحشي » . (٢)

مسألة الحياة والموت في شعر امرىء القيس:

يتمثل صراع الحياة والموت في شعر امرئ القيس عبر بنائه الشعري كله، في الوقوف على الاطلال ،مشاهد التحمل ، الارتحال، الناقة،المرأة ، الطبيعة، الحصان والصيد .

---

(١) عز الدين اسماعيل، روح العصر، ص ٢١.

(٢) محمد النهويهي، الشعر الجاهلي، ص ٤٢٦، ص ٤٢٨.

الوقوف على الاطلال :

يبدأ امرؤ القيس قصائده بالوقوف على الاطلال وخاصة في القصائد الطوال لأنه في المقطعات الصغيرة يباشر الموضوع راساً.

ونحن نرى ان الوقوف على الاطلال هو منطلق الشاعر للتعبير عن نفسه وقلقه تجاه مجتمعه الذي ألف الترحال، وتجاه الحياة التي الفت التغيير والزوال وتجاه الكون الذي ألف الاندثار والموت. فهو في وقفته تلك على الاطلال يستجلي موقفه من المجهول الذي يترقب البشر في غدوهم ورواحهم. وهو لايجد سبيلا لتحقيق ذلك الا بتأكيد وجوده تجاه الطلل. ويتحقق له ذلك عن طريق تداعي الذكريات التي يوحيها الطلل. وهي في الغالب ذكريات بهيجة سعيدة، لتقابل الحزن الذي انبعث في نفسه بسبب مضي تلك السعادة الغامرة: وتتمثل ذكريات السعادة لدى الشاعر بالحب الذي لفه مع فتاة الحي فتنبعث ذكريات الحب قوية جياشة في نفس الشاعر وتنطلق شعرا نسبياً لتؤكد وجوده تجاه الموت والفناء المتمثل في الطلل. ان الذكريات الحية وسط الاثار الميتة ماهي الا وسيلة من وسائل الصراع بين الحياة والموت في شعر الوقوف على الاطلال. يقول فالتر براونه « ان النسيب وان اختلفت انواعه فهو اختيار القضاء والفناء والتناهي... لقد ملأ التفكير في الوجود والمصير على الشاعر الجاهلي حياته غير أنه لم يكن تعبيرا صادرا عن تشاؤم وانما كان حافزاً يحفزه على الاقبال على الحياة(١)» ويؤكد براونه رأيه قائلا « يصور لنا الشاعر احساسه بتلك العناصر الكونية الثلاثة اختيار القضاء والفناء والتناهي موقفه منها (٢)»

ونتلمس تأكيداً لما قلناه في مطالع القصائد التالية حيث وقف امرؤ القيس على الطلل وقفة الحياة المتمثلة في كيانه تجاه الموت المتمثل في الطلل:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل　　بسقط اللوى بين الدخول وحومل(٣)

الاعم صباحاً ايها الطلل البالي　　وهل يعمن من كان في العصر الخالي(٤)

لمن طلل أبصرته فشجاني　　كخط زبور في عسيب يمان (٥)

(١، ٢) حسين عطوان، مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، ص٢٢٥، ٢٣٠، ٢٣١

(٣-٥) شرح الديوان، ١٢٤، ١٣٨، ١٨٦

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان ورسم عفت آياته منذ أزمان(١)
ألما على الربع القديم بعسعسا كأني أنادي أو أكلم أخرسا(٢)
لمن الديار غشيتها بسحام فعمايتين فهضب ذي أقدام (٣)
يادار ماويّة بالحائل فالسهب فالخبتين من عاقل(٤)
الا انعم صباحاً ايها الربع وانطق وحدث حديث الركب ان شئت واصدق(٥)

اذا تتبعنا شعر الوقوف على الاطلال عند امرىء القيس. وامعنا النظر فيه جيداً، لانجد في حقيقة الأمر مقدمات يبدأ بها الشاعر قصيدته ليخلص الى موضوعه كما يقول أبي قتيبة عن شعر الوقوف على الأطلال «سمعت بعض أهل الادب يذكر أن مقصد القصيد انما ابتدأ فيها بذكر الاطلال والدمن والآثار ... ثم وصل ذلك بالنسيب فشكا شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة والشوق ليميل نحو القلوب ويصرف اليه الوجوه فاذا استوثق الاصغاء اليه والاستماع له عقب بايجاب الحقوق فرحل في شعره وشكا النصب والسهر وسرى الليل وحر الهجير وانضاء الراحلة والبعير ... وفرّ عنده ماناله من المكاره في المسير بدأ في المديح فبعثه على المكافأة »(٦) . واذا كان قوله هذا يصح على ضياع قصائد المديح فهو لايصدق بالنسبة لشعر امرىء القيس . فهو يقف من الاطلال موقف الكائن الحي من الأحياء الاخرى . فهو دائم الخطاب لها والحديث معها بل هو دائم التحية لها

ـ الا انعم صباحاً أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي
ـ الا أنعم صباحاً أيها الربع وانطق وحدث حديث الركب ان شئت واصدق

وهو أذ يحدثها ينتظر منها الاجابة :

يادار ماويه بالحائل فالسهب فالخبتين من عاقل

وهو يجزع أذا لم تجبه :

(١-٥) شرح الديوان، ١٢٤، ١٧٥، ١٥١، ١١٧
(٦) ابن قتيبة، الشعر والشعراء ص٢٠

ألما على الربع القديم بعسعسا كأني انادي أذ أكلم أخرسا

ان الوقوف على الاطلال ليس محاولة أدكار فقط بل هو «نوع من التشخيص امتازت به عند وقوفه لديها . أنه ليس مجرد عابر بها يستوحي فيها ذكريات الماضي وحباخبا او رحل ولكنه حديث مع صورة الماضي ومحاولة لانطاقه بما تختزنه من ذكريات وما تحتويه من لواعج وأحزان (١) . وقد عد ابن رشيق القيرواني المقدمة الطلاية مفتاح القصيدة « لا ألى الاغراض الاخرى بل الى نفس الشاعر الذي ينطلق من نفسه الى الآخرين بعد ذلك في الاغراض الاخرى التي يتطرق اليها حيث يقول للشعراء مذاهب في افتتاح القصائد بالنسب لما فيه من عطف القلوب واستدعاء القبول يحسب ما في الطباع من حب الغزل والميل الى اللهو والنساء وان ذلك استدراج الى ما بعده. ومقاصد الناس تختلف فطريق أهل البادية ذكر الرحيل والانتقال وتوقع البين والاشفاق منه ، وصفة الطلول والحمول ، والتشوق بحنين الابل ولمع البروق ومرّ النسيم وذكر المياه التي يلتقون عليها والرياض التي يحلوّن بها ». (٢) وهو ما يشيع في قصائد امرىء القيس ويقول الحاتمي في هذا المعنى «من حكم النسيب الذي يفتتح به الشاعر كلامه أن يكون ممزوجاً بما بعده من مدح وذم متصلاً به غير منفصل عنه، فان القصيدة مثلها مثل خلق الانسان في اتصال بعض أعضائه ببعض فمتى انفصل واحد عن الآخر وباينه في صحة التركيب غادر الجسم عاهة تتخون(٣)محاسنة وتعفيّ معالم جماله . ووجدت حذاقّ الشعراء وارباب الصناعة من المحدثين يحترسون في مثل هذه الحال احتراساً يحميهم من شوائب النقصان ويقف بهم على محجة الاحسان » (٤)

---

(١) سيد حنفي، الشعر الجاهلي مراحله واتجاهاته الفنية ص ٦٤-٦٥

(٢) ابن رشيق القيرواني، العمدة ج١ ص ٢٢٥

(٣) تتخون محاسنه : تنقصها

(٤) ابن رشيق القيرواني : العمدة ص١١٧

ومحجة الاحسان» (١).

ويلاحظ من قراءة النصوص الثلاثةان كلا من ابن رشيق والحاتمي يخالفان مقولة ابن قتيبة ويذهب شكري فيصل هذا المذهب ويوافق ابن رشيق في رأيه فيقول« وابن رشيق في هذا يخالف ابن قتيبة فهو لايجعل من شعر الغزل (٢) وسيلة لاغراض اخرى يتلمسها الشاعر عند السامع وانما يجعل منه وسيلة الشاعر الى نفسه(٣)». وهذا رأينا ايضاً وعلى الاخص في نسيب امريْ القيس.

وقد تأثر (جب) برأي ابن رشيق في تعليل الوقوف على الاطلال، فهو يرى أن الغزل الذي ينبعث في شعر الوقوف على الأطلال عند الشعراء الجاهليين لاتمت إلى الغزل بصلة بقدر ماهي ذكري حب حزينة وادكار للفراق عن المحبوب. ويعتقد جب ان علاقة ذلك بالغزل ضعيفة . لأن الشاعر الجاهلي لم يرد غير التعبير عن ذاته والافصاح عن المشاعر التي تعتلج في نفسه. وما معلقة امريْ القيس عنده سوى اعتداد بالنفس يصور منها مغامراته ومالاقاه من زوابع واسفار ووحوش وما اقتنص من صيد (٤) .

ويمضي الباحثون في تأكيد الظاهرة العاطفية في الوقوف على الاطلا ل واعادة الذكريات الحزينة . (٥)

وفي رأينا ان طرح مثل هذا الرأي ليس بالمسألة الهينة ، فقد تواكبت على وجود ظاهرة خلق الوقوف على الاطلال في العصر الجاهلي ظروف بيئية ومادية

---

(١) ابن رشيق القيرواني. العمدة جـ٢ ص ١١٧

(٢) يرى ابن قتيبة ان « النسيب والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد» العمدة جـ٢ ص ١١٧.

(٣) شكري فيصل. تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام. ص ٣٠

(٤) انظر / هاملتون جب. المدخل في الأدب العربي ص ٢١، ٢٣، ٢٧

(٥) نوري القيسي ، دراسات في الشعر الجاهلي ،ص ٦٦-٦٧ ، ويحيى الجبوري ، الشعر الجاهلي ،ص ١٦٥ . والبهبيتي ،تأريخ الشعر العربي ص ١٠٠ . والكفراوي ، الشعر العربي بين الجمود والتطور ، ص ٢٨ - ٢٩ . وإيليا حاوى ، امرؤالقيس ، ص ١٣١-١٣٢ وآخرون .

وتاريخية وشعورية لتخلق حالة الخوف من المجهول وهو خوف ديني متوارث منذ نشوء الخليقة على سطح هذه الارض الفانية .

إن البيئة الصحراوية تحتم الانتقال وراء الماء والكلأ وبالتالي تترك الخيمة آثارها وتترك شؤون الحياة اليومية العادية آثارها هي الأخرى . فاذا ما مر الانسان الجاهلي بالاطلال القديمة أندفع الادكار في نفسه قوياً يثير الشجن والأسى على الايام الذاهبة ، والايام الذاهبة هي جزء من عمر الانسان فهو يأسى بالدرجة الاولى على انقضاء شطر من عمره يلفعه بالذكريات التي مرت بهذا الشطر من العمر المحدود بزمان ومكان معينين . لذا نجد شاعراً كامرىء القيس يكثر من ذكر الاماكن ، بل ويلجأ الى تحديد جغرافيتها تحديداً كاملا . وفي هذا التحديد الجغرافي يعقد مقارنة بين المكان (الارض) الباقية الصامدة في وجه الزمن (سقط اللوى ، الدخول ، حومل ، توضح ، المقراة ، ذو الخال ، وادى الخزامي ، رأس ، عال ... الخ) .

وبين الديار التي زالت وأندثرت آثارها بفعل الرياح والامطار وعادت مرعى للحيوانات المتوحشة (ترى بعر الارام في عرصاتها وقيعانها) .

ديار لسلمى عافيات بذى الـخال ... الحّ عليها كل أسحم هطّال
وتحسب سلمى لاتزال ترى طــلا ... من الوحش أو بيضاً بميثاء محلال (١)

هذا الموقف من طبيعة البيئة الصحراوية يقود الشاعر دائماً الى قضية مادية صرفة هي علاقته بالمرأة واستمتاعه بها استمتاعاً حسياً . ولماذا الاستمتاع الحسي دائماً ؟ لانه فعل أولا والفعل حركة والحركة ضد السكون الذي يمثل الموت وهمود الاشياء ، ثم هو تجديد للحياة ثانية . ومن هنا تنبثق السمات المادية في الفعل لتقابل تلك الحالة المادية الاخرى (الاندثار) بفعل عوامل الطبيعة والزمن .

وهو يتخذ من المرأة الحية في عالم الواقع والحيّة في نفسه وذكرياته ، رمزا لحركة الحياة التي تبدو فاجعة في اتيانها على معالم الحياة ، متمثلا بالطالل . ولكنها

(١) شرح الديوان ، ص ١٣٨.

رغم ذلك منتصرة في إبقائها على الربع والارض المكان من ناحية وإبقائها المرأة المحبوبة حية في واقعها وفي ذكريات الشاعر من ناحية أخرى ، وان كان حنينه إليها يمثل إحساسه بغدر الزمان وبفجيعة الموت .

إن مايحدث هو ظرف تأريخي بحت لسكان الصحراء، هو ليس فعل امريء القيس ومن بعده بل هو فعل الأقدمين ايضاً. لقد عانوا نفس ماعاناه امرؤ القيس، لقد وقف اناس كثيرون قبله على هذه الأطلال، لأنها الحياة في البيئة الصحراوية .

عوجا على الطل المحيل لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن حذام (١)

لماذا بكى امرؤ القيس كما بكى ابن حذام هذا ؟ أعتقد أن سبب البكاء هو الاحساس بالغربة ثم الحنين إلى هذه الأرض (الأُم) التي ابتعد عنها وبالتالي ستتصل الأرض الأُم بالمرأة ،فهي أم البشر وبالتالي هي صفة الاستقرار والخصب والنماء (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل) لقد اقترن الحبيب بالمنزل بصورة لاشعورية لانهما واحد (ديار لسلمى ، وتحسب سلمى لاتزال كعهدنا بوادي الخزامى أو على رأس أو عال) (٢) اقترنت سلمى بالديار وبالمكان .(وحلت سليمى بطن قوّ فعرعرا) ارتبطت سليمى ايضاً بالمكان. (ديار لهند والرباب وفرتنى) وكذلك هند والرباب وفرتنى

(قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان ورسم عفت أياته منذ أزمان

ذكرت بها الحيّ الجميع فهيجت عقابيل سقم من ضمير وأشجان)(٣)

ويرتبط هنا بالآثار المندرسة جميع الحيّ الذين نأى عنهم امرؤ القيس بعد أن نكب بمقتل أبيه وملاحقة المنذر بن ماء السماء له للنيل منه (٤) .

(١-٣) شرح الديوان ، ص ١٧٦، ١٣٨ ، ١٨٤ .

(٤) انظر القصيدة حيث يقول امرؤ القيس :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان
فاما تريني في رحالة جابر على حرج كالقر تخفق اكفاني
فيارب مكروه كررت وراءه وعان فككت الغل عنه ففداني
وفتيان صدق قد بعثت بسحرة فقاموا جميعاً بين عاث ونشوان
وخرق بعيد قد قطعت بناطه على ذات لوث سهوة المشي مذعان

ويخلق هذا الظرف التأريخي الشعور بالغربة لدى الشاعر الواقف على أنه لاينكر مايرى من آثار الحيوانات الوحشية ،بل قد تصيبه الوحشة لما يرى : —

ألمّا على الربع القديم بعسعسا كأني أُنادي أَو أُكلم أَخرسا

فلماذا هذه الوحشة ؟ ولماذا يحس الشاعر وكأنه ينادي أَخرس ؟ أن عدم الرد يذكره بالموت ، ولماذا هذا الربع المندثر قديم بالنسبة له ؟ ألأنه يذكره بالموتى، والموت هو قديم أَيضاً .لهذا تمنى أن يتخلص من تلك اللحظة الشعورية التي اقترنت بها الغربة بالموت فصاح بفزع :

فلو أَن أهل الدار فيها كعهدنا وجدت مقيلا عندهم ومعرّسـا
فلا تنكروني انـنـي أنا ذاكم ليالي حلّ الحيّ غولا فألعسا (١)

فهو يخشى أن ينكره قومه (وهذا لم يحدث بل هو لحظة إحساسه بالوحشة) وعندئذ يستمر في غربته ،والغربة في نظره موت ، أو هي مقترنة بالموت دائما وقد نطق بها لسانه وهو يحتضر (أجارتنا انـّا غريبان ههنا) (٢). لذا هو يحلم بالبديل :فلو كان أهل الدار موجودين لوجد لديهم مقيلا ومعرّسا .

فهل هو ثائر على طبيعة الحياة البدوية ، لذا فهو يبكي هذه الآثار تارة، ويشفق على نفسه منها تارة أُخرى ،ويجزع ثالثة ؟ أعتقد ذلك فهو يتحدى حياة الترحال وهو يحتضر وكأنه انتصر على تلك الحياة (وإني مقيم ماأَقام عسيب) . لذا هو يحاول ان يحدّث هذه الأطلال (الموت) ويطلب اليها أن تجيبه عن سر الوجود هذا وكأنه (كلكامش) جديد يبحث عن اكسير الحياة :

ألا انعم صباحا أيها الربع وانطق وحدث حديث الركب إن شئت واصدق(٣)

والشاعر يلمس هذا التناقض في الحياة بين الرهبة المتمثلة بالموت ، وبين الحب المتمثل بالحياة ويدور صراع قوي بين الرهبة والحب. لقد قضت

(١–٣) شرح الديوان ، ص ٩٧ — ٩٨ ، ١١٧، ٥٥

الرهبة على آثار الحبيبة ولكنها لم تمتها فهي ماز الت حيّة في نفس الشاعر وما أعادة الذكريات القديمة الا ّ إحياء مستمر لهذا الشيء الجميل المتمثل في الحب ، يقول العقاد : « إن النفس الانسانية يتنازعها عاملان قويان هما حب الحياة والخوف من الموت وبهذين العاملين يتعلق الشعور بالجميل والجليل . فالجميل هو كل ما حبب الحياة إلى النفس واظهرها لها في المظهر الذي يبسط لها الرجاء فيها ويبعث على الاغتباط بها والجليل كل ماحرك فيها الوحشة وحجب عنها رونق الحياة فالربيع والصباح والنور... كلها جميلة لأنها تنعش الحواس وتذكرها بالحياة . . . والسكون والقفار المخيفة و الاطلال الدارسة ... كلها جميلة لانها تقبض الحواس وتميل بالنفس إلى التضاؤل والضعة أمام رهبة الفناء وعظمة الطبيعة وضخامتها ». (١) لقد انتصر الجميل (الحياة) على الجليل (الموتْ) في مطالع قصائد امري القيس. ان الحب أبقى في نفس الشاعر من الأطلال التي عفى عليها الزمن مهما طال . اما الحب فهو باق لاتؤثر فيه مؤثرات الزمن . وما الذكرى مهما طال العهد عليها الا صورة لبقاء هذا الشيء الجميل (الحب) . وما أن ينأسى الشاعر لمرأى الطلل (الموت) :

ديار لسلمى عافيات بذي الخال ألح عليها كل أسحم هطّال

حتى يتفتح الجميل في نفسه وتعوده الذكريات بأجلى صورها :

ليالي سليمى أذ تربك منصباً وجيداً كجيد الرئم ليس بمعطال (٢)

ولكن فعل الحياة وتجددها أقوى من أي أثر للموت الفناء :

ويارب يوم قد لهوت وليلة بآنسة كأنها خط تمثال
يضيء الفراش وجهها لضجيعها كمصباح زيت في قناديل ذّبال(٣)

---

(١) عز الدين اسماعيل ،روح العصر ص١٩ .

(٢) منصبا : الثغر المتسق المستوى ، معطال : مجرد من القلائد والحلي.

(٣) ذبال : فتيلة .

اذا ما الضجيع ابتزها من ثيابها تميل عليه هونة غير مجبال (١)
ومثلك بيضاء العوارض طفلة لعوب تسيني أذا قمت سربالي(٢)

وهو لايكتفي بتحدي طبيعة الحياة بل يتحدى طبيعة الكون ويطلب الى الموت ان يقف متحدثاً مع أعدائه (وكأنه يريد أن يصيبهم به) وينقل اليهم تهديد الشاعر :

يادار ماويّة بالحائل فالسهب فالخبتين من عاقل
صم صداها وعفا رسمها واستعجمت عن منطق السائل
قولا لدودان عبيد العصا ما غركم بالاسد الباسل
قد قرّت العينان من مالك ومن بني عمرو ومن كاهل
ومن بني غنم بن دوران أذ نقذف أعلاهم على السافل (٣)

ان امرأ القيس يحيل تجربته المادية تلك — في الترحال والغربة — الى تجربة شعورية تتحدث من مأساة التغيير في الكون — الحياة التي يعقبها الموت — فكل شيء الى زوال ، لذا فهو يتنكر للموت الذي طمس الآثار كما يطمس آثارها البشر ، فهو عندما يقف على الآثار المندرسة كأنما يقف إزاء الموت :

لمن الديار غشيتها بسحام فعمايتين فهضب ذي أقدام
فصفا الاطبط فصاحتين فغاضر تمشي النعاج بها مع الأرآم
دار لهند والزباب وفرتنى ولميس قبل حوادث الايام
عوجاً على الطلل المحيل لاننا نبكي الديار كمابكى ابن‌حذام(٤)

انه الخوف من المستقبل المجهول ، ورفض للحاضر الاجتماعي — الترحال والنفسي — الغربة ، والكوني — الموت — فلا يجد غير الماضي يطوف في اجوائه ويقلب ذكرياته.ولكن اليس العيش في الماضي نوعا من الموت في الحياة ؟

(١) ابتزها : جردها ، مجبال : ليست بفظة ولا غليظة .
(٢) العوارض : صفحتا العنق ، السربال : الثوب ، شرح الديوان ، ص ١٣٨ — ٣٩ .
(٣) شرح الديوان ، ١٥١ .
(٤) شرح : الديوان ص ١٧٥ — ١٧٦

أجاب جلال الخياط عن ذلك بقوله « ويعود إلى الماضي ولاشيء غير الماضي كلعبة مارسها الانسان في كل مكان وزمان ليبعد عنه وطأة الحاضر والمستقبل، ليهرب من ذاته ويغذي التزيف الذي يجري في شرايينه ويتخذ شكل ذكريات تلح عليه أن يموت في ظلالها فيتخلص من واقع متعب ومستقبل يتخيله مرعباً ... ولكن الشاعر يدرك أنه يخدع نفسه وأن الحاضر والمستقبل فقدا رونقهما ولم يبق لديه سوى الماضي ... ولكن العيش في الماضي نوع من الموت في الحياة فما العمل؟ غادر امرؤ القيس خدر عنيزة وترك الخمر والصيد وذهب وراء ثار أبيه واراد ايضا أن يثأر لنفسه من واقع حياته فمات على جبل تركي بعد أن طوّف الآفاق ورضي من الغنيمة بالاياب (١) .

ولكننا نرى أن امرأ القيس لم يذكر الماضي ليعيشه فيكون كالحي الميت بل هو وقف من الموت ، موقفاً ايجابياً تماماً . فقد تحدى الموت — الطلل— بافعال الحركة الكثيرة ليشعر بان الانسان أقوى من الموت . وهذه هي ظاهرة التمرد الكوني عند امرىء القيس . لنأخذ على سبيل المثال مطالع المعلقة ولنحص الالفاظ الدالة على الحياة (قفا ، نبك ، ذكرى ، لم يعف نسجتها ، تسح، كساها الصبا ، سحق، تربى ، كأني ، تحاو ، ناقف ، وقوفاً ، يقولون ، لاتهلك ، تجمّل ، دع ، مضى ، أقبل ، وقفت، ترددت، سفحتها ، فاضت ، بل) . هذا بالاضافة إلى سخريته الكبيرة من عملية الوقوف على الطلل في قوله: (وهل عند رسم دارس من معول).مع ذكرة الأماكن التي لم يؤثر عليها الزمن والموت (سقط اللوى ، الدخول ، حومل توضح ، المقراة، قيعان). كل هذه الحركة والديمومة والبقاء تقف امام الاطلال الممثلة للموت ، لتنتصر عليها بالتالي وليتدفق فعل الحياة في القصيدة تدفقاً عظيماً وهائلا .

(١) جلال الخياط ، الشعر والزمن ص ١٩ — ٢٠

لا أدعي الفلسفة لامريء القيس فعصره لم يكن عصر فلاسفة ولكنني أجده لايرضى بما هو كائن فاذا تمرد على النواميس الاجتماعية والدينية والاخلاقية فهو قد ثار في وجه الموت . ولم يستسلم أبدا لأن الحياة كانت تصرخ في جنباته بشكل عارم قوي . لذا لم تصبه باليأس والأستكانة رغم المصائب الجمّة التي احاطت به منذ مقتل والده وتحمله مسؤلية الثأر واعادة الملك المسلوب . لقد ذكر امرؤ القيس الجزء (الطلل) وكان يريد الكل (الكون) وذكر الاماكن وحددها للدلالة على هذا المطلق الذي ذهب منه الجزء (الخيمة) ولكن الارض التي اقيمت عليها الخيمة ما زالت باقية وستبقى مابقيت الحياة على سطح الكرة الارضية . لأن الوقوف على الاطلال بالتبرير الفلسفي كما يقول فيصل حسين صوفي نوع من حنين النسبي إلى المطلق أو الجزئي إلى الكلي والارض تمثل لديهم الصدر الرحيب لعذاب البشر وآلامهم وما الارض في نفس الشاعر الجاهلي الا البديل للشيء المطلق رمز الانعتاق والخلاص وربما كانت إلها آخر يختزنه اللاشعور الجماعي من بقايا الاساطير القديمة الموروثة منذ القدم(١).

ويقول شوقي ضيف: « كانوا يمجدون قوى الطبيعة المقدسة التي تكمن فيها ألهتهم والتي تبعث فيهم الخوف ومعنى هذا كله أن موضوعات الشعر الجاهلي تطورت من أدعية وتعويذات وابتهالات للالهة (٢) » .

من هذا الموقف بالذات بدأ امرؤ القيس يؤكد على صدق انتمائه لا للجزء (الطلل) بل للكل (الارض) . وظهر حنينه للجزء لانه منتمٍ إلى الكل :

فلو أن اهل الدار فيها كعهدنا وجدت مقيلا عندهم ومعرسا
فلا تنكروني إنني أنا ذاكم ليالي ملّ الحيّ غولا فالعسا(٣)

وهكذا يتداخل الجزء في الكل والكـــل في الجـــزء :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل.

(١) انظر / فيصل حسين صوفي ، عصرية القصيدة الجاهلية ، الثقافة العربية ، العدد ٥ ، ١٩٧٦ ص ٤٨

(٢) شرح الديوان ص ٩٨ .

(٣) شوقي ضيف ، العصر الجاهلي ، ص ١٩٦

ولاحساسه القوي بالغربة شعر بحنين طاغ إلى الارض والمرابع حيث الاستقرار الدائم وبالتالي الحب والخصب والنماء والحياة . فعرّج من ذكر الاطلال إلى تذكر أيامه الجميلة مع المرأة سواء أكانت فاطمة أم عنيزة سلمى أم سليمى ، هند أم الرباب . فكلهن مأوى من الخوف الاجتماعي (الرحيل) والخوف الكوني (الموت) وكلهن مستقر وأمان من المخاطر وكلهن أداة للخصب والنماء.لأنه سيرى نفسه في ولده ومن هنا يأتي انتصار الحياة على الموت بديمومة الانسان عن طريق التوالد والتجديد ضد الموت القديم الذي لم ينم ولم يتجدد . وهكذا تقف الحياة إزاء الموت في قصائد امرى القيس في الوقوف على الاطلال لتنتصر الحياة على الموت كلما أوغلنا في بناء قصائده .

إن شعر الوقوف على الاطلال يجمع بين المتعة والألم بين الحياة والموت فهو تعبير عن الحياة المهددة بخطر الموت المتمثل في الرحيل والاغتراب والبعد عن المحبوب بالاضافة إلى الوقوف بجانب الخراب والدمار الذي يهدد الحياة بالفناء : « أما من الناحية النفسية فهو انعكاس لذلك الصراع الأبدى في نفس الانسان في الحياة من حوله...بين حب الحياة وغريزة الموت أو التخريب التي تعمل كما قال فرويد بصمت » (١) .

وبعد لقد كان الوقوف على الأطلال عند امرىء القيس نابعا من طبيعة أحاسيس الشاعر فقد بدأ بنفسه يستجلي أحاسيسه في اطار الزمن — الحياة والموت — والمكان — اسماء الاماكن — والمجتمع — الطلل الذي كان مأهولا ، بسكان الحي " والمرأة التي يريد — لذا نبع الصدق من بين ابياته ، وقد تمثل فيها صدق العاطفة والاحاسيس . فلا أثر فيها للتكلف والتصنع ، وكان التعبير ممثلا لهذه العاطفة الصادقة . وجاء ذكره للمشاهد والاماكن والاخيلة دليلا على ذلك . وقد كانت عاطفته قوية جياشة صحيحة، ورغم ارتباطها باماكن معينة في الظاهر الا" انها مسألة انسانية في الوقت ذاته . لأن مشكلة الحياة والموت ،والاحساس بالغربة والخشية من المجهول والحنين الى الاستقرار

---

(١) عز الدين اسماعيل ، روح العصر ، ص ٢٢

نوازع انسانية يحسها كل انسان على ظهر البسيطة . وقد كانت السمات الفنية بارزة فيها من حيث الايجاز في الكلمات والتركيب وأعطاء صورة محددة ومركبة ذات بعد عميق عظيم بتعبير غير مباشر يوحي بابعاد عميقة كما اسلفنا مع إيقاع حزين فيه رنة التمرد والثورة . وإذا كانت السمة الغالبة على قصائده الطوال البدء بالوقوف على الأطلال فانه في قسم منها اكتفى بذكر الحنين الى المحبوب وإظهار لواعج الحب وألم الفرقة :

تنكــرت ليلى عن الــوصــل ونأت ورثّ معاقد الحبل (١)
عيناك دمعـهـا سجــال كأن شأنيـهـما أوشال (٢)
أمن ذكر سلمى ان نأتك تنوص فتقصر عنها خطوة و تبوص(٣)
لعمرك ماقلبي إلى أهله بحرّ ولا مقصر يوماً فيأتيني بقرّ (٤)
أماوي هل لي عندكم من معرّس أم الصرم تختارين بالوصل نيئس(٥)
سما بك شوق بعدما كان أقصرا وحلت سليمى بطن قوّ فعرعرا(٦)

وإذ يذكر امرؤالقيس في هذه القصائد الحبيبة دون الوقوف على الأطلال فهو كأنما بذكر الحبيبة يستوحي المكان ، ويحل محل الطلل الشوق الى الأقامة مع الحبيبة سواء أكان هذا الاستقرار في بيتها أم في قلبها . لافرق مادامت المرأة في نظره هي الارض كلاهما يقود الى الاستقرار وبالتالي يخلصه من الخوف الاجتماعي — الرحيل — ومن الخوف الكوني — الموت — . وتندمج الغربة بالموت في شعر امرىء القيس بشكل مكثّف وهو يقول بعيداً عن وطنه نجد" في طلب الثأر :

ألا أبلغ بني حجر بن عمرو وأبلغ ذلك الحي الجـــديدا
بأني قد هلكت بأرض قوم بعيـــداً عن ديــاركـم بعيدا

---

(١) شرح الديوان ، ص ١٤٩ ، ١٦١ .
(٢) الشئون : ملاقي قبائل الرأس ، أوشال : الماء القليل .
(٣) ناص : تحول ، م. س. ص ١٠٦ باص : سبق
(٤) حر : يعني هنا صابر م. س . ص ٨٣ . قر : البرد ويعني هنا الراحة.
(٥) المعرس : من التعريس نزول المسافر. م. س ص ١٠٠
(٦) م. س ص ٦٦

ولو أني هلكت بأرض قومي لقلت الموت حقّ لا خلودا (١)

إن الاحساس بالغربة والوحشة تعني الموت لشدة ثقلها على النفس، ولكن الموت في أرض القوم هو خلود وليست موتا. ان هذا الحنين إلى الأرض يتوزع في نفس الشاعر بين الماضي عن طريق الذكريات وعن طريق الأمل بالمستقبل. اما الحاضر فيمثل الموت لأنه يبعث على وحشة الغربة فيغرق في الأسى والحزن. ولكن الأمل في العودة وتبديد وحشة الغربة في نفس الشاعر ممثلا للحياة، فهو لايترك راحلته أبدا سعيا وراء تحقيق الأمل بالعودة إلى الارض الأم وتحقيق الأهداف :—

على قلص تظل مقلدات ازمتهن مايعدقن عودا (٢)

وبعد يجد الباحث أن هناك مطالع للقصائد جاءت تعبيراً عن مواقف نفسية معينة مرّ بها امرؤ القيس وكانت حصيلة ظروف خاصة :

لمن الديار غشيتها بسحام فعمايتين فهضب ذي أقدام (٣)

قالها بعد أن رده قريبه (سبيع بن عوف) عندما أراد النزول عنده وفيها يبين موقفه منه وأنه لايريد وصله ولا قطيعته

ويعبر عن فخره بأخذ الثأر بعد أن أنجده (فرمل بن الحميم الحميري) في النيل من بني أسد.

يادار ماوية بالحائل فالسهب فالخبتين من عاقل

صمّ صداها وعفا رسمها واستعجمت عن منطق السائل

قولا لدودان عبيد العصا ما غرّكم بالأسد الباسل (٤)

ويعبر عن أمله في اعادة مجد آبائه وأجداده بعد عودته منتصرا على بني أسد للمعونة التي كان يحلم بالحصول عليها من ملك الروم. ويعود إلى (سليمى) التي ترمز لهذا المجد :

سما لك شوق بعد ما كان أقصرا وحلت سليمى بطن قوّ فعرعرا (٥)

(١–٢) السندوبي : شرح الديوان، ص ٦٢– ٦٣، قلص : جمع قلوس وهي الناقة الشابة. يعدقن : يجمعن (٤) م. س ص ١٥١. دودوان : بطن من بطون بني أسد.

(٣) م. س ص ١٧٥ عما يتبين، بسحام، ذو اقدام : اسماء اماكن

(٥) شرح الديوان ص٦٦

أو يعبر عن فرحته بالحياة ومتعها المتباينة والمتفرقة بين الحب والصيد وركوب الخيل :

خليليّ مرّا بي على أم جندب لنقضي لبانات الفؤاد المعذب
فانكمـــا إن تنظرانـــي ساعة من الدهر تنفعني لدى أم جندب(١)

لقد امتزج النسيب بالوقوف على الاطلال وعبر الشاعر في وقفته عند الاطلال عن مكنونات نفسه . ووضح من خلال شعره موقفه من الحياة التي يحياها بدوي الصحراء . وأبان عن العناصر الخفية التي اصطدم لها حسه بالتناقض واللاتناهي والفناء .. ومن أجل ذلك لم يكن الشاعر يحسّ بالاطمئنان إزاء الحياة . فلم تكن لدى الجاهلي ولا لدى شاعرنا نظرية واضحة تفسر له مسألتي الحياة والموت لتشيع في نفسه الراحة كما حدث بعد ظهور الاسلام (٢)

(٢)

مشاهد التحمل والارتحال :

أثرت الطبيعة الصحراوية تأثيراً مباشراً على الحياة الاجتماعية في العصر الجاهلي وبالتالي كان تأثيرها في الشعر بينا وواضحا . فقد كان لزاماً على الجاهلي أن ينتقل وراء الماء والكلا وبالتالي أن يرتحل من مكان إلى آخر سعياً وراء العيش ، وقد عني امرؤ القيس عناية كبيرة بمشاهد التحمل والارتحال ، وظهر فيها موقفه من مسألة الحياة والموت كما سنرى .

فهو كما وقف أمام الاطلال يكلمها ويسألها أن تجيب وكما وقف امام الموت المتمثل في الطلل متحديا يثبت أن الحياة اقوى من الموت لأن الذكريات أقوى في نفسه من تأثير الطلل البالي . فانه وقف متسائلا أمام ظاهرة الارتحال ، يعني الاغتراب يعني مفارقة الاحباب ، والاغتراب يقترن عند امري القيس بالموت

(١) شرح الديوان ، ص ٣١
(٢) انظر عزالدين اسماعيل ، ص١٧ — ١٨

فالموتى أيضا يرحلون عنا ويتركوننا في أسى اغترابنا لفراقهم ، فالرحيل هو موت آخر في نفس الشاعر لذا كان انعكاسه يختلف كل الاختلاف عن انعكاس الطلل فيها . فالحياة تشع فيه لذا يبدأ الشاعر بالتساؤل ويلون في صيغ الاستفهام وهو أكثر صيغ الشاعر شيوعاً :

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن ... سوالك نقباً بين حزمي شعبعب(١)

وقد يلجأ الى صيغ أخرى :

ـ أو ما ترى أظعانهن بواكرا ... كالنخل من شوكان حين صرام (٢)

ـ أمن ذكر سلمى ان نأتك تنوص ... فتقصر عها خطوة و تبوص (٣)

ـ أمن آل ليلى وأين ليلى ؟ ... وخير مارمت ما ينال (٤)

ـ ولووا متاعهم وقد سئلوا ... بذل المتاع فضن بالبذل

ـ ونحت له عن ازر تألبة ... فلق فراغ معابل طحل (٥)

وقد يلجأ امرؤ القيس بالسؤال للربع وهنا يمتزج الرحيل في نفسه بالطلل لأن كليهما يخلفان الغربة والوحشة في نفسه وبالتالي يمثل كلاهما الموت :

الا أنعم صباحاً أيها الربع وانطق ... وحدث حديث الركب ان شئت واصدق

وحدث بأن زالت بليل حمولهم ... كنحل من الاعراض غير منبّق (٦)

أو يلجأ الى تحية الحمول كما فعل قبلا مع الربع ثم يبدأ بالسؤال :

حي الحمول بجانب العزل ... أذ لا يلائم شكلها شكلي (٧)

ماذا يشق عليك من ظعن ... الأ صباك وقلة العقل ؟ (٨)

---

(١) السوالك : الابل السائرة ، شرح الديوان ، ص ٣٢ .

(٢) شوكان : اسم مكان كثيرة النخل ، م. س. ص ١٧٦

(٣–٤) شرح الديوان ص ١٠٤ ، ١٦٢

(٥) م. س. ص ١٤٩ ، ازر تالبة : مجتمع حمر وحشية ، فلق : أبيض ، راغ : طلب ، معابل : نصال ، طحل : مغبرة بين السواد والبياض .

(٦) الأعراض : النخل النابت في اعراض الحجاز م. س ص ١١٨ منبق : متفرق .

(٧) العزل : اسم مكان

(٨) شرح الديوان ، ص ١٤٦ .

ويتجلى الاحساس بالموت في أبعد حدوده عندما يصور الشاعر النوى الذي خلفه الرحيل بينه وبين الحبيب الجميل (الحياة) ، ويبدو لنا لأول وهلة وكأنه قد أنتقل الى عالم آخر غير عالم الاحياء :

وكم دونها من مهمه ومفازة وكم أرض جدب دونها ولصوص (١)

ولكننا سرعان ماندرك أن الحياة ستنتصر على الموت لذكره كلمة (مفازة) وقد سميت بهذا الاسم لوجود الأمل بقطعها وتخطيها . واذا ما استحكم فيه الهم لأحساسه بالاغتراب والوحشة نتيجة لرحيل القوم يبدد عنه هذه الهموم بسماع الغناء وهكذا ينتصر الجميل على الجليل ، تنتصر الحياة على الموت

وان أمسى مكروباً فيارب قينة منعمة أعملتها بكران (٢)
لها مزهر يعلو الخميس بصوته أجشّ أذا ما حركته يدان (٣)

ولا يعتمد امرؤ القيس على الحواس في وصف الرحيل(الموت) بل كثيراً ما يعتمد الى الشعور في تجسيد فجيعة الموت لاحساسه به وهو يفارق الأحبة :

ألاعم صباحاً ايها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصرالخالي
وهل يعمن الا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت بأوجال(٤)
وهل يعمن من كان احدث عهده ثلاثين شهراً في ثلاثة احوال (٥)

وكثيراً ماتتداخل الاحاسيس بالمشاعر وهو يصف لنا أحساسه بالموت (ساعة الرحيل) :

كأني غداة البين يوم تحمّلوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل(٦)

وقد يحس امرؤ القيس بثقل الفراق (الموت) على نفسه فيسعى للتمرد

---

(١) الديوان ، ص ١٧٧ .
(٢) الكران : العود
(٣) الخميس : الجيش اللجب شرح الديوان ص ١٨٧
(٤) المخلد : الذي أبطاء الشيب ويبدو شاباً ، اوجال : المصائب او الامور الموجبة للخوف .
(٥—٦)شرح الديوان ، ص ١٣٨ ، ١٢٤ ، ٩٨

عليه عن طريق ابراز الحركة التي تمثل الحياة . ويصف في إطار احساسه بالصراع بين الحياة والموت مشهداً انسانياً تتغلب فيه الحياة على الموت :

تأوبني دائي القديم فغلسا ... أحاذر ان يرلد دائي فأنكسا (١)
فاما تريني لا أغمض ساعة ... من الليل الا أن أكبّ فأنعبسا
فيا رب مكروب كررت وراءه ... وطاعنت عنه الخيل حتى تنفسا(٢)

فهو يكثر من الافعال المتكررة الدالة على الحياة (كرّ . طاعن . تنفس) . ولا يكتفي الاحساس المتفائل عند امرىء القيس بذلك بل يبعث الحياة في الظعائن ويصور الركب وهو سائر في الطريق ويعطينا معالم الطريق وكأنه يرسم لنا طريق الحياة المليء بالخصب والنماء لما فيه من أشجار ومياه :

ـ أو ما ترى اضعافهن بواكرا ... كالنخل من شوكان حين صرام(٣)
ـ وحدّث بان زالت بليل حمولهم ... كنخل من الأعراض غير منبق
على أثر حيّ عامدين لنية ... فحلوا العقيق أو ثنية مطرق (٤)
تبصر خليلي هل ترى من ظعائن ... سوالك نقباً بين حزمي شعبعب
علون بانطاكية فوق عقمة ... كجرمة نخل أو كجنة يثرب (٥)

ثم يعكف امرؤ القيس على تصوير الظعائن المتفرقة في الطريق (طريق الحياة) كما تفترق الناس عادة . ولكن هذا التفرق على الرغم من أنه يسبب البعد والوحشه والغربة ويولد الحسرة والألم . الا أن الشاعر لم ييأس فهو يقطع هذه الأهوال على فرس قوية دائماً ليصل إلى المحبوب وهكذا تنتصر ارادة الحياة القوة والعزيمة على فراق الموت ووحشته وغربته :

فلله عينا من رأى من تفرق ... أشت وأنأى من فراق المحصب (٦)
فريقان منهم جازع بطن نخلة ... وآخر منهم قاطع نجد كبكب (٧)
فعيناك غرباً دلو في مفاضة ... كمرّ الخليج في صفيح المصوّب (٨)

---

(١) تأوبني : اتاني مع الليل وقت الغلس .
(٢) شرح الديوان ص ، ٩٨
(٣-٤-٥)شرح الديوان ص١٧٦ ، ١١٧ - ١١٨ ، ٣٢ - ٣٣ .
(٦) المحصب : المكان الذي ترمى فيه الحجار بمنى
(٧) جازع : قاطع ، بطن نخلة ونجد كبكب : اسمان لمكانين في الحجاز .
(٨) غرب : الدلو العظيمة من الماء المفاضة : الأرض ذات السعة ، الخليج : الماء المضطرب في النهر والذي تعوقه عوائق ، صفيح : العريض من الحجارة ، المصوب : المنحدر

غزرت على أهوال ارض اخافها بجانب منفوح من الحشو شرحب(١)

وبعد أن يتأكد في مشاعر امريء القيس انتصار الحياة — بقطع الفيافي والمفاوز للوصول إلى المحبوب — على الموت — الفراق يسعى إلى وصف الهودج ببهجة وجمال وحياة :

جعلن حوايا واقتعدن قعائدا وحفّفن عن حوك العراق المنمق(٢)
علون بانطاكية فوق عقمة كجرمة نخل أو كجنة يثرب(٣)
فشبهتهم في الآل لما تكمشوا حدائق دوم أو سفينا مقيرا(٤)
او المكرمات من نحيل ابن يامن دوين الصّفا اللاتي يلين المشقرا(٥)
سوامق جبار اثيث فروعه وعالين قنوانا من البسر احمرا (٦)
حمته بنو الربداء من آل يامن ياسيافهم حتى أقر واوقرا (٧)
وارضى بني الربداء واعتم زهره واكمامه حتى إذا ما تهصّرا (٨)
اطافت به جيلان عند قطاعه تردد فيه العين حتى تحيرا(٩)

وهكذا لف امرؤ القيس الهوادج بكل الجمال والخصب والنعيم فهي في الغالب تشبّه بالبساتين المزهرة ذات الشجر المثمر اليانع.

ينتقل امرؤ القيس بعد ذلك إلى البشر بعد ان أعطي الحياة جوانبها العديدة من مياه واراض ونبات وحيوان (الرواحل والمطايا) فهو ينتقل إلى النساء الجميلات المنعمّات المشوقات الجالسات في الهوادج ، وهو يضفي عليهن

---

(١) شرح الديوان ص ٣٣— ٣٤ .منفوح : مرتفع ، شرحب : طويل يريد به الفرس
(٢) الحوايا : البراذع ،م . س ص ١١٧ . حففن : هودج محفف بالديباج .
(٣) العقمة : نوع من الوشي ، الجرمة : ما قطع من البسر والقي بالارض م. س. ص٣٣
(٤) الآل : السراب .تكمشوا : جدوا في السير ،دوم : نوع من الشجر .
(٥) المكرعات من النخيل : النخيل النابت في الماء ، المشقر : حصن في البحرين .
(٦) قنوان : عذق ،البسر : التمر المحمر
(٧) . بنو الزبداء : قوم في البحرين لهم معرفة في غراسة النخيل واستغلاله ، اقر : استقر ، اوقر : حمل تمراً كثيراً وجيداً .
(٨) اعتم : طال وصلح ، تهصرا : تدلى ونضج .
(٩) شرح الديوان ، ص ٦٧— ٦٨ .

سبيل الانسان الجاهلي إلى الاستقرار – كل صفات الجمال ، تماماً كما أعطى مثل هذا الجمال للهوادج ، لانه يريد أن يصل إلى الجميل ،إلى الحياة بعد أن خرج من مفازة – الفراق والرحيل – الممثلين للموت . إنه شعوره الذي يقف دائماً إلى جانب الحياة ضد الموت .

– غرائر في كِـنّ وصون ونعمة يحلين ياقوتاً وشذراً مفقـرا
وريح سنـا في حقّة حميرية تخصّ بمفروك من المسك أذفرا(١)
وبانا وألويا من الهند ذاكيـاً ورندا ولبنى والكباء المقترا(٢)

او يقول : تراءت لنا يوماً بسفح عنيزة وقد حان منها رحلة وقلـوص (٣)
بـأسـود ملـتفّ الـغـدائر وارد وذي أشر تشوفه وتـشـوص(٤)
منـابتـه مـثـل الـسـدوس ولـونه كشوك السّيال فهو عذب يفيض(٥)

وكما بدأ الشاعر الرحلة مبيناً صلتها بالارض ، فهو ينتهي بها الى صلتها بالانسان . والبشر دائماً فيها هم النساء اللاتي في الهوادج . ومن هنا نلمس مدى العلاقة بين الطريق الذي تقطعة الرواحل وبين النساء الجالسات في الهوادج. كلاهما يمثل عنصر الاستقرار وسط رحلة الموت (الاغتراب) . ولكن الجمال الذي يحيط بوصف المكان ووصف الهوادج ووصف النساء ، يطغى على الغربة التي تولدها هذه الرحلة في نفس الشاعر ، لان الرحلة هي حركة ، والحركة هي الحياة .

---

(١) سنا : نبت ذو رائحة ذكية ، المفروك : المسك الجيد ، الاذفر : صفة للمسك
(٢) شرح الديوان ص ٦٨ – ٦٩ اللوى : العود ، الكباء : البخور ، المقتر : المدخن
(٣) قلوص : رجوع
(٤) وارد : الشعر الطويل المسترسل ، ذو أشر : فم محدد الاسنان ، تشوفه : تستجليه ، تشوص : تدلكه بالمسوك .
(٥) م. س ص ١٠٤ ، السدوس : النيلج الأسود ، يفيض : يسيل على الأرض .

(٣)

الناقة :

وتتجلى هذه الحياة بأجلى صورها في سعي الناقة الحثيث للوصول الى المحبوب . فيبدو انتصار الحياة على الموت جلياً في حركة الناقة المسرعة، قطعها المفاوز والقفار ، عظم خلقها ونشاطها وقوتها ودأبها على السير دون أن تحسّ بالتعب او النصب ، حتى أنها لشدة نشاطها تطاير الحصى من تحت خفها .

– فدع ذا وسلّ الهمّ عنك بجسرة ... ذمول اذا صام النهار وهجّرا (١)
تقطّع غيطاناً كأن متونها ... أذا أظهرت تكسى ملأً منشّرا (٢)
تطاير ظرّان الحصى بمناسم ... صلاب العجى مثلومها غير أمعرا (٣)
كأن الحصى من خلفها وأمامها ... إذا نجّلته رجلها حذف أعسرا (٤)
كأن صليل المرو حين تشذّه ... صليل زيوف ينتقدن بعبقرا (٥)

ويقول

فدعها وسلّ الهمّ عنك بجسرة ... مداخله صمّ العظام أصوص (٦)
تظاهر فيها النيّ لاهي بكرة ... ولا ذات ضغن في الزّمام قموص (٧)

---

(١) الجسرة : الناقة القوية على السير ، الذمول : السريعة ، صام النهار : قامت الظهيرة
(٢) الغيطان : الأرض المطمئنة ، اظهرت : دخلت وقت الظهيرة
(٣) ظران : قطع من الحجارة المحددة ، العجى : قدر مضغة تكون موصولة بعصبة تنحدر من ركبة البعير إلى الفرس . غير امعر : لم يذهب شعره .
(٤) نجلته : رمته بمناسمها ، الحذف :الرمي
(٥) صليل المرو : صوت الحجارة ، تشذه : تطيره . زيوف : الدراهم الزائفة التي لا فضة فيها ، شرح الديوان ، ص ٧٠ – ٧١ .
(٦) مداخلة : مدمجة الخلق ، اصوص : شديد لحمها
(٧) النيّ : الشحم ، ذات ضغن : لا تسير الا بالقسر قموص : الجامحة .

اووب نعوب لايـواكـل نهزها   إذا قيل سير المدلجين نصيص(١)

ويشتد الصراع بين الحياة والموت عند وصف امرىء القيس لناقتــه، فهي بالاضافة إلى قطعها المفاوز والمهامة، تبدو في نظره وكأن هراً متوحشاً يهاجمها فهي تسرع مجدة في سيرها لتتخلص من هذا الموت ــ المتمثل بالهر المتوحش ــ الذي ينتظرها فيما إذا أبطات ليتمكن منها هذا الحيوان الغادر. وان ناقة في سرعتها ونشاطها وقوتها.

ــ بعيدة بين المنكبين كأنهـا   ترى عند مجرى الضفر هراً مشجراً(٣)

ويقول :

ــ تروح إذا راحت رواح جهامة   بأثـر جهـام رائـح متفـرق (٤)
ــ كأن بهـا هرا خبـيا تجـره   بكل طريق صادفته ومأزق (٥)

وكأن امرأ القيس لايكتفي بتمثيل الناقة لطاقات الحياة، فهو لايقف عندها طويلا كما يقف عند الفرس مثلا ــ كما سنرى ــ بل اتخذها جسرا ليعبر منها إلى حيوانات الصحراء الأخرى التي تتمثل الحياة في نشاطها وسرعة حركتها وقدرتها على الصراع والمجابهة كالحمار الوحش والثور والظليم والنعامة.

---

(١) أووب نعوب : ترجع إلى الوراء صياحة، لا يـواكـل نـهزهـا : تنهض مستوية لا يتوا كل بعضها على بعض، المدلج : السائر في الليل، نصيص : رفيع، شرح الديوان، ص ١٠٥

(٢) ويعجب الباحث من تأكيد امريء القيس على الهر دائماً دون الحيوانات الضارية وربما كان تفسير ذلك يعود إلى الميثولوجيا القديمة وربما كان الهر يرمز للموت عندهم، فنحن نجد في تراثنا الشعبي أن (الطنطل) أو (زمزم القبور) كليهما يشبهان الهر وكلاهما غادر مخادع، وهو لا يتمكن الا من الموتى . وما زالت موجودة في الأساطير المتداولة في جنوب العراق

(٣) الضفر حبل من شعر هو من اطناب الهودج، مشجر مربط م.س، ص ٧١

(٤) جهامة : السحابة التي لاماء فيها .

(٥) شرح الديوان، ص ١١٨ .

فهو ينتقل في قصيدته (خليلي مرا بي علي أم جندب) من وصف لناقة بالقوة والنشاط والضخامة إلى تشبيهها بالحمار الوحش ليعبر منها إلى وصف هذا الحيوان الممتلئ حياة وحيوية :

بمجفرة حرف كأن قتودها   على أبلق الكشحين ليس بمغرب(١)

يصف امرؤ القيس حمار الوحش بما أوتي من جمال خلقة، فهو فتي ضامر البطن قد أتى من جبال عماية في البحرين يمج مايأكله في مورد شربه، وهو يغني في الليل غناء مطربا يتصنع في اداء الصوت ليطرب الندامى من حوله، وكيف لا وهو يقود قطيع الحمر في ذلك الوادي الخصيب كثير الشجر والكلأ حتى ساوى نبته شجره .

لقد جمع امرؤ القيس كل اسباب الحياة في تصويره لحمار الوحش وكأنه يريد ان يضفي كل ذلك على ناقته الفتية. السريعة العدو ، والمنطلقة إلى المحبوب.

ويعود امرؤ القيس مرات عدة لتشبيه ناقته بالحمار الوحش ولكن أجمل صورة أعطاها لهذا الحمار تلك التي اوردناها سابقاً عندما أخذ فيها حمار الوحش الأتن إلى مورد الماء والعشب، وبعد الري والامتلاء عاد بهم ثانية إلى الهضاب والمرتفعات وهم على أشد ماتكون الحياة نشاطاً وحركة وجمالا.

كما شبه الشاعر ناقته بالثور الوحشي الذي يطوي البلاد نشاطاً وقوة وهو متوجس لسماع كل نبأة:

كأني ورحلي فوق أحقب قارح   بشربة أوطاو بعرنان موجس (٢)

ويشبهها بالظليم الفتي السريع المليء بالحياة والحيوية، فهو نشيط سريع العدو ليدرك بيضه . ولايكتفي امرؤ القيس باضفاء صفات الحياة على الظليم

---

(١) المجفرة الحرف : الناقة العظيمة الشديدة الصلبة ، قتود : اداة الرحل ، ابلق الكشحين : حمار الوحش أبيض الخاصرة ، مغرب : ابيضت اشفار د وحماليقه ، شرح الديوان ، ص ٣٤ — ٣٥ .

(٢) أحقب : ابيض الجانبين ، القارح : التام السن المتناهي القوة شربة وعرنان : اسما مكان، طاو : ثور وحشي يطوي البلاد قوة نشاطا، موجس : منصت ،شرح الديوان ، ص ١٠٠ — ١٠٢ .

بل هو يعطينا صورة أخرى للحياة وتجديدها باحتضان النعامة لبيضها، وخشية الظليم على البيض، فهو يسرع ليدركه خشية من أن يعبث به عابث. وهكذا تتكرر صور الصراع بين الحياة والموت في صور الشاعر وجزيئات قصائده:

على نقنق هيق له ولعرسه ... بمنعرج الوعساء بيض رصيص (١)
اذا راح للأدحيّ أوبا يفنها ... تحاذر من إدراكه وتحيص (٢)

ويكرر نفس الصورة ونفس التشبيه في شعره ولكنه في بعضها يعطينا حياة أكثر ألا وهي صورة فراخ النعام وهي تكسر البيض لتخرج منها إلى الحياة:

كأني ورحلي والقراب ونمرقي ... على يرفئيّ ذي زوائد نقنق (٣)
تروّح من أرض لأرض نطيّة ... لذكرة قيض حول بيض مفلق (٤)

فهذا الظليم يعدو مسرعا قاطعا أراض بعيدة لتذكره أن الفراخ تنقف قشور بيضها لتخرج إلى الحياة.

ويعود إلى تصوير الصراع بين الحياة والموت في تشبيهه ناقته بعنزة تعدو والهة طائشة الصواب للعثور على فحلها الذي أبعد عنها:

كأنها مفرد شبوب ... تلفه الريح والطّلال (٥)
أو أنها عنز بطن واد ... تعدو وقد أفرد الغزال (٦)
عدواً ترى بينه أبواعا ... تحفزه أكرع عجال (٧)

---

(١) نقنق: ظليم، هيق: ظليم فتي، منعرج الوعساء: رابية من الرمل، بيض رصيص: بيض نعام منسق

(٢) الادحي: الموضع الذي فيه البيض، الأوب: الرجوع، يفنها: يزينها، تحيص: تميل وتضطرب، شرح الديوان، ص ١٥

(٣) النمرق: الوسادة، اليرفئي: الظليم، ذو زوائد: ذو عدو سريع

(٤) نطية: بعيدة.

(٥) مفرد: ثور، شبوب: حسن، الطلال: جمع طل وهو الندى

(٦) أفرد: ذهب به.

(٧) ابواع: جمع بوع وهو البعد الاكرع: الايدي والأرجل، شرح الديون ص١٦٢

وليست الناقة وحدها هي الممتلئة حياة وشدة بل ان الفارس الذي يرحل عليها هو الآخر شجاع مقدام لايخفيه شيءٌ، يقطع القفار والفيافي رغم وعورة الطريق للوصول إلى هدفه:

علـيها فتى لم تحمل الارض مثله ... أبرّ بميثاق وأوفـى وأصبـرا
هو المنزل الألاّف مـن جو ناعط ... بني أسد حزنا من الارض أوعرا (١)

والفتى الباسل الشجاع هو دائماً الشاعر نفسه.

ان امرأ القيس يتخطى احساسه بالموت والفناء ، فالامل الذي يساوره قوي بالوصول الى المرأة المشتهاة المنعمة المطيبّة التي تمثل لديه السعادة والجمال والحب وفعل الحياة من أجل التجدد والتكاثر . وهكذا تتداخل صراعاته النفسية منذ وقوفه على الاطلال بين الحياة والموت حتى تنتصر الحياة على الموت بوصوله الى المرأة (السعادة والحياة والاستقرار) .

(٤)

تمثل المرأة عند امرىء القيس الحياة بما فيها من الاستقرار والرفاهية ، والجمال والحب والمتعة الجسدية ، والفعل الحياتي وتجدد الحياة .

يجابه امرؤ القيس الموت باشد ما تكون عليه الحياة من قوة لينتصر عليه متمثلا بالمرأة . فيتمثل الاحساس بالسعادة والاستقرار والاستمتاع الجسدي وتملي محاسن المرأة ليقتل ذلك الشعور الغائص في أعماقه بالموت والفناء .

ويبدو لنا أن المراة في شعر امرىء القيس ما هي الا رمز للحياة متمثلا هذا الرمز بجميع النساء اللاتي ذكرهن (أم الحويرث (٢) ، أم الرباب ، (٣) فاطمة (٤) عنيزة ، (٥) أم جندب ، (٦) ، هرّ (٧) ليلى (٨) سلمى ، (٩) سليمى ، (١٠) فرتنى ، (١١) هند ، (١٢) ماويّة (١٣) الرباب ، (١٤) فطيمة ، (١٥) سعاد (١٦) . وهذه الاسماء لاتعني مسمياتها فهن متشابهات

(١) الالاف : القصاد ، ناعط : جبل في اليمن فوقه حصن قديم ، الحزن : الأرض صعبة المسالك ، ، شرح الديوان ، ص ٧١.

(٢ – ١٦) شرح الديوان ، ص ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٢٧ ، ٣١ ، ٧٨ ، ١٤٩ ، ١٦٢ ، ١٠٤ ، ٦٦ ، ٨٣ ، ٦٤ ، ١٠٠ ، ١٨٦ ، ١٥٦ ، ١١٤.

في الوصف وفي الخصائص الجسدية ، حتى تكاد جميع هؤلاء النساء يكوّن امرأة واحدة هي المثال الذي يشتهيه للمرأة (الحياة) «ففاطمة قلما تختلف عن عنيزة وأم الحويرث وأم الرباب ومن اليهن بل أنه يتناول الاسم في صدفة لاختيار بحيث لاتشعر أنه يخص احداهن بعاطفة لايخص بها سواها. كما أنه لايريد اسم واحدة منهن أكثر من سواها ليخيل الينا أنه سنحت له عواطف لبعضهن أو أنه علق واحدة منهن بالفعل» . (١)

ولم يذكر مؤرخو الادب شيئاً عن النساء اللواتي ذكرهن امرؤ القيس في شعر غير ابنة عمه فاطمة ، وقد اختلطت عند بعضهم عنيزة بفاطمة وأصبحت تعني فتاة بعينها . (٢) ويروون اسطورة الغدير عندما قدم امرؤ القيس اليه وكانت الفتيات يستبردن فيه وبينهن ابنة عمه شرحبيل (فاطمة أو عنيزة)وكيف منع عنهن ملابسهن حتى يقبلن ويدبرن عاريات امامه(٣). وهي قصة غير منطقية ، أذ كيف يصنع ما يصنع بفتيات دون أن تثار حفيظة أهلهن ، ودون أن يثأروا لكرامتهم المهدرة ؟ وكيف يرضى الفتيات بهذا الامتهان الماجن ، ألاّ أذا كنّ عاهرات ؟ وكيف تخرج نساء العرب بمفردهن دون حراسة ؟ وكيف يرضى امرؤ القيس ان يمتهن نساء قومه ؟ وكيف يستسيغ أن يدنس شرف ابنة عمه ؟ ولماذا لم يأت على ذكر الغدير والثياب والموقف برمته في شعره ما دام هو متعهراً الى هذا الحد؟ ولماذا لم يصفهن وهن عاريات وكيف يسمح لنفسه ذكر ابنة عمه في شعر ماجن ووصف مكشوف يبدو فيه وكأنه يتحدث الى عاهرة من الساقطات لا الى حرة من بنات اعمامه (٤) .... فامرؤ القيس الذي سبق الى هذا الفن أو في أجزاء منها والطبيعة لاتكذب هذا فحياة امرىء القيس الحرة التي

---

(١) ايليا حاوى ، امرؤ القيس ، ص ٤٤— ٤٥ .

(٢) محمد صالح سمك ، امير الشعر في العصر القديم ، ص ٧٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٧٦— ٧٧.

(٤) بدوي طبانة ، ص ٨٧ .

ينتهب فيها اللذات انتهاباً لاتمنع أن يصف ذلك في شعره وأن يوجد فيه ذلك القصص الغرامي الذي افتتن به ابن ابي ربيعة ».(١) وقد ذكر مؤرخو الادب ايضاً هرّ زوجة أبيه او جاريته واتهموه بالاتصال بها وهو كلام غير مقبول « وليس هرّ امرأة أبيه كما يذهب القصص الشعبي الرخيص » (٢) أذ لايعقل ان يتغازل بامرأة أبيه في بيئة عربية أصيلة وفي قصر ملك وهو ابنه ، وكان بعد صبياً كما ذكرت كتب الأدب القديمة .

كما ذكر مؤرخو الادب وأم جندب التي ذكرها أبو الفرج الاصفهاني وقال أن امرأ القيس كان مفركاً لاتحبه النساء ولاتكاد امرأة تصبر معه . وهي فيما يبدو الامرأة التي تزوج بها من طيي فابتنى بها فأبغضته من تحت ليلها وكرهت مكانها معه فجعلت تقول : ياخير الفتيان أصبحت فيرفع رأسه فيرى الليل كما هو فتقول المرأة اصبح ليل . فلما أصبح قال لها قد علمت ما صنعت الليلة وقد عرفت أن ما صنعت كان كراهية مكاني في نفسك. فماذا كرهت مني ؟فسكتت فألح عليها فقالت : كرهتك لأنك ثقيل الصدر. خفيف العجز .سريع الاراقة.بطيء الافاقة.(٣) هذا بالاضافة الى قصة أم جندب المشهورة في التحكيم بين امرىء القيس وعلقمة بن عبدة وتفضيلها علقمة على امرىء القيس (زوجها) بغير وجه حق لمجرد أن علقمة نزل من نفسها منزلة حسنة . فطلقها امرؤ القيس وتزوجها علقمة . وسمي (بالفحل) بعد ذلك الحادث . هذا ما أوردته كتب الادب (٤) . ولكن هل يعقل ان يكون هذا التصرف تصرف امرأة حرة وزوجة لرجل أصيل عرف عنه الجمال والفروسية والنجدة . ان المتفحص لأم جندب في اطار هاتين الروايتين يتبين جيداً انها ليست أكثر من بغي من اولئك النسوة اللاتي يمتهن الدعارة ويبعن الجسد لطالبيه. «وأظن أن أم جندب هذه كانت لها دار في الصحراء يؤمها الشباب

(١) معلقات العرب ، ١٠١
(٢) البهبيتي : تأريخ الشعر العربي ، ص ١٠٢ .
(٣) الأغاني : ج ٩ ،ص ١٠٣
(٤) أبو الفضل ابراهيم ،ديوان امريء القيس ص ٤٣٠

ليشربوا ويمرحوا ويعبثوا كما يشاء لهم العبث . وهناك يحكي الشبان مغامراتهم. ومثل هذه البيوت كانت معروفة عند العرب وعند غيرهم من الأمم القديمة حيث البغاء أمر معترف به » .(١) تمعن قوله في حديثه عنها :

خليلي مرا بي على أم جندب   لتقضي لبانات الفؤاد المعذب
فانكما إن تنظرا ني ساعة   من الدهر تنفعني لدى أم جندب
ألم ترياني كلما جئت طارقاً   وجدت لها طيباً وإن لم تطيّب(٢)

أنه يأتيها بصحبة خليليه ، ليقضي حاجات النفس ، ويطلب منهما ان يفسحا له مجالا للتمتع بها . وانه يذكر كيف كان يأتيها ليلا فيما مضى ليجدها مستعدة لاستقباله. فهل يمكن أن يكون مثل هذا الحديث عن زوجه؟ ومن هي ؟ زوجة أمير عربي وفارس التجأ الى بني طيّ ليحموه من مطارد المنذر بن ماء السماء بعد أن قتل أباه . ومن تكون أم جندب هذه كما تقول كتب الادب؟ امرأة من طيّ زوّجها القوم لامرىء القيس زيادة في الاحترام والتقدير (٣)

يبدو لنا بعد التمحيص والمقارنة أن هذا المطلع ماهو الاّ من نوع الذكريات التي طالما بدأ بها الشاعر قصائده، وهي ذكريات قديمة تعود به إلى ماضيه السعيد الذي طالما يحلم به عندما كان يعيش حريته الكاملة ويرتاد المرابع وبيوت الدعارة والحانات.

فامرؤ القيس دائم البحث عن المرأة (الحياة) التي تغدق عليه الحنان والاستقرار والسعادة. لقد كان منذ فتوته يبحث عن مثل هذه المرأة— غير الجارية وغير السلعة— التي تقف منه موقف الند للند، المرأة التي تمتص ما في نفسه القلقة غير المستقرة ذلك الصراع الخفي الناشب فيها بين الحياة (اللذة والسعادة والاستقرار) . والموت (القلق والخوف من المجهول).

---

(١) محمد كامل حسين ، الشاعر العربي والذوق المعاصر ، ص١١
(٢) طارقاً : الذي يأتي ليلا . شرح الديوان ص ٣١
(٣) ديوان امرئ القيس ص ٤٠ ، شرح الديوان ص ٣١ .

ولايجد الباحث امرأة تنطبق عليها مواصفات المرأة الحرة من خلال شعر امرئ القيس غير(فاطمة) التي جاء على ذكرها في معلقته:

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل — وإن كنت قد أزمعت صرمي فاجملي
وإن تك قد ساءتك مني خليقة — فسلي ثيابي من ثيابك تنسلي
أغرك مني أن حبك قاتلي — وأنك مهما تأمرى القلب يفعل
وما ذرفت عيناك الا لتضربي — بسهميك في أعشار قلب مقتّل(١)

فهو يعاتبها على تدللها عليه وكأن هذا التدلل– وربما كان صداً– قد أوحى اليه بأنها تزمع قطيعته. وهو يعجب لموقفها، فيسألها هل قام بعمل سيء يستحق عليه كل هذا الصد؟– وهو تساؤل جميل يدل على صدق شعوره نحوها– وهو يعرف حقّ المعرفة أنه لم يفعل شيئاً يسيء به اليها. ويعود ليفسر هذا الصد بأنه دلال امرأة تريد أن تذكي الحب في قلب رجلها، لأنها تعلم شدة حبه لها، فلماذا لم يحظ امرؤ القيس بحب فاطمة– يبدو من وصفه لها أنها تكاد أن تساويه في شخصيتها وخلقها وأصالتها– وهو الشاب الوسيم والأمير ابن الملك، والغني الشجاع، والشاعر الملهم. إن المرأة(الحياة) التي يعني جرمانه منها الموت بالنسبة له، تصد عنه وتبتعد. وهنا يقوم سؤال مهم. لماذا كانت النساء تبتعد عن امرئ القيس؟

تذكر كتب الأدب أن امرأ القيس كان مفركا لاتميل النساء إلى وصله، وقد بينا في حديثنا عن (أم جندب) ماقالته له ليلة زواجهما– أو ماقالته له امرأة تزوجها من طيّ–.

فاذا كان السبب المذكور آنفاً وحده جعله مرغربا عنه من النساء، فذلك شيٌ غير منطقي لأن ما ذكر عنه– من ثقل الصدر وخفة العجز وسرعة الاراقة وبطء الافاقة– لاتدركه في الرجل الا امرأة مجربة عاشرت العديد من الرجال– أي امرأة بغي تعرف أسرار مهنتها. أما المرأة الشريفة فهي لاتعاشر غير زوجها، وتعتقد عندئذ أن خصائص زوجها هي المثلى–ولاتقول ماقالته

(١) شرح الديوان ، ص ١٢٨ .

أم جندب — أو المرأة الطائية — حتى ولو كانت تحسه فيه بعد طول معاشرة. اذا لابد من وجود سبب آخر يجعل النساء يكرهن معاشرة امرئ القيس الشاب الجميل الأمير. ويورد الأصفهاني سبباً آخر فيقول: «ويقال أن امرأ القيس سأل إحدى نسائه مرة عما تكرهه النساء فيه. فقالت إنك اذا عرقت فاحت منك ريح كلب. فقال أنت صدقتني. إن أهلي أرضعوني لبن كلب. ولم تصبر عليه الا امرأة من كندة كان أكثر ولده منها». (١)

لقد كانت الرائحة الكريهة التي تنبعث منه اذا ماعرق— وما أكثر مايعرق الانسان في المناخ الصحراوي الحار— هو السبب في اجتناب النساء لامرئ القيس خاصة والمياه شحيحة والقدرة على الاستحمام اليومي غير ممكنة بالاضافة إلى طبيعة الحياة المتنقلة، غير المستقرة، وحبه هو بالذات للتنقل والصيد وممارسة حريته.

لقد أحس امرؤالقيس بهذا النقص أنه الموت المعنوي الذي يهدده لأنه يحرمه المرأة (الحياة..) التي يصبو اليها فعليه اذن ان يصارع الموت الذي يواجهه، فلم ترضخ له نفسه الأبية فاسرف في إتيان النساء الجواري والعاهرات— على عادة شباب عصره— خاصة وهو يملك الوسائل للحصول عليهن بيسر. وذكر ذلك في شعره، ولكنه لم يرد أن يظهرهن عاهرات لأنه يعد الأمر منقصة بالنسبة له، لذا يدوّن في شعره نساء محصنات (٢).

وبيضة خدر لايرام خباؤها	تمتعت من لهو بها غير معجل
تجاوزت احراسا اليها ومعشرا	عليّ حراصا لو يسرون مقتلي (٣)

---

(١) الأغاني، ج٩، ص ١٠٨.

(٢) والجماع ليس مجرد اتحاد من أجل التناسل بل هو تجديد حياتي للجنسين كأنه موت وبعده حياة، فخري الدباغ، الموت اختيارا ص٩٩

(٣) شرح الديوان، ص١٢٨

إنه يكذب(١). هنا وكذبه واضح من جموع الحراس الحريصين على قتله إن ظفزوا به،ومن هذا اللهو الممتع غير المعجل . لو كان ما يقوله حقيقة لأسرع في لهوه معها خشية اكتشاف أمره من قبل المتربصين به ، ثم أية بيضة خدر لايرام خباؤها هذه؟ تبدو لنا وكأنها تملك خيمة على مشارف طريق القوافل يحيط بها سماسرة وطلاب لهو ومتعة وحراس لايحرصرن على عفافها وشرفها . خاصة وأنه أورد هذه القصة بعد إظهار فاطمة الصرم له ، وكأنه أحس بطعن في كرامته فأراد أن يدافع عنها بهذه القصة المختلقة وكرامته هي حياته وفقدان الكرامة يعني الموت المعنوي بالنسبة لامرىء القيس فاذا ماصدته فاطمة أصابته في الصميم ، وقتلته قتلا معنوياً . وهو لم يعودنا على الاستسلام للموت فثارت كرامته ووهبته قوة الحياة لديه وشاعريته الفذة قدرة عظيمة على الخلق فحكى لنا قصة بيضة الخدر وأمره معها . وهي قصة فنية وليست حقيقة واقعة . فتدفقت الحياة من خلال الالفاظ واعاد خلق التوازن في نفسه لتعود الحياة دافقة في مواجهة الموت (فقدان الكرامة أمام فاطمة) . وهكذا كان الفن الشعري لدى امرىء القيس وسيلة جديدة للأحساس بقوة الحياة أذا ما تعرض لموت معنوي .

ويسعفه الفن الشعري في مواجهة الموت المعنوي في قصيدة أخرى،حيث يروي لنا قصة امرأة تخون زوجها من أجله . والزوج على علم بالأمر ولكنه أجبن من أن يمنع الشاعر الشجاع المقتحم والسمّار جالسون والزوج يغط في نومه :

---

(١) عد طه حسين في كتابه (في الأدب الجاهلي) ص ٢٠٦ هذه الأبيات متحولة وقال انها أشبه بشعر عمر بن أبي ربيعة من أي شعر آخر . بينما آمن حنا فاخوري بالحدث وعدد إلى جانب صحته ابداعاً في فن القصص الحواري عند امريء القيس في كتابه (تأريخ الأدب العربي) ص ٨٩ ومثله الكفراوي في كتابه « الشعر العربي بين الجمود والتطور » هامش (٢) ص ٣٠ . وسلم شوقي ضيف في كتابه (العصر الجاهلي) ص ٢٤٩ —٢٥١ بصحة الحدث ومثله انس داؤد ،قراءة جديدة لمعلقة امريء القيس ،مجلة البيان ، العدد ١٢٢ عام ١٩٧٦ ص ٢٨ وعده نوري القيس في كتابه (دراسات في الشعر الجاهلي) ص ٨٧ — ٩٠ كاذبا في ادعائه

ويا رب يوم قد لهوت وليلة — بآنسة كأنها خطّ تمثال
يضيء الفراش وجهها لضجيعها — كمصباح زيت في قناديل ذبّال
سموت اليها بعد ما نام أهلها — سمو حباب الماء حالا على حال
فقالت سباك الله إنك فاضحي — ألست ترى السمّار والناس أحوالي
فاصبحت معشوقاً وأصبح بعلها — عليه القتام سيء الظن والبال
يغط غطيط البكر شدّ خناقة — ليقتلني والمرء ليس بقتال
أيقتلني والمشر في مضاجعي — ومسنونة زرق كأنياب أغوال (١)

إن المنعم النظر في هذه الابيات يدرك للوهلة الأولى أن المسألة لاتعدو أن تكون خيالا جسده الشاعر لقدرته الشعرية الفائقة في أن يسقط ما في نفسه من شعور بالنقص تجاه المرأة الشريفة التي يطلبها ولا تريده — لانه مفرك او بسبب رائحته — بهذا الشكل الفني الذي صدقه اكثر مؤرخي الادب العربي (٢) . وأذا ما التزمنا التجربة الشعورية الصادقة في القصيدة لانعدو القول بأن المسألة ليست أكثر من زيارة لدار بغاء : السمّار الجالسين والمرأة المتمرسة في معابثة الرجال والزوج الذي يغط في النوم . والبساطة الكاملة التي دخل فيها الشاعر خدر المرأة رغم وجود الزوج والسمّار فصب خياله المحلّق وشاعريته الفذة ، المرأة الساقطة في إطار المرأة المصونة ، التي يريدها الشاعر كبديل للمرأة البغي التي طالما حصل عليها بيسر وسهولة، ولكنه مجّد دائماً في البحث عن المرأة (الحياة) ، فاذا ما خانه جدّه في الحصول عليها أسعفه خياله المتألق على خلقها ليوجد التوازن في نفسه بين الهدف

(١) شرح الديوان ص ١٣٩ — ١٤١

(٢) قد تكون القصة حقيقية لو طلب الزوج من امرأته أن تبضع من امري القيس بعد تطهرها من طمثها رغبة منه في انجاب ولد « لأنهم كانوا يطلبون ذلك من اكابرهم ورؤسائهم... فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع » محمود شكري الآلوسي ، بلوغ الأرب في احوال العرب ج٢ ص ٣
ولكننا لا نرى ذلك فمن يتمعن في القصيدة يرى ان زوجها لم يكن يعلم بالأمر وكانت تخشى معرفته بالأمر.

الذي يبتغيه والواقع الذي لايحقق له ذلك الهدف ، فلم يجد وسيلة غير الفن لتحقيق ذلك الهدف عن طريق نفث زفرات النفس بأسلوب شعري (الفن) .

وقد تكون النتيجة التي توصل الباحث اليها خطأ أذا سلّمنا بأن العربي عديم الشرف بحيث يغط في النوم ويعلم أن زوجته في أحضان رجل آخر ، وأن السمار العرب يسمرون وهم يعلمون بأنهم يحرسون البغاء الذي يجري قريباً منهم . لم أسمع أو أقرأ عن العرب ذلك بل العكس هو الصحيح . وقد أكون مخطئا أذا ما سلمّنا بأن الزوج فخور بأن تكون زوجته بين أحضان أمير كأمرىء القيس ، وعندئذ لايكون هذا الزوج عربياً ولا حتّى انساناً بل هو مجرد سمسار يريد ابتزاز المال من عشاق زوجته .

أنظر معي الابيات السابقة على هذا الحدث :

الا زعمت بسباسة اليوم أنني كبرت وأن لايحسن السر أمثالي

كذبت لقد أصبي على المرء عرسه وأمنع عرسي أن يزنّ بها الخالي(١)

ترى هل كانت القصة التي رواها امرؤ القيس نتيجة انفعال حاد دفعه الى الخلق الفني ليضع البغي موضع المرأة المصونة للرد على بسباسة وزعمها ؟ وربما .

ولكن المسألة المعقدة تكمن في الشطر الثاني من البيت الثاني (وامنع عرسي أن يزّن بها الخالي) فهو يغري العروس عن زوجها لجماله . ولكن ترى لماذا حدثنا عن زوجته وأنه يمنع الأعزب من اغوائها ، ترى هل غويت زوجته من قبل شاب آخر لأنها لاتميل اليه بسبب ماذكر عن رائحته وعن الصفات غير المستحبة فيه وأراد أن ينتقم لكرامته بأن يسبي امرأة متزوجة وكأن كلامه مجرداً اسقاط فرويدي ؟ لا أظن ذلك فأمرؤ القيس رجل بكل معنى الرجولة ، فلو حدث ما افترضنا لقتل زوجته وعشيقها . ولم نسمع تلميحاً لهذا الفعل لا في كتب الأدب ولا في شعره كسقات لسان ،

(١) عرسه : زوجة ، يزن : يتهم ، الخالي : الذي لا زوج له ، شرح البلدان ص ١٣٩ .

أذن لماذا ذكر أمرؤ زوجته وقدرته في دفع العذاب عنها ؟ إنه مجرد تباهٍ وزهو برجولته وفحولته مقابل سقوط رجال آخرين في مهاوي الضعفِ والسمسرة أولئك الذين كانوا يبتزون أموال الرجال المترددين على خيم البغايا اللواتي أكثر أمرؤ القيس من التردد عليهن بحكم بيئته وتقاليدها ومؤثراتها وهكذا كانت مواجهة امرىء القيس للموت المعنوي (تعيير بسياسة له بالكبر) غيضا ،فاسعفته قدرته الشعرية على عبور هذا الموت الى حياة متدفقة انهالت مع أبيات قصيدته ممثلة قدرته على استلاب قلوب النساء وأجسادهن رغم وجود الأزواج والسمّار.وقد مثّل قدرته على المواصلة وأعطاء الحياة دفقة دفقة في قوله (سموت اليها سمو حباب الماء حالاً على حال) هذا التجمع حبّة حبّة هو الذي يعطي الحياة تجديدها وديمومتها .

وكأن الشاعر أحسّ بأن كلامه هذا غير مصدق من قبل بسباسة التي عيرته بالهرم وبأنه لايحسن السر . فحدثها عن قوته وشجاعته وعدم قدرة زوج المرأة والسمّار في الوصول اليه ، رغم أنه يستبيحهم في نفس المكان .

لقد كانت الطاقة الشعرية لامرىء القيس دائماً وسيلة لتدفق الحياة في جنبات نفسه أذا ما تعرض لموت معنوي يهز كيانه فهو يواجه هذا الموت بقوة الحياة وقوة الفن أليس الفن جزء من حياة الأديب : وبعد ماذا عن أم الحويرث وأم الرباب وعنيزة ، والحامل والموضع .

ــ كدأبك من أم الحويرث قبلها   وجارتها أم الرباب بمأسل
أذا قامتا تضوع المسك منهما   نسيم الصبا جاءت بريّا القرنفل (١)

ويقول: فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع   فألهيتها عن ذي تمائم محول
أذا ما بكى من خلفها انصرفت له   بشق وتحتي شقها لم يحول (٢)

ويقول

ويوم عقرت للعذارى مطيتي   فيا عجباً من كورها المتحمّل
ويوم دخلت الخذر خدر عنيزة   فقالت لك الويلات إنك مرجلي (٣)

(١ – ٣) شرح الديوان ص ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٦ – ١٢٧ .

ولا نرى في أم الحويرث وأم الرباب غير بغيتين اعتاد امرؤ القيس الذهاب الى داريهما طلباً للمتعة فأثاره صدّ فاطمة وأصابه في كرامته،وكرامة امرىء القيس حياته ، فأسعفته شاعريته في خلق الواقع بشكل جديد فكانت قصة أم الحويرث وقصة أم الرباب وسيلتين لمجابهة الموت المعنوي الذي أصابته به فاطمة بصدها عنه ، فرد صدّها هذه المرة ايضاً عن طريق الفن الشعري وكأنه لم يكتف بهاتين القصتين فاورد قصة عنيزة ، الفتاة العذراء الجريئة المرحة في استيحاء ، والمشوقة الى شاعرنا في خفر،المانعة له في دلال ورغبة. وقد خلق لنا امرؤ القيس حياة كاملة بكل مافيها من أخذ وعطاء في قصة دارة جلجل ليواجه الموت المعنوي المتمثل في صدّ فاطمة له . وكأن كل ذلك لم يكفه فحدثنا عن فحولته وقدرته الهائلة على تجديد الحياة وعلى النماء في قصتي الحبلى والمرضع ، فكلاهما رغم الحياة التي أوجداها (الرضيع والجنين) تطلبان المزيد لان التوقف عن الحمل والرضاعة يمثل بالنسبة لهما توقف الحياة . وهما لاتشبعان منها وبالذات من الحياة التي يمنحها شاعرنا لأنه أقدر الرجال على منحها، نستنتج من تحليلنا لشعر أمري القيس الغزلي(١). انه لم يحب حباً حقيقياً .

(١) —المثل يقول (هو أغزل من امريء القيس) لسان العرب ج ٤ /٤.
والغزل هو حديث الفتيان والفتيات عن اللهو مع النساء « وقد سبق امرؤ القيس العرب إلى أشياء ابتدعها منها رقة النسيب » طبقات الشعراء ، لابن سلام ص ٢٧
والغزل وليد عاطفة الحب وتصوير نفسية قائله فهو إذن يتسم بالصدق الشعوري فقلما ينبعث عن محاكاة او تكلف .والغزل يتسم بالصدق الفني والقدرة على التعبير الصادق عن بواطنه والبراعة في تصويرها حتى لكأن القاريء يجسمها لقرائه وسامعية فيشاركونه مشاركة وجدانية في افراحه واتراحه .. وهو من أسمى ابواب الشعر العربي إن لم يكن اسماها . احمد الحوفي ، الغزل في الشعر الجاهلي ص ١٢—١٣ .
« أمرؤ القيس استاذ هذا الفن من كندة » عبد الحميد عابدين بين ، الحبشة والعرب

فقد اورد مغامراته الغرامية مورد الفخر (١) للتعويض عن النقص الذي يحسه في قرارة نفسه لعدم انجذاب النساء له : «قصيدة الغزل في أكثر الأحيان تمثل ردّ فعل... مبعثها الحاجة الغريزية».(٢) وهو ما فخر بقابليته الجنسية في هذه المواضيع– وهي مصدر ديمومة الحياة– الاّ لمواجهة صدّ النساء له وبعدهن عنه بسبب رائحته وهذا الصدّ يمثل الموت بالنسبة لشاعرنا لذا أكثر من ذكر مغامراته الغرامية. حقيقة كانت أم خيالا – لأنها تمثل له الحياة ليقف بواسطتها ضد الموت المتمثل في صدّ النساء له.

فهو يريد امرأة أية امرأة لأنها تمثل لديه الحياة لتمتص منه الشعور بالموت، لذا جاء غزله مادياً جميلا فيه عذوبة ورقة، كما أن « امرأ القيس مدلّ بجماله مغرور بنفسه وهو يحب المرأة التي يريدها ولكنه يتهمها بعدم الاخلاص »(٣) فالمرأة عنده غير صادقة دائماً لايوثق بها. ولعل ذلك الأحساس تولد لديه من عاملين أساسيين :

الاول : بعد النساء عنه بسبب رائحته، أو ربما بسبب العلل التي ذكرتها المرأة الطائية وهذا النوع من النساء اللواتي يواصلهن هن نساء محترفات، إعتاد أن يذهب إلى خيمهن وأماكن احترافهن.

الثاني: تعويض عما في نفسه من نقص تجاه المرأة، فبدا هذا التعويض بشكل سلبي بالنسبة للمرأة فهي دائماً خائنة لايوثق بها ولايعتمد عليها.

ومن هذه النقطة نلمس أن حبه للمرأة كان حباً لايعدو المتعة تدمغه الغريزة ويتعطش اليه الجسد، وبالاضافة إلى ما أوردنا من شواهد نورد شواهد أخرى للاستدلال على اندفاعه الغريزي تجاه المرأة – الجسدوالحرية والاستقرار – المرأة الحياة بكل أبعادها البدائية المتدفقة: يقول

---

(١) سعد دعبيس، تجربة الحب في الشعر الجاهلي، مجلة الثقافة العربيةالعدد، ١٢، ١٩٧٦ ص٢٨

(٢) جلال خياط ، الشعر والزمن ، ص ٨ .

(٣) أحمد مطاع قباني ، الشعراء النوابغ ، ص ٢٥

ـهصرت بفودي رأسهـــا فتمايلـــت عليّ هضيم الكشح ريّا المخلخل(١)

ويقول: اذا مالضجيع ابتزها من ثيابها تميل عليه هونة غير مجبال (٢)

ويقول: تقول وقد جردتها من ثيابها كما رعت مكحول المدامع أتلعا

وجـدك لوشيءٌ أتاني رسولـه سواك ولكن لم نجد لك مدفعا(٣)

وقد وضع نصب عينيه مثالا جسديا، المرأة الحياة، لتمثل عنفوان الجمال والشباب والحياة . فاذا به يضفي هذه المحاسن على نسائه(المرأة التي يريد). ونستطيع أن نحصر هذه المحاسن بما يأتي:

بيضاء الوجه :

دخلت على بيضاء جـمّ عظامها تعفّي بذيل المرط أذ جئت مودقي (٤) .

مشرقة وضاءة :

تضيء الظـلام بالعشاء وكأنها منارة ممسى راهب متبتّل (٥)

أسيلة الخدّ جميلة العينين:

تصد وتبدي عن أسيـل وتتقي بناظر من وحش وجرة مطفل (٦)

عذبة الريق :

كأن المدام وصوب الغـمام وريح الخزامى رذوب العسل

يعلّ بـه برد أنيـابـهـا أذا النجم وسط السماء استقل (٧)

صغر الاسنان :

ومؤشر عـذب مـذاقـتـه برد القلال بذاثب النحـل (٨)

اللثة السوداء :

منابته مثل السـدوس ولـونه كشوك السّيال فهوعذب يفيض (٩)

(١ – ٣) شرح الديوان ، ص ١٢٩ ، ١٤٠ ، ١١٣ .

(٤ – ٦) شرح الديوان ، ص ١١٩ ، ١٣١، ١٣٠ .

(٧) يعل : يسقي مرة بعده مرة م. س. ص ١٧١ – ١٧٢

(٨) مؤشر : فم حسن الاسنان ، م. س. ص ١٤٩

القلال : الماء المنحدر من أعلى الجبل .

(٩) السدوس : النيلج الأسود ، يفيض : يسيل على الأرض ، م. س. ص ١٠٤

طول الجيد :

وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش إذا هي نصّته ولا بمعطّل (١)

الشعر الجميل :

وفرع يزيد المتن أسود فاحم أثيث كقنو النخلة المتعثكل (٢)

الخصر الضامر والساق الجميلة :

وكشح لطيف كالجديل مخصر وساق كأنبوب السقيّ المذلل (٣)

حركة اعضاء الجسد :

أذا ما الضجيع ابتزها من ثيابها تميل عليه هونة غير مجبال (٤)

وهو في وصوله الى مثل هذه المرأة التي يشتهي ، المرأة المتعة (الحياة) يتجاوز الحراس لنوالها كما مرّ في أمثلة سابقة يستعين بسفراء يصلونه بمن يريد نوالها :

بعثت اليها والنجوم ضواجع حذار عليها أن تهب فتسمعا (٥)

وهو يصور استمتاعة الجسدي ، كما لاحظنا في أمثلة سابقة ، وهو لايترك أثر الفعلة فقد يرتدي ثوباً طويلا يعفي آثار قدميه أو تلبس هي ذلك الثوب الطويل :

خرجت بها تمشي تجر وراءنا على أثرينا ذيل مرط مرحّل (٦)

وتأتي فتاته بصحبة صويحباتها :

فجاءت قطوف المشي هيّابة السرى يدافع ركناها كواعب أربعا (٧)

وهولايحفل بالجوانب الروحية في المحبوب قدراهتمامه بالنواحي الجسدية(٨). وهو يصف المتعة التي تبعثها مثل هذه المرأة في نفسه :

وهل يعمن الآ سعيد مخلد قليل الهموم مايبيت بأوجال (٩)

(١- ٤) م. س ص ١٣٠ ، ١٣٠ ، ١٣٠ ، ١٤٠ .

(٥ - ٧) شرح الديوان ، ص ١١٣ ، ١٢٩ ، ١١٣ .

(٨) شرح الديوان ، ص ١٢٩ - ١٣١ ، ١٣٩ - ١٤٠ .

(٩) شرح الديوان ، ص ١٣٨ .

وقد استخدم امرؤ القيس جميع الحواس في وصفه للمرأة ويبدو لي أنّ الجاهلي لم يحفل كثيراً بحاسة السمع. فلم يصف لنا أمرؤ القيس جمال الصوت في سياق وصفه للمحاسن التي يطلبها في المرأة الحياة. وقد اهتم امرؤ القيس بالجوانب الحضرية للمرأة– والجانب التمدني يدل على تطور الحياة– فاهتم بالرفاه والدعة والتطيب، كما اهتم بوصف المرط والوشاح، والسابريّ، والمسك، والزنبق والخضاب، وأنواع طيوب الهند المختلفة.

وقد عني عناية خاصة بتشبيه المرأة بأشياء حضرية: فشبهها بالدمية، وبمصباح الراهب. وعني بالغزل وفخامة اللفظ والايجاز بالاسلوب وبالجرس الموسيقي العذب. وقد اقتضته الناحية الفنية على الاستعانة بالحوار وبالاسلوب القصصي لتوضيح الأبعاد التيّ يتطلبها الفن لأظهار المرأة بالمظهر الذي يراه هو، المرأة (الحياة).

فالمرأة في أحاسيس امرئ القيس ليست الأنثى فقط. بل هي امتداد الحاضر إلى الماضي والنزاع نحو المستقبل أيضاً. ويمتزج فيها الفرح بالغبطة وتتحول نتيجة لهذه التراكمات من الذكريات والآمال إلى رمز الحياة لمتعتها وجمالها وقدرتها على توفير السعادة والراحة له (١).

وقد عني امرؤ القيس بتجسيد النواحي المعنوية في المرأة رغم التشبيهات الحسية التي أوردها كما في قوله:

كأن المدام وصوب الغمام ... وريح الخزامي ونشر القطر

يعلّ به برد أنيابها ... اذا طرب الطائر المستحر (٢)

فقد ألفّ تأليفاً جميلا بين المدام والغمام والخزام والبخور على ثغرها وكأن الجمال لاملامح له ولاشكل الاّملامحها وشكلها. وكأن الحياة لاتتجسد الاّ في الطبيعة والمرأة التي جمعت جمالها المنثور، فالمرأة هي الطبيعة الحيّة عنده.

---

(١) انظر ايليا حاوى، امرؤ القيس، ص ٧٢.

(٢) شرح الديوان، ص ٧٩.

فنحن « نستشف عبر الابيات كلها نوعا من الاحساس العميق بالوحدة بين المرأة والطبيعة بحيث لاندرك اذا كان يحب الطبيعة عبر المرأة أو المرأة عبر الطبيعة»(١). وهكذا اختلطت الحياة (الجمال) بوحدة لاتنفصم عراها بين جمال المرأة وجمال الطبيعة فكلاهما يمثل الجمال في الحياة أو الحياة الحياة لتقف ضد الموت أو الموت في الحياة اي الموت المعنوي .

لقد كان امرؤ القيس يمتلك روح فنان قبل كل شيء ، ولما كانت وظيفة الفنان هي استجلاء الجمال في الكون ، فقد أمعن في استكنان الجمال الكامن في المرأة والطبيعة معا ، فكلاهما يمثل جمال الحياة ، ونتيجة لقصور في فهم فلسفة الجمال اتهمه بعض الباحثين بالدعارة والفجور وسوء الخلق .

وهم بهذا المقياس لم ينظروه بمنظار عصره أو بالمنظار الجمالي ، بل نظروه بمنظار الاخلاقيات الاسلامية فحسب .

وهنا يكمن الخطأ في التحليل .فقد درس امرؤ القيس لدى كثير من مؤرخي الأدب العربي من وجهة نظر اسلامية . دون وضعه عند الدراسة في إطار عصره وبيئته .وفي هذا النوع من الدراسة بعد عن الموضوعية لأننا ننسى أثر البيئة الكبير والعوامل المجتمعية التي خلقت الشاعر وجدانياً وفكريا في زمان ومكان معينين . وسحبوا على دراسته إفرازات اجتماعية مغايرة كل المغايرة للحقبة التي يعيشها ، وكأن الشاعر شيء يعيش في المطلق خارج الزمان والمكان اللذين يحددان إطاره وواقعه(٢) .

وهكذا قيس امروء القيس في معيار هؤلاء الباحثين بموازين أخلاقية اسلامية لابموازين عصر امرىء القيس فكانت النتيجة أن خرج البحث بنتائج سلبية بعيدة عن الدقة « فلو كانت الديانة عارا على الشعر وكان سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر لوجب أن يمحي اسم ابي نواس من الدواوين ويحذف ذكره إذا

(١) ايليا حاوي، امرؤ القيس ، ص ٦٢

(٢) انظر عز الدين اسماعيل ،الشعر والقيمة الحضارية ،الاقلام ، ١، ١٩٧٢ ص ٤

عدت الطبقات ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية ومن تشهد الأمة عليه بالكفر ولكن الأمرين متباينان والدين بمعزل عن الشعر » (١).

لقد عبّر امروء القيس عن مكنونات نفسه المصطرعة بين الحياة (الجمال) الذي يصبو في المرأة، والطبيعة والخمر والصيد والفروسية لتقف أمام الموت (الارتحال) الذي يخشى . وقد وصل امروء القيس بشعره هذا درجة عالية من الفن ، حتى بقي شعره في مقدمة الشعر الجاهلي حتى نهاية مدرسة الشعراء المحافظين في الربع الاول من القرن العشرين وكان شعره الى جانب تصويره للبيئة الصحراوية التي عاش فيها جماليا فنيا لذا بعث شعره على الاعجاب والتنفيس والسرور ، فقد عكس أحوال البيئة بصدق فني عظيم ولم يتصنع ويفتعل فهوجم من قبل مؤرخي الادب المسلمين ورغم ذلك فقد وضعوه في مقدمة الشعراء . يقول دريدن «ان المتعة هي الغرض الرئيسي للشعر ان لم تكن هي الغرض الوحيد . اما التعليم فلا يمكن الا أن يكون الغرض الثاني ...(٢) وربما كان اقذع ما توصف به قصيدة أنها تهذيبية أو تثقيفية ولايفوق ذلك الوصف اقذاعا الا قولنا أنها قبيحة»(٣).

ويرى الباحث أن ليست الاخلاق بحاجة الى تعهد متكلف لتثبت في تيار الحياة ولتدس في الفن على هذا النحو المصطنع .وان الفن كلما كان حراً في تصويره للواقع كلما كان ذلك أتم « ليس الوجدان الفني بحاجة الى الوجدان الأخلاقي يستمد منه العفة لأنه ينطوي في ذاته على هذه العفة التي هي الحياء الفني ويدسّ في الفن مالاتدعو اليه حاجة فنية أو يسوغه مسوغ فني — ولو كان أنبل المسوغات وأشرفها — فإنه لايكون قد أخطأ من الناحية الفنية فحسب، بل يكون قد أجرم من الناحية الأخلاقية لأنه أخل بواجبه من حيث أنه فنان» (٤)

---

(١) عبد العزيز الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ،ص ٦١

(٢ – ٣) جاريت ،فلسفة الجمال ، ص ٦٥، ٦٤ .

(٤) كروتشة ،المجمل في فلسفة الفن ، ص ١٧١ .

الطبيعة

إن العلاقة بين المرأة عند امرىء القيس والطبيعة بجوانبها المختلفة وثيقة جدا فهما يجتمعان في شعره معا في علاقة نفسية تصدر عن عاطفة واحدة وتشغل تفكير الشاعر ، لأن المرأة لديه عنصر آخر من عناصر الطبيعة . ولا ينكر احد ان جمال المرأة جزء من جمال الطبيعة وبالتالي فهما يمثلان معا — المرأة والطبيعة — جمال الحياة بكل أبعادها بالاضافة إلى انهما أمران أساسيان من نواميس حياة البدوي في الصحراء . إن ارتباط المرأة بالطبيعة عند امرىء القيس ارتباط نفسي فهو يأتي على وصف الطبيعة بعد وصف المرأة . فهما يرتبطان في ذكرياته معا والذكريات كما يقول فرويد: أفكار مرتبطة لاشعوريا يفيض بها التيار العصبي من غير تفكير يستثير الشعور فتتداعى الذكريات (١).

يقول امرؤ القيس في معلقته :

الا رب خصم فيك ألوى رددته ... نصيح على تعذاله غير مؤتل(٢)

وليل كموج البحر أرخى سدوله ... علي بانواع الهموم ليبتلي (٣)

ويقول ايضاً :

دخلت على بيضاء جم عظامها ... تعفّى بذيل الدرع إذ جئت مودقي

وقد ركدت وسط السماء نجومها ... ركود نوادي الربرب المتورّق (٤)

وقد أغتدى قبل العطاس بهيكل ... شديد مشكّ الجنب فعم المنطق (٥)

وهكذا انتقل بشكل سليم من وصف المرأة إلى وصف الليل إلى وصف الحصان دون أن نحسّ بتكلف أو نشعر بفجوة من خلال هذه الانتقالات ،

---

(١) فرويد ، كيف يعمل العقل ، ص ٤٥ ، ٣٠ .

(٢) الوى : شديد الخصومة ، غير مؤتل : غير مقصر في عذله ونصحه .

(٣) شرح الديوان ، ص ١٣٢

(٤) نوادي الربرب المتورق : وقوف قطيع الظباء بعد تناولها ورق الشجر .

(٥) العطاس : الصباح ، فعم المنطق : ممتلىء مكان النطاق .م. س. ص١١٩.

ويعود السبب في ذلك الى أن كلا من المرأة والليل والفرس مظهر من مظاهر الطبيعة الحيّة، فاستقبال المرأة لحبيبها ونبض النجوم وسط السماء والخروج على ظهر الفرس القوية في الغداة كلها مظهر واحد للحياة التي تنبض بها الطبيعة. والسبب في ارتباط الحس الجمالي للمرأة عنده بالحس الجمالي للطبيعة يعود إلى فقر الطبيعة الصحراوية وتشابهها وعدم تنوعها. وإحساسه الجمالي لها ينحصر في وصف مظاهرها الخارجية كما وصف المظاهر الخارجية لجمال المرأة. ولم يرتق في وصفهما إلى درجة المشاعر لخشونة العيش وانعدام الرقة وضآلة الثقافة. ومن هنا ارتبطت المرأة بالطبيعة في شعر امرئ القيس فكلاهما يمثل جمال الحياة ومتعها بالنسبة له. فهو يعجب بالمرأة كما يعجب بالطبيعة. لذا لم يترك وصفاً جميلا الا وقرنه بهما واضفاه عليهما، وهو في وصفه لا يتعدى التشبيه للمظاهر الجسدية الخارجية التي تكمّل صورة اشتهائه للمرأة وتدفع الرغبة في نفسه. وهذه السمة تدل على الحيوية والحياة. أليس التناسل رمزاً لتجدد الحياة وبقائها بالتالي؟ وهو عنصر أساس وحيوي في كيان الطبيعة.

لقد أحب امرؤ القيس الطبيعة حيث ولد وشب، فقد نشأ في طبيعة أكثر الشعراء من وصف جمالها ومحاسنها، فلا عجب أن يتأثر بها ويصفها ويضفي من خياله عليها.

ويظهر حبه للطبيعة من خلال شعره، فقد ذكر فيه أماكن عدّة، هي تلك الاماكن التي طوف فيها وعرفها، فبدت معشوقاته جزء منها، ورأى المرأة من خلالها، فقد ارتبطت أم الحويرث وهرّ بسقط اللوى، وأم الرباب بمأسل، وعنيزة بدارة جلجل. وهكذا امتزجت الطبيعة بالمرأة والمرأة بالطبيعة لتحليهما المباهج الحضارية التي عايشها الشاعر ولتختلط معا فتصور له الحياة الحقيقية الجميلة المتحركة أبداً المليئة بالحيوية والنشاط والمتعة:

غرائر في كنّ وصون ونعمـة　　يحلّين ياقوتا وشذرا مفقّرا (١)
وريح سنا في حقّة حميريّة　　تخصّ بمفروك من المسك أذفرا (٢)،
وبانا والويّا من الهند ذاكيا　　ورندا ولبنى والكباء المقتّرا
غلقن برهن من حبيب به ادعت　　سليمى فأمسى حبها قد تبتّرا (٣)
وكان لها في سالف الدهر خلّة　　يسارق بالطرف الخباء المستّرا (٤)
إذا نال منها نظرة ريع قلبـه　　كما ذعرت كاس الصبوح المخمّرا (٥)

لقد استطاع الشاعر أن يجمع بما أوتي من مقدرة شعرية فائقة بين جمال سليمى والفتيات اللاتي حولها والطبيعة المتمثلة بالريح الطيبة والخمرة المعتقة ومظاهر الترف آنذاك : الخباء، أنواع النباتات ذات الرائحة الطيبة، وأنواع الحليّ، بالاضافة إلى الحركة الجميلة التي أوردتها القطعة الشعرية، مسارقة الطرف لفتاته من طرف الخباء المستور ودقات القلب المتتابعة عندما يرى فتاته فيبهره جمالها .

ألم يجمع الشاعر مظاهر الحياة الجميلة بكلمات موجزة شاملة ؟

لقد اعتمد شعر امرىء القيس النزعة الحسية والشعورية عند تناوله الطبيعة والمرأة . فهو يعبر عن موقفه النفسي أزاء العالم الخارجي . لأنه يمتلك هذا العالم الخارجي من خلال نفسه التي تقف مترصدة لظاهرة الحياة في الطبيعة دون أن تستطيع فضّ أسرارها البعيدة ودون قدرة على التغيير أو التبديل ، فهو مبهور بقدر ماهو ملتذ بمظاهر الحياة في الطبيعة . وهو يحاول أن يجد السبيل — ولكن دون جدوى نتيجة لمحدودية ثقافة عصره — لامتصاص الفزع الذي يصطرع في نفسه عند انتهاء كل هذه المظاهر الجميلة وخفوتها متمثلـة

---

(١) مفقر : مصوغ
(٢) اذفر : صفة للمسك وهي طيب الرائحة
(٣) تبتر : تقطع . غلقن برهن : حل موعده وتعذر فكاكه .
(٤) خلة : صاحب ويريه نفسه .
(٥) المخمر : الذي ترفح من كثرة شرب الخمر .شرح الديوان ص ٦٨ — ٦٩ .

بالمرأة والفرس والناقة والظليم والليل والنهار والجماد والامطار إلى آخره « فيجد الانسجام في الشكل والحركة والتآلف في الالوان والنماذج في الخصائص والرموز فيحاول أن يصوغ ذلك كله في إطار اللفظ ... يقلده ويحاكيه ... لأن الشك لايعروه إزاءه فالخاصة الكبرى في شعر امريء القيس هي عبادة الطبيعة عبادة المادة بنوع من الوثنية الغامضة التي ترى في المادة كمالها في ذاتها ... الا أن الشاعر يعاني حسرة أزاءه وشعورا بالندم من زوال الاشياء وهرمها وتغيرها » (١) وهو إذ يصور لنا الطبيعة يلتصق بالواقع فيذكر لنا أسماء الاماكن وقد يذكر لنا إضافة إلى ذلك أبعادها الجغرافية ،وهو قد لايجمد على الواقع الحرفي في تصويره للطبيعة بل يصفها لنا منعكسة في حنايا نفسه :

كأن ذرى رأس المجيمر غدوة ... من السيل والاغثاء فلكة مغزل (٢)
كأن سباعاً فيه غرقى عشية ... بأرجائه القصوى أنابيش عنصل (٣)

فقد أعطى للاشياء العظيمة (ذرى رأس المجيمر ، السباع) وهي غرقى تشبيها لاشياء صغيرة (فلكة مغزل أنابيش عنصل) دلالة على صغر الاشياء العظيمة تجاه عظمة الطبيعة وقوتها . وما هذا الاحساس الفني العظيم في نفسه الا موازنة بين العظمة في الحياة وسرعة الزوال في الموت والفناء حتى أن الاشياء العظيمة (الحياة) تبدو صغيرة جدا تجاه الفناء (الموت) ولكن الحياة انتصرت في النهاية وبقيت على عظمتها :

والقى بصحراء الغبيط بعاعه ... نزول اليماني ذي العياب المحمل(٤)

فقد تصرفت المياه في حزن من الارض وتخلص المجيمر والسباع من خطر السيل حاملا معه ماأغناه من حيوان وشجر كما ينزل اليماني المحمل باعدال

(١) ايليا حاوي ،امرؤ القيس ، ص ١٦٤ — ١٦٥ .
(٢) الاغثاء : مايحمله السيل من بقايا .
(٣) الانابيش عنصل : البصل البري .شرح الديوان ص ١٣٧
(٤) شرح الديوان ، ص ١٣٧ ، بعاعه : ثقله ، العياب : الثياب

مملوءة بالثياب على القوم ، ولكن الحياة باقية وهكذا تتعاقب الحياة والموت كما يتعاقب الليل والنهار .

لقد كان وقوف امرىء القيس تجاه السيل موقفاً انسانياً مركباً فلم يكن السيل مجرد سيل أمام امرىء القيس بل كان تمثيلا لجبروت الطبيعة ، تمثيلا للجليل فيها (الموت). فقد جاء وصفه للسيل حواراً داخلياً عن الصراع الناشب في الطبيعة بين الحياة والموت « أراد الشاعر أن يعبّر عن تصوراته بشكل حوار داخلي أو استنباط لأحداث كانت أشباحها في نفسه قائمة تؤكد أن هذه الصور هي محاولات جديدة لتحقيق الذات وإشباع الفردية ومحاولات إيجاد صيغة جديدة في توزيع الاحساس الذي كان ينوء به الشاعر الجاهلي وهو يقع تحت طائلة الزمن وأحداثه » (١) .

وقد أعطى امرؤ القيس للمكان وللزمان وجودا فنيا يعادل وجودهما الواقعي في تصويره لطير المكاكي :

كأن مكاكي الجواء غديّـــــــه   صبحن سلافاً من رحيق مفلفل

فهذه الطيور النجدية تبكر في الصباح تشنف الاذان بصوتها الجميل وقد أجاد الشاعر في المبالغة الفنية لتصوير خوف الحيوانات الضخمة وفزعها من جبروت السيل وقت العشاء ، ليعقد هذا الصراع الأبدي بين عظمة الحياة وجبروت الموت :

ومرّ على القنّان من نفيـانه   فانزل منه العصم من كل موئل(٢)

كأن سباعاً فيه غرقى عشية   بارجائه القصوى أنابيش عنصل (٣)

فالوعول المتشبثة بالحياة أدركت خطر الموت يتهددها فنزلت من جبل القنان لعلها تجد سبيلا للخلاص ، فهي في النهار تصارع للنجاة ولكنها لم تستطع الاستمرار في هذا الصراع عند العشية فيغرقها السيل .

---

(١) نوري القيسي ، الحوار في القصيدة الجاهلية ، آفاق عربية ، العدد : ٥ ، ١٩٧٦ ، ص١٢٢ .

(٢) نفيانة : مانفي من قطره ، العصم : الوعول .

(٣) شرح الديوان ، ص ١٣٧ .

واذا كان السيل العارم ينعكس في نفس امرىء القيس ممثلا للموت وجلاله بحيث يخيف السباع ويكاد أن يغرق الجبال ، فإن الغيث يمثل الحياة ، وما فيها من خير وخصبه وقد يكون الغيث السيل . وكأن الشاعر يقول لولا الحياة لما وجد الموت ، فالحياة دائماً متقدمة ، والموت تابع لها ، فالحياة هي الأصل والموت تابع للاصل :

علا قطنا بالشيم أيمن صوبه وأيسره على الستار فيذبل
واضحى يسحّ الماء عن كل فيقة يكب على الاذقان دوح الكنهبل(١)

فاذا مالمع البرق يمينا وشمالا وسحّ بشكل غزير اقتلع اشجار الكنهبل العظيمة ورمى باغصانها القوية المتشابكة إلى الأرض ليجرفها السيل بعد ذلك . أليس في هذا القول آيه للصراع بين الحياة والموت ؟!

واذا حظي جلال السيل (الموت) بعناية الشاعر واهتمامه مرة ، فان عظمة المطر (الحياة) حظيت بعنايته كثيرا وتردد وصفه لها في أماكن كثيرة . ولاعجب أن يعدّ ذو الرّمة امرأ القيس أفضل شاعر وصف الغيث في قوله : (٢)

ديمة هطلاء فيهـا وطـف طبق الارض تحـرى وتـدر(٣)

فهذا المطر لاينعش الأرض ويفيد الشجر فحسب بل يمتع الحيوانات أيضا :

وترى الضّب خفيفاً ماهرا ثانياً برثنـه مايتعفر (٤)

وهو في قصائد أخرى يصف الخير العميم الذي يزجيه الغيث للارض والبشر والنبات والحيوان :

---

(١) فيقه : مابين الحلبتين أي ان المطر يسح وينقطع ثم يسح وهذا أغزر ، الكنهبل : شجر عظيم .

(٢) الديوان ، ص ١٤٤ .

(٣) شرح الديوان ، ص ٨٩–٩٠ ، الوطف : الدنو من الأرض ، تحرى : تتعمد المكان وتثبت فيه .

(٤) برثنه : مخلبه ، يتعفر : يلصق بالتراب .

أعنّي على برق أراه وميض ... يضيء حبياً في شماريخ بيض (١)

وهو إذ يدعو بالخير لشيء دعا له بالغيث الماطل :

سقى واردات والقليب ولعلعا ... ملثّ سماكيّ فهضبة أيهبا (٢)

فمرّ على الخبتين خبتي عنيزة ... فذات النقاع فانتحى وتصوّبا(٣)

وهكذا جاء الغيث في شعر امرىء القيس مقترنا دائما بالفرس التي تمثل حياة الشاعر . (٦)

الحصان والصيد :

يحظى الحصان باهتمام كبير في نفس امرىء القيس بحيث لايكاد يفارقه وكأنه حصنه الحصين . فهو لايبتعد عن حصانه الا ساعة يتحصن بخدرإمرأة. لأ نه يصاحبه دائما في مسيرة الحياة التي يحياها الشاعر وكما يعنى الشاعر بالاوصاف الخارجية لمحاسن المرأة يهتم بأوصاف الحصان ويتفنن فيها فهو « منجرد بقيد الاوابد . ضخم لاتستطيع الانفلات منه . أو هو ضامر شديد أيبس الجري لحمه . صلب كالهراوة .. أملس سريع . على العقب جيّاش .. على الأين جيّاش له أيطلا ظبي وساقا نعامه » (٤) ولكنّ هذا الحصان يبقى في حركة دائمة وكأنه بحركته تلك يريد أن يثبت وجوده مادام على ظهر هذا الحصان المليء بالحياة :

مكرّ مفرّ مقبل مدبر معاً ... كجلمود صخر حطّه السيل من عل

كميت يزّل اللبد عن حال متنه ... كما زّلت الصفواء بالمتنزّل (٥)

على العقب جياش كأن اهتزامه ... اذا جاش فيه حمية غلي مرجل (٦)

دربر كخذروف الوليد أمرّه ... تتابع كفيه بخيط موصّل (٧)

---

(١) شرح الديوان ، ص ١٠٨ — ١٠٩ الحبي : السحاب ، الشماريخ : اعالي الجبال ، بيض : وصف الشماريخ .

(٢) اسماء أماكن ، ملث : غزير المطر ، سماكي : نجم بالسماء تنسب اليه العرب المطر.

(٣) الخبت : المتسع من بطون الأرض ، شرح الديوان ، ص ٥٠

(٤) نوري القيسي ، وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية ، ص٥٦

(٥) الصفواء : الصخرة الملساء، المتنزل : السيل الجارف.

(٦) العقب : الجري المتواصل ، جياش : الذي يزداد جريه .

(٧) شرح الديوان ، ص ١٣٣ — ١٣٤

أليست هذه الحركة هي حركة الحياة بأجلى مظاهرها ؟ إن الشاعر بعد أن أثبت وجوده من خلال الطلل والترحل والناقة والمرأة والطبيعة يؤكد الحركة التي تتمثل فيها استمرارية الحياة وهو على ظهر الحصان . حصنه المكين الذي عليه يمارس حريته عند ذوبانه في جمال الطبيعة . وهو ينتقل في أرجائها هنا وهناك ، أو ينقله إلى المحبوب أو يأخذه إلى اماكن لهوه أو إلى «ممارسة هوايته في الصيد، لذا لم تعد انتقالات المعلقة مجرد أغراض تتعاورها وتلحق بها بالتناوب بل هي شرح لأصالة النزوع نحو الفعل الذي يدركه الشاعر الجاهلي كجسد للجوهر وكرقعة للانجاز في آن معاً . إن الجاهلي لايستطيع أن يتصور ذاته خارج إطار الفعل وبأختصار خارج التاريخ. فالفعل بالنسبة إليه هو الحقيقة المطلقة التي لاوجود لها الاّ إذا تجسدت في عالم الوقائع... فالجاهلي يتوحد مع الفعل بحيث يغدو كل منهما علّة ونتيجة للآخر . الانسان مشروط بالفعل والفعل مشروط بالانسان». (١)

وترتبط حركة الحصان على الأغلب بالصيد حيث يطارد قطيع الظباء المهاة فيلحق بها وهو ينضح عرقاً لشدة جريه وقوة حركته، كما في تلك اللوحة الجميلة التي قدمها لنا امرؤ القيس في معلقته، ولوحاته الأخرى لايقل جمالا عن لوحته السابقة حيث يبقى الصراع بين الحياة والموت على أشده ويبقى صراع الفريسة من أجل الحياة على أشد مايكون وأروعه (٢)

بعجلزة قد أترز الجري لحمها كميت كأنها هراوة منوال (٣)
ذعرت بها سرباً نقياً جلوده واكرعه وشي البرود من الخال (٤)

---

(١) يوسف اليوسف : الواقعة والمفهوم في المعلقات : الثقافة العربية ، العدد : ١١ ، ص٩٠ ١٩٧٦ .

(٢) انظر / الديوان ، ص ٢٢ ، ٣٧ ، ٤٩ ، ٧٦ .

(٣) عجلزة : فرس شديدة قوية اترز : أيبس

(٤) الخال : اثواب يمنية شفافة .

كأن الصوّار إذ تجـّـهـد عـدوه على جمزى خيل تجول باجلال(١)
فجال الصوار واتقين بـقـرهـب طويل القرا والرّوق أخنس ذّيال(٢) .

إن جواد امريْ القيس ليس جواد قتال رغم قوته وسرعته، بل هو جواد صيد يعادي الظباء والبقر الوحشي ويظفر بها، الصراع هنا من أجل الحياة حياة الفريسة تعتمد على السرعة بالدرجة الأولى ، فاذا استطاعت أن تسبق الجواد بقدرتها الفائقة على الركض نجت وفازت بالحياة والا ّ كان نصيبها الموت . ومن الغريب جداً ان نجد امرأ القيس الانسان المليْ بالحياة لايتعاطف مع الفريسة، بل هو في الغالب يظفر بها ليقيم وليمة فاخرة لندمائه أو اصدقائه أو ليثبت قدرة جواده وسرعته . وقد يتبادر إلى الذهن سؤال عن سبب ذلك.

يعتقد أن السبب في ذلك هو مشاهدات امرىءالقيس الواقعية للحياة بسبب كثرة ترحاله وتجواله . فان الحيوانات القوية تفوز بالحيوانات الضعيفة إنها شريعة الغاب . وقد مارس امرؤ القيس هذا الفعل عندما كان يحتاج الى الطعام له ولندمائه ، فناموس الحياة هو الصراع وطبيعة الحياة هي أن تمد أحياءها بالغذاء ، وقد كان غذاؤه صيد الطرائد .

أما في الحالة الثانية . فشدة حبه للحصان ولأن الحصان حصنه المانع الذي لايفارقه ابداً :

وبات عـلـيـه سـرجه ولجـامه وبات بعيني قائماً غير مرسل(٣)

فهو يريد له أن يفوز في صراع الحياة والموت (الصيد) مادام الحصان يمثله هو . فهو عندما يريد الفوز للحصان في هذا الصراع انما ينقل هذا الفوز لنفسه لأنه هو الذي يقود الحصان فهو والحصان واحد . والصياد عند امرىء القيس لايرافقه حصانه فقط بل يصطحب معه كلابا لمطاردة الفريسة ، ويعطينا الشاعر لوحة رائعة للصراع بين الحياة والموت ، بين

---

(١) الصوار : القطيع من بقر الوحش ، جمزى : سم مكان
(٢) القرهب : فحل البقر المسن ، القرا : الظهر ، الروق : القرن . شرح الديوان ص١٤٥
(٣) الديوان ، ص٢١ .

الكلب الذي يريد أن يفوز بالثور والثور الذي يدافع عن نفسه من اجل الفوز بالحياة .

فيدركنا فغم داجن سميع بصير طلوب نكر (١)
ألصّ الضروس حبيّ الضلوع تبوع طلوب نشيط أشر (٢)
فأنشب أظفاره في النسا فقلت هبلت الا تنتصر (٣)
فكر اليه بمبراته كما خلّ ظهر اللسان المجر (٤)
فظل يرنح في غيطل كما يستدير الحمار النّعر (٥)

لقد اعطانا امرؤ القيس أجمل لوحة للصراع بين الحياة والموت . وأجمل انتصار للحياة عندما نطح الثور الكلب بقرنه فجعله يدور حول نفسه ألماً. وهكذا نجا من موت محقق وفاز بالحياة . إنها لوحة الحياة من أجل الحياة ضدّ كل مغتصب لها في خضم الطبيعة العارمة التي لاتجد فيها غير الصراع من أجل الحياة

« ليست قصة الثور الوحشي سوى قصة رمزية يتناولها الشاعر من هذه الصحراء التي يضطرب فوق رمالها ويتحدث من ورائها عن هذه الرحلة رحلة الحياة في مخاوفها وقلقها واطمئنانها وأحلامها أو بعبارة أخرى أنه يصور واقع الحياة على مرآة وجدانه ويبين رأيه فيها» (٦) .

وقد عاد امرؤ القيس ثانية لوصف الصراع بين الثور والكلاب (٧) فاذا ما انزاح ستار الليل وخرج الثور من مكنسه تربصت به الكلاب الجائعة تريد

---

(١) فغم : اسم الكلب

(٢) ألص : ملتصق ، حبي الضلوع : ظاهر الضلوع لضعفه ، اشر : بهم .

(٣) النسا : عرق في الفخذ إلى القوائم ، هبلت : دعاء .

(٤) مبراة : قرن (*) المجر : الذي يدخل العود ، وشبه طعنه الثور بقرنه للكلب كن ادخل عوداً في لسان الفصيل — ولد الناقة لئلا نصل عن امه — ليمنعه من الرضاع .

(٥) غيطل : الشجر الملتف ، النعر : النعرة ذبابة خضراء تدخل في انف الحمار ، شرح الديوان ، ص ٨٠

(٦) وهب رومية ، الرحلة في القصيدة الجاهلية ، ص ٢٠٤

(٧) انظر / شرح الديوان ، ص ١٠٠ — ١٠٢

أن تنشب فيه أنيابها ومخالبها، فيحسّ الثور بالخطر ويلوذ بالفرار مثيراً الغبار في وجوه الكلاب .وبعد أن أجهدت نفسها للحاق به أنشبت أنيابها بالساق والنسا .ولكنه كافح من أجل الخلاص منها فلاذت بالشجر تعبة مرهقة مكدودة ومضى نشيطاً مرحاً :

فغورن في ظل الغضى وتركنه كقرم الهجان الغادر المتشمّس (١)

وقد لجأ امرؤ القيس الى تصوير الحالة النفسية للثور وهو يجابه الخطر المتمثل بالكلاب :

وأيقن أن لاقينه أن يومه بذي الرمث ان ماوتنه يوم أنفس(٢)

إن امرأ القيس يدافع عن الحياة في تصويره للصراع بين الكلاب (الموت) والثور (الحياة) حيث ينتصر الثور (الحياة) دائماً في نهاية الصراع ويفوز بحياته ، بينما ترتد الكلاب (الموت) خائرة مرهقة لاتستطيع اللحاق به . وهكذا تنتصر الحياة على الموت في صراع البقاء بين الحيوانات ذاتها ، كما انتصر الجمال والحب (الحياة) على الموت (الطلل) كما بينا سابقاً .

وكان حظ الحمار الوحشي حظاً وافراً مثل حظ الثور في اللوحات التي رسمها له :

فهو في آن يغني ويبعث صوته في الأسحار جميلاً منعشاً في وادي خصيب مليء بالكلأ والشجر (٣) .

---

(١) غورن : دخلن ،ظل الغضى : ملتف الشجر ،قرم الهجان : الحمل الضروب ، الغادر : المسك عن الضراب ، المتشمس : الذي ترك الضراب وبرز إلى المتشمس مرحاً نشيطاً : شرح الديوان ص ١٠٢

(٢) يومه : حينه وموته ، ذو الرمث : اسم مكان ، ماوتنه : استماتت في طلبه واستمات الثور في دفعهن عنه ، يوم أنفس : يوم ذهاب نفوس فاما نفسه واما نفوس الكلاب ، شرح الديوان ص ١٠٦

(٣) شرح الديوان ، ص ٣٤ - ٣٥

ثم يعود ليصور لنا الحمار الوحش نشطاً قوياً يسوق أتنه المستعدات للضراب ليعيد تجديد الحياة (١) . ويعطينا في لوحة كاملة تمثل جمال الحياة وروعتها عندما يقود الحمار الوحش الأتن الى مورد الماء للارتواء ثم يعيدها الى الهضاب مرحة سعيدة (٢) .

« ان هذه القصص رمزية لم يقصد الشاعر بها الى وصف حياة الحيوان ... بل يقصد أولا وقبل كل شيء الى الحديث عن رحلة الحياة نفسها ... فليست هذه السرعة سوى صورة حية من توالي الأيام وتعاقب الليالي وليست تحفل بالساقطين والضعفاء والمهزومين فتتوقف أو تبطيء بل تمضي سريعة ... وهو قبل كل شيء رحيل العمر أو رحلة الحياة في هذه المفازة الصّعبة التي نعاشر في أحضانها الحزن والفرح » (٣) .

وأذا ما ظفر الصياد مرة بصيد حمار وحشي أو ثور يحصل ذلك بعد صراع طويل بين الحياة والموت :

فصاد لـنـا عيراً وثـوراً وخاضبا عداء ولـم ينضح بماء فيعرق (٤)

لقد كان انتصار الصياد على الحيوانات البرية مسبباً لدى امرىء القيس، فان الانسان دائماً هو سيد الموقف . وكأن الشاعر يريد أن يجعله سيد الطبيعة ليتمكن بعد ذلك من كشف سرّ هذا المجهول (الموت) . لقد قتل امرؤ القيس هذه الحيوانات ليوفر الطعام لصحابه خشية أن يموتوا جوعاً . فموت الحيوان أهون على نفس امرىء القيس ضمن خضم صراع البقاء من موت الانسان :

وظل صحابـي يشـتوون بنعمة يصفون غارا بالمكيك الموشّق (٥)

(١ — ٢ — ٤) شرح الديوان ، ص ١٠٦،٥٨ — ١٠٧ ، ١٢١ ،

(٣) وهب رومية : الرحلة في القصيدة الجاهلية ، ص ٢٤١ .

(٥) المكيك الموشق : اللحم المقطع ،وشائق يطبخ بالماء والملح ثم يجفف ويحمل للطلب م. س. ص ١٢١

ولكن هذه الصورة اذا ما قارناها باللوحات الاخرى نجدها لوحة سريعة وناقصة ، وكأنه في باطنه غير راض عن هذا الموت لتلك الحيوانات المليئة بالحيوية والنشاط وإن كان المنتصر في حلبة الصراع هو الانسان « فعناصر المشهد وجوانبه المختلفة كاملة ولكنها متفرقة فالوحدة في التأليف مفقودة والترابط قد لايكون ضرورياً لشاعر ينظر الى الطبيعة الواسعة نظرة شمول بأرضها وسمائها وظواهرها المتباينة ولكن الوحدة الشعورية قد تكون البديل الذي ارتضاه امرؤ القيس لنفسه » (١).

لم ينته الصراع بين الحياة والموت مع امرىء القيس حتى بعد موته ، لقد استمر صراعه مع الفناء وانتصر عليه . وبقي امرؤ القيس مخلداً في نفوس محبي الأدب لانه كان متفاعلا مع الحياة وصادقاً مع نفسه وعكس كل ذلك في شعره وفي نفوس قرائه .

---

(١) عبد القادر حسن امين : شعر الطرد عند العرب ص ٢٩٠ .

المصادر

١ – ابن رشيق القيرواني، العمدة، بيروت. دار الجيل، ١٩٧٢

٢ – ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، القاهرة، مطبعة المدني، بلا

٣ – ابن قتيبة، الشعر والشعراء، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٩

٤ – ابن منظور، لسان العرب، القاهرة . مطبعة بولاق، بلا

٥ – ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، ١٩٦٣

٦ – احمد الحوفي ، الغزل في الشعر الجاهلي ، القاهرة، مكتبة النهضة مصر، بلا

٧ – احمد مطاع قباني واحمد الكردي، الشعراء النوابغ. دمشق، مطبعة الوفاء، بلا

٨ – ايليا حاوي، امرؤ القيس شاعر المرأة والطبيعة، بيروت، دار الثقافة ١٩٧١

٩ – بدوي طبانة، معلقات العرب، القاهرة . مطبعة الرسالة. ١٩٥٨

١٠ – جاريت، فلسفة الجمال، القاهرة. بلا

١١ – جلال الخياط، الشعر والزمن. بغداد، دار الحرية، ١٩٧٥

١٢ – حسن السندوبي، شرح ديوان امرئ القيس، القاهرة، مطبعة الاستقامة، بلا

١٣ – حسين عطوان، مقدمة القصيدة في الشعر الجاهلي، دار المعارف. ١٩٧٠

١٤ – حنا فاخوري، تاريخ الأدب العربي، بيروت، المطبعة البولسية . ١٩٥٤

١٥ – سيد حنفي حسنين، الشعر الجاهلي مراحله واتجاهاته الفنية . القاهرة الهيئة المصريه العامة، ١٩٧١

١٦ – شكري فيصل، تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام. دمشق، مطبعة الجامعة دمشق. ١٩٦٤

١٧ – شوقي ضيف، تاريخ الادب العربي، العصر الجاهلي، القاهرة. دار المعارف، ١٩٦٢

١٨ – طه حسين، في الأدب الجاهلي، القاهرة. دار المعارف. ١٩٦٢

١٩ – عبد الحميد عابدين، بين الحبشة والعرب، القاهرة، مطبعة الاعتماد، بلا

٢٠ ــ عبد القادر حسن أمين ، شعراء الطرد عند العرب ، النجف ، مطبعة النعمان ، ١٩٧٢
٢١ ــ عز الدين اسماعيل ، روح العصر ، بيروت ، دار الرائد العربي ، ١٩٧٢
٢٢ ــ علي بن عبد العزيز الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاهرة ، دار أحياء الكتب العربية ، ١٩٤٥
٢٣ ــ عنترة بن شداد العبسي ، الديوان ، القاهرة ، المكتب الاسلامي ، ١٩٦٤
٢٤ ــ فخري الدباغ ، الموت اختياراً ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٩٦٨
٢٥ ــ فرويد ، كيف يعمل العقل ، ت محمد خلف الله ، القاهرة ، بلا
٢٦ ــ فرويد ، القلق ، القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٥٧
٢٧ ــ كروتشه ، المجمل في فلسفة الفن ، دمشق ، دار الاوابد ، ١٩٦٤
٢٨ ــ محمد ابو الفضل ابراهيم ، ديوان امرئ القيس ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٩
٢٩ محمد صالح سملك ، أمير الشعر في العصر القديم القاهرة مطبعة النهضة ، بلا
٣٠ ــ محمد عبد العزيز الكفراوي ، الشعر العربي بين التطور والجمود ، القاهرة ، دار النهضة مصر ، ١٩٦٩
٣١ ــ محمد كامل حسين ، الشاعر العربي والذوق المعاصر ، القاهرة ، مؤسسة دار الشعب ، بلا
٣٢ ــ محمد النويهي ، الشعر الجاهلي ، القاهرة ، الدار القومية ، بلا
٣٣ ــ محمود شكري الآلوسي ، بلوغ الارب في احوال العرب ، بغداد دار السلام ، ١٣١٤
٣٤ ــ نجيب محمد البهبيتي ، تاريخ الشعر العربي ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩٥٠
٣٥ ــ نوري حمودي القيسي ، دراسات في الشعر الجاهلي ، دمشق ، دار الفكر ، ١٩٧٢

٣٦ – نوري حمودي القيسي، وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية ، الموصل، مطبعة الجامعة، ١٩٧٤

٣٧ – يحيى الجبوري، الشعر الجاهلي، بغداد، دار التربية ، ١٩٧٢

٣٨ – وهب رومية ، الرحلة في القصيدة الجاهلية ، بيروت ، اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، ١٩٧٥

٣٩ – هاملتون جب ، المدخل في الأدب العربي، ت. كاظم سعد الدين، بغداد، دار الجاحظ، ١٩٦٩

الدوريات

٤٠ – أنس داود، قراءة جديدة لمعلقة أمرئ القيس ، مجلة البيان ، العدد ١٢٢ ، ١٩٧٦

٤١ – سعد دعبيس، تجربة الحب في الشعر الجاهلي، مجلة الثقافة العربية ، العدد ١٢، ١٩٧٦

٤٢ – عز الدين اسماعيل، الشعر وقيمته الحضارية، مجلة الاقلام، العدد١، ١٩٧٢

٤٣ – فيصل حسين صوفي، عصرية القصيدة الجاهلية، مجلة الثقافة العربية، العدد ٥ ، ١٩٧٦

٤٤ – نوري حمودي القيسي ، الحوار في القصيدة الجاهلية، مجلة آفاق عربية، العدد ٥، ١٩٧٦

٤٥ – يوسف اليوسف، الواقعة والمفهوم في المعلقات، مجلة الثقافة العربية ، العدد ١١، ١٩٧٦

الجَرسُ والإيقاعُ في تعبيرِ القرآنْ

د. كاصد ياسر حسين

الموسيقى (١) في تعبير القرآن صورة للتناسق الفني فيه ، ومظهر من مظاهر تصوير معانيه ، وبالتالي هي آية من آيات هذا الاعجاز الذي يتجلى — فيما يتجلى — في اسلوبه المتميز الرفيع . ولم يكن القرآن شعراً لتكون موسيقاه على غرار موسيقى الشعر الخارجية من تفعيلات متزنة متكافئة ، وقواف مطردة متناظرة ، وانما هو نثر له خصائص النثر جملة ، الا انه نثر من نوع فريد ، نثر لم تعرف له العربية نظيراً في تراثها الادبي وفنها القولي .

واذا كانت الحياة العقلية والاجتماعية والدينية التي جاء بها الاسلام مباغتة قوية للحياة الجاهلية ، وقفزة نوعية في حياة الامة العربية ، فان هذه الظاهرة القرآنية الجديدة ظاهرة الموسيقى القرآنية ، قد أتخذت سمة بارزة متميزة يمكن وصفها بانها مباغتة «أذ لم يحدث للغة العربية تطور تدريجي بل — حدث — ما يشبه الانفجار الثوري المباغت ، كما كانت الظاهرة القرآنية مباغتة » . (٢)

---

(١) الموسيقى لفظة يونانية الاصل mousike كانت تطلق عند اليونان القدماء على الفنون بعامة ولاسيما الشعر والغناء (مرمرجي: عربية – سامية ص ٤٠)، وعني بها فيثاغورس وافلاطون وأرسطو ،وكان افلاطون خاصة يعدها مهذبة للنفوس (الكاتب: كمال أدب الغناء ص٢٤، وجوليوس : الفيلسوف وفن الموسيقى ص ٢٨ وما بعدها) . ثم عربها العرب قبل الاسلام، وكانوا يسمونها– فضلا على التسمية باللفظة المعربة– بعبارة عربية صرف هي: « علم الايقاع والنغم» (مرمرجي: ٤٠). وقد صنف فيها كثيرون بعنوانات متباينة دالة عليها، الا ان غير واحد ذكرها بلفظها المعرب، من اقدمهم: احمد بن الطيب السرخسي (ت ٢٨٦هـ) في مصنفاته : « المدخل إلى علم الموسيقى» و« كتاب الموسيقى الصغير » « كتاب الموسيقى الكبير» (حسين محفوظ: قاموس الموسيقى العربية ص ٤٢٣)،كما الف فيها أبو نصر الفارابي(ت ٣٣٩) مصنفه الضخم : «كتاب الموسيقى الكبير» المطبوع. واستعملت اللفظة في العصر الحديث في الدراسات اللغوية والادبية وبخاصة في جرس الشعر وايقاعه كما استعملت للدلالة على الجرس والتنغيم والايقاع في القرآن الكريم، على نحو ما نجد في« اعجاز القرآن» للرافعي، و« من بلاغة القرآن» للدكتور احمد بدوي، و« دراسة أدبية لنصوص من القرآن الكريم » لمحمد المبارك، و« التصوير الفني في القرآن» لسيد قطب.

(٢) مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية ص ٢٣٢.

« أذا وقعت في آل حم ، (١) وقعت في روضات دمثات أتأنق فيهن » . أي أتتبع محاسنهن . (٢)

وقد أنكر عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) ان يكون ابن مسعود ، أنما وصف الحواميم بهذا الوصف « من أجل أوزان الكلمات ومن أجل فواصل في اواخر الآيات » ، (٣) وارجع ذلك الى المعاني التي عليها مدار النظم عنده ، وهذه المعاني هي « معاني النحو واحكامه فيما بين الكلم » . (٤) وايضاً استبعد ان يكون الجاحظ قد ذهب الى مزية اللفظ الموسيقية حين قال في بعض كتبه : «ولو أن رجلا قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم عورة واحدة ، لتبين له في نظامها ومخرجها من لفظها وطابعها أنه عاجز عن مثلها » . (٥)

ولاشك ان ابن مسعود لم يذهب في وصف الحواميم الى مجرد هذا الملحظ الموسيقي من الفواصل واوزان الكلمات ، بل لابد انه ذهب الى اعمق من ذلك وأدق ، الى ائتلاف الاصوات اللغوية في الكلمة الواحدة وانسجامها موسيقياً ،والى أئتلاف أواخر الالفاظ وتناغمها ، بحيث تتصل اللفظة باللفظة من غير نبو ولا شرود ، فيحس القارىء وهو يتلو تلك السور بانسيابية موسيقية رائعة . وفي كلام الجاحظ الذي اوردناه آنفاً نقلا عن عبد القاهر ، ما يشعربهذه الخصيصة الموسيقية المزدوجة ، متجلية في اللفظة المفردة وفي نظم الكلمات . وعبارته التي يقول فيها : «لتبين له في نظامها ومخرجها من لفظها وطابعها» دالة على ذلك بوضوح ، فيما يبدو لنا . وعناية الجاحظ – المعروفة – باللفظ تفسح لنا المجال في ان نفهم عبارته هذا الفهم .

على ان معاني القرآن ليست بمعزل عن هذه الميزة التي بيناها وهي الموسيقى

---

(١) يريد: الحواميم.

(٢) و(٣) الجرجاني: دلائل الاعجاز ص ٣٥٨، ٣٥٩.

(٤) المصدر نفسه ص ٣٦٠.

(٥) الجرجاني: دلائل الاعجاز ص ٣٥٩.

أذ ان هذه المعاني السامية الفريده ،تؤدى بألفاظ جزلة فصيحة ذات موسيقى ملائمة لتلك المعاني ، على ما سنرى .

وبذلك يتبين لنا ان هذه الحلاوة التي استشعرها العربي في الجاهلية وصدر الاسلام بفطرته وذوقه ووجدانه ، اتخذت سمة التعليل والتحديد بوضوح في النصف الاول من القرن الثالث للهجرة على يد الجاحظ . كما تناولتها من بعد، أيدي البلاغيين الباحثين عن اعجاز القرآن كالرماني والباقلاني والزمخشري وغيرهم ، وان كان بحث طائفة منهم في هذا الجانب قاصراً أذ لم يتجاوزوا لمح الفواصل والمقاطع ، وما فيها من امارات البلاغة والاعجاز ، وهي جانب من موسيقى القرآن وليست جميع الجوانب .

موسقى القران في تصوير المحسنات : —

يعني القرآن بالجرس والايقاع عنايته بالمعنى . وهو لذلك يتخير الالفاظ تخيراً يقوم على اساس من تحقيق الموسيقى المتسقة مع جو الآية وجو السياق ، بل جو السورة كلها في كثير من الاحيان. وبخاصة تلك السور القصار التي حفل بها العهد المكي. لتأكيدها أصول العقيدة الاسلامية : من الايمان بالله وتوحيده، والتصديق برسالة النبي المبعوث (ص) ، وبالبعث والنشور ،والجنة والنار، ، وما الى ذلك من موضوعات هامة في بناء العقيدة الاسلامية .

فالقرآن يستعمل الالفاظ ذات الجرس الموسيقي الناعم الرخي والسلس الموحي ، في المواضع التي يشيع فيها جو من الحياة الهانئة الجميلة .

فالصبح حين ينشر ضوءه في الآفاق ، ويبث الحياة في الطبيعة الهامدة الساكنة وفي الانسان يتخير له القرآن هذه اللفظة الموحية المؤدية بجرسها لحركة الفجر الشفيفة المتئدة ، وهي لفظة «تنفس» ، ذات الجرس الهامش الرقيق،فيقول: « والصبح أذا تنفس » . (١) ولو تأملنا في رقة هذه اللفظة وسلاستها لوجدناها ملائمة لرقة الصبح ونداوته ،يبدو ذلك في همس (٢)التاء والسين

(١) التكوير : ١٨.

(٢) حروف الهمس : هي حروف يضعف الصوت بها عند جري النفس معها، فلم يقو الصوت بها قوته في حروف الجهر، فصار فيها نوع من الخفاء. ولذلك اتسمت الحروف المهموسة بالرقة، وهي عشرة يجمعها قولك : فحثه شخص سكت.

وموسيقاه ملكا عليه كل أحاسيسه، حتى وصفه بهذه الصفة التي تنبئ عن تحير وانقطاع وهروب من مواجهة روعة الكتاب المعجز المبين .

وارتباط الموسيقى بالسحر قديم في التصور الانساني أذ «كان الاغريق يعتقدون ان للموسيقى قوة سحرية ، شأنهم في ذلك شأن العالم الشرقي » ، (١) ، وكلام الوليد مبني – فيما يبدو – على هذا التصور الاسطوري لأثر الموسيقى البليغ في النفس والوجدان .

ان هذه الحاسة الموسيقية أو «الهيئة الشعرية» كما يسميها الفارابي (٢) فطرية في الانسان منذ تكوينه ، أو على حد قوله : «مركوزة فيه من اول كونه» (٣) وهي في اللغة العربية وفي أحساس العربي اكثر ظهوراً ، حتى ان كثيراً من الدارسين «يصف لغتنا بأنها لغة موسيقية ، وانها انحدرت الينا وقد اكتسبت هذه الصفة منذ أقدم نصوصها» ، (٤) وتلك الخصيصة اكسبت سمع العربي قدرة فائقة في الحكم على النصوص والتمييز بين الفروق الصوتية الدقيقة فصار مرهفاً يستريح الى ضرب من الكلام لحسن وقعه . وينفر من آخر لنبو جرسه . (٥) ولقد بلغ القرآن الذروة في التأثير في سمع العربي ووجدانه : بعذوبة جرسه وجمال ايقاعه ونغمه .

وليست الحلاوة التي عناها الوليد – هذا البليغ – الا الموسيقية التي تنفذ الى صميم الوجدان ، فتحركه بل تهزه ، وتثير مكان الاعجاب والاستحسان، فهي أذاً حلاوة وجدانية وليست حسية ، ولذلك تدرك ولا تعلل في كثير من الاحيان وهذا سرمن اسرار القرآن ، وقد جعلها الحسن بن أحمد الكاتب (من أدباء القرن السادس للهجرة) ، صفة موسيقية ، وهي عنده مقابلة للفجاجة ، مثلما يقابل اللين الشدة والخفة الثقل ، (٦) ولذلك وصف

---

(١) كورت زاكس: تراث الموسيقى العالمية ص٤٥.

(٢) و(٣) كتاب الموسيقى الكبير ص ٧٠.

(٤) ابراهيم انيس: دلالة الالفاظ ص ١٩٥.

(٥) ابراهيم انيس: دلالة الالفاظ ص ١٩٥.

(٦) الكاتب: كمال أدب الغناء ص ٢٥.

لحنا لم يستحسنه لحن به بيت من الشعر قائلا : « فانه صوت فج قليل الحلاوة » . (١) فاذا علمنا ان الفجاجة من كل شيء تعني — في اللغة — عدم نضجه حتى قيل : ثمار فجة ، (٢) وتعني تبعاً لذلك عدم الاستلذاذ والاستمتاع بالمأكول تبين ، لنا ان مفهوم الحلاوة الموسيقية التي وردت في النصوص الجاهلية والاسلامية ، ليست الا استمتاع بالجرس والايقاع الجميل المكتمل المشتمل على اعلى صفات الحسن .

وكأن الوليد ايضاً أراد هذا ، حين سمع الرسول (ص) يتلو عليه سورة (حم السجده)، فاذا به يدهشه أمر القرآن ، فيقول من غير تردد ولا كتمان: « ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة ، وان أسلفه لمغدق ، وان اعلاه لمثمر ، وما يقول هذا بشر» . (٣)

حتى أذا صار القرآن سمير الصحابة ورفيقهم الذي لايغادرونه في حلهم وترحالهم ، وجدنا ذلك الشعور العميق بروعة الموسيقى القرآنية يتعاظم في نفوسهم، مثلما تتعاظم المعاني والمفهومات ، ووجدنا من اقوالهم ما يفصح عن احساس جمالي بهذه الموسيقى التي أزدانت بها سور القرآن . فاذا كان الوليد بهرته سورة واحدة من (الحواميم) (٤) قد سمعها فان الصحابي العالم عبد الله بن مسعود بهرته غير واحدة من هذه السور . بل بهرته كلها من غير استثناء ، حتى شبهها بالروض الأنف الذي ان حل فيه حال ، لم يرق له ان يتركه وشيكاً أو يمر به سريعاً ، بل يتملاه ببطء ويستمتع به على ريث، لينعم بما فيه من حسن وروعة . وقد يسرت له ملكة الايجاز صوغ هذا الاحساس الفائق ، بهذه العبارة البديعة :

---

(١) المصدر نفسه: ص ٢٧.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة (فجج) ٣/١٦٤.

(٣) الجرجاني: الرسالة الشافية ص ١٢٥، دلائل الاعجاز ص ٣٥٨، والعلوي: الطراز ٣/٢١٨.

(٤) الحواميم: هي السور المبدوءة بالحرفين المقطعين(حم)، وهي: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف ، والدخان ، والجاثية ، والاحقاف .

ولقد كان من المناسب للقرآن ، وقد انزل ليكون كتاب عقيدة شاملة ودين عالمي ، ان يتجاوز الموسيقى التقليدية المحلية المتعارف عليها في البيئة العربية الجاهلية ، وان يحدث «انقلاباً هائلا في الادب العربي ، بتغييره الاداة الفنية في التعبير .

فهو من ناحية قد جعل الجملة المنظمة في موضع البيت الموزون ، وجاء من ناحية اخرى بفكرة جديدة ، أدخل بها مفاهيم وموضوعات جديدة لكي يصل العقلية الجاهلية بتيار التوحيد » . (١)

ويرى الدكتور هرتفج هرشفلد ان القرآن تجاهل الصور العروضية ليباين الشعر في موسيقاه ،ويؤكد فارمر أن القرآن تجنب ذلك النوع من الموسيقى الذي يصاحب الشعر ويمجد المثل الوثنية . (٢)

ومن هنا ارتبطت الموسيقى – كأداة فنية في التعبير – بقيم القرآن ومفاهيمه عن الله والطبيعة والانسان ، ارتباطاً جعلها من اهم الادوات ذات التأثير المباشر في نفس الجاهلي ووجدانه .

تأثر العربي بموسيقى القرآن :

وأذا كان القرآن بهذه الصفة من التفرد والسموق ، فان لجرس موسيقاه نصيباً ضخماً من هذه الميزة . ولقد أدرك العربي بحكم فطرته من هذا الجرس الشيء الكثير وهو وان لم يكن قادراً على تعليله وبيان مواضع التأثير فيه فأنه – لاشك – كان قادراً على استيعابه ، والاحساس بجلاله وجماله جملة . فكان المشرك اذا عجز عن النيل من سمو القرآن وهو عاجز عنه – وصفه بالسحر . وكأنه يعبر بذلك الوصف عن غاية اعجابه وتأثره به وآية ذلك ماحكاه القرآن في سورة سبأ (٣) أذ قال :

« وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين »

ان تأثير اسلوب القرآن وجرسه وايقاعه الموسيقي ، يحتاج في الواقع الى تهيؤ وجداني لاستقباله ، او بعبارة اخرى الى تحسس ذاتي ويقظة وجدانية

(١) المصدر نفسه ص ٢٣٤.

(٢) فارمر : تاريخ الموسيقى العربية ص ٤٤–٤٥.

(٣) آية : ٤٣.

تد كه وتنفعل به . ومن هنا فان الذين تأثروا به . لابد انهم كانوا يملكون قدراً وافياً حياً من هذا التحسس، الذي لايتخلف او يقصر عن أدراك هذه الخصيصة الفنية الفائقة في اسلوب القرآن وتعبيره . فادراك الجرس الموسيقي على حقيقته يحتاج كما يقول احمد بن الطيب السرخسي الى امرين : «قوة حس السمع ، وقوة التمييز» ، (١) وهذا عنده يقع قبل كل شيء «بسلامة الطباع ودربة السماع » (٢)

فاذا انتقلنا من النص القرآني الى التاريخ والسير ، وجدنا لأسر القرآن وروعته الموسيقية في الفاضه وعباراته ، اكثر من شاهد ، فمن ذلك جواب الوليد بن المغيرة المخزومي — وكان من وجوه قريش وبلغائها — لأبي جهل بن هشام ، حين جاءه يستعديه على رسول الله (ص) ، ويغريه بأن يقول قولا ويدل على انكاره دعوته ، أذ قال الوليد : «فماذا أقول فيه ؟ فو الله ما منكم رجل أعلم بالاشعار مني ، ولا اعلم برجزه ولا بقصيده ، ولا بأشعار الجن . والله ما يشبه الذي يقوله شيئاً من هذا . والله ان لقوله الذي يقوله لحلاوة ، وانه ليحطم ما تحته ، وانه ليعلو وما يعلى .. » قال أبو جهل : «والله لايرضى قومك حتى تقول فيه » ، قال : « فدعني أفكر فيه ...» ، فلما فكر قال : «ان هذا الا سحر يؤثر عن غيره» . (٣) فحكى القرآن ذلك في سورة المدثر ، (٤) منكراً لهذا القول الباطل .

ويستوقفنا من كلام الوليد اسباغه على القرآن صفة الحلاوة ، وهي صفة تتصل عن كثب بجرسه بهذه الموسيقى العجيبة الآسرة التي فيه والتي انتهت بالرجل الى هذا الغلو ، حين وصفه بأنه «سحر يؤثر» . وكأن اسلوب القرآن

(١) الكاتب : كمال ادب الغناء ص٢٠.

(٢) المصدر نفسه: المكان نفسه.

(٣) أورده البخاري في صحيحه، انظر : سيد قطب : في ظلال القرآن ١٨٨/٢٩.

(٤) آية : ٢٤.

وذلاقة (١) النون والفاء. فاللفظة موحية بدلالتها وجرسها وظلها على هذه اليقظة التي شملت الطبيعة بعد سكون الليل وهدوئه .

وهذه اللفظة بهرت قدامى البلاغيين من المفسرين الا انهم لم يجاوزوا في الوقوف عندها ، لمح الاستعارة وبيان دلالة التنفس في الآية ، على نحو ما نجد في «تلخيص البيان في مجازات القرآن» للشريف الرضي (٢) (ت٤٠٦هـ) أذ نراه يقول : «وقوله سبحانه : «والصبح أذا تنفس » ، وهذه من الاستعارات العجيبة ، والتنفس هنا عبارة عن خروج ضوء الصبح من غموم غسق الليل فكأنه متنفس من كرب أو متروح من هم» وعلى نحو ما نجد في تفسير الكشاف للزمخشري (٣) (ت٥٣٨هـ) أذ يقول : «فان قلت : ما معنى تنفس الصبح ؟ قلت : أذا أقبل الصبح أقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفساً على المجاز » .

ورأى الرضي في تصوير الاستعارة هنا ، أقوى واقرب .

وبالمثل يعمد القرآن الى الاسلوب نفسه حين يصور هدوء الليل وسكونه وخلوه من صخب النهار واصطراع الحياة فيه ، فيعبر عن هذه الحقيقة المحسة في الطبيعة بالعسعسة تارة وبالسجو أخرى ، وبالسريان ثالثة ، مزاوجاً في تصوير الحركة المتخيلة لامتداد الليل بهدوء، بين دلالة الالفاظ الوضعية في اللغة ، وبين ايحائها الموسيقي في السمع فيقول في سورة التكوير : (٤) «والليل أذا عسعس » . وفي سورة الضحى : (٥) «والليل أذا سجى» : وفي سورة الفجر : (٦) «والليل أذا يسر ».

---

(١) حروف الذلاقة : وتمتاز بالسهولة والخفة على اللسان ، ويجمعها قولك : مر بنفل. ينظر في النوعين : طيبة النشر ص ٣١و ٣٣

(٢) ص ٢٧٢

(٣) ٣١٧/٣

(٤) آية : ١٧

(٥) آية : ٢

(٦) آية : ٤

فاذا تأملنا مثلا في لفظة «عسعس» بمقطعيها : عس عس وجدنا جرسها وايقاعها يوحي بحركة الليل وهو يعس في الظلام والخفاء ، كما يعس الماشي ويطوف في الليل تارة بيده وأخرى برجله . (١) وهو ايحاء بالجرس والايقاع عجيب لا نجده في العبارة المؤدية للمعنى : أقبل بظلامه .

وكل ما ورد في القرآن من وصف الليل بهذا المعنى يتسم بالموسيقية الرقيقة المناسبة لهدوئه وانتشاره ، او اشتماله على المحسات آنا بعد آن . فالقرآن يقول في مواضع أخرى : «والليل وما وسق» (٢) ويقول : «فالق الاصباح وجعل الليل سكناً » ، (٣) ويقول : «والليل أذا يغشاها » . (٤)

هناك أذاً نوع من الدلالة تستمد من طبيعة الاصوات ،وهي التي يسميها علم اللغة الحديث : «الدلالة الصوتية» ، وممن يذهب الى ذلك من علماء اللغة الغربيين : «همبلت» و«جسبرسن» . وسمى الاخير هذه الظاهرة «رمزية الالفاظ . (٥)

ان الرقة الموسيقية في تصوير الليل في القرآن تعود الى انه — في مفهومه — نعمة وجمال وطمأنينة ، خلافاً للتصوير الجاهلي له ، أذ نراه في اشعار غير واحد من الجاهليين يرتبط بالهموم والآلام النفسية المبرحة وتشخيص امرىء القيس لليل ومخاطبته له ، من اصدق الامثلة على ذلك ، أذ نراه يقول في مطولته المشهورة (٦)

وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي

الى ان يقول في شعور الضائق الصدر ، المضطرب النفس ، بظلام الليل وتطاوله.

---

(١) ينظر : في ظلال القرآن ٣٠/٦٦.

(٢) الانشقاق : ١٧.

(٣) الانعام : ٩٦.

(٤) الشمس : ٤.

(٥) ابراهيم انيس : دلالة الالفاظ ص ٦٨و ٧٠.

(٦) هما البيتان ٤٤و٤٦ ، ينظر : النحاس : القصائد التسع المشهورات١/١٥٩ ، ١٦٠.

من قبلنا ربنا ولاتحملنا ما لاطاقة لنا به واعفُ عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » . (١) وهذا الدعاء : «ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفرّ عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لاتخلف الميعاد » (٢).

أرأيت كيف ان الألفات الى ما في هذه الالفاظ ،قد استطالت بالصوت والنداء المرفوع الى الباري عزّ وجل — وخاصة عندما يمد عدد منها عند الترتيل والتجويد (٣) . حتى جعلته ترتيلة متناغمة فيها ما فيها من روح المناجاة وصدق البث؟ ... وكيف ولدت نغما ملائما لهذا الاشفاق على النفس، الذي حدا بأولئك الداعين الى رفع هذا الدعاء الخاشع الوديع ، حتى جاء موائما لطلب الغفران وتكفير السيئات ومناسبا الرجاء في نيل الثواب والنجاة في يوم الجزاء ؟ .. فضلا على ما احدثته النونات بغنتها (٤) الموسيقيةمن تنغيم منسجم مع هذا الجو الروحي الرقيق ، وهي متبعة بالمصوت الطويل «الالف» المتكرر في اجزاء هذا الدعاء .

ان اللغة في القران تؤدي دورا كبيرا في العطاء الموسيقي ذلك ان الموسيقى فيه لاتنبع من وزن شعري كالذى عرفناه في تفعيلات الشعر العربي ولكنها

---

(١) البقرة : ٢٨٦ .

(٢) آل عمران : ١٩٣-١٩٤ .

(٣) كالمد الجائز ، مثل مد الف «نا» في (تؤاخذنا) او(نسينا) ، وهو المنفصل ، وقدره عند التجويد اربع اوخمس حركات والمد العارض للسكون ، وهو الذي يكون عند الوقف على آخر الكلمة المسبوقة بحرف من حروف المد — الالف والياء والوو — مثل (الابرار) و(الميعاد) في آية آل عمران ، التي اوردنا . ويجوز مده الى ست حركات . ينظر هذا المدان في : هداية المستفيد في احكام التجويد لابي ريمة ص١٧ والتجويد وعلوم القرآن لعبد البديع صقر ص٣٥و٣٩ .

(٤) حرفا الغنة : هما الميم والنون . والغنة تقع في حرف النون حين يخرج الهواء من الانف . ينظر في غنة النون : شرح طيبة النشر لاحمد بن الجزري ص٣٩ .

تنبع من اللغة نفسها ، من ائتلاف الاصوات في اللفظة الواحدة وفي سياق الالفاظ وتناسقها وتناغمها وادائها للمعنى ودلالتها عليه.

واذا كانت هذه الخصيصة الهامة معروفة في الشعر العربي . حتى الحديث منه (١) فانها قد بلغت في القرآن الذروة في التكامل والوضوح . وفكرة الارتباط بين الاصوات والمدلولات ، المعروفة لدى المحدثين من علماء اللغة بأسم « الأ نا ماتوبوبيا» onomatopoia ، ليست مما ينكره علم اللغة القديم والحديث ، وان كانت هذه الصلة فيما بين الطرفين ليست عقلية منطقية في الذهن الانساني العام ، بحيث توحي لجميع الشعوب ايحاءا واحدا بل هي تختلف من شعب إلى آخر ومن أمة إلى امة (٢).

واذا كانت الموسيقى الرقيقة التي نوهنا بها قد تجلت في كتاب الله — في اللفظة المفردة وفي العبارة الواحدة ، بل في سياق مجموعة من الآيات ، وكانت تصويراً لمناظر ومشاهد حسية من الطبيعة — بيناها عند الكلام على الموسيقى في تصوير المحسات أو نفسية روحية تنبع من داخل النفس وتنطلق من صميم الوجدان البشري المتفاعل مع الحياة في ايمان ووعي ، فلسنا نعدم — فوق ذلك — اثرا لهذه الموسيقى الرقيقة حين يصور القرآن مشاهد النعيم في اليوم الآخر بما فيها من هناءة حسية ومعنوية ، وضروب من المتع مشتهاة . وجو هانيء رغيد ، على نحو ما نرى في هذه الاية « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من أحسن عملا اولئك لهم جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقاً » (٣).

(١) يذكر الدكتور محمد مندور ان الحنين المضني في بيت الدكتور احمد زكي ابو شادي :

عودي لنا ياليالي أمسنا عودي ... وجادي حظ محروم وموعود

لا توحي به الالفاظ وتركيب اللغة . بل توحي به المدات التي استطاع ان يجمعها في البيت . ينظر : الادب وفنونه ص٢٩ .

(٢) ابراهيم أنيس : من اسرار اللغة ص١٣١ وما بعدها .

(٣) الكهف : ٧٣ .

القرآنية مع الجو الحسي الذي اراد القرآن تصويره فان من الفاظ القرآن ما يلائم جرسها وايقاعها الجو النفسي الذي اراد القرآن بيانه .

فاذا وقفنا عند قوله تعالى : (فبما رحمة من الله لنت لهم » (١) الفينا «ما» قد عملت بجرسها عملها في توفية معنى الرحمة النبوية حقها من التفخيم والتعظيم ، تلك الرحمة التي شملت اصحاب النبي الكريم ، فجعلتهم يلتفون حوله في حب وثقة وأطمئنان ، فهذه الأداة تعظم معنى ما تدخل عليه ، وتعطي ملمحاً بلاغياً معنوياً ، «ولا يكون ذلك الاحيث يكون الكلام مرتبطاً بأمر عظيم ،كالرحمة التي الآنت قلب الرسول»(٢)على ما بينته الآية التي اوردناها آنفاً(.) ولا يضير قول النحويين انها زائده (٣)أذ هي زائدة عندهم في الاعراب ، اما من ناحية النظم فهي اصيلة، مؤدية لاستكمال المعنى المراد . غير انهم لم يلحظوا ذلك من جهة الجرس ، وانما لحظوه من جهة الوضع اللغوي للفظ ، او التجوز فيه ، حتى قالوا : ان «ما» هنا تفيد التوكيد» (٤) أو «زائدة تفيد التوكيد » (٥) وحتى قال عبد القاهر الجرجاني : «ان كون «ما» تأكيداً نقل لها عن اصلها ومجاز فيها » . (٦) على ان الزمخشري اضاف الى القول بزيادتها للتوكيد افادتها »الدلالة على ان لينه لهم ما كان الابرحمة من الله» . (٧) وهذا يتعلق بعلم المعاني كما ترى ، ولاينافي ماقدمناه من افادتها تفخيم («ما» تدخل عليه وتعظيمه عن طريق الجرس) وهو يصدق ايضا على الآيتين الاخريين اللتين استعملت فيهما على هذا الحد ، وهما قوله عزّ وجلّ في قوم نوح »مما خطيئآتهم اغرقوا فأ دخلوا نارا» ، (٨) وقوله في بني

---

(١) آل عمران : ١٥٩.

(٢) احمد بدوي : من بلاغة القرآن ص ١٠٢ .

(٣) ينظر : الكامل للمبرد ٣٤٢/٢، وفيه يقول :« ماتزاد على ضربين : ان يكون دخولها في الكلام كالغائها »، وضرب مثلا لذلك الآية التي ذكرنا.

(٤) الجرجاني : دلائل الاعجاز ص ٤٥٩ (٧) الزمخشري : الكشاف ٣٥٧/١.

(٥) الزمخشري : الكشاف ١ ٣٥٧ .

(٦) الجرجاني : دلائل الاعجاز ص ٤٥٩.

(٨) نوح : ٢٥ .

اسرائيل : «فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم...» (١) اذا كان لهذا المد الموحي جرسهُ بالتفخيم ، دلالة على عظم الخطيئات التي اغرقت قوم نوح عليه السلام ،وعظم نقض الميثاق الذي استحق بسببه بنو اسرائيل اللعن .

ويشعرنا مدّ «ما» وبقية المدات ، في قول موسى عليه السلام للرجل العالم الصالح (٢) الذي اتبعه ليتعلم منه ، بالاستعطاف ، والتحنن الذي اراد ان يحدثه في نفس صاحبه ، حين سأله ثم قال معتذرا « لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امرى عسرا» (٣) .

وكان من الممكن ان تردَ «ما» المصدرية (٤) هنا مسبوكة في الجملة ، لتكون العبارة : لاتؤاخذني بنسياني (٥). ولكن شتان مابين التعبيرين في اداء المعنى اذ الاول يوائم هذا الموقف النفسي المتسم بالاستعطاف والاعتذار ، وبخاصة حين يتناغم مع (المدود) في الآية كلها .

ويشعرنا شعورا متزايدا بالاستعطاف ،هذا الدعاء الخاشع المتناغم المتلائم مع موقف الرجاء في نفس الداعي المزدان بسمات البث والمناجاة : «ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولاتحمل علينا اصرا كما حملتهعلى الذين

---

(١) المائدة : ١٣ .

(٢) يرجح المفسرون انه الخضر انظر : الطبري : جامع البيان عن تأويل أي القرآن ١٥ / ١٧٩ وما بعدها .

(٣) الكهف : ٧٣ .

(٤) ينظر في مصدرية «ما» في هذه الآية : الزمخشري : الكشاف ٢/٢٦٦ ؛ والنسفي : مدارك التنزيل ٣ / ٢٠ أذ أولا الآية — فيما اولاها — : لا تؤخذني بنسياني . ويعضد هذا التاويل رواية أبي بن كعب التالية ، من أنه «لم ينس». وهو اقرب الى المراد من عدها موصولة لانه طلب ألا يؤاخذ بالنسيان ، لا بالمنسي .

(٥) ظاهر النص القرآني أنه نسي ؛ غير ان المروى عن ابي كعب كما في رواية الفراء بسنده عنه — أنه «لم ينس ولكنها من معاريض الكلام» معاني القرآن ٢/١٥٥ ، وكأنهذا مبني على تنزيه الانبياء عن الغفلة والسهو . وقد جعله الزمخشري احد الوجوه المحتملة في معنى الآية قال «وهو من معارض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل الى الغرض» الكشاف ٢/٢٦٦ ، يريد ، : انه لم يعتذر عن نسيان هنا ولكن عن مطلق النسيان .

الا ايها الليل الطــويل الا أنــجــل بصبح وما الاصباح منك بأمثل

على ان مسيلمة الكذاب حاول ان يعارض القرآن بوصف الليل ، ولكن اين من ذلك الايقاع القرآني المعبر ، ما ذهب اليه حين استعمل — بجهل منه — لفظة «أطخم» صفة لليل، فقال في محاولته المتهافتة : والليل الا طخم»(١) مقسماً بالليل .

مع ما في هذه اللفظة من نّبو وجسأة في السمع يزريان بها اذا عرضناها خاصة على تلك التعابير الشفيفة التي اوردنا آنفاً ، من مثل : (والليل اذا سجى » ، « والليل وما وسق» ... فضلا على ان مفهوم هذه اللفظة في اللغة لايلائم رقة الليل ، اذ الأطخم كما في القاموس : «كبش رأسه أسود وسائره كدر» والاطخم ايضاً :

« لحم جاف يضرب الى السواد » . (٢) وكلاهما لامناسبة بينه وبين الليل بحال الا في صفة السواد ،وهي صفة تظهر في كثير من المحسات التي في الطبيعة . انه لبون كبير ما بين كلام مسيلمة الكذاب ، وبين قول الباري عزّ وجل . ولم يكن ذلك ليفوت الصحابة وهم الذين ملكوا ذوقاً فنياً عالياً،وانما روى عن ابي بكر — رضي الله عنه — انه قال منكراً محذراً بعد سماعه هذا الكلام وشبهه من بعض بني حنيفة : «سبحان الله ! ويحكم ان هذا لم يخرج عن آلّ — اي عن ربوبية — فأين كان يذهب بكم ؟» (٣)

لقد ظن مسيلمة ان السجع هو سر الموسيقى في القرآن ، وفاته ان الايقاع الذي في الفواصل غير السجع الذي كان يقوله الكهان ، وان التناسق الموسيقي بين الفواصل وبين الجو الذي تصوره الآيات من اسرار القرآن واعجازه في البيان . ولا نريد ان نطيل في التعليق على كلام مسيلمة في تصوير الليل ، أذ الامر كما قال الباقلاني بحق من ان «كلام مسيلمة الكذاب وما زعم انه قرآن ، أخس من

(١) الباقلاني : اعجاز القرآن ص ١٥٧–١٥٨.
(٢) الفيروز آبادي : القاموس المحيط : (الطخمة).
(٣) الباقلاني : أعجاز القرآن ص ١٥٧–١٥٨.

ان يشتغل به ، واسخف من ان يفكر فيه » . (١)

وأذا أنتقلنا الى مشاهد أخرى من الطبيعة ــ ولنختر مشهداً مائياً ــ وجدنا القرآن يمتاز بألفاظه الفريدة ، حين يعرض لطرف من مظاهر النعمة الالهية في البحر أذ نراه يختار من الالفاظ أسلسها جرساً وأرقها صوتاً وينفي من بيانه ، وتعبيره اشدها صوتاً وأثقلها جرساً ،ومن ذلك ما صوره في سورة الشورى(٢) أذ يقول : « ومن آياته الجوار في البحر كالاعلام » ، وهي عبارة جمعت بين الايجاز ورقة الجرس وجمال الايقاع .

وقد وقف عند جانب من موسيقاها ــ وهو المتعلق بالجرس ــ العلوي صاحب «الطراز» (ت٧٤٥هـ) ليقول : ان القرآن يتميز عن كلام النبي (ص) وكلام أمير المؤمنين علي ، وغيرهما ممن يشهد له بالفصاحة والبلاغة وهذا التميز «تارة يكون راجعاً الى الفاظه من فصاحة بنيتها وعذوبة تركيب احرفها وسلاسة صيغها ،وكونها مجانبة للوحشي الغريب وبعدها عن الركيك المسترذل»... ثم يضرب الآية مثلا دالا على مواضع هذه السلاسة التي نوه بها ، في الفاظها ، وكيف آثرها القرآن في الاستعمال على غيرها ، فيقول : «الا ترى قوله تعالى: «ومن آياته الجوار» ولم يقل : الفلك ،لما في الجرى من الاشارة الى باهر القدرة ... وقال : «في البحر» ولم يقل : في الطمطام ولا العباب وان كانت كلها من اسماء البحر لكون البحر أسهل وأسلس ، ثم قال : «كالأعلام » ولم يقل: كالروابي ولا كالاكام ايثاراً للاخف الملتذ به ، وعدولا عن الوحشي المشترك » . (٣)

موسيقى القرآن في تصوير الشعور النفسي :

أذا كانت النصوص التي اوردناها سالفاً ، تشعر بتلاؤم موسيقى الالفاظ

(١) المصدر نفسه ص ١٥٨ . وانظر في سخافة سجع مسيلمة : الرافعي : اعجاز القرآن ص ٢١٩ .

(٢) آية : ٣٢ .

(٣) العلوي : الطراز ٣/٢١٥-٢١٦ .

أو حين يصور القرآن نعيم الاخرة المترتب على العمل الصالح في الدنيا :
« ان المتقين في جنات وعيون . آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين . كانوا قليلا من الليل مايهجعون . وبالاسحار هم يستغفرون . وفي اموالهم حق للسائل والمحروم » (١) .

أو حين يصور مشهدا من مشاهد يوم القيامة ، يتسم بالخشوع للرحمن في العرض والحساب : « وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همساً»(٢).

فتوالي اصوات الهمس في المشهد الاخير مثلا ، يشعر بهذا الموقف الخاشع والجو الهامس المليء بخشية الله وان كان تناغم الحروف والكلمات في عذوبة ليوائم جو النعيم الحسي والمعنوي الذي يستمتع به المؤمنون في الآخرة والدنيا في النصين الاولين — ، قد يستشعره السامع ولا يستطيع تشخيصه والنفاذ الى سره . ومع ذلك فلا يمنعه شيء دون تسلله الى وجدانه لينعم بما فيه من جمال ورقة « وهكذا يبدو لون من التناسق أعلى من البلاغة الظاهرية وارفع من الفصاحة اللفظية اللتين يحسبهما بعض الباحثين في القرآن اعظم مزايا القرآن » (٣) .

ان هذا التناسق الذي يستشعره القارىء ، بين حروف القرآن ، والذي يعد سمة عامة في تعبيره ، سماه قدامى البلاغيين « تعديل الحروف » . وعدوه « نقيض التنافر » ،(٤) قال الرماني (ت٣٨٦هـ) : « ... المتلائم في الطبقة العليا القرآن كله . وذلك بين لمن تأمله ... والفائدة في التلاؤم حسن الكلام في السمع وسهولته في اللفظ ، وتقبل المعنى له في النفس ، لما يرد عليها من حسن الصورة وطريق الدلالة . ومثل ذلك قراءة الكتاب في أحسن ما يكون من الخط والحرف

(١) الذاريات : ١٥ — ١٩ .

(٢) طه : ١٠٨ .

(٣) سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ص٧٨ — ٧٩ .

(٤) ينظر الرماني : النكت في اعجاز القرآن ص٩٤ ، والباقلاني : نكت الانتصار لنقل القرآن ص٢٦٤ — ٢٦٥ .

وقراءته في اقبح ما يكون من الحرف والخط . فذلك متفاوت في الصورة وان كانت المعاني واحدة » . (١)

وبذلك التفت الرماني الى الأثر النفسي الذي يحدثه تلاؤم موسيقى الالفاظ وتناسقها في قارىء القرآن وسامعه . وهو ملحظ دقيق والتفات ذكي . وكان يذهب الى ان القارىء في التلاؤم الموسيقي بين حروف القرآن وبين غيره من الكلام . كالفارق بين المتنافر والمتلائم من الكلام . الذي هو في الطبقة الوسطى ،(٢) والذي لايرقى الى القرآن . الا ان ابن سنان لم ير له هذا الاعتبار ولم يرَ هذا التلاؤم من وجوه الاعجاز . وعلة ذلك انه لم يعد نظم القرآن بذاته — من دلائل اعجازه ، بل كان يذهب إلى القول بالصرفة ، وهي « صرف العرب عن معارضته بان سلبوا العلوم التي بها يتمكنون من المعارضة في وقت مرامهم ذلك » كما يقول . (٣) وهو رأى مرجوح . بل مرفوض عند جمهور البلاغيين جملة وتفصلا . (٤)

الموسيقى الشديدة ودلالتها

ويبدو العكس مما اوردنا . في مواضع كثيرة من القرآن اذ قد تتسم الموسيقى بالقوة والشدة المناسبة للمعنى الذي اراد تصويره وبيانه .

---

(١) الرماني : النكت في اعجاز القرآن ص٩٦ .

(٢) الرماني : النكت في اعجاز القرآن ص٩٥ .

(٣) ابن سنان : سر الفصاحة ص٨٩ .

(٤) أول من قال بالصرفة النظام من شيوخ المعتزلة (ت٢٢١هـ) ، ثم تابعه عليه آخرون . وقد رده فيمن رده الخطابي (ت٣٨٨) في بيان اعجاز القرآن ص٢٢ – ٢٣ ، والباقلاني (ت٤٠٣هـ) في اعجاز القرآن ص٢٩ وما بعدها . وعبد القاهر الجرجاني في الرسالة الشافية ص١٤٦ ودلائل الاعجاز ص٣٥٩ وهو كما قال الزركشي (ت٧٩٤هـ) بحق : « قول فاسد » البرهان في علوم القرآن ١/٩٤ لانه لايجعل القرآن معجزا بذاته بل بأسباب خارجية لا علاقة لها بنظمه وفصاحته وبلاغته وجرسه وايقاعه . ولو كان الامر كذلك لما بدا من العرب ما يدل على اكبارهم له ، وتعجبهم من سحر بيانه ، لانه يكون — على هذا الفرض — من طبقة ما تنطق به السنتهم .

فالمتامل في قوله تعالى: « تلك اذا قسمة ضيزي »(١)يشعر بأن جرس اللفظة: « ضيزى » ، ملائم كل الملاءمة للدلالة على تلك القسمة الجائرة التي تمخضت عنها اسطورية الجاهليين ، حين زعموا ان الملائكة بنات الله ! . . مع انهم في واقع حياتهم يبخسون البنات حقوقهن ، ويئدونهن من غير ذنب . وأية لفظة اخرى لها عين مفهومها في اللغة ، مثل : «ظالمة» أو «جائرة» ، لاتوفي المعنى المراد ايفاء تلك اللفظة القرآنية . اذ ليس لهاتين اللفظتين او نحوهما ذلك الوقع النفسي الذي يحدثه جرسها ، بما فيه من ثقل حرف الضاد المستعلي الفخم (٢) وايحاء المدين المتقابلين إلى اسفل وإلى اعلى (٣) اعني الياء والالف ، اللذين راى الاستاذ مصطفى صادق الرافعي (٤) في جرسهما مايشبه حال المتهكم المستغرب حين يميل يده وراسه . فغرابة هذه اللفظه في وضعها اللغوي وجرسها من اكثر الاشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة التي قسمها الجاهليون . (٥)

واذا انتقلنا إلى مواضع العذاب والوعيد في القرآن ، لم نخطىء ايحاء الجرس في اداء المعنى ، ولم يعسر علينا ادراك اثره في تصوير المشاهد والاحداث . فنحن ندرك بلا مشقة هذا الجرس الشديد الذي يحكي صورة العذاب الذي انصبت على الطغاة: عاد وثمود وفرعون ذي الاوتاد، في هذه العبارة الموحية: «فصب عليهم ربك سوط عذاب»(٦)وسواءأكان المراد بالسوط في لغة الآية الآلة المعروفة التي يضرب بها أم كان –على قول بعضهم– مصدرا من ساط القدر يسوطها

---

(١) النجم : ٢٢ .

(٢) ينظر في استعلاء الضاد وفخامتها : شرح طيبة النشر لاحمد بن الجزري ص٣٢ .

(٣) ذكر الفارابي والحسن الكاتب عند كلامهما على المصوتات الطويلة ان الالف حرف عال والياء حرف منخفض . ينظر كتاب الموسيقى الكبير ص١٠٧٣ وكمال أدب الغناء ص٦٣ .

(٤) أعجاز القرآن ص٢٦١ .

(٥) احمد بدوي : من بلاغة القرآن ص٢٦١ .

(٦) الفجر : ١٣ .

سوطا، اذا حرك مافيها وخلطه(١)سواء أكان المراد لغة هذا أو ذاك، فان جرس هذه اللفظة مع ماتقدمها من الصب، يلائم هذا الحدث. فضلا عن ظلها الذي تلقيه وهي متشكلة في صورة استعارية فريدة. والصاد والطاء من الاصوات المطبقة (٢) المستعلية، ذات الجرس الفخم الشديد، (٣) وورودها في الاسلوب القراني ضئيل جدا، كما لاحظ الدكتور ابراهيم أنيس. (٤)

ومن ذلك قوله تعالى: « فأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين »، (٥) وقوله: « ولقد اتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء» (٦) ونحو ذلك من آيات الوعيد التي ورد فيها ذكر المطر. فصيغ مادة «مطر» بثقل طاءاتها وتكرارها، ملائمة بجرسها لمشهد العذاب الذي نزل بأولئك الكافرين المكذبين لرسل الله. وورودها على الصورة من دلائل دقة استعمال القرآن للألفاظ في تعبيره، ومن دلائل استعماله الجرس المناسب في الموضع المناسب. ذلك ان استعماله لهذه المادة في مثل هذه المشاهد مطرد، على حين استعمل الغيث في مواضع النعمة والخير من مثل قوله في آية يوسف (٧): «فيه يغاث (٨) الناس وفيه يعصرون »، وفي آية الشورى (٩): «وهو الذي ينزل الغيث من بعد ماقنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد » لانها بمفهومها اللغوي وجرسها الموسيقي،

(١) الرضي تلخيص البيان في مجازات القرآن ص٢٧٧.

(٢) سيبويه: الكتاب ٤/٤٣٦، والباقلاني: اعجاز القرآن ص٤٤.

(٣) ابراهيم انيس: اللهجات العربية ص٧١ – ٧٢.

(٤) المصدر نفسه ص٧٢، وفيه يذكر نسبة شيوع الصاد في القرآن ٨ مرات في كل الف من الاصوات الساكنة، والطاء ٦ مرات.

(٥) الشعراء: ١٧٣، النمل: ٥٨.

(٦) الفرقان: ٤٠

(٧) هي الآية ٣٩ من سورة يوسف.

(٨) أي: ينزل عليهم الشورى.

(٩) هي الآية ٢٨ من سورة الشورى.

ملائمة لذلك لتلبسها بمعني النجدة والعون من جهة وائتلاف اصوات اللين والهمس الرقيقة الرخوة فيها من جهة أخرى. اذ الياء والالف حرفان ليّنان - أو مصوتان طويلان - والثاء حرف مهموس. فلم يقل: فيه يمطر الناس، لمـا في هذه اللفظة من الجسأة والشدة. وهو ملحظ فني فات كثيراً من المتقدمين. وكأنهم وجدوا ان اللفظتين «مطر» و«غيث» بمفهوم واحد في الدلالة ولافارق بينهما البتة. على حين يدل الاستقرار لموارد استعمالها في القرآن. على ان بينهمـا تباينا في الدلالة وتمايزا في الاستعمال. وقد التفت الى ذلك الجاحظ (١) (ت ٢٥٥ هـ) من قبل، فقال: «وقد يستخف الناس الفاظا يستعملونها. وغيرها أحق بذلك منها، ألا ترى ان الله تبارك وتعالى لم يذكر الجوع الا في موضع العقاب... وكذلك ذكر المطر، لانك لاتجد القرآن يلفظ به الا في موضع الانتقام. والعامة واكثر الخاصة لايفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث».

والتفت إلى هذا التمايز بعد الجاحظ أبو منصور الثعالبي (٢) (ت ٤٢٩ هـ)، فبين ان لفظ الامطار لم يأت في القران الا للعذاب، الا انه لم ينوه بأثر الجرس في الدلالة على المعنى، شأنه في هذا شأن عامة الادباء واللغويين.

وعلى هذا الاساس من اعطاء الجرس الموسيقي الشديد حقه في التعبير استعمل القرآن الاوصاف التي اشتقها ليوم القيامة من مثل: «الصاخة» في قوله عز وجل: «فاذا جاءت الصاخة. يوم يفر المرء من أخيه. وامه وابيه. وصاحبته وبنيه» (٣) (الطامة) في قوله: «فاذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ماسعى». (٤) فالأولى «لفظة تكاد تخرق صماخ الأذن في ثقلها وعنف جرسها والثانية «لفظة ذات دوي وطنين تخيل اليك انها تطم وتعم كالطوفان يغمر كل شي ويطويه» (٥).

(١) البيان والتبيين ١/ ٢٠

(٢) فقه اللغة: فصل في الريح والمطر ص٣٧٥.

(٣) عبس: ٣٣ ٣٦.

(٤) النازعات: ٣٤، ٣٥.

(٥) سيد قطب: التصوير الفني في القرآن ص٨٠.

(٥)

التقابل الموسيقي في تعبير القرآن :

وكثيراً ماتتقابل صور النعيم والعذاب في القرآن فيتقابل معها تبعاً لذلك الجرس الموسيقي . منتقلاً من نوع إلى آخر وآية ذلك التباين الموسيقي بين هاتين الصورتين اللتين يعرضهما القرآن في سورة « عبس » . اولاها للمؤمنين وقد استبشروا بما آتاهم الله من نعيم والثانية للكافرين وقد غدوا بما جنت أيديهم . وهم يساقون إلى الجحيم « ووجوه يومئذ مسفرة . ضاحكة مستبشرة . ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة » . (١)

فالجرس في آيتي النعيم سلس يوائم بسلاسته — المنبعثة من همس الحروف وذلاقتها — فرحة القلوب التي بدت على وجوه المؤمنين فجعلتها مضيئة متهللة . كما يسفر الصبح بعد غموم الليل ويضيء(٢) على حين يشعرنا الجرس في آيتي العذاب باختلافه عن هذا الجرس الرخي وهو في عبارة « ترهقها قترة » شديد ثقيل لافت . يعبر عن تلك المشاعر النفسية المرهقة التي لابست قلوب القوم . حتى بدت على وجوههم المغبرة السود . « ولا ترى اوحش من إجتماع الغبرة والسواد في الوجه » كما يقول الزمخشري (٣) وهذا الازدواج في وصف الوجوه بالغبرة والسواد . يقوى التقابل بين هذا المشهد والذي سبقه أعني الذي وصفت فيه الوجوه بالإسفار والضحك والاستبشار . كما يقابل الجرس الشديد هنا . ذلك الجرس الرقيق . والتقابل ضرب من التناسق الفني في القرآن . واسلوب من اساليب التصوير فيه « وطريقة من طرق التلاحين » . (٤)

---

(١) عبس : ٣٨ / ٤٢ .
(٢) قارن في اخذ (مسفرة) من اسفار الصبح بالكشاف للزمخشري ٣/٣١٤ .
(٣) الكشاف ٣ / ٣١٤ .
(٤) سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ص٨٢ .

واذا كان التقابل الموسيقي نابعاً في هذين المشهدين من تقابل جرس الحروف، فانا نراه في مواضع اخرى من القرآن ، نابعاً من تقابل الايقاع في مشهدين متباينين . فمن ذلك هذان المشهدان اللذان يعرضهما القرآن في ايقاعين متغايرين، احدهما لآخر يوم من ايام الدنيا، والثاني للأيام التي يقضيها متكبر مغرور سادر في غيّه ، لايلوى على شيء من الحق والخير والصلاح : « كلاّ اذا بلغت (١) التراقي وقيل مَن راق وظن انه الفراق. والتفت الساق بالساق. الى ربك يومئذ المساق . فلا صدّق ولا صلّى . ولكن كذّب وتولّى . ثم ذهب الى اهله يتمطّى . أولى لك فأولى . ثم أولى لك فأولى ».(٢)

فالايقاع في المشهد الاول: مشهد الاحتضار وما يلابسه من رهبة وخشوع واشفاق وحيرة ، تمس المحتضر المكروب ، وتنتاب المحيطين به من اهله وصحبه، ايقاع هادىء رزين يلائم جلال الموت ورهبة الاجل. وقد اضفى عليه المد الذي يحدثه المصوّت الطويل — الألف — ، مسحة في الهدوء المناسب لهذا المقام، مقام التسليم والخضوع للسنّة الالهية ، التي لاتدفعها رقية راق ولا اشفاق مشفق ثم يعقبه مباشرة — في المشهد الثاني — ايقاع آخر ، فيه تباين عن الاول اذ هو لايخلو من سرعة وخفة ، تحكي حالة فكرية ونفسية لأنموذج بَشَري خالد ، يراه الانسان في كل زمان ومكان ، هي حالة المغرور الذي ينفلت بسرعة من طاعة الله ، لينطلق الى اهله في تمطٍّ وخيلاء ، فيعقبه هذا الوعيد الذي جرى في بيان العرب ولسانهم مجرى الاصطلاح : « أولى لك فأولى. ثم أولى لك فأولى » ، فاذا اطلقوه في وجه من يعادون ، لم يفهم منه الا الوعيد والتهديد. اذ «هو دعاء عليه بأن يليه مايكره» ومعناه «ويل لك» . (٣) وتغاير الايقاع في كلا هذين المشهدين يدركه السمع بشيء غير قليل من الارهاف

(١) الضمير المستتر يعود على الروح والتراقي : العظام التي على جانبي الرقبة.
(٢) القيامة : ٢٦ — ٣٥ .
(٣) الزمخشري : الكشاف ٣/٢٩٥ .

والتحسس الدقيق ، ففيه إذاً خفاء قد لايتأتى ادراكه لكل سمع ، بل يحتاج الى تحسس ذاتي وارهاف سمعي.

(٦)

موسيقى الفواصل القرآنية :

للفواصل (١) دورها في اعطاء الآى جرساً موسيقياً مناسباً ، لذا عني القرآن بتوافقها في كثير من السور والآيات ، وبخاصة السور المكية . اذ كان للجرس أثره في احداث التأثير النفسي والوجداني المطلوبين ، في بدء الدعوة الاسلامية خاصة ، لانها اكدت أول ماأكدت اصول الدين والعقيدة ، على مابيناه سالفاً .

وكان القرآن يوفّى هذه الظاهرة الاسلوبية حقها من الإداء والتأثير ، من دون أن يحيف على المعنى ، او بعبارة اخرى : انه لايعنى بموسيقى الفواصل من دون ان يلحظ تناسقها مع سياق الآيات وتناسبها مع اجوائها المعنوية . ولهذا قال الرماني : « الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن افهام المعاني ، والفواصل بلاغة والاسجاع عيب ، وذلك ان الفواصل تابعة للمعاني ، واما الاسجاع فالمعاني تابعة لها ».

---

(١) الفاصلة في القرآن كالقافية في الشعر والقرينة في السجع ، ألا انها لا تخضع للضرورة بخلاف الأخريين . وسميت بهذا الاسم ، لانها ينفصل عندها الكلامان ذلك انها تفصل الآية التي تقع فيها عما بعدها . ينظر الزركشي : البرهان في علوم القرآن ١/٣٥و٥٤ . وما ذكره الدكتور احمد بدوي في كتابه «من بلاغة القرآن»ص٥٧ ، من انها قد تكون مأخوذة من قوله تعالى : «كتاب فصلت آياته» أو لأن المعنى بها يتم ويزداد وضوحاً وجلاء وقوة ، ليس بالقوي ولا يسنده : اشتقاق اللفظة أذ هي من الفصل لا من التفصيل . ولا نوافقه في تسميته التوافق الموسيقي بين الفواصل سجعاً ، وعدة السجع من سمات اسلوب القرآن . ينظر كتابه : من بلاغة القرآن ص٢٤٦ . كما لا نوافق الدكتور احمد الحوفي في ذلك وان كان قد وصف هذا السجع بأنه فريد . ينظر الحديث عن مقالة : (سجع القرآن فريد) في كتاب : لغتنا الجميلة لفاروق شوشة ص١٤٥ .

ثم قـال : « وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة ، لانها طريق الى إفهام المعاني التي يحتاج اليها، في احسن صورة يدل بها عليها » .(١)

واذا كان الرماني قد وقف عند هذا الحد من الاعتبار لأثر الفواصل في تعبير القرآن، فان الباقلاني وقف طويلا عند هذه الظاهرة الشائعة في اسلوب القرآن، ظاهرة التعبير الموسيقي بالفواصل. فجعل نظامها من الاسس التي يبنى عليها الاعجاز البياني ، وأشبع هذه المسألة بحثاً ودراسة في كتابه: « اعجاز القرآن»، وبين ان نظام الفواصل في الكتاب المبين، نسيج وحده. وميز الفواصل من الأسجاع . بعد ان نفى السجع جملة من القرآن، ناقلا عن اصحابه الأشاعرة. (٢) ثم بين ان هذا النظام الفريد في الفاصلة ، لو كان سجعاً لما تحيروا فيه ذلك التحير حتى سماه بعضهم سحراً . «لأن السجع غير ممتنع عليهم ، بل هو عادتهم ، فكيف تنقض العادة بما هو نفس العادة، وهو غير خارج عنها ولاممتميز منها» ؟ (٣) وانتهى في هذا الفصل الذي عقده لنفي السجع من القرآن، (٤) إلى القول في خاتمته: «فبان بما قلنا ان الحروف التي وقعت في الفواصل متناسبة، موقع النظائر التي تقع في الاسجاع . لايخرجها عن حدها ولايدخلها في باب السجع». (٥) وهي حقيقة لابد من التسليم بها، والاقرار بمضمونها ، اذ شتان مابين الفاصلة القرآنية والسجعة النثرية . وذلك جلي لكل من درس الفاصلة دراسة جيدة، وعرف طرفاً من اسرارها وموسيقى اصواتها.

والفواصل اما ان تتقارب من الناحية الموسيقية تقارباً يبلغ درجة التماثل(٦) في الوزن وحرف الروي ، وعندئذ تبلغ أوجها في التناسق الموسيقي .

---

(١) الرماني : النكت في اعجاز القرآن ص٩٧ وص٩٨ .
(٢) الباقلاني اعجاز القرآن ص ٥٧.
(٣) المصدر نفسه ص ٦٠.
(٤) المصدر نفسه ص ٥٧–٦٥.
(٥) المصدر نفسه ص ٦٤.
(٦) هكذا سماه ابن سنان في سر الفصاحة ص ١٦٥ ، وسماه الرماني في النكت ص ٩٨ : تجانساً وتابعة في هذه التسمية الباقلاني في: الانتصار لنقل القرآن، تنظر نكت الانتصار ص٦٦ . وسماه البديعيون : المتوازي. ينظر الاتقان للسيوطي ٢/١٠٤ والتسمية الاولى أدل وأعم.

كما في قولة تعالى « والنجم اذا هوى . ماضل صاحبكم وما غوى ». (١) فهوى وغوى فاصلتان من وزن واحد وحرف روى واحد. واما ان تتماثل في الوزن دون حرف الروي، وذلك هو المتقارب (٢)، كما في قوله تعالى « وآتيناهما الكتاب المستبين. وهديناهما الصراط المستقيم». (٣) فالمستبين والمستقيم فاصلتان متفقتان في الوزن متباينتان في حرف الروى.

واما ان تتماثل في حرف الروى دون الوزن . وهو الذي سماه البديعيون : « المطرف » (٤) كالذي في قوله تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر وأن يروا آية يعرضوا ويقولون سحر مستمر » . (٥) فلفظتا قمر ومستمر فاصلتان متفقتان في الورى متباينتان في الوزن .

ولهذا التغاير في وزن الفواصل ورويها من التماثل الى التقارب أثره النفسي. أذ هو ضرب من التنويع الموسيقي المشوق لسماع الكلام . لان الكلام إذا استمر على جرس واحد وايقاع واحد ، لم يسلم من التكلف واثارة الملل في النفوس . وذلك شيء معروف في الموسيقى ، إذ يتغير الايقاع في الدرجة والنوع ... بل ان من البلاغيين من ربط ذلك بفصاحة القرآن ، فرأى ان الجرس الموسيقي من وجوه فصاحة القرآن ومظهر من مظاهره . حتى ان حازماً القرطاجني (ت٦٨٤هـ) ذكر في كتابه : (منهاج البلغاء) : «ان الافتنان

---

(١) النجم : ١-٢.

(٢) هذه تسمية الرماني وابن سنان الخفاجي، تنظر النكت ص ٩٨ وسر الفصاحة ص ١٦٦ والبديعيون يسمونه : التوازن ، ينظر البرهان للزركشي ١/٧٥-٧٦ والاتقان للسوطى ١٠٤/٢.

(٣) الصافات : ١١٧-١١٨.

(٤) الزركشي : البرهان ١/٧٥، والسيوطي : الاتقان ٢/١٠٤.

(٥) القمر : ١-٢.

في ضروب اعلى من الاستمرار على ضرب واحد ، فلهذا وردت بعض آيات القرآن متماثلة وبعضها غير متماثل » (١)

ان هذا التنويع الموسيقي في الفواصل وزناً وروياً يلحظ في اغلب سور القرآن ، وبخاصة الطوال والمتوسطة منها . فنحن أذا تأملنا في آخر سورة الاحزاب مثلا من الآية ٥٧ الى الآية ٦٩ ، تجلى لنا هذا البناء الفريد في نظام الفاصلة بوضوح . أذ نجد ان الفواصل تتشكل بهذه الصورة بحسب الترتيب : مهيناً . مبيناً رحيماً . تقتيلا تبديلا . قريباً . سعيراً . نصيراً . الرسولا . السبيلا . كبيراً . فتتفق تارة في حرف الروى والوزن ، وتختلف اخرى ، في حرية واضحة ، لايربطها بما تقدمها من الآي التي تقع فواصل لها الا المعنى . وهذا النظام ليس من الشعر في شيء ، ولا من النثر المعهود عند ظهور القرآن ، بل هو نظام خاص بالقرآن وحده .

لقد تميزت فواصل القرآن بالدقة ، (٢) ويسر لها ذلك نأيها عن الضرورات التي كثيراً ما يخضع لها الشعر ، وبعدها عن التكلف الذي ينؤ به سجع الكهان وما روى لنا من نثر الجاهليين في صور خطب ووصايا اسست على موسيقية اللفظ والتزام القرائن السجعية ، ووجهت فيها كل العناية الى الاصوات فغمرت المعاني ، وصار من المألوف التعبير عن المعنى القليل بألفاظ كثيرة (٣) . اما فواصل القران فهي تابعة للمعنى وليس المعنى تابعاً لها . وهي بالتزامها الموسيقى المتفاوت في الدرجة والنوع تتمتع بحرية تامة في الانتظام برؤوس الآي .

(١) الزركشي : البرهان ١/٦٠ ، وانظر : منهاج البلغاء لحازم القرطاجني : الملحق ص ٣٨٨– ٣٨٩ ، ففيه اشارة إلى ماحكاه الزركشي عن حازم.

(٢) عبد الوهاب حمودة : مقال بعنوان : اللغة العربية والموسيقى ، مجلة الثقافة ، العدد : ٥٧ ، ص ٣٢ .

(٣) ابراهيم انيس : دلالة الالفاظ ص ٢٠٣ ، وقد مثل لذلك بقول مرثد الخير بن ينكف : « قبل انتكاث العهد ، وانحلال العقد ، وتشتت الألفة ، وتباين السهمة » ، وعلق عليه بقوله : « تجد ان كل هذه العبارات ذات معنى واحد » ، مع مافيها من السجع المقصود لذاته.

ولقد ميز القرآن نفسه عن كلا النوعين : الشعر وسجع الكهان ، حين قال « انه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون . تنزيل من رب العالمين » . (١) وهي حقيقة مارى فيها الجاهليون بادىء بدء ثم سلموا بها بعد ذلك عن طواعية ،بعد ان لم يجدوا عن الاذعان للحق والواقع محيصاً .

ولاثر الفواصل في التعبير والتصوير نجد القرآن يصّعد الجرس الموسيقي وحين يقتضي الجو الذي يصوره ذلك. فتراه يلتزم في مواضع بحرفين في الروى بدلا من حرف واحد . وهو التزام عرف في الشعر العربي أحيانا ، ولكنه لم يأت بطائل .

فلو قرانا سورة الرحمن أوصور جمال الطبيعة في القرآن كما يسميها الغربيون(٢) لوجدنا فواصلها تنتهي بحرفين هما في الغالب الالف والنون والالف صوت لين ، ومده له دلالته الهادئة . والنون حرف متوسط الجرس لابالشديد ولابالرخو ، وهوشبيه بأصوات اللين (٣) ولذلك فهو «من الاصوات التي تستعمل استعمالا سلسا ، وتبين بيانا غير مستكره وتحس حسا غير مستبشع» كما يقول الفارابي (٤). وقد ائتلفا في فواصل هذه السورة فجاءت الالف سابقة للنون ذات الغنة الملائمة للترنم والتطريب. (٥)

ويلاحظ ايضا انه قد تخلل ألفاظ الايات كثير من حروف الهمس الرقيقة الرخية ، كالسين والشين والحاء لتناسب هذا الجو الغنائي الذى تصوره وهو جو مايء بالنعم المتباينة في مشاهد الطبيعة الحية والصامتة ، التي تؤلف موكبا موحيا بالنعمة العريضة التي انعم الخالق بها على عباده وهي نعمة

(١) الحاقة : ٤٠-٤٣.
(٢) سيد أمير علي : روح الاسلام ص ١٧١.
(٣) ابراهيم انيس : اللهجات العربية ص ١٠٥.
(٤) الفارابي : كتاب الموسيقى الكبير ص ١٠٧٤. وقريب منه ماذكره الكاتب في كمال ادب الغناء ص ٦٣.
(٥) تنظر دلالة نون الفواصل على التطريب ، في البرهان للزركشي ٦٨/١.

لاتقف عند حد ولا تحصى أوتعد ، وان كان القرآن قد نوه بطرف منها ، ولم يقصد الى تقصيها ، على عادته في اللفت والتوجية .

وقد تناولت السورة في فاتحتها المسائل الثلاث الكبرى التي شغلت فكر الانسان منذ اقدم الازمان : الله والطبيعة والانسان. الا انها لم تذكر من اسماء في هذا الموضع الا لفظة (الرحمن) ، لتساوقها مع هذا الجو الفياض بالرحمة والانعام ، ولايقاعها الجميل المتناغم مع ما بعد ها من الفواصل فالمتأمل في هذه الايات التي افتتحت بها السورة ، ليتضح هذا الذي بيناه:

« الرحمن ،علم القران ،خلق الانسان ،علمه البيان الشمس والقمر بحسبان. والنجم والشجر يسجدان . والسماء رفعها ووضع الميزان . ألا تطغوا في الميزان . وأقيموا الوزن بالقسط ولاتخسروا الميزان . والأرض وضعها للأنام فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام . والحب ذو العصف والريحان . فبأى آلاء ربكما تكذبان » . (١)

وعلى هذا النمط من تعداد النعم في الطبيعة والانسان . تسير السوره في اياتها المباركات ، فتتكرر فيها هذه اللازمة الخالدة : «فبأى آلاء ربكما تكذبان» اثنين وثلاثين مرة ، تقريرا للنعم المعروضة على الانظار نعمة نعمة على وجه التفصيل والبيان وقد عملت عملها في اضفاء جرس موسيقي رائع على السور .

وقد تحدث فاصلة ولفظة تقدمتها ايقاعاً موسيقيا متناغما مع فاصلة اخرى ولفظه متقدمة عليها . فيكون الايقاع في كل آية مركبا من جزأين ، كل جزء منهما يوائم نظيره — موسيقيا — في الاية الاخرى . (٢) فمن ذلك

(١) الرحمن : ١—١٣ .

(٢) وقارن بأحمد بدوي : من بلاغة القرآن ص٨٨ ، فقد نوه بالتقارب الموسيقي الشديد بين الفاصلتين في الايتين اللتين استشهد نا بهما بعد هذا الكلام ، وان لم ينوه بالايقاع في الآيتين بالصورة التي بيناها.

قوله تعالى : « ان الينا ايابهم . ثم ان علينا حسابهم » (١) فعبارة «الينا ايابهم» ذات ايقاع متوازن مع ايقاع عبارة « علينا حسابهم » وكل من العبارتين في آية مستقلة وكل منهما مكون من جزأين متناسقين في الايقاع ومتوازيين اذ ان « الينا » تناظر «علينا» «ايابهم» توائم « حسابهم» في الايقاع.

وكان من عناية القرآن بتناغم الفواصل بالتقارب او التماثل ، ان جعل عبارة « طور سينين » ، ترد في سورة التين بهذه الصيغة ، لتوائم من حيث الجرس ما قبلها وهو قوله عز وجل : «والتين والزيتون » وما بعدها وهو قوله : « وهذا البلد الامين » ، وعدل في هذا السياق عن الصيغة الاخرى التي وردت في سورة (المؤمنون) ، وهي «طور سيناء» ، من قوله تعالى : «وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للاكلين » ، (٢) وذلك لأن الهمز الذي في «سيناء » لايتناغم مع النونات التي في الفواصل ، ولا يتسق وجو الترنم الذي بثته موسيقى النونات في السورة كلها ، سورة التين ، لما في الهمز من جسأة وشدة . (٣)

على ان طلب القرآن للمعنى قبل كل شيء يصرفه — في مواضع — عن العناية بتحقيق التناسق الموسيقي التام بين الفواصل — في الوزن والروى — حين يحقق العدول عنه ، معنى اكثر ايحاء وأبلغ تصويراً . ففي آية الحج : « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » ، (٤) كانت الفاصلة في الآية السابقة :
«وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود » ، (٥) دالية الروى ، وكان من المناسب ان يوصف الفج بالبعد فيقال : فج بعيد . ولكن ايثار الوصف بالعمق تصوير « لما يشعر به المرء امام طريق حصر بين جبلين ، فصار كأن له طولا وعرضاً وعمقاً » .(٦)

(١) الغاشية : ٢٥-٢٦ .
(٢) المؤمنون : ٢٠ .
(٣) ينظر في شدة الهمزة : ابراهيم انيس : اللهجات العربية ص ٥٨ .
(٤) الحج : ٢٧ .
(٥) الحج : ٢٦ .
(٦) احمد بدوي : من بلاغة القرآن . ص٦٣

وقد تشترك الفواصل وطائفة من ألفاظ الآي ، في تصوير الجو الذي تتحدث عنه السورة . ويبدو ذلك بجلاء في سورة «الناس» اذ نجد ان هذه السورة التي ختم بها القرآن ، تؤلف بنية موسيقية متناغمة . فنلحظ ان حرف الروى (السين) قد صور بجرسه المهموس المتكرر ، جو الوسوسة (١) التي تحدثت عنها السورة وعزز من كثافة الجرس الآيات وتقارب الفواصل . نقرأ ذلك في قوله تعالى : «قل أعوذ برب الناس . ملك الناس اله الناس . من شر الوسواس الخناس . الذي يوسوس في صدور الناس . من الجنة والناس » .

وهناك ظاهرة تطرأ على عدد من الفواصل بجرسها وتناسق بعضها مع بعض أشار اليها غير واحد من القدامى المحدثين . تلك هي حذف حرف من آخر الفاصلة أو زيادة حرف فيه. وقد سماه الزركشي :(٢) «ايقاع المناسبة . وقال في الفصل الذي عقده بهذا العنوان : «واعلم ان ايقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكد ، ومؤثر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيراً عظيماً . ولذلك خرج من نظم الكلام لأجلها في مواضع » .

فمن الحذف ، حذف ياء العلة من آخر الفعل المضارع المعتل الذي لم يسبقه جازم ، كما في قوله عز وجل في سورة الفجر : (٣) «والليل اذا يسر » اذ حذفت الياء من الفاصلة «يسر» ، لتلحق التناسق الموسيقي بينها وبين الفواصل التي تقدمتها والفاصلة التي تلتها . اذ ان مبنى الفواصل على الوقف،(٤) وبقاء الياء يفوّت هذا التناسق .

ومنه حذف ياء المنقوص الذي لم ينون ، كما في قوله تعالى في «سورة الرعد» : (٥) «عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال» ، اذ حذفت الياء من «المتعال» لتناسقة هذه الفاصلة موسيقيا مع ماتقدمها من الفواصل،مثل« مقدار » وما تأخر عنها مثل «النهار» و «وال» و (الثقال)،إذا كانت تلك الفوصل غير منتهية بالياء.

(١) قارن بالتصوير الفني في القرآن ص ٨٠.
(٢) البرهان في علوم القرآن ١/٦٠.
(٣) آية : ٤.
(٤) البرهان ١/٦٩.
(٥) آية : ٩.

وقد التفت الى هذا الاسلوب من قدامى اللغويين أبو منصور الثعالبي، (١) وعلله بما سماه : «حفظ التوازن » ، أي توازن الفواصل موسيقياً في رؤوس الآى .

ومن هذا الوادي ايضاً حذف ياء الاضافة ، ويبدو ذلك في قوله تعالى في «سورة القمر : (٢) فكيف كان عذابي ونُذُر» ، اذ كان حرف الروى«الراء» في الفاصلة : «نذر » ، موائماً لحروف الروى في فواصل السورة كلها ، أذ كانت تنتهي بالراء . فاذا وقف عند التلاوة على هذه الفاصلة ، اتسقت في موسيقاها وايقاعها مع ما قبلها من الفواصل .

واما الملحظ الآخر الذي يرى في الفواصل ، وهو زيادة حرف في اواخرها، فقد عدوا منه ما ورد في سورة الاحزاب ، (٣) وهو قوله تعالى : « وتظنون بالله الظنونا » ، فقد زيدت الالف بعد النون في لفظة «الظنونا» ،مع ان الاصل ورودها بغير ألف. وقد عللوها بتناسق الفواصل وتناسبها ، قال الزركشي: (٤) «لان مقاطع فواصل هذه السورة لفات منقلبة عن تنوين في الوقف ، فزيد على النون ألف لتساوي المقاطع ، وتناسب نهايات الفواصل» . وعد منه قوله عز وجل في السورة نفسها : «فأضلونا السبيلا» ، (٥) وقوله : «وأطعنا السبيلا » . (٦) أذ زيدت الألف على اللام في الآيتين ، كما هو واضح .

وقد ذهب هذا المذهب من المعاصرين عبد الوهاب حمودة فيما سماه : «زيادة حرف المد ولا موجب له الا المحافظة على الموسيقى ، والحرص على الانسجام الصوتي » ، الا انه احتاط مع ذلك ، فرأى أنه لا مانع من أن تكون

(١) فقه اللغة : فصل(في الحذف والاختصار) ص ٥٠٧ .
(٢) آية : ١٦ .
(٣) آية : ١٠ .
(٤) البرهان في علوم القرآن ٦١/١ .
(٥) الاحزاب : ٦٧ .
(٦) الاحزاب: ٦٦ .

هناك اسباب اخرى على وجه المناسبة الموسيقية ، يصح ان تلحظ في الخروج عن الاصل في الآيات المذكورة » (١) .

غير ان بعض المغاربة أنكر ان تكون زيادة الألف أجتلبت من أجل تناسق الفواصل ، وقال : «لم تزد الألف لتناسب رؤوس الآي ، كما قال قوم لأن في سورة الاحزاب : (٢) «والله يقول الحق وهو يهدي السبيل» ، وفيها : « فأضلونا السبيلا» ، وكل واحد رأس آية وثبتت الالف بالنسبة الى حالة أخرى غير تلك ، في الثاني دون الاول . فلو كان لتناسب رؤوس الآي لثبت في الجميع » . (٣)

وهي حجة قوية ، أذ لو كان الغرض مجرد التناسب الموسيقي ، لزيدت الألف في الآية الاخرى التي ذكر فيها السبيل . وأذا لابد ان يعود التعديل وتناسق الفواصل الى امر معنوي . وهو أمر لم نجد أحداً قال فيه كلمة فاصلة في هذا الموضع ، ولا نريد ان نخوض فيه برأي من غير تثبيت ولا دليل ، وكل ما يمكن ان نقوله الآن ، ان هذه الزيادة قد حققت تناسقاً موسيقياً في رؤوس الآي .

والكلام هنا يسلم الى مسألة هامة لابد من الاشارة اليها في خاتمة الحديث عن موسيقى الفاصلة ، وهي أن من البلاغيين والمفسرين والمؤلفين في علوم القرآن ، من بالغوا في موضوع ما يطلق عليه في الاصطلاح اسم

(١) عبد الوهاب حمودة : اللغة العربية والموسيقى ، مقال نشر في مجلة الثقافة سنة الاولى ، العدد : ٢٠ ص ١٢ لسنة ١٩٣٩ .
(٢) آية : ٤ .
(٣) الزركشي : البرهان ١/ ٦١ .

«رعاية الفاصلة»، (١) الى الحد الذي تجاوزوا فيه المعقول. أذ حملوا كثيراً من الظواهر البلاغية التي وردت في تعبير القرآن وبخاصة ما يتعلق منها بعلم المعاني، على ذلك. وعدوا منه تأخير «موسى» في قوله عز وجل: «فأوجس في نفسه خيفة موسى » (٢) قالوا : «لان اصل الكلام ان يتصل الفعل بفاعله ويؤخر المفعول ، لكن أخّر الفاعل وهو موسى لأجل رعاية الفاصلة »(٣) او بعبارة أخرى : لأجل الانسجام الموسيقي بينه وبين بقية الفواصل التي تقدمته — مثل : أتى، افترى . النجوى، المثلى استعلى ، تسعى — او تأخرت عنه، — مثل : الاعلى ، أتى ، موسى ، أبقى ... وهذا في الواقع حصيلة الفصام بين علم البلاغة والنحو ، أذ هو الذي أدّاهم الى ان يحملوا القرآن على قواعد النحو المرسومة التي وضعوها ابتداء ، دون لمح الوجوه البلاغية . وكان عليهم ان يستقوا هذه القواعد من القرآن البيان الاعلى في هذا اللسان ، بعد مراعاة الملاحظ البلاغية المتعلقة بالتعبير .

على ان ما قالوه من تقديم الفاعل على المفعول ليس لازماً على كل حال، بل هو متوقف على المعنى الذي في نفس المتكلم . ذلك ان هذا الترتيب المنطقي قد ينعكس لغرض معنوي كالتخصيص أو الاهتمام ، فيتقدم المفعول عندئذ على الفاعل . وعلى الاول — التخصيص — ورد تأخير الفاعل في قوله تعالى : «انما يخشى الله من عبادة العلماء » ، (٤) أذ كان المراد ، كما يقول

---

(١) يراد برعاية الفاصلة، في اصطلاح المصنفين في علوم القرآن والتفسير والبلاغة : بناء التقديم والتأخير والزيادة والحذف... المتعلقة بالفاصلة القرآنية او العبارة التي تقع فيها تلك الفاصلة، على مجرد احداث التناسق الموسيقي بين الفواصل ، من دون عد الوجه البلاغي السبب الرئيس في تلك الظواهر. ومنهم من يجعل هذا الوجه لا حتماً للقول برعاية الفاصلة، مع ان العكس هو الصحيح اذ ان القرآن يتوخى المعنى، وبلاغة القول قبل كل شيء، والفاصلة انما هي تابعة للمعنى وملاحظ البلاغة لا متبوعة.

(٢) طه : ٦٧.

(٣) الزركشي: البرهان ١/٦٢.

(٤) فاطر: ٢٨.

الزمخشري (١) : «ان الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء ، دون غيرهم . وأذا عملت على العكس انقلب المعنى الى انهم لايخشون الا الله ، كقوله : «ولا يخشون أحداً الا الله » .

وعلى التخصيص ايضاً يمكن ان يحمل ما ورد في آية طه التي اوردناها آنفاً ، أذ قدمت الخيفة على الفاعل «موسى» ، لانها الخاطر الذي أحس به أو أضمره في نفسه ، حين خيل اليه ان حبال سحرة فرعون وعصيهم — بتأثير سحرهم — تسعى . والقرينة على ذلك الحال ، أذ كان الجو بعد هذا التخييل مخيفاً ، ولم يكن أسبق الى نفسه من هاجس خوف .

ومع تحقق هذا الغرض المعنوي ، بالتقديم والتأخير ، تحقق التناسق الموسيقي بين فاصلة هذه الآية وبقية الفواصل ، وهذا سر من اسرار استعمال الفاصلة في القرآن .

وعلى هذا فقد وهم الذين عدوا السبب في تأخير الفاعل هنا مراعاة الفاصلة(٢). وايضاً فان توجيه الزركشي (٣) الذي ثنى به علة هذا التأخير — بعد قوله برعاية الفاصلة — لايبدو مراداً . اذ رأى ان «للتأخير حكمة أخرى ، وهي ان النفس تتشوق لفاعل «أوجس» ، فاذا جاء بعد ان أخر وقع بموقع » .

وعدوا من باب رعاية الفاصلة ، أو كما عبر الزركشي (٤) : «مناسبة رؤوس الآي » ، تقديم الآخرة على الاولى ، في قوله عز وجل في قصة فرعون ؛

---

(١) الكشاف : ٥٧٦/٣ .

(٢) ومن الغريب ماوقع فيه الدكتور ابراهيم انيس من وهم، مع فضله ودقة بحوثه اللغوية ؛ اذ حمل التقديم والتأخير في الآية التي أوردناها على رعاية الفاصلة ، دون الالتفات لأي ملحظ بلاغي معنوي يقول : « ولانجد عنتا او مشقة حين نذكر ان نظام الفواصل القرآنية والحرص على موسيقاها ، هو الذي تطلب تأخير الفاعل في الآية.... فارجع إلى ماالكتنفها من آيات في سورة طه» ينظر : من أسرار اللغة ص ٢٣٠.

(٣) البرهان : ٦٢/١.

(٤) البرهان ٢٦٤/٣.

«فأخذه الله نكال الآخرة والاولى » ، (١) وقوله في سورة النجم : (٢) «فلله الآخرة والاولى » . مع ان تقديم الآخرة في الموضعين ، يتجاوز هذا الملحظ الموسيقي الى النسق المعنوي ، وينبغي على الأهمية ، بتقديم الأهم على ما دونه . أذ لايخفى ان نكال الآخرة وعذابها اشد على فرعون مما ناله من عذاب الدنيا وهو الغرق في البحر بل ان هذا العذاب أشد على كل كافر من أي نوع من العذاب يصيبه في الدنيا . وكذا الحال في الآية الثانية أذ الآخرة أهم وأولى لانها دار الخير والحق والعدل ، واما الدنيا فعرض زائل وأثر لايلبث ان ينمحي .

ويدل على ذلك ما ورد في سورة الاعلى :(٣) «والآخرة خير وأبقى »، وما ورد في سورة الضحى (٤) في مخاطبة النبي الكريم : « وللاخرة خير لك من الاولى » . أذ الآيتان صريحتان في تفضيل الآخرة على الدنيا .

وقد وجدت الدكتورة عائشة عبد الرحمن تذهب الى مثل ذلك ، في تعليل تقديم الآخرة في آية الليل (٥) : «وان لنا للاخرة والأولى» ، مبينة ان المعنى هو الذي اقتضى ذلك لا رعاية الفاصلة ، تقول: «والملحظ البياني في الآية، هو العدول عما هو مألوف من تقديم الأولى على الآخرة ، وليس التعلق برعاية الفاصلة هو الذي اقتضى تقديم الآخرة هنا على الاولى وانما اقتضاه المعنى في سياق البشرى والنذير أذ الآخرة خير وأبقى وعذابها أكبر وأشد وأخزى وأبقى ، وان الآخرة هي دار القرار » . (٦)

ونكتفي بهذا القدر من مبالغة المفسرين واوهامهم فيما سموه : «رعاية

---

(١) النازعات : ٢٥ .
(٢) آية : ١٧ .
(٣) آية : ١٧ .
(٤) آية : ٤ .
(٥) هي الآية ١٣ من سورة الليل.
(٦) عائشة عبد الرحمن : التفسير البياني للقرآن الكريم ٢/ ١١٤ .

الفاصلة » ، مؤثرين التمثيل على الاستقصاء والتفصيل ، آملين ان نفرد لهذا الموضوع بحثاً مستقلا في المستقبل ليتضح أكثر فأكثر .

الايقاع بين السور المكية والمدنية :

التفت كثير من القدامى الى الفارق الاسلوبي بين المكي والمدني من القرآن، ألا انهم شغلوا بالصيغ ونحوها عن الالتفات الى امر آخر هام ، وهو ايقاع الآي بين القبيلين ، مع ان هذا الايقاع يشكل ظاهرة اسلوبية جديرة بالدراسة ويرتبط ارتباطاً واضحاً بالمعاني والموضوعات التي تناولتها هذه السور الكريمة .

فبينما نرى السور المكيية تعنى ، أكثر ما تعنى ، بأصول العقيدة الاسلامية — على ما بيناه سالفاً — ، أذا بنا نرى السور المدنية تعني غالباً بأصول التشريع واحكامه ، واحوال اهل الكتاب والمنافقين ومواقفهم من الدين الجديد، كما تعنى بالقصص المصور لاحوال اهل الاديان السابقة وغير ذلك .

وهذا التفاوت في مقاصد الآي وموضوعاتها صحبه تغاير في طبيعة الايقاع الموسيقي فيها . فالايقاع يجرى في اغلب السور المكية قصير الموجة ، سريع النبض متدفق الحركة ، متوازناً أو شبه متوازن ، والفواصل تتسم غالباً بالتوافق في الايقاع ، لتماثلها في الوزن ، او الوزن وحروف الروى وما الى ذلك من خصائص موسيقية ميزتها من السور المدنية بعامة .

وهذا ما جعل موسيقى هذه السور اكثر تاثيرا واستجاشة للمشاعر والوجدانات التي هي جانب هام من جانبي تلقي وقبول مفاهيم القرآن .ذلك ان القرآن «لايعتمد على الفكر وحده ليقنع ،ولكنه يتكيء عليه وعلى الوجدان ليستميل».(١)

وأذا كانت عناية العربي «بالموسيقى والنغم قد فاقت عنايته بالمعاني والاخيلة(٢) حتى وجدنا ذلك جلياً في الشعر وتلك السمة الموسيقية تميز بها

(١) احمد بدوي : من بلاغة القرآن ص ٣٧.

(٢) ابراهيم انيس : دلالة الالفاظ ص ١٩٩.

الشعر العربي من أكثر الشعر الانساني القديم وفاقة فيها، كما يقول الفارابي(١) فان القرآن قد وازن بين الموسيقى والمعاني والاخيلة واولى الايقاع الموسيقي عناية أكثر في السور المكية. السور التي واجهت المشركين في مكة، عند مهد الدعوة وأول الرسالة. والهدف من ذلك –كما اسلفنا– زيادة التأثير.

ولتوضيح هذا الذي قدمناه اخترنا للدراسة التطبيقية. ثلاث سور قصار من السور المكية، هي: الاعلى والفجر والبروج، مراعين في ترتيب دراستها تاريخ نزولها (٢). كما اخترنا من السور المدنية، أحدى السبع الطُوَل، (٣) وهي سورة النساء، مكتفين منها –لطولها– بنصوص من اولها، لتكون هذه النصوص انموذجاً لخصائصها الموسيقية. وكان غرضنا من هذه الدراسة التطبيقية، تحليل هذه السور تحليلا موسيقياً يتناول ايقاعها في آياتها وفواصلها، يكشف عن هذه الخصيصة الهامة فيها، بقدر ما وسعنا الفهم والجهد.

الايقاع في سورة (الأعلى):

أذا تأملنا في سورة (الاعلى) بآياتها التسع عشرة الفيناها ذات ايقاع واحد متزن في جميع اقسامها. وألفينا فواصلها كلها ذات نهاية موسيقية واحدة، هي الحرف المصوت الطويل (الالف). ولا نجد تغايرا ايقاعياً بين آية وأية او مجموعة من الآيات وأخرى، بل نجد السورة كلها تسير على هذا الايقاع

---

(١) كتاب الموسيقى الكبير ص ١٠٩١.

(٢) نزلت الاعلى– كما تشير المصادر– قبل الفجر، والفجر قبل البروج. والأوليان من اوائل السور المكية. وهذا الترتيب ذكره الماوردي وابو القاسم النيسابوري في تفاسيرهما، واعتمده الفيروز آبادي في: بصائر ذوي التمييز ١/٩٧–٩٨. وهو عين الترتيب الوارد في مصحفي عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس المرتبين حسب النزول. ينظر: الزنجاني: تاريخ القرآن ص ٧٤–٧٦.

(٣) السبع الطول: هي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف، واختلف في السابعة، فقيل: الانفال والتوبة لانهما في حكم سورة واحدة بدليل عدم التسمية بينهما، وقيل: يونس. ينظر النسفي: مدارك التنزيل ٢/٢٧٨.

الموحد ، وهو ايقاع قصير الموجة ، متحد الروى في الفواصل . وقد اضفى عليها امتداد الصوت بالألف في نهاية الفواصل موسيقية رقيقة . تلائم الجو الذي يشيع في السورة — وبخاصة الآيات الاولى منها — جو التسبيح للرب. الاعلى ،والترنم بنعمه وآلائه المتجلية في الانفس والطبيعة .

وتماثل حروف الروى في الفواصل ، من أظهر الخصائص الموسيقية في السور المكية وذو علاقة بالناحية المعنوية والموضوعية . وهو في هذه السورة قد عمّ الفواصل كلها ،فكان تماثل فواصلها في حرف الروى دالا على وحدتها المعنوية والفكرية ، التي نوهنا بها ، لتأكيدها الاعتراف بالخالق وتنزيهه ، والاعتراف بنعمة وآلائه ، وشمول علمه ، وما يتصل بذلك ويتفرع عليه من وجوب خشيته وعبادته ، والنأى عن اسباب عقابه وغضبه ، والسعي الى ما يؤدي الى جنته : «سبح اسم ربك الاعلى. الذي خلق فسوى . والذي قدّر فهدى. والذي أخرج المرعى . فجعله غثاء أحوى . سنقرئك فلا تنس . الا ما شاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى . ونيّسرك لليسرى . فذّكر ان نفعت الذكرى سيذّكر من يخشى . ويتجنبها الأشقى . الذي يصلى النار الكبرى . ثم لايموت فيها ولا يحيي . قد أفلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلى . بل تؤثرون الحياة الدنيا . والآخرة خير وأبقى . ان هذا لفي الصحف الاولى . صحف ابراهيم وموسى » .

فالايقاع في السورة متزن وهو متماثل في جميع الآيات . الا انه قد يلفت المتأمل فيها بدقة ، أن زمن ايقاع الآية السابعة قد طال نوعاً ما بالقياس الى بقية الآي ، وان هذا الايقاع كونته العبارتان : «الا ما شاء الله » و«انه يعلم الجهر وما يخفى » ، وان العبارة الاولى منهما لم تنته بالحرف الذي انتهت به الفواصل ، وهو الالف .

فاذا بحثنا عن سر هذا التغاير ، وجدنا بعد تأمل ان المراد منه اللفت الى شيء هام ، هو فعل المشيئة ، وبيان انه متعلق بالله . فهو أذ يتكفل — سبحانه — بتحفيظ نبيه القرآن ، حين يحمله اليه جبريل منجّماً ، يستثني منه ما شاء ان ينسيه اياه ، لمصلحة تقتضي ذلك .

فطول زمان الايقاع في هذه الآية إذا ، ملفت الى امر ديني هام يتعلق بكتاب الله .

واذا كان الايقاع في هذه السورة ، سورة الاعلى، يتسم بالتوافق والاتحاد، وكان المسوغ لذلك وحدة للهدف العام فيها ، والمعاني التي تضمنتها ، فان من السور المكية ما يتغاير فيها ايقاع الآي ونظام الفواصل ، تغاير المعاني والموضوعات التي تدور فيها . وآية ذلك ما نجده في سورتي «الفجر» و«البروج» .

الايقاع في سورة (الفجر) :

في مطلع سورة الفجر : «والفجر . وليال عشر . والشفع والوتر . والليل اذا يسر . هل في ذلك قسم لذي حجر » (١) ، ابتدأ الايقاع سريعاً ، قصير الموجة خفيفاً ، لقصر الآيات وذلاقة حروف فواصلها — الراءات — إذ هي خفيفة الجرس سهلة النطق . وزاد من تماثل هذا الايقاع ، حذف الياء من فاصلة الآية الرابعة : «والليل اذا يسر»، لتترك للراء مجال الأداء الموسيقي المتحد مع بقية حروف الروى . فجاء ايقاع هذه الآى الخمس ملائماً للقسم بظواهر من الطبيعة الجميلة ، عمادها الفجر والليل مع ما تخلل من رموز ذات دلالات متمثلة بالليالي العشر ، والشفع والوتر .

وفجأة يتغير الايقاع فيطول زمنه نسبياً ويتغير معه حرف الروى في الفواصل من الراء الذلقة الخفيفة السلسة الى الدال الشديدة ، (٢) وتسبق حروف الروى مدّات المصوّتات الطويلة : «الالفات » ، كأنما تحكي بجرسها استطالة معنوية ومادية ، متمثلة بطغيان عاد وثمود وفرعون واكثارهم الفساد في الارض، وما ترتب على ذلك من عذاب أليم ، صبه الله عليهم ، فجعلهم أثراً بعد عين . وذلك ما يبين في هذه الآيات التي افتتحت بمخاطبة الرسول (ص) وأريد به

---

(١) الفجر : ١—٥ .

(٢) ينظر في شدة الدال : ابراهيم انيس : اللهجات العربية ص ٧٠ .

تنبيه الكافرين على ما اصاب الامم السالفة ، لما جحدت أنبياءها وكفرت برسالاتهم : (١)

«ألم تر كيف فعل ربك بعاد . ارم ذات العماد . التي لم يخلق مثلها في البلاد . وثمود الذين جابوا الصخر بالواد . وفرعون ذي الاوتاد . الذين طغوا في البلاد . فأكثروا فيها الفساد . فصبَّ عليهم ربك سوط عذاب . ان ربك لبالمرصاد » . (٢)

ثم يتغير الايقاع بعد ذلك ، فيطول زمنه بطول الآية ويتغير جرس الفاصلة بتغير نظامها ، وحرف رويها من الدال الشديد الجرس الى النون الذلقة المعتدلة الجرس ما بين الشدة والرخاوة . ليصور هذا الايقاع حالة نفسية لأنموذج بشري خالد ، يراه الناس في كل زمان ومكان . انه الانسان الذي اذا امتحنه ربه بالنعمة فحباه اياها ، رأى ذلك تكريماً له منه، فاذا ضيق عليه رزقه ومحصه بالبلاء ، ظن ذلك أهانة .

وقد اوجز التعبير عن هذين الموقعين ، بهاتين الآيتين المتوازنتي الايقاع . توازن كلتا الحالتين في نفس الانموذج الذي رسمه وازدواجهما في حياته : «فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه فيقول ربي أكرمن. واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن» . (٣)

وينتقل الايقاع بعدذلك الى موجة أقصر من هذه، موجة في قصر الايات التي سبقتها والتي انتهت فواصلها بالدال. وذلك لتواكب هذا التأنيب المتتالي ، المصور لطبيعة النفس الانسانية في تكوينها ، المصدّر بالزجر والردع للانسان، عن قوله (٤) الذي بينته الايتان السابقتان : «كلا بل لاتكرمون اليتيم ولاتحاضّون على طعام المسكين. وتأكلون التراث أكلا لمّا وتحبون المال حبا جما». (٥)

---

(١) الطبرسي : مجمع البيان في تفسير القرآن ٣٠/ ١٢٨.
(٢) الفجر : ٦–١٤ .
(٣) الفجر : ١٥–١٦ .
(٤) ينظر : الزمخشري : الكشاف ٣/ ٣٣٧ .
(٥) الفجر : ١٧–٢٠ .

وهنا نحس ان تدفق الايقاع الموسيقي في الآي افتتح بشيء من القوة في الجرس، متمثلة بهذا التشديد الذي في «كلاّ»، واختتم بمثل ذلك في كلمة «جمّا» المسبوقة في السياق بكلمة «لمّا». ليتصاعد بعد ذلك الى هذه الصورة من صور التغير الكوني يوم القيامة حيث الحسرة والندامه على ما فرّط اولئك المفرطون، حين لاتنفع ندامة وقد افتتحت الصورة بالردع والزجر كما افتتح الكلام في الايات التي تقدمتها: «كلاّ اذا دكّت الارض دكّا دكّا. وجاء ربك والملك صفا صفا. وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وأنّى له الذكرى يقول ياليتني قدمت لحياتي فيومئذ لايعذب عذابه احد. ولا يوثق وثاقه أحد». (١)

ويلاحظ ان الايقاع في الاية الاولى، يصور الدّك بما فيه من عنف وقد اكسبه التشديد المتتالي جرساً يتنساسب وهذا العنف الذي يتطلبه دك الارض وتفتيتها وجعلها لاشيء. فوق ان تكرار الدك نفسه يوحي جرسه بذلك، وخاصة في المقطع الاخير «دكا دكا». وقد فسره الزمخشري (٢) بأن المعنى «دكا بعد دك، كقوله حسبته بابا بابا، أو كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا».

ويلاحظ ايضا ان الشعور المرير بالندم والتحسر الموجع اللذين يلازمان الانسان المفرط في اليوم الاخر لم تشعرنا بهما الدلالة اللفظية فحسب، في قوله «يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى. يقول ياليتني قدمت لحياتي»، بل اشعرتنا بهما ايضا الدلالة الموسيقية لهذه العبارات. أوبعبارة اخرى: أشعرتنا بهما المدات المتتاليات التي فيها والتي كونتها المصوتات الثلاثة الطويلة: الالف والواو والياء، في مثل: «أنى» و «الذكرى» و«يقول» و «ليتني» و «حياتي». وهذا من آيات تلاؤم الجرس والمعنى في القرآن

---

(١) الفجر: ٢١–٢٥.
(٢) الكشاف ٣/٣٣٧.

واشتراك الجرس في تصوير الجو الحسي او المعنوى الذى تصوره الاى . وقد نوهنا بمثل هذه الميزة الفريدة في موضوع سابق .

ولانريد ان يفوتنا التنويه هنا بانسجام الفاصلة «أحد» مع المعني ، في الايتين الأخيرتين اذ ان شدة جرس الروى الدال في كل منهما يناسب الجزم والتوكيد بتعذيب الكافرين وغلهم يوم القيامة: «فيومئذ لايعذب عذابه أحد ولايوثق وثاقة احد »(١)

واذا انتهينا بالتلاوة الى هذا الحد اشرفت السورة على الختام واتخذ ايقاعها وجرسها ، بعد ذلك بسمة موسيقية تلائم فاتحتها اذ يغلب عليها الهدوء ليوائم الوعد برجوع المؤمن الى ربه ودخوله مع عباد الله في جنته:
«ياايتها النفس المطمئنة . ارجعي الى ربك راضية مرضية. فادخلي في عبادي وادخلي جنتي » . (٢)

الايقاع في سورة (البروج) :

الايقاع في سورة البروج شأنه شأن الايقاع في اغلب السور المكية القصيرة، فهو سريع النبض متدفق الحركة قصير الزمن يناسب المعاني والاغراض التي تناولتها السورة . فاذا اقسم الخالق سبحانه في هذه السورة والقسم في السور المكية اكثر وتبعه الوعيد والتهديد، كان المناسب لذلك ان يتدفق ايقاع الاى سريعا قصير الموجة ، ليناسب هذا الجو . ويتجلى ذلك بوضوح في أولها ، اذ نجدها تفتتح بهذه الايات: « والسماء ذات البروج . واليوم الموعود . وشاهد ومشهود . قتل اصحاب الاخدود . النار ذات الوقود . اذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ». (٣)

---

(١) الفجر : ٢٤–٢٥.

(٢) الفجر : ٢٧–٣٠.

(٣) البروج : ١–٧.

غيران ايقاع الاى لايسير باستمرار على زمن واحد ونمط واحد بل نراه يتجه نحو الطول في الزمن ، حين يقرر امورا عقيدية تتعلق بالايمان بالله ودلائله في الطبيعة البعيدة والقريبة ويصور العذاب الحسي للكافرين والنعيم الحسي للمؤمنين وقد تغير حرف الروى في فواصل هذه الآى ، بتغير الموضوع ، من الدال إلى القاف إلى الراء . وكأنه اريد بهذا التغير اللفت إلى شيء هام :

« وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد. الذي له ملك السموات والارض والله على كل شي شهيد . ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق . ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير » . (١)

وواضح ان احدى الايات ختمت بعبارة « عذاب الحريق » واخرى بعبارة « الفوز الكبير » وهذا التغاير لافت إلى امرين : اولهما : العذاب الذي سيصيب اصحاب الاخدود يوم الحساب لاحراقهم اولئك الابرياء الذين لا ذنب لهم الا أيمانهم بالله العزيز الحميد ، وما هو بذنب . وهذا العذاب من جنس ما مارسوه في دنياهم ، فهو مطابق لما اقترفته ايديهم وثانيهما : الثواب الذي سيناله المؤمنون ومنهم اولئك الابرياء الثابتون على ايمانهم على الرغم من تعذيبهم . فهذا الانتقال الموضوعي صحبه انتقال في الايقاع وهذا اللفت إلى هذين الامرين صحبه تغير في روى الفاصلة . فاذا عاد القرآن — بعد هذا الفصل الهام — إلى الوعيد ، عاد الايقاع إلى صورته الاولى من جديد ، بسرعته وتدفقه وقصر موجته وتماثل زمنه . بل عاد معه تناسق الفواصل متماثلة فيما بينها من جهة ومع ماتقدمها من الفواصل الاولى — الدالية — من جهة اخرى بما فيها من شدة تناسب الوعيد والتهديد :

« ان بطش ربك لشديد . انه هو يبدىء ويعيد . وهو الغفور الودود .

---

(١) البروج : ٨–١٢.

ذو العرش المجيد . فعّال لما يريد . هل اتاك حديث الجنود . فرعون وثمود». (١) حتى اذا انتهى من هذا الوعيد والسرد، إلى الجزم والتقرير، غير نظام الفواصل من جديد . بتغيير حروف الروى فيها ، مستعملا صوتا شديدا هو « الباء » (٢) وصوتين مفخمين : (٣) .

هما الطاء والظاء ، بالاضافة إلى الدال في احدى الآيات : « بل الذين كفروا في تكذيب .والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد .في لوح محفوظ» .(٤) وهكذا نجد الايقاع في سورة «البروج »قد ناسب الموضوعات التي تناولتها. والمعاني التي تضمنتها ، معتمداً في ذلك على أمرين :احدهما زمان النغم ،والآخرنظام الفاصلة . ومايوحيه صوت رويهامن دلالات موسيقيةمناسبةلاجواءالآي ومقاصدها.

ولنا بعد هذا الذي قدمناه من وصف الايقاع ودلالاته في السور الثلاث المكية: الأعلى والفجر والبروج، أن ننتقل إلى وصف الايقاع في السورة المدنية التي اخترناها وهي سورة النساء ، ليتبين الفارق في الايقاع بين القبيلين من السور القرآنية .

الايقاع في سورة (النساء) :

وسورة النساء من تلك السور الطول التي تتجلى فيها بوضوح ،الخصائص العامة للسور المدنية وهي أطول سورة في القرآن بعد سورة البقرة (٥) ومدنية بأجماع القراء .(٦) وإذا تأملنا فيها عند تلاوتها، ألفيناها تفيض بالمعاني والموضوعات

---

(١) البروج : ١٢–١٨.

(٢) تنظر شدة الباء الصوتية في: اللهجات العربية لابراهيم انيس ص٨٣ فوق.

(٣) ينظر التفخيم في هذين الصوتين في المصدر نفسه ص ٧١.

(٤) البروج : ١٩–٢٢.

(٥) اذ يبلغ عدد آياتها ١٧٦ آية ، على حين يبلغ عدد آيات سورة البقرة ٢٨٦ ، في عد الكوفيين.

التي أكـدها القرآن المدني . إذ تتجلى فيها العناية بالمجتمع الجديد في المدينة بحيث تتناول الفرد والاسرة والمجتمع .فهي تؤكد أول ماتؤكد وحدة الاصل الانساني وقيام نظام الزوجية في الحياة الاجتماعية ،ووشائج القرابة .وتتناول بعد هذا ،الحديث عن فئات كانت ممتهنة في الجاهلية ،لترد اليها اعتبارها الانساني ،وتأمر برعاية حقوقها التي تحفظ لها آدميتها .فنراها تأمر بحفظ أموال اليتامى وحماية اليتامى الأناث من الجور والعسف .وتنظيم الحياة الاسرية بما يحفظ لها كيانها وقيامها : من العدل والصدق وما اليهما.وتتطرق في عدد من آياتها إلى الارث وما يتعلق به من أنصبة ووصية .. إلى غير ذلك من موضوعات اجتماعية ومالية ذات وشيجة وثيقة بالاسرة والمجتمع .كما تتناول في عدد من آياتها ذم اليهود وتحريفهم التوراة ،ووصف المنافقين ...

واذا استمعنا إلى ايقاع هذه السور وجدناه يتسم بالهدوء وطول زمن النغم لطول الآية ووجدنا اغلب فواصلها تنتهي بالالف والفواصل الاخرى واحدة منها باللام ، وواحدة بالنون خمس بالميم المضمومة (١) وهذه الاصوات الثلاثة الأخيرة : « اللام والنون والميم» متقاربة حتى ان الحسن بن أحمد الكاتب (من علماء القرن السادس للهجرة) يسميها حروف الغنة (٢). فهي ذات وشيجة فيما بينها وفي الاستعمال وفي الصفات الصوتية ، اذ«هي اكثر الاصوات شيوعا في اللغات السامية كما انها من الاصوات المتوسطة الشبيهة باصوات اللين » (٣) وهـذه الصفـات جعلـت الفواصـل ملائمـة بجـو السورة وطابعهـا الهادى . وايضـا فـان طـول زمـان الايقـاع ، الذي ترتب على طول آيات السورة — وذلك غالب على السور الطويلة — مناسب لمراميها الاجتماعية والاقتصادية المتعددة التي تحتاج إلى بسط وسرد وتفصيل . اذ هي — كما

---

(١) وينظر الفيروز آبادي : بصائر ذوي التمييز ١٦٩/١.

(٢) كما في أدب الغناء ص ٨١.

(٣) ابراهيم انيس : اللهجات العربية ص ١٠٥.

بينا سالفاً — تتناول في الغالب الاحكام الشرعية ، وتنظيم الحياة الاجتماعية والمالية ، الفردية والأسرية، واكثر ماتناولت من الاحكام حقوق المرأة وأمورها ولذلك سميت « سورة النساء الكبرى» كما سميت سورة « الطلاق» : « سورة النساء الصغرى» (١) .

فالسورة تبدأ بهذه الآيات التي تتوالى فيها المصوّتات الطويلة (الالفات) لتكسب ايقاعها هدوءاً، فوق هدوئها المعنوي الذي يبسط الاحكام والتشريعات ويعرضها على الناس جميعاً وان كان المخاطبون بها من نزلت فيهم من المهاجرين والانصار :

«يأيها الناسَ اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ فيهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا . وآتوا اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث من الطيب ولاتأكلوا اموالهم إلى اموالكم انه كان حوباً كبيراً . وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة او ماملكت ايمانكم ذلك ادنى الاتعولوا وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا » (٢).

« يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ماترك وان كانت واحدة فلها النصف ولأبويه ولكل واحد لهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلأمه الثلث فان كان له اخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين،

---

(١) الفيروز آبادي : بصائر ذوي التمييز ١/١٦٩.

(٢) النساء: ١-٤ .

آباؤكم وابناؤكم لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعاً فريضة من الله ان الله كان عليماً حكيماً » . (١)

ويلاحظ ان الايقاع مع طول موجته في كل آية يتسم بانقسامه الى وحدات زمنية متناسقة في الآية الواحدة. من مثل مافي الآية الاولى:

« ياأيها الناس اتقوا ربكم » الذى خلقكم من نفس واحدة »« وخلق منها زوجها » « وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » .

وقوله في الآية الحادية عشرة :

«يوصيكم الله في اولادكم » «للذكر مثل حظ الانثيين » «فان كن نساء فوق اثنتيين » « فلهن ثلثا ما ترك » .

وهذا التناسق في جزئيات الايقاع ،مما يضفي عليه ذلك السر الذي عرفت به موسيقى القرآن ،وذلك التأثير الذى ينفذ الى صميم الوجدان فيستجيشه ويحركه، وتتقبل النفس ما يحمل معه من مفهومات ومعان وتوجيهات. وهو هنا يحمل معه احكاما هامة في بناء حياة الفرد والجماعة ذكورا واناثا . وان كان هذا التناسق لاينبعث من جزئيات الايقاع التي في الآية الواحدة فحسب ،بل ينبعث من تناسق الايقاع ما بين آية وآية.ومن ائتلاف الحروف في الالفاظ وتناسق الالفاظ في العبارات . ولذلك فانه كثيرا مايحس ولايعلل اوبعبارة أخرى يدركه الحس والوجدان ولايستطيع له تفسيرا وهذا سر روعة الموسيقى في القران وتأثيرها في النفوس .

ويلاحظ اننا لانشعر هنا بذلك التدفق الموسيقى والنبض السريع الذي الفيناه في ايقاع الايات المكية اذ المقام هنا لايستدعي ما وجدناه هناك ، لان الايات المكية واجهت مجتمعا لاتزال موسيقى الشعر والنثر المسجوع ترن في اذنه ، وتستحوذ على مشاعره قبل ان ينفذ اليه القرآن بما يملك عليه وجدانه ومشاعره . فضلا على ما بيناه سالفا من ان ذلك التدفق في ايقاع

(١) النساء : ١١.

القرآن ، وسرعتة وقصر موجته ،له تأثيره الكبير في تلك المواجهة الفكرية والعقيدية التي خاضها القرآن ضد المشركين وعقائدهم الجاهلية ، من اجل تثبيت اصول الدعوة الاسلامية .

على اننا لانزعم ان ما ذكرناه في هذه الدراسة التطبيقية حول الايقاع في السور الثلاث القصار المكية والسورة المدنية ، التي اخترناها ، هو كل ما يمكن ان يقال في هذا الموضوع الدقيق الهام. بل اننا لنقر بأن كثيرا من خصائص الايقاع الموسيقية سر من اسرار القرآن،ودليل من دلائل الاعجاز في هذا البيان.

ولابد من الاشارة في ختام هذا البحث الى حقيقة هامة، وهي ان هذه الموسيقى المعجزة التي تكمن وراء النظم القرآني ، هي التي مكنت قارئي القرآن من ترتيله وتجويده عند تلاوته (١) . ذلك ان الشعر والنثر يقصر عن أن يؤدياهذا الأداء الذى يؤدى به القرآن عند ترتيله أوتجويده. ولو حاول أحد تكلف ذلك لهما لكان متكفا المحال ، وساعيا وراء ما لاطائل وراءه.بل ان هذه الخصيصة الهامة،تميز بها القرآن من غيره من كتب الاديان التي بين أيدى الناس اليوم ايضا . فلم تكن «المزامير» (٢) — على ما فيها من موسيقى — لترتل أو تجود عند العبرانيين . بل كانت تغنى في الطقوس التي يقيمونها . ثم نقلت الطقوس المسيحية اسلوبها الى الكنيسة ،ولايزال مستعملا الى وقتنا الحاضر (٣) على حين بقيت السـمة التي يؤدى بها القرآن ويتلى ، هي الترتيل والتجويد فحسب لما بيناه من عجيب ايقاعه وروعة جرسة فضلا على تساميه — بحكم قدسيته — على ان يؤدى بالغناء الذى لايليق بكلام الله .

---

(١) قارن ببلاغة القرآن لأحمد بدوي ص ٢٤٥.

(٢) المزامير : هي من أسفار (العهد القديم)، وتقع في الترتيب بعد سفر أيوب، وتعتبر أطول هذه الاسفار، اذ تتكون من ١٥٠ اصحاحاً.

(٣) هوجو لا يختنتربت : الموسيقى والحضارة ص ٦٢ .

المصادر والمراجع

١.ابراهيم أنيس (الدكتور) :

(أ) دلالة الالفاظ ،ط٢ مطبعة لجنة البيان العربي — القاهرة ١٩٦٣ .

(ب) اللهجات العربية مطبعة الرسالة — القاهرة (لم تذكر سنة الطبع)

(ج) من اسرار اللغة ، ط٣ ، المطبعة الفنية الحديثة — القاهرة ١٩٦٦

٢.احمد بدوي (الدكتور) : من بلاغة القرآن ، ط٣ ، مكتبة نهضة مصر (لم تذكر سنة الطبع).

٣. الباقلاني : ابو بكر محمد بن الطيب :

(أ) أعجاز القرآن — بتحقيق السيد احمد صقر ، دار المعارف — مصر ١٩٦٣ .

(ب) نكت الانتصار لنقل القرآن — دار بور سعيد للطباعة — الاسكندرية ١٩٧١ .

٤. الثعالبي : ابو منصور عبد الملك بن محمد : فقه اللغة وسر العربية مطبعة الاستقامة القاهرة ، ١٩٥٩

٥. الجرجاني : ابو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن :

(أ) دلائل الاعجاز — علق عليه محمد عبد المنعم خفاجي ، مطبعة الفجالة الجديدة — القاهرة ، ١٩٦٩

(ب) الرسالة الشافية — ضمن كتاب : ثلاث رسائل في اعجاز القرآن بتحقيق محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام ، ط٢ دار المعارف — مصر ١٣٨٧هـ= ١٩٦٨ .

٦.ابن الجزري: احمد بن محمد : شرح طيبة النشر في القراءات العشر ، ط١ ، مطبعة البابي الحلبي – مصر ١٣٦٩هـ – ١٩٥٠ م .
٧.جوليوس بورتنوي : الفيلسوف وفن الموسيقى – ترجمة الدكتور فؤاد زكريا، مطبعة دار الكتب – القاهرة ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م .
٨.حسين علي محفوظ : قاموس الموسيقى العربية ، دار الحرية للطباعة – بغداد ١٩٧٧ .
٩. الخطابي : ابو سليمان حمد بن محمد : بيان اعجاز القرآن – ضمن كتاب : ثلاث رسائل في اعجاز القرآن . بتحقيق محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام . ط٢ ، دار المعارف – مصر ١٣٨٧= ١٩٦٨ م.
١٠ .الدومنيكي : الأب أ . س . مرجي : معجميات عربية – سامية مطبعة المرسلين اللبنانيين – جونية – لبنان ١٨٥٠ .
١١ . الرافعي : مصطفى صادق : اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ط ٧ ، المكتبة التجارية الكبرى القاهرة ١٣٨١هـ – ١٩٦١ .
١٢ . الرضي : الشريف محمد بن الحسين : تلخيص البيان في مجازات القرآن ، مطبعة المعارف – بغداد ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م .
١٣ .الرماني : ابو الحسن علي بن عيسى : النكت في اعجاز القرآن – ضمن كتاب : ثلاث رسائل في اعجاز القرآن بتحقيق محمد خلف الله والدكتور محمد زغلول سلام ، ط٢ ، دار المعارف – مصر ١٣٨٧هـ – ١٩٦٨م .
١٤. ابو ريمة : محمد المحمود النجار : هداية المستفيد في أحكام التجويد، مطبعة دار احياء الكتب العربية – مصر (لم تذكر سنة الطبع) .

١٥ . الزركشي: بدرالدين محمد بن عبدالله : البرهان في علوم القرآن — بتحقيق أبي الفضل ابراهيم ، ط ١ دار احياء الكتب العربية القاهرة ١٩٥٧ .

١٦ . الزمخشري : جار الله محمود بن عمر الزمخشري : الكشاف عن حقائق التنزيل ، مطبعة البابي الحلبي — القاهرة ١٣٦٧هـ — ١٩٤٨م.

١٧ . ابن سنان : ابو محمد عبد الله بن محمد الخفاجي : سر الفصاحة . شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي . مطبعة محمد علي صبيح — القاهرة ١٩٦٩ .

١٨ . سيبويه : ابو بشر عمرو بن عثمان : الكتاب ، ج٤ ، بتحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ، مطابع الهيئة للكتاب — القاهرة ١٣٩٥ — ١٩٧٥ م .

١٩ . سيد : أمير علي : روح الاسلام ، تعريب عمر الديراوي ، مطبعة كرم بيروت ١٩٦١

٢٠ . سيد قطب: (أ) التصوير الفني في القرآن ، دار المعارف — مصر ١٩٦٣ . (ب) في ظلال القرآن . ط ٣ دار احياء التراث العربي — بيروت ، (لم تذكر سنة الطبع) .

٢١ . السيوطي : جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر : الاتقان في علوم القرآن ، ط٣ ، مطبعة البابي الحلبي — مصر ١٩٥١ .

٢٢ . الطبرسي : ابو علي الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن ، ط٢ دار الفكر — بيروت ١٣٨٠هـ — ١٩٦١ م

٢٣ . الطبري: ابو جعفر محمد بن جرير : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، بالاوفست عن مطبعة بولاق ط٢ ، دار المعرفة — بيروت ١٩٧٢

٢٤. عائشة عبد الرحمن (الدكتورة) : التفسير البياني للقرآن الكريم ، ط١
دار المعارف — مصر ١٩٦٩ .

٢٥.عبد البديع صقر : التجويد وعلوم القرآن ،ط٣دمشق — ١٣٨٩هـ
لم تذكر سنة الطبع .

٢٦.عبد الوهاب حمودة : اللغة العربية والموسيقى ، بحثان في مجلة الثقافة
لسنتي ١٩٣٩و١٩٤٠ .

٢٧.العلوي : يحيى بن حمزة : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق
الاعجاز ، مطبعة المقتطف — مصر ١٣٣٢هـ — ١٩١٤م.

٢٨.الفارابي : ابو نصر محمد بن محمد بن طرخان : كتاب الموسيقى الكبير
دار الكاتب العربي للطباعة والنشر — القاهرة (لم تذكر الطبع) .

٢٩.فاروق شوشة : لغتنا الجميلة ، مكتبة مدبولي — القاهرة (لم تذكر
سنة الطبع)

٣٠.الفراء : يحيى بن زياد : معاني القرآن ، بتحقيق محمد علي النجار وزميله ،
ط١ ، مطبعة دار الكتب — مصر ١٩٥٥ .

٣١.الفيروزآبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب .
(أ) بصائر ذوي التمييز في لطائف تتعلق بالكتاب العزيز ،
مطابع شركة الاعلانات الشرقية — القاهرة ١٣٨٤هـ — ١٩٦٤م
(ب)القاموس المحيط دار العلم للجميع — بيروت (لم تذكر
سنة الطبع)

٣٢.القرطاجني : حازم : منهاج البلغاء ، بتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة
دار الكتب الشرقية — تونس ١٩٦٦ .

٣٣.الكاتب : الحسن بن أحمد علي : كمال أدب الغناء ، بتحقيق غطاس عبد الملك خشبة ومراجعة الدكتور محمود احمد الحفني ،مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م .
٣٤ . كورت زاكس : تراث الموسيقى العالمية ، ترجمة الدكتورة سمحة الخولي ، ومراجعة وتقديم حسن فوزي دار النهضة العربية – القاهرة ١٩٦٤ .
٣٥.مالك بن نبي : الظاهرة القرآنية الطبعة المنقحة ، دار الفكر – بيروت ، (لم تذكر سنة الطبع) .
٣٦.المبارك : محمد : دراسة أدبية لنصوص من القرآن الكريم . دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت (لم تذكر سنة الطبع) .
٣٧.المبرد : ابو العباس محمد بن يزيد : الكامل بتحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم والسيد شحاتة ، مطبعة نهضة مصر – القاهرة ١٩٥٦ .
٣٨.النحاس : أبو جعفر أحمد بن محمد : شرح القصائد التسع المشهورات ، بتحقيق أحمد خطاب عمر ، دار الحرية للطباعة – بغداد ١٩٧٣ .
٣٩ . محمد مندور : الادب وفنونه . ط ٢ ، مطبعة نهضة مصر – القاهرة (لم تذكر سنة الطبع) .
٤٠ . ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب . طبعة مصورة عن طبعة بولاق ، مطابع كوستاتسو ماس – القاهرة (لم تذكر السنة) .
٤١ . النسفي : ابو البركات عبد الله بن أحمد : مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، مطبعة البابي الحلبي – مصر (لم تذكر سنة الطبع) .
٤٣ . هوجولايختنتريت : الموسيقى والحضارة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر – القاهرة (لم تذكر سنة الطبع) .
٤٣. هـ.ج . فارمر : تاريخ الموسيقى العربية . ترجمة الدكتور حسين نصار – دار الطباعة الحديثة – القاهرة ١٩٥٦ .

الشعر في أربل في ظل الأسرة البكتكينية
بين ٥٢٦ - ٦٣٠هـ

ناظم رشيد

تمهيد :

اشتهرت في القرنين السادس والسابع الهجريين مجموعة من المدن في انحاء العالم الاسلامي ، كان لملوكها وحكامها الشهرة الواسعة التي تضاهي شهرة الخليفة في بغداد ، حيث جمع بلاط بعضهم من العلماء والأدباء مالم يجمعه بلاط الخليفة . والفت الكتب الضخمة والمجاميع الكبيرة في اكنافهم ، فكان لهم الدور الكبير في دفع مسيرة الثقافة العربية التي ابتدأها السلف العظيم الى مراحل بعيدة من الرقي والتقدم .

واحدى هذه المدن هي «إربل» التي كانت قلعة حصينة ضدّ الغزاة والطامعين من التتر وغيرهم ، ومركزاً مهماً للعلم والأدب ، ومأوى أميناً للدارسين . ويعود الفضل في تقدمها ورقيها الى اسرة بكتكين التركمانية التي حكمت اربل من سنة ٥٢٦هـ الى سنة ٦٣٠هـ .

وسأوضح في هذا البحث الوجيز نشأة هذه الأمارة وانتهاءها ، ثم اعرج على الجانب الثقافي . مبيناً ازدهارها . ذاكراً أسماء أعلامها الكبار الذين خدموا الفكر الانساني . وأشهر من وفد اليها من أقطار العالم الإسلامي ثم اقف وقفة طويلة عند شعرائها والأغراض التي عالجوها ، واختتم كل ذلك بخاتمة موجزة عن ماخرج البحث به من نتائج .

الأسرة البكتكينية

كان الأمير زين الدين علي بن بكتكين التركماني ، الذي يدعى كجك علي قائد جيش عماد الدين زنكي ونائباً عنه في الموصل واعمالها مدة إحدى وعشرين سنة ونصف سنة ، ثم سلمها الى قطب الدين مودود بن زنكي لما اصيب بالعمى والصمم ، وابقى لنفسه اربل (١) .

ولما توفي (٥٦٣هـ) كان الحاكم في اربل خادمه مجاهد الدين قايماز (٢)

(١) ينظر تفاصيل ذلك في التاريخ الباهر ص ١٣٥ .
(٢) مجاهد الدين قايماز بن عبد الله الزيني ، توفي سنة ٥٩٥ (الجامع المختصر ٩ : ٨) .

فولى بعده ولده مظفرالدين كوكبري(١) ، وله من العمر أربع عشرة سنة ، ثم تآمر عليه ، وكتب محضراً بانه لايصلح للملك لصغره (٢) ، وأقام اخاه يوسف مقامه ، وكان أصغر منه .

خرج مظفرالدين من اربل وتوجه الى بغداد عله يظفر بمعونة الخليفة ، المستنجد بالله ومساعدته في رد ملكه ، ولكن خاب أمله ، فعاد الى الموصل ، ومالكها يومئذ غازي بن مودود . فاتصل بخدمته وأقطعه سران (٣) ، فأقام بها مدة ثم اتصل بصلاح الدين الأيوبي وتزوج اخته الصغرى ربيعة خاتون وزاده صلاح الدين الرها وسميساط (٤) ، وشهد معه عدة معارك اظهر فيها شجاعة وبطولة وحسبه فخراً انه ابلى بلاء عظيماً في معركة حطين ، فقد ولاه صلاح الدين فيها قيادة الجيوش الشرقية ، اي جيوش الموصل والجزيرة .

وفي سنة ٥٨٦هـ استنجد صلاح الدين الأيوبي بملوك المسلمين على حرب الافرنج حينما احتلوا عكا ، فكان أحد القادمين لنجدته يوسف ، وهو يومئذ صاحب اربل ، فاحترمه السلطان صلاح الدين وأكرمه وأنزله في خيمته . وأكثر من ضيافته ، فأقام مدة لم تتجاوز بضعة أشهر ، ثم توفي اثر مرض شديد .

أعطى السلطان صلاح الدين أربل لمظفر الدين كوكبري ، واستنزله عن بلاده التي كانت بيده ، فمضى اليها واستقبله الناس فرحين ، لأنهم كانوا يتوسمون فيه الخير والاصلاح ، وقد سبقت اليهم أخباره وما قام من اعمال جليلة في المناطق التي حكمها ، وبطولاته الموفقة في حربه مع اخوانه المسلمين في بلاد الشام ، وتحققت ظنونهم فوجدوه الرجل الجدير لحكم البلاد الصالح لإدارة شؤون العباد فأحبوه واكرموه ، واطاعوا أوامره ونواهيه .

قام مظفر الدين بعمارة أربل ، وتأسيس المدارس ، وبنى مسجداً صرف عليه مبالغ طائلة ، تقوم الآن مئذنته الشاهقة البديعة غريبة تعكس للأجيال

(١) كوكبري: اسم تركي، معناه الذئب الأزرق (وفيات الأعيان ٤ : ١٢١) .
(٢) شذرات الذهب ٥ : ١٣٨ .
(٣) حران : مدينة مشهورة وهي على طريق الموصل والشام والروم(معجم البلدان٢ : ٢٣٤).
(٤) الرها : مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام(معجم البلدان ٣ : ١٠٦).
سميساط : مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم (معجم البلدان٣ : ٢٥٨).

آثاره الجليلة ، قال عن نفسه : «لما اخذت اربل آليت على نفسي ان اقسم مغلها ثلاثة اقسام : قسم انفقه في أبواب البر ، وقسم للجند وما يخصني ، وقسم ادخره لعدو يقصدني (١)» .

اهتم مظفر الدين بالشعائر الدينية ، وخاصة المولد النبوي الشريف ، ويقدر سبط ابن الجوزي(٢)من كان يحضره بثمانمئة الف ،وما يصرف عليه ثلاثمئة الف دينار . والف احد الوافدين لمشاهدة هذا المولد . وهو الحافظ ابو الخطاب ابن دحية الأندلسي البلنسي كتاباً سماه« التنوير في مولد البشير النذير» اجازه على ذلك بألف دينار (٣) . واصبح هذا الكتاب شغل مظفر الدين الشاغل فكان يكثر من قراءته ويسمعه الى كل ضيف كبير يفد عليه ، ويقرأه عليه بنفسه . وقد سمع ابن خلكان هذا الكتاب منه في ستة مجالس في جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وستمئة . (٤)

حكم مظفر الدين بلاده حكماً عادلا ، ورعى حق الله في رعيته . ولم يأل جهداً في اسعادهم . ومنع الأمور المحرمة في الاسلام ان تقترف في امارته بحيث اصبح « لايمكن لأحد ان يشرب الخمر او يدخلها الى البلد (٥) ».

لقد كان مظفر الدين رجلا عظيماً ، متمرساً في حرب الأعداء ، اكتسب خبرة كبيرة من محاربته الصليبيين مع صلاح الدين في معركة حطين والسواحل الشامية ، وكان التتر يهابونه ويخشونه .ولو عمل الخليفة العباسي بنصيحته، واهتدى برأيه لما اجتاحت جيوشهم العراق ، ولما اصابه دمار واحراق. قال الدواداري في حوادث سنة ٦٢٠هـ :«كتب مظفر الدين للخليفة يقول : ان هذا العدو عدو ثقيل ،وخلق عظيم ، لا يعلم عددهم الا الله تعالى عز وجل فابعث الينا جيشاً نلقى به هذا العدو ولو عشرين الف فارس ، ونحن

---

(١) مرآة الزمان ٨ : ٦٨. والمغل: الايراد.
(٢) نفسه ٨ : ٦٨.
(٣) البداية والنهاية ١٣ : ١٣٦.
(٤) وفيات الاعيان ٣ : ٤٤٩.
(٥) العسجد المسبوك ص ٣٣٧.

نتكل على الله تعالى ونلقاه بمعونته. فغلب على رأي الخليفة وزراء السوء ، وأثبتوا في ذهنه ان التتار لايدوسون له ارضاً ... فلم يرد الخليفة له جواباً . وقد كان التتار لما سمعوا بمظفر الدين تأخروا الى ورائهم ، فانه كان رجلا شجاعاً مقداماً » (١)

توفي مظفر الدين سنة ٦٣٠هـ ، وكان قد اوصى باربل للخليفة المستنصر بالله لأنه لم يخلف ولداً(٢) ، فتسلمها الخليفة ، وبذلك انطوت الصفحة المضيئة من حكم هذه الأسرة الكريمة .

الجانب الثقافي :

اهتمت الأسرة البكتكينية بالعلوم والآداب ، وشجعت الدارسين ، وبذلت لهم بسخاء ، وأنشأت لهم المدارس ، ووفرت لها المدرسين ، فانتجع مدينة اربل الكثيرون من كل حدب وصوب ، فخرجت من الخمول الذي ران عليها زمناً طويلا . ولكثرة من دخل هذه المدينة من الوافدين — طلاباً وأساتذة — ألف شرف الدين أبو البركات بن أبي الفتح أحمد المشهور بابن المستوفي آخر وزراء أربل على عهد مظفر الدين كتاباً كبيراً بأربعة مجلدات سماه : «نباهة البلد الخامل ومن ورد عليه من الأماثل » (٣) ، لأن أربل ظل بلداً خاملا لايأخذ بأسباب النباهة الا بعد منتصف القرن السادس الهجري ، أي بعد أن أصبحت ملكاً لأسرة بكتكين التركمانية . واستمرت هذه النباهة حتى اجتاحها التتر سنة ٦٣٤هـ ، فخربوها وقتلوا أكثر أهلها ، ولم ينج منهم الا من لجأ الى القلعة واعتصم بها ، وبذلك خفت ذلك اللألاء الذي لاح فترة من الزمن ، وعادت المدينة الى سابق خمولها .

---

(١) كنز الدرر ٧ : ٢٥٤.

(٢) تاريخ أبي الفداء ٣ : ١٦١.

(٣) كان هذا الكتاب يعد من الكتب المفقودة، وقد عثر أخيراً على الجزء الثاني منه في مكتبة جستر بيتي في دبلن بايرلندة رقم ٤٠٩٨ ، كتب سنة ٦٤١هـ، أي بعد أربع سنوات من وفاة المؤلف ، وعدد أوراقه ٢٣١ ورقة(توجد في مكتبتي نسخة مصورة منه).

أن اهم المراكز الثقافية في عهد هذه الأسرة هي مدرسة القلعة التي أنشأها أبو منصور سرفتكين النائب الأول للأمير زين الدين على بن بكتكين ، والمدرسة القيمازية التي أسسها النائب الثاني مجاهد الدين قايماز ، ومدرسة مظفر الدين التي أنشأها مظفر الدين كوكبري . وقد اهتمت الأخيرة بتدريس الفقهين الحنفي والشافعي . وكان يدرس فيها أيضاً : التفسير والحديث والنحو والصرف والمنطق والتاريخ والادب . ولم تكن هذه المدارس أقل شأناً من المدارس القائمة آنذاك في المدن المشهورة كدمشق والموصل وحلب والقاهرة .

لقد أرادت هذه الاسرة باهتمامها هذا ان تخدم أبناءها وتزيد من ثقافتهم من جهة ، واكتساب الشهرة بين الملوك الذين كانوا يتنافسون في اجتذاب العلماء والادباء من جهة أخرى .

وكان للحركة العلمية والأدبية النشيطة في هذه المدينة ، واحتضانها العلماء والأدباء واكرامهم وتقديم كل مستلزمات الراحة والاقامة لهم أثر كبير ودافع عظيم في اقبال أبنائها على الدرس والتحصيل ، فلم يمض وقت طويل حتى ظهر منهم رجال عظام وصلوا الى مراتب عليا . واشتركوا مع اخوانهم في البلدان الاسلامية الأخرى في اغناء المكتبة العربية بثروة فكرية كبيرة تناولت مختلف جوانب المعرفة .

فمن العلماء : ابو الفضل الياس بن جامع بن علي الإربلي (ت٦٠١هـ) درس في أربل ثم « قدم بغداد وتفقه بالمدرسة النظامية وسمع الحديث ، وعاد الى بلده ، وخرج التخاريج ، وجمع المصنفات ، وروى هناك ، وتفرد بكتابة الشروط ، وكان فيه فضل وأدب (١) . وأبو محمد جعفر بن محمد الاربلي (ت٦٠٩هـ) «وكان عالماً متفنناً لعدة علوم منها الفقه على المذهب الشافعي — رحمه الله — والفرائض والحساب والهندسة والأدب والنجوم ومعرفة علوم القرآن المجيد »(٢) . وابو القاسم نصر بن عقيل بن نصر الاربلي (٣)

(١) الجامع المختصر ص ١٦٥ .
(٢) الجامع المختصر ص ٣٤٣ .
(٣) شذرات الذهب ٥ : ٨٦ .

(ت٦١٩هـ)، وعلى بن أبي القاسم بن علي الاربلي (ت٦٢١هـ) «وكان عنده فضل ومعرفة في النحو والفقه والعروض ... أخذ على سيبويه في عدة مواضع» (١). والعلامة شمس الدين أحمد بن الحسين الإربلي الضرير المشهور بابن الخباز (ت٦٣٩هـ) وهو صاحب التصانيف، وشرح الألفية لابن معطي، وكان استاذاً بارعاً في النحو واللغة والعروض والفرائض» (٢).

ومنهم من ولد ونشأ في أخريات أيام هذه الامارة. وظهرت مواهبه بعد زوالها مثل: يحيى بن محمد أبي زكريا الاربلي (٣) (ت٦٨٠هـ). والامام العلامة سلار بن الحسن الاربلي (٤) (ت٦٧٠هـ). والجنيد بن عيسى الاربلي (٥) (٦٨٠هـ)، والقاسم بن ابي بكر القاسم الأربلي (٦) (ت٦٨٠هـ). والشيخ مجد الدين أبي العباس أحمد بن علي بن ابي غالب الاربلي النحوي (٧) (ت٦٧٥هـ). وتقي الدين عمر بن يعقوب الاربلي (٨) (ت٦٧٣هـ)

ومن الأدباء: موفق الدين الاربلي (ت٥٨٥هـ) «وكان اماماً مقداماً في علم العربية، مفتناً في أنواع الشعر. ومن أعلم الناس بالعروض والقوافي وأحذقهم بنقد الشعر، وأعرفهم بجيده من رديئه، وأدقهم نظراً في أختياره، وهو شيخ ابن المستوفي صاحب تاريخ اربل (٩)

وأحمد بن عبد السيد المشهور بالصلاح الاربلي (ت٦٣١٢هـ)، وكان حاجباً عند مظفر الدين كوكبري فتغير عليه واعتقله، ثم أخرج عنه، فخرج

---

(١) بغية الوعاة ٢: ١٨٤.
(٢) نكت الهميان ص ٩٦.
(٣) ذيل مرآة الزمان ٤: ١٣٣.
(٤) شذرات الذهب ٥: ٣٣١.
(٥) ذيل مرآة الزمان ٢: ٣٦٥.
(٦) ذيل مرآة الزمان ٢: ١٢١.
(٧) شذرات الذهب ٥: ٢٨٨.
(٨) شذرات الذهب ٥: ٣٤١.
(٩) وفيات الأعيان ٥: ٩.

من اربل قاصداً الشام ، ومنها الى مصر ، فأتصل بالملك الكامل وعظمت منزلته عنده ، ثم تغير عليه واعتقله ، فعمل دوبيتاً ، واملاه على أحد المغنين فغناه عند الملك ، فاستحسنه ، وسأله : لمن هذا ؟ فقال : للصلاح ، فأمر بالافراج عنه ، والدوبيت :

ما أمر تجنيّك على الصبّ خفي　　　أفنيت زماني بالأسى والأسفِ
ماذا غضبٌ بقدر ذنبي ولقد　　　بالغتَ وما أردتَ الاّ تلفي

وبقي على رفعة شأنه الى ان توفي بالرّها ، له ديوان شعر (١)

اما الشاعر عيسى بن سنجر الاربلي المعروف بالحاجرى (ت ٦٣٢) فقد ترك لنا ديوان شعر(٢) تغلب عليه الرقة والعذوبة، اعتقله مظفر الدين في قلعة أربل ، فأرسل اليه قصيدة مطلعها :

قيد اكابده وسجن ضيـــــــــق　　　يارب شاب من الهموم المفرق

فأطلق سراحه . واتصل بخدمته . وتقدم عنده ، وتزيا بزي الصوفية وترك لنا بالاضافة إلى ديوانه . مسارح الغزلان الحاجرية (٣) ونزهه الناظر وشرح الخاطر (٤) والحجازيات في مدح خير البريات (٥) .

ومن اعيان الادب مجد الدين ابن الظهير الاربلي(ت ٦٧٧هـ) له مؤلفات منها : تذكرة الاريب وتبصرة الاديب(٦) ومختصر أمثال الشريف الرضي ، وله ديوان شعر . جمع ابن الظهير بين الفقه والشعر، وله القصائد الرائعة ، منها القصيدة المشهورة التي عارضها ابن نباتة المصري وقد ابدع فيها ، اولها :

مضت لنا بالحمى والبان اوقات　　　صفت وصفت فيها المسرات

(١) وفيات الأعيان ١ : ١٨٤. وانظر مرآة الزمان ٨ : ٦٤٣.
(٢) له طبعتان : الأولى سنة ١٢٨٠ بمصر(طبع حجر)، والثانية بمطبعة شرف بمصر سنة ١٣٠٥ (طبع حروف).
(٣) نسخة منه في المكتب الهندي بلندن رقم ٨٢٩ .
(٤) نسخة منه في برلين رقم ٨١٩٨.
(٥) نسخة منه بدار الكتب المصرية(انظر فهرست الدار ٣ : ٣٧٨).
(٦) نسخة منه في المكتبة الوطنية بباريس رقم ٣١٢٩.

اما قصيدة ابن نباتة المصري فأولها :

قضى وما قضيت منكم لبانات ... متيم عبثت فيه الصبابات (١)

وسئل شهاب الدين محمود الحلبي عن هاتين القصيدتين أيهما أجود ؟ فاجاب :
هاتان قصيدتان بديعتان في بابهما ، فريدتان في اقتضائهما المعاني الجليلة وانتصابهما ، والثانية ارجحهما عندي وافضلهما في اعتباري ونقدي لتمكن الفاظها ومعانيها الرزينة ، وقواعد ابياتها . وقوة مأتاها (٢) .

اما اسعد بن ابراهيم المشهور بمجد الدين النشابي (ت ٦٥٧ هـ) فهو شاعر كبير (٣) وكاتب بليغ ، اشتغل في ديوان الانشاء عند مظفر الدين كوكبري واصطحبه سنة ٦٢٨هـ حين توجه إلى بغداد ، وعندما دخل مظفر الدين على الخليفة المستنصر بالله امير المؤمنين ابي جعفر بن الامام الظاهر بامر الله تقدم مجد الدين بين يدي الخليفة وحياه بقصيدة طويلة نالت اعجابه (٤) .

واشتهر بقرض الشعر الحسن بن محمد المعروف بالعز الاربلي الضرير (ت ٦١٠هـ) ولم يصل الينا من شعره الا عدة قصائد ومقطوعات من ذلك هذه الابيات الجميلة التي اجاب بها عن سؤال تلك الكاعب التي تعجبت من ضرير يعشق الجمال دون رؤيته ، ولاعجب في ذلك وقد سلك الطريق الذي سلكه بشار ابن برد الضرير ، فانه وجد بديلا وعوضا . انه الفؤاد ، واما البصر فهو الطريق اليه فيقول : —

وكاعبٍ قالتْ لأترابها ... ياقوم ماعجبَ هذا الضريرْ

(١) ديوان ابن نباتة المصري ص ٦٧.

(٢) الجواهر المضية ٢ : ٤٠١.

(٣) وصل الينا ديوان شعره ، وهو محفوظ في المكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٦٩٩٤ ، وقد اطلعت على مصورة هذا الديوان المحفوظ بمكتبة المجمع العلمي العراقي رقم ٢٢٦ فوجدته خاصاً بمدح الخليفة المستنصر بالله العباسي ، ويبدو لي انه جزء من باب المديح في ديوانه الكبير الذي لم يصل الينا لأنه مخروم الاول والآخر ولايعرف مقدار الخرم أو أنه جزء من مجموع قصائده التي مدح بها الخليفة المستنصر بالله والتي تكون منها ديوان صغير .

(٤) انظر ذلك مفصلا في ذيل مرآة الزمان ١ : ١١٢.

هل تعشق العينان مالاترى فقلت والدمع بعيني غزير
ان كان طرفي لايرى شخصها فانها قد صورت في الضمير (١)

ان شعر العز الاربلي محكم البناء ، جيد السبك، عالي الطبقة ، يقول ابن شاكر الكتبي : وشعر العز الاربلي كله جيد(٢) وقال اليونيني : « وله نظم حسن جيد .(٣)»

ومن شعراء اربل الشاعر الصوفي علي بن عثمان الاربلي (ت ٦٧٠هـ)، وله قصيدة طويلة في كل بيت منها نوع من البديع (٤) . وابو الربيع سليمان بن بليمان الاربلي(٥)(ت ٦٨٦هـ)وجمال الدين طه بن ابراهيم الاربلي(ت٦٨٩هـ) وقد جاوز الثمانين (٦). وخشترين بن تليل الحكمي الاربلي (٧) (ت ٦١٩هـ). وابو بكر محمد بن ابراهيم الملقب بعرش الدين الاربلي (ت ٦٧٩ هـ) وكان شاعراً مقتدرا ومن نظمه «الألفية في الالغاز المخفية» وهي الف لغز في الف اسم (٨)،وابو العز يوسف بن النفيس الاربلي المشهور بشيطان الشام (ت٦٣٨هـ) وكان يسلك في شعره مسلك ابن حجاج في السخف والهزل (٩) وغرس الدين غازي الاربلي (١٠) (ت ٦٧٩هـ) .

ومن شعراء النصارى باربل جيورجيس وردا الاربلي«انشد الشعر البليغ والاغاني المطربة ، لكنه يؤاخذ في شعره على استعماله كثيرا من الالفاظ اليونانية ... وتتنوع الموضوعات في قصائده فيصف في بعضها حصار اربل والجنود التترية

(١) فوات الوفيات ١ : ٣٦٤.
(٢) فوات الوفيات ١ : ٣٦٥.
(٣) ذيل مرآة الزمان٢ : ١٦٥ .
(٤) فوات الوفيات ٣ : ٣٩.
(٥) النجوم الزاهرة ٧ : ٣٧٢
(٦) شذرات الذهب ٥ : ٣٥٧.
(٧) ذيل مرآة الزمان ٢ : ٢٢٨.
(٨) ذيل مرآة الزمان ٤ : ٧٩.
(٩) وفيات الأعيان ٧ : ٣٤.
(١٠) تالي وفيات الأعيان ص ١٢٧.

وغير ذلك من الحوادث التاريخية الخطيرة وقد خصص قسما كبيراً من قصائده في مديح السيدة العذراء ، فأجاد في هذا الباب وفاق من جاراه في هذا الميدان . (١) »

ومن تلاميذه خاميس القرداجي الاربلي ، ويمتاز شعره «بالعذوبة والسهولة والحلاوة والجزالة ، وهو عند الكثيرين اشهر من عبد يشوع الصوباوي صاحب الديوان المسمى فردوس عدن» (٢) .

لقد اثمرت مدارس اربل ومساجدها تلك الثمرات الطيبة التي ذكرنا طرفاً منها . وإلى جانب ذلك شاركت المجالس والندوات الأدبية والعلمية في ازدهار الثقافة ورقيها ، فانهم اتخذوها غذاء للعقل وتسلية وترفيهاً للنفس من مشاغل الحياة وهمومها . وكان لمظفر الدين ولع كبير بمجالسة العلماء والأدباء والاستماع اليهم . يذكر سبط ابن الجوزي ان مظفر الدين سمع مسند الامام احمد بن حنبل كله من المحدث حنبل بن عبدالله بن سعادة المتوفى سنة ٦٠٤هـ(٣) وله ميل كبير إلى دراسة التاريخ وقراءة كتبه والاستماع إلى رواته. يقول ابن خلكان : «انه كان يميل إلى علم التاريخ وعلى خاطره شيء منه (٤) وكان يحضر الندوات الأدبية التي كانت تعقد في دور الأدباء وكبار رجال الدولة ممن يتذوقون الأدب : امثال : ابن المستوفي ، ومجد الدين التشابي ، وعيسى بن سنجر الحاجري . او يحضر المجالس الدينية ويستمع إلى العلوم الاسلامية من فقه وتفسير وحديث التي كانت تعقد في مسجد القلعة والمسجد الذي شيده بجوار مدرسته في ربض اربل .

(١) تاريخ الموصل ٢ : ١١١. وجاء فيه ان ديوان جيورجيس وردا الاربلي عني بتحقيقه المستشرق الألماني هزيخ وطبع في لايبزك سنة ١٩٠٤.

(٢) تاريخ الموصل ٢ : ١١١. وقال : « و من ديوانه نسخ خطية عديدة في مكاتب الشرق والغرب ، وشعره في الدين والنفس والتوبة ، وفيه التقويات على شكل الشعر الصوفي ، والهجويات يهجو مواطنيه الأرابلة ، والاخوانيات والخمريات والغزليات والرثاء» .

(٣) مرآة الزمان ٨ : ٥٣٧ .

(٤) وفيات الأعيان ٤ : ١١٩ .

وكان امراء اربل وادباؤها يحتفون في ندواتهم بالوافدين اليهم من الشعراء، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر : اسامة بن منقذ (ت ٥٨٤ هـ) وقد كتب إلى اخيه ابي الحسن الساكن بمدينة شيزر بالشام في صدر كتاب :

وان امرأ اضحى باربل داره وفي شيزر احبابه وشجونه
لغير ملوم في الحنين اليهم ومعذورة ان تستهل دموعه (١)

وابا الحسن علي بن الحسين المعروف بشميم الحلي (ت ٦٠١ هـ)،ويوسف بن الحسن المعروف بابن مجاور (ت ٦٠١ هـ) ويوسف بن مواهب الحظيري (ت ٦٠٣هـ) وجمال الدين ابن السنينيرة (ت ٦٢٦ هـ) قال ابن خلكان : «وكان قد جاءنا ونحن في بلادنا في سنة ثلاث وعشرين وستمائة الشيخ جمال الدين ابو المظفر عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن السنينيرة الواسطي وكان من شعراء عصره، نزل عندنا بالمدرسة المظفرية وكان قد طاف البلاد ، ومدح الملوك وأجازوه الجوائز السنية . واذا فعد حضر عنده كل من له عناية بالادب وتجري بينهم محاضرات ومذاكرات لطيفة» (٢) .

وشرف الدين ابن عنين (ت ٦٣٠ هـ) وعز الدين ابا رواحة الأنصارى (ت ٦٤٦ هـ) وعلي بن محمد بن الرضا الموسوي الطوسي المعروف بدميرخان (ت ٦٥٥هـ) والملك الناصر داود بن عيسى الايوبي (ت ٦٥٦هـ) ويوسف بن عبد الرحمن المعروف بابن الجوزى (ت ٦٥٦هـ) وعثمان بن محمد بن عبدالله بن أبي عصرون (ت ٦٥٨ هـ) .

ويعد مجلس شرف الدين ابن المتوفى من أعمر المجالس واكثرها ارتياداً، فانه لم يكن يدع احداً من الفضلاء يصل إلى اربل الا بادر إلى اكرامه واستضافته(٣) وابن المستوفى اربلي المولد والمنشأ ولد في منتصف شهر شوال سنه ٥٦٤هـ، وهو من بيت كبير مشهور بالعلم والادب ،تولى والده وعمه صفي الدين ابو الحسن

(١) وفيات الأعيان ١ : ٤٦٣ .
(٢) وفيات الأعيان ١ : ٢١٥ .
(٣) أنظر ماقاله ابن الشعار عن ابن المستوفي في كتاب وفيات الأعيان ٧ : ٢٥ .

علي بن المبارك منصب الاستيفاء في اربل ، وكان عمه هذا يتقن اللغتين العربية والفارسية ، فنقل كتاب «نصيحة الملوك» لحجة الاسلام الغزالي إلى اللغة العربية ، وكان الغزالي قد الف الكتاب باللغة الفارسية وقد شغل ابن المستوفي منصب الاستيفاء في اربل حتى سنة ٦٢٨ هـ قال ابن خلكان : «كان جم الفضائل عارفاً بعدة فنون ، وكان ماهراً في فنون الادب من النحو واللغة والعروض والقوافي وعلم الديوان وحسابه وضبط قوانينه على الاوضاع المعتبرة عندهم ، جمع لاربل تاريخاً في اربع مجلدات ... وله كتاب «النظام في شرح شعر المتنبي وابي تمام (١) وكتاب «اثبات المحصل في نسبة ابيات المفصل» في مجلدين تكلم فيه على الأبيات التي استشهد بها الزمخشري في المفصل وله كتاب «سر الصنعة» وسمعت منه كثيرا وسمعت بقراءته على المشايخ الواردين إلى اربل شيئا كثيرا ، فانه كان يعتمد القراءة بنفسه ، وله ديوان شعر أجاد فيه (٢) .

الشعر :

ان القسم الاكبر من الدواوين الشعرية التي تذكرها المصادر لشعراء اربل ضاع مع ماضاع من تراثنا العظيم، وما بقي منها غير مطبوع ماعدا ديوان حسام الدين الحاجري الذي يفتقر إلى ابسط قواعد التحقيق. وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على مأأوردته كتب التاريخ والادب من قصائد ومقطوعات .

لقد ازدهر الشعر في ظل الاسرة البكتكينية وراج سوقه، فان الشعراء طرقوا ابواب الوصف والفخر والغزل، كما طرقوا ابواب المديح والهجاء والشكوى والعتاب والاستعطاف ، ولم تخل اشعارهم من الحكم والامثال وكل مايقال عن الشعر في هذه الامارة او يظن من جديد، ليس في الواقع بجديد وانما هو امتداد لما كان عليه في العصور العباسية السابقة بل تكرار لمعانيهم واخيلتهم

(١) وصل الينا منه جزءان ، الأول في مكتبة سوهاج في صعيد مصر رقم ١٣٥ ، والثاني في مكتبة يني جامع في استنبول رقم ١٠١٥. ولم يعثر إلى الآن على الجزء الثالث الذي يتم به الكتاب.

(٢) وفيات الأعيان ٤ : ١٤٧.

الا ماندر ، وسأتناول توضيح ذلك بايجاز .

من الاغراض المهمة التي تطالعنا في شعر هذه الامارة هو الغزل ، الذي أفرد له الشعراء القصائد والمقطوعات، واستهلوا به النظم في فنونه المختلفة. ومما يلفت النظر فيه كثرة عودة الضمير إلى المذكر ، وهناك دلائل تدل على ان الاغلب فيه يراد به المذكر الحقيقي ، ويؤيدنا في هذه الدعوى سيرة عدد من الشعراء وعلى رأسهم ابن خلكان الذي وقع اسيراً في حب ابن الملك الزاهر صاحب حماه ، ونظم فيه قصائد كثيرة . ومن كثرة انتشار الشذوذ الجنسي المقيت نرى العز الاربلي يتهم شخصا يدعى ابن ابي زهران بانه يدعو اصحابه اليه ويرغبهم فيه :

وقال : السلام على من زنى ولاط وقاد لإخوانــــه
فردّوا جميعاً عليه السلام وكـــل يترجـــم عن شانــه
وقال يجوز التداوي بهـــا وكل عليل بأشجانـــه(١)

من دواعي هذا الانحراف الخلقي كثرة الغلمان من الافرنج الذين امتازوا بجمال مفرط ، فإن جيوش اربل شاركت في عده معارك في بلاد الشام وأوقعت خسائر جسيمة بالافرنج ،وأسرت منهم اعدادا كبيرة « وأصبح هؤلاء بملاحتهم موضع قربى من الناس ، حتى ان الامراء والسلاطين ، بل الفقهاء والعلماء لم يزعهم الدين والتقية عن ان يصطحبوا الغلمان الصباح الوجوه في مجالسهم ، ولم يروا عيباً او بأسا في ان يختص احدهم بواحد او اثنين منهم لمرافقته في خلواته يستعملهم لطعامه ووضوئه(٢)» يضاف الى هذا ان كثيراً من رجال الحرب كرهوا الزواج واعرضوا عنه ، لأن الحروب الصليبية التي لم تكن نارها تخمد الا لتعود إلى الاشتعال من جديد منعتهم من الاستقرار الذي يترتب عليه تكوين الاسرة . واخيراً اعباء الحياة الثقيلة وسوء الحالة الاقتصادية ، والمجاعات المتوالية ابعدت الكثيرين من دخول الحياة الزوجية .

---

(١) فوات الوفيات ١ : ٣٦٣.
(٢) الأدب في العصر الأيوبي ص ٣٨

وقد تصدى كثير من الكتاب لمحاربة هذا الشذوذ والحملة على انصاره والداعين اليه . ولم يرض مظفر الدين بهذا الخلق الشائن ، فحارب فاعليه والقى الكثيرين منهم في سجن كرخيني (١) .

اما الغزل بالمؤنث فهو نادر(٢) بل لانجد له اثرا عند فريق كبير من الشعراء وكأنه محرم عليه ان يلهج باسم امرأة ،او يصف هيامه وولهه بها .ولا يعقل بأنهم نسوا المرأة وابطلوها من حياتهم ، ولم يتعلق قلب احدهم بحبها ، وربما كان احتجابها وحجرها في دارها ، وعدم السماح لها بالمخالطة والمجالسة حتى المقربين منها ، سبباً دون ان يتغزل بها الرجل صراحة حفظاً لسمعتها وخشيةً من أهلها فالتجأ إلى الغزل بالمذكر واتخذه وسيلة يلمح بها لحبيبته عن حبه ومودته لها .

ان الشعر ماكان ليروج ، ولايقبل عليه الناس الا اذا كان مشتملا على شيء في هذا الغرض وكان من الشعراء من يضطر إلى القول في هذا الموضوع ، وهو مكره . قال ابن الوردي :

ما المرد اكبر همي ولا نهاية علمي
ولست من قوم لوطٍ حاشا تقاي وحلمي
وانما خرج دهري كذا فنفقت شعري (٣)

ان الغزل بالمذكر يصف الغلام في اعضائه كما توصف المرأة في قدها وخدها وخصرها وأردافها وثناياها وشعرها وعينيها ، حتى في غنجها ودلالها ووصفوا الحب والهيام والترصد واللحاق في اللقاء كما وصفها الشعراء المجانين في حب النساء ، وافتتنوا بحسن منظره ورواته وسحر طرفه ومبسمه كما يفتتن الرجل بالمرأة الجميلة الساحرة . انهم تغزلوا بالمذكر ولكنهم لم ينحدروا إلى المعاني المبتذلة الرخيصة التي نجدها عند ابي نواس وابي الحسن والسلامي والخبز أرزي وابن حجاج وابن سكرة الهاشمي . فهذا قاضي اربل جعفر

(١) كرخيني : قلعة حصينة على تل عال بين داقوق واربل(معجم البلدان ٤ : ٤٥٥.
(٢) انظر ديوان الحاجري ص ١٦.
(٣) الحروب الصليبية ص ٢٥٥.

بن محمد يطلب من الاخرين ان يكفوا عن لومهم وعذلهم في حبه لذلك البدر الجميل الذي توارت الشمس عنه خجلا . فان الحاظه افتك من السيف المرهف؛ وريقه افعل من الخمر السلاف الممزوج بالعسل :

طلّ دمي بالفتور والكحـل فلا تلمني وكف عن عذلي
آليتُ لاأسمع الملام ولا اركن في حبه إلى ملـــــل
بدر اذا مابدا مقابله الشمـ ـس توارت عنه مـن الخجل
اذا ترشفت ريقه سحراً قلت : سلاف يعـل بالعسل
الحاظه في حشاي افتك من سيف علي في وقعه الجمـل (١)

وان قلب ابن الظهير الاربلي مقيم على الجمر ، لما وقع في حب غرير من الاتراك تخجل البيضُ القواضب امام الحاظه الفتاكة والرماح اللدنة تجاه عطفه النحيف المضمر :

غريرٌ من الاتراك زنجي خالــه كقلبي مقيمٌ من هواه على جمر
إذا ازورَّ سخطاً او تلفت راضيا أمات واحيا بالقطوب وبالبشر
وان سل سيف اللحظ أوهز عطفه فياخجلة البيض القواضب والسمر (٢)

وهذا قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان يقع في شباك حب ابن الملك الزاهر صاحب حماه، وينظم فيه قصائد كثيره تنم عن لوعة وعذاب، فها هو ذا يقسم بذلك الوجه النير الجميل . وبالطرة البارزة السوداء . والقامة الفارهة، والمبسم الوسيم . والدر النظيم . فهو يخشى من ألسن الناس وعيون الحراس ، فيطلب منه ان يطفىء حرقته . ويشفي غلته . قبل ان يكشف القناع ويفتضح امره بين الاسياد والرعاع :

قسماً بوجهك وهو بدرٌ طالعٌ وبليل طُرتك التي كالغيهب
وبقامة لك كالقضيب ركبتُ من أخطارها في الحب اعظم مركب
وبطيب مبسمك الشهي البارد الـ ـعذب النمير اللؤلؤي الأشنب

(١) الجامع المختصر ص ٢٤٣.
(٢) فوات الوفيات ٣ : ٣١٠.

لو لم اكن في رتبة ارعى لها الـ　　عهد القديم صيانة للمنصب
لهتكت ستري في هواك ولذّ لي　　خلع العذار ولج فيك مؤنبي ؛
لكن خشيت بأن تقول عواذلي :　　قد جن هذا الشيخ في هذا الصبي
فارحم فديتك حرقة قد قاربت　　كشف القناع بحق ذياك النبي
لاتفضحن بحبك الصب الذي　　جرعته في الحب اكدر مشرب (١)

وبعضهم لم يكف عن الغزل بالمذكر حتى وقد أدركته الشيخوخة فهذا المنشيء الاربلي يهيم شوقاً — وقد جاوز الثمانين — بغلام يفوق الظباء في جيدة وطرفه، والغصن الغض في لينه وطوله ، والقمر المنير في حسنه وبهجته والبرق في وميض مبسمه :

ولولا معان فيك اوجبن صبوتي　　لما كنت من بعد الثمانين مغرما
كلفت بساجي الطرف احوى مهفهف　　يميس فينسيك القضيب المنعما
يفوق الظبا والغصن طرفاً وقامة　　وبدر الدجى والبرق وجها ومبسما(٢)

ولهم في هذا الغزل معان طريفة ، ولمحات ظريفة، اسمع مايقوله موفق الدين الاربلي في غلام اسمه السهم وقد التحى .

قالوا التحى السهم، قلت: حصن　　حشاك فالآن لايطيش
فالسهم لاينفــذ الرمــايــا　　الا اذا كان فيه ريش(٣)

وانظر إلى ماقاله ابن المستوفي في غلام ، فان يده تعلقت بعذاره وخدّه ، تارة يجني وتارة يقبل ، ثم خالطت زفراته انفاسه لما ضمهما الليل ، ولكن لم يدم ذلك فان داعي الصبح قد هتف غيظا وحسداً :

علقت يدي بعذاره وبخده　　هذا اقبلــه وذا اجنيــــه
لو لم تخالط زفرتي أنفاسه　　كانت تنم بنا إلى واشيه

(١) فوات الوفيات ١ : ١١٢.
(٢) فوات الوفيات ٣ : ٥٩.
(٣) وفيات الأعيان ٥ : ١١.

حسد الصباح الليل لما ضمنا غيظا ففرق بيننا داعيه (١)

ويصور مجد الدين النشابي رشاقة محبوبه تصويراً بديعاً ، فهو نحيف ضامر لايفصل بين خصره وردفه الا حزام صغير ومع ذلك فهو قوي يرد جيوش عشاقه ويرديهم صرعى برمح خده القاتل :

شكا خصره من ردفه فتراخيا بفصلهما بند القباء المكتم
ورد جيوش العاشقين لأنه أتاهم بخط العارض المتحكم(٢)

ويبث ابن نجا الاربلي شكواه من الحبيب الذي اصم اذنيه وكأنه لايسمع بعد ان وقع اسير سجنه الذي لايبرح عنه ، فالبغض سجيته ، والقسوة طبيعته والقطيعة ديدنه ، وقد نفد صبره وتزاحم وجده :

تذللت لو ان التذلل ينفع وافرطت في الشكوى لو انك تسمع
وامسى خضوعي للحبيب سجيتي وهل نافعي للحب اني اخضع
ومن عجب اني بحبك مولع وانت ببغضي والقطيعة مولع
نصيبك مني الحب والوصل كله ومنك نصيبي البغض والهجر اجمع
فؤادك مما بي من الشوق فارغ وقلبي ملآن من الحزن موجع
ووجدي وصبري في هواك تحالفا فوجدي مقيم واصطباري مودع (٣)

ويصف لنا عرش الدين الاربلي محبوبه الجميل ،وهيامه به فهو مريض الاجفان ، كأنه وسنان ، اسدل عذاره فوق خده الاسيل ، الحاظه واسعة تطلق السهام فتصمي قلوب الاقوياء ،ثناياه حلوة يتخللها رضاب يشفي غليل الاصدياء .

ومريض الاجفان بلبل عقلي بعذار من فوق خد اسيل
جؤذري اللحاظ حلو الثنايا طاب سقمي في حبه ونحولي
مقلة الروم من بني الروم رامٍ بسهام تصمي قلوب الفحول
ماعليه لو جاد لي برضاب من لماه عساه يشفي غليلي (٤)

---

(١) وفيات الأعيان ٤ : ١٤٩ .
(٢) ذيل مرآة الزمان ١ : ١١٣ .
(٣) ذيل مرآة الزمان ١ : ٥٠٤ .
(٤) ذيل مرآة الزمان ٤ : ٨٠ .

هذه هي ابرز المعاني التي نجدها في اغلب قصائدهم الغزلية ، فهي لاتعدو عن وصف جمال المحبوب وهيامهم به ، وولهم فيه ، وبيان آلام الهجران ، ومرارة الحرمان ، وطلب الرأفة بالحال ، والاسراع في الوصال بلغة بعيدة عن الفحش والبذاءة ، والابتذال التي ينبو عنها الذوق. والامر الذي يلمسه القارىء في غزلهم هو اختيارهم للبحور القصيرة والمجزوءة واستعمالهم الكلمات السهلة المأنوسة التي تصل عند بعضهم إلى اللغة العامية واكثارهم من المحسنات البديعية .

وموقع الغزل في قصائد الشعراء يختلف بأختلاف الشعراء، فمنهم من افرد له قصائد ومقطوعات مستقلة ومنهم من جعله في مطلع قصائده ، وا تخذه وسيلة يمتطيها للوصول إلى غرضه الأصلي وقد اطال بعضهم فيها واستغرقت اكثر من نصف القصيدة . فهذا حسام الدين الحاجرى يمدح الامير ركن الدين أحمد بن الامير شهاب الدين باربل ، فيبدأ قصيدته بذكر الديار الحجازية والتغزل بالمقل الواسعة المكحولة التي سلبت فؤاده ، والطلب من سائق العيس الذي ا سرع في سيره لقطع المفاوز والقفار ان يعرج على رامة ليرى دار الحبيبة ومن ثم يلقي عليها تحيته :

لي بالعقيق ، سقى العقيق غمامة ... قلب أسير ماله من فـادِ
سلبته مني يوم رامة مقلة ... مكحولـة أجفانهـا بسـواد
ياسائق الوجناء غير مقصرٍ ... يطوي المفاوز من ربى ووهاد
مالي اليك سوى التحية حاجة ... تلقى سعاد بها ودار سعاد
عرِّجْ برامة إنَّ رامة مُنتهى ... أملي وغـايةُ بُغيتي ومُرادي
لله صب بالعـراقِ متيم ... ظـامٍ الى مـاءِ المحصَّب صادي

ويطيل بعدها وصف ذلك الرشأ الذي يصمي قلوب العباد ، بسهام الحاظه الحداد ، ويكويها بجمر خدِّه الوقّاد . وينتقل بعدها الى وصف حاله ، وما يعاني من فقره ومآله ويطلب من الممدوح أن يسعفه ويمدّ له يد عونه ومساعدته :

يا أيُّها المولى الذي عن كفّهِ ... يُروى حديثُ الجود بالإسنادِ

اشكوك حالا لارميت بمثلها لاتبتلي بشماتـــة الحساد
حاشا سجيتك الكريمة ان تحد عن منهج الاسعاف والأسعاد (١)

وهذا مجد الدين النشابي يمدح الملك المنصورزنكي بن ارسلان شاه ، ويبدأ قصيدته بوصف الشادن الذي يبعث البهجة والسرور لكل من يراه، فإن عذاره حرير ، وخدّه جنة ، وثناياه لجين :

بابي شادن تبدى فأبدى من محياه بهجـــة وسـرورا
وعذار في ذلك الخد ابدى ببهها الحسن جنة وحريرا
وثنايا كأنها من لجين قدروهـــــا في ثغره تقديرا

ولو سرحت طرفك في ذرى الممدوح فلا ترى فيه بؤسا ولامن يعاني زمهريراً وشمسا . فانه يبيح المال والطعام ويكسو الفقراء والايتام :

سرح الطرف في ذراه ترى ثـ ـم نعيمـاً وملكـاً كبيرا
لم ير النازلون في ظله المعـ ـمور شمساً يوماً ولازمهريرا
ويبيح الطعام والمال كم عـ ـم يتيماً بزاده واسيرا (٢)

وهذا سليمان بن بليمان الاربلي يمدح الملك الناصر : صلاح الدين يوسف ويهنئه بعيد الاضحى بقصيدة عدتها تسعة واربعون بيتاً ، خصص الابيات العشرين الاولى لوصف المحبوبة الذي يخجل البدر حسنه فاذا رنا تغار الظبية منه واذا تثنى تحسده العسالة الذبل ، وينتقل بعدها إلى وصف الممدوح الذي تهابه ملوك الارض فان عقله راجح وحكمه ناجح ، ونائله عميم وعطاءه جسيم :

طوى الحجا ماالملوك الارض غير حجاه ابداً معقـــل
يعدل في الحكم ولكنـــه عن طرق المعروف لايعـدل

وهو شجاع في الوغى ، تهاب منه اسد الشرى واذا تقابلت جحافله مع جيوش الاعداء ، فان اسيافه من لمعها تحيل الليل نهارا :

---

(١) ديوان الحاجري ص ٥.
(٢) فوات الوفيات ١ : ١٦٧.

ليث اذا ماصار في معزل   وان له ليث الشرى المشبل
تعيدُ ليل النقع اسيافــه   صبحاً اذا ماازدحم الجحفــل

ويدعو له في ختامها بالسعادة والسلامة وبطول العيش رافلاً في ثوب الهناء :

فاسعد بعيد النحر واسلم له   لازلت في ثوب الهنا ترفل (١)

ويمدح موفق الدين الاربلي الأمير زين الدين يوسف صاحب اربل بقصيدة طويله يتذكر في مطلعها داراً بالغضا، وكيف كانت فيما مضى ، ويصفها وقد وقف الركب عليها باكيا ، فاذا هي آثار دارسة ومعالم طامسة بعد ان كانت دار عز كشجرة لايرقى اليها الطير وهي محروسة بكماة شجعان يقطعون الكف التي تمتد اليها بسوء وينتقل إلى الممدوح ويذكر يده الكريمة التي كفته مؤونة السؤال :

رب دار بالغضا طال بلاها   عكف الركب عليها فبكاها
درست الا بقايا اسطر   سمح الدهر بها . ثم محاهــا
كان لي فيها زمان وانقضى   فسقى الله زماني وسقاهــا
قــل لجيران مواثيقهم   كلما أحكمتها رثت قواها
كنت مشغوفاً بكم اذ كنتم   شجراً لايبلغ الطير ذراها
لاتبيت الليل الا حولها   حرس ترشح بالموت ظباها
واذا مدت إلى اغصانها   كف جان قطعت دون جناها
ان زين الدين اولاني يداً   لم تدع لي رغبة فيما سواهــا (٢)

وانظر إلى موفق الدين الاربلي كيف يوفق بين الهلال الجميل ، وامير اربل فالأول للظلام زائل، والثاني للمظالم حائل :

تقابلتما فاستجمع الحسن كله   فمن نظر يرنو ومن نظر يغضي
هلالان هذا للظلام يزيله   سناه وهذا للمظالم في الارض (٣)

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٤ : ٣٢٤.
(٢) وفيات الأعيان ٥ : ١٠.
(٣) بغية الوعاة ١ : ٢٨٧.

ويمدح ابو الربيع الاربلي الملك الناصر بن العزيز الذي فاق الملوك نوالاً ، وقد ألبسه من العطاء كساء ، وتلافاه من وهدة الفقر نجاء :

يامليكاً فاق الأنام جميعاً ... منه جودٌ كالعارض الوكّافِ
والذي راشَ بالعطايا جناحي ... وتلافي بعد الالـه تلافي (١)

ويطالعنا مجد الدين النشابي بقصيدة غريبة ، فانه لايتغزل فيها ، ولا يصف ، بل يأتي على تاريخ الخلفاء العباسيين جميعاً ، ابتداء من أبي العباس السفاح ، وانتهاء بالامام المستنصر بالله ، ذاكراً طرفاً من محاسن اعمالهم ، وجميل أفعالهم ، ويخيل للقارىء أنها قصيدة في تاريخ بني العباس فانه لايخصص للمدوح الا أبياتاً معدودة منها :

فاليوم برهان النبوة ظاهـــر ... بخلافة المستنصرِ المستبصـــرِ
سلطانُ كلٍّ معجم ومطيلس ... ومليكَ كلٍّ متوّج ومسوّر (٢)

وقد خلا شعر المديح الذي ذكرنا طرفاً منه ، من المعاني الجديدة ، والافكار المبتكرة ، فالمقدمات طويلة لامسوغ لها ، والأوصاف التي حشدت حشداً تنفر السامع وتكسبه الملل والسأم ، وقد خرج الكثيرون عن طريق الفن والابداع إلى مجموعة من الالفاظ والصفات المكررة كالكرم والشجاعة والحكم العادل . وغاض عندهم معين الاسلوب الجزل المتين الذي ارتقى به أبو تمام والبحتري والمتنبي إلى اعلى درجات الفن الرفيع .

والهجاء من الموضوعات التي كثر القول فيها ، ولكننا لانجد فيه مايتناول العرض وقذف المحصنات والسب والشتم الرخيص ، بل نجد هجاء فيه شيء من الهزل والسخرية ، وتصوير المهجو بشكل مضحك ، يثير انتباه السامع ، او نعته بنعوت مشينة في عرف المجتمع كالغدر والبخل والحمق .

فهذا مجد الدين النشابي ينعت وزير اربل شرف الدين ابن المستوفي بالتوقف واللجاجة والبخل فيقول :

---

(١) فوات الوفيات ٢ : ٥٧ .
(٢) ذيل مرآة الزمان ١ : ١٢١ .

انّ المبارك فيـــــه توقّفُ ولجــــــاجه
صديقهُ انت منا لـــم تعرضْ اليه بحاجـــــــه (١)

وعندما بلغ سليمان بن بليمان الاربلي أن الشيخ الشاعر محمود بن يوسف التلعفري يلعب القمار هجاه ، قال فيها :

مارأينا ولاسمعنا بشيـــخ قبلَ هذا مقامرٌ بالخفافِ
أسودُ الوجه ، أبيض الشعرِ لكن في سحيم وقبحه وخفـــافِ
يدعي نسبة إلى آل شيبا ن وتلك القبائـــلِ الأشرافَ
مثل نجد لو استطاعت لقالت ليس هذا الدعيّ من اكنافي
فابسط العذر في هجاء رقيع عادلٍ عن طرائق الانصافِ (٢)

لم يسمع ، ولم ير مثل هذا الشيخ الممسوخ الوجه بالسواد المشتعل الرأس بالشيب ، يقامر بكل مايملك حتى خفافه التي تحميه من اذى الحفاء ، انه دعي تتبرأ منه شيبان وتأنف ، ان يكون منهم وهو رقيع مبتذل ، لذلك فهو غير ملوم على هجائه .
وهناك هجاء سالك مسلك العتب والتأنيب ، فمن مستطرف مايرويه صاحب كتاب «الغصون اليانعة» عن خطيب اربل وقاضيها جعفر بن هبة الله ، حينما دخل على احد موظفي الامارة — وكان قد درس الادب والنحو عليه — فلم يلتفت اليه ، ولم يعرف قدره ، فجلس متألماً ، وانشد مشيراً اليه :

هذا مقامي لديك يامَنْ أقـــام دهراً وراءَ بابي
اقصى أمانيه قربُ اذن في دولة الحسنِ والشبابِ
ان كنت انسيت ذاك فانظار في فرد باب من الكتـــاب (٣)
لاتغتـــرر بالزمان يوماً وافكر اذا سرت في الأباب (٤)

---

(١) فوات الوفيات.
(٢) فوات الوفيات ٢ : ٥٧ .
(٣) الكتاب : هو كتاب سيبويه ، وفرد كتاب : اي الباب الأول منه ، وهو باب الفاعل الذي يتعدى فعله إلى مفعول ، واليه يلمح.
(٤) الأباب : التهيؤ ، ولعله يريد به الاستعداد لاستقبال الموت.

مخارق الجاه ليس تبقى وموقف العزل كالحساب
فافعل على قدر ماتلقى وقل فلا بد من جواب

فلما سمع السلطان مظفر الدين كوكبري صاحب اربل الخبر عزل هذا الموظف ، فقال له القاضي جعفر بن هبة الله : « ارغب من احسان السلطان الا يكدره بأن اكون سبباً لعزل شخص وقطع رزقه، وانا ممن يشتفي بالقول لا بالفعل، فالاشتفاء بالافعال من شيم الملوك، فقال له السلطان أبيت الا أدباً وظرفاً ، وجاء ذلك الرجل فصار من خدامه والمعترفين بانعامه» (١).

ونهج هذا المنهج ابو الربيع الاربلي حينما اشتكى من اولئك الذين لايعاضدونه في محنته ولايؤازرونه في فقره وشحته، فأصبح في أرضهم يسحب ذيل الذل والهوان ، وهم يرونه على مرأى وعيان ، فقرع سن الندم ، لأن هزة الكرم اضحت فيهم كالعدم :

خليلي كم اشكو الى غير راحم وأجعل عرضي عرضة للوائم
وأسحب ذيل الذل بين بيوتكم وأقرع في ناديكم سن نادم
هبوني ماستوجبتُ حقاً عليكم امـا تعتريكـم هزّةُ للمكارم
كأنّ المعالي ماحللن لديكم وقد اصبحت معدودة في المحارم(٢)

ان اضطراب الحالة الاجتماعية في طبقة كبيرة من المجتمع في اخريات ايام الدولة العباسية ومنها اربل، وسوء امورهم ، والضرائب الجائرة التي لحقتهم والظلم الذي اصابهم من موظفي الجهاز الاداري ، ووصول فريق من الناس إلى مراتب الجاه والسلطة دون استحقاق ، والثراء الفاحش على حساب الآخرين وانتشار الرشوى وارتفاع الاسعار وشيوع الخداع والتضليل والتدجيل .

كل ذلك أثار حفيظة الشعراء ، ودعاهم أن يترصدوا أفعال المسيئين بلسانهم الساخر، يفضحون معايبهم ويكشفون للناس عوراتهم ونقائصهم وينشرون مخازيهم. وقد اتهم ياقوت الحموي الذي زار اربل وأعمالها سنة ٦١٧ هـ مظفر الدين كوكبري بالجور والاعتساف ، فقال :« وطباع هذا الأمير مختلفة متضادة ،فانه

(١) الغصون اليانعة ص ٧٩ .
(٢) فوات الوفيات ٢ : ٥٩ .

كثير الظلم ، عسوف الرعية ،راغب في أخذ الأموال من غير وجهها، وهو مع ذلك مفضل على الفقراء، كثير الصدقات على الغرباء يسير الأموال الجمة الوافرة يستفك بها الأسارى من أيدى الكفار » (١) .

ان الهجاء الذي تحول إلى نقد اجتماعي كثير ولكن لانجد فيه تهجماً على مظفر الدين بل على موظفي امارته ، ومن أجرأ الشعراء في هذا الميدان مجد الدين النشابي ، فانه حمل حملات عنيفة على الموظفين وهجاهم هجاء لاذعاً . فقد كان مشرف ديوان اربل رجلا نصرانياً يقال له يعقوب ، فحبسه مظفر الدين لأمر لم تذكره المراجع ،وولي مكانه نصرانياً آخر يقال له المختص فقال :

فرحنا بيعقوب اللعين وحبسه وقلنا أتانا مايطيب به القلب
فلما ولي المختص فالشر واحد اذا مامضى كلب اتى بعده كلب (٢)

وبين لنا في أبيات أخرى سوء تصرف الموظفين واستغلال نفوذهم في التحكم برقاب الناس ، فقال :

قد قسمنا الديوان خمسة أقسا م عليها لكل قول دليل
رب حق فلا يطاع ومنسو ب إلى الظلم قوله مقبول
ثم شخص كأنه الحرف في النحـ و فلا فاعل ولا مفعول
ومُصِرٌّ على التحيف والظلم بعيد عن الصواب جهول
واخو حاجة يمشي أحوا لاً لديه ان جاءه برطيل
اتراهم لم يعلموا ان كلاً منهم عن فعاله مسؤول(٣)

فالحقوق ضائعة بأيدي اناس جهلة، واسواط ظلمهم وتعسفهم تلهب ظهور الناس والأعمال لا تقضي الا بالرشاوى ، وحسبوا انهم لايصادون ولايقعون في قبضة العدالة ، ولكن خاب ظنهم فان مظفر الدين القاهم في السجن جزاء مااقترفوه بحق شعبه ، فقال مجد الدين النشابي :

(١) معجم البلدان ١ : ١٣٨.
(٢) ذيل مرآة الزمان ١ : ١١٧.
(٣) ذيل مرآة الزمان ١ : ١١٦.

جماعة الديـــــــوان في ليلة شحط مظلمه
وقد غدت أيدى الوزير منهـــم منتقمـــــه
لارحم الله الذي يرحم قومـــاً ظلمـــه (١)

ولم يكتف بعذاب السجن ، بل طلب ان يقتلوا ، ليكونوا عبرة لكل من تسول له نفسه ان يجني على حقوق الناس الشرعية ، فقال :

جماعة [illegible] ديواننا أصبحـــوا - وهم في العذاب لسوء الحساب
فان يك يرجو الوزير الثواب فقتلهم من جـزيل الثـــواب (٢)

وعندما زار مجد الدين النشابي بغداد ، ورأى تدهور الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية وانشغال المسؤولين بملذاتهم وملاهيهم ، والتتر آخذة في ابتلاع أجزاء من بلاد المسلمين وهي في طريقها إلى بغداد ، تألم لذلك ، ونظم قصيدة طويلة أوضح فيها افعالهم الرديئة واعمالهم المشينة وحذرهم في آخرها من واقعة لاتبقي ولاتذر ان لم يتخذوا الحيطة والحذر ، منها :

اما الوزير فمشغول بعنبره والعارضان فنساج ومداد
وحاجب الباب طوراً شارب ثمل وتارة هو جنكي وعواد
وابن عباس مغرى باللواط له في كل ناحية علق وقواد
وشيخ الاسلام صدر الدين همته مقصورة لحطام المال يصطاد
الكفر أضرم في الاسلام جذوته وليس يرجى لنار الكفر اخماد
اين المنية مني كي تساورني فللمنية اصدار وايـــراد
من قبل واقعة شنعاء مظلمة يشيب من هولها طفل وأكباد (٣)

ونرى طه بن ابراهيم الاربلي يتألم ويتأسف لأن اربل أصبحت مفتقرة إلى رجل لبيب يرعى حقوقه الناس ، ويرفه عنهم في المعاش فيطلب من الله ان لايستقيها الغيث مادام حكامها من غير المسلمين :

أأربل ؟ لاسقاك الله غيثا فقد اقفرت من رجل لبيب
ارى العزاء قد ملئت لئاما وقد ضاقت على الشيخ الوهوب

(١) ذيل مرآة الزمان ١ : ١١٦.
(٢) ذيل مرآة الزمان ١ : ١١٦.
(٣) الحوادث الجامعة ص ٣٢٠.

فما في مالكيها من معين على صرف الزمان ولا والخطوب
ولا في قاطنيها أريحـــي ولا في ساكنيها من طروب
الا أجرى الاله بليد سوء تحكم فيه عباد الصليب (١)

لقد كان للهجاء — كما رأينا — دوافع عديدة منها الفقر والحرمان او الظلم والهوان ، او انشغال والي الامر عن مصالح العباد باسلوب لايصل إلى درجة الاقذاع والافحاش اللذين نجدهما عند بعض الشعراء الأقدمين .

ولانجد في فن الهجاء الذي ذكرنا نماذج منه صوراً مبتكرة والتفاتات ذكية. وهو نظم تغلب عليه الركة والهلهلة ويختلط بعبارات عامية او الفاظ دارجة .

وللوصف في شعر هذا العصر نصيب وافر، فان الاربليين عاشوا في طبيعة جميله، ينعمون بها ويستمتعون بمناظرها ، فاقبل الشعراء على وصف كل شيء تقع اعينهم عليه فيها ، وهذا الوصف جاء بعضه في قصائد ومقطوعات مستقلة، وبعضه الآخر ضمن الاغراض الأخرى، فان حسام الدين الحاجرى يصف بقصيدة الربيع وازهاره البديعة من نرجس وشقيق وياسمين وسوسن وبنفسج وآس ويشبهها بأشياء محسوسة لطيفة ، ويصف فيها الطير الصادح ، والشجر المتناوح ، والنسيم الهاب العليل، اليك منها هذه الابيات .

لا والربيـــــع النضير وزهـــــره المستنير
من نرجس وأقـــاح كأعيـــن وثغور
ومن شقيـــق كحسنا قد اقبلت في حرير
وياسمين كلون المـ تيـــم المهجـــور
وسوسن كنجـــوم أشرقـــن في ديجـــور
والآس شبه عـــذار بخد ظبي غريـــر
والطير بين هـــديل من جمع وهدير
والغصن ميـــال عطف كشـــارب مخمـــور (٢)

وشبه مجد الدين النشابي البرق الساطع بين السحاب السائر بالفؤاد الخافق

(١) ذيل مرآة الزمان ٣ : ٣٠٥.
(٢) ديوان الحاجري ص ١٤.

وقت انتظار الحبيب الزائر :

والبرق يخفق من خلال سحابه خفق الفؤاد لموعد من زائر (١)

وشبه تتابع وميض البرق بالسلاسل الذهبية اللامعة والسيوف البراقة القاطعة :

كأن ائتلاف البرق من جنباتها سلاسل تبر أو سيوف قواضب (٢)

ويدعو ابو الربيع الاربلي إلى شرب الخمرة ، وطرح الهموم لأن الجو طاب بمجيء أيلول والكأس المترعة تحاكي الشمس في بريقها ، والبدر الجميل قد أسفر عن وجهه النير والأرض قد زهيت بحلتها البديعة وهي مطرزة بأزهارها الأنيقة :

اشرب فشربك هذا اليوم تحليل وانف الهموم فقد وافاك ايلول

أما ترى الشمس وسط الكأس طالعة منيرة ونطاق البدر محلول

والارض قد كسيت بالغيث حلتها وناظر الروض بالأزهار مكحول (٣)

وأغرم بعض الشعراء بوصف الخمرة ومجالسها وسقاتها ، وعابوا الوقوف على الأطلال الدارسة ، وذرف الدموع على أيام الصبّا والجمال ، يقول حسام الدين الحاجري :

لأَطيب من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ بسقطِ اللّوىَ دارٌ بشرقي أربلِ

وصهباءَ كالمصباحِ في كفِّ شادنٍ رقيق حواشي الخدِّ عذب المقبلِ

يطوف بها كالخيزرانة ساحر الـ ـجفون متى يلحظ بعينيه يقتل

فما العيش الا بين حانٍ وحانةٍ مع الراحِ لابين الدخولِ فحوملِ

إذا أنا لم الثم لكأسٍ من الطِلاً فما منزلُ اللذاتِ عندي بمنزلِ (٤)

---

(١) ذيل مرآة الزمان ١ : ١٤٤.

(٢) نفسه ١ : ١١٤.

(٣) فوات الوفيات ٢ : ٥٨.

(٤) ديوان الحاجري ص ٤٤.

فالدار الواقعة بشرقيّ اربل ، أطيب عنده من ذكرى حبيب ومنزل ،فيها عقار شفّاف كالمصباح المضيء ،بيد ساق بديع الحسن وضيء ،خدّه أسيل ، وطرفه كحيل ، يتمايل كالخيزرانة ليناً ، ويقتل ناظريه حيناً ، فلا خير في العيش إذا لم يكن بين حان وحانة ، ولاسعادة في منزل لايرتشف فيه كأس الطلا ، إنها دعوة نواسيّة في طلب المتعة ،والانغماس في الملذات ،قبل انقضاء الحياة .

ويطلب العز الاربلي الضرير من نديمه يسقيه حتى يسكر ، ويغنيه حتى يطرب ، فإنّ ذلك عنده خير من تسبيحات النساك ، وتهليلات العبّاد :

قم يانديمُ إلى الابريقِ والقدحِ هاتِ الثلاثَ وسلْ ماشبتَ واقترح
وغنِّ إن غادرتني الكأس مطرحاً وأنتَ ياصاحِ صاحٍ غير مطّرحِ
إني لأفهم في الأوتارِ ترجمةً ماليس تفهمُه النسّاكُ في السبح (١)

كما شاع شعر الخمرة ، فقد شاع شعر الزهد والتصوف . وكان له أثر كبير في نفوس الزهاد والمتعبدين ،يرددونه في أذكارهم ومواجدهم التي يقيمونها في تكاياهم المنتشرة في اربل. ولابأس أن أذكر لك ماشاهده ابن خلكان بنفسه حين حضر أحد المجالس التي تُعنى بالذكر والمواجد ، فقال :

«كان عندنا بمدينة اربل مغنّ موصوف بالحذق والإجادة في صنعة الغناء يقال له : الشجاع جبريل بن الأواني ، فحضر سماعاً قبل سنة عشرين وستمئة ، فانني أذكر الواقعة وأنا صغير ،وأهلي وغيرهم يحدّثون بها في وقتها ،فغنّى الشجاع المذكور القصيدة الطنانة البديعة لسبط ابن التعاويذي أولها :

سقاكِ سارٍ من الوسميِّ هتّانُ ولا رَقَتْ للغوادي فيلكِ أجفانُ

فلما انتهى من القصيدة ، قام بعض الحاضرين وقال له : ياشجاع ، أعد ماقلته ، فأعاده مرتين أو ثلاثاً ، وذلك الشيخ متواجد ، ثم صرخ صرخة هائلة ووقع

(١) فوات الوفيات ١ : ٣٦٥ .

ووقع فظنوه قد أُغمي عليه ، فافتقدوه بعد أن انقطع حسّه ، فوجدوه قد مات ،فقال الشجاع : هكذا جرى في سماعي مرّة أُخرى ،فإنه مات فيه شخص آخر » (١).

وتكثر في شعر عرش الدين الاربلي الدعوة لمجاهدة النفس ، وتنزيهها من أدران الدنيا ،لكي تنال رضى الله ومغفرته،واليك مما قال فيه على سبيل الاستشهاد :

الحمدُ للهِ إني في مجاهدةٍ ... مما اقاسي وحسبي ذاك يكفاني
ولستُ ابغي سوى عفوٍ ومغفرةً ... من الإله إذا ما الموتُ فاجاني
فإنْ بلغت الذي ارجو وآمله ... زالتْ همومي وأوجاعي وأحزاني (٢)

ومنهم من سلك طريقة ابي العتاهية فأكثر من الوعظ والارشاد ، والنهي عن المنكر ،وضرب الحكمة والمثل . واليك نموذجاً من شعر عز الدين الحسن بن محمد بن نجا الاربلي :—

هذا الوجود مكدّرٌ ... فانهضْ إلى اصفى وجودِ
واطلبْ مقرّكَ في العلى ... إن كنت من أهلِ السعودِ
قرب الرحيلُ اليهم ... فمزارهم غير بعيد
فإذا رحلتَ اليهم ... صيرت ذاك اليوم عيد (٣)

وظهرت الحكمة على ألسنة كثير من الشعراء . وهي نظرات في أحوال الدنيا وأحداثها ، ومعرفة عميقة لأخلاق الناس وطبائعهم. جاءت عن تجربة شخصية ،وثمرة من ثمار العقل الواعي المدرك . وقد عبرت عن واقع المجتمع في ذلك الوقت ومافيه من سلبيات دفعت الشاعر أن يطلقها حكمة ، فهذا علي بن عثمان الاربلي الصوفي ينصح الانسان أن يكفّ لسانه عن تعقيب عيوب الناس والتشهير بها ،وأن لايطرق أبوابهم ، لأنه سوف يقابل بالمثل ،وتلصق به عيوب لا وجود لها عنده :

---

(١) وفيات الأعيان ١ : ٣١٧، وانظر ديوان سبط ابن التعاويذي ص ٤١٢.
(٢) ذيل مرآة الزمان ٤ : ٨٤.
(٣) نفسه ١ : ٥٠١.

كفَّ عن الناسِ إذا شئتَ أَنْ تسلمَ من قولِ جهولٍ سفيه
مَنْ قذفَ الناس بما فيهم يقذفهُ الناسُ بما ليسَ فيه

وكثرت الحكمة على لسان جعفر بن محمد بن محمود الأربلي . فها هو ذا يدعو من يريد أن ينال الشهرة ، أن يقطع الفيافي والقفار ، ويتحمل من أجلها الصعاب . فالسيف لاقيمة له إذا بقي محفوظاً في غمده :

وجبِ الفيافي واشتهرْ تَنَل المُنى لايقطعُ الهنديُّ حتى يُشْهَرا (١)

والمرء إذا برز واعتلى كرسي الرفعة لاتضيره نظرات الحساد ، وطعنات من في قلوبهم لؤم وزيغ وفساد :

فالشمسُ إن شَرفَتْ واشرق نورُها ماضَرَّها الا يراها الأرمد (٢)

وله قصيدة جميلة مزج فيها الحكمة بالعتاب : —

لايدفع المرء مايأتي به القدر وفي الخطوبِ إذا فكّرتَ معتبر
وليس يُنجي من الأقدار ان نزلت رأيٌ وحزمٌ ولاخوفٌ ولاحذر
فاستعملِ الصبرَ في كلِّ الأمور ولا تجزعْ لشيءٍ فعقبى صبركَ الظفر
وانَّ معرفتي بالناسِ صادقةٌ انْ ليس فيهم فتىً للودِّ يدّخرُ
فلا ألومُ امرءً أرثتْ مودتَهُ وخانَ عهداً ووالى صفوه كدرُ
سجيّة الدهرِ غدرٌ بالكرامِ فلا تخصصْ بنيه بلومٍ إنْ همُ غدروا
يا أربليينَ لو أنصفتهمُ ادبي احللتموني حيث الأنجم الزهرُ
فهي فخارٌ لمن يبغي الفخار إذا جاءت بنو الفضلِ بالآداب تفتخر(٣)

اقدار الحياة كثيرة ، ولا حيلة للمرء في دفعها . واللبيب من يطيل فيها النظر ، ليأخذ منها العبرة والعظة ، ومن أراد ان يكسب الظفر فعليه ان

---

(١) نفسه ٢ : ٤٨٣ . والبيت الثاني فيه شيء من قول الشاعر :
ومن دعا الناس إلى ذمه ذموه بالحق وبالباطل
(٢) الغصون اليانعة ص ٨٠ .
(٣) نفسه ص ٨٠ .
(٤) الجامع المختصر ص ٢٤٤ .

يستأنس بالصبر، ثم يعود فيقول : وقد غاض في الناس الوفاء ، ولم يبق فيهم من يؤتمن ليوم الشقاء ، والكرماء يصيبهم الغدر ، ويلاحقهم الكدر ، ثم يعاتب الاربليين لأنهم لم ينصفوه ،ولم يضعوه في المكان الرفيع الذي يستحقه ولو فعلوا ذلك لازدادوا به فخراً ، وارتفعوا به قدراً.

ولم تخل اشعارهم من الإخوانيات التي يرسلون بها لاظهار الشوق والودّ والاخلاص تارة، التهنئة بفرح ، او ابلال من مرض ، اونجاة من مصيبة ، وما إلى ذلك تارة أُخرى ،وهي لاتخلو من غلو ومبالغة مثل قول جعفر بن محمد الاربلي:

ولو أني كتبت بقدر شوقـي ... اليك لضاق عن كتبي الفضاء(١)

وقول ابن المستوفي في جواب رسالة:

وافى كتابُك يامولاي مشتملاً ... على رياضِ معانٍ نشرها أرجُ
فكان أحسن من سحرٍ تقلُّبه ... أجفان ظبي مراضٍ حشوها غنجٍ
إذا بدا قيّد الأبصار منظَره ... فما لأنسانِ عينٍ عنه منعرجِ
فيتُ اشفي به داءً تضمّنـه ... جوانح بات فيها الهمّ يعتلج (٢)

اي رسالة هذه ؟ انها حديقة غنّاء تنشر ازهارها عطراً فوّاحاً ،وهي اسحر من ظبي غرير ، يقيّد الأبصار منظره ،وانها بلسم شاف لما تضمنت جوانحه من هموم .

ولم يبق للحاجري سوى رمق اخير بسبب فراق صديقه ضياء الدن عيسى اخي ابن خلكان . ويطلب منه ان يسرع في كتابة رسالته ،ويرفق معها تعزية لأن الشوق قد اخذ منه ماخذاً ، وربما يميته قبل وصولها:—

الله يعلمْ ماأبقى سوى رمقٍ ... منّي فراقُكَ يامَنْ قربُه الأَمل
فابعثْ كتابَكَ واستودعه تعزيةً ... فربما مُتُّ شوقاً قبل ما يصل (٣)

(١) الجامع المختصر ص ٢٤٥.
(٢) الحوادث الجامعة ص ١٣٥.
(٣) وفيات الأعيان ٣: ٥٠٢.

إن شعر الاخوانيات يغلب عليه التأنق في المعنى ، والإغراق في المحسنات البديعية ، واصطناع العاطفة ، والمبالغة في اظهار الوّد والصفاء ، والاخلاص والوفاء . وقد ساد هذا اللون من النظم كل البلاد الاسلامية ولا يخلو ديوان شاعر منه .

وشاع في امارة اربل الشعر الشعبي ،ونقصد به المنظوم بلغة عامية ملحونة ، وقد تعدّدت الوانه ،وأظهرها القوما والمواليا ،وممن تأثر به من كبار أدباء اربل حسام الدين الحاجري ، من ذلك قوله في مواليا :

يحقّ منْ قد جعل ذا الحسن ملبوسك وقِّع على قصتي باطلاق محبوسك
لولا الفضيحة واحراقي بناموسك كنت الزملك بين الناس وابوسك(١)

الخاتمة

لقد شاهدت معالم الشعر في هذه الجولة القصيرة التي أمضيناها مع شعراء الإمارة البكتكينية في اربل ،فهو يجاري الشعر في الأقطار الاسلامية الأخرى آنذاك في المنهج واللغة والموسيقى الشعرية واستخدام المحسنات اللفظية والمعنوية حتى في استيحاء المعاني والصور ؛ فهم مقلّدون قلما نجد في شعرهم تجديداً أو تطويراً إلا ماندر .

ومما يسترعي النظر في ذلك أن بين الأغراض الشعرية يومئذ الغزل بالمذكر والافراط فيه ،وعدم الاحتشام من ترديده حتى على ألسنة الفقهاء والزهاد ، مما يدل أن العصر كله لم يكن مترمّتاً .والغرض الآخر الذي شاع النظم فيه وأقبل جمهور الناس على سماعه لأنه يخصهم ويتولى عرض مشكلاتهم ، هو شعر النقد الاجتماعي ،الذي تولّد نتيجة سوء الأوضاع التي مرت بها الأُمة الاسلامية ، وما اصابها من كوارث ونكبات وهجمات شرسة من الغرب والتتر من الشرق ،وتولي السلطة والجهاز الإداري أناس غير اكفاء .

(١) ديوان الحاجري ص ٧٠.

والغريب في هذه الإمارة ان تخلو ساحة الأدب من الشعر الحماسي ، الذي برز فناً ظاهراً وبغزارة في القرنين السادس والسابع ،وقد شارك المظفر كوكبري ومن قبله اخوه وأبوه في المعارك التي دارت آنذاك في ديار الشام، وبخاصة في تحرير القدس . ويبدو لي أن الأيام قد عدت عليه ، او أنه في بطون الكتب والدواوين التي لازالت محظوظة كتاريخ اربل الذي وصل الينا منه الجزء الثاني فقط .وعقود الجمان لابن الشعار (١).

وأمر آخر نلمسه في هذا العصر هو ميل الناس إلى الشعر الشعبي الذي خرج عن دوائر البحور المعروفة كالدوبيت والقوما والمواليا .. وقد تأتّى ذلك من الثقافة الضئيلة التي كان يصيبها الشاعر من جهة ،وهبوط أذواق الناس وعدم فهم الشِعر الجزل الألفاظ الدقيق المعاني من جهة أُخرى .

إن خلو ميدان الشعر من الفحول ، نرى كثيراً من أنصاف المتعلمين حالما استقام لهم الوزن في بيت أو عدة أبيات . انطلقوا ينشرونها بين جمهور القراء .وهي على جانب كبير من الركة والضعف ، والعجز عن التصرف في اللغة تصرّف من يملك زمامها ،ويعرف أسرارها . وعدم تأليفها في كثير من الاحيان تأليفاً محكماً ، ونظمها نظماً متساوقاً منسجماً (٢)

إن كان الشعر في هذه الامارة متكلفاً زائفاً في كثير من جوانبه،إلا أنه يضم بين الحين والحين لمحات تصوّر أخلد العواطف الأنسانية كما هو الحال في شعر حسام الدين الحاجري الذي شاع شعره بين محبّي الأدب ، وكان يُوصي بحفظه . يقول ابن حجة الحموي :« اتفق أَن الشيخ نور الدين علي بن سعيد الأندلسي الأديب المشهور لما ورد إلى هذه البلاد ، اجتمع بالصاحب بهاء الدين زهير، وتطفّل على موائد طريقته الغرامية ، وسأله الارشاد إلى سلوكها . فقال له : طالع ديوان الحاجري والتلعفري . وأكثر من المطالعة فيهما ،

---

(١) الكتاب في عشرة مجلدات ، وصل الينا منه ثمانية مجلدات محفوظة في مكتبة اسعد افندي في استنبول (رقم ٢٣٢٣ - ٢٣٣٠).

(٢) انظر كتاب الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية ص ٥٥٩، ومطالعات في الشعر المملوكي والعثماني ص ٨٤، وادب الدول المتتابعة ص ٧٩٩ .

وراجعني بعد ذلك فغاب عنه مدّة ، واكثر من مطالعة الديوانين إلى أن حفظ غالبهما » (١).

لقد أردت في هذا البحث الوجيز أن ابين مكانة هذه الإمارة الصغيرة المغمورة بين الامارات القائمة آنذاك ، والمنافسة الشديدة بينها في اجتذاب العلماء والأدباء ،وما قدّم أبناؤها من عصارة أفكارهم في خدمة الفكر الانساني .

ولي أمل أن يتقبل القاريء هذا العمل المتواضع ، ويعذرني من الاقتضاب، فإنّ ادب هذه الامارة فيه مجال رحب لمن يريد التوسع والاسهاب .

(١) خزانة الأدب ص ٨

المصادر والمراجع

١ ــ آدب الدول المتتابعة : د. عمر موسى باشا. المكتبة العباسية ــ دمشق ١٩٧٢.

٢ ــ البداية والنهاية: ابن كثير، ت ٧٧٤ هـ. مط السعادة ــ القاهرة ١٩٣٢ .

٣ ــ بغية الوعاة: جلال الدين السيوطي، ت٩١١ هـ.تحـ: محمد أبو الفضل ابراهيم . مط مصطفى الحلبي ــ القاهرة ١٩٦٤.

٤ ــ التاريخ الباهر : ابن الاثير ، ت ٦٣٠هـ. ط دار الكتب الحديثة ــ القاهرة .

٥ ــ تاريخ الموصل: سليمان صائغ . جـ٢. المطـ الكاثوليكية ــ بيروت١٩٢٨.

٦ ــ الجامع المختصر: ابن الساعي، ت ٦٧٤هـ. تحـ: د. مصطفى جواد. المطبعة السريانية الكاثوليكية ــ بغداد ١٩٣٤.

٧ ــ الجواهر المضية في طبقات الحنفية: عبد القادر بن أبي الوفاء محمد، ت ٧٧٥هـ. مط مجلس دائرة المعارف العثمانية ــ الهند ١٣٣٢هـ.

٨ ــ الحروب الصليبية وأثرها في الادب العربي في مصر والشام: محمد سيد كيلاني. مط دار الكتاب العربي ــ مصر ١٩٤٩ .

٩ ــ الحوادث الجامعة: عبدالرزاق الفوطي، ت ٧٣٢ هـ. تحـ:د. مصطفى جواد. مط الفرات ــ بغداد ١٣٥١هـ.

١٠ ــ الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية: د. أحمد أحمد بدوي. مط نهضة مصر ــ القاهرة د. ت.

١١ ــ ديوان الحاجري: عيسى بن سنجر الاربلي ت ٦٣٢هـ. المط الشرقية ــ مصر ١٣٠٥هـ.

١٢ ــ ديوان سبط ابن التعاويذي: أبو الفتح محمد بن عبيد الله. تحـ: مرجليوث. مط المقتطف ــ مصر ١٩٠٣.

١٣ ــ ذيل مرآة الزمان: قطب الدين اليونيني، ت ٧٢٦هـ. مط مجلس دائرة المعارف العثمانية ــ الهند ١٩٥٤.

١٤ — شذرات الذهب: ابن العماد الحنبلي، ت ١٠٨٩هـ. نشر مكتبة القدس— القاهرة ١٣٥١هـ.
١٥ — العسجد المسبوك : الملك الأشرف الغساني، ت ٨٠٣هـ . تحـ: شاكر محمود. مط دار التراث الاسلامي — بيروت ١٩٧٥.
١٦ — الغصون اليانعة: علي بن موسى الأندلسي، ت ٦٨٥هـ. تحـ: ابراهيم الأبياري— مط دار المعارف— مصر ١٩٦٧.
١٧ — فوات الوفيات: ابن شاكر الكتبي، ت ٧٦٤هـ. تحـ: د. احسان عباس. مط دار صادر— بيروت ١٩٧٣.
١٨ — الكامل في التاريخ: ابن الاثير، ت ٦٣٠هـ. مط دار صادر — بيروت ١٩٦٥.
١٩ — كنز الدرر : عبد الله بن أيبك الدواداري، ت ٧٣٦هـ. تحـ: د. سعيد عبد الفتاح عاشور . مط دار الكتب العربية— القاهرة ١٩٧٢.
٢٠ — المختصر في أخبار البشر : عماد الدين اسماعيل أبو الفداء، ٧٣٢هـ . المط الحسينية — القاهرة ١٣٢٥هـ.
٢١ — مرآة الزمان: سبط ابن الجوزي، ت ٦٥٤هـ. جـ٨. مط مجلس دائرة المعارف العثمانية— الهند ١٩٥١.
٢٢ — مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني: د. بكري شيخ أمين. مط دار الشرق— بيروت ١٩٧٢.
٢٣ — معجم البلدان: ياقوت الحموي، ت ٦٢٦هـ. مط دار صادر— بيروت ١٩٥٥.
٢٤ — مفرج الكروب: ابن واصل، ت ٦٩٧. تحـ: جمال الدين الشيال مط دار القلم— القاهرة ١٩٦٠.
٢٥ — نكت الهميان: صلاح الدين الصفدي، ت ٧٦٩هـ المط الجمالية— مصر ١٩١١.
٢٦ — وفيات الأعيان: ابن خلكان، ت ٦٨٤هـ. تحـ: د. احسان عباس . مط دار صادر — بيروت ١٩٧٢.

دراسات لغوية

(صيغة فعال ودلالتها)

الدكتور حازم الحاج طه

لقدعرض اللغويون والصرفيون القدامى لصيغة ُفعال وأثبتوا لها معاني منها. الدلالة على بقية الأشياء والأدواء والأصوات .... واستبان لهم أن بعض صيغ (ُفعال) تتعاقب على (َفعيل) في بعض المعاني. وقد رأيت أن أقوم بدراسة لهذه الصيغة محاولا أن أجد العلاقة بين هذه المعاني المختلفة التي أشرت اليها آنفاً. وبخاصة علاقة فعال بفعيل. قد استلزم ذلك ان أجمع صيغ فعال التي أستطعت الوقوف عليها وأصنفها وفق معانيها الجامعة حتى يستبين الرابط بين هذه المعاني وصيغة فعال لعلي أخرج من ذلك بما يلقي الضوء على الدلالة الأصلية لهذه الصيغة. وليتسنى للدارس أن يقف على الدلالات المختلفة المتنوعة مجتمعة بعد تفرقها في المراجع والمظان مرتبة موادها ترتيباً هجائياً. على أنني استبعدت من بحثي صيغ فعال الي تجاوزت في دلالتها المعنى الأصلي إلى معان مجازية قد ترتبط من قريب أو بعيد بالدلالة الأساسية التي أثبتها لفعال.

أ. ُفعال او ُفعالة الدال على القطع أو البرد

١. جُذامة، مايبقى من الزرع بعد الحصد.

والفعل متعد. جذم فلان حبل وصاله: إذا قطعه. وجذمه يجذمه جذماً: قطعه، فهو جذيم. (١)

٢. جُرامة: التمر المقطوع. وقيل هو مايجرم منه بعد مايصرم يلقط من الكرب. والجريم: التمر المقطوع. عن اللحياني: قوم جرم وجرام وتمر جريم. وذهب أبو هلال العسكري إلى أنه ما يبقى في النخل من الرطب بعد ماجرم. وعن الاصمعي. الجرامة. مايسقط من التمر إذا جرم وعن أبي عمرو. جرم الرجل. إذا صار يأكل جرامه النخل بين السعف. والفعل متعد. جرم النخل والتمر يجرمه جرماً: صرمه(٢)

---

(١) لسان العرب ٣٥٣/١٤، ٣٥٦. مادة (جذم).

(٢) المصدر نفسه ٣٥٧/١٤. مادة (جرم) والمعجم في بقية الاشياء ص ٦٧

٣. جُزاز وجُزازة : ماجز منه اى قطع وجزازة كل شيء ماجز منه وجزاز الأديم : مافضل منه وسقط منه اذا اقطع .

والفعل متعد . جز الصوف والشعر والنخل والحشيش يجزه جزا ، فهو مجزوز وجزيز (١) .

٤. حُذافة : ماحذف من شيء فطرح وحذافة الأديم مارمي منه .

والفعل متعد . حذف الشي يحذفه حذفا . قطعة من طرفه والحجام . يحذف الشعر من ذلك (٢) .

٥. سُحالة : ماسقط من الذهب والفضة ونحوهما اذا بردا .

وسحالة البر والشعير : قشرهما اذا جردا منه . وكذلك غيرهما من الحبوب كالارز والدخن قال الازهرى : وما تحات من الارز والذرة اذا دق شبه النخالة فهي أيضا سحالة (٣) وكل ماسحل من شي فاسقط منه سحالة وعن الليث . السحل نحتك الخشبة بالمسحل وهو المبرد والسحالة ماتحات من الحديد وبرد من الموازين .

والفعل متعد . سحل الشيء : برده (٤) .

٦. قُحافة : كل مااقتحف من شيء واستخرج قحافة . وما جرفته منه قحافة وسيل قحاف كثير يذهب بكل شيء .

والفعل متعد . قحفة قحفا . وضربه فاقتحف قحفاً من راسه اى بان قطعة من الجمجمة (٥) .

٧. قُراضة : ماسقط بالقرض ومنه قراضة الذهب . وكذلك مايقرض الفأر من خبز او ثوب او غيرهما . والفصم متعد . قرضة يقرضه قرضا(٦)

---

(١) لسان العرب ٧/ ١٨٤، ١٨٥ مادة (جزز)
(٢) المصدر نفسه ١٠/ ٣٨٤ مادة (حذف)
(٣) تهذيب اللغة ٤/ ٣٠٧ مادة (سحل)
(٤) لسان العرب ١٣/ ٣٥٠ مادة(سحل)
(٥) المصدر نفسه ١١/ ١٨٢، ١٨٣ مادة (قحف)
(٦) المصدر نفسه ٩/ ٨٢ مادة قرض.

٨. قُصاصة : قصاصة الشعر . ماقص منه . وقصاص الشعر : منقطعه على الرأس وكذلك ماقص من الهدب والشعر .

والفعل متعد . قص الشعر والصوف والظفر يقصه قصا : قطعه (١).

٩. قُضابة : قضابة الشجر : مايتساقط من أطراف عيدانها اذا قضب . وقضابة الشيء : مااقتضب منه وخص بعضهم به ماسقط من اعالي العيدان المقتضبة .

والقضيب : كل نبت من الأغصان يقضب.

والفعل متعد . قضبه قضبا . انقطع (٢) قال الاعشى : (٣)

ولبون معزاب حويت فاصبحت نهبي وآزالة قضبت عقالها

١٠. قُطافة : مايسقط من العنب اذا قطف كالجرامة من التمر . وما قطف من الشجر . وفي الحديث يقذفون فيه من القطيف وفي رواية يديفون القطف المقطوف من التمر فعيل بمعنى المفعول والفعل متعد قطف الشيء يقطفه : قطفة (٤) .

١١. قلامة : ماقطع من الظفر والحافر والعود .

وكذلك المقلومة عن طرف الظفر وانشد : (٥)

لما اتيتم فلم تنجوا بمظلمة قيس القلامة مما جزه العلم .

والفعل متعد . قلم الظفر والحافر والعود يقلمه قلماً : قطعه بالقلمين (٦)

١٢. قوارة : ماقور من الثوب وغيره . وخص اللحياني به قوارة الأديم وكذلك ماقطعت من جوانب الشيء المقور . وكل شيء قطعت من وسطه خرقاً مستديرا فقد قورته . ومنه قوارة القميص والجنب والبطيخ . وفي حديث معاوية في فنائه اعنز درهن غير يحلبن في مثل قوارة حافر البعير اي ماستدار من باطن حافر .

---

(١) المصدر نفسه ٨/ ٣٤١ مادة (قصص).

(٢) لسان العرب ٢/ ١٧١ مادة (قضب)

(٣) ديوانه ١٥٤

(٤) لسان العرب ١١/ ١٩٣ مادة(قطف)

(٥) لم اقف على قائله.

(٦) لسان العرب ١٥/ ٣٩٢ مادة (قلم)

والفعل متعد قار الشيء قورا : قطع من وسطه حرقاً مستديرا (١) .

١٣. نخالة : مابقي في المنخل عما ينخل ، حكاه ابو حنيفة: وكل ما نخل فما يبقى فلم ينخل نخاله وكذلك مانخل من الدقيق .
والفغل متعد . نخل الشي ينخله نخلا : صفاه واختاره (٢)

١٤. نسالة : نسال الطير : ماسقط من ريشها هو النسالة وكذلك سنبل الحلي اذا يبس وطار والفعل متعد نسل الطائر ريشه ينسل وينسل نسلا . وقد ورد لازما ايضا في نحو . نسل الوبل وريش الطائر وما سقط منه نسيل ونسال (٣)

١٥. نشارة : ماسقط من الخشب المنشور (٤)
والفعل متعد : نشرت الخشبة انشرها اذا قطعتها بالمنشار (٥)

ب. الدال على الكسر : —

١. جذاذ : يقال لحجارة الذهب المكسورة ولفتات الذهب جذاذ والجذاذ المقطع وقال الفراء في قوله (فجعلهم جذاذا) (٦) فهو مثل الحطام والرفات (٧) الليث وقطع الفضة الصغار .
جذاذ . وما كسرت من الشي :
والفعل متعد جذذت الشيء كسرته وقطعته (٨)

٢. حطام : حطام الشي ماتحطم وكذلك ماتكسر من اليبس والتحطيم التكسير والحطيم مابقي من نبات عام اول ليبسه وتحطمه. الازهرى

---

(١) المصدر نفسه ٦/ ٤٣٥، ٤٣٦ مادة (قور)
(٢) المصدر نفسه ١٤/ ١٧٥ مادة(نخل)
(٣) لسان العرب ١٤/ ١٨٣، ١٨٤ مادة (نسل)
(٤) المصدر نفسه ٧/ ٦٤ مادة(نشر)
(٥) الصحاح/ جـ٢ ٨٢٩ مادة (نشر)
(٦) سورة الانبياء آية ٥٨
(٧) المفردات في غريب القرآن ص ٩٠
(٨) لسان العرب ٥/ ١٠، ١١ مادة (جذذ)

عن الاصمعي : اذا تكسر يبيس البقل فهو حطام (١) وحطام الدنيا كل مافيها من مال يفني ولايبقى .

والفعل متعد . حطمه يحطمه حطماً اى كسره (٢) .

٣. فتات : فتات الشيء : ماتكسر منه وماتفتت . قال زهير (٣) :

كأن فتات العهن في كل منزل نزلن به حب القنى لم يحطم

والفتيت : الشيء المفتوت . وقد غلب على مافت من الخبز وفي التهذيب الا انهم خصوا الخبز المفتوت بالفتيت (٤) .

والفعل متعد . فت الشيء يفته وفتا وفتته دقة وفتته كسره وقيل كسره بأصابعه (٥) .

٩. فضاضة وفضاض : فضاض الشيء وفضاضته : ماتكسر منه قال النابغة (٦) .

تطير فضاضا بينها كل قوس ويتبعها منهم فراش الحواصب

وفضاض الشيء ما تفرق منه عند كسرك اياه وفي الدعاء لايفضض الله فاك اى لايكسر اسنانك . والفم هنا الاسنان . كما يقال سقط فوه يعنون الأسنان

والفعل متعد . فضضت الشيء افضه فضا . فهو مفضوض وفضيضه كسرته (٧) .

٥. كسار : كسار الحطب دقاقه . وما تكسر من الشيء .

---

(١) تهذيب اللغة ٤/ ٤٠١ مادة (حطم)

(٢) لسان العرب ١٥/ ٢٧ ، ٢٨ مادة(حطم)

(٣) شرح ديوانه ص ١٢

(٤) تهذيب اللغة ١٤/ ٢٥٦ مادة(فت)

(٥) لسان العرب ٢/ ٣٦٩ مادة (فتت)

(٦) رواية الديوان : ص ٦٢

يطير فضاضا بينهم كل مونس ويتبعها منهم فراش الحواجب

(٧) لسان العرب ١٠/ ٧١ ، ٧٢ مادة (فضض)

والفعل متعد . كسر الشيء يكسره كسرا (١)

٦. نُكاثة : ماانتكثت من الشيء .

والفعل متعد نكث السواك وغيره ينكثه (٢) .

ت. **الدال على النحت :**

١. بُراية : اذا نحت وما وقع مما نحت فهو براية والبراية النحاتة وما بريت من العود والبراء النحاتة . قال ابو كبير الهذلي (٣) .

ذهبت بشاشته واصبح واضحاً

حرق المفارق كالبراء الأكفل

والبراية كالبراء.قال ابن جني : همزة البراء من الياء لقولهم في تانيثه البراية وقد كأن قياسه اذا كان له مذكر ان يهمز في حالة تانيثه فيقال براءه الا تراهم سا جاءوا بواحد العظاء والعباء على مذكره قالوا : عظاءة وعباءة فهمزوا لما بنوا المؤنث على مذكره .

وقد جاء نحو البراء والبراية

والفعل متعد . برى العود والقلم والقدح وغيرها يبريه برياً نحته (٤)

٢. بشارة : ماتقشره عن شجرة من شيء رقيق .

والفعل متعد . قشر الشيء يقشره ويقشره قشرا (٥)

٣. نُحاتة : مانحت من الخشب . والحافر النحيت الذي ذهبت حروفه والنحيت الردى من كل شيء والفعل متعد ، نحت النجار الخشبة ونحوها ينحتها (٦) .

٤. نُجارة مانتحت من الخشب عند النجر .

والفعل نجر الخشبة ينجرها نجرا . نحتها (٧) .

(١) المصدر نفسه ٦/ ٤٥٣ مادة (كسر)
(٢) المصدر نفسه ٣/ ١٨ ، ١٩ مادة (نكث)
(٣) شرح اشعار الهذليين ٣/ ١٠٨١
(٤) لسان العرب ١٨/ ٧٤ ، ٧٥ مادة (برى)
(٥) المصدر نفسه ٦/ ٤٠٤ مادة (قشر)
(٦) المصدر نفسه ٢/ ٤٠٣ مادة(نحت)
(٧) المصدر نفسه ٧/ ٤٥ ، ٤٦ مادة (نجر)

ث. الدال على المشط :

١. جُراشةُ : ماسقط من الشيء تجرشه وفي التهذيب : الجراشة : مايتساقط اثناء الجرش (١) والجريش المجروش كأنه قدح بعضه بعضا فتفتت ، وجراشة الرأس ماسقط منه إذا جرش بمشط والفعل متعد. جرشه يجرشه جرشا فهو مجروش وجريش (٢) .

٢. مُشاطةُ : ماسقط من الشعر عند المشط .
والفعل متعد . مشط شعره يمشطه مشطا رجله (٣)

٣. مُشاقةُ : ماطار وسقط عن المشق. والمشاقة من الكتان والقطن والشعر ماخلص منه. ومشاقة هي المُشاطةُ وهي ايضا ماينقطع من الابريسم والكتان عند تخليصه وتسريحه. والفعل متعد مشق الثوب مزقة (٤).

ج . الدال على الكنس : —

١. قُمامةُ : كناسة . وقال اللحياني : قمامة البيت ماكسح منه فالقي بعضه على بعض ويقال ألق قمامة بيتك على الطريق، اى كناسة بيتك. وتقمم اي تتبع القمام في الكناسات. والقميم حطام الطريفه(٥) وما جمعته الريح من يبسها .
والفعل متعد. قمّ الشيئ قما : كنسه. وفي حديث عمر. رضي الله عنه : انه قدم مكة فكان يطوف في سككها فيمر بالقول فيقول : قموا فناءكم (٦)

٢. كُساحة : كساحة البيت : ماكسح من التراب فالقي بعضه على بعض والكساحة . الكناسة . وكذلك تراب مجموع كسح بالمكسح .

---

(١) حاشية تهذيب اللغة ١٠/ ٥٢٨ مادة (جرش)
(٢) لسان العرب ٨/ ١٥٩ مادة (جرش)
(٣) المصدر نفسه ٩/ ٢٧٩ مادة(مشط)
(٤) المصدر نفسه ١٢/ ٢٢١، ٢٢٢ مادة(مشق)
(٥) الطريفة : ضرب في الطلاء
(٦) لسان العرب ١٥/ ٣٩٤ مادة(قمم)

والفعل متعد . كسح البيت والبئر يكسحه كسحا : كنسه (١) .

٣. كناسة : قال اللحياني : كناسة البيت ماكسح منه من التراب فألقي بعضه على بعض والفعل متعد . كنس الموضع يكنسه كنسا . كسح القمامة عنه . (٤)

ح. الدال على النخل :ــ

١. قُطاعةُ :ماسقط عن القطع.وما قطع من الحُوّارى من (٣) النخالة.
والفعل متعد . قطع النخالة من الحوارى : فصلهما منه (٤) .

٢. نُخالةُ : ماتنخل من الشيء وكذلك مانخل من الدقيق.وما بقي في المنخل مما ينخل به . والفعل متعد نخل الشيء ينخله نخلا : صفاه واختاره (٥)

٣. نُسافةُ : ماسقط من الشي ينسفه . وخص اللحياني به نسافة السويق.
ويقال : اعزلِ النسافة وكل من الخالص .
والفعل متعد . نسف الشيء وهو نسيف.غربلة . ونسف الطعام ينسفه نسفا : اذا نفضه . (٦)

خ . الدال على بقية الاكل والشرب:ــ

١. حُتامة : مابقي على المائدة من الطعام او سقط منه اذا اكل . وقيل: مافضل من الطعام على الطبق الذي يؤكل عليه .
والفعل.لازم تحتّم الرجل . اذا اكل شيئاً هشا في فيه (٧)

---

(١) المصدر نفسه ٣/ ٤٠٦ مادة (كسح)
(٢) المصدر نفسه ٨/ ٨١ مادة(كنس)
(٣) الحوارى : الحوارى من الدقيق : ماينقى من لباب البر
(٤) لسان العرب ١٠/ ١٤١ مادة(قطع)
(٥) المصدر نفسه ١٤/ ١٧٥ مادة (نخل)
(٦) المصدر نفسه ١١/ ٢٤٠، ٢٤١ مادة (نسف)
(٧) لسان العرب ١٥/ ٣ مادة(حتم)

٢. حُسافُ وحُسافةُ : حُسافُ :بقية كل شيء اكل فلم يبق إلا قليل .
وحسافةَ التمر : بقية قشوره واقماعه وكسره هذه عن اللحياني قال الليث :-
حسافةُ التمر . وهي قشورة وردئية :
وحساف المائدة : ماينتثر فيوكل فيرجى فيه الثواب .
الجوهري : الحسافة : ماتناثر من التمر الفاسد (١)
والفعل متعد . حسف التمر يحسفه حسفا : نقاه من الحسافة (٢)

٣. شُفافةُ : بقية الماء واللبن في الاناء .
والفعل متعد .شف الماء يشفه شفا واشتفه واستشفه وتشافة كل ذلك يقضي شربه .
ويقال : تشاففت مافي الاناء واستشففته : اذا شربت جميع مافية ولم تسئر منه شيئا .
ابن الاعرابي : تشافيت مافي الأناء تشافياً:اذا اتيت على مافيه.(٣)

٤. صُبابة: بقية الماء واللبن وغيرهما تبقى في الاناء والسقاء قال الاخطل في الصبابة (٤) .

جاد القلال له بذات صبابة حمراء مثل سخينة الاوداج

وقال ابو عبيد : الصبابة البقية اليسيرة تبقى في الاناء من الشراب فاذا شربها الرجل قال تصاببتها . فامـا ماأنشده ابن الاعرابي من قول الشاعر : (٥)

وليل هديت به فتيـــة سقوا بصباب الكرى الأغيد

قال : قد يجوز انه بصبابة الكرى فحذف الهاء .
والفعل متعد : صب الماء ونحوه صبا (٦) .

---

(١) الصحاح ٤/ ١٣٤٤ مادة (حسف)
(٢) لسان العرب ١٠/ ٣٩١ مادة(حسف)
(٣) المصدر السابق ٨٣/١١ مادة (شفف)
(٤) ليس في ديوانه
(٥) لم اقف على قائله
(٦) لسان العرب ٢/ ٤٠٢ مادة (صبب)

٥. قُداحةُ وقديح : بقية تبقى في القدر من المرق وفي الركزة من الشراب. قدر مايقدح مرة واحدة اى يغرف (١)

والقديح : مايبقى في اسفل القدر فيغرف بجهد وفي حديث ام زرع : تقدح قدرا وتنصب اخرى اى تغرف ،يقال قدح القدر اذا غرف مافيها .

والفعل متعد . قدح مافي اسفل القدر يقدحه قدحا فهو مقدوح وقديح اذا غرفه بجهد (٢) .

٦. قُرارةُ : مايبقى من المرق اليابس في القدر والصبيان يتقرون،اذا اخذوا ذلك واكلوه (٣) والقرارة مابقي في القدر بعد الغرف منها .

والفعل متعد : قر القدر يقرها قرا . فرغ مافيها من الطبيخ (٤)

٧. قُرامة : مايبقى من الخبز ملتزقا بالتنور (٥) .

والقرامة من الخبز : ماتقشر منه وكل،ماقشرته عن الخبز فهو القورامة .

والفعل متعد . قرم الشيء قرما : قشره (٦) .

٨. قُشامُ وقشامة : القشام : مايبقى من كسار الخبز وغيره على المائدة (٧)

والقشامه : ردىء التمر عن ابي حنيفة. والقشام والقشامة : ماوقع على المائدة ونحوها مما لا خير فيه او مابقي فيها من ذلك .

وعن ابن الاعرابي : القشامة . مابقي من الطعام على الخوان .

والفعل متعد . قشمت الطعام قشماً اذا نفيت الردى منه (٨) .

---

(١) معجم بقية الاشياء ص ١٣٤

(٢) لسان العرب ٤/ ٣٩٠ مادة (قدح)

(٣) معجم بقية الاشياء ص ١٣٧

(٤) لسان العرب ٦/ ٣٩٠ مادة(قرر)

(٥) معجم بقية الاشياء ص ١٣٧

(٦) لسان العرب ٣٧٣/١٥ مادة (قرم)

(٧) معجم بقية الاشياء ص ١٣٨

(٨) لسان العرب ١٥/ ٣٨٥ مادة(قشم)

٩. كُدادةُ : قال الأصمعي : مايبقى في اسفل القدر (١) .
وقال الجوهري : مايبقى في اسفل القدر من المرق (٢) .
وقال الازهري : اذا لصق الطبيخ باسفل البرمة فكد بالاصابع ، فهي : الكدادة (٣) .
والكدادة : ثقل السمن . وبقيت من الكلأ كدادة وهو الشيء القليل
والفعل متعد كد الشيء يكده واكده : نزعة بيده ، يكون ذلك في الجامد والسائل (٤) .
١٠. كدامة : بقية كل شيء اكل . والعرب تقول : بقي من مرعانا كُدامة اى بقية تكدمها المال باسنانها ولاتشبع منها .
والفعل متعد : كدمه يكدمه ويكدمه كدما (٥)
١١. لُعاعة : مابقي في السقاء ويقال وفي الاناء لعاعة : اى جرعة من الشراب.
قال اللحياني بقي في الاناء لعاعة ، اى قليل (٦) .
١٢. لعاق : مابقي في فيك من طعام لعقته .
والفعل متعد . لعق الشيء يلعقه : لحسه (٧) .

د. **مادل على اللب والصفوة : —**

١. خلاصة : خلاصة السمن : ماخلص منه لانهم اذا طبخوا الزبد ليتخذوه سمنا طرحوا منه شيئا من سويق وتمر فاذا جاد وخلص من الثقل فذلك السمن .
والفعل لازم : خلص السمن من الثقل (٨)

---

(١) معجم بقية الاشياء ص ١٤١
(٢) الصحاح ١/ ٥٢٧ مادة (كدد)
(٣) تهذيب اللغة ٩/ ٤٣٥ مادة (كد)
(٤) لسان العرب ٤/ ٣٨٢ مادة (كدد)
(٥) معجم بقية الاشياء ص ١٤١
(٦) المصدر نفسه ص ١٤٤
(٧) لسان العرب ١٢/ ٢٠٦ مادة (لعق)
(٨) المصدر نفسه / ٢٩٣، ٢٩٤ مادة (خلص)

٢. لُباب : لباب كل شيء خالصه وخياره ، وقد غلب على مايؤكل داخله ويرمي خارجه من الثمر .

وشيي لباب خالص.ان جني وهو لباب قومه وهلهم لُباب قومهم. وهي لباب قومها . قال جرير (١)

تُدرّى فوق متنيهـا قرونا على بشر وانسة لباب

والحسب اللباب : الخالص ومنه سميت المراة لبابة . وفي الحديث انام من مذبح عباب سلفها ولباب شرفها .

واللباب طحين مرقق .

ولبَبَ الحَبُّ جرى فيه الدقيق (٢)

٣. مُصاص :. خالص كل شيء والمصاص والمصاصة ماتمصصت منه. والفعل متعدّ مصصت الرمان امصه (٣)

٤. نُقاوة : افضل ماانتقيت من الشيء .

الجوهري : نقاوة الشيي خياره، وكذلك النقاية بالضم فيهما كانه بني على ضده وهو النفية لان فعالة تاتي كثيرا فيما يسقط من فضله الشيء (٤)

وقال ابو زياد : النقاية الردى والنقاوة الجيد .

والفعل متعد . انتقيت الشيء اذا اخذت خيازرة (٥) .

٥. نَقيعٌ : ونقاعه : النقيع : المحض من اللبن يبرد . قال ابن برى شاهده قول الشاعر (٦) .

اطوف ماأطوف ثم اوى إلى امي ويكفيني النقيع

والنقيع شيي ينقع فيه الزبيب وغيره ثم يصفى ماؤه فيشرب وكذلك

---

(١) شرح ديوانه ص ٨٢

(٢) لسان العرب ٢/ ٢٢٥ مادة (لبب)

(٣) لسان العرب : ٣٥٩/٨ مادة (مصص)

(٤) الصحاح ٦/ ٢٥١٤ مادة (نقا) .

(٥) لسان العرب ٢١٢/٢٠ مادة (نقا)

(٦) لم اقف على قائله

هو شراب يتخذ من زبيب ينقع في الماء من غير طبخ ، وقيل في السكر انه نقيع الزبيب .

والنقاعة ماانقعت من ذلك . قال الشاعر (١)

به من نضاخ الشول ردع كانه نقاعه هناء بماء الصنوبر

والفعل متعد . نقع الشي في الماء وغيره ينقعه نقعاً فهو نقيع (٢)

ذ. مايدل على معان اخرى :—

١. حُكاكَه وحُكاك : حكاكة : ماتحاك بين حجرين اذا حك احدهما بالاخر لدواء وغيره وقال اللحياني الحكاكة ماحك بين حجرين ثم اكتحل به من رمد .

وقال ابن دريد : الحكاك ماحاك من شيء على شيء فخرجت منه حكاكة (٣)

وقال الجوهري : الحكاكة مايسقط عن الشيء عند الحك (٤) .

والفعل متعد . حك الشيء بيده وغيرها يحكه حكا (٥) .

٢. حُلاقة ، وحليق ، وحُلاق : حلاقة المعزى : ماحلق من شعره . وكذلك منه يكون ذلك في الناس والمعز .

والحليق : الشعر المحلوق

والفعل متعد . حلق معزاه ، اذا اخذ شعرها وجز ضافه ، وهي معزة محلوقة وحليقة (٦) .

٣. حُشاشة : روح القلب ورمق حياة النفس . قال : (٧)

---

(١) لم اقف على قائله
(٢) لسان العرب ٢٣٨/١٠ مادة (نقع)
(٣) جمهرة اللغة ٦٣/١ مادة(حكك)
(٤) الصحاح ١٥٨٠/٤ مادة (حكك)
(٥) لسان العرب ١٢/ ٢٩٥ مادة (حكك)
(٦) لسان العرب ٣٤٥،٣٤٤،٣٤٣/١١ مادة (حلق)
(٧) لم اقف على قائله

وما المرء مادامت حشاشة نفسه   بمدرك اطراف الخطوب، ولاال

وكل بقعه حشاشة والحشاش والحشاشة : بقية الروح في المريض، ومنه حديث زمزم فانفلتت البقرة من جازرها بحشاشة نفسها اى الرمق يقية الحياة والروح .

الازهرى (٣) الحشاشة : رمق يقية من حياة قال الفرزدق (١)

اذا سمعت وطء الركاب تنفست   حشاشتها في غير لحم ولا دم

والفعل لازم : حش الولد في بطن امه : جووز به وقت الولادة فييبس في البطن . وحش ولد في رحمها اى يبس والقته (٣)

٤. خُباسة : الغنيمة . قال عمرو بن جوين او امروا القيس (٤)

فلم ار مثلها خباسة واجد   ونهنهت نفسي بعد ماكدت أفعله

اى اخذته وغنمته . الاصمعي : الخباسة : ماتخبست من شيء اخذته وغمته . ومنه يقال . رجل خبأس اى غنام .

والخباسة : الظلامة . والاختباس : الظلم . حبسة مالة واختبسه اياه . والفعل متعد . خبس الشيء يخبسه خبساً . أخذه وغنمه (٥) .

٥. خُصاصَه : مايبقى في الكرم بعد قطافه العنيقيد الصغير ههنا واخر ههنا . وكذلك الفص سن الكرم اذا لم يرو وخرج منه الحب متفرقا ضعيفاً . (٦) .

٦. خلالَه : طلب الرطب خلال السعف بعد أنقضاء الصرم . وقال أبو حنيفة : هي ما يبقى في اصول السعف من التمر الذي ينتثر .

---

(١) تهذيب اللغة ٣٩٢/٣ مادة(حش)

(٢) ليس في ديوانه

(٣) لسان العرب ١٧٢/٨ مادة(حشش)

(٤) ملحق بالشعر المنسوب إلى امرئ القيس مما لم يرد في اصول الديوان المخطوفة ص ٧٢

(٥) لسان العرب ٣٦٣،٣٦٢/٧ مادة (خبس)

(٦) المصدر نفسه ٢٩١،٢٩٠/٨ مادة (خصص)

والفعل متعد . تخلل الرطب : طلب خلال السعف (١)

٧. ُخراطة : قال ابو الهيثم : خرطت العنقود خرطاً . أذا اجتذبت حبه، بجميع اصابعك . وما سقط منه فهو الخراطة .

والفعل متعد . خرج الرجل العنقود . (٢)

٨. ُخشار وُخشارة : الردىء من كل شيء . وخص اللحياني به ردىء المتاع . والخشارة من الشعير ما لا لب له . وخشارة الناس سفلتهم . وفي الحديث : أذا ذهب الخيار وبقيت خشارة كخشارة الشعير لايبالي بهم الله باله، هي الردىء من كل شيء . وفلان من الخشارة . إذا كان دوناً قال الخطيئة (٣)

وباع بنيه بعضهم بخشارة ... وبعت لذبيان العلاء بمالكا

يقول : اشتريت لقومك الشرف بأموالك .

والفعل متعد . خشرت الشيء . إذا ارذلته فهو مخشور .

وخشرت الشيء أخشره خشراً . أذا نفيت منه خشارته (٤)

٩. ُدقاقه ودُقاق : ما أندق من الشيء وهو التراب اللين الذي كسحته الريح من الارض .

والدقاق : فتات كل شيء.والدقيق: الطحين وكذلك الشيء لاغاظ فيه.

والفعل متعد . دق الشيء يدقه . أذا اظهره (٥)

١٠. رُذال وُرذالة ورذيل : الرذيل : الدون من الناس ؛ وقيل : الدون في منظره وحالاته وقيل الدون : الخسيس . وقيل : هو الردىء من كل شيء ورذيل : وسخ ودىء ..

(١) لسان العرب ٢٢٦/١٣ مادة(خلل)

(٢) المصدر نفسه ٩/ ١٥٤ مادة(خرط)

(٣) رواية الديوان ص ٣٠ وباع بنيه بعضهم بخشارة ... وبعت لذبيان العلاء بمالك

(٤) لسان العرب ٥/٣٢١، ٣٢٢ مادة(خشر)

(٥) المصدر نفسه ١١/ ٣٨٩، ٣٩٠ مادة(دقق)

١١. رُذال ورُذالَه : ما أنتقي جيده وبقي رديثه . ورذيلَه كل شيء أردؤه .
والفعل متعد . رذله يرذله رذلا . جعله كذلك (١)

١٢. سُقاطَه : ما سقط من الشيء .
والفعل لازم ، يسقط سقوطاً : وقع (٢)

١٣ — ظُلامة : وظليم وظليمة . ظلامة وظليمة : ماتظلمه عند الطعام والظليم والظليمة . اللبن يشرب منه قبل ان يروب ، ويخرج زبدة . قال (٣)

وقائلة ظلمت بكم سقائي وهل يخفى على العكد الظليم

وفي التهذيب. العرب تقول : ظلم فلان سقاءه ، اذا سقاه قبل أن يخرج زبدة (٤) والفعل متعد . ظلمت سقائي : سقيتهم إياه قبل أن يروب (٥)

١٤ — عُشانة : مايبقى في أصول السعف من التمر .
والفعل متعد . تعشن النخلة : أخذ عشانتها . (٦)

١٥ — عُصافة : ماكان على ساق الزرع من الورق الذي ييبس فيتفتت وقيل : هو ورقة من غير ان يعين ييبس ولا غيره . وقيل : ورقة وما لايؤكل . وقيل التبن وقيل : هو ماعلى حب الحنطة ونحوها من قشور التبن . وقيل : ماسقط من السنبل كالتبن ونحوه .
والفعل متعد. عصفنا الزرع نعصفه : أي جززنا ورقة الذي يميل في أسفله (٧)

---

(١) المصدر نفسه ١٣/٢٩٨ مادة (رذل)
(٢) المصدر نفسه ٩/١٨٩، ١٩٠ مادة(سقط)
(٣) لم اقف على قائله
(٤) تهذيب اللغة ١٤/٣٨٣ مادة(ظلم)
(٥) لسان العرب ١٥/٢٦٨ مادة(ظلم)
(٦) المصدر نفسه ١٧/١٥٨ مادة(عشن)
(٧)

١٦ ــ غُسالة: غساله الثوب: ماخرج منه بالغسل . وغسالـَه كل شيء ماؤه الذي يغسل به.
والغسالة ماغسلت به الشيء .
والفعل متعد . غسلت به الشيء (١)
١٧ ــ فُضالهَ : وفضيلة: مافضل من الشيء
والفضيلة: الدرجة الرفيعة في الفضل وضد النقيصة .
والفعل لازم. فضل فلان على غيره . اذا غلب بالفضل عليهم (٢)
١٨ ــ مُضاغة: مامضغ : وكذلك مايبقى في الفم من اخر مامضغته .
والفعل متعد . مضغ الطعام يمضغه مضغاً (٣)
١٩ ــ مُشاش: أرض رخوة لاتبلغ ان تكون حجراً يجتمع فيها ماء السماء وفوقها رمل يحجر الشمس عن الماء وتمنع المشاشة الماء ان يتشرب في الأرض فكلما استقيت منها دلو جمت أخرى .
وابن شميل : المشاشة جوف الأرض . وإنما الارض مسك فمسكة كذانه ، ومسكة حجارة غليظة . ومسكة لينية . وإنما الارض طرائق فكل طريقة مسكة . والمشاشة هي الطريقة التي هي حجارة خوارة وتراب . وأما مشاشة الركية نجلبها الذي فيه نبطها وهو حجر يهمي منه الماء أي ترشح فهي كمشاشة العظام تتحلب أبداً .
يقال: وان مشاش جبلها ليتحلب اي يرشح ماء .
الجوهري: المشاش : أرض لينه . قال الراجز:
رأسي العروق في المشاش البجباج
ويقال: فلان لين المشاش. اذا كان طيب النحيزة ، عفيفاً من الطمع (٤)

(١) المصدر نفسه ١٤/٨٠٧ مادة (غسل)
(٢) المصدر نفسه ١٤/٣٩، ٤٠ مادة (فضل)
(٣) المصدر نفسه ١٠/٣٣٤ مادة (مضغ)
(٤) الصحاح ٣/ ١٠٢٠ مادة (مشش)

وفلان طيب المشاش اي كـريم النفس . وقول أبي ذؤيب يصف فرساً (١)

يعدو به نهش المشاش كأنه صدع سليم مرجعهُ لايظلع

يعني انه خفيف النفس والعظام أو كنى به عن القوائم .

والفعل متعد. مشتت المشاش. اي قصصته ممضوغاً (٢)

٢٠ — نُفاية: نُفاية الشيء: بقيته وأردؤه. وكذلك نفاوته. وخص ابن الأعرابي به ردىء الطعام .

والنفاية: المنفي القليل ، مثل البراية والنخالة.

والنفاية: مانفيته من الشيء لرداءته .

والفعل متعد. يقال: نفيت الشعر انفيه نفياً ونفاية. إذا رددته (٣)

يلاحظ في الامثلة التي أوردناها انها مأخوذة من أفعال متعدية وهي تفيد معنى يشبه معنى اسم المفعول فهي نتيجة لوقوع الفعل على المفعول، غير أنها بخلاف اسم المفعول نتيجة غير مقصودة . ف(نشارة) مثلاً ليست هي النتيجة المقصودة من فعل النشر . وإنما هي نتيجة لازمة . بينما الخشب المنشور، أي الذي وقع عليه الفعل هـو المقصود من إجراء الفعل أصلا، وليست البقايا بالضرورة مما يرفض وينبذ دائماً (٤) ف (سحالة) مثلا إذا كان المسحول ذهبـاً او فضـة فلا يمكـن عدها غير ذات قيمة لنفاستها . ولكن تكون غير ذات قيمة في مثل (الجرامة) وهو التمر المجروم .

فالمادة التي يقع عليها الفعل هي التي تعين كون البقية حسنة أو رديئة

---

(١) شرح اشعار الهذليين ٣٧/١

(٢) لسان العرب ٢٣٩/٨، ٢٤٠ مادة(مشش)

(٣) المصدر نفسه ٢١١/٢٠ مادة(نفى)

(٤) انظر ادب الكاتب ص ٤٧٠

ومثل ذلك ايضاً (الجزارة) وهي اجر الجزار.ومنه ايضاً (المضاغة) وهو من مضغ ، وكذلك ما يبقى في الفم من آخر ما مضغته . ففي هذا المثال نلاحظ ان المعنى الاول وهو (ما مضغ) يعني مطلق المفعول اما المعنى الثاني وهو (ما يبقى في الفم من آخر ما مضغته) فقد لوحظ فيه معنى بقية الممضوغ . ونستطيع من تبادل (فُعال وفَعيل) ان نخلص الى ان العربية في طور من اطوارها كانت تستعمل كلا من (فعال وفعيل) لاداء معنى اسم المفعول فتعاقب بينهما كما رأينا في الامثلة ظلامة وظليمة (وكلاهما بمعنى ما تظلمه) (١) و(رذال ورذاله ورذيل) (٢) ونسالة ونسيل ((٣) غير ان الصفتين قد نزعتا الى التباين في طور آخر ليفيد (فعيل) معنى (المفعول) المراد من الحدث او الفعل (٤) أما فعال فاستعمل للدلالة على اسم المفعول غير المقصود من الفعل والذي كان لازمة من لوازمه . كما ويبدو ان ذلك كان اول الامر مع افعال مثل (كنس) البيت ، فالمفعول المقصود هنا هو البيت غير ان ناتج فعل الكنس هو (الكناسة) اي ما كسح منه من التراب او القمامة (٥) وبعد ان استقراستعمال فعال للدلالة على نحو ما ذكرنا امتد الى افعال اخرى لا ليدل على نتاج غير مقصود ، وانما ليستفاد منها معنى البقية عموماً دون ان يكون في ذلك اقلال من شأن هذه البقية بل انها تكون احياناً من خياره . ومن ذلك مثلا (خلاصة) السمن : التي تدل على ما خلص منه لانهم اذا طبخوا الزبد ليتخذوه سمناً طرحوا فيه شيئاً من سويق وتمر فاذا جاد وخلص من الثقل فذلك السمن هو الخلاصة (٦) (نقاية) و(نقاوة) التي تدل على افضل ما ينتقي من الشيء(٧) كما قال الجوهري

---

(١) انظر ذ/١٣

(٢) انظر ذ/١٠

(٣) انظر أ/١٤

(٤) ومنه: قتيل وجريح واسير وطريح وطليح (متعب) ومقيت (مبغض) وختين (مقطوع القرلة) وصريع وعقير ولهذا جعله بعضهم مقيساً فيما ليس له فعيل بمعنى فاعل، فيقال: عليه حسيد ونهيد(مظلوم) تصريف الاسماء ص ٩١

(٥) انظر ج/١

(٦) انظر د/١

(٧) د/٤

فيها مما اشرنا اليه من قبل (١)

كما ان صوغ فعال لم يعد مقصوراً على الافعال المتعدية وانما امتد ايضاً الى افعال لازمة عثرنا منها على فعلين هما (سقط سقاطة) وفضل فضالة (٢) ونلاحظ ان الفعل الأخير اي فضل — ياتي منه ايضاً (فعيل) غير أنه في معنى اسم الفاعل للزوم فعله ، اي فضيل بمعنى فاضل .

مادل على افرازات البدن

١. بزاق وبصاق لغتان

والفعل لازم . بزق يبزق بزقا وبصق يبصق بصقا (٣)

٢. ذنان وذنين : المخاط الرقيق الذي يسيل منه الانف . وقيل هو المخاط

وقيل هو الماء الرقيق الذي يسيل من الانف

والفعل لازم . ذن أنفه يذن اذا سال (٤).

٣. رضاب الريق . وهو ما يرضبه الانسان من ريقه كأنه يمتصه وقيل الرضاب الريق المرشوف

وقيل هو تقطع الريق في الفم كثرة ماء الاسنان (٥)

٤. لعاب : ما سال من الفم

لعب — بفتح العين — الرجل سال لعابه .

وخص الجوهري به الصبي فقال: لعب الصبي. أذا سال لعابه(٦) قان لبيد(٧)

لعبت على اكتافهم وحجورهم وليداً وسموني لبيداً وعاصماً

وثغر ملعوب اي ذو لعاب .

---

(١) انظر د/٤

(٢) انظر ذ/١٧

(٣) لسان العرب ١١/٣٠١،٣٠٢ مادة(بزق وبصق)

(٤) المصدر نفسه ١٧/٣٢ مادة (ذنن)

(٥) المصدر نفسه ١/٤٠٣،٤٠٤ مادة(رضب) وانظر ديوان العرب ١/٤٣٨

(٦) الصحاح ١/٢٢٠ مادة (لعب)

(٧) رواية الديوان: لعبت على اكتافهم وحجورهم وليدا وسموني مفيدا وعاصما

ولعاب الحية والجراد سمهما . ولعاب النحل ما يعسله وهو العسل .
والفعل لازم . لعب الرجل سال لعابه (١)

٥. مخاط : ما يسيل من الانف والمخاط من الأنف كاللعاب من الفم،
والفعل متعد . مخطت الصبي مخطا . وقد مخطه من انفه اي رمى به (٢)

٦. نخاع : ما تفله الإنسان
لم يرد فعل مجرد منه . والوارد تنخع . تنخع الرجل رمى بنخاعته (٣)

٧ نخامة : ما يلقيه الرجل من خزاشي صدره . وكذلك ما يخرج من الخيشوم
عند التنخم والفعل لازم . نخم الرجل نخماً (٤)

ان بين معاني هذه المجموعة ومعاني بقية الاشياء صلة واضحة غير اننا نلاحظ ان اغلب الأفعال التي اخذت منها هذه الاسماء لازمة فهي بمثابة مفعول لازم عن الفعل نفسه اي ان مخاطاً وبصاقاً مثلا كان ينظر اليه على انه المفعول الناتج عن فعل المخط والبصق وما من ريب ان العرب نظروا الى هذه الافرازات على انها بقايا وفضلات تخرج من البدن وليست بذات قيمة كما هو الشأن في الامثلة التي اوردناها . ولهذا جعلوا اسماءها على زنة (فعال) التي غلب عليها معنى البقية . ويؤيد هذا انه لايشرك (فعيل فعالا) في هذا المعنى اذ لافائدة من هذه البقايا حتى يأتي منها صيغ على وزن (فعيل) ولكن شذ (ذنان وذنين)

مادل على الصوت

١. ازاز وازيز : للقدر عند غليانه .
والفعل لازم : أزز القدر توز وتئزازا وازيز وازازا،اذا اشتد غليانها.
وقيل : هو غليان ليس بالشديد (٥)

---

(١) لسان العرب ٢/٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨ مادة(لعب)
(٢) لسان العرب ٩/٣٤ مادة (مخط)
(٣) المصدر نفسه ١٠/٢٢٦ مادة (نخع)
(٤) المصدر نفسه ١٦/٤٩ مادة (نخم)
(٥) المصدر نفسه ٧/١٧ مادة (أزز)

٢. بغام : صوت الظبية .

والفعل لازم . بغمت الظبية وتبغم بغاما . صاحت الى ولدها بأرضم ما يكون من صوتها (١)

٣. بكاء : يقصر ويمد . قال الفراء وغيره . اذا مددت أردت الصوت الذي يكون مع البكاء . واذا قصرت أردت الدموع وحروجها . قالت الخنساء في البكاء الممدود ترثي اخاها (٢)

إذا قبح البكاء على قتيل رأيت بكاءك الحسن الجميلا

والفعل لازم ومتعد . بكى يبكيه بكاء . وبكيت عليه بمعنى (٣)

٤. ثغاء : صوت الشاء والمعز وما شاكلها . وفي المحكم الثغاء : صوت الغنم والظباء عند الولادة وغيرها والفعل لازم . ثغا يثغو وثغت تثغو ثغاء : اي صاحت (٤)

٥. ثواج : صوت البقرة :

والفعل لازم . ثاجت البقرة تثاج وتثوج ثوجاً : صوتت (٥)

٦. جؤار : رفع الصوت مع تصرع واستغاثة

وفي الحديث : كاني انظر الى موسى له جوأر الى ربه بالتلبيه .

الجوهري : الجوأر مثل الخوار . جار الثور والبقرة يجار جوار . صاحا (٦)

والفعل لازم . جأر بالدعاء : اذا رفع صوته (٧)

---

(١) المصدر نفسه ٣١٧/١٤ مادة (بغم)
(٢) ديوان الخنساء ص ١٢٤
(٣) لسان العرب ٨٨/١٨ مادة (بكى)
(٤) المصدر نفسه ١٢٢/١٨ مادة (ثغا)
(٥) المصدر نفسه: ٤٥/٣ مادة (ثوج)
(٦) تهذيب اللغة ١٧٧/١١ مادة (جأر)
(٧) لسان العرب ٨١/٥ مادة (جار)

٧ــ خُوار : صوت الثور وما اشتد من صوت البقرة والعجل وقال ابن سيدة . الخوار : من أصوات البقرة والغنم والظباء والهام (١) والفعل لازم . خار يخور خوارا : صاح (٢) . ومنه قوله تعالى (فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار) (٣)

٨ــ رُعاق : صوت يسمع من قنب الدابة .
وفي التهذيب : الرعيق والرعاق والوعيق والوعاق . الصوت الذي يسمع من بطن الناقة قال الاصمعي : وهو صوت جردانه . إذا تقلقل في قنبه (٤) الليث : الرعـاق صوت يسمع من قنب الدابة . والصواب ما قاله ابن الاعرابي . وقال ابن برى : الرعيق والرعاق والوعيق والوعاق بمعنى . عن ابن الاعرابي ، وهو صوت البطن من الحجر وجردان الفرس . وقال ابن خالويه:
الرعاق : صوت بطن الفرس إذا جرى .
والفعل لازم. رعق يرعق رعاقاً (٥)

٩ ــ زُقاء: صوت الديك والطائر والمكاء. وكذلك الصبي إذا اشتد بكاؤه والفعل لازم . زقا الديك والطائر والمكاء ونحوها يزقو ويزقي زقوا وزقاء. صاح (٦)

١٠ ــ سُحال وسحيل: الصوت الذي يدور في صدر الحمار .
والفعل لازم. سحل البغل والحمار يسحل ويسحل سحيلا وسحالا: نهق (٧)

---

(١) المخصص ٢/٢ ، ١٦٢
(٢) لسان العرب ٤٥/٥ مادة (خور)
(٣) سورة طه رقم الاية ٨٨
(٤) تهذيب اللغة ٢٣٧/١ مادة (رعق)
(٥) لسان العرب: ٤٠٨/١١٠ مادة (عق)
(٦) المصدر نفسه ٧٦/١٩ مادة (رقا)
(٧) المصدر نفسه ٣٥٠/١٣ مادة (سحل) وانظر اصلاح المنطق جـ١٠٨

١١ ــ صُراخ وصريخ: الصراخ. الصوت الشديد ماكان .
والصريخ المستغيث . وفي المثل : عبد صريخه امه ،أي ناصره أذل، منه وأضعف .
والصراخ: صوت استغاثتهم . والصريخ المغيث .
والفعل لازم. صرخ فلان يصرخ صراخاً. إذا استغاث فقال ياغوثاء، واصرختاه والصريخ يكون فعيلا بمعنى مفعل مثل نذير بمعنى منذر وسميع بمعنى مسمع (١)
١٢ ــ صُقاع: صوت الديك .
والفعل لازم. صقع الديك يصقع صقيعاً وصقاعاً . أي صاح (٢)
١٣ ــ صُباخ: صوت الثعالب. وقال ذو الرمه (٣)

سباريت يخلو سمع يجتاز ركبها   من الصوت إلا من صباخ الثعالب

وضبح ضبحاً وضباحاً: نبح والضباح: الصهيل .
وضبحت الخيل في عدوها : أسمعت من أفواهها صوتاً ليس بصهيل ولا حمحمة . وقيل تضبح ، وهو صوت أنفاسها إذا عدوت قال عنترة : ــ

والخيل تعلم حين تضـ   ـبح في حياض الموت ضبحاً (٤)

١٤ ــ ضُفاء: صوت الذئب والسنور والثعلب .
والفعل لازم. ضفا الذئب والسنور والثعلب يضفو ضفوا وضفاء: صوت وصاح. وكذلك الكلب والحية، ثم كثر حتى قيل للإنسان إذا ضرب فاستغاث (٥)

---

(١) المصدر نفسه ٣٠٣/٤ مادة (صرخ)
(٢) ديوانه ص ٢٠١
(٣) ديوانه ص٣٣٣
(٤) لسان العرب ٣٥٥/٣ مادة (ضبح)
(٥) لسان العرب: ٢٢٠/١٩ مادة(ضفا)

١٥ ـ عُواء: قال ابن الأثير : صوت السباع ، وكأنه بالذئب والكلب أخص .

والفعل لازم. عوى الكلب والذئب يعوى عيا وغواء: لوى خطمه ثم صوت . وقيل : مد صوته ولم يفصح (١)

١٦ ـ مُكاء: صفير بالفم.

والفعل لازم . مكا الانسان يمكو مكوا ومكاء: صفر بفيه. قال بعضهم : هو أن يجمع بين أصابع يديه ثم يدخلها في فمه ثم يصفر فيها (٢) وفي التنزيل العزيز : (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية) (٣)

١٧ ـ مُواء: صوت الهرة .

قال اللحياني: هرة مؤوء وصوتها المواء.

والفعل لازم. ماءت الهرة تموء . إذا صاحت (٤)

١٨ ـ نُباح ونَبيح: صوت الكلب.

والفعل لازم. نبح الكلب ينبح نبيحاً ونباحاً. والنباح صوت الاسود ينبح نباح الجرو (٥)

١٩ ـ نُعاب ونَعيب: صوت الغراب .

والفعل لازم . نعب الغراب ينعب وينعب نعباً ونعيباً ونعاباً. صاح وصوت .وقيل مد عنقه وحرك رأسه في صياحه. (٦)

---

(١) المصدر نفسه ٢٤٢/١١ مادة (عوى)
(٢) المصدر نفسه ١٥٨/٢٠ مادة (مكا)
(٣) سورة طه رقم الاية ٨٨
(٤) لسان العرب ١٥٥/١ مادة (موا)
(٥) المصدر نفسه ٤٤٩/٣ مادة (نبح) وانظر اصلاح المنطق ١٠٩
(٦) المصدر نفسه ٢١٦/٢ مادة(نعب)

٢٠ ـ نُعاق ونعيق :

نعق الراعي بالغنم ينعق نعقاً ونعاقاً ونعيقاً. صاح بها وزجرها. ،
يكون ذلك في الضأن والمعز (١)

٢١ ـ نُهاق ونهيق: صوت الحمار. فاذا كرر نهيقه واشتد قيل: أخذه النهاق .

والفعل لازم . نهق الحمار ينهق وينهق نهقاً ونهيقاً ونهاقاً : صوت (٢)

٢١ـ هتاف . الصوت الجاف العالي . وقيل الصوت الشديد .

والفعل لازم . هتف به هتافاً . صاح به (٣)

٢٢ـ يعار : صوت الغنم . وقيل صوت المعزى . وقيل هو الشديد من اصوات الشاء . قال الشاعر (٤)

وأمّا اشجع الخنثى فولّوا تيوساً بالشظى لها يعار

والفعل لازم . يعرت العنز تيعر يعار : صاحت (٥)

تكون النتيجة هنا كامنة في وقوع الفعل نفسه .

ف(النهاق والنهيق) هو نتيجة احداث الفعل (نهق) فمعنى المفعولية هنا واضح أشد الوضوح ولذلك فهمت هذه الأسماء الدالة على نتيجة فعل الصوت على أنها نوع من اسم المفعول ولذلك أمكن صيوغها على (فعال او فعيل).

ويلاحظ ان من الافعال ما يتفرد اسم الصوت منها ب(فعال) دون (فعيل) او (فعيل) دون (فعال) مما يؤيد اتحاد (فعال وفعيل) في المعنى الذي يدلان عليه في الأصل . غير ان اللغة قد عاملت هذه الأسماء الدالة على المفعول من بعد معاملة المصادر فيعدها الصرفيون مصادر لهذه الافعال

---

(١) المصدر نفسه ٢٣٤/١٢ مادة (نعق)

(٢) لسان العرب ٢٢٩/١٢ مادة(نهق) وانظر اصلاح المنطق ١٠٨

(٣) المصدر نفسه٢٥٩/١١ مادة(هتف)

(٤) لم اقف على قائله

(٥) لسان العرب١٦٥/٨ مادة(يعر)

اللازمة ونحن لاننازع في كون هذه الأسماء تقوم الآن بالنسبة الى افعالها بدور المصدر . الا اننا كما اسلفنا انها كانت في اول امرها أسماء لما تنتجه افعالها . ويؤيد هذا ورود فعال مع فعيل الذي يفيد أصالة اسم المفعول كما أشرنا من قبل .

مادل على داء :—

قال الثعالبي : أكثر الأدواء والأوجاع في كلام العرب على (فعال) (١)

وورد في شرح شافية ابن الحاجب الغالب في مصدر الأدواء من غير باب فعل المكسور

العين (الفعال) كالسعال ، والدوار .....) (٢)

١ ـ جُذام : من الداء معروف لتجذم الأصابع وتقطعها . ورجل أجذم نزل به الجذام .

قال الجوهري (٣) ولا يقال أجذم ، والجاذم الذي ولي جذمه والمجذم الذي ينزل به الجذام ويقال : رجل أجذم ومجذوم ومجذم . إذا تهافتت أطرافه من داء الجذام .

والفعل مبني للمجهول . جذم الرجل بضم الجيم فهو مجذوم (٤)

٢ ـ خُراج : ورم يخرج بالبدن من داء به . أو خراج يخرج بالأسنان فلا يكاد يبرأ . وكذلك ورم يخرج بداية او غيرها من الحيوان (٥)

٣ ـ خُشام : داء يأخذ فيه وسده وصاحبه مخشوم . والخشم : داء يأخذ في جوف الأنف فتتغير رائحته والفعل لازم . خشم خشماً وخشوماً وهو أخشم (٦)

---

(١) فقه اللغة وسر العربية ص ١٩٢

(٢) شرح شافية ابن الحاجب ١/١٥٤، ١٥٥

(٣) الصحاح ٥/١٨٨٤

(٤) لسان العرب/٤ ٣٥٤ مادة (جذم)

(٥) المصدر نفسه ٤/٧٥ مادة (خرج)

(٦) المصدر نفسه ١٥/٦٩ مادة(خشم)

٤ – خُناق : وخنيق : ريح أو داء يأخذ الناس والدواب في الحلوق ويعترى الخيل أيضاً وقد يأخذ الطير في رؤوسها وحلقها . واكثر مايظهر في الحمام .

والفعل متعد . خنقه يخنقه خنقاً وخنقا . فهو مخنوق وخنيق (١)

٥ – دُكاع : داء يأخذ الخيل في صدرها كالخبطة (٢) في الناس . وقال أبو عبيد عن أبي زيد : من أمراض الإبل الدكاع وهو سعال يأخذها وقال الليث : داء يأخذ الخيل في صدورها كالخبطة في الناس والفعل مبني للمجهول . يقال دكع الفرس فهو مدكوع (٣)

٦ – دُوار : كالدوران يأخذ في الرأس .

والفعل مبني للمجهول . دير به وعليه و دير به . أخذه الدوار من دوار الرأس (٤).

٧ – رداع : الوجع في الجسد . قال قيس بن معاذ مجنون بني عامر : (٥)

صفراء من بقر الجواء كأنما ترك الحياة بها رداع سقيع

وقال قيس بن ذريح : (٦)

فياحزنا، وعاودني رداع وكان فراق لبني كالخداع

والفعل مبني للمجهول: ردع : إذا نكس في مرضه. قال ابو العيال الهذلي (٧)

(١) المصدر نفسه ١١/٢٨٠، ٢٨١ مادة(خنق)
(٢) الخبطة : كالزكمة. وقد خبط فهو مخبوط
(٣) تهذيب اللغة ١/٣٠١ مادة(دكع)
(٤) لسان العرب ٥/٣٨٢ مادة(دور)
(٥) ديوانه ٢٥٦
(٦) رواية الديوان: فواكبدى وعاودني زداعي وكان فراق لبني كالخداع
(٧) شرح اشعار الهذليين ١/٤٢٤

ذكرت أخي فعاودني رداع السقم والوصب (١)

٨ ـ رُعاف: دم يسيل من الأنف .

والفعل لازم. رعف يرعف رعفاً ورعافاً (٢)

٩ ـ زُحارة: وزحار وزحير.: زحارة: إخراج الصوت و النفس بأنين عند عمل او شدة . وزحار : داء يأخذ البعير فيزحر منه حين ينقلب سرقه فلا يخرج منه شيء . وزحير: تقطيع في البطن يمشي دما .

والفعل مبني للمجهول . زحر الرجل على صيغة مالم يسمم فاعله من الزحير فهو مزحور (٣)

٢٠ ـ زكام: معروف .

والفعل مبني للمجهول. زكم الرجل، فهو مزكوم . .

والزكام مأخوذ من الزكم وهو الملء . يقال: زكم فلان وملىء بمعنى واحد (٤)

١١ ـ سعال : سعال ساعل على المبالغة . كقولهم شغل شاغل وشعر شاعر

والمسعل موضع السعال من الحلق .

والفعل لازم. سعل يسعل سعالا (٥)

١٢. سُلاق : حب بثور على اللسان فينتشر منه أوعلى أصل اللسان،ويقال تقشر في أصول الأسنان . وفي حديث عقبة بن غزوان : لقد رأيتني تاسع تسعة قد سلقت أفواهنا من أكل ورق الشجر بمامنا رجل اليوم

---

(١) لسان العرب ٤٨١/٩ مادة (ردع)

(٢) تهذيب اللغة ٣٤٨/٢، ٣٤٩ مادة (رعف)

(٣) لسان العرب ٤٠٧/٦، ٤٠٨ مادة (زحر)

(٤) المصدر نفسه ١٦١/١٥ مادة (زكم) وانظر تهذيب اللغة ١٠٤/١٠ مادة (زكم)

(٥) المصدر نفسه ٣٥٧/١٣ مادة (سعل)

الا على مصر من الأمصار . سلقت من السلاق وهو بثر يخرج من باطن الفم اي خرج فيها بثور .

والفعل مبني للمجهول . سلقت أفواهنا (١)

١٣. سُلال : داء يهزل ويضني ويقتل .

والفعل مبني للمجهول . سل الرجل فهو مسلول (٢)

١٤. صداع : وجع الرأس .

والفعل مبني للمجهول . وقد صدع الرجل فهو مصدوع (٣)

١٥. صُدام : داء يأخذ في رؤوس الدواب . وقال ابن شميل : داء يأخذ الإبل فتخمص بطونها وتدع الماء وهي عطاش اياماً حتى تبرأ او تموت. وبعضهم يقول: الصدام . ثقل يأخذ الانسان في رأسه وهو الخشام (٤)

١٦. صُفار : صفرة تعلو اللون والبشرة وصاحبه مصفور .

والفعل مبني للمجهول . يقال : صفر فهو مصفور (٥)

١٧. قُفاص : داء يأخذ في الصدر ويبس في قوائم الغنم. وداء يأخذ في الدواب يسيل من أنوفها شيء (٦)

١٨. قُلاب : داء يأخذ في القلب . عن اللحياني داء يأخذ البعير فيشتكي منه قلبه فيموت من يومه يقال بعير مقلوب .

وورد في المزهر . قال كراع : القلاب : داء يصيب القلب ، وليس في الكلام اسم داء يشتق من اسم العضو الذي أصابه الا القلاب من القلب

---

(١) لسان العرب : ٢٦،٢٥/١٢ مادة (سلق)

(٢) تهذيب اللغة ٢٩٢/١٢ مادة (سل)

(٣) لسان العرب ٦٣/١٠ مادة (صدع)

(٤) المصدر نفسه ٢٢٦/١٥ مادة (صدم)

(٥) المصدر نفسه ١٣٤/٦ مادة(صفر)

(٦) المحيط في اللغة ١٢٨/١ مادة (قفص)

والكباد من الكبد والنكاف من النكفين وهما غدتان يكتنفان الحقلوم من أصل اللحي . (١)

والفعل مبني للمجهول . قلب قلباً : شكا قلبه (٢)

١٩. كُباد : وجع الكبد او داء

وفي الحديث : الكباد من العب (٣) وجع الكبد

والفعل مبني للمجهول . كبد : شكا قلبه (٤)

٢٠. كُزاز : داء يأخذ من شدة البرد وهو تشنج يصيب الانسان من البرد الشديد أو الرعدة منها . أى من شدة البرد كما فسره ابن الاعرابي وزاد الزمخشري حتى يموت أومن خروج دم كثير والفعل مبني للمجهول. قد كزّ الرجل فهو مكزوز .(٥)

٢١. مُلاء : زكام يصيب من امتلاء المعدة .

وقد ملؤ فهو مليء . ومليء فلان وأملاه الله املاء ، فهو مملؤ على غير قياس ،يحمل على مليء (٦)

٢٢. نُحاز : داء يأخذ الدواب والإبل في رئاتها فتسعل سعالا شديدا.

وقيل : النحاز سعال الإبل إذا اشتد.

والفعل لازم نحز الرجل سعل وانحز القوم . أصاب ابلهم النحاز (٧)

٢٣. نكاُف : ونكاث : على البدل : داء يأخذ في النكفين وهو أحد

---

(١) المزهر للسيوطي ٢/٩٠،٩١

(٢) لسان العرب ٢/١٨٠،١٨١ مادة (قلب) وانظر ديوان العرب

(٣) العب : شرب الماء من غير مص

(٤) لسان العرب ٤/٣٧٨، ٣٧٩ وانظر ديوان العرب ٤٤١/١

(٥) تاج العروس: ٤/٧٤

(٦) لسان العرب ١/١٥٢،١٥٣ مادة (ملأ)

(٧) المصدر نفسه ٧/٢٨٢،٢٨٣ مادة (نحز)

الأدواء التي اشتقت من العضو وكذلك هو ورم يأخذ نكفي البعير وقيل هو داء يأخذها في حلوقها فيقتلها قتلا ذريعا(١)

٢٤. هيُام : الهيام كالجنون : ابن شميل : الهيام : نحو الدوار جنون يأخذ البعير حتى يهلك يقال بعير مهيوم . وفي حديث ابن عمر ان رجلا باع منه ابلا هيما ، اي مراضا جمع اهيم وهو الذي أصابه الهيام وهو داء يكسبها العطش . الاصمعي : الهيام . للإبل داء شبيه بالحمي تسخن عليه جلودها .

الفعل لازم . هامت الناقة (٢)

يمكن ارجاع اشتقاق أسماء مادل على داء إلى أصلين : —

احدهما : مأخوذ من أسماء مثل (القلاب والكباد) فهما مأخوذا من القلب والكبد (٣)

والاخر: مأخوذ من أفعال . هي في الغالب أفعال لازمه على وزن فعل — بكسر العين — مثل (خشم) (٤) وهذه الافعال يكون مصدرها على وزن (فعل) بفتح العين . فمن الفعل المذكور يقال (خشم) بفتح الشين . على ان أكثر الافعال ترد مبنية للمجهول على وزن (فعل)مثل (زكم) ويكون اسم المفعول من هذه الافعال المبنية للمجهول على وزن (مفعول) فيقال (مزكوم) . واسم المرض منه على زنه (فعال) هي — خلافا للمعاني التي عرضنا لها في المجموعات السابقة — في الأصل مصادر لهذه الافعال المبنية للمجهول . فهي على ذلك المصدر المبني للمجهول الذي يقابل المصدر (فعال) المبني للمعلوم الذى يرد بين مصادر الفعل المجرد نحو (قضي قضاء)(٥) الأفعال المبنية للمعلوم والثانية (فعال) من الأفعال المبنية للمجهول

---

(١) المصدر نفسه ٢٥٦/١١ مادة (نكف)

(٢) المصدر نفسه ١١٠/١٦، ١١١ (هيم)

(٣) انظر مادل على داء مادة ١٨، ١٩

(٤) انظر مادل على داء مادة ٣:

(٥) ادب الكاتب ص ٧٥

وكلاهما مصادر لهما غير أن فعال قد استفاض و كثر استعماله حتى غلب على (فعل) وعندئذ أمكن جعل صيغة فعال مطردة حتى في الامراض التي يدل عليها فعل نحو خشم الذى صيغ له أيضا اسم على زنه (فعال) خشام . وعندما استقر استعمال صيغة المصدر المبني للمجهول فعال لأسماء الأدواء والعلل أمكن أيضا أن يصاغ منه أسماء لأمراض مأخوذة من أسماء الأعضاء المصاب بها . وبعبارة أخرى اشتق من أسماء الأعيان ، من ذلك (كباد) فاصلها من الكبد وهو اسم – وان كان قد أخذ منه بعض الأفعال الأخرى تكبد كابد ......

وبعد فقد بان من دراسة المادة ان صيغة فعال قد ترجع إلى أصلين مفترضين : –
الاول :– اسم مفعول قديم توقف الاشتقاق على صيغته فيما بعد كان بينه وبين فعيل علاقة لازمة يدل الأول على المفعول غير المراد والثاني على المفعول المقصود في الأصل من احداث الأفعال التي تحتل ذلك . إلا أن اسم المفعول القياسي في العربية قد أصبح يدل عليه بالصيغة الأحدث لهما الا وهي (مفعول) .

الثاني : – مصدر لأفعال قليلة مبنية للمجهول غلبت في الدلالة على الأدواء والعلل ثم امتد استعمال فعال كمصادر الى أفعال مبنية للمعلوم فجاءت المعاجم بالصيغتين معا احياناهذاولم يقتصر في اشتقاقه على الأفعال وانما توسعوافيه بعض التوسع فاشتقوه من الأسماء ايضا .

المصادر

١ ادب الكاتب: ابن قتيبة: محمد محيي الدين عبد الحميد . مط السعادة– مصر ١٩٥٨

٢ – إصلاح المنطق : ابن السكيت . أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون . مط . دار المعارف – مصر ١٩٥٦.

٣ – الاغاني :ابو الفرج الاصفهاني. دار الثقافة بيروت. الطبعة الثالثة ١٣٨١هـ، ١٩٦٢م

٤ – تاج العروس: الزبيدي. مط دار صادر – بيروت ١٩٦٦

٥ – تصريف الأسماء: محمد الطنطاوي. مط وادي الملوك – القاهرة ١٩٥٥

٦ – تهذيب اللغة : المد بن احمد الازهري. تح: عبد السلام هارون مط الدار المصرية للتاليف والترجمة – القاهرة.

٧ – جمهرة اللغة: ابن دريد. طبع مكتبة المثنى ببغداد بالاوفست .

٨ – ديوان الادب: اسحاق بن ابراهيم الفارابي. تح:د. احمد مختار عمر. المط الاميرية القاهرة ١٩٧٤.

٩ – ديوان امرئ القيس: تح: محمد أبو الفضل ابراهيم. مط دار المعارف– مصر

١٠ – ديوان الخنساء: مط دار الاندلس– بيروت ١٩٦٨.

١١ – ديوان ذي الرمة: تح: د. عبد القدوس ابي صالح. مط طربين دمشق ١٩٧٢.

١٢ – ديوان زهير ابن ابي سلمى: مط دار الكتب المصرية – القاهرة ١٩٤٤

١٣ – ديوان عنترة: تح: محمد سعيد مولوي. مط المكتب الاسلامي – بيروت .

٦ – ٤

١٤ ـ ديوان لبيد بن ابي ربيعة: مط دار صادر ـ بيروت ١٩٦٦

١٥ ـ ديوان مجنون ليلى: تحـ: عبدالستار احمد فراج. مط دار مصر للطباعة

١٦ ـ ديوان النابغة الذبياني: تحـ: شكري فيصل. مط دار الفكر ـ بيروت

١٧ ـ شرح أشعار الهذليين: تحـ: عبد الستار احمد فراج. مط المدني القاهرة.

١٨ ـ شرح ديوان الاعشى: مط دار صادر ـ بيروت.

١٩ ـ شرح شافيه ابن الحاجب: رضي الدين الاسترابادي مع شرح شواهده لعبد القادر البغدادي تحـ: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف. محمد محيي الدين عبد الحميد. جـ٤. مطحجازي القاهرة.

٢٠ ـ الصحاح: اسماعيل بن حماد الجوهري. تحـ: عبد الغفور عطار. مط دار الكتاب العربي ـ مصر

٢١ ـ فقه اللغة وسر العربية: ابو منصور عبد الملك محمد الثعالبي. مط الاستقامة ـ القاهرة.

٢٢ ـ لسان العرب: ابن منظور. المط الكبرى الميرية ببولاق مصر ١٣٠هـ.

٢٣ ـ المحيط في اللغة: الصاحب اسماعيل بن عباد. تحـ: الشيخ محمد حسن ال ياسين.

٢٤ ـ المخصص: ابن سيدة. مط المكتب التجاري ـ بيروت.

٢٥ ـ المزهر: السيوطي. شرح وضبط محمد احمد جاد المولى ومحمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاري. مط عيسي البابي الحلبي القاهرة ١٩٥٨

٢٦ – المعجم في بقية الاشياء: ابو هلال العسكري. تح/ ابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي.
مط دار الكتب المصرية– القاهرة ١٩٣٤.
٢٧ – المفردات في غريب القرآن: الراغب الاصفهاني. تح: محمد سيد كيلاني مطالبابي الحلبي– مصر .

ابن جبير الأندلسي شاعراً

منجد مصطفى بهجت

تمهيد :

يزخر تراثنا الأدبي بكبار الأعلام والأفذاذ ممن تعددت ميادين نتاجهم الأدبي، وأحد هؤلاء ابن جبير الاندلسي، الذي شاعت رحلته لدى جمهرة المثقفين . فاشتهر جغرافياً وواحداً من اشهر رحالي القرون الوسطى، وعرف بالترسل في الكتابة كذلك . وحين اكبت الدراسات على رحلته ونثره .. لم تول شاعريته قدرها من الأهمية .

فأردت في هذا البحث ان اجلو هذا الجانب، بعد أن وقفت على اكثر اشعاره مبثوثة في المصادر التاريخية والادبية، فعرّفت بحياته وعصره، ووقفت عند شخصيته واخلاقه وعرضت لرحلته، كل هذا على صورة موجزة ثم وقفت عند شعره بشيء من التأني عارضاً لأغراضه، ولأبرز سمات شعره .. ثم أردفت البحث بمجموع شعره .

حياته وعصره :

هو محمد بن احمد بن جبير بن محمد بن جبير الكناني . كنيته ابو الحسين وأبو الحسن(١) البلنسي الشاطبي (نزيل شاطبة) الاسكندراني(٢). كان جده عبد السلام ابن جبير قد دخل الاندلس في طالعة بلج بن بشر القشيري في المحرم سنة ثلاث وعشرين ومئة للهجرة. فنزل ابوه شاطبة ثم استوطن هو جيان فغرناطة ،ففاس ثم الاسكندرية . كذلك أقام في سبتة ومالقة في اوقات مختلفة (٣) والكناني نسبة إلى كنانة، والمنتسبون إلى كنانة من العلماء والفضلاء كثيرون في الاندلس(٤) وقد تصحفت النسبة عند ابي الجزرى (٥) إلى (الكتاني) وكذلك عند حاجي خليفة (٦) فسمى رحلته « رحلة الكتاني » .

(١) التكملة لوفيات النقلة ٢٨٨/٤ ، التكملة لكتاب الصلة ٥٩٩/٢ الذيل والتكملة ٥٩٥/٢/٥ وكنيته بأبي الحسن جاءت في المغرب ٣٨٤/٢ ورحلة العبدري (ط الجزائر) ، وفي ايضاح المكنون ٦٢٣/٢ ٦٢٣/٢ (أبو عبدالله) .

(٢) زاد المسافر ١١٤ ،النجوم الزاهرة ٢٢١/٦

(٣) الذيل والتكملة ٥٩٥/٢/٥، الاحاطة ٢٣٠/٢

(٤) نفح الطيب ٢٩١/١

(٥) غاية النهاية ٦٠/٢

(٦) كشف الظنون ٨٣٦/١

ولد ليلة السبت العاشر من ربيع الاول سنة اربعين وخمسمئة ببلنسية(١) وقيل كان مولده بشاطبة سنة تسع وثلاثين وخمسمئة (٢) وتوفي بالاسكندرية(٣) باتفاق المصادر ليلة الاربعاء التاسع والعشرين لشعبان اربع عشرة وستمئة، ودفن على كوم عمرو بن العاص (رض) (٤)، ويرجح الدكتور شوقي ضيف ان يكون مسجد (سيدي جابر) فيها مسجده، وان يكون العامة حرفوا اسمه مع الزمن . (٥)

أخذ العلم عن أبيه وعن جلة من علماء عصره منهم : ابو الحسن علي بن ابي العيش (توفي بعد ٥٦٠ هـ) (٦) وابن الأصيلي وابو الحجاج يوسف ابن يسعون (توفي في حدود ٥٤٠ هـ) (٧) وابو محمد القاسم بن عساكر (ت ٦٠٠هـ) (٨). والتقى في رحلاته بأكثر علماء عصره في مكة وبغداد ودمشق وحرّان (٩). وتلمذ له خلق كثير في المغرب والاندلس من اشهرهم : الحافظ ابو محمد المنذري (ت٦٥٦هـ)(١٠) صاحب التكملة لوفيات النقلة والحافظ ابو الحسين على القرشي(١١) واحمد بن عبد المؤمن الشريشي (ت ٦١٩هـ)(١٢) صاحب الشروح الكثيرة .

---

(١) التكملة لوفيات النقلة ٢٨٨/٤ ، نفح الطيب ١٨٢/٢

(٢) التكملة لكتاب الصلة ٥٩٩/٢ ، الذيل والتكملة ٦٢١/٢/٥

(٣) التكملة ٥/ ٢/ ٦٢١

(٤) التكملة لوفيات النقلة ٢٨٨/٤

(٥) الرحلات ٧١

(٦) معرفة القراء ٤٢٨/٢ ، غاية النهاية ٥٧٥/١

(٧) بغية الوعاة ٣٦٢/٢

(٨) نفح الطيب ٣٨٣/٢ ، تراجم رجال القرنين السادس والسابع ٤٧

(٩) الذيل والتكملة ٥/٢/ ٥٩٦ - ٥٩٧ .

(١٠) التكملة لوفيات النقلة ٢٨٩/٤

(١١) نفح الطيب ٤٨٩/٢

(١٢) نفح الطيب ١١٥/١ وينظر بقية تلامذته في الذيل والتكملة ٦٠٧/٢/٥ والاحاطة ٢٣٣/٢

عاش ابن جبير في ظل الموحدين (١) وأتيحت له مجالات التعلم والثقافة في أسرته وشيوخ عصره .. وكانت الدولة الموحدية (٥١٤ — ٦٤٠ هـ) قد بسطت يدها على المغرب والاندلس وبلغت، أوج عظمتها في القوة الحربية والسياسية والحضارية، فاستطاعت ان تضع حداً للهجمات الاسبانية، وا شتهرت معركة الأرك (سنة ٥٩١ هـ) التي انتصروا فيها ، وقد بدأ تراجع هذه الدولة اثر معركة العقاب (سنة ٦٠٩هـ) والتي كانت السبب في إدبار دولة الموحدين وسقوطهم ، وفي المشرق الاسلامي كانت الحروب الصليبية قائمة ، ولما شاع الخبر المبهج بتحرير صلاح الدين لبيت المقدس (سنة ٥٨٣ هـ) قام ابن جبير برحلته الثانية .

ازدهرت الاندلس عصر الموحدين في الحياة الثقافية والشعرية ، وبلغت مكاناً عالياً حتى قصدتها سفارات اسبانيا النصرانية والدول الاوربية للصداقة وعقد المعاهدات وطلب المعونة (٢)، وقد اشار بالنثيا الى نضوج الشعر في عصر ابن جبير ، بل بلغ من كثرة العلماء الذين هنؤوا ابا يوسف يعقوب المنصور بقصائد من الشعر الفصيح او الزجل الدارج أن امر بألا ينشدوه الا البيتين الأولين من قصائدهم (٣)، ومن شعراء عصره : الرصافي البلنسي (ت ٥٧٢هـ) وابو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر (ت ٥٩٥هـ)، كذلك عرف عصره ابا جعفر بن سعيد الذي كان شاعراً ممتازاً لعثمان بن عبد المؤمن — وجرى بينه وبين حفصة الركونية ماجرى بين ابن زيدون وولادة، وابن عربي محيي

---

(١) جاءت التسمية من دعوتهم إلى الفهم النقي والتوحيد الخالص وصفاء العقيدة ، وزعيمها الأول ابو عبد الله المهدي محمد بن تومرت (٤٨٥ — ٥٢٤هـ) ينتسب إلى قبيلة هرغة التي تسكن منطقة السوس جنوب المغرب ؛ وقد اوصى ابن تومرت بالأمر من بعده لابي محمد بن عبد المؤمن الكومي الذي حارب المرابطين وقضى عليهم سنة ٥٤١ هـ ، ورثه في الحكم ثمانية من اسرته وكانت عاصمتهم مراكش .

(٢) التأريخ الأندلسي ٤٩٩ .

(٣) تأريخ الفكر الأندلسي ٢٣

الدين محمد بن علي (ت ٦٣٨ هـ) وابراهيم بن سهل الاسرائيلي (ت ٦٤٩هـ) وعلي بن موسى (ت ٦٥٨هـ) وقد كانت لشاعرنا ابن جبير صلات ادبية بشعراء عصره، وجرت بينه وبين طائفة ادباء عصره مخاطبات ظهرت فيها براعته وإجادته (١) .

شخصيته واخلاقه :

نعتت كتب التراجم ابن جبير بنعوت كثيرة تنم عن الصلاح والفضل فقالوا انه : المقرىء والامام الرئيس (٢) والفقيه الزاهد المنقطع إلى الله (٣) وقال المراكشي : « كان اديباً بارعاً كاتباً بليغاً شاعراً مجيداً سنياً فاضلاً ، نزيه الهمة سري النفس كريم الاخلاق، انيق الطريقة في الخط.. ونظمه فائق(٤)، عني بالآداب فبلغ منها الغاية وتقدم في صناعة القريض وصناعة الكتابة، ونال بهما دنيا عريضة ثم رفضها وزهد فيها (٥) . ووصفه ابن الخطيب بأنه من علماء الاندلس بالفقه والحديث والمشاركة في الآداب (٦) وذكر تلميذه المنذري أنه : كان من اهل العلم والديانة والفضل والصيانة (٧) . ومما يؤكد على صفاته المتقدمة القصة التي رواها صاحب الملتمس وجعلها اغرب مايحكى في المروءة وقضاء الحوائج والسعي في حقوق الاخوان(٨) وفي هذا المعنى يقول :

يحسب الناس بأني متعب	في الشفاعات وتكليف الورى
والذي يتعبهم من ذاك لي	راحة في غيرها لن افكرا

(١) الذيل والتكملة ٥/ ٢/ ٦٠٧
(٢) معرفة القراء ٢/ ٤٨١ ،شذرات الذهب ٥/٦
(٣) رحلة العبدري ٢٦
(٤) الذيل والتكملة ٥/ ٢/ ٦٠٧
(٥) التكملة ٢/ ٥٩٨
(٦) الاحاطة ٢/ ٢٣١
(٧) التكملة لوفيات النقلة ٤/ ٢٨٩
(٨) نفح الطيب ٣/٢٩٥ كذلك ٢/ ٤٨٨

وبودي لو اقضي العمر في خدمة الطلاب حتى في الكرى (١)

كان ابن جبير سلفياً ، محباً للنبي وآله وصحابته . ولذلك أثنى عليهم في رحلته وأشعاره(٢)وهو رجل مطمئن النفس ، قانع بما يصيبه من الحياة لايغضب الا إذا ضاق ذرعه بالامور كما حصل له في رحلته الاولى . وهو بين يدي الأمناء في الاسكندرية .فأستأدوهم الزكاة عن كل ما عندهم ، ووقع التفتيش الدقيق واختلطت اسباب الحجاج وضاعت ، فاعتبر ابن جبير ذلك موقف ذل وخزي عظيم . كذلك حين يصف اهل عيذاب وهم يشحنون الحجاج بالسفن ينيلونهم أصناف العذاب فيعتبر حكمهم حكم الطواغيت (٣) .

لم يكن ابن جبير ذاهلاً عن مجتمعه ، زاهداً في اخوانه .. انما « جرت بينه وبين طائفة كبيرة من أدباء عصره مخاطبات ظهرت فيها براعته (٤) ومن خلال رحلته وما تبقى من شعره نقف على شخصية العالم الفقيه المتصل اتصالاً مباشراً بمجتمعه ، وأما زهده في أخريات ايامه فلا يمثل سلوكاً معيناً كان بعيشه ثم أقلع عنه ، كما لايمثل اقبالاً على المجون والتهتك وتخلياً عنه فيما بعد .. انما يمثل زهد الفقيه المتحرج لازهد العابث اللاهي .. والأمر يبدو لنا من خلال الأخبار التي رويت عنه والأشعار التي قالها ، تذاكر يوماً مع صاحب الملتمس حالة الزاهد ابي عمران المارتلي ، يقول ابن جبير « صحبته مدة فما رايت مثله وانشدني شعرين(٥)مانسيتهما ولا انساهما ما استطعت احد هذين الشعرين :

اسمع اخي نصيحتي والنصح من محض الديانه
لا تقربن الى الشهادة والوساطة والأمانه
تسلم من ان تعزى لزور أو فضول او خيانه

(١) ق ١٨
(٢) الرحلة ٥٣ ، ق ٢٠
(٣) الرحلة ١٣ ، ٤٧ ، ٤٨ وينظر تأريخ الجغرافية والجغرافيين ٥١٩
(٤) الذيل والتكملة ٥/٢/٦٠٧
(٥) يريد بالشعرين : قطعتين من الشعر .

قال صاحب الملتمس : أراك لم تعمل بوصيته في الوساطة فقال : ماساعدني رقة وجهي على ذلك » (١) . ومن الذين صحبوه : ابو تمام غالب بن محمد الانصاري ت٦٢٩ هـ من اهل بلنسية معدود في ادبائها ، صحب ابن جبير وروي بعض شعره (٢) ، وانشد بعض اشعاره ابا عمر بن الشقر بالاسكندرية وكتب شعراً بعد رحلته الى والي سبتة ابي .. محمد البجائي : وجرت بينه وبين ابي عمران الزاهد باشبيلية مراسلات (٣) ،فصلاته متينة بمجتمعه، ومودته دائمة لأخوته .

ومن الأحداث البارزة في حياته ، حادث شربه ، فقد ذكر المقري: أن ابن جبير كتب في شبيبته عـن السيد ابي سعيد عثمـان بن عبد المؤمن صاحب غرناطة ، فاستدعاه لأن يكتب له كتاباً وهو على شرابه فمد يده اليه بكأس فأظهر الانقباض وقال : سيدي ماشربتها قط فقال ، «والله لتشربن منها سبعاً فلما رأى العزيمة شرب سبع اكؤس فملأ له السيد الكأس من الدنانير سبع مرات وصب ذلك في حجره ، فحمله الى منزله ، وأضمر ان يجعل كفارة شربه الحج بتلك الدنانير ، ثم رغب الى السيد وأعلمه انه حلف بايمان لاخروج له عنها انه يحج في تلك السنة فأسعفه وباع ملكاً تزود به وانفق تلك الدنانير في سبيل البر » (٤) . فمدلول الحادثة – اذا صحت – كبير، وأثرهـا في نفسـه عميق اذ أن شعوره بالذنب دفعه الى التكفير عن خطيئته، وقد كان محرجاً ومضطراً لاطاعة امير الموحدين ، فحلف بعدها بأيمان غليظة ان يحج ، وباع ملكاً له ، واما تلك الدنانير التي لاتمثل مالاً طيباً بحكم اقترانها بالخمرة ، فانه انفقها لوجه الله ... ولعل نزعة الزهد رسخت عنده بعد هذه الحادثة .. ولم يلتفت الزهاد لهذه الكبوة التي لم يستطع دفعها عن نفسه وإنما ظل ذكره عطراً لدى معاصريه . وهذا ابو عبد الله بن الحاج المعروف بمدغليس صاحب الموشحات يثني عليه بقوله :

(١) نفح الطيب ٣/ ٢٩٦ وتنظر القطعة الاخرى فيه
(٢) المقتضب ١٣٦
(٣) نفح الطيب ٢/ ٤٨٧
(٤) نفح الطيب ٢/ ٣٨٥ — ٣٨٦

لأبي الحسين مكارم لو أنها عدت لما فرغت ليوم المحشر
وله على فضائل قد قصرت عن بعض نعماها عظام الأبحر (١)

رحلته :

اشتهرت رحلة ابن جبير شهرة كبيرة بين كتب الرحلات ، وهي التي ابرزت فيه الجانب الجغرافي . وحظيت بعناية الدارسين والباحثين ، فعدت اجمل واصدق رحلة في تراث الفكر الاندلسي كله(٢)، ولم تكن رحلته اول رحلة مدونة في الاندلس، اذ ان هذا اللون من الرحلات شاع منذ عهد مبكر ، وابو بكر بن العربي (٤٦٨–٥٤٢هـ)يعد مبتكر هذا اللون في الاندلس(٣) في حين يعتبر ابن جبير اعظم رحالة في القرن السادس للهجرة (٤) .

رحل ابن جبير ثلاث رحلات حج في كل منها:

الرحلة الاولى: بدأها من غرناطة في (٨ شوال سنة ٥٧٨هـ) وعاد اليها في (٢٢ محرم ٥٨١ هـ) وهي التي صنف فيها كتابه المشهور (٥) واستغرقت عامين وثلاثة اشهر ونصفاً .

الرحلة الثانية : بدأها من غرناطة كذلك في (١٠ ربيع الاول ٥٨٥هـ) وعاد اليها في (١٣ شعبان ٥٨٧هـ) (٦) .

الرحلة الثالثة : بدأها من سبتة (سنة ٦٠١ هـ) وكان قد بلغ الثالثة والسبعين، ولم يعد بعدها فامضى اكثر من عشرة اعوام حتى توفي (سنة ٦١٤ هـ) (٧) .

تعددت اسباب رحلته كل مرة ، فالاولى تقترن بحادث شرب الخمرة، والثانية تقترن بسماعه لأخبار تحرير صلاح الدين الايوبي لبيت المقدس سنة٥٨٣هـ

---

(١) نفح الطيب ٢/ ٤٨٦
(٢) تأريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ٤١٦
(٣) المصدر السابق ٤١
(٤) مقال أدب الرحلات في الاسلام ، في مجلة الثقافة العربية ، العدد ٩ ص ٢٩
(٥) الذيل والتكملة ٥/٢ ٥٩٦، الاحاطة ٢/ ٢٣١ وانظر الرحلة ص ٧
(٦) الذيل والتكملة ٥/ ٦٠٥/٢ ، الاحاطة ٢/ ٢٣٢
(٧) التكملة ٢/ ٥٩٩ وفي تأريخ الفكر الأندلسي ٣١٧ ودائرة المعارف الاسلامية ١١٦/١ ان رحلته الثالثة كانت (سنة ٦١٤ هـ) وهو وهم واضح لأنه وفاته كانت في تلك السنة .

ويكون ذلك من اقوى الأسباب للحج وزيارة المسجد الأقصى . (١) واما رحلته الثالثة فكانت اثر وفاة زوجته عاتكة المدعوة بأم المجد في (١٠ شعبان ٦٠١هـ) (٢) ، والرحلات في القرون الوسطى كانت متصلة بدعوة الدين الاسلامي الى الجهاد، وأداء الحج وطلب العلم والتجارة .. وصف ابن جبير رحلتهُ الأولى وصفاً مسهباً باسلوب المذكرات وهو المطبوع بين ايدينا بعنوان (رحلة ابن جبير) والتي عرفت باسمين آخرين (٣) وهي على جانب كبير من من الاهمية، بلغت ذروة مابلغه نمط الرحلة في الادب العربي (٤) واستطاع ان يضيف الى سجل الجغرافية والرحلات صفحات من أجل مافيه، وتعد الرحلة قياساً الى كتب الرحلات من أغزرها مادة واقربها الى روح العلم وأصدقها (٥) .

وفضلا عن رحلته روي عنه ترسيل بديع وحكم مستجادة نقلتها بعض المصادر (٦) .

شعره :

كان ابن جبير من ذوي المواهب المزدوجة فكتب ونظم. الا أن شهرة رحلته طغت على شاعريته فعرف كاتباً ولم يعرف شاعراً ... وأهملت الدراسات الحديثة (٧)

---

(١) الذيل والتكملة ٥//٢٥٠٦

(٢) الذيل والتكملة ٥/٢/٦٠٦ ،نفح الطيب ٢/٤٨٩

(٣) في بداية الرحلة المطبوعة نجد عنوان :« تذكرة الاخبار عن اتفاقات الاسفار » وفي نهايتها نجد عبارة « انتهت رسالة اعتبار الناسك في ذكر الاثار الكريمة والمناسك ». وينكر كراتشكوفسكي هذين العنوانين ويرى انهما منحولان » انظر الرحلة ص ٧، ٣٢٠ وتأريخ الأدب الجغرافي ٣٠٠

(٤) تأريخ الأدب الجغرافي ١/٣٠١

(٥) تأريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ٢٥٤

(٦) الذيل والتكملة ٥/٢/ ٦٠٨ — ٦٠٩ الاحاطة ٢/٣٧ — ٢٣٩

(٧) دن هذه الدراسات مقدمة الدكتور حسين نصار لرحلة ابن جبير ،ومقالة في مجلة تراث الانسانية ١/٢٣٨ — ٢٤٥ ،قدماء ومعاصرون للدكتور سامي الدهان ١٢٠ — ١٣١ الشعر في عهد المرابطين والموحدين صفحات متفرقة منه .وقد توهم الدكتور حسين مؤنس حين نسب اليه بيتين هما لابن رشيق القيرواني . انظر الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ٤١٨ وديوان ابن رشيق القيرواني ٢٢٦

هذا الجانب وتعجلت الوقوف عنده وأصدرت أحكاماً عامة فيه لجملة أمور في مقدمتها فقدان ديوانه ... ولمكانة ابن جبير وشهرته لدى الدارسين، وللصلة القوية بين شعره ورحلته، قمت بجمع ماتيسر من شعره في المصادر والمراجع مستكملاً جوانب شخصيته الأدبية.

ذكر ابن الأبار (ت ٦٥٩ هـ) أن شعر ابن جبير كثير مدوّن، وقال ابن عبد الملك المراكشي (ت ٧٠٣هـ) : انه «وقفت منه (شعر ابن جبير) على مجلد متوسط يكون بقدر ديوان ابي تمام حبيب بن اوس (جمع ابي بكر الصولي) او نحو ذلك، ومنه جزء سماه «نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح» اودعه قطعاً وقصائد في مراثي زوجه ام المجد بعد وفاتها والتوجع لها ايام حياتها (١) تزيد بيوته على ثلاثمئة، سوى موشحات خمس جعلها قريباً من آخره. ومنه جزء سماه «نظم الجمان في التشكي من اخوان الزمان» يشتمل على أزيد من مئتي بيت في قطع» (٢).

وما توفر بين أيدينا من شعره يتوزع على ثمانية مصادر: اقدم من نقل من اشعاره — صفوان بن أدريس التجيبي (ت٥٩٨هـ) في زاد المسافر حيث اورد خمس قطع (٣) تفرد برواية ثلاث منها — يليه ابن سعيد الاندلسي (ت ٦٧٣هـ) في المغرب. جاء بثلاث قطع (٤) في تسعة ابيات وردت في مصادر اخرى، ثم نجد الرحالة ابا محمد العبدري (توفي بعد ٦٨٨هـ) يورد له ثماني قطع (٥) وقصيدة واحدة منفرداً برواية خمس مقطوعات منها، ونلتقي بابن عبد الملك المراكشي (ت٧٠٣هـ) ثاني اثنين أوسعا من الاختيار لأشعاره. إذ يورد ثلاثين قطعة وقصيدة منفرداً برواية ثماني عشرة منها واكثر اشعار ابن جبير ترد عند المقري (ت١٠٤١هـ) في موسوعته الاندلسية

---

(١) توفيت ام المجد سنة ٦٠١ د بعد زمانة طويلة عن خمس وخمسين عاماً.
(٢) الذيل والتكملة ٥/٢/٦٠٨ وانظر الاحاطة ٢/٢٣٤ وايضاح المكنون ٢/٦٢٣
(٣) تنظر ق : ١٣ ، ١٤ ، ٣٢ ، ٥٧ ، ٥٩
(٤) تنظر ق ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٣
(٥) تنظر ق . ٦ ، ١٠ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٥ ٣٠ ، ٣١ ، ٦٠

نفح الطيب . فيورد ثماني وثلاثين قطعة وقصيدة منفرداً برواية اربع وعشرين منها، وهي أكبر كمية ترد في مصدر واحد،ومن المتأخرين يختار له ابن معصوم المدني (ت١١٢٠هـ) ثلاثة ابيات (١) في انوار الربيع. وفي رحلته نتعرف على بيتين شعريين (٢) . وهذا الذي بين ايدينا لايمثل الا اليسير من شعره الذي وضعه المراكشي آنفاً فمن جزئه المسمى (نتيجة وجد الجوانح) وصل بيتان فقط ، وموشحاته الخمس مفقودة لم نقع عليها ومن جزئه الآخر (نظم الجمان) وصلت قطع كثيرة .. واما أمداحه في بني عبد المؤمن فقد وقفنا منها على ثلاث قطع في سبعة عشر بيتاً . بينما يذكر ابن عبد الملك المراكشي أن له فيهم أمداحاً كثيرة (٣) فهو بعد ان يورد شيئاً من شعره في المنصور الموحدي يقول، (وله فيه غير مما يطول ايراده) (٤). ويقول في موضع آخر . واغراضه كثيرة في اشعاره، مستحسنة، ولولا خوف الاملال والخروج بها الى غير ماله قصدنا لاستكثرنا منها ايثاراً لكريم آثاره . واستطابة لايراد أخباره وأشعاره ، وفي بعض ما اوردناه منها دلالة على انطباعه وشهادة بكرم طباعـــه (٥) فاذا علمنـــا ان ابن عبد الملك اكثر من ايراد شعــر ابن جبير. كان لقوله دلالته الواضحة على فقدان شعره ... والمقري ينفرد (٦) برواية قصيدته الميمية وبعد ان يستهلها ببيتين يقول (وهي طويلة وآخرها) ثم يورد ابياتاً .. من هنا يتأكد لدينا بأن مابين ايدينا لايمثل الا جزء من شعر ابن جبير ولو وصل ديوانه الموصوف بأنه على قدر ديوان ابي تمام (جمع الصولى) لتحصل لدينا شيء كثير .

(١) تنظر ق ٤٧

(٢) تنظر ق ٣، ٦٧

(٣) الذيل والتكملة ٥/ ٢/ ٦٠٧

(٤) المصدر السابق ٦/ ٣١

(٥) المصدر السابق ٥/٢/ ٦٢٠ – ٦٢١

(٦) نفح الطيب ٢/ ٤٩٣

موضوعات شعره

شعر ابن جبير صورة لحياته في اكثر من وجه ، فطابع التدين والالتزام بالخلق الاسلامي الذي لازم حياته واضح كل الوضوح في شعره ، وهو يمثل الاتجاه الاول الذي يتناول شعره، واما الاتجاه الثاني فشعره المتصل برحلاته واسفاره .. يعرض ابن جبير موضوعاته بطريقتين اثنتين المقطعات الشعرية والقصائد الطويلة ، وأهم موضوعاته ضمن هذين الاتجاهين هي :

١ — **المديح** :

قصيدة المديح عند ابن جبير ليست تقليدية ، فهو لايسبغ الفضائل جميعها على ممدوحه: الكرم. والشجاعة، والصدّق، والغيرة كذلك يسمو مديحه على المدح التكسبي ، الذي شاع عند شعراء المديح .. فمن خلال النماذج التي بين ايدينا تقترن قصيدة المديح عنده بسلوك الممدوح النابع عن موقف متصل بواقع المسلمين، فهو يوجه مديحه للشخصيات السياسية والدينية التي أعجب بها وقصائده الست في المدح غير مقترنة بمال او عطاء يصرح بذلك فيقول :

وحبك انطقني بالقريض ... وما ابتغي صلة الشاعر (١)

وابرز ممدوحيه امير المؤمنين المنصور الموحدي ، ابو يوسف يعقوب بن عبدالمؤمن مدحه في مقطوعة وقصيدتين (٢) وافتخر به لأنه ناوأ الفلاسفة وذاد عن الدين الحنيف ، فهو بذلك لايختلف عن المصلحين الذين يبعثون في كل مئة سنة، وفي اخرى يقول :

بلغت امير المؤمنين مدى المنى ... لانك قد بلغتنا مانؤمل
قصدت إلى الاسلام تعلي مناره ... ومقصدك الاسنى لدى الله يقبل
تداركت دين الله في اخذ فرقة ... بمنطقهم كان البلاء موكل

وممدوحه الثاني هو صلاح الدين الايوبي ، مدحه واحداً من الذين اذهلتهم انتصاراته، وليس لدينا دليل على انه التقى به،وقد خاطبه بقصيدتين طويلتين

(١) ق ٣٠/ ٤٨
(٢) تنظر ق : ٤١ ، ٤٢ ، ٥٠

ميمية ورائية(١)،ونقدر من خلال الرحلة ان الاولى نظمت بعد محرم سنة ٥٨٠هـ حيث يصل المدينة المنورة ويستهلها بقوله :

صلاح الدّين انت له نظام فما يخشى لعروته انفصام
فاظهر سنة الله احتساباً فقد ظهرت بها البدع العظام

ومن البيت الثاني يفهم بيت القصيد في قصيدته،إذ يتوجه إلى صلاح الدين ويحرضه على النظر فيما ظهر من البدع في المدينة المنورة ، وهو مايذكره ابن عبد الملك المراكشي في مناسبتها لكن المقرى — الذي يورد بيتاً واحداً منها — يذكر انه فيها يشكو من شاكر الذي اخذ المكس من الناس، وليس في القصيدة اشارة إلى ذلك ، وانما نجد هـذه الشكوى في قصيدته الرائية:(٢) تصور لنا قصيدته بلاد الحجاز. حين وصوله لها غير خاضعة لسلطان الايوبيين (٣) :

وما نال الحجاز بكم صلاحاً وقد نالته مصر والشآم

وما ورد في القصيدة من مديح بالاسلوب المباشر ، وتعداد خلال الممدوح وصفاته. قليل جداً اذ تنصرف القصيدة إلى وصف مارآه ووقف عليه في المدينة،وكان ابن جبير قد ناله اذى من صاحب المكس — وهو يذكر ذلك في رحلته « ولولا مغيب هذا السلطان العادل ، صلاح الدين بجهة الشام في حروب له هناك مع الفرنج لما صدر عن هذا الامير المذكور ماصدر من من جهة الحاج (٤) وهو يشير بذلك إلى المكس الذي فرض عليهم . وجلاء

(١) ق . ٣٠ ، ٥٦

(٢) ق . ٣٠

(٣) خضعت بلاد الحجاز لحكم الفاطميين ،كان ذلك في عهد كل من الحاكم والظاهر والمستنصر (٣٨٦ — ٤٨٧هـ) وخلال حكم الأخير (المستنصر) استولى حلفاؤه الصليحيون — حكام اليمن على الحجاز سنة ٤٥٦ هـ واقاموا اسرة علوية أخرى عرفت بالهواشم أو الهاشميين استمر حكمها حتى سنة ٥٩٨ هـ » وعلى الرغم من ان ولاة مكة والمدينة اقاموا في فترات مختلفة الدعوة لبني العباس ، فانهم حرصوا على اظهار ولائهم للخلفاء الفاطميين » النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ٢٦ ، في التاريخ العباسي والفاطمي ٣٤٢-٣٤٣.

الامر في قصيدته الاخرى ـ الرائية ـ والتي نظمها بعد رحلته الثانية ٥٨٥هـ.
إذ فيها يهنىء صلاح الدين على فتحه بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ فيقول :

فتحت المقدس من ارضه فعادت إلى وصفها الطاهر
وجئت إلى قدسه المرتضى فخلصته من يد الكافر

ويصف الأذى الذي ينال الحجاج فيقول :

يعنف حجاج بيت الاله ويسطو بهم سطوة الجائر
ويكشف عما بأيديهم وناهيك عن موقف صاغر
وقد اوقفوا بعدما كوشفوا كأنهم في يد الآسر

فلما رفع صلاح الدين تلك المغارم ، وخصص اعطيات عوضاً عما كانوا يأخذونه من الحاج خاطبه بقوله :

رفعت مغارم اهل الحجاز بانعامك الشامل الغامر
وأمنت اكناف تلك البلاد فهان السبيل على العابر

وبذلك يملأ حبه قلوب الناس ويستأهل الاكبار والاجلال :

محبتكم القيت في النفوس بذكر لكم في الورى طائر
فكم لك بالشرق من حامد وكم لك بالغرب من شاكر
وكم بالدعاء لكم كل عام تمكنة من معلن جاهر

وتلك المشقة التي نالت الحجاج من حكام الحجاز موصوفة في الرحلة بقوله: « يعتقدون في الحاج مالا يعتقد في اهل الذمة .. وقد صيروهم من اعظم غلاتهم التي يستغلونها ، ينتهبونهم انتهاباً ، ويسببون لاستجلاب مابأيديهم استجلاباً (١) »

ذكرنا ممدوحيه ـ المنصور الموحدي وصلاح الدين الايوبي ، واما الثالث فهو الصدر الخجندي ـ ابو القاسم عبد اللطيف بن محمد ، الذي اعجب به اعجاباً كبيراً في رحته لما راى من علمه وخلقه ، فوصف مجلسين من مجالسه ، وهو يحدث بالمدينة في ٧ محرم و ١٢ صفر سنة ٥٨٠ هـ وقال: واستجزناه فأجازنا نثرا ونظماً وهو اعظم من شاهدنا بهذه الجهات (٢) » ومما قاله فيه :

(١) رحلة ابن جبير : ٥٤
(٢) الرحلة ١٧٩ ، وانظر وصف مجلسيه في الرحلة ١٧٧ ، ١٩٦

يامـن حـواه الديـن في عصره ... صـدراً يحـل العلـم منـه فؤاد
لايبتغـي منـــه سوى احرف ... يعتدهـــا اشرف ذخـر يفـــاد
اجـازة يورثنيهـــا العـــلا ... جـــائزة تبقـى وتفنى البـلاد (١)

وواضح من الابيات أنها صدرت — على سبيل الاخوانيات لاعلى سبيل: المديح — بالمفهوم التقليدي — وبهذه الروح يجيب ابن جبير على ابياته فيقول

للـك الله مـن خاطـب خلتي ... ومـن قابس يجتدى سقط زنـدي
اجـــزت مـاأجازوه لـــي ... ومـا حدثـوه ومـا صح عندي

٢ — **النقد الاجتماعي والشكوى من الزمان : —**

تؤلف شكوى ابن جبير من الزّمان نزعةً واضحة في أشعاره ، فقد وسم جزءاً من ديوانـه بـ « نظم الجمان في التشكي من اخوان الزمان » ذكر ابن عبد الملك المراكشي انه يشتمل على أكثر من مثتي بيت في قطع ، ومن هذا الجزء ، بين ايدينا حوالي عشرين قطعة وقصيدة ..

كان ابن جبير فقيهاً متصلاً بمجتمعه ، كما تقدم في حديثنا عن اخلاقه ، وهو يصدر في كثير من سلوكه مع المجتمع عن وجهة دينية ، فإذا شكا الزمان ، فانما يشكو اخوان الزمان ، وينفذ من خلال هذه الشكوى إلى دعوة للاصلاح الاجتماعي ، بعد تشخيص المظاهر السلبية ونقدها ، وهي نزعة لايتفرد بها بها ابن جبير في عصره ، وقد كان من المع أعلامها في المشرق — ابو العلاء المعري ؛ وابن جبير يتحمس للالتزام بما كان عليه السلف . وينكر محدثات الأمور :

قـد أحدث الناس امـوراً فلا ... تعمل بهـا إني امرؤ ناصـح
فما جماع الخيـر الا الذي ... كان عليـه السلف الصالح (٢)

وكثيراً مايكون التقاطع والتدابر سبباً إلى الضياع والفرقة ، ينتقد هذه الظواهر

(١) ق ٨
(٢) ق ٧

ويقول :

إلى الله اشكو ماتكن الجوانح تقاطعت الأرحام حتى الجوارح
فلست ترى الا قلوباً وألسناً مخالفة هذي لهذي كواشح (١)

ويرى أن الامور كلها بيد الله فينكر التذلل والتمسح للولاة والحكام:

من الله فاسأل كل شيء تريده فما يملك الانسان نفعاً ولاضرا
ولا تتواضع للولاة فانهم من الكبر في حال تموج بهم سكرا
واياك ان ترضى بتقبيل راحة فقد قيل انها السجدة الصغرى(٢)

وفي أبيات أخرى يدعو إلى الترفع عن خطط الدنيا ومناصبها والتعالى على سفاسفها :

من كبرت عن قدره خطة داخله من أجلها الكبر
ولاية الانسان سكر فما دامت له دام به السكر
دعهم مع الدهر واحداثه حتى ترى مايصنع الدّهر (٣)

ويتوجه إلى البغاة الظالمين بأن يقصروا عن بغيهم :

ايها المستطيل بالبغي أقصر ربما طأطأ الزمان الرؤوسا (٤)

ويسترسل في توجيه النصيحة للالتزام بالدين الحنيف — وعدم اهدار الوقت بجمع المال (٥)،ويدعو الانسان إلى التواضع ، ويزين صنع المعروف في اهله وتطويع شهوة الانسان لارادته (٦) . ويصدر عن تجربة مريرة في عدد من قصائده — مما يلقاه من اخوان الزمان خلال رحلاته واسفاره ويفقد الأمل في صلاحهم :

---

(١) ق ٦
(٢) ق ١٩
(٣) ق ٢٤
(٤) ق ٣١
(٥) ق ٣٦
(٦) ق ٥١ و ٥٣

صبرت على غدر الزمان وحقده   وشاب لي السم الزعاف بشهده
وجربت اخوان الزمان فلم اجد   صديقاً جميل الغيب في حال بعده
وكم غرني تحسين ظني به فلم   يضيء لي على طول اقتداحي لزنده
وأغرب من عنقاء في الدهر مغرب   اخو ثقة يسقيك صافي وده
وشاهدت في الاسفار كل عجيبة   فلم أر من نال جداً بجده (١)

والناس بعد هذه التجربة ظروف محشوة بالمرارة وفوق افواهها شيء من العسل(٢) وهو يلقي الخطوب خلال صحبته الزمان :

ومن تطل صحبة الزمان له   يلق خطوباً وأفكادا (٣)

وتغير اخوان الزمان احد تلك الخطوب ، فيخاطب ابا عمران المارتلي بقوله :

تغير اخوان هذا الزمان   وكل صديق عراه الخلل
وكانوا قديماً على صحة   فقد داخلتهم حروف العلل
قضيت التعجب من شأنهم   فصرت اطالع باب البدل (٤)

وينتهي إلى ان يسأل الله الراحة من دنياه لأن حاجته فيها إلى البشر — والبشر بعد خلاصة تجاربه — كسر لمنجبر — ماهم جبر لمنكسر (٥) .

٣ — نقد الفلاسفة وهجاؤهم :

يشغل نقد ابن رشد عند ابن جبير مساحة كبيرة من اشعاره ، وهو ،لايكف عن التعريض بالفلاسفة والدّهرية — وموقف الاندلسيين من الدعوات الفلسفية صارم ف «كل العلوم لها عندهم حظ واعتناء الا الفلسفة والتنجيم .. فان لهما حظاً عند خواصهم، ولايتظاهر بها خوف العامة فان كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة اطلقت عليه اسم زنديق ، وقيدت عليه انفاسه » (٦) .

(١) ق ١٥
(٢) ق ٥٢
(٣) ق ١٠
(٤) ق ٤٦
(٥) ق ٢٧
(٦) نفح الطيب ١/ ٢٢١

وقد تبنى هذا الموقف ، بعض امراء الاندلس ومنهم المنصور الموحدي ، وفي ظله اشعل ابن جبير نار الحرب ضد ابن رشد والفارابي ، وهو رجل غيور على الشريعة يخشى عليها القدح والثلم ،وكان الموحدون قد عرفوا بدعوتهم الى الأخذ بالكتاب والسنة ،ويرى بعض الدارسين ان بغضه للفلسفة نتيجة لتأثره مما سمعه في بيئات المشرق التي اتصل بها اثناء رحلته (١) . وهو في سبيل القضاء على دعوتهم يخاطب المنصور الموحدي بقوله :

خليفة الله انت حقاً ... فارق من السعد خير مرقى
حميتم الدين من عداه ... وكل من رام فيه فتقا
تفلسفوا وادعوا علوما ... صاحبها في المعاد يشقى (٢)

ويرى فيهم فساد الدنيا والدين :

قد ثبت الغي في العباد ... طائفة الكون والفساد
يلعنها الله حيث كانت ... فانها آفة العباد (٣)

ويجد فيها الشؤم والفحش والجهل والسفه :

قد ظهرت في عصرنا فرقة ... ظهورها شؤم على العصر(٤)

ويقول :

ياوحشة الاسلام من فرقة ... شاغلة انفسها بالسفه
قد نبذت دين الهدى خلفها ... وادعت الحكمة والفلسفه(٥)

وتشتد سورة الغضب عنده فيصفهم بأنهم مارقون من الدين يستبيحون المحرمات ويتهاونون في الفرائض :

اباحوا كل محظور حرام ... وردوه لانفسهم حلالا
فيأتون المناكر في نشاط ... ويأتون الصلاة وهم كسالى (٦)

---

(١) التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ١٥٣ (ط ٢ النهضة المصرية ١٩٤٦)
(٢) ق ٤٢
(٣) ق ١٦
(٤) ق ٢٦
(٥) ق ٤٠
(٦) ق ٤٨ وتنظر : ق ١٢ ، ٦٢ ، ٦٦

وقد كان من شأن المنصور الموحدي ان نكب ابن رشد سنة ٥٩٣ هـ الا أنه لم يلبث ان ارسل اليه وعفا عنه ، ويقال إن ابن جبير شهد دفن ابن رشد وكان في حال تأثر شديد (١).

٤ – الشوق والحنين

قام ابن جبير – كما تقدم . برحلات ثلاث . كانت الاولى سنة ٥٧٨ هـ والأخيرة سنة ٦٠١ هـ وبين هذين التاريخين كان دائم الشعور بالشوق والحنين، فحين يكون في وطنه يشتد به داعي الشوق إلى الاماكن المقدسة ، وما أن يفصل عن البلاد المقدسة حتى ينكص شوقه ويرتد إلى وطنه الذي تغرب عنه ، استمع اليه وقد تحرك إلى الرحلة الحجازية :

أقول وقد دعا للخير داع ... حننت له حنين المستهام
حرام أن يحل بي اعتياض ... ولم أرحل إلى البيت الحرام
فلا طافت بي الآمال ان لم ... أطف ما بين زمزم والمقام
ولاطابت حياة لي اذا لم ... ازر في طيبة خير الانام
فأهديه السلام واقتضيه ... رضا يدني إلى دار السلام(٢)

وحين يهيء حجاجاً عائدين سبق له أن اجتمع بهم في مكة يشتد وجده وشوقه ليقول :

يا وفود الله فزتم بالمنى ... فهنيئاً لكم أهل منى
قد عرفنا عرفات معكم ... فلهذا برّح الشوق بنا
أنتم الاحباب نشكو بعدكم ... هل شكوتم بعدنا من بعدنا
ما عنى داعي النوى لما دعا ... غير صب شفّه برح العنا (٣)

وحين يكون بعيداً عن وادي العقيق يقول :

(١) التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ٣٠٥ هامش ٣
(٢) ق ٥٧
(٣) ق ٥٨

سكان وادي العقيق شوقي اليكم في البعاد زادا
ونظرة منكم المنى لو اهديتموها إلي زادا(١)

وينفدُ صبره بعد أن يجور الزمان عليه بفراق أهل طيبة فيجاري دمعه أدمع المزن (٢) وترهف مشاعره بحب النبي الكريم ،فحين يقترب من مدينة الرسول (ص) ينير سراج الهدى له الدّرب ، والليل يتجلى نهارا . وشذا المسك يفوح من الديار . والرواحل تبتدر مسرعة بعد أن كانت تشتكي النصب . وهو يمضي ببغيته لايملك الا البكاء :

سوى أننا لم نطق أعيننا بأدمعها غلبتنا انفجارا (٣)

ويمضي ابن جبير في وصف لواعج الشوق وعظيم السرور بلقاء حبيبه سائلاً الله سبحانه ان يمهد له — بلحظة من الرسول (ص) — جنته .

وكانت النزعة مستحكمة في اشعار الاندلسيين في تفضيل الغرب على الشرق ، —تروم من ذلك إلى اثبات الشخصية الاندلسية— ، وفي ذلك كتب ابن حزم والشقندي وابن سعيد رسائلهم(٤)..لكن شوق ابن جبير وضميره منشدّان إلى بلاد الشرق لكرامة من فيه ..فاذا برحت به الغربة وذاق لأواءها تذكر اوطانه ، وارسل دموعه قرابين ، فمما قاله وهو بمصر :

شهدنا صلاة العيد في ارض غربة باحواز مصر والاحبة قد بانوا
فقلت لخلي في النوى جد بدمعة فليس لنا الا المدامع قربان (٥)

وهو يعاود البكاء في تذكر الاوطان دائماً :

---

(١) ق ١١
(٢) ق ٢١
(٣) ق ٢٢/ ١٩
(٤) اورد المقري رسائلهم في نفح الطيب ، ونشرها مستقلة صلاح الدين المنجد بعنوان : فضائل الأندلس واهلها (ط دار الكتاب الجديد ١٩٦٨ بيرت)
(٥) ق ٦٠

ويرسل للغرب من دمعه غروباً لتسقي سكانه (١)

وحين يقطع غصناً نظيراً فيذوي في يده يقول :

لا نغترب عن وطن واذكر تصاريف النوى
اما ترى الغصن إذا ما فارق الاصل ذوى (٢)

وتجود قريحته بشعر رائق ، يضطرب بالعواطف ، حين تلوح له جبال «دانية» وهو على ظهر البحر عائداً من رحلته الاولى .

يا ليت شعري والآمال معوزة وربما امكنت يوماً لمختلس
هل يدنون مزار الشوق ان به ماشئت من نهز للأنس اوخلس
وهل تعودن ايام رشفت به سلافة العيش احلى من جنى اللعس
حيث انبسطنا مع اللذات تنقلنا ايادي المسرات من عيد إلى عرس (٣)

والملاحظ ان شوق ابن جبير وحنينه متصل بوطنه في اكثر القطع التي نظمها ، وفي الوطن ذكريات عزيزة تقترن بالاهل الذين خلف فيهم الله سبحانه ، واستودعه اياهم :

ايارب اهلي في يديك وديعة وما عدمت صوناً لديك الودائع (٤)

وهو يتشوق لأهله وخلانه في قطع أخرى فيكتب ابياتاً يخاطب فيها البجائي والي قضاء سبتة — بلواعج شوقه ، وحبه لزوجه التي وسدها الثرى هناك :

فلو استطيع ركبت الهوا فزرت بها الحي والميتا (٥)

كما يتشوق إلى جارية بغرناطة ، ويرسل تباريح الشوق التي لاصبر له عليها :

ولي بغرناطة حبيب قد غلق الرهن في يديه
ودعته وهو بارتماض يظهر لي بعض مالديه (٦)

---

(١) ق ٥٩
(٢) ق ٦٨
(٣) ق ٣٣
(٤) ق ٣٧
(٥) ق ٤
(٦) ق ٦٣

وكنا نؤمل ان يستوعب شعره وصف البلاد العريضة التي طاف بها وضرب في ارجائها ،فلم تحظ بشيء يذكر فيه ،وقد ظفرنا بقطع في غزل بمحبوب(١) واستحسان للصوت الجميل (٢) ووصف للقلم (٣)

سمات عامة في شعره :

لاشك ان ابن جبير نال قسطاً من الثقافة الادبية ، فهو يروي الشعر ويحفظ نماذج منه ،وهو يهتز لجيد الشعر حين يستمع لرئيس الشافعية صدرالدين الخجندي، ينشد أبياتاً في مدح الرسول (ص) (٤)،ويعجب بابن الجوزي، وهو ينشد بأشعار من النسيب مبرحة التشويق بديعة الترقيق تشعل القلوب وجداً ... «وأصابت المقاتل سهام ذلك الكلام » (٥) حين تثور الريح الشمالية ويكابد الأمرين يقول : فلله در القائل :

البحر مرّ المذاق صعب لاجعلت حاجتي اليه
اليس ماء ونحن طين فما عسى صبرنا عليه (٦)

ويروي أبياتاً لابي محمد عبدالخالق المسكي، حين مجيئه من قرافة مصر، جرت بين يحي بن هذيل وابن القوطية (٧) .كما يأخذ بالمباح في السماع، حين يقول :

زيادة حسن الصوت في الخلق زينة يرون بها لحن القريض المحبر
ومن لم يحركه السماع بطيبة فذلك أعمى القلب أعمى التصور
وأهل الحجا أهل الحجاز وكلهم رأوه مباحاً عندهم غير منكر

---

(١) ق ١٣
(٢) ق ٢٨
(٣) ق ٤١
(٤) الرحلة ١٧٨
(٥) الرحلة ١٩٩.
(٦) الرحلة ٢٨٨ والبيتان لابن رشيق القيرواني ينظر الديوان ٢٢٦
(٧) ق ٣٨ (وإباحة السماع وردت بمذهب مالك)

فان رسول الله قد قال زينوا ... بأصواتكم آي الكتاب المطهر
فان أك مغرى بالسماع وحسنه ... فحسبي اقتداء بالكريم ابن جعفر (١)

وحمل ابن جبير قلباً كبيراً يعتلج بعاطفة جياشة. ذلك دفعه إلى التأسي بالرحلة في سن كبيرة بعد وفاة زوجه (ام المجد)، وهو أمر لايقدم عليه الكثيرون. وقد حرمنا للأسف ديواناً نادراً في الشعر الاندلسي افرده في رثاء زوجه لمكانتها في نفسه «فهو اول ديوان افرده شاعر عربي كبير لبكاء زوجته الراحلة» . (٢) ولم يكن نظم الشعر عند ابن جبير عملية مؤرقة، لايكد ذهنه فيها، وانما كان يسح بالشعر وينساب انسياباً ، فقد نظم قصيدته الرائية ، نظمها ارتجالا حين تراءت له المدينة (٣). ومن خلال اشعاره يلمح العبدري أن ابن جبير متأثر في بعض أشعاره بمنصور الفقيه (ت سنة ٣٠٦ ﻫ) (٤)

سلك ابن جبير في اشعاره سبيلين : المقطعات الشعرية والقصائد الطويلة .. والاسلوب الأول كان شائعاً في عصره ، وأولع به شعراء الأندلس : ابن زيدون وابن اللبانة وابن خفاجة وابن الزقاق البلنسي والرصافي البلنسي وغيرهم .. ومقطعاته تؤلف —من خلال مجموع شعره — نسبة عالية . حوالي ثلاثة ارباع شعره ، واما قصائده المطولة ذات النفس الطويل فهي ضئيلة ، وقد استأثرت المقطوعة باعجاب الأندلسيين حتى كان ذلك مدعاة لفخر بعض الشعراء (٥)

---

(١) الجغرافية والجغرافيون في الأندلس ٢٣٨

(٢) مقالة رحلة ابن جبير – مجلة تراث الانسانية ١ / ٢٣٩ ، وكان الشعراء قديماً رثوا زوجاتهم الا اننا لا نعرف من ترك ديواناً كاملا في رثائها ، ومن الذين رثوا زوجاتهم بالاندلس : ابن الزقاق البلنسي (ت ٥٣٠ ﻫ) والاعمى التطيلي (ت ٥٤٢ ﻫ) وابو عامر ابن الحمارة (من شعراء القرن السادس الهجري)

(٣) تنظر ق ٢٢

(٤) رحلة العبدري ٧١

(٥) هجا الأبيض ابن صارة الشنتريني فقال :

غروه ان قالوا شويعر قطعة ... لا شاعر فحل يمر وينقض

يريد ان الشاعر اصبح مغروراً لأن الناس اعجبوا بمقطوعاته القصار انظر : ابن صارة الأندلسي ٢٣

وفي الغالب تستهدف المقطوعة الشعرية عند ابن جبير : الابداع الفني والبراعة اللغوية ،والكثير منها في ديوانه الموسوم « نظم الجمان في التشكي من اخوان الزمان » وقد قصد ابن جبير لتحقيق الجناس وفنون البديع الاخرى في مقطوعات كثيرة (١)، استمع اليه يقول :

سكان وادي العقيق شوقي … اليكم في البعاد زادا
ونظرة منكم المنى لو … اهديتموها إلي زادا
عهد لنا عندكم حميد … ياليته بالوصال عادا
صادق فيه الكرى جفوني … وبعدكم للجفون عادى (٢)

فالتجنيس واضح بين (زادا) في البيتين الأولين و(عادا) في الاخيرين ومثل ذلك بين لفظتي (جدك) ولفظتي (الرشد) و (رشد) في قوله :

لم تلزم الرشد يابن رشد … لما علا في الزمان جدك
وكنت في الدين ذا رياء … ماهكذا كان فيه جدك (٣)

وتعلق ابن جبير بالجناس في منظومه يفضي به إلى (لزوم مالايلزم) وهو أن يأخذ الشاعر نفسه بالتزام حروف وحركات في القافية لاتتطلبها قواعد علم القافية ،زيادة في الايقاع الموسيقي للقافية، ونلقى ذلك في عشر مقطوعات . ففي المقطوعة الاولى الآنفة التزم حرف الروى بالألف . وفي المقطوعة الثانية.. التزم بحرف الدال والجيم .. ووصل بالكاف .. وتتجلى قابليته ابرع ما تكون في قوله :

اذا بلغ المرء ارض الحجاز … فقد نال افضل ماأمله
وان زار قبر نبي الهدى … فقد اكمل الله ماأمله (٤)

---

(١) انظر ق ١ ، ٢ ، و ٢١ و ٢٣ و ٣٩ و ٥٨/٧ ، ٨ ، ١٣ .
(٢) ق ١١
(٣) ق ١٢
(٤) ق ٤٧

وقوله :

هنيئاً لمن حج بيت الهدى ... وحط عن النفس اوزارها
وان السّعادة مضمونة ... لمن حل طيبة أوزارها (١)

ويرى الدكتور ابراهيم انيس : ان اللزوميات تتدرج من ثلاثة اصوات الى ثمانية، والنوع الاخير هو اقصى مايمكن ان يطمح اليه الشاعر من الموسيقى. وهي تتطلب في انشادها مايقرب من ثانية ونصف ... (٢) ويلاحظ أنّ ابن جبير في لزومياته يلتزم بوحدة زمنية طويلة، كما هو واضح في المقطوعتين الاخيرتين ... وهو في هذا يعكس لنا ملكته اللغوية وثقافته فيها . ومن فنون البديع الاخرى التي التزمها فضلا عن الجناس حسن التعليل والتورية استمع اليه يقول :

أخلاءُ هذا الزمان الخؤون ... توالت عليهم حروف العلل
تَغيّر اخوانُ هذا الزمان ... وكلُّ صديقٍ عرّاه الخَلَلْ
وكانوا قديماً على صِحّة ... فقد داخلتهم حروف العِلل
قضيت التّعَجب من شأنهم ... فصرتُ أُطالِعُ بابَ البدل (٣)

فلفظتا (العلل والبدل) فيهما مدلول اصطلاحي من علم المنطق .. وهو يريد بهما المعنى الاخر وقصده التورية اضطره الى الوقوع في خطأ التضمين فأورد (العلل) مرتين في معنى واحد قبل مضي سبعة ابيات وقد استطاع الشاعر وباستخدامه لاسلوب السّخرية والتهكم ان يجسد لنا صورة ذات مدلول بليغ لتغير الناس وتقلبهم .

كذلك نجد ابن جبير يكثر الاقتباس من القرآن الكريم (٤) والحديث الشريف والأمثال العربية المأثورة مكرراً ذلك في قصائد ومقطوعات كثيرة لاتخفى على المتأمل .. وهو بذلك يعكس لنا وجهاً آخر من أوجه ثقافته ويحاول ان

(١) ق ٢٣ وانظر كذلك ق ٥ ، ٢٦ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٩
(٢) موسيقى الشعر : ٢٧٨
(٣) ق ٤٦
(٤) للعلماء مواقف متباينة من الاقتباس من القرآن الكريم انظر انوار الربيع ٢/٢١٧ وما بعدها

يبسطها للسامعين . واقتباسه من القرآن الكريم في كثير منه محمود معقول لانه يقصد من ورائه الموعظة والنصح ومن ذلك قوله : —

« وكن بحبل الله معتصماً » (١) و« اذهب الرجس عنهم » (٢) و « جاهدوا في الله حق جهاده » (٣) و« ان قارون من قوم موسى »(٤)او « يأتون الصلاة وهم كسالى » (٥)

وفي اقتباسه من الحديث الشريف يدرك غايته كذلك . بالوعظ والنصح من ذلك قوله (مطهراً دينه في رأس كل مئة)((٦) و (فان زناء العيون النظر) (٧) و(جنودك بالرعب منصورة) (٨) و(آثرت درء الحدّ عنهم بشبهة) (٩)

ومن اقتباساته من الامثال قوله (فعند جهينة الخبر) و (ان البلاء موكل بالمنطق) و (من قبل قرعك سنّ الندم)(١٠) .. وفي كثير من اقتباساته بغير بزيادة اونقصان او ابدال . فاذا لم يقتبس قاس المعاني بلطف وبلاغة فصاغها في قالب جديد :

من الله فاسأل كل شيء تريده فما يملك الانسان نفعاً ولا ضرا

ولا تتواضع للولاة فانهم من الكبر في حال تموج بهم سكرا

يقول العبدري « ونهيه عن التواضع للولاة حكم شرعي —قال (ص) « من تواضع لغني ذهب ثلثا دينه » (١١) كذلك قوله :

---

(١) ق ١٠ / ٢
(٢) ق ٢٠ / ٢
(٣) ق ٢٠/ ٥
(٤) ق ٣١/ ٢
(٥) ق ٤٨/ ٤
(٦) ق ١/ ٢
(٧) ق ١٧/ ٢
(٨) ق ٣٠/ ١٠
(٧) ق ١٧ / ٢
(٨) ق ٣٠/ ١٠
(٩) ق ٥٠ / ٨
(١٠) ق ٥٥/٩
(١١) ق ١٧ رحلة العبدري ٧١

فلست تـرى الا قلوباً والسنا مخالفـة هـذي لهـذي كواشح
فالقلب عقـد واللسان بنطقه يخـالفـه والفعل للكل فـاضح

فانه مأخوذ من قول الحسن (رض) (وألسن تصف وقلوب تعرف واعمال تخالف) (١)

واما المعاني التي تجري فيها اشعاره فتتمثل فيها نظرة الفقيه المسلم للخلافة (٢) ونزعة الفقيه في محاربة البدع (٣) واستسلام الفقير الى الله في كل شيء (٤) وهو يتضرع الى ربه دائماً لطلب المغفرة (٥) ويعلن حربه على الشهوات ويسعى لبذل الخير للناس واعانتهم . وهو ضمن اطار هذه المعاني يكثر من ترددها .. ويضطر الى تكرارها في اكثر من مقطوعة فيقول :

فيأتون المنـاكر في نـشاط ويـأتون الصـلاة وهم كسالى

ويقول : اذا قاموا لها قاموا كسالى عـلى الكـره كـأنـهـم نيام (٦)

وهو لايختلف كثيراً في قوله :

بالمنطق اشتغلوا فقيل حقيقة : «ان البـلاء مـوكل بالمنطق»

وقوله : تداركت دين الله في اخذفرقة بمنطقهم كـان البلاء موكل (٧)

وتتكرر هذه الظاهرة في مقطوعات اخرى (٨) : —

واما الموسيقى التي أساس لها قوافيه واطمأنت اليها نفسه فهي في كثير تتحدد بالموضوع الذي يتناوله فنجده في بعض يستخدم البحور الطويلة الرحبة .

---

(١) رحلة العبدري ٩٨ ق ٦
(٢) ق ١ ، ٤٢
(٣) ق ٧ ، ٥٦
(٤) ق ١٥ / ٩ — ١١ ، ١٩ ، ٢٧
(٥) ق ٩ ، ٣٧
(٦) ق ٤٨ / ٤ ، ٥٦ / ١٧ .
(٧) ق ٤٤ / ٢ ، ٥٠ / ٣
(٨) ق ٥١ ، ٥٣

كالطويل والكامل والبسيط والمتقارب وفي بعض اخر يعمد الى البحور السريعة والقصيرة والمجزوءة كالسريع والمنسرح ومخلع البسيط والخفيف والمجتث وفي الحالين يأتي شعره في مقطوعات وقصائد فحظ البحور الطويلة كبير في المديح والحكمة والنصح الاخلاقي والوداع والفراق بينما يزداد حظ البحور القصيرة في هجاء الفلاسفة ونقد المجتمع وهجر الحبيب ... ومجموع مانظمه في بحر الطويل . والمتقارب والكامل هو احدى وثلاثون مقطوعة وقصيدة . وهو يمثل نصف قطع المجموع الشعري تقريباً . بينما مجموع مانظمه في بحري السريع ومخلع البسيط هو ثماني عشرة مقطوعة وقصيدة . وهو اقل من ثلث المجموع الشعري الذي بين ايدينا . واكثر منظومه جاء في البحور الآنفة .

ولا نستطيع أن نفترض أن هناك موضوعات خاصة بكل بحر . فالبحر الواحد قد يصلح لموضوعات الشعر بشكل عام كما أن الموضوع الواحد قد تصلح معه بحور الشعر كذلك . ولكن نستطيع ان نقف مع الشاعر فنتأمل الوزن الذي تخيره على سبيل المثال في موضوعين مختلفين ففي الحكمة والنصح الاخلاقي يقول :—

عليك بكتمان المصائب واصطبر ... عليها فما ابقى الزمان شقيقاً

كفاك من الشكوى الى الناس انها ... تسر عدواً أو تسوء صديقاً (١)

فيستخدم بحر الطويل ذا الامواج الهادئة والاجزاء الكثيرة متوغلا الى النفس الانسانية في محاولة لتثبيت معاني الخير فيها . بينما يتخير في هجائه للفلاسفة وزناً قليل المقاطع متلاحق الاجزاء يظهر جزعه مما هم عليه، ويصب جام غضبه عليهم :

ياوحشة الاسلام من فرقة ... شاغلة انفسها بالسفه

قد نبذت دين الهدى خلفها ... وادّعت الحكمة والفلسفه (٢)

وهكذا تتكرر الصورة في قطع اخرى .

استكمل ابن جبير عدة الشاعر . واستطاع ان يسمو في بعض اشعاره الى

(١) ق ٤٣

(٢) ق ٤٠

درجة الجودة لاسيما تلك التي يصدر اليها عن عاطفة غزيرة ، وصور فنية رائعة ، لاسيما في اشعار الشوق والحنين ، لاينفي ذلك هبوط المستوى الفني الى درجة النثرية حين تتمكن منه الفكرة فيجري لادائها ، ويتخلف في البراعة الفنية، وليس من الانصاف ان ننتهي الى الحكم بان شعره شعر علماء وفقهاء ليس بذي قيمة » (١) كما رأى بعض الدارسين .

وبعد ، فقد وقفنا عند حياة ابن جبير وعصره وشخصيته واخلاقه وابرز اغراضه ثم تأملنا في سماته الشعرية العامة من خلال ماتوفر من شعره ودونك شعره مرتباً حسب القوافي (٢) .

(١) مقدمة رحلة ابن جبير — تحقيق الدكتور حسين نصار ص (ط)

(٢) اخذت في ترتيب اشعاره بحرف الروي — وذكرت بحر القصيدة ،ثم اتبعت الأبيات تخريجها في المصادر ، وعولت على المصدر الاقدم في رواية الأبيات الا إذ كان تصحيفاً او تحريفاً حيث اثبت الوجه الصحيح في المتن واشير إلى ذلك في الهامش كما ترجمت للاعلام الواردة وخرجت الابيات والأحاديث المقتبسة ،وذكرت مناسبة الأبيات حين اهتديت لها.

(الهمزة)

(١)

قال يمدح المنصور الموحدى :(*)

(من البسيط)

١ — خليفةَ اللهِ دُمْ للدّين تحرسه	من العدى وتقيه شرَ(كل) فئهْ
٢ — فاللهِ يَجعَلُ عدلاً من خلائقه	مُطَهِرا دينه في رَأس كلّ مِئهْ

(١) الذيل والتكملة ٦/ ٣١ .

(*) هو ابو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن امه ام ولد بويع في حياة ابيه وتولى بعد وفاته سنة ٥٨٠ هـ إلى أن توفى سنة ٥٩٥ هـ وتوفى وله من العمر ثمان واربعون سنة كان من الدعاة إلى الأخذ بالكتاب والسنة وحمل الناس على الظاهر من القرآن . وكانت محنة ابن رشد في اخريات حياته في قصة وردت في المعجب . الا انه لم يلبث ان ارسل عليه وعفا عنه . أنظر ترجمته في المعجب ٣٣٦ — ٣٨٥ .

(٢) في عجز البيت اقتباس من الحديث الشريف « ان الله يبعث لهذه الامة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها » انظر سنن ابي داود ٢/ ٤٢٤ .

(٢)

قال يخاطب بعض أصحابه بالقاهرة وقد أهدى اليه موزاً: (من المجتث)

١ ــ يامهديَ الموزِ تبقَى وميمه لكَ فاء
٢ ــ وزايُهُ عن قَريبٍ لمن يُناويك تَاء

(٢) الذيل والتكملة ٥/٢/٦٢٠ ؛ نفح الطيب ٢/٣٨٤
(٢) النفح « لمن يعاديك تاء »

الباء

(٣)

ولما وصل قرية (زريران) على شط دجلة على مرحلة من بغداد قرب مشهد سلمان الفارسي قال متذكراً بلده :ــ

(من الطويل)

سقى الله باب الطاقِ صَوبَ غمامةٍ وردَّ إلى الأوطان كلَّ غريب

(٣) رحلة ابن جبير ١٩٢ (بلا نسبة) ،نفح الطيب ٢/ ٣٦.

التاء

(٤)

وقال (*) : (من المتقارب)

١ ــ بسبتَةَ لي سَكنٌ في الثَّرى وخِلٌ كريمٌ اليها اتى
٢ ــ فلو استطيعُ رَكبتُ الهَوا فزرتُ بها الحَيَّ والميتَا

(٤) نفح الطيب ٢/ ٤٨٩
(*) الابيات ما كتبه ابن جبير من الديار المصرية في رحلته الأخيرة إلى ابي محمد عبد الله البجائي ويعرف بابن الطيب وكان والياً قضاء سبتة ، وزوجته هي عاتكة المدعوة بام المجد ، والدها الوزير الحسيب احمد بن عبد الرحمن الوقشي توفيت لعشر خلون من شعبان سنة ٦٠١ بعد زمانة طاولتها عن خمسة وخمسين عاماً . انظر الذيل والتكملة ٥/٢/٦٠٦.

(٥)

وقال في صديق له : (من الخفيف)

١ ـ لي صديقٌ خسرت فيه ودادي حين صارَتْ سلامتي منه ربحا

٢ ـ حسَن القول سيء الفعل كالجـ زار سمّى وأتبع القولَ ذَبحـا

(٥) الطيب ٢/٤٨٨- ٤٨٩

(٦)

وقال ينتقد المجتمع :ـ (من الطويل)

١ ـ إلى الله أشكو ماتُكن الجوانحُ تقاطعت الارحام حتى الجَوارحُ

٢ ـ فلستَ تَرى الا قلوباً وألسُناً مُخالفةٌ هذى لهذى كواشحُ

٣ ـ فللقلبِ عقد واللسانُ بنطقهِ يُخالِفه والفعلُ للكُلّ فاضحُ

(٦) رحلة العبدري : ٩٨

(٢) ـ الكواشح جمع كاشح وهو الذي يضمر العداوة . وفي رحلة العبدري اشارة إلى أن البيتين من قول الحسن (رض) « ألسن تصف وقلوب تعرف واعمال تخالف »

(٧)

وقال ينتقد المجتمع : (من السريع)

١ ـ قد أحدث الناس اموراً فلا تَعمل بها إني امروءٌ ناصح

٢ ـ فما جِماعُ الخَيرِ الا الّذي كان عَليه السّلفُ الصّالح

(٧) نفح الطيب ٢/ ٤٩٢ .

الدال

(٨)

قال يمدح الصدر الخجندي ويستجيزه: (*)

(من السريع)

١ ـ يامن حواه الدين في عصره   صدراً يحلّ العِلم منه فؤاد
٢ ـ ماذا يَرى سيِّدنا المرُتضى   في زائر يخطب منه الـوداد
٣ ـ لايبتغي منه سوى أحـرُف   يعتدها أشرف ذخرٍ يـفـاد
٤ ـ ترسمها أنملـه مثل مـاً   نمّق زهر الروض كفُّ العهـاد
٥ ـ في رُقعة كالصبحَ أهدى لها   يَد المعَالي مِسك ليل المـداد
٦ ـ إجازةً يورثنيها العـلا   جَائزة تَبقى وتفنى البـلاد
٧ ـ يستصحب الشكر خـِديما لها   والشكر للامجادِ أسنى عِتَاد

---

(٨) نفح الطيب ٢/ ٣٨٢

(*) هو عبد اللطيف بن محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت، الخجندي ، ابو القاسم اوبو محمد الملقب بـ : صدر الدين من أهل اصبهان . تولى الرئاسة على قاعدة آبائه ، كان فقيهاً أديباً واعظاً وله شعر جيد ولد سنة ٥٣٥ ه ومات في جمادى الاولى ٥٨٠ ه، وانتهت رئاسة الشافعية « إلى ابنه «محمد» الملقب بسور الدين وقد وصف ابن جبير مجلسين من مجالسه بالمدينة في ٧ محرم و١٢ صفر سنة ٥٨٠ ه وذكر انه كان يعظ باللسانين ينظر : طبقات الشافعية ٤/ ٢٦١ ، التكملة ٢/ ٥٩٨ .

وقد اجاب على ابيات ابن جبير واجازه بقوله :

لك الله من خاطب خلتي   ومن قابس يجتدي سقط زندي
أجـزت مـا أجازوه لي   ومـا حدثوه ومـا صـح عندي
وكاتب هذي السطور التي   تراهـن عبـداللطيـف الخجنـدي

٤ ـ العهاد : اول مطر الوسمي.

(٩)

ومن شعره قوله في الزهد :

(من مخلع البسيط)

١ ـ ياخيرَ مَولى دَعـاه عَبْدٌ　أعمـل في البـاطِـلِ اجتِهادَه

٢ ـ هَبْ لي ماقَد علِمتَ مني　يـاعـالمَ الغَـيـب والشَّهادَه

(٩) نفح الطيب ٢/ ٤٩٠

(١٠)

قال في الحكمة والخلق الاسلامي وهو ينشد ابا عمرو بن الشقر (*) بالاسكندرية :

(من المنسرح)

١ ـ تَأنَّ في الأمر لاتكنْ عَجِلا　فمن تأنى أَصاب او كَادَا

٢ ـ وكُن بحبلِ الإله مُعتَصِماً　تَأمَـنْ به بَغْيَ كلِّ من كادا

٣ ـ فكم رَجـاهُ فنالَ بغيتَه　عبدٌ مسيءٌ بنفسه كـادا

٤ ـ ومن تَطُلْ صحبةُ الزمان له　يلـقَ خُطوباً به وأنكادا

(١٠) رحلة العبدري ٧٠

(*) لم نهتد إلى ترجمته فيما توفر لدينا من مصادر.

(٢) في صدر البيت اقتباس من قوله تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعاً ..» ال عمران : ١٠٣

(١١)

قال يتشوق لاهل العقيق :

(من مخلع البسيط)

١ ـ سُكّان وادي العَقيق شَوقي　إليكـم في البِعـادِ زَادَا

٢ ـ ونَظـرةٌ منكـم المُنى لو　أهـدَيتُمُـوها الـيَّ زَادا

٣ ـ عَـهدٌ لنا عندكم حَميدٌ　يـاليتَـه بالوصال عـادا

٤ ـ صَـادَقَ فيه الكَرى جفُوني　وبَعدَكمْ للجفونِ عادَى

(١١) الذيل والتكملة ٥/٢/٦١٥.

(١٢)

وقال يهجو ابن رشد (*) :

(من مخلع البسيط)

١ ـ لم تَلزمِ الرُّشدَ يابنَ رشدِ   لما عَلا في الزَّمانِ جَدُّك

٢ ـ وكنتَ في الدّين ذا رياءٍ   ماهكذا كانَ فيه جَدّك

---

(١٢) الذيل والتكملة ٦/ ٣٠

(*) هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن احمد بن رشد الحفيد .فقيه حافظ مشهور شارك في علوم جمة وعرف بالطب والفلسفة تولى القضاء باشبيلية ثم بقرطبة . له كتب كثيرة نكب سنة ٥٩٣ هـ زمن المنصور الموحدي ،ولد سنة ٥٢٠ هـ وتوفي بمراكش سنة ٥٩٥ هـ ينظر : المعجب ٣١٤ – ٣١٦ ، ٣٨٤ – ٣٨٥ ، التكملة رقم ٣٧٨ ، المغرب ١/١٠٤ – ١٠٥ ،الذيل والتكملة ٦/ ٢١– ٣١ ، الوافي بالوفيات ١/١١٤ ، والتكملة ٢١/٦ – ٣١ الوافي بالوفيات ١/ ١١٤ ، الديباج المذهب ٢٨٤ ، النجوم الزاهرة ٦/١٥٤ .

(١٣)

وله وقد هجره محبوبه :   (من السريع)

١ ـ يارشأ حظِّيَ إبعادهُ   وحظ غَيرىَ منه إسعاده

٢ ـ خبتُ وكلٌ نال منكَ العُلى   أسعد أهل الحب أوغاده

٣ ـ بي ظمأٌ بَرّح لكنّه   زهد في المَوردِ ورّاده

---

(١٣) زاد المسافر ١١٤

(١٤)

وقال (*):

(من الكامل)

١ — أفقيهَنا المستنَ ديناً والذي شَهِدت له بالفضل منه شَواهِدُ

٢ — لو تُبصر ابنَ سعادةٍ ونديمه قد حَلَّ بينهما الغَزالُ الشّارد

٣ — لرأيتَ من ثِقلٍ عليك وخِفةٍ جَبلين بينهما نسيمٌ راكد

(١٤) زاد المسافر : ١١٤

(*) المرجح لدينا ان الأبيات في ابن رشد .

٢- ابن سعادة هو ابو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة ، مرسي سكن شاطبة وبلنسية وسمع عن شيوخ زمانه ومنهم ابو الوليد بن رشد ، رحل إلى المشرق سنة ٥٢٠ هـ، وكان مشارِكاً في علوم كثيرة موصوفاً بها وقد حدث عن عمه ابي عمران موسى بن سعادة ولد سنة ٤٩٦ هـ وتوفي سنة ٥٦٦ هـ التكملة ٢/ ٥٠٥ نفح الطيب ٢/ ١٥٨ .

(١٥)

وقال في الشكوى من الزمان والحكمة:

(من الطويل)

١ — صبرتُ على غدرِ الزمانِ وحقدِه وشابَ لي السُّمَ الزعافَ بشهده

٢ — وجربتُ إخوان الزمان فلم أَجد صَديقاً جميلَ الغيبِ في حال بعده

٣ — وكم صَاحبٍ عَاشَرتُه وألفتُه فما دَام لي يوماً على حُسنِ عهده

٥ -- وأغربُ من عنقاءَ في الدّهر مغرب أخو ثقة يسقيك صافي ودِّه

٦ -- بنفسك صادِم كـل امرٍ تُريده فليسَ مضاءُ السّيف الا بحده

٧ — وعَزمك جرِّد عِند كلِّ مهمةٍ فما نافعٌ مكثُ الحسامِ بغمده

٨ — وشَاهدتُ في الأسفار كلَّ عجيبةٍ فلم أَرَ من نالَ جِدا بجدِّه

٩ — فكُنْ ذا اقتصادٍ في امورك كلها فأحسنُ احوال الفتَى حسن قصده

١٠ — وما يُحرمُ الانسانُ رِزْقاً لعجزه كما لاينال الرِّزقَ يوماً بكَدِّه

١١ — حُظوظُ الفتَى من شقوةٍ وسعادة جرَتْ بقضاءٍ لاسبيلَ لردِّه

(١٥) نفح الطيب ٢/ ٤٩٠- ٤٩١

٥- العنقاء : الداهية يضرب بها المثل

(١٦)

قال في ذم الفلاسفة: (من مخلع البسيط)

١ ـ قد ثَبَتَ الغَيّ في العِباد طائفةُ الكونِ والفَسَادِ
٢ ـ يَلعنها الله حيثُ كانت فإنّها آفةُ العِبَادِ
٤ ـ دهريةٌ لايرون رسلاً ولا يقرون بالمعَاد
٣ ـ يعتقدون الامورَ دَوراً والناسَ كالزرع والحصاد

(١٦) الذيل والتكملة ٥/٢/٦١١

٤ ـ المراد بالدور عند الفلاسفة توقف الشيء على مايتوقف عليه ، ويسمى الدور المصرح كما يتوقف أ على ب وبالعكس او بمراتب ويسمى الدور المضمر كما يتوقف أ على ب وب على ج وج على أ ، التعريفات ٩٤ .

(الراء)

(١٧)

وقال : (من المتقارب)

١ ـ صنِ العَقلَ عن لحظة في هَوى فان البصيرةَ طوعُ البَصَرْ
٢ ـ وغضّ الجفون على عِفةٍ فإنَّ زناءَ العُيونِ النّظرْ

(١٧) رحلة العبدري : ٧٠

٢ ـ عجز البيت فيه اقتباس من الحديث الشريف : « ان الله كتب على ابن ادم حظّه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر .. » سنن ابي داود ١/ ٤٩٦ .

(١٨)

وكان من اهل المروءات في حقوق الاخوان وفي ذلك يقول :

(من الرمل)

١ ـ يَحسب الناس بأني متعب في الشفاعات وتكليف الورى
٢ ـ والذي يتعبهم من ذاك لي راحةٌ في غيرها لن أفكرا
٣ ـ وبودى لو أقضيّ العمر في خدمةِ الطلابِ حتى في الكرى

(١٨) نفح الطيب ٢/٤٨٨

(١٩)

ومن وصاياه النافعة وآدابه الجامعة قوله : (*)

(من الطويل)

١ — من الله فاسأل كل شي تريده ... فما يملك الانسان نفعاً ولاضرا

٢ — ولاتتواضع للولاة فانهم ... من الكبر في حالٍ تموجُ بهم سكرا

٣ — وإياك ان ترضى بتقبيل راحة ... فقد قيل فيها إنها السجدة الصغرى

(١٩) رحلة العبدري : ٧٠ الذيل والتكملة ٦١٣/٢/٥ ، نفخ الطيب ٢/ ٤٩١ — ٤٩٢ .

(*) قال العبدري ص ٧١ « ونهيه عن التواضع للولاة حكم شرعي قال (ص) من تواضع لغني ذهب ثلثا دينه» : وارى هذا الحديث مبيناً على الحديث الآخر وهو قوله (ص) : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه من سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا الله وان يكره ان يعود في الكفر بعد ان أنقذه الله منه كما يكره ان يقذف في النار » .

١ — العبدري : «كل أمر»

٢ — النفح : « قيل عنها »

(٢٠)

قال في حب النبي وآل بيته :

(من الطويل)

١ — أحب النبي المصطفى وابنَ عمه ... علياً وسبطيه وفاطمة الزهرا

٢ — هم اهل بيت أذهب الرجس عنهم ... وأطلعهم افق الهدى انجماً زهرا

٣ — موالاتهم فرض على كل مسلم ... وحبهم اسنى الذخائر للأخرى

٤ — وما انا للصحب الكرام بمبغض ... فاني ارى البغضاء في حقهم كفرا

٥ — هم «جاهدوا في الله حق جهاده» ... وهم نصروا دين الهدى بالظبى نصرا

٦ — عليهم سلام الله مادام ذكرهم ... لدى الملأ الاعلى واكرم به ذكرا

(٢٠) الذيل والتكملة ٦١٦/٢/٥

٣ — في صدر البيت اقتباس من قوله تعالى « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت..» الاحزاب : ٣٣

٥ — الظبى ، جمع ظبة وهي حد السيف أو السنان وفي صدر البيت اقتباس من القرآن الكريم الحج ٧٨ .

(٢١)

قال ، وقد تذكر طيبة على ساكنها الصلاة والسلام : (من المجتث) .

١ ــ يأهـل طيبــة قلـبي	عــن منهــج الصبر جـارا
٢ ــ اشكو اليكــم زمانا	عـلي بالبــين جَـــارا
٣ ــ وبعدكم لست ارضى	مــن البريـــة جَـــارا
٤ ــ ودمع عيني عليـكم	لأدمــعِ المــزنِ جـــارى

(٢١) الذيل والتكملة ٥/٢/٦١٥

١ ــ جار في البيت الأول بمعنى سقط وتهدم وفي الثاني بمعنى ظلم وتجاوز وفي الثالث من الجيرة والجيران وفي الرابع من المجاراة بعنى المراعاة.

(٢٢)

وقال وقد شارف المدينة المكرمة على ساكنها الصلاة والسلام (*)

(من المتقارب)

١ ــ أقول وآنستُ بالليل نارا	لعَل سِراجَ الهدى قد انارا
٢ ــ وإلا فما بالُ افق الدجى	كأن سَناَ البرق فيه استطارا
٣ ــ ونحن من الليل في حندسٍ	فمـا بالـه قد تَجلّى نهارا
٤ ــ وهذا النسيم شذا المِسك قد	اعير ام المِسك منه استعارا
٥ ــ وكانت رواحلُنا تشتكي	وجاهاً فقد سابقتنا ابتـدارا

* ذكر العبدري انه نظمها ارتجالا حين ترأت له المدينة وكان وصوله لها في ٣ محرم سنة ٥٨٠ ه انظر الرحلة ص ١٦٧ .

(٢٢) رحلة العبدري ٩٦ ــ ٩٨ ، « ١ ــ ٣٣» الذيل والتكملة ٥/٢/٦٠٢ ، ٦٠٣ « ١ ــ ٢٣» الاحاطة ٢/٢٣٥--٢٣٦ « ١ــ ٣٣) عدا البيت ١٣ ، نفح الطيب ٢/٤٨٧ « ١ ــ ٣»

١ ــ في صدر البيت اقتباس من قوله تعالى : « اني آنست نارا .. » طه : ١٠

٥ ــ العبدري « وجا فلقد » والوجى أن يشتكي البعير باطن خفه ، والوجاء : العدول الصغار ، والا بتدار : الاسراع والمعاجلة .

٦ – وكنا شكونا عناء السرى   فعدنا نبارى سراع المهارى
٧ – اظن النفوس قد استشعرت   بلوغ هوى تخذته شعارا
٨ – بشائر صبح السرى آذنت   بأن الحبيب تداني مزارا
٩ – جرى ذكر طيبة مابيننا   فلا قلب في الركب الا وطارا
١٠ – حنيناً إلى أحمد المصطفى   وشوقاً يهيج الضلوع استعارا
١١ – ولاح لنا احد مشرقاً   بنور من الشهداء استنارا
١٢ – فمن اجل ذلك ظل الدجى   يحل عقود النجوم انتثارا
١٣ – ومن ذلك الترب طاب النسيم   نشراً وعم الجناب انتشارا
١٤ – ومن طرب الركب حث الخطى   اليها ونادى البدار البدارا
١٥ – ولما حللنا فناء الرسول   نزلنا بأكرم خلق جوارا
١٦ – وحين دنونا لفرض السلام   قصرنا الخطى ولزمنا الوقارا
١٧ – فمانرسل اللحظ الا اختلاسا   ولانرفع الطرف الا انكسارا
١٨ – ولانظهر الوجد الا اكتتافاً   ولانلفظ القول إلاسرارا
١٩ – سوى اننا لم نطق أعيناً   بأدمعها غلبتنا انفجارا
٢٠ – وقفنا بروضته للسلام   نعيد السلام عليه مرارا
٢١ – ولولا مهابته في النفوس   لثمنا الثرى والتزمنا الجدارا
٢٢ – قضينا بزورتنا حجنا   وبالعمرين ختمنا اعتمارا

---

٨ – العبدري : « تباشير »

١٤ – العبدري « طرب الشرب » والبدار كالمبادرة والابتدار ، والاسراع والاستباق

١٥ – الاحاطة « باكرم مجد »

١٧ – الاحاطة « ولا نرجع الطرف »

١٨ – السرار والسرارة بفتح السين . السر وهو جوف كل شيء

٢٠ – الاحاطة : « وقفنا بروضة دار السلام »

٢١ – العبدري « ولزمنا »

٢٢ – العبدري « بعمرتنا حجنا ،وبالعمرتين » وفيه تحريف . الاحاطة : « بزوته حجنا وبالعمرتين » وفيه تحريف ايضاً .

٢٣ ـ اليك اليك نبي الُهدى   رَكبتُ البِحار وجبتُ القِفارا
٢٤ ـ وفارقتُ أهلي ولا منّة ٌ   ورُبَّ كَلامٍ يَجرُ اعتِذارا
٢٥ ـ وكيفَ نمنُ على من بِهِ   نُؤَمِلُ للسّيئات اغتِفارا
٢٦ ـ دَعاني اليك هوى كامِنٍ   أثارَ من الشّوق ماقد أثارا
٢٧ ـ فناديتُ لبّيكَ داعِي الهوَى   وماكنت عنك اطيقُ اصطِبارا
٢٨ ـ ووطنت نفسي لحكم الهوى   علي وقلتُ رَضيت اختِيارا
٢٩ ـ اخوض الدجى واروض السرى   ولا اُطعمُ النّوم الا غِرارا
٣٠ ـ ولو كنت لااستطيع السبيل   لطِرت ولو لم اصادِفْ مَطَارا
٣١ ـ وأجدر من نال منك الرِّضى   محِبُ ذُراكَ على البُعد زارا
٣٢ ـ عسى لحظة ٌ منك لي في غَدٍ   تُمهِّد لي في الجِنان القَرارا
٣٣ ـ فما ضَلّ من بُهداك اهتَدى   ولاذلَّ من بذراكَ استجَارا

٢٥ ـ العبدري « يمن »
٢٧ ـ الاحاطة « فناديتك لبيك » وبها يكسر الوزن « العبدري « وهل كنت ».
٢٨ ـ العبدري « بحكم الهوى . »
٢٩ ـ العبدري « نطعم »
٣٠ ـ العبدري : سقطت « لطرت » وفيه « ولما اصادف »
٣١ ـ العبدري : « نحب ثواك» وهو تحريف ، الاحاطة « محب ثراك »
٣٢ ـ الاحاطة « من بمسراك اعتدى » واستجار : طلب المعونة ودفع الظلم .

(٢٣)

وقال وهو في زيارة قبره (صلى الله عليه وسلم):

١ ـ هنيئاً لمن حج بيت الهدى   وحطَّ عن النفس أوزارها
٢ ـ وإنَّ السّعادة مضمونَة ٌ   لمن حلَّ طيبة أوزارها

(٢٣) الذيل والتكملة ٥/٢/٦٠٤ . الاحاطة ٢/٢٣٦ - ٢٣٧ ، نفح الطيب ٢/٤٩٣ قال قال شكيب ارسلان في الحلل السندسية ٣/١٢٠ « هذا الجناس المركب قد ورد ايضا في شعر آخر ، فقد قيل في قبر محي الدين بن عربي في صالحية الشام :

قبر محي الدين بن عربي   كل من لا ذابه اوزاره
قضيت حاجاته من بعدما   غفر الله له اوزاره

٢ ـ الاحاطة والنفح « حج طيبة »

(٢٤)

وقال في الولاة واحوالهم : (من السريع)

١ ــ من كُبِرتْ عن قدره خِطّةٌ داخَلَهُ من أَجلِها الكِبْرُ
٢ ــ ومن سَمت همّته لم يَكُن لخطّةٍ في نفسه قَدْرُ
٣ ــ ولايةُ الانسانِ سَكرٌ فَما دامَتْ له دام به السُّكْرُ
٤ ــ مغايظ الدُّنيا وأربابها ليس عليها لامرىءٍ صبْرُ
٥ ــ دعهم مع الدهر واحداثه حتّى ترى مايصنع الدَّهر

(٢٤) الذيل والتكملة ٥/٢/٦١٣

٤ ــ الغيظ : الغضب او اشده او سورته ، والمغايظ ، مايدعو الرجل للغيظ

(٢٥)

وقال في الشكوى من الدهر : (من مجزوء الوافر)

١ ــ أَما في الدّهر معتَبرُ ففيه الصفو والكدرُ
٢ ــ فسلني عن تقلبه فعند جُهينة الخبرُ
٣ ــ صحبناه إلى أجلٍ نُراقبه ونَحتَذِرُ
٤ ــ فياعجبًا لمرتحلٍ ولايدري متى السفرُ

(٢٥) رحلة العبدري ٩٨ .

٢ ــ في عجز البيت تضمين من المثل المشهور : « عند جهينة الخبر اليقين » مجمع الأمثال ٢/٣

(٢٦)

وقال في ذم الفلاسفة : (من السريع)

١ ــ قد ظهرت في عصرنا فرقةٌ ظهورها شؤم على العصرِ
٢ ــ لاتقتدي في الدِّينِ إلا بما سَنَّ ابن سينا وأبو نصرِ

(٢٦) نفح الطيب ٢/٣٨٥

٢ ــ يريد الفيلسوفين المشهورين ، ابن سينا وابا نصر الفارابي

(٢٧)

وقال في النقد الاجتماعي وذم الزمان: (من المديد)

١ ـ ربَّ إن لم تؤتني سَعَة ... فاطو عنّي فضلةَ العمرِ
٢ ـ لا أحب اللبثَ في زمنٍ ... حاجتي فيه إلى البشرِ
٣ ـ فهُمُ كسرٌ لمنجبرٍ ... ماهمُ جَبرٌ لمنكسرِ

(٢٧) نفح الطيب ٢/ ٤٩٢

(٢٨)

قال في الصوت الحسن وسماعه: (من الطويل)

١ ـ زيادة حسن الصوت في الخلق زينة ... يروقُ بها لحن القريض المحبر
٢ ـ ومن لم يحركه السماع بطيبة ... فذلك أعمى القلب أعمى التصور
٣ ـ تصيخ إلى الحادي الجمال لواغباً ... فتوضع في بيدائها غير حسر
٤ ـ ولله في الارواح عند ارتياحها ... إلى اللحن سر للورى غير مظهر
٥ ـ وكل امرىءٍ عابَ السّماع فانه ... من الجهل في عشوائه غير مبصر
٦ ـ وأهل الحجاً أهل الحجاز وكلهمْ ... رأوه مباحاً عندهم غيرَ منكرِ
٧ وهامَ به أهل التّصوف رغبةً ... لتهييج شوق ناره لم تسعرِ
٨ ـ فان رسولَ الله قد قال زَينّوا ... بأصوا تكم آي الكتاب المطهر
٩ ـ وزانت لداوود النبيِّ زبوره ... مزاميرُه بالنّوح في كل محضر
١٠ ـ وفي الخلد إسرافيل يسمع أهله ... فيسليهم المسموعُ عن كل منظر
١١ ـ فان أك مغرى بالسّماع وحسنه ... فحسبي اقتداء بالكريم ابن جعفرِ

(٢٨) الذيل والتكملة ٥/٢/٦١٥ – ٦١٦ .

١١ ـ الأبيات تشير إلى مذهب ابن جبير في اباحه الغناء وبعض حججه في ذلك اباحة أهل الحجاز له ، وابن جعفر هو عبدالله بن جعفر بن ابي طالب اول من ولد من المسلمين بارض الحبشة عاش في البصرة والكوفة والشام سمي ببحر الجود لكرمه واتصل به الشاعر أبن قيس الرقيات وانقطع له وكان عبدالله يصله ولا يقضي عنه دينه ولم ير بسماع الغناء بأساً واجتمع عنده عدد من المغنيين منهم : طويس وسائب ونشيط وبديح . . . انظر فوات الوفيات ١٧٠/١ تأريخ الموسيقى العربية (فارمر) ٦٢– ٦٩ واخباره في الأغاني والعقد الفريد والكامل.

(٢٩)

قال يكشف عن خلقه الكريم : (من المتقارب)

١ ـ وإني لأُوثر من أصطفي وأغضي على زلة العاثر
٢ ـ وأهوى الزيارةَ ممنْ أُحبّ لاعتقد الفضلَ للزائر

(٢٩) نفح الطيب ٢/ ٩٠

(٣٠)

وقال يمدح صلاح الدين الايوبي (*) : (من التقارب)

١ ـ اطلت على افقك الزاهر سعود من الفلك الدائر
٢ ـ فأبشر فان رقاب العدا تمد إلى سيفك الباتر
٣ ـ وعما قليل يحل الردى بكندهم الناكث الغادر
٤ ـ وتخصب الورى يوم تسقى الثرى سحائب من دمها الهامر
٥ ـ فكم لك من فتكة فيهم حكت فتكة الاسد الخادر

(٣٠) الروضتين ٢/١٠٥ ـ ١٠٦ « ١، ٢، ٥ ـ ٢٤ » ٢/٤ـ٥ « ٢٥ ـ ٥٦»
رحلة العبدري : ٩٤ـ ٩٦ « ١ـ ٢٥ ، ٢٨ ـ ٥٦ » الذيل والتكملة ٥/٢/٥٩٨ـ٦٠١»
١ـ ٢٥ ، ٢٨ ـ ٥٦ » نفح الطيب ٢/ ٣٨٣ « ١، ٢٥ ـ ٢٨)

(*) في البيتين ١٩ و ٢٠ اشارة إلى أن القصيدة نظمت بعد فتح بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ أي بعد رحلته الثانية سنة ٥٨٥ هـ حيث يتوجه إلى صلاح الدين مهنئاً ،وفيها اشارة إلى رفع صلاح الدين المكوس عن الحجاج الذاهبين إلى الحجاز ، ارخ ذلك ابو شامة المقدسي بسنة ٥٧٢ هـ (الروضتين ٢/ ٤) وقد نال الحجاج أذى من رجال الأمن في الاسكندرية، ولذلك يورد العبدري وابو عبد الملك المراكشي القصيدة على انها مما قاله في الاسكندرية (ذي الحجة ٥٧٨ هـ) تنظر الرحلة ١٣ ـ ١٤ ومقدمة د. محمد مصطفى زيادة الرحلة ١٧ و« الرحالة المسلمون في القرون الوسطى ٧٤ ».

٣ ـ الكند بضم فسكون فكسر ، كلمة اسبانية (conde) اصلها في اللاتينية(comes) والتي عرفت كذلك عند عرب الاندلس بلفظة قومس وهولقب شرف عند النصارى ورتبة لرؤساء الجيوش من الامراء ، والكند اليوم في المراتب الشريفة يأتي بعد المركيز وقبل البارون (رحلة العبدري ٩٤ هامش ١)

٥ ـ الروضتين « وكم»

٦ ــ كسرت صليبهم عنـوة فلله درُّك من كاسـر
٧ ــ وغيرت آثارهم كلهـا فليس لها الدهر من جابر
٨ ــ وأمضيت جدك في غزوهم فتعسـاً لجدهم العاثـر
٩ ــ فأدبر ملكهم بالشـآم وولى كأمسهم الدابـر
١٠ ــ جنودك بالرعب منصورة فناجز متى شئت أو صابر
١١ ــ فكلهم غـارق هـالك بتيـار عسكرك الزاخـر
١٢ ــ ثأرت لدين الهدى في العدا فآثـرك الله من ثائـر
١٣ ــ وقمت بنصر إله الورى فسـماك بالملك النـاصر
١٤ ــ وجاهدت مجتهدا صابراً فلله درك من صابـر
١٥ ــ تبيت الملوك علـى فرشها وترفل في الزرد السابـرى
١٦ ــ وتوثر جاهد عيش الجهاد على طيب عيشهم الناضـر
١٧ ــ وتسهر جفنك في حق من سيرضيك في جفنك الساخـر
١٨ ــ فتحت المقدس من ارضـه فعادت إلى وصفها الطاهـر
١٩ ــ وجبت إلى قدسه المرتضى فخلصته من يد الكافـر
٢٠ــ وأعليت فيه منار الهدى وأحييت من رسمه الدائـر
٢١ــ لكم ذخر الله هذي الفتوح من الزمن الاول الغابـر
٢٢ــ وخصك من بعد مازرته بها لاصطناعك في الآخـر
٢٣ــ محبتكم القيت في النفوس بذكر لكم في الورى طائر

٩ ــ الروضتين « وأدبر »
١٠ ــ العبدري « فناحز » وهو تصحيف والمناجزة : المقاتلة وفي صدر البيت اقتباس من الحديث الشريف ونصه، « فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ؛ ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وارسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون » صحيح مسلم ١/ ٣٧١
١١ ــ الروضتين والذيل « غرق »
١٤ ــ الروضتين « فلله أجـك »
١٥ ــ الذيل « السابر »

٢٤ــ فكـم عند ذكر الملوك لهـم بمثلك من مثـل سائـــر
٢٥ــ رفعت مغارم أهل الحجـاز بانعـامك الشامل الهامـر
٢٦ــ وأمّنت أكنافَ تلك البـلاد فهان السّبيـل على العابـرِ
٢٧ــ وسحبُ أياديكَ فيّاضـة على واردٍ وعلى صادر
٢٨ــ فكْم لك بالشرق من حامدٍ وكم لك بالغربِ من شاكـر
٢٩ــ وكم بالدُّعاء لكم كل عامٍ بمكة من معلنٍ جاهـر
٣٠ــ وكم بقيتْ حسبةٌ في الظّلوم وتلك الذّخيرةُ للذّاخـر
٣١ــ يعنف حجاج بيتِ الإلـه ويسطو بهم سطوةَ الجائـر
٣٢ــ ويكشف عما بأيديهـمُ وناهيـك عن موقف صاغـر
٣٣ــ وقد أُوقفوا بعدما كوشفوا كأنهم في يد الآسـر
٣٤ــ ويُلزمهمْ حلفاً باطلاً وعُقبى اليمين على الفاجـر
٣٥ــ وإن عرضت بينهم حُرْمَةٌ فليس لها عنه من ساتـر
٣٦ــ أليس يخاف غداً عرضَـهُ على الملك القادر القاهـر
٣٧ــ وليسَ على حُرَم المسلمين بتلك المشاهد من غائـر
٣٨ــ ولا حاضر نافع زجـره فياذلة الحاضر الزاجـر
٣٩ــ الا ناصحٌ مبلغ نصحـه إلى الملك الناصر الظافـر
٤٠ــ ظلوم تضمّن مال الزكاة لقد تعست صفقة الخاسـر
٤١ــ يُسِر الخيانةَ في باطـن ويبدي النصيحة في الظاهـر

---

٢٤ – الذيل « فكم لهم عند ذكر الملوك » ، الروضتين : « لمثلك »
٢٥ – الروضتين والنفح « مكس الحجاز »
٣٠ – الروضتين « وقد بقيت .. في فلا ن »
٣٣ – الذيل « وقفوا » الروضتين « وقفوا بعدما كوشفوا »
٣٧ – الروضتين « اليس » « من غابر »
٣٨ – الروضتين « الا فيا ذلة الشاهد الحاضر » .
٤١ – الذيل « في ظاهر»

٤٢_ فأوقعْ به حادثاً أنـــــه يقبّح أحدوثـــة الذاكـــر
٤٣_ فما للمناكِر من زاجـــر سواك وبالعرفِ من آمـــر
٤٤_ وحاشاك إن لم تزل رسمَها فما بالك في النّاس من غـادِرِ
٤٥_ ورفعك أمثالهـا موسِـع رداء فخارِك للنّاشــر
٤٦_ وآثارك الغرّ تبقى بهـــا وتلك المآثـر للآثـــر
٤٧_ نذرتُ النّصيحة في حقّكم وحق الـوَفاء على النّـاذِر
٤٨_ وحبك أنطَقَـني بالقريـض وما أبتَغـي صِلَة الشّاعـر
٤٩_ ولاكانَ في ما مضى مكسَبي وبئسَ البِضاعـةُ للتّاجـر
٥٠_ إذا الشّعـر صارَ شِعار الفتى فناهيك من لقب شاهـر
٥١_ وإن كان نَظمي له نَـادرا فقد قيل : لا حكمَ للنـادر
٥٢_ ولكنّهـا خطرات الهـوى تَعِنَ فتلعَبُ بالخَاطِـر
٥٣_ وأما رقـد زارَ تلك العلا فقد فازَ بالشّرف الباهـر
٥٤_ وان كانَ منك قبولٌ لـــه فتلك الكرامةُ للزائـــر
٥٥_ ويكفيه سمعكَ من سامعٍ ويكفيه لحظكَ من ناظِـرِ
٥٦_ ويُزهى على الرّوضِ غبَّ الحيا بما حازَ من ذِكرِكَ العاطِرِ

---

٤٢ — الروضتين « فما للمناكير »
٤٤ — الروضتين « فمالك »
٥٢ — الذيل « تعن فتغلب للخاطر »
٥٥ — العبدري : سقطت ((سمعك)) واول العجز ((ويكفيك خطك)) .

السين

(٣١)

(من الخفيف)

١_ ايهـا المستطيل بالبغي أقصر ربما طأطأ الزّمان الرّؤوسا
٢_ وتذكّر قول الالـه تعالـى «إن قارونَ كان من قَوم موسى»

---

(٣١) رحلة العبدري ٧١ ، نفح الطيب ٢/ ٤٩٢ وانظر هامش ١ حيث يذكر المحقق ان بعض نسخ النفح تنسبها له
١ — في العجز اقتباس من القرآن الكريم سورة القصص ٧٧ .

آ/٣٢/

(٣٢)

(من الكامل)

قال في حبيبة وقد جلس بين ثقيلين :

١- لو كنت تبصر مند يوم قد نای	تيسين ضمّهما وظبيا مجلس
٢- لعَجبتَ قُبحاً منهما وملاحة	منه وقلت حظيرة ام مكنس ؟

(٣٢) زاد المسافر ١١٤ .

١ - التيس: الذكر في المعز

٢ - المكنس : موضع الظبي في الشجر يكتن فيه ويستتر .

(٣٣)

وقال وقد لاحت له جبال دانيه على ظهر البحر وهو قافل من رحلته الاولى سنة ٥٨١ :

(من البسيط)

١- لي نحو أرض المنى من شرق اندلس	شوق يؤلفُ بين الماء والقبس
٢- لاحت لنا من ذراها الشُم شاهقة	تدني لزهر الدّراري كفّ ملتمس
٣- وقد اغذت بنا في اليّم جارية	سوداء لاتستطيعُ الجرَى في يبَس
٤- كأنها وعباب الماء يزعجها	تنص جيدَ مراعي اللحظ مختلس
٥- كأن بيض نواحيها اذ اانتشرت	لواءُ صُبح بدا في سدفة الغلس
٦ - تنازعَ الريح منها صَعبَ مقودها	فترتمي بعنان مسمح سَلْس
٧ - لولا حِذاري ان اذكي لها لهبا	زجّيتها برياح الشّوق في نفس
٨ - ياليت شعري والآمال معوزة	وربما امكنتْ يوماً لمختلس
٩ - هل يدنونّ مزارُ الشّوق ان به	ماشئت من نهز للأنس او خلس
١٠ - وهل تعودّن ايامٌ رشفتُ بها	سلافة العيش احلى من جنى اللّعس
١١ - حيث انبسطنا مع اللذات تنقلنا	ايدي المسرات من عيد إلى عرُس

(٣٣) الذيل والتكملة ٥/٢/٦٠٤- ٦٠٥ « ١- ١١» نفح الطيب ٢/٤٨٩ «١»

١ - القبس : شعلة من النار

٥ - السدفة : الظلمة وهي من الاضداد. والغلس : ظلمة آخر الليل

٧ - زجى وأزجى بمعنى ساق ودفع

١٠ - السلاف : ماسال من عصير العنب قبل أن يعصر والخمر وسلافة كل شيء عصرته واوله واللعس : لون الشفة تضرب إلى السواد وهو يستملح .

(من الوافر)

(٣٤)

وقال يخاطب ابا عمران الزاهد(*) باشبيلية :

١ـ ابا عِمْرانَ قد خلّفْتُ قلبي لَديكَ وانت اهلٌ للوديعهْ

٢ـ صحبت بِكَ الزّمانَ اخا وفاء فها هو قَدْ تَنَمرَّ للفظيعـــه

(٣٤) نفح الطيب ٤٨٧/٢ –٤٨٨ .

(*) ابو عمران موسى بن عمران المارتلي ، و (مارتلة) من حصون باجة ، كان ورعاً زاهداً عابداً له حظ وافر في شعر الزهد ، لازم مسجده باشبيلية سنة ٦٠٤ د(التكملة ٧٥٤/٢ ، المغرب ٤٠٦/١ ، الغصون اليانعة ١٣٥)

(من مخلع البسيط)

(٣٥)

قال يهجو الدهريين :

١ ـ ضلت بأفعالها الشنيعــــهْ طائفة عن هدى الشريعـــهْ

٢ ـ ليست ترى فاعلاً حكيمـاً يفعل شيئا سوى الطبيعـهْ

(٣٥) نفح الطيب ٢/ ٣٨٥ .

(من البسيط)

(٣٦)

وقال في الزهد :

١ ـ عجبتُ للمرء في دنياهُ تطمعهُ في العَيشُ والأجلُ المحتوم يقطعهُ

٢ ـ يُمسي ويصبحُ في عَشواءَ يخبطها اعمى البَصيرة والآمالُ تَزرَعه

٣ ـ يَغترّ بالدّهرِ مَسروراً بصحبتهِ وقد تيقّن ان الدّهرَ يَصرَعه

٤ ـ ويجمع المالَ حِرصاً لايفارقـهِ وقد درى انه للغَير يجمعـــه

٥ ـ تراه يشفق من تَضييع درهمـهِ وليسَ يشفِق من دينِ يُضيّعه

٦ ـ وأسوأ الناسِ تدبيراً لعاقِبـــةِ من انفقَ العمر فيما ليس ينفعه

(٣٦) نفح الطيب ٢/ ٤٩٠ .

(من الطويل)

(٣٧)

وقال وهو يودع اهله :

١ـ اقول وقد حانَ الوَداعُ وأسلمتْ قلوبٌ إلى حكم الاسى ومدامعُ

٢ـ ايارب اهلي في يَديك وديعةٌ وما عَدِمَتْ صوناً لديك الودائعُ

(٣٧) نفح الطيب ٢/ ٤٨٥

(٣٨)

(من السريع)

وقال يهجو ابن رشد (*)

١ـ الحمد لله على نصره لفرقة الحقِ وأشياعِه
٢ـ كان ابنُ رشد في مدى غيه قد وضعَ الدّين باوضاعه
٣ـ حتى اذا اوضع في طُرقه توّى لفيه عند ايضاعه
٤ـ فالحمدُ لله على اخذه واخذ من كان من اتباعه

(٣٨) الذيل والتكملة ٦/ ٣٠

(*) تقدمت ترجمة ابن رشد انظر هامش ق ١٢.

٢ - وضع الرجل في تجارته : صار وضيعا ، ووضع عنه : حط من قدره

٣ - اوضع بين القوم ، افسد ، الوضع ضرب من سير الابل دون الشدة ،ووضع البعير إذا عدا والايضاع سير مثل الخبب يقال : « قد اوضعت منذ ساعة » يضرب لمن يستبطىء قضاء حاجته ولم تبطؤ بعد التوى مقصور الهلاك وهلاك المال .

الفاء

(٣٩)

(من مخلع البسيط)

وقال في نكبة ابن رشد

١ـ الآن قد ايقنَ ابنُ رُشدٍ انّ تواليفَه تَوالفْ
٢ـ يا ظالماً نفسَه : تأمل! هل تَجد اليوم من يوالفْ؟

(٣٩) الذيل والتكملة ٦/ ٣٠

(٤٠)

(من السريع)

وقال يهجو الفلاسفة

١ـ يا وحشة الاسلام من فرقة شاغلةٌ انفسها بالسفهْ
٢ـ قد نبذَتْ دين الهدى خلفها وادّعت الحكمةَ والفلسفه

(٤٠) نفح الطيب ٢/ ٣٨٥ .

(٤١)

وقال يصف القلم من قصيدة : (من الكامل) :

١ ـ قلم به الاقليم أصبح في حمىٍ بشباته صرف الحوادث يُصرَف
٢ ـ ولئن تقاصر قدّه فلقده ظلّت له الأسل الطِّوال تقصَّف
٣ ـ هل تغنينّ المرهفات غناءه وصليلها لصريره يستضعف
٤ ـ حكَت الظُّبا والسمر فعلا منه لو (م) لاه لعطِّلَ صارمٌ ومُثقّف
٥ ـ طعن كمثل النقط منضافٌ إلى ضَرب كما شُكِلَتْ بنقط أحرف
٦ ـ كلٌ يتيه بأن حوى شبهاً له فانظر إلى المحكي فهو الأشرف
٧ ـ يكفيه فخراً أنّ كلَّ مقدّرٍ يجري بما قد خطّه ويصرِّف

---

(٤١) الذيل والتكملة ٥/٢/٦١٠

١ ـ شباة كل شيء حد طرفه

(القـــــاف)

(٤٢)

قال يمدح المنصور ويعرض بابن رشد (من مخلع البسيط)

١ ـ خليفة الله أنتَ حقاً فارق من السّعد خير مرقى
٢ ـ حميتَ الدّين من عداه وكلٍّ من رام فيه فتقا
٣ ـ أطلعك الله سرّ قوم شقوا العصا بالنفاق شقا
٤ ـ تفلسفوا وادّعوا علوماً صاحبها في المعاد يشقى
٥ ـ واحتقروا الشّرعَ وازدروه سفاهة منهم وحُمْقا
٦ ـ اوسعتهم لعنةً وخزياً وقلتَ: بعداً لهم وسُحْقا
٧ ـ فابقَ لدين الاله كهفاً فإنه ما بقيت يبقى

---

(٤٢) الذيل والتكملة ٦/٣١ .

(٤٣)

وقال في الحكمة (من الطويل)

١ ــ عليك بكتمان المصائب واصطبر   عليها فما أبقى الزّمان شفيقا
٢ ــ كفاك من الشكوى إلى الناس أنها   تسرُّ عَدواً أو تَسوء صديقا

(٤٣) الذيل والتكملة ٥/٢/٦١٢ – ٦١٣ ، الاحاطة ٢/ ٢٣٧ .
٢ – الاحاطة « كفاك بالشكوى » وبها يكسر البيت وفيها « اوتسيء »
الذيل : « انه تسر »

(٤٤)

وقال يهجو الفلاسفة : (من الكامل)

١ ــ نفذ القضاء بأخذ كل مموِّه   متفلسف في دينه متزندقِ
٢ ــ بالمنطقِ اشتغلوا فقيل : حقيقة   «إنّ البلآء موكلٌ بالمنطِـــق»

(٤٤) الذيل والتكملة ٦/ ٣٠
١ – الأصل : « مرمه » وما اثبتناه جاء في بعض النسخ من الأصل
٢ – عجز البيت من الأمثال قائله ابو بكر الصديق (رض) في اللسان يجر على صاحبه مالا يشتهي
وأصل المثل « أن لكل طامة طامة وان البلاء موكل بالمنطق » مجمع الأمثال ١/ ١٧ –١٨ .

(٤٥)

قال في تفضيل المشرق على المغرب (من الكامل)

١ ــ لايستوي شرقُ البلاد وغربها   الشرق حازَ الفضل باسترقاق
٢ ــ انظر لحالِ الشمس عندطلوعها   زهراءَ تَصْحَب بهجةَ الاشراقِ
٣ ــ وانظُر لها عندَ الغُروب كئيبة   صفراء تَعقب ظلمةَ الآفاقِ
٤ ــ وكفى بيومِ طُلوعها من غربها   أن تؤذن الدنيا بوشكِ فراقِ

(٤٥) الذيل والتكملة ٥/٢/٦١٠ – ٦١١ ،الاحاطة ٢/ ٢٣٧
١ – الاحاطة « باستحقاق » وهو ابلغ
٢ – الاحاطة « انظر إلى جمال الشمس » وبها يكسر البيت
٣ – الاحاطة « وانظر اليها عند الغروب » وبها يكسر البيت
٤ – الاحاطة « بعزم فراق »

(اللام)

(٤٦)

ويقول : (*) (من المتقارب)

١ ـ أخلاءُ هذا الزمان الخؤونِ توالت عليهم حروف العلل
٢ ـ تغيّر إخوان هذا الزّمـان وكلٌّ صديقٍ عراهُ الخلل
٣ ـ وكانوا قديماً على صحّةٍ فقد داخلتهم حُروفُ العللِ
٤ ـ قضيت التّعجبَ من أمرهمً فصرتُ أطالِعُ بابَ البـدَل

(٤٦) نفح الطيب ٣٨٤/٢) «٤٦١» ٤٩١/٢ « ٢-٤» انوار الربيع ٢/ ٢٨٧ « ٢- ٤»
(*) رأى المقرى بخط ابن سعيد رواية بيتين على وجه آخر:
ثكـلـت أخـلاء هـذا الزمـان فمنـدي مما جنـوه خـلل
قضيت التـعـجب مـن شأنهم فصرت اطالع باب البـدل (ينظر نفح الطيب٤٩١/٢)
٣ - في الأبيات عيب من عيوب القافية هو (الا يطاء) وهو اعادة كلمة الروى « العلل » لفظاً
ومعنى بدون فاصلة سبعة ابيات
٤ - النفح ٤٩١/٢ « من بابهم »

(٤٧)

وقال يتشوق لأرض الحجاز وقبر النبي: (من المتقارب)

١ـ اذا بلغ المرء ارض الحجاز فقد نـال افضـل ماأمله
٢ـ وان زار قبر نبي الهدى فقد اكمل الله ماأمَّ لـه

(٤٧) الذيل والتكملة ٦٠٤/٢/٥ الاحاطة ٢٣٧/٢ ،نفح الطيب ٤٨٨/٢
١ - النفح « بلغ العبد » وآخر البيت « ماأم له »
٢ - النفح «فان زار» وآخر البيت « ماأمله » الاحاطة : آخر البيتين بلفظ واحد « ماأمله»
وفي احدهما سهو من الناسخ

(٤٨)

قال في ذم الفلاسفة : (من الوافر).

١ـ لأشياع الفلاسفة اعتقاد يرون به عن الشرع انحلالا
٢ـ أباحوا كل محظور حرام وردوه لأنفسـهم حـلالا

٣- وما انتسبوا إلى الاسلام الا لصون دمائهم ان لاتسالا

٤- فيأتون المناكر في نشاط ويأتون الصلاة وهم كسالى

(٤٨) الذيل والتكملة ٥/٢ ٦١١ .

٤ - في عجز البيت اقتباس من قوله تعالى « ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى » التوبة ٥٤

(٤٩)

وقال في الحكمة والخلق الاسلامي : (من السريع)

اياك والشهرة في ملبس والبس من الأثواب اسمالها

تواضع الأنسان في نفسه اشرف للنفس وأسمى لها

(٤٩) نفح الطيب ٤٥٨/٢ .

(٥٠)

قال يمدح امير المؤمنين المنصور الموحدي : (من الطويل)

١- بلغت امير المؤمنين مدى المنى لأنك قد بلغتنا مانؤمل

٢- قصدت إلى الاسلام تُعلي مناره ومقصدك الأسنى لدى الله يقبل

٣- تداركت دين الله في اخذ فرقة بمنطقهم كان البلاء موكل

٤- اثاروا على الدِّين الحنيفي فتنة لها نار غيّ في العقائد تشعل

٥- اقمتهم للناس يبرأ منهم ووجه الهدى من خزيهم يتهلّل

٦- وأوعزت في الاقطار بالبحث عنهم وعن كتبهم والسعي في ذاك اجمل

٧- وقد كان للسيف استباق اليهم ولكن مقام الخزى للنفس اقتل

٨- وآثرت درء الحد عنهم بشبهة لظاهر اسلام وحكمك اعدلُ

(٥٠) الذيل والتكملة ٣١/٦

٣ - يريد بالفرقة الفلاسفة وعلى رأسهم ابن رشد وقد تعرض له في قصائد كثيرة وفي عجز البيت اقتباس من المثل الذي قاله ابو بكر الصديق (رض) ق ٤٤ هامش (٢).

٨ - في ابن ماجة باب في الستر على المؤمن ودفع الحدود بالشبهات « ادفعوا الحدود ماوجدتم له مدفعاً وفي الترمذي - حدود : « ادرأوا الحدود مااستطعتم » .

(٥١)

وقال في الحكمـــــــــة : (من الطويل)

١ـ وكم فلتات للصّنائع تُتّقى عواقبِها إن لم تقع في محلِّها
٢ـ كذا شهوات المرءِ إنْ لم تكُن له موافقة عادتْ عليها بكلهـا

(٥١) الذيل والتكملة : ٥/٢/٦٠٩

(٥٢)

وقال في الحكمـــــــة : (من البسيط)

١ـ الناس مثل ظروف حشوها صَبِرُ وفوق أفواهها شيء من العسل
٢ـ تغرُ ذائقهـا حتى إذا كشفت له تبين ماتحويه من دخـــل

(٥٢) نفح الطيب ٢/٤٩١
١ ـ الصبر : عصارة شجر مر

(٥٣)

وقال في الحكمة : (من الكامل)

لصنائع المعروف فلتة غافل إن لم تضعها في محل قابـــل
كالنفس في شهواتها ان لم تكن وفقاً لها عادت بضر عاجل

(٥٣) الذيل والتكملة ٥/٢/٦٠٩ ، الاحاطة ٢/ ٢٣٧
١ ـ الاحاطة « وصانع المعروف فلتة عاقل » وفي اوله تحريف لا يستقيم به الوزن وفيها « في محل عاقل »
٢ ـ الاحاطة « وقفاً لها » .

(٥٤)

وله من قصيدة مطولة أولها: (من المتقارب)

لعل بشير الرضى والقبول يعلل بالوصل قلب الخليل

(٥٤) نفح الطيب ٢/ ٤٨٧

(٥٥)

لما وصل ابن جبير إلى مكة في ١٢ ربيع الاخر سنة ٥٧٩ هـ أنشد قصيدته التي أولها :

(من المتقارب)

١ — بلغتَ المنى وحللت الحرَمْ فعاد شبابك بعد الهرَم
٢ — فأهلاً بمكةَ اهلاً بهـا وشكراً لمن شكرُه يلتزم

وهي طويلـــة وآخرها :

٣ — نبيّ شفاعته عصمـــــة فيوم التّنادى به يعتصـــم
٤ — عسى ان تُجاب لنا دعوة لديه فنكفى بها ماأهـــم
٥ — ويرعى لزوّاره في غـــدٍ ذماماً فما زالً يرعى الذّمم
٦ — عليه السلام وطوبى لمـــن المَّ بتربتـــه فاستلـــم
٧ — اخي كم نتابع اهواءنـــا ونخبِط عشواءها في الظُلـــم
٨ — رويدك جرت فعجْ واقتصدْ امامك نهجُ الطريق الأعمْ
٩ — وتُبْ قبل عضّ بنانِ الأسي ومن قبل قرعك سنّ النـــدم

ومنها :

١٠ — وقل ربّ هبْ رحمةً في غد لعبدِ بسيما العُصاة اتسم
١١ — جرى في ميادين عصيانـــه مسيئاً ودان بكفر النّعـــم
١٢ — فياربَّ صفحك عما جنى ويارب عفوك عمـــا اجترم

---

(٥٥) نفح الطيب ٢/ ٤٩٢ — ٤٩٤ ؛

٩ — في البيت اقتباس من المثل « قرع من الندم » المستقصى ٢/ ١٩٦ .

قال يحرض السلطان صلاح الدين الأيوبي على النظر فيما ظهرت من البدع بالمدينة على دفينها الصلاة والسلام (*)

(من الوافر)

١ ـ صلاح الدين انت له نظام ... فما يخشى لعروته انفصامُ
٢ ـ فأظهرْ سُنّة الله احتساباً ... فقد ظهرت بها البدعُ العظام
٣ ـ وفي دين الهدى حدثت امور ... بها للدّين حزن واغتمام
٤ ـ جديرٌ ان يقام لها ارتماضاً ... مآتم للورى فيها التدام
٥ ـ وكيف يلذّ للأجفان نومٌ ... وللاسلام جفنٌ لاينام
٦ ـ وكيف تطيب في الدنيا حياة ... وطيبةُ لا يطيبُ بها مُقام
٧ ـ بتربتها رسول الله ثاو ... وليس لأهلها منه احتشام
٨ ـ لو اخترموه هابوه يوماً ... لكانَ لصحبه معه احترام
٩ ـ وهل يرضى صلاتهم عليه ... اذا سُبّتْ صحابتُه الكرام
١٠ ـ بأم المؤمنينَ قد استهانوا ... وللصدّيق والفاروق ذاموا
١١ ـ عزوا بعد النبيّ لهم ضلالاً ... لقد ضلّ الغواةُ ما استقاموا
١٢ ـ و سنّته اضاعوها امتهاناً ... فما لهم بواجبها اهتمام
١٣ ـ وليس يدلّ عندهم سوى من ... له بجميلِ مذهبها ارتسام
١٤ ـ وما يرعونَ ذمّةَ زائريه ... وللذّمي قد يُرعى الذمام
١٥ ـ ومسجدُه المباركُ عاد سوقاً ... لهم فيها على اللهو ازدحام
١٦ ـ يعيدُ به الصلاة مؤذنوه ... وما بأمامهم لهم ائتمام
١٧ ـ اذا قاموا لها قاموا كسالى ... على كره كأنّهم نيام
١٨ ـ يضيعون المواقيت اقتصاداً ... ليعدمِ للصلاةِ به انتظام
١٩ ـ وروضته المقدّسة استباحوا ... مهابتها فأدمعها سجام
٢٠ ـ أذا حشوا بها لعبوا ازدراءً ... وكان لهم بتربتها انتخام

٢١ — وقاموا للسّلام وفيه لَعْنٌ لقد ساءَ الهدى ذاكَ المَقام
٢٢ — ويَرقى فوقَ مِنبره خَطِيب له في الدين خَطبٌ لايرام
٢٣ — هو القاضي وحَسبك من قضاء له بالجَور في الشّرع احتِكام
٢٤ — يغرُهمُ لفاطمة انتِساب وما لهم بحرمتها التِئَام
٢٥ — وهَلْ يغني انتِسابهم اليها وعن دينِ الهدى لهم انْصِرَام
٢٦ — ونوحٌ لابنه لم يغنِ شيئاً ولا اغناهُ بالجَبل اعتصام
٢٧ — اعزّ الله بالاسلام قَوماً فليسَ له بغيرِهم قَوام
٢٨ — فذلّت فِرقة طعنت عليهمْ وهيلَ على أنوفهم الرّغام
٢٩ — وكيف يعزَّ عندَ الله قَومٌ ودينُ الله بينهم يضَام
٣٠ — نقوم الى الصّلاةِ وهم قعودٌ ويَعلو عِندَها لهمُ الكَلام
٣١ — بلعنٍ صمّتَ الآذانُ منه وسبّ للصحابة يستَدَام
٣٢ — وتَقرأ بين ايديهم جِهاراً تَوالف كلها زُورٌ سَخَام
٣٣ — ويَسعى بينَ أيدينا اعتِراضاً لقطعِ صَلاتِنا منهمُ طَغَام
٢٤ — فلا المَأموم يَدرى ما يُصلّي ولا يَدري بما صلّى الإمام
٣٥ — تَراهم يَسخرون بِنا احتِقارا وللأحقادِ عندَهم احتِدام
٣٦ — ويعتَقِدونَنا نَجساً خَبيثاً فليسَ لهم لجانبِنا انضِمام
٣٧ — يرونَ الجَمع للاختَين حِلاً وتعطَى البِنتُ ما يَرِث الغلام
٣٨ — وما التّجميعُ عندَهم بشَرعٍ لقد تَاهوا بباطِلِهم وهَاموا
٣٩ — يُقيمونَ الصَّلاةَ وهم فُرادى لقد شردوا كما شرد النّعامُ
٤٠ — وليسَ لهم من الاسلام حظ ولو صَلوا مدى الدّنيا وصَاموا
٤١ — ومن قد خالفَ السّلفَ ابتداعاً أتنفعه الصّلاة أَو الصّيام
٤٢ — لقد مرَقوا من الدّين اعتداء كما مرَقتْ من المرمى السِّهام

٤٣ — لهمْ من أهل مذهبهم شيوخٌ أقاموا بينَ أظهرهم ودَاموا
٤٤ — فكم غمر أضلّوا واسترلّوا فحُمّ على الضّلاَل له الحِمام
٤٥ — وكم غرٍ ببذلِ المال غرّوا فكانَ على الحُطَام له انحِطام
٤٦ — فأضرم بالمدينة نار غيّ أبت الا يَزالَ لها اضطِرام
٤٧ — وأوسع اهلها بِراً وُبراً فكان لَهم على الغيّ اقتحام
٤٨ — فَما يُرجى لهم أبداً فَلاح ولا رشدٌ وهل يُرجى الجَهام
٤٩ — وما لهم الى خيرٍ مضاءٌ مدى الدّنيا وهل يَمضي الكَهام
٥٠ — لَعمرُك إنهم داء عُضَالٌ وما يِسوى الحُسام له انحِسامُ
٥١ — ومن لم يرض حكم الله شرعاً فما دَمه لَسافِكهِ حَرَام
٥٢ — إذا انحطّ الرّعية في هَواها ولم تَردَعْ فراعيها يُلام
٥٣ — وان نشأت عوارضُ للاعادي فَبرقُ السّيفِ اول ما يُشامُ
٥٤ — فأمض الهمّة العليا اليهم وجاهِدْ ايها الملكُ الهُمام
٥٥ — وأرض المُصطفى في صاحِبيه بنصر لايفلّ له اعتزام
٥٦ — أتاكَ رضاه عفواً فاغتنمه لما ترجو وحقّ له اغتنام
٥٧ — أيقبَلُ منك عندَ الله عُذر ومالك من اعاديه انتقَام
٥٨ — وما نالَ الحجاز بكم صَلاحاً وقد نَالته مصرٌ والشّام
٥٩ — ولولا هَيبةٌ لدفينهم لم تُحجّ الكعبة البيت الحرام
٦٠ — فإن اسلمتَ دِين الله فيها على الدُّنيا وساكنها السّلام

---

(٥٦) الذيل والتكملة ٥/٢/٦١٧ — ٦٢٠ « ١ — ٦٥ » ، نفح الطيب ٢/٣٨٤ « ٥٧ »

٤ — ارتمض فلان من كذا : اشتد عليه واقلقه ، وارتمض له : حدب له ، التدم : اضطرب

١٧ — في صدر البيت اقتباس من قوله تعالى « واذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى » النساء ١٤٢

٢٠ — تنخم : دفع بشيء في صدره أو انفه

٥٠ — الجهام : السحاب الذي لا ماء فيه

٥١ — الكهام : السيف الكليل .

(٥٧)

وقال وقد تحرك للرحلة الحجازية : (من الوافر) .

١ ـ أقول وقد دعا للخير داعٍ حَننتُ له حَنينَ المُستَهام

٢ ـ حَرام أن يَحل بـي اعتياض ولم ارحَلْ الى البيتِ الحَرام

٣ ـ فلا طَافَتْ بي الآمالُ ان لم أطف ما بينَ زَمزَم والمقامَ

٤ ـ ولا طَابت حَياةٌ لي اذا لم أزرْ في طَيبةَ خيرَ الأنـــام

٥ ـ فأهديه السّلام وأقتضيه رِضا يُدني ألى دارِ السّلام

(٥٧) زاد المسافر ١١٥ ، نفح الطيب ٢/ ٤٩٣

٢ ـ النفح « ان يلذ لي اغتماض » والاعتياض : طلب العوض

٣ ـ النفح « ولا طافت »

٥ ـ النفح « وأهديه »

«النون»

(٥٨)

وقال يهنيء حجاجاً اجتمع بهم في مكة ـ شرفها الله ـ وتشوق اليهم :

(من الرمل)

١ ـ ياوفودَ الله فُزتُم بالمُنى فهنيئاً لكم أهلَ مِـنـى

٢ ـ قد عَرَفْنا عرفاتٍ مَعكَمْ فلهذا برّحَ الشوقُ بنا

٣ ـ نحنُ بالمغرب نُجري ذكركم فغُروبُ الدّمع تَجري هتّنا

٤ ـ أنتمُ الاحبابُ نشكو بعدكم هل شَكوتم بُعدنا من بَعدنا

٥ ـ علّنا نَلقَى خيَالاً منكم بلذيذ الذّكر وَهْناً علّنا

٦ ـ لوحنَا الدّهر علينا لقَضى باجتماعٍ بكمُ في المنُحنَى

٧ ـ لاحَ برقٌ موهِناً من ارضكم فلَعَمري ماهَنا العَيشُ هنا

٨ ـ صَدَعَ اللّيلُ وميضاً وَسَناً فأبَينا ان نَذُوقَ الوَسَنا

٩ ـ كم جَنَى الشوق علينا من أسى عاد في مَرضاتكم حلُو الجنَى

١٠ ـ ولكم بالخيف من قَلب شجٍ لم يزل خوفَ النوى يَشكو الضنى

١١ ـ ما ارتضى جانحةَ الصدرِ له		سَكناً منذ به قد سكنا
١٢ ـ فيناديه على شَحْطِ النّوى		من لنا يَوما بقلبٍ ملّنا
١٣ ـ سِرْبِنا ياحادي العيس عَسَى		أن نلاقي يومَ جمع سِرِبَنا
١٤ ـ ما عَنى داعي النّوى لمادعى		غيرَ صَبّ شَفّة بَرح العَنا
١٥ ـ شِمْ لنا البَرقَ اذا لاح وقلْ		جَمَعَ الله بجمعٍ شَمْلَنا

(٥٨) المغرب : ٣٨٥/٢ « ١ـ ٣» الذيل والتكملة ٦١٤/٢/٥ « ١ـ ١٥» نفح الطيب ٤٨٦/٢ ـ ٤٨٧ «١ ـ ٧» (١٢ ـ ١٥)

٢ ـ المغرب والنفح « عرفات بعدكم»

٣ ـ النفح « نحن في الغرب ويجري ذكركم بغروب » المغرب : «وغروب الدمع تجري بيننا»

٦ ـ النفح « بالمنحنى »

٧ ـ النفح « من نحوكم »

١٢ ـ الشحط : البعد

١٣ ـ النفح « ياحادي الركب»

١٤ ـ النفح « مادعا »

١٥ ـ الذيل « إذا هب » وشام البرق : نظر إلى سحابته اين تمطر.

(٥٩)

وقال يتشوق لوطنه :

(من التقارب)

١ ـ غريبٌ تذكّر أوطانه		فهيّج بالذكرِ اشجانه
٢ ـ يحلّ عرى صبره بالأسى		ويعقد بالنّجمِ أجفانه
٣ ـ ويرسلُ للغرب من دَمعه		غروباً لتَسقي سكّانه

(٥٩) زاد المسافر ١١٥ « ١ ـ ٢» المغرب ٣٨٥/٢ « ١ـ ٣» نفح الطيب ٣٨٤/٢ « ١ـ٣»

٢ ـ المغرب « يحل جواه عقود العزاء »

(٦٠)

وقال وقد شهد العيد بطندقة من قرى مصر :

(من الطويل)

١ــشهدنا صلاة العيد في ارض غربة ... بأحواز مصر والأحبة قد بانوا

٢ــفقلت لخلّي في النوى جُد بدمعة ... فليس لنا الا المدامعَ قُربانُ

(٦٠) رحلة العبدري ٧١ ، نفح الطيب ٤٩٢/٢

٢ - النفح « جد بمدمع » .

الهاء

(٦١)

قال في الحكمة والخلق الاسلامي :

(من الطويل)

١ــ تنزّه عن العوراء مهما سمعتها ... صيانةَ نفس فهو بالحرّ أشبه

٢ــ اذا انت جاوبت السفيه مشاتماً ... فمن يتلقى الشّتم بالشّتم أسفه

(٦١) نفح الطيب ٤٨٥/٢

(٦٢) الياء

قال في ذم الفلاسفة :

« من المجتث »

١ ــ قل للزنادق عنّي ... قولا هو السيفُ أُمضيه

٢ ــ أرسلتُ شعري فيكم ... يغزوكم بقوافيه

٣ ــ صدعت لله فيه ... بالحق والحقُّ يُرضيه

٤ ــ كم ظامئٍ لكلامي ... يرويه عجباً فيرويه

٥ ــ وكمْ غليل فؤاد ... بصحة القول يشفيه

٦ ــ وراكبٍ لهواه ... عساه يوماً سيُثنيه

٧ ــ لعلكم أنْ تقولوا ... فإنكّم أهل تمويه

٨ ــ من كانَ جاهلَ شيء ... فلا يزالُ يُعاديه

٩ ــ هيهاتَ بغضيَ فيكم ... في الله والله يدريه

١٠ ــ وذلكَ العلمَ عندي ... لاخيرَ فيكمْ ولافيه

(٦٢) الذيل والتكملة ٦١٢/٢/٥

(٦٣)

وقال في جارية تركها بغرناطة : (من مخلع البسيط)

١ ــ طُول اغتراب وبَرح شَوق ِ لاصبْرَ والله لي عَـلَـيـه
٢ ــ اليكَ اشكو الّذي ألاقي ياخَيْـرَ من يُشتكى إليـه
٣ ــ ولي بِغـرناطةٍ حَبيـب قـد غَلّقَ الرَّهنَ في يَدَيْه
٤ ــ ودَّعتـه وهوً بارتمَاض يَظهـر لي بعضَ مـالـديه
٥ ــ فلو تَـرى طَلَّ نَرجسيهُ يَنْهَلُ في وردِ صَفحتَيـه
٦ ــ أَبصرتَ دراً عـلى عقيقٍ مـن دَمعِه فوقَ وَجنتَيـه

(٦٣) المغرب ٢/ ٣٨٤ – ٣٨٥ ، نفح الطيب ٢/٣٨٦
٤ – النفح « وهو في دلال » والا رتماض من قولهم : ارتمض فلان من كذا بمعنى اشتد عليه واقلقه
٥ – النفح « في ورد وجنتيه »
٦ – النفح « فوق صفحتيه »

(٦٤)

قال لما رأى البيت الحرام زاده الله شرفاً : (من المقارب)

١ ــ بدَتْ لي أَعـلامُ بيتِ الهدى بمكةَ والنور بادٍ عَليـه
٢ ــ فأحرمت شوقاً له بالهوى وأهديت قلـبي هَدياً إليــه

(٦٤) نفح الطيب ٢/ ٣٨٤

(٦٥)

ومن أبدع ماأنشده اول رحلته الى الديار المقدسة :

(من الخفيف)

١ ــ طالَ شَوقي الى بقاعٍ ثَلاث لاتشـدّ الرِّحـالُ الا الـيـها
٢ ــ إنَّ للنفـسِ في سَمـاءِ الأماني طَائراً لايَحـوم الا عليهـا
٣ ــ قُصَّ منه الجَناحُ فهو مَهيضٌ كلَّ يَومٍ يَرجو الوقوع لديها

(٦٥) نفح الطيب ٢/ ٤٨٨
١ – في البيت اقتباس من الحديث الشريف « لا تشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى « صحيح البخاري /٢/ ٧٣ »

(٦٦)

وقال يذم الفلاسفة :

(من المجتث)

١ — الذّين يشكو بَليّه من فِرقَة منطِقيه

٢ — لايشهَدون صلاةً الا لمعنى التّقيه

٣ — ولا تَرى الشّرع الا سياسة مدنيه

٤ — ويؤثِرونَ عَليه مذاهباً فلسفيه

(٦٦) الذيل والتكملة ٥/٢/ ٦١١ — ٦١٢

(٦٧)

وقال ابن جبير في رحلته :

(من مجزوء الخفيف)

١ — سيكون الذي قُضي سَخِط العَبد او رَضِي

(الألف)

(٦٨)

قال حين دخل بغداد فاقتطع غصناً نضيراً فذوى في يده :

(من مجزوء الرجز)

١ — لاتغترب عن وطنٍ واذكر تصاريفَ النّوى

٢ — اما تَرى الغُصن اذا مافارقَ الأَصلَ ذَوى

(٦٧) رحلة ابن جبير ٢٨٩ .

(٦٨) نفح الطيب ٢/ ٣٨٢

المصادر والمراجع

١ ـ الاحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ) جـ١ ـ ٢ ط مؤسسة الخانجي القاهرة سنة ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤.

٢ ـ أدب الرحلات في الاسلام، احمد أبو سعد مقال بمجلة الثقافة العربية العدد ٩ السنة الثالثة ايلول ليبيا ١٩٧٦ .

٣ ـ ادب الرحلة عند العرب ، الدكتور حسني محمود حسني ، المكتبة الثقافية رقم ٣٣٥ القاهرة ١٩٧٦

٤ ـ انوار الربيع في انواع البديع ، علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت ١١٢٠هـ) تحقيق شاكر هادي شكر طه النعمان النجف ١٩٦٩ م .

٥ ـ ايضاح المكنون ، اسماعيل باشا جـ١ مكتبة الاسلامية والجعفري تبريزي. طهران ١٩٤٧

٦ ـ بدائع البدائه ، ابن ظافر الأزدي (ت ٦٤٣ هـ) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . ط١ الانجلو مصرية القاهرة ١٩٧٠م .

٧ ـ التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة، الدكتور عبد الرحمن الحجي ط١ دار القلم دمشق ١٩٧٦م .

٨ ـ تاريخ الادب الجغرافي، اغناطيوس كراتشكوفسكي ط ١ ـ ٢ ترجمة صلاح الدين عثمان لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٥٧.

٩ ـ تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس، الدكتور حسين مؤنس معهد الدراسات الاسلامية مدريد ١٩٦٧ م

١٠ ـ تاريخ الفكر الاندلسي ، بالنثيا ترجمة الدكتور حسين مؤنس ط١ النهضة المصرية ١٩٥٥ م .

١١ ـ تاريخ الموسيقى العربية هـ.ج فارمر ترجمة الدكتور حسين نصار مراجعة الدكتور عبد العزيز الأهواني مكتبة مصر بالفجالة ب.ت

١٢ ــ تراجم رجال القرنين السادس والسابع «(ذيل الروضتين)، ابو شامة المقدسي ط بيروت
١٣ ــ التعريفات ، ابوالحسن الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ط مصطفى البابي الحلبي ١٩٣٨م القاهرة
١٤ ــ التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار البلنسي (ت ٦٥٩هـ) ط العطار ١٩٥٥ م
١٥ ــ التكملة لوفيات النقلة، ابو محمد المنذري (ت ٦٥٦ هـ) جا ــ ٨ تحقيق الدكتور بشار عواد معروف ط الاداب النجف ١٩٧١م
١٦ ــ الحلل السندسية، شكيب ارسلان ط دار مكتبة الحياة بيروت ب.ت
١٧ ــ دائرة المعارف الاسلامية، مجموعة المستشرقين ترجمة محمد الفندي ــ احمد الشنتناوي ــ ابراهيم خورشيد ١٩٣٣م.
١٨ ــ ديوان ابن رشيق القيرواني، جمع وتحقيق عبدالرحمن ياغي ــ دار الثقافة بيروت .
١٩ ــ الذيل والتكملة، ابن عبدالملك المراكشي (ت ٧٠٣ هـ)
السفر الاول بقسمين تحقيق محمد بن شريفة دار الثقافة بيروت
بقية السفر الرابع تحقيق احسان عباس بيروت ١٩٦٤
السفر الخامس بقسمين احسان عباس بيروت ١٩٦٥
السفر السادس احسان عباس بيروت ١٩٦٥
٢٠ ــ الرحالة المسلمون في القرون الوسطى، الدكتور زكي محمد حسن دار المعارف ١٩٦٥ م القاهرة
٢١ ــ رحلة ابن جبير، تحقيق الدكتور حسين نصار، مكتبة مصر ١٩٥٥م
٢٢ ــ رحلة ابن جبير تقديم محمد مصطفى زيادة دار التحرير القاهرة ١٩٦٨
٢٣ ــ رحلة ابن جبير، دار صادر ودار بيروت بيروت ١٩٦٤م
٢٤ ــ رحلة ابن جبير، الدكتور حسين نصار مقال، بمجلة تراث الانسانية المجلد ١ وزارة الثقافة والارشاد . القاهرة ب.ت.

٢٥ ــ رحلة العبدري المسماة الرحلة المغربية، العبدري (ت بعد ٦٨٨هـ) تحقيق محمد الفاسي سلسلة الرحلات ٤ حجازية ١ المغرب ب. ت
٢٦ ــ رحلة العبدري، العبدري. ط البعث قسطنطينة كلية الآداب الجزائر ب. ت
٢٧ ــ الرحلات، الدكتور شوقي ضيف سلسلة فنون الادب العربي ، الفن القصصي ط٢ دار المعارف بمصر ١٩٥٦م
٢٨ ــ الروضتين في اخبار الدولتين، شهاب الدين ابو شامة المقدسي (ت ٦٦٥هـ) دار الجيل بيروت ط وادي النيل القاهرة ١٢٨٨هـ
٢٩ ــ سنن ابي داؤد، ابو داؤد الأزدي السجستاني والبابي الحلبي القاهرة ١٩٥٢م
٣٠ ــ شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩) . المكتب التجاري بيروت
٣١ ــ الشعر في عهد المرابطين والموحدين، الدكتور محمد مجيد السعيد اطروحة دكتوراه جامعة القاهرة ١٩٧٧
٣٢ ــ ابن صارة الاندلسي حياته وشعره (ت ٥١٧هـ) الدكتور مصطفى عوض الكريم ط مصر. الخرطوم
٣٣ ــ صحيح البخاري ، البخاري ط محمد علي صبيح واولاده القاهرة
٣٤ ــ صحيح مسلم، مسلم ط دار احياء الكتب العربية ١٩٥٥ القاهرة
٣٥ ــ طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين ابو نصر عبدالوهاب السبكي (ت ٧٧١هـ) ط الحسينية القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ .
٣٦ ــ غاية النهاية، ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) جا ــ ٢ نشرة ج ــ برجستر آسر ط الخانجي القاهرة ١٩٣٣م .
٣٧ ــ في التاريخ العباسي والفاطمي، الدكتور احمد مختار العبادي ــ دار النهضة بيروت ١٩٧١

٣٨ — فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤ هـ) جـ١ — ٤ تحقيق الدكتور احسان عباس دار الثقافة بيروت ١٩٧٤م .

٣٩ — قدماء ومعاصرون، الدكتور سامي الدهان دار المعارف بمصر ١٩٦١م.

٤٠ — كشف الظنون، حاجي خليفة الكاتب الجلبي (ت ١٠٦٧هـ) ط الاسلامية طهران ١٩٤٧م

٤١ — مجمع الأمثال. الميداني (ت ٥١٨هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ط٣ دار الفكر بيروت ١٩٧٢ .

٤٢ — المستقصى في أمثال العرب. الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) تحقيق الدكتور محمد عبد المعيد خان ط العثمانية. حيدراباد. الهند ١٩٦٢.

٤٣ — معرفة القراء الكبار ، الذهبي (ت ٧٤٨هـ) تحقيق سيد جاد الحق ط ١ دار الكتب الحديثة القاهرة ب.ت

٤٤ — المغرب في حلى المغرب، ستة من بني سعيد آخرهم علي بن موسى (ت ٦٧٢هـ) جـ١ — ٢ تحقيق الدكتور شوقي ضيف ط دار المعارف القاهرة ١٩٦٤م

٤٥ — المقتضب من كتاب تحفة القادم ، ابن الأبار القضاعي (ت ٦٥٨هـ) اختيار ابي اسحاق البلقيفي تحقيق ابراهيم الابياري ط الاميرية القاهرة ١٩٥٧م

٤٦ — النجوم الزاهرة ابن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤هـ) ط المؤسسة المصرية العامة القاهرة ب.ت .

٤٧ — نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ) تحقيق الدكتور احسان عباس ط١ دار صادر بيروت ١٩٦٨

٤٨ — النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب . الدكتور جمال الدين سرور ط ٤ دار الفكر العربي ١٩٦٤م.

اللّيلُ في الشِعرِ الجاهِليّ

جليل رشيد فالح

منهج البحث :

يزخر ديوان الشعر العربي في الحقبة الجاهلية بألوان شتى من اللوحات الوصفية عن الطبيعة بكل عناصرها ومكوناتها ، لذلك لم يكن ظاهرة غريبة أن يتمثل الشعر الطبيعة بحركتها وسكونها ، وبأحداثها المرئية المشهودة ، وما توحي به من أمور متخيلة غير مرئية .. فانعقدت دراسات عن الطبيعة في الشعر الجاهلي تكشف عن عمق اثرها في حياة الانسان العربي ، وانعكاس مظاهرها في الشعر انعكاساً قائماً على التفاعل الصميم بين الطبيعة والشاعر .

ورأيت أن هذه الدراسات لم تول ظاهرة الليل — وهي ابرز ظواهر الطبيعة — اهتماماً يذكر ، سوى شذرات لاتتجاوز حد الاشارة والتلميح .

واذا كان بين الشاعر والطبيعة من حوله هذا التفاعل الحيوي الفعال فان الليل الزمن يغطي من مساحة حياته شطر المناصفة .

فكان هذا البحث — لذلك — خطوة متأنية كان باعثها الرغبة في دراسة هذه الظاهرة دراسة انبثقت خطوطها من طبيعة الحديث الخاص للشاعر عن الليل .

ومن خلال النصوص الشعرية تبين أن الليل صور مختلفة شتى ، يجمع بينها رباط نفسي ، وتؤلف بين أجزائها مشاعر ذاتية تستوحى ابعادها من الليل الزمن ، فيتحول من خلال هذا التفاعل الى ليل نفسي تنسفح على صفحاته دفقات تلك المشاعر الذاتية والخلجات الوجدانية ..

ومن خلال هذا الملحظ الفني ينبثق خطان واضحان متميزان احتويا تلك المشاعر وتوزعا تلك الخلجات . فكان حصيلة ذلك ان تحدد هذا الخطان

في ليل الرهبة وليل الالفة .

وازاء هذين الخطين يبدو لنا . من خلال النصوص المتفرقة — ان هناك خطاً آخر . هو خط الليل الزمن — ، الا ان ملامحه لاتحمل من القوة ما نلحظه في ذينك الخطين الواضحين المتسمين بالقوة والفاعلية . وكان من مقتضيات الوفاء بمتطلبات الدراسة أن عقدنا له حديثاً وجيزاً من خلال أمثلته وشواهده دون الحاجة الى التفصيل والاسهاب ، لضيق دلالته التي تكون بمعزل عن الحدث الرئيس في النص ، فهو لايعدو ان يكون غير وعاء للحدث فحسب .

وكان ثمة لزام أن نوضح مدلول الرهبة والألفة وابعادهما النفسية العامة ليتسق لنا المنهج في توزيع عناصرهما توزيعاً ينأى بعض الشيء عن التعسف والتكلف .

ثم إن الليل في امثلة الرهبة والالفة يشكل الجزء الفعال في مجمل لوحة الحدث ، بحيث انه لو انسل عنصر الليل من اللوحة لما كان لها تلك الحيوية الفاعلة ، والخاصية المتميزة في تجسيده معنى الرهبة او الألفة .

ومن أجل ذلك كانت هناك — في الجزء الأخير من البحث — دراسة فنية تكشف عن الدلالات المنسجمة مع عنصر الليل من الفاظ وتراكيب وموسيقى وصور ، تتضح من خلال هذه العناصر الفنية أهمية وجود الليل الذي يعطي الحدث — كما أشرنا — مدلوله الحيوي رهبة كان او ألفة .

مدلول الرهبة والألفة :

خشية ان تذهب الظنون الى حصر معنى الرهبة — بصورة خاصة — في الفزع والخوف بمعياره العام المتعارف عليه ، نود ان نشير الى ان الرهبة التي جعلناها ملمحاً من ملامح الليل من خلال شعر هذه الحقبة انما نريد بها كل ما يستشفه الشاعر ويستشعره من امور يجدها من الأهمية القصوى بحيث تشغل باله وتستحوذ على حواسه ، وقد يكون

هذا الجو النفسي الذي يرسمه الشاعر باعثاً على الخوف او الفزع الى حد معين ، وقد يكون عنصر الخوف او الفزع ضرورياً وايجابياً في منح الفكرة حركة وفعالية .

فالرهبة إذن تعنى ان الموضوع بدرجة بالغة الأهمية تستوفز إزاءه احاسيس الشاعر لمواجهة موقف عسير بحيث تعتريه حالة من القلق والاضطراب الوجداني وعندئذ يكون لمجابهته أو تصديه معنى خاص يضفى على الحدث فعالية تلفت الأنظار وتدعو الى شيء من الإعجاب ولو في حدود اعجاب الشاعر بنفسه .

أما الألفة فأنها تعني كل الأحداث التي تتحرك في دائرة من الأجواء النفسية الهادئة الساكنة ، التي تنساب من خلالها المشاعر والاحاسيس ازاء الليل الزمن في رقة ودعة وشفافية يحس الشاعر ازاءها ان ليله هذا أنيس ودود وسمير حبيب الى النفس ، فيسرى بذلك — من خلال لوحة الليل — ارتياح نفسي الى اعماقه .. وكأن الليل هنا مرآة يشهد عليها خلجات نفسه الوادعة الأنيسة .

الشاعر والطبيعة :—

يشكل الليل جزءاً مهماً من أجزاء الطبيعة ، ولما كان الشاعر يتفاعل مع الطبيعة بكل أبعادها فإن من الضرورة التحدث عن علاقة الشاعر بالطبيعة عامة ، وتبيان موقفه منها وقدرته على توظيف عناصرها ومكوناتها في عمله الفني ، وصولاً إلى تمثل أبعاد اللوحة المتمثلة في الليل ، ليبدو لنا — بالتالي — أن منهج تعامله مع الليل إن هو الا صورة من صور تعامله مع الطبيعة التي يضطرب ضمن اطارها العام ؛ إذ أن ارتباط الانسان الجاهلي بالطبيعة إنما هو ارتباط عضوي لا انفصام بينهما . ذلك أنه حين يفتح عينيه على ماحوله يرى نفسه وهو في صميم الطبيعة المترامية الفسيحة جزءاً منها لايتجزأ .

والطبيعة هي التي تحدد مساره وانطلاقته ، بل هي التي ترسم له مناهج الحركة ضمن الأطر النفسية والسلوكية والاجتماعية المنبثقة من طبيعة هذا الوجود المحدد بسمات خاصة ، والتي تحلو مظاهرها في عينيه تارة ،وتبدو — تارة أُخرى — كالحة كئيبة ، وثالثة تظهر قاسية جافية .

والشاعر هو اللسان المعبر عن معاناة الانسان الذي يضطرب ضمن اطار الطبيعة المحدودة رغم امتدادها المترامي وتعدد عناصرها ،ومن هنا كان تعامله مع الطبيعة قائماً على التأثر والخوض في اعماق المشاهدات الحسية ليستجلى مما وراء الأشياء صورة عالمه النفسي ، عالم المشاعر والأمنيات ، عالم البحث عن الأمثل الأفضل.

ولذلك كان من التجني على شعر الطبيعة أن يرى محمد زكي العشماوي « أن شعر الطبيعة في الأدب العربي لم يكن في معظمه أكثر من تسجيلات لأدراكات حسية تظهر فيها مهارة الشاعر في الوصف،والتشبيه اعطاء صور متشابهة للشيء الذي يراه دون أن يتعمق إلى التعبير عن حالات روحية ، أو دون أن يشعرنا باندماج الشاعر مع الطبيعة وغنائه لها » (١)

ذلك أن الطبيعة جزء من وجود الشاعر، فهو يرى نفسه من خلال حركة العناصر في هذه الطبيعة ،وان كان في بعض أجزائها صامتة لاتتكلم ،رابضة لاتريم.

وكان حديث الشاعر الجاهلي عن الطبيعة متصلاً بدقائق الأشياء ،فقد استوعب في شعره كل ماحوته الطبيعة من عناصر تدل على انسجام وألفة وارتباط، كما تدل على وعي فني متكامل .

« وقد وهب الشاعر حساً دقيقاً بوحدات الصحراء المسموعة وأصوات الفلوات وأصوات اصدائها التي تتجاوب فيها إذا جنّ الليل ، وذهبوا مع مع الأوهام في تصور مصادرها ، فاعتقدوا انها من الجن تارة وانها من غير الجن تارة أُخرى » (٢)

(١) الأدب وقيم الحياة المعاصرة ص ٤٠٧

(٢) الطبيعة في الشعر الجاهلي ص ٢٣٦

وحين يكون اهتمام الشاعر بالطبيعة من حوله على هذا النحو الذي أسلفنا ،فليس من الغرابة ان نتلمس عنده لعناصر الطبيعة ومجاليها لوحات تحتاج إلى استجلاء وبحث ، ذلك أن الوقفات الجزئية عند بعض هذه المظاهر تحملنا على تأمل أطول وأدق ،حتى نصل انفسنا مع الشاعر في تملي معالم الجمال من خلال الرؤية الخاصة للشاعر.

« على أن العربي لماح يكتفي بنظرة إلى الشيء ، ولا يريد أن يطيلها ويتعرف تفاصيله، والشاعر بنوع خاص لايهمه الموصوف كله ، وانما يهمه منه شيات معينة ومعالم خاصة فهو يتحدث عنها ويدع غيرها ، ولقد يعود إلى فكرة سايقة ليزيدها وضوحاً او ليزيد نفسه رضا بتصويره الذي صوره(١)

الا ان هذه الشيات والمعالم تمثل لنا نقاط التلاحم الضارب بجذوره في أعماق نفسه ، بل هي التي تشخص ذروة التفاعل الوجداني الذي يعمق احساسنا بكل ما في اللوحة من معان وهواجس ومشاعر ، فهو حين يقف عند معلم من معالم الطبيعة وقفة خاصة يسكب عنده دفقة من احاسيسه المكثفة ، فانما يحقق بذلك وجوده الحقيقي ، اذ أن تناثر هذه الاحاسيس ضرب من القلق الذي يمزقه ، والحيرة التي تضيع عليه الرؤية العميقة ، ولكن كثافة اللوحة الطبيعية تعني الوعي المتفاعل بين الطبيعة التي يرتبط بها ارتباطاً مصيرياً وبين ما يعتمل في اعماقه .

من هنا كان لنا وقفة — من خلال هذا البحث — مع لوحة من لوحات الطبيعة تعامل معها الشاعر تعاملاً خاصاً متسماً بالحيوية والحركة سواء من خلال الفعل الشعوري او الفعل الفني — تلك هي لوحة الليل — كما اسلفنا، حيث حقق الشاعر الجاهلي فيها قدراً وافياً من الموازنة بين الحركة الشعورية والصورة الفنية .

وتتنوع ملامح الليل في الشعر الجاهلي وتتباين صوره وتختلف دلالته ، ومرد ذلك الى تنوع المشاعر والمواقف لدى الشاعر نفسه ، حتى ان خلجاته

(١) اغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي ص ١٦٧

الداخلية وما ينتابه من احاسيس انما تضفي على الليل تلك السمة المتساوقة مع تلك الخلجات والاحاسيس «فان العلاقة بين صوره من جهة ومشاعره من جهة اخرى ليست علاقة تضايف وإلحاق ، بل هي علاقة صميمية تعكس توحد الانسان بالطبيعة كما تعكس تمثل هذه الطبيعة للانسان » (١) .

ليل الرهبة :

ان التصاق الانسان بحياة الصحراء الفسيحة المنبسطة جعله يتوجس خيفة مما تضمره في طواياها ، ولذلك فانه لايحس بأن بينه وبينها صلة من ود او وشيجة من ألفة ، كما يحس انها لم توفر له شيئاً من الطمأنينة النفسية ، وهو يعايشها معايشة حياة او مصير ، سواء اكانت هذه المعايشة على هامش الحياة أم في صميمها ، لذلك فقد تصور العربي عالمه الذي يمتد امام عينيه امتداداً لانهاية له ، يخفي في طياته اسراراً لم تكشف ، ويحس أن وراء هذه المجاهيل كائنات هي اقوى منه ، تتحكم في حياته وتمسك على زمام مصيره ، فتصور الصحراء عالماً مشحوناً بالجن ، كما تصور طبيعة الحياة التي يحياها الجن ، وتوهم أن لابد من أن يتقي شرور هذا العالم المجهول ، فكانت الآلهة التي تعبد وسيلته في اتقاء الشرور ودفع المكاره .

« ولم يكن انسان الصحراء ليشعر يوماً انه وحيد ، وأن ليس من احد سواه في هذه القفار المترامية ، فاذا خلت من بشر لم تخل من حيوان مستأنس او متوحش ، واذا خلت منهما لم تخل من ارواح تمضي وتجيء ، وهو لايراها لكنه يحس بها ، اما هي فتراه وتحس به في طوافه وتجواله ، يحمل في حقيبته الهه الصغير وفي صدره طقوس الهه الكبير وتنظر اليه عيون الآلهة من وراء قبة الليل المدلهم » (٢)

ان تصور عالم الصحراء على هذه الصورة عمق من احاسيسهم بترقب الشر ، فالمثقب العبدي يحس ان الشر يبتغيه انى رحل فيقول (٣) :

(١) مقدمة للشعر الجاهلي ص ٤٥ مجلة المعرفة السورية ، العدد ١٥١ ايلول ١٩٧٤

(٢) الاسطورة والرمز في الأدب الجاهلي صـ ٩٧ من مجموعة بحوث بعنوان (الشعر والمجتمع)

(٣) ديوان شعر المثقب العبدي ٢١٢ — ٢١٣

وما أدري اذا يممت أرضاً أريد الخير أيهما يليني
أألخير الذي أنا ابتغيه أم الشر الذي هو يبتغيني

يقول المسعودي في تعليل لهذا الوهم الذي قد ألم بالعرب في جاهليتهم «وقد تنازع الناس في الهواتف والجان ، فذكر فريق ان ما تذكره العرب وتنبيء به من ذلك انما يعترض لها من قبل التوحد في القفار ، والتفرد في الأودية ، والسلوك في المهامة المغولة والمروريات الموحشة ، واذا هو جبن داخلته الظنون الكاذبة و الأوهام المؤذية السوداوية الفاسدة ، فصورت له الأصوات ومثلت له الاشخاص وأوهمته المحال ، بنحو ما يعرض للذي الوسلوس .... لأن المتفرد في القفار والمتوحد في المروراة مستشعر للمخاوف متوهم للمتالف متوقع للحتوف لقوة الظنون الفاسدة على فكره وانغراسها في نفسه فيتوهم ما يحكيه من هتف الهواتف واعتراض الجان له » (١)

ومما تركته الصحراء الموحشة في نفوس العرب أن كثيراً من الأمور المتوهمة سيطر على عقولهم ونفوسهم ، فكان من آثار ذلك الزجر والعيافة ، فالزجر هو زجر الطيور والوحش وإثارتها تفاؤلاً او تشاؤماً . والعيافة هي التكهن بالطير وغيرها ، وكذلك التطير مما يكرهون ، اذ يداخلهم خوف من وقوع مكروه ، وكانت لهم عادات وممارسات تتصل بما يجول في دخائل النفوس من خوف ورعب مما يتمخض عنه المجهول ، ومن ذلك عقر الابل على القبور ، والهامة والصدى وتمائم للوقاية من الحسد والجن (٢) .

واذا كانت الحياة العربية محفوفة بالمجهول حافلة بكل ما يبعث في جنبات النفس من هواجس ومخاوف فاننا نعتقد ان الليل يضيف ملمحاً آخر يعمق من احساس العربي بالخوف ويجعله على جانب كبير من الحذر والحيطة .

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر ج٢ ص ٢٩٥ — ٢٩٦
(٢) ينظر (الحياة العربية من الشعر الجاهلي) للوقوف على تفاصيل العقائد والعادات التي تتصل بهذا الجانب — الباب الرابع ٣٧٠— ٤٣١ ، والباب الخامس ٤٣٤ — ٥١٠

ومن خلال حديث الشاعر عن الليل نجد عنصر الرهبة متجسداً خلال لوحاته ، وحتى في حديثه عن التحدى يشعرنا أن الليل رهيب لايقتحم . وأن وراء سجف الظلام أهوالا ضخاماً . وهو مع كل ذلك يقدم دون أن يبالي بما يضمره له الليل البهيم وراء استاره السود، فقيمة التحدى تتحدد بعظم استثارة الرهبة من أجواء الليل ، فهاهو المرقش الأكبر يجتاز الدوية الغبراء على ماحفها من امور تحول دون المضي.

يقول : (١)

ودوية غبراء قد طال عهدها | تهالك فيها الورد والمرء ناعس
قطعت إلى معروفها منكراتها | بعيهمة تنسل والليل دامس
تركت بها ليلاً طويلاً ومنزلاً | وموقد لنار لم ترمه القوابس
وتسمع تزقاء من البوم حولنا | كما ضربت بعد الهدو النواقس
فيصبح ملقى رحلها حيث عرست | من الليل قد دبت عليه الروامس

انه يشير بذلك إلى أن الصحراء مهلكة ،ومع هذا فانه صم على أن يسلكها متخطياً عسر المسالك فيها . ثم يجعل الليل الدامس وعاء لهذه الحركة التي يحف بها الهلاك إشعاراً بأن الامر اشد عسراً وأن الهلاك اقرب إلى السالك . ويكون أعشى قيس أكثر امعاناً في تجسيد الرهبة من خلال رحلة أخرى متحدية حين يقول (٢)

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة | للجن بالليل في حافاتها زجل
لايتنمى لها بالقيظ يركبها | الاالذين لهم فيما أتوا مهل
قطعتها بطليح حرة سرح | في مرفقيها إذا استعرضتها فتل
يل هل ترى عارضاً قد بت ارمقه | كأنما البرق في حافاته الشعل

فهو يعرض لذكر الجن من خلال الليل فيزيده ذلك رهبة وفزعاً اكثر

---

(١) شعراء النصرانية قبل الاسلام ٢٩٠

(٢) المصدر نفسه ٣٦٨

مما لو جعل الليل المظلم وحده وعاء لحركته واضطرابه وتكون لوحة اعشى قيس بهذه الاضافة الفنية أكثر عمقاً من لوحة المرقش الأكبر.

ويقترن التحدى بالليل في أكثر من لوحة عند شعراء الجاهلية حتى أصبح ذلك ظاهرة . ولا تعليل لها غير أن الليل عند الجاهلي يوحي بالرهبة . وهو بذلك يعطي لتحديه بعداً بطولياً يسترضي بايراده الآخرين . وكأن المتحدي يعدم مايلتمسه من صور النهار ، لأن وضح النهار عند العربي رمز الصفاء والسكينة والبسمة والأمل. وهو آمن في نهاره قدر ما يخالجه الخوف والرهبة من هذا الليل الدامس الذي يتساوى فيها الأعمى والبصير . كما أشار إلى ذلك اعشى قيس في قوله (١١).

وليل يقول القوم من ظلماته   سواء بصيرات العيون وعورها
كأن لنا منه بيوتا حصينة   مسوحاً اعاليها وساجاً كسورها
تجاوزته حتى مضى مدلهمه   ولاح من الشمس المضيئة نورها

وادلهام الليل بسواده الكثيف يوحي إلى الاعشى ان جدراناً عالية تطاول السماء قد قامت من حول مسكنه فجعلتها حصوناً حصينة وقلاعاً شامخة .

ثم إن الليل الرهيب على الصورة التي تأملها لم يحل بينه وبين المضي . وينتهي مدلول البطولة او أن الشاعر ينهي مدلول البطولة وحدودها عند اضاءة نور الشمس وكأنه يقول :

ليس للتحدي وقع في النفوس إذا اقترن بوضح النهار.

ودريد بن الصمة يعرض المعنى نفسه في صورة مماثلة مما يألفه القاريء عند الشعراء الآخرين وهو يختار الليل عنصراً من عناصر رحلاته الشاقة العسيرة ليكون له احسن الوقع في النفوس فيقول : (١٢)

وما قصرت يدي عن عظم أمر   اهم به ولا سهمي بنكس
وما أنا بالمزجى حين يسمو   عظيم في الامور ولا بوهس

---

(١١) المصدر نفسه ٣٩٠

(١٢) المصدر نفسه ٧٦٧

وقد أجتاز عرض الحزن ليلاً بأعبس من جمال الغيد حلس
كأن على تنائفه إذا ما اضاءت شمسه اثواب ورس

الا أن دريداً حين يقرن مضيه بالليل دون غيره من الأوقات فهو في موقف دفاع عن النفس وكأنه مرمي بالتقصير والتهاون فأراد أن يثبت أنه غير ذلك ولذلك وجد انه ينبغي أن تكون لهجته متسمة بشيء من العنف وأن يجعل تحديه مقترناً بما يعيه الذهن العربي من عناصر الرهبة المعروفة والليل يحقق للشاعر مايسعى إلى تصويره وتجسيده .

وتتجلى براعة عنترة في توظيف صورة الليل لتصوير معركة نهارية احتدمت حتى ثار فيها الرهج كثيفاً مدلهماً استحالت معه الهاجرة إلى ظلمة جوالة شاملة أرجاء المعركة.

يقول عنترة (١٣)

ودرنا كما دارت على قطبها الرحى ودارت على هام الرجال الصفائح
بهاجرة حتى تغيب نورها وأقبل ليل يقبض الطرف سائح

وفي موضع آخر يقرن عنترة الليل بالأقدام والمضي : فيقول (١٤)

وصحابة شم الأنوف بعثتهم ليلاً وقد مال الكرى بطلاها
وسريت في وعث الظلام اقودهم حتى رأيت الشمس زال ضحاها

إنه يجعل نهاية الليل وبدء انبلاج الصباح آخر ما يقترن الحديث بالزمن. فهو وغيره من الشعراء لايتجاوزون هذا الاطار الزمني وكأن الليل هو ساحة البطولات الفذة التي تجلب الاعجاب والتقدير.

وتتكرر الصورة عند عنترة أكثر من غيره ، يقول (١٥)

وكيف أخشى من الأيام نائبة والدهر اهون ماعندي نوائبه
كم ليلة سرت في البيداء منفرداً والليل للغرب قد مالت كواكبه

---

(١٣) ديوان عنترة . تحقيق محمد سعيد مولوى ٣٠١.
(١٤) المصدر نفسة ٣٠٥ — ٣٠٦
(١٥) شعراء النصرانية قبل الاسلام . — ٨١٨ ديوان عنترة دار صادر ٩١ .

ان السير في البيداء منفرداً أمر لايخلو من خطورة ، وقد يقوم بهذه الرحلة كل من ارتبط مصيره بمثل هذه البيئة . ولكن السير في الليل منفرداً لايتأتى إلا ممن اوتي نصيباً وافراً من الشجاعة والاقدام .

ويقول ايضاً : (١٦)

اطوى فيافي الفلا والليل معتكر واقطع البيد والرمضاء تستعر
ولا ارى مؤنساً غير الحسام وإن قل الأعادى غداة الروع او كثروا

ولا يغير من نظرتنا الى استخدام الليل عنصراً من عناصر التحدي ان يستعير عنترة من النهار صورة الى جوار صورة الليل هي الاخرى تعبر عن التحدي. فالفرق هنا ان الليل مستخدم بصورته الماثلة للعيان ظرفاً زمانياً له سماته المحددة . اما النهار فلم يستخدم هنا بوصفه ظرفاً زمانياً . كما استخدم الليل، بل ان الشاعر استعار من النهار صورة هي بحد ذاتها دالة على التحدي وهي صورة الرمضاء مستعرة اي الارض التي ألهبها حر الصيف .

ويتفاوت الشعراء في القدرة الفنية على تجسيد الجو الرهيب الذي يبرز من خلاله التحدي والمضاء .

وبعض من الشعراء يقف عند الليل فلا يورده لمجرد أنه ظرف زماني معتم بهيم . بل يضيف اليه ملامح اخرى يزيده جهامة . ويكون لصورته وقع للرهبة اشد . وهنا يقف الأسود الجعفي ازاء الليل ليضيف اليه ما بدا له من ملامح وذلك بقوله (١٧)

ومن الليالي ليلة مزؤودة غبراء ليس لمن تجشمها هدى
كلفت نفسي حدها ومراسها وعلمت ان القوم ليس لهم غنى

فليل الاسود الجعفي يبث الذعر والهلع في النفوس . ومن تكلف خوضه ضل في غمراته ولم يتبين له المخرج ، فاذا كان هذا شأن الليل فان من الشجاعة الخارقة ان يكلف الشاعر نفسه حدها ومراسها ، على حد تعبيره .ومما يتصل بجو الرهبة ذلك الشعر الذي يتحدث فيه الشاعر عن همومه وأحزانه،وليل

(١٦) شعراء النصرانية قبل الاسلام ٨٣٧ – ديوان عنترة دار صادر ١٤٣
(١٧) الأصمعيات ١٤٣

الحزين من أشد الليالي وطأة على النفس ،ولذلك ضاق به الشاعر الجاهلي ذرعاً ، فعرض له في شعره مستمداً صورة مما يشيع في جنباته من سمات الخوف والرهبة والفزع مجسداً من خلال ذلك احزانه وآلامه . وامرؤالقيس من أدق شعراء الجاهلية تصويراً لأحزانه وهمومه إذ يقترن ذلك بالليل أوثق اقتران . ففي لوحة من لوحات معلقته تتتابع الصور الليلية تتابعاً يتساوق الشكل مع المضمون تساوقاً فنياً يفضي الى الاحساس بأن الليل كابوس ثقيل يجثم على الصدور حتى لايدع للمرء متنفساً .

وليل كموج البحر ارخى سدولـــه   علي بانواع الهموم ليبتـــلي
فقلت له لما تمـطــى بـصلــبه   وأردف اعجازا وناء بكلكـل
الا ايـــها الليل الطـويل الانـــجل   بصبح وما الاصباح منك بأمثل
فيالــك من لــيـل كــأن نـجـومه   بكل مغار الفتل شدت بيذبـل
كأن الثريا علـقت فـي مـصامها   بامراس كتان الى صم جندل(١٨)

واوضح ما في هذه اللوحة تنوع الصور . فالليل تارة بحر تتلاطم امواجه. وهنا يهدف الشاعر الى تجسيد الظلمة الرهيبة امعاناً في اشعـار السامع بأن الهموم التي تمور بها جوانحه ليست من قبيل الهموم العابرة التي يمكن ان يسلو عنها الانسان بسرعة . وانما هي هموم متراكبة ومن خلال «ارخى سدوله» يرى الاستاذ ايليا حاوى ان هناك صورة متوازية وراء الصورة الظاهرة ويعني بها صورة البحر . ويعلل انبعاث الصورة الثانية «ان الشاعر في غفلة الذهول تمثل له الليل وكأنه خيمة هائلة تغمر الكون ، وليس الظلام سوى سدول تلك الخيمة الهائلة» (١٩)

وألمح من خلال هذا البيت أن الشاعر عمـد الى تشبيه الهموم بأستار سوداء كثيفة تحجب الضوء ، وتراكب الصور هو الذي يوحي الينا بسواد هذه الأستار المسدلة لاقتران صورتها بالليل المظلم البهيم .

---

(١٨) ديوان امريء القيس ١٨ — ١٩
(١٩) امرؤ القيس شاعر المرأة والطبيعة ١٤٩

وتارة اخرى يمضي الشاعر ليستعير صورة الجمل الجاثم على الارض لايريم ليعمق إحساسنا بوطأة الليل على نفسه وهو يجتر آلامه الثقال . هذا الجمل يقترن وجوده الحي بما يحتل من حياة العربي في الصحراء من مهابة وتقدير. انه مثال الضخامة والثقل والتباطؤ. اذن فليلتقط من هذا الحيوان صورة الضخامة والثقل والتباطؤ . فيضيفها الى لوحة الليل عنواناً لكبر همومه التي اقترنت بالليل الذي لايحس بحركته ،ولئن أحسسنا برهبة الليل البهيم وسواده المدلهم من خلال البحر والأستار المسدلة فان الشاعر هنا يجسد لنا ضخامة هذا الليل وثقل وطأته على نفس الشاعر ،ولا بد ان الشاعر قد شهد من خلال المعايشة اليومية إن جملاً قد جثم بكلكله على انسان . او انه تصور مقدار هول المنظر لو ان جملاً جثم على انسان .

ثم تنطلق صرخة الضيق والبرم من الشاعر يريد بمحاولة يائسة ان يدفع هذا الثقل الجسيم الذي أضناه وأجهده ،يصف الاستاذ ايليا حاوي هذه الصيحة بصيحة اليأس والانسحاق (٢٠) وقد حمله على هذا الوصف ما جاء في الشطر الثاني بأن آماله لن تتحقق وان انجلى هذا الليل ووافي النهار بانواره الساطعة . اذن ليست المشكلة مشكلة ليل يلف الكون بسواده فيضيق به صدر الشاعر وانما هي «نفس الشاعر التي أدلهت باليأس والحزن والالم . ووجدانه الذي أثقل بالهم والبؤس والفشل ...... واذن فوصف الليل هنا تجربة وجدانية مفاضة من أعماق الشاعر . لقد أظلم الليل في ضميره وارخى سدوله على أفق خياله فإذا هي سدول همّ لاسدول ظلمة » (٢١)

ثم يفقد الأمل في انجلاء هذا الليل كفقدان الأمل في أن يسرى عن همومه او بعض همومه ،ولذلك نلمح في نهاية مطاف هذا الصراع النفسي استسلاماً مريراً هدأت فيه سورة الغضب والتمرد لنصغي إلى نبرة باكية مشوبة بغضب المستسلم فيتحول الليل إلى كائن رابض على الأرض مشدودة نجومه بحبال قوية إلى جبل ضخم أصم.

(٢٠) المصدر نفسه ١٥٣

(٢١) امراء الشعر في العصر الجاهلي ١/٢٠٨

وقد حمل الدكتور سيد نوفل هذه النفثات الشعورية على أن الشاعر يفلسف الطبيعة . ويصورها على غراره ويسكب فيها فكره .وفي ايضاح هذه الفلسفة استخدم الفن البياني أدق استخدام فبدأ الهم مجسماً في الألفاظ والمعاني (٢٢).

ويبدو لي أن حمل ذلك على الفلسفة أمر ينافي الطبيعة الشاعرية التي ملأت جوانح امريء القيس كما ينافي الفن الذي استولى على زمامه ببراعة متناهية . فالفلسفة وعي متكامل للحياة يتسم بالعمق والاستيعاب بحيث يجعل الانسان صاحب موقف يفسر أحداث حياته في ضوء احكام هي إلى العقلانية اقرب ورؤية محدودة المعالم والسمات . وهذا التعليل الذي اورده الدكتور سيد نوفل يبعدنا عن الجو الشاعري الذي ينسجم فيه القاريء مع الشاعر انسجاماً نفسياً قبل أن يكون انسجاماً فكرياً .

ولعل هذا التعليل لايتفق مع ماذهب اليه الدكتور سيد نوفل في موضع آخر من كتابه.

حيث يقول « وهذه البساطة طبيعية في حياتهم الساذجة التي لم تعقدها الحضارة » ويقول ايضاً « يصف الحاضر المشاهد في غير مغالاة ولا اسراف ،وخياله محدود لايبلغ درجة التخيل وابداع مخلوقات غريبة » (٢٤)

ويقول أيضاً « لكن الشاعر على هذا الصدق دائم الجيشان النفسي شديد الشعور سريع التأثر » (٢٥)

إن ليل الحزين يقترن بالسهد ومجانبة الرقاد فبمقدار تلبد الهموم في حنايا النفس يتجسد الليل الذي يزايل فيه النوم عين المؤرق المسهد . وهنا يعود امرؤ القيس ليتولى صورة الليل مقترناً بالسهد والأرق ، يقول (٢٦)

---

(٢٢) شعر الطبيعة في الأدب العربي ٣٨

(٢٣) المصدر نفسه ٦٢

(٢٤) المصدر نفسه٦٣

(٢٥) المصدرنفسه٦٤

(٢٦) ديوان امريء القيس ١٨٥

تطـاول ليـلـك بالأثمد ونام الخلي ولـم تـرقـد
وبات وباتـت لـه ليـلـة كليلة ذي العـائـر الأرمد

واستعانته بالليل لتصوير همومه يتجاوز الحد الأدنى لهذه الاستعانة حتى يعمد إلى المجاز الذي يسميه البلاغيون بالمجاز العقلي حيث يسند فعل المبيت إلى الليل نفسه . وكأن الليل هو المؤرق المسهد . ثم يفجأنا بتشبيه سهاد الليل بليل آخر يعاني فيه العائر وجعاً في عينيه .

واذا كان ليل امرىء القيس مصوراً لنزعات رجل مترف يعيش لذاته، ولا يجد في كل ممارساته اليومية مقنعاً يملأ عليه احساسه بالفراغ . ، فان هناك رجلاً استبدت به الهواجس والهموم، وأقضت مضجعه قضية تتعلق بكرامته، ذلك هو النابغة الذبياني .

ضاقت الأرض على رحبها بالرجل بعد ان وجد نفسه طريداً مهدداً بالموت إثر وشاية من شانئيه، وهو الرجل الذي تأبى عليه أخلاقه العربية ان يرد موارد التهمة فضلاً عن ارتكاب فاحشة . فهو يبذل جهداً غير اعتيادي لاظهار براءته ،فليله يجسد له هذه الهموم اللاهبة والأحزان المؤرقة ،ذلك الليل هو ليل نفسي، وليس ليلاً علمياً، لأن الشاعر نقض حدود التعقل والمنطق، ونما اليه حالة نفسية جعلته ليلاً يخالف سائر الليالي بتباطئه وعدم انحساره» (٢٧)

يقول النابغة (٢٨) :

كليني لهم ياأميمة ناصب وليـل أقاسيـه بطـيء الكواكب
وصـدر أراح الليل عازب همه تضاعـف فيـه الحزن من كل جانب
تقاعس حتى قلـت ليس بمنقض وليس الذي يرعى النجوم بآيب

يقرب النابغة في نزعته الفنية من امرىء القيس في تصور الليل ثقيلا متباطئاً او مشدوداً الى موضع ثابت حتى يئس من زواله.

(٢٧) النابغة : سياسته وفنه ونفسيته ص ١٧٧
(٢٨) ديوان النابغة الذبياني ص ٥٤ — ٥٥

والشعراء الآخرون حين تستبد بهم الهموم والأحزان يغمسون ريشة الفن في سواد الليل يلونون به مشاعرهم ، فاذا بهذه الاحاسيس تستشعر الليل طويلاً لاأمل من انبلاج الصبح بعده، ولذلك تتكرر هذه النبرة عند اكثر من شاعر.

وحين يقول المهلهل :

بـات ليـلي بالأنعمـين طـويـلا   أرقـب النجم سـاهراً لن يزولا

فان الشطر الاول من بيته ليس إلا حديثاً مباشراً عن طول الليل، وحين تعوزنا الصورة التي تجسد الطول والاحساس به إحساساً ينفذ الى اعماقنا فأن ذلك نلتمسه في الشطر الثاني في حركة الترقب للفجر الذي يمني نفسه بانبلاجه ، ولكن أفق الأمل يضيق حين يرى النجم ثابتاً لايريم، ساهراً لن يزول ، فهنا تضيق النفس بهذا الليل الراكد الجاثم .

والحارث بن عباد يضرب على الوتر في الاحساس بطول الليل من خلال تلبد الهموم في آفاق نفسه . وذلك من خلال قوله (٣٠) :

قـربا مـربط النعـامة مني   للسرى والـغـدو والآصـال
قـربا مـربط النعـامة مني   طـال ليلي على الليـالي الطوال

إن هموم الشاعر هنا تبلغ الذروة ، حتى تصور أنه لم تمرّ به ليلة طويلة كهذه الليلة التي يترقب زوالها لأن وراءه أمراً مهماً يشغل باله ويملأ عليه أقطار نفسه.

ومعاناة المثقب العبدي تبدو لنا واضحة ، واستعانته بالليل في تصوير هذه المعاناة أكثر وضوحاً، حين جعله هو الذي يكدس همومه في صدر الشاعر ،

يقول المثقب العبدي (٣١)

ظللـت أرد العـين عن عبراتها   اذا نـزفت كانت سراعاً جمومها
كـأني أقـاسي من سوابق عبرة   ومن ليلة قد ضاق صدري همومها

(٢٩) شعراء النصرانية قبل الاسلام ص ١٧٨
(٣٠) المصدر نفسه ص ٢٧٢
(٣١) ديوان شعر المثقب العبدي ٢٣٦

فليلة الشاعر تقف منه موقف المعاداة حين أترعت صدره بهذه الهموم الثقال ،
فاذا كان في شواهد الشعراء الآخرين إلماح الى معاداة الليل للشاعر فإن المثقب
قد جسد لنا عداء الليل له بوضوح .

وعدى بن زيد العبادى ينحو في موقفه من الليل منحى الشعراء الآخرين
في ذكر الليل الطويل ، وأضاف إلى طول الليل وصفاً آخر نلمح من خلاله
ضيقه وألمه بهذا الليل الطويل . حيث يقول (٣٢)

طال ذا الليل علينا فاعتكر   وكأني ناذر الصبح سمر
من نجيّ الهم عندي ثاويا   فوق ما اعلن منه واسر
وكأن الليل فيه مثله   ولقدماً ظن بالليل القصر
لم أغمض طوله حتى انقضى   أتمنى لو ارى الصبح جشر

إن الهم قد جعله يشعر بطول الليل واعتكاره ، وتعبيره عن هذا الشعور
جاء على صورة معادلة بين الهم والليل ، كما جعل لضيقه الذي يعتلج في صدره
منافذ الأمل في انقضاء الليل وإسفار الصبح . ومن خلال ذلك نحس أن
الرجل يملك طاقة نفسية داخلية يعالج بها معاناته ، وقد حافظ على توازنه
ولم يكن مستسلما لليأس كما استسلم له امرؤ القيس والنابغة على النحو الذي
رأيناه من قبل .وعنترة يستثمر اللون في تصوير حزنه ، فالسواد الذي التمسه
لوناً لأحزانه هو من نفثات الأحاسيس الداخلية .فلونه الأسود يشكل في اعماق
نفسه عقدة والليل بسواده هو الآخر يشعره بمأساته الشخصية ، كما هو اللون
الذي يتسق مع همومه وأحزانه ،ومن أجل ذلك كان سواد الليل هو سبيله
إلى تصوير مشاعره . كما هو واضح في قوله (٣٣) .

ترى هل علمت اليوم مقتل مالك   ومصرعه في ذلة وهوان
فان كان حقاً فالنجوم لفقده   تغيب ويهوى بعده القمران
لقد كان يوماً اسود الليل عابساً   يخاف بلاه طارق الحدثان

(٣٢) ديوان عدى بن زيد العبادي ٥٩
(٣٣) شعراء النصرانية قبل الاسلام ٨٧٦

ولأكثر من شاعر إشارة خاصة إلى ليلة بعينها يسمونها ليل التمام (بكسر التاء) اطول ليلة من ليالي الشتاء وهي عندهم رمز لأشد مايعانيه الشاعر من ضيق وبرم يصلان حد الرهبة والفزع .

وليل التمام لاتختلف أجواؤه في جانب تصوير الجو الرهيب عن بقية الليالي الا بما تلقيه في أعماق النفس من استشعار الطول والتباطؤ ، أو بالاحرى سرعة استشعاره الطول والتباطؤ . وقد يشعر السامع شدة ما يلقي الليل في أعماق النفوس من ظلال ثقيلة بتوافر عناصر أخرى هي التي تعمق الاحساس برهبة الليل ، ولكن ليل التمام بحد ذاته يلقي في النفس هذا الشعور الطاغي بصورة مباشرة دون تضافر العناصر الاخرى ، وربما توفرت عناصر اخرى في البيت والمقطع ، ولكن مع ذلك يظل ليل التمام مؤدياً المهمة الفنية او الشعورية بذاته .

يقول امرؤ القيس (٣٤)

أعني على التهمام والذكرات يبتن على ذي الهم معتكرات
بليل التمام أو وصلن بمثله مقايسة ايامها نكرات

إن أجواء البيتين توحي بالهموم والادكار ، ولكنه عبر عن مشاعره هذه بربطها بليل التمام . ومن شدة ما يعاني عمد الى إعطاء الملمح الأعمق لهذا الشعور . فلم يكتف بليل واحد من ليالي التمام . بل ضاعفه بقوله : او وصلن بمثله فيتعمق الاحساس بما يبث من شكوى وألم ، ومن خلال جو غير جو الحزن والالم يعرض امرؤ القيس لليل التمام اذ يقول (٣٥) .

كأن المدام وصوب الغمام وريح الخزامى ونشر القطر
يعلّ به برد انيابها اذا طرب الطائر المستحر
فبت اكابد ليل التمام والقلب من خشية مقشعر

(٣٤) ديوان امرىء القيس ٧٨ – ٧٩
(٣٥) المصدر نفسه ١٥٧ – ١٥٨

إنه على موعد، فكان الجو مشعراً بالأنس إلا أنه مشوب بالخوف، ممّ يخاف امرؤ القيس ؟ لاندري . وليس المهم ان ندري. انما الذي يهمنا ان نحس بأن امرأ القيس خائف . وقلبه من شدة الخوف قد اعترته هزة وقشعريرة، وكأني به ينتظر امراً ويخشى ان تفوته الفرصة . وما كان يعانيه من ثقل الوقت، ووقت المنتظر بطيء ثقيل. وما كان يخشاه أن يحول دون تحقيق امنيته كل ذلك يرسم جو الرهبة . وليس أوقع في النفس من رسم الصورة من خلال ليل التمام الطويل بذاته والطويل من خلال معاناة الشاعر المنتظر .

ويرتبط ليل التمام عند متمم بن نويرة بمكرمة من المكارم التي يعتد بها العرب ضمن ممارسة الحياة اليومية حيث يقول (٣٦)

لعمرى لنعم المرء يطرق ضيفه	اذا بان من ليل التمام هزيع
بذول لما في رحله غير زمج	اذا ابرز الحور الروائع جوع

إنه يثني على صاحبه لكرمه . وقد يكون هذا المعنى معاداً معروفاً عند الشعراء، ولكن ليل التمام يمنح ممارسة الكرم ملمحاً معنوياً يتسم بالعمق ودلالة فنية يتجلى فيها الوضوح والدقة . إنه يخلق لهذه الخصلة اطاراً خاصاً تتحرك ضمنه على صورة متميزة، فليل التمام اكثر ليالي الشتاء طولاً، وضيوفه يفدون عليه بعد ان يمضي هزيع من هذا الليل الطويل فينهض لأداء الواجب والوقت وقت إخلاد الى النوم والراحة . فهو يضحي براحته ويظل ساهراً قائماً على تكريم ضيوفه طوال ذلك الليل غير برم أو ضجر ، وحين نرصد ملامح الرهبة تستوقفنا ظاهرة الرحيل ، وهي أمسّ رحماً وأقرب صلة بمشاعر الرهبة والتوجس ، ذلك ان ارتباط العربي بأرضه وتعلقه الوجداني بها جعلاه يحس بثقل وطأة الرحيل على نفسه ، وهو -مع ذلك- مضطر الى شد الرحال بين حين وآخر، مدفوعاً اليه بجملة عوامل هي من مقتضيات حياته .

---

(٣٦) المفضليات ٢٧٢

« كانت حياة الناس – اذن – مرتبطة بالارض ، وكان هذا الارتباط يحكم علاقاتهم الاجتماعية ويوجهها الى حد بعيد ، ويصبغها بلونه الخاص من اللقاء والاجتماع الى الفرقة والقطيعة ، وكان الأدب يصوغ هذه الوقائع الاجتماعية بدقة وأمانة، فيرسم اشكالها ويعين ملامحها ويحدد طبيعتها ثم يلونها ويغنيها بلمسة الفن الساحرة، وكانت الرحلة – بلونيها – واحدة من ابرز هذه الوقائع » (٣٧)

فتارة يكون الرحيل تحدياً وقوة، وتارة اخرى يكون باعثاً على الحزن والألم ، وكلاهما يؤلف لوحة الرهبة والتهيب والتوجس .

يقول اعشى قيس (٣٨) :

فدع ذا ولكن ربّ ارض متيهة قطعتَ بحرجوج إذا الليل اظلما
بناجية كالفحلِ فيها تجاسر اذا الراكب الناجي استقى وتعمما
ترى عينها صفواء في جنب موقها تراقب كفي والقطيع المحرما
كأني ورحلي والعِنان ونمرقي على ظهر طاو اسفع الخد أخثما

هذا رحيل يمثل التحدي ، وهو رحيل لابد منه ، ولا بد إزاء ذلك أن يمضي في هذا التيه الذي يعرض نفسه فيه الى مخاطر ، والليل البهيم يحف بهذه الرحلة الخطيرة .

من خلال ذلك نحس أن هذا الرحيل كان من اجل غاية قد لايفصح الشاعر عن مدى خطورتها في حياته، ولكن جو التحدي الماثل خلال الابيات هو الذي يشعرنا بخطورة مايقدم عليه ، ولكن امرأ القيس يسمعنا نبرة غير هذه النبرة التي عرفناها عند أعشى قيس حين يقول (٣٩) :

---

(٣٧) الرحلة في القصيدة الجاهلية ص ٢٠
(٣٨) شعراء النصرانية قبل الاسلام ص ٣٧٩
(٣٩) ديوان امرئ القيس ١٦٨

الا انعم صباحاً أيها الربع وانطق   وحدث حديث الركب إن شئت واصدق
وحدث بأن زالت بليل حمولهم   كنخل من الأعراض غير منبق

انه يهيم في ديار الراحلين ويرجو الربع ان يتحدث ، فهو ليس قادراً على أن يفصح عن مشاعره لما اصابه من ذهول وما اعتراه من حزن .

اما عنترة فانه كذلك يقرب من حديث امرىء القيس في قوله (٤٠)

إن كنت أزمعت الفراق فانما   زمت ركابكم بليل مظلم
ماراعني إلا حمولة أهلها   وسط الديار تسف حب الخمخم

فهو يقف حزيناً إزاء رحلة الحبيبة ، والحزن من شأنه ان يلون الحياة بالقتامة والرهبة ، اذن لابد ان يكون الليل مصوراً لهذا الاحساس المتلون بالقتامة والكآبة ، وربما كان الرحيل في وَضح النهار ، ولكن احساس الشاعر الحزين هو الذي يضفي عليه غلالة الليل القائمة الكئيبة .

ولعل الانسان في ساعة الرحيل يمر بحالة ذهول ووجوم ، لا قبل له بالافصاح عما يجيش في جوانحه ، فيلتزم الصمت الرهيب ، وما أن يفرغ الى نفسه بعد سويعات هدأة تتفجر المشاعر الحزينة، وتتلاحق في خضمها الذكريات الحبيبة ... وترتفع هذه المشاعر ذروتها حين يجن الليل ويهدأ كل شيء من حوله ، فها هو ذا بشر بن ابي خازم يصور لنا هذه الخلجات التي انبجست من حنايا نفسه المكلومة الحزينة بعد ان أقبل عليه الليل .

يقول بشر (٤١) :

فبت مسهداً أرقاً كأني   تمشت في مفاصلي العقار
أراقب في السماء بنات نعش   وقد دارت كما دار الصوار
وعاندت الثريا بعد هدء   معاندة لها العيوق جار

(٤٠) ديوان عنترة — تحقيق مولوي ١٨٨

(٤١) ديوان بشر بن ابي خازم الاسدي — ص ٦٥ — ٦٦

فان تكن العقيليات شطت | بهن وبالرهينات الديار
فقد كانت لنا ولهن حتى | زوتنا الحرب أيام قصار
ليالي لا اطاوع من نهاني | ويضفو تحت كعبي الازار

ان الشاعر حشد لنا من خلال هذه الصورة الليلية الموحية كل عناصر الاضطراب والألم بعد أن شطت العقيليات اللواتي كان له معهن أيام فهو مسهد مؤرق يراقب من شدة اضطرابه وحزنه بنات نعش : تلك النجوم المجتمعة في السماء حتى صورة نعش محمول على الاكتاف ، يقرن بهذه الصورة الموحشة رحيل العقيليات ، فالرحيل عنده هو الموت ، وازاء الموت تضطرب الجوانح وتتحشد الآلام .

ورحيل المتلمس لايكون إلا ليلاً ، ولذلك فإن الليل يأخذ بعداً عميق الغور في نفس المتلمس ، ذلك أنه طريد منفي يعاني الغربة والحنين ، لايقر له قرار ولايهنأ له المكوث في موضع ، يقول (٤٢) :

إن العراق وأهله كانوا الهوى | فاذا نأى بي ودهم فليبعد
فلتتركنهم بليل ناقتي | تذر السماك وتهتدي بالفرقد

٢. ليل الألفة : —

مما أسلفنا ينتصب الليل امام الشاعر الجاهلي كئيباً موحشاً او رهيباً مخيفاً من خلال احساس الشاعر بمعاناة ثقيلة الوطأة يتكلف ازاءها طاقة وجهداً سواء كان شعورياً كالحزن او بدنياً كالاقدام والتحدي .

وماذا يكون الليل عند شاعر انتفت عنده هذه المعاناة الشديدة الأليمة ؟ أيظل يرى في الليل عالمه المتوحش الكئيب ؟ أم أن نظرته تتغير تبعاً لتغير مشاعره ؟ ماذا يكون الليل حين يرتبط بسكن النفس وهدوئها او العيش الشعوري في ظلال الذكريات او غشيان عالم الحب او اللهو . او حين ينغمر في عالم الممارسات الكريمة التي يعتد بها ويفاخر ؟

(٤٢) شعراء النصرانية قبل الاسلام ج١ ص ٣٤١

وهنا يكون لليل بعد آخر نريد أن نتلمس ملامحه فيما بين ايدينا من ميراث الشعر الجاهلي،فاذا ما ارتبط الليل بذكريات الانسان الحلوة فان اجواء ذلك الليل تنشر الدعة والسكينة ، واذا مااستبدت به الأشواق طاف ببصره في الكون الذي يلفه هدوء الليل وسكينته ، فاذا بالنجوم تؤنسه،والبدر يتمثل له رفيقاً حانياً او يتمثل له ذلك الوجه الذي يرتبط واياه بأجمل الذكريات .

إن الليل هو الفرصة السانحة لعمرو بن قميئة ليلتقي مع خيال أمامة . يقول عمرو (٤٣) .

نأتك أمامـــة الا سؤالا والا خيالاً يوافي خيـــــالا
يوافي مـع الليل ميعـــادها ويأبى مـع الصبح الا زيالا
فذاك تبدل من ودهـــــا ولو شهدت لم توات النوالا

انه يعيش مع الذكريات وان كان يائساً من نوالها والليل يفجر مكامن المشاعر عند سجوه وانسدال استاره .

ومغامرات امرىء القيس التي تتقيد بظرف زماني معين لم تحل بينه وبين أن يجعل الليل متميزاً بين ساعات يومه يهيج خلاله الهوى ويذكر ايام اللقاء .

يقول امرؤ القيس (٤٤) .

لمن طلل أبصرتـــه فشجاني كخط زبور في عسيب يمان
ديار لهند والرباب وفرتني لياليناً بالنعف من بدلان
ليالي يدعوني الهوى فأجيبه وأعين من اهوى إلي روان

وقد يشعر الجو بشيء من الحزن والألم ، ولكن الذكريات تنساب هادئة هدوء الليل . حانية حنو سكونه الشامل وكأنه وجد في الليل انيساً لوحدته يبثه مااعتراه ، ويحدثه بذكريات امسه الدابر .

---

(٤٣) ديوان عمرو بن قميئة ٥٥ ٤

(٤٤) ديوان امريء القيس ٨٥

فاذا كانت الليالي الماضيات قد شهدت لقاءاته . فإنه هناك ايضا يستحضر في اطار الليل مشاهد من تلك الذكريات وكأنه اودع الليل اسراراً لايعرفها سواهما .

وترتبط ليالي المزرد بن ضرار بأجمل الذكريات في مثل قوله (٤٥).

وألهو بسلمى وهي لذّ حديثها لطالبها مسؤول خير فباذل
وبيضاء فيها للمخالم صبوة ولهو لمن يرنو إلى اللهو شاغل
ليالي اذ تصبي الحليم بدلها ومشي خزيل الرجع فيه تفاتل

ويتساءل المرء فيما اذا كان ربط الذكريات بالليل امراً تقليدياً، وبوقفة متأملة ندرك ان ذلك يضيف إلى الصورة بعداً جمالياً ومضموناً متلاحماً تلاحماً طبيعياً مع اجزاء الحدث الاخرى فالليل مسرح العشاق ، وغلالته سجف توفر الأمان للمتوجسين خيفة من الرقباء . الا يمنح الليل هذا الحدث انسيابته المحببة ؟ وماذا يستطيع النهار ان يضيف من ملامحه إلى مثل هذا الجو ؟ أيضيف اليه من صخبه وضجيجه ام من النظرات التي تتفحص كل شيء وترى واضحاً امامها كل شيء .اذن يكون الليل الحاني الأليف جزء لايتجزأ من ضرورات الحدث. والمرقش الاكبر حين يقول (٤٦) .

سرى ليلاً خيال من سليمى فأرقني واصحابي هجود
فبت أدير أمرى كل حال وأرقب أهلها وهم بعيد

فانه يجد الليل مثار الذكريات فيستعرض احداث امسه فيزداد حنيناً وشوقاً ولهفة ولم يكن ذكره لليل اضافة تقايدية وانما وجد نفسه مؤرقاً دون أصحابه الذين أخلدوا إلى الرقاد . والأرق في الليل مظهر من مظاهر الاندماج مع عالم ذكرياته . والأرق ليس حالة انفعالية يضيق بها المرء وانما هو معايشة وجدانية صادقة مع هذه الذكريات وقد يكون الأرق باعثاً على الاستمتاع

(٤٥) المفضليات ٩٤
(٤٦) المفضليات ٢٢٣

الكامل بذكرياته . ولئن رافق ذلك شيء من الألم فان الشاعر عندئذ يستعذب ذلك الالم ويجد فيه متعة كبيرة ،والبيت الثاني يوضح ابعاد هذه المعايشة ،فقد بات يدير امره على كل حال متأملاً مطيلاً للتأمل باحثاً عن الوسيلة التي بها يحقق امنياته ومع هذا فانه ظل مترقباً يوم اللقاء على بعد ديارها عنه .

ويهيم بشر بن ابي خازم في خضم ذكرياته فيستعرض الصور في هدوء وسجو . فيقول (٤٧)

جددت بحبها وهزلت حتى ... كبرت وقيل انـك مستهـام
وقد تغني بنـا حينـاً ونغني ... بها والدهر ليس لـه دوام
ليالي تستبيك بذى غروب ... كأن رضا بـه وهنا مـدام

وحين احس ان الاعوام تتخرم من عمره لاذ بالذكريات وتعلل بالاماني ولم يبال بما يقال عنه انه مستهام على تقدم العمر به . فالروح مازالت شابة مستطلعة .

ولعل ذاكرته تحتفظ بصور مازالت تعجبه ، كأسنان صاحبته اللامعة وارتشافه من رضابها .فلمعان الاسنان يبدو أجمل وأبهى وكأنه لمعان الصباح في مدلهم الظلمة . والليل هو الوقت الاكثر ملائمة لمجالس الشراب.

وكما أن ليل امرىء القيس فيما مضى من فصول البحث كان ليل هموم وأحزان ،فان ليالي أخرى يحيا امرؤالقيس في ظلالها حياة انس ودعة وألفة.حين ينفض عن نفسه همومها ويدلف إلى مراتع اللهو والانس . فيحس بمتعة الليل وجماله لارتباطه بذلك الجو الذي ينطلق خلاله الشاعر انطلاقة يرمي ازاءها الهموم والاحزان جانباً .

يقول امرؤ القيس (٤٨) .

---

(٤٧) المفضليات ٣٣٤
(٤٨) ديوان امرىء القيس ١٣ — ١٤

وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهو بها غير معجل
تجاوزت احراساً اليها ومعشراً عليّ حراصاً لو يشـــرون مقتلي ،
إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض أثناء الوشاح المفصل
فجئت وقد نضت لنوم ثيابها لدى الستر الا لبسة المتفضل

انه لايصرح بالليل ولكن القارىء يحس مباشرة أن جو هذه المغامرة اللطيفة يحوطه ستار الليل الدامس .فهناك الاحراس الذين يرصدون في الليل كل حركة .والثريا في السماء وثياب النوم ولبسة المتفضل .

وها هو ذا لبيد بن ربيعة يصور انطلاقة الانس والمرح في صورة ليليةلذيذ لهوها وندامها ، يقول (٤٩)

بل أنت لاتدرين كم من ليلة طلق لذيذ لهوها وندامهـــا
قد بت سامرها وغاية تاجر وافيت إذ رفعت وعز مدامها

ويتم تصور الليل على أنه مراح الانس وملعب الهوى حين يسكب الشاعر عليه من روحه الطاقة المرحة ،وإلا فكيف يكون الليل ــ وهو ظرف زماني معين ــ تارة غولاً يفترس النفوس أو جبلاً يجثم على الصدور أو بحراً تتلاطم أمواجه وتارة أخرى سمراً وأنساً ولذة وانطلاقة .

وليل الذكريات عند أوس بن حجر ساج هادىء .وينساب خيال من تماضر بعد مضي شطر من الليل ليكون الجو أكثر هدوءاً وأوفر أنساً .
يقول أوس (٥٠) :

ألم خيال موهنـاً من تماضرا هدواً ولم يطرق من الليل باكـرا
وكان إذا ما التم منـهـا بحاجة يراجع هتراً من تماضر هاتـرا

ويكون مفاجأة مذهلة للشاعر حين يلم به خيال من تماضر .وكأنه في سنة من نوم ، وكثيراً مايضم الليل ذكريات العشاق في اطاره مضيفاً عليها استار هدوئه وسكونه .والعاشق يلوذ بالليل يبثه لواعجه ويناجي نجومه .

---

(٤٩) ديوان لبيد بن ربيعة العامري ١٧٥
(٥٠) ديوان اوس بن حجر ٣٣

والسهر عند عنترة أمل تنفتح منه الكوى والمنافذ، ليطل منها على عالم يحتضنه السكون ويؤطره الصفاء ، يقول (٥١)

سأضمر وجدي في فؤادي وأكتم ... وأسهر ليلي والعواذل نــوم
وأطمح من دهــري بمــا لاأناله ... وألزم منه ذل من ليس يرحم

انه غاضب ولكن في هدوء . والليل وهدوؤه مستراح لهذه النفثات التي طوى عليها أضلعه .

ومن ملامح ليل الألفة ما يضفيه الرجل الكريم على ضيفانه من فضل كرمه . وطيب أريحيته وسماحة نفسه .ويقرن ذلك بالليل ليكون لكرمه دلالة خاصة.

فالقيام باكرام طارق الليل هو أقوى دلالة وأشد وقعاً من اكرام ضيفان النهار .فطارق الليل محرج غاية الحراجة شديد الحاجة إلى من يأويه .ويهيئ له مايذهب عنه حيرة النفس ووعثاء الطريق. ولذلك كان دأبهم أن يوقدوا النيران على الأكمات العالية ورؤوس الجبال ليستدل بها طراق الليل ان هناك ديار قوم يلاذ باكنافهم ويستراح في رحيلهم .يقول ضمرة بن ضمرة النهشلي(٥٢)

وطـارق ليـل كنت حم مبيته ... إذا قلّ في الحي الجميع الروافد
وقلت له أهلا وسهلاً ومرحباً ... واكرمته حتى غدا وهـو حامد

ولقد أعطى لنفسه ميزة عن الآخرين حيث لايهمهم أمر الطارقين الحيارى في الليل حيث يعز الانيس ويفتقد الدليل .

ويرسم عبد قيس بن خفاف للناس ملامح الرجل الكريم الذي يكون على أهبة الاستعداد لتكريم ضيوفه دون أن يضيقوا بهم ولاسيما في الليل حين تكون الحاجة إلى الرعاية أشد .

يقول (٥٣) :

والضيف أكرمه فإن مبيته ... حـق ولا تك لعنة للنــزل
واعلم بأن الضيف مخبر أهله ... بمبيت ليلته وان لم يســأل

---

(٥١) شعراء النصرانية ٨٦٥ ، ديوان عنترة – دار صادر ٢٠٨
(٥٢) المفضليات ٣٢٦
(٥٣) المفضليات ٣٨٤

ويفخر ربيعة بن مقروم الضبي في قوله (٥٤)

ومولى على ضنك المقام نصرته إذا النكس أكبى زنده فتذبذبا
وأضياف ليل في شمال عرية قريت من الكوم السديف المرعبا

بأنه يكرم ضيفه على مايعاني في ضيق ذات اليد . فلا يدعه مخذولاً . ثم يعود مباشرة إلى تعميق صورة الكريم باشارته إلى أضياف الليل ، واي ليل ؟الليل الذي يشتد فيه البرد اشتداداً حيث تكون حيرة الطارقين أشد .ولهفتهم إلى السكن المريح أقوى .والمتلمس يرسم لنا صورة للكرم يوفر لتكاملها عناصر شتى ويجعل الليل جزء من هذه الصورة ولكنه جزء مهم لايستغني عنه ،يقول(٥٥)

ومستنبح تستكشط الريح ثوبه ليسقط عنه وهو بالثوب معصم
عوى في سواد الليل بعد اعتسافه لينبح كلب أو ليفزع نوم
فجاوبه مستسمع الصوت للقرى له عند اتيان المحبين مطعم
يكاد إذا ما أبصر الضيف مقبلاً يكلمه من حبه وهو أعجم

فالريح عاتية والظلمة تسد الآفاق ،وهناك ضيف يريد لنفسه ملاذاً ومستراحاً ، فاذا ماستنبح الكلاب عرف صاحب الدار أن قدم عليه ضيف ،فيخف إلى استعماله وإكرامه ،ويوفر له من الأجواء الهادئة ما يدفع عنه النصب الذي تجشمه .

فالليل عمق هذه الصورة وأعطى لها مدلولاً متميزاً، وبهذا يكون الليل في شعر الكرم مفعماً بالهدوء والسكينة النفسية مما يخلد الانسان عنده إلى الراحة قرير العين مطمئن البال .

الليل الزمن :

أما الليل زمناً فهو أقل الوجوه قيمة سواءاً من الناحية المعنوية أم من الناحية الفنية ،فهو مجرد ظرف زماني للحدث لايمنحه بعداً أساسياً أو بعداً ثانوياً .

---

(٥٤) المفضليات ٣٧٦

(٥٥) شعراء النصرانية قبل الاسلام ٣٤٩

وامرؤ القيس حين يذكر سواد الليل في معرض حديثه عن النجوم في قوله (٥٦) :

تلك النجوم إذا حانت مطالعها شبهتها في سواد الليل أقباساً

فان ذلك قد يكون من الاطناب الذي يقرب أن يكون حشواً ـ كما يقرر البلاغيون ـ فالنجوم لاتتراءى إلا في الليل ، ولو رفع من القصيدة سوادالليل وسد الفراغ بأية عبارة مناسبة للسياق لم يتعرض الحدث لأي اهتزاز .

وكذلك الامر في قوله (٥٧) :

عجبت لبرق بليل أهل يضيء سناه بأعلى الجبل

فالبرق لايظهر بسناه المضيء إلا في الليلة الظلماء .

وحين يقول الحصين بن حمام المرى(٥٨):

نطاردهم نستنقذ الجرد كالقنا ويستنقذون السمهري المقوما
عشية لاتغني الرماح مكانها ولا النبل إلا المشرفي المصمما
لدن غدوة حتى أتى الليل ماترى من الخيل إلا خارجياً مسوما

فانه لايوظف الليل إلا اطاراً زمنياً بحتاً يحدد به مدى امتداد الحدث ، فالحدث يستغرق البعد الزمني من لدن الغدوة حتى مجيء الليل ، فالليل بذلك لايشكل من لوحة الحدث جزءاً من أجزائها ، ولاصورة تضيء جانباً من جوانبها ، أو صدى لخلجات نفسية للشاعر على النحو الذي وقفنا عليه من خلال لوحات الرهبة والالفة . . .

وحديث عبيد بن الأبرص عن البرق يكاد يكون تكراراً لحديث امرىءالقيس فهو مثله يرقب البرق في الليل . والليل لايمنح الحدث حركة ولافاعلية لأن

(٥٦) ديوان امريء القيس ٤٦١

(٥٧) المصدر نفسه ص ٢٦١

(٥٨) المفضليات ص ٦٥

وروده مقترناً بالبرق هو الذي يسلب منه كل دلالة معنوية أو فنية . وذلك في قوله (٥٩) :

يامن لبرق أبيت الليل أرقبه   من عارض كبياض الصبح لماح
دان مسف فويق الارض هيدبه   يكاد يدفعه من قام بالراح

وواضح اننا لو طرحنا جانباً قوله (ابيت الليل) لظل الحدث قائماً بنسه غير تارك ذلك ثغرة أو خللاً .

ومما يحسن الاشارة اليه في هذا الموضع أن نماذج الليل الزمن ضئيلة ، ولذلك اكتفينا بهذا المقدار الذي يحدد لنا مدلول الليل الزمن عند الشعراء .

الدراسة الفنية :

١ ـ الألفاظ والتراكيب : تأتي لفظة الليل عند الشاعر الجاهلي ـ من خلال نصوص البحث ـ مقترنة بالالفاظ والتراكيب الجملية التي تتضافر مجتمعة لمنح الليل الزمني ملامحه النفسية المتسقة مع الرهبة تارة ومع الالفة تارة أخرى، فالليل يستمد مبررات وجوده عنصراً من عناصر اللوحة مما يحيط به أو يتلاءم معه.

ففي نص المرقش الاكبر (٦٠) :

ودوية غبراء قد طال عهدها   تهالك فيها الورد والمرء ناعس

تحتشد الالفاظ الجزلة والتراكيب الموحية بالرهبة، وجعل كل ذلك مرتبطاً بآصرة فنية ومعنوية وثيقة مع الليل الدامس . فالدوية الغبراء ـ تهالك ـ منكراتها ـ عيهمة ـ دامس ـ ليلاً طويلاً ـ ترقاء ـ البوم ـ النواقس ـ الروامس، كل هذه الالفاظ تخلق الجو الرهيب ،ويكون الليل بسواده أظهر عناصر هذه اللوحة ،لأن خوض العربي للصحراء أمر معتاد لاغرابة فيه، ولكن حين يقوم باجتيازها في ليل دامس فان ذلك يعطي لحركته هذه ملمح القوة والتحدي ،لأن الليل الدامس تكمن وراء استاره المدلهمة مخاطر شتى .

وكذلك الاعشى (٦١) قرن تحديه بالليل من خلال الفاظ وتراكيب تعمق

---

(٥٩) ديوان عبيد بن الابرص ص ٣٤
(٦٠) ينظر الهامش ٩ ـ
(٦١) ينظر الهامش ١٠

الاحساس بضخامة التحدي ،ولكن التحدي كان من الممكن أن يفقد أشياء كبيرة من ملامحه لو لم يقترن ذلك بالليل .

فظهر الترس — موحشة — الجن — زجل — القيظ — طليح — فتل — البرق — الشعل — ، انما هي عناصر حركية فعالة تتلاحم مع الليل بصورة اتسقت مدلولاتها وتناغمت ايقاعاتها مع الجو النفسي الذي يستشعر الرهبة .

ويقرن الأسود الجعفي(٦٢)ليله بكل مايوحي بالرهبة من الالفاظ والتراكيب. فليلته مزؤودة : أي مفزوعة مرعبة تبعث في جنبات النفس مشاعر من الخوف شتى . ومن خلال هذا الجو النفسي الرهيب يقوم برحلته الصعبة التي تمثلت ملامحها من خلال : غبراء — تجشمها . كلفت — مراسها .

وعدي بن زيد العبادي (٦٣) يجسد من خلال طول الليل واعتكاره ،ومن خلال الهم الثاوي مدلول الرهبة والخوف .

وحين يصل بنا المطاف إلى نماذج من ليل الألفة نحس أن للألفاظ والتراكيب أصداء غير التي عهدناها في شعر الرهبة .

فعمرو بن قميئة (٦٤) يختار مع الليل مايوحي بالسجوّ والسكينة :خيال يوافي — ميعاد، وذاك تبدل من ودها — انها لنبرات توحي بانسيابية مشاعر عمرو مع الذكريات اللطاف التي يأنس بها في ظل ليلة هادئة ساجية .

وامرؤ القيس (٦٥) هو الآخر يستعيد ذكرياته في ترنيمة هادئة لطيفة يسري بها عن احزانه ، حيث أن هذه الاحزان لاتحتدم احتدام امواج البحر ،انها ساعة سلو وتلذذ بالذكريات ...إنه لايضيق ذرعاً بهذه الذكريات ،ولذلك جاءت النبرات في غاية من الروعة والهدوء .

---

(٦٢) ينظر الهامش ١٧
(٦٣) ينظر الهامش ٣١
(٦٤) ينظر الهامش ٤٢
(٦٥) ينظر الهامش ٤٣

وليل المزود (٦٦) تكتنفه الألفاظ الموحية بالهدوء النفسي والسكون الشامل : وألهو — لذ حديثها — مسؤول خير — بيضاء — صبوة — يرنو — اللهو — تصبي — دلها — خزيل — كل هذه الالفاظ مما تألفه النفس وتهواه ، وترسم بها لوحة شفافة الرؤى حبيبة الملامح والخطوط ، والليل من خلال هذه اللوحة يضفي على الجو وشاحاً من الالفة والدعة والسكينة.

وتتضح كذلك انسيابة الالفاظ والتراكيب الرقيقة العذبة من خلال حديث اوس بن حجر (٦٧) : ألم خيال — موهناً — هدواً — الثم منها —

٢ — الموسيقى : لاتنحصر الموسيقى في العمل الشعري في هذا الوزن العروضي الذي تعارفنا على ضرورة توافره في كل قصيدة ، وانما يتعدى مفهوم الموسيقى هذا الجانب الى جوانب اخرى تتمثل في الانسجام الكائن بين حروف الالفاظ عموماً وبين الالفاظ نفسها ثم بين التراكيب التي تؤلف البيت او المقطع.

فهذا الايقاع الذي نتمثله من خلال قراءتنا لبيت او لمقطع انما هو «ذلك الخليط من التوقع والارضاء والدهشة وخيبة الامل الذي ينشأ عن تتابع المقاطع والحركات ولا يصل صوت الكلمات الى اقوى مفعول له إلا خلال الايقاع » (٦٨)

وحري بالإشارة ايضاً الى « ان التجربة الغنية التعقيد في العمل الادبي كثيراً ماتقرر الطريقة التي تنبر بها الكلمات وتدفع الشاعر الى الضغط على موسيقى وايقاعات حروف معينة بالذات تتدافع في مخيلة الشاعر لتشكل المفردات المعبرة عن الواقع النفسي له من خلال معاناة التجربة » (٦٩)

ومن هنا نريد ان نقف على طبيعة الإيقاع الموسيقي التي وافت في ضوئها ألفاظ الرهبة والألفة وتراكيبها ، ومدى اتساق هذا الايقاع مع عنصر الليل.

يحس القارىء لشعر الرهبة بضخامة الأداء تنبثق من خلال الالفاظ والتراكيب وأصداء ايقاعية تتناسب مع الجو النفسي الذي يرسم الشاعر خطوطه العريضة.

(٦٦) ينظر الهامش ٤٤

(٦٧) ينظر الهامش ٤٩

(٦٨) النقد النفسي عند إ. أ . ريتشاردز ص ١٣٣

(٦٩) تطور الشعر العربي الحديث في العراق ص ٤٣٠

فتتدخل الحروف المجهورة تدخلاً حاسماً في احاطة الليل بتلك الاصداء الضخمة التي تتناهى الينا من خلال الليل، فيزداد الشعور بوحشة هذا الليل ورهبته من امثال: دوية — طال — تهالك — قطعت — عيهمة — نار — ترقاء. البوم — النواقس — دبت — ظلماته — حصينة اعاليها — تجاوزته — مدلهمة — أهم — نكس — عظيم — اجتاز — اعبس — تنائفه — هاجرة — هام الرجال — الصفائح — يقبض الطرف — البيداء — اطوي — معتكر — مزؤودة — الهموم — مصامها — اقاسيه — تضاعف — تقاعس — قرّبا — واعتكر — جشر.

تمتلك هذه الألفاظ قدراً وافياً من قوة الأداء والموسيقية المتوائمة مع جو الرهبة التي يعمقها الليل فيتضاعف الشعور بأن الأمر على غاية من الأهمية.

ومما يحس به القارئ أن الأبيات غالباً ماتكون على صورة تراكيب مجزأة تحدث في اثناء القراءة ايقاعاً واضح الأصداء، وهذه التراكيب المجزأة تتفاوت طولا وقصراً، فأحياناً تجدها مبنية على لفظة واحدة، واخرى على اكثر من لفظة، واحياناً على شطر من بيت، وقلما يتجاوز ذلك الى الشطر الثاني..

ودوية غبراء / قد طال عهدها / تهالك فيها الورد / والمرء ناعس /
قطعت الى معـروفها / منكراتها / بعيهمة / تنسل / والليل دامس/
تركت بها / ليلاً طويلاً / ومنزلاً / وموقد نار / لم ترمه القوابس/(٧٠)

* * *

وبلدة / مثل ظهر الترس / موحشة/ للجن بالليل / في حافاتها زجل/
لا يتنمـى لها / بالقيظ يركبهـا / الا الذين لهم فيما اتوا / مهل/

* * * *

وصحابة / شم الانوف/ بعثتهم / ليلاً / وقد طال الكرى / بطلاها /
وسريت في وعث الظلام/اقودهم / حتى رأيت الشمس زال ضحاها /

* * * *

(٧٠) هذه الخطوط تشير إلى الايقاعات المختلفة في داخل البيت

اطوى فيافي الفلا / والليل معتكر / واقطع البيد / والرمضاء تستعر /
ولا أرى مؤنساً / غير الحسام / وان قل الاعادي/غداة الروع /أو كثروا/.

* * * *

ومما ينبغي التنويه به أن هذه التقسيمات الايقاعية تأتي لتخدم لوحة الليل وتضفي عليها جواً مشحوناً بالرهبة والتوجس والترقب ، وكأنها ضربات متوالية منغمة تتناهى الى الأسماع من خلال الليل الساجي الهادىء، فيبعث في النفوس رهبة نزيل الإحساس بسجوه وهدوئه ... هذه الايقاعات المتوالية تصور انفاساً لاهثة تقطعت من هول الموقف وشدة الحركة وعنف التصدي والاحتمال. وهذا ينسجم مع الليل اكثر من أي ظرف زماني آخر .

ترى ماذا سيمدنا به شعر الالفة من الألفاظ والتراكيب التي تعمق احساسنا بجمال الليل وهدوئه وسكونه لنزداد مع الشاعر متعة وألفة وبهجة .
إن الأصداء الضخمة العنيفة تكاد تختفي من خلال مابين ايدينا من نصوص. فالحروف الهامسة الرقيقة تشكل اجزاء اللوحة الليلية ، وترسم ابعاد الجو الذي ينشد الشاعر في ظلاله الألفة والسكينة :
نأتك — خيالا — يوافي — ميعادها — الصبح — زيالا — ودها — **لم توات** — **نوالا** — **شجاني** — ديار — يدعوني — الهوى — اهوى — روان .
الهو — لذ — خير — باذل — بيضاء — صبوة — يرنو — تصبي — الحليم — دلها — الرجع — تفاتل — سرى — هجور — حال — ارقب — هزلت — مستهام — تغنى — تستبيك — رضاب — مدام — موهناً — هدواً — مبيت .
إن طبيعة هذه الالفاظ تأبى ان ترتفع بها نبرة الصوت عند الانشاد ، فهي الى الهدوء والمناجاة أقرب ، ومن خلال ذلك تتجلى ملامح الألفة تحت استار الليل الوادع السمح .

ويرى ريتشاردز ان الايقاع – والوزن نوع منه – ليست وظيفته الحقيقية في الشعر التلاعب اللفظي او التتابع الصوتي وانما وظيفته الحقيقية تنحصر في انه يعكس شخصية الشاعر ويصور انفعاله تصويراً صادقاً (٧١) .

والتركيب في شعر الليل هي الاخرى تأتي منسابة دون ان يقطع اوصالها لهاث المتعب الخائف ، والأصداء متوزعة بشكل متناسب تنبىء بامتلاك الوعي ، وهدوء النفس وانسيابها مع العالم الودود الرفيق ... وعودة الى قراءة نماذج الألفة تقفنا على هذه الظاهرة الفنية المتميزة ، التي تتوالى فيها التراكيب لتضفي على اللوحة الليلية قدراً وافراً من المدلول الرقيق والمسحة الأليفة .

الصورة :

لم يكن الليل عند الشاعر الجاهلي مجرد وعاء زمني للاحداث بل كان جزءاً فعالاً متسماً بالحيوية والحركة ، ومن خلاله تتجسد ملامح الرهبة والالفة ، بحيث لو انسحب الليل من حركة الاحداث لما كان الاحساس بهذه الملامح إلا واهناً غير ذي اثر في النفس ، ولذلك كان الليل صورة نفسية تنبض بالحياة ،إن من مظاهر الصورة الليلية أنها تمثل الحركة والتدافع سواء على الصعيد الواقعي او الصعيد النفسي ، وقد تبدو براعة الشاعر في إحداث الصلة الوثيقة بين عالم الواقع الخارجي وبين عالم النفس الداخلي ... ومن هنا نحس بالانسجام في صوره التي تعرض الرهبة تارة، والالفة تارة اخرى على نحو يميز جواً عن آخر مغاير .

ومن معالم الرهبة تلك الدوية الغبراء التي سلكها المرقش في الليل الدامس ، اية وحشة توحي بها ، وأية اشارة حذر تقف على مفترق الطريق ..

وليل الاعشى يشبه بيوتاً حصينة ، وليل عنترة يقبض الطرف من شدة ظلامه ، وفي صورة اخرى لعنترة يبدو الليل معتكراً ، اي انه يمعن في تلوين

(٧١) مبادىء النقد الأدبي ص ١٩٤ – ١٩٥

ملامحه بسواد اشد عمقاً ، وتأكيد عنترة على صور السواد انما ينبعث من شعور خاص بلونه الذي يعكر عليه حياته كالليل الذي يبدو له وهو في اشد حالات اعتكاره .

اما الأسود الجعفي فلياليه مشحونة بالفزع والرعب ، فهي ليلة مزؤودة مدلهمة ... وأجمل مايبدو لنا ان الليل هو الخائف المرتعد ... وهنا تصل براعة الشاعر ذروتها في إحداث نوع من التوحد بين الشاعر والليل ، حين اضفى شيئاً من مشاعره المضطربة المفزوعة على صفحات الليل .

وامرؤ القيس من شدة ما ألمّ به من هواجس وهموم يستحيل الليل عنده موجاً متلاطماً ، او حيواناً ضخماً قد يكون من حيوانات بيئتـه ، أو حيوانـاً أسطورياً متخيلاً .

والليل عند امريء القيس تارة أخرى يتطاول ، وكأنه كائن بوسعه أن يتطاول أو يتقاصر متى شاء وكيفما شاء.

وفي صورة أخرى يقرنه بليل شديد الوقع ،وهو ليل المصاب في عينه ، المتألم من وجع بها .

وليل النابغة بطيء الكواكب، وفي صورة أخرى هو الآخر كائن حي يتقاعس ويتكاسل فلا يريم عن موقعه .

وتتكرر صورة الكائن الحي في شخص الليل عند الحارث بن عباد ، حين يقول :ـ

طال ليلي

من خلال احساس نفسي عام يعتري الشعراء فيوحي اليهم ان الليل هو الذي يتحكم ويتصرف : يطول تارة ويقصر أخرى .

وعدي بن زيد هو الآخر يعطي لليل هذا الملمح الحي من خلال قوله: طال ذا الليل علينا واعتكر.

أما في صورة الالفة فنحس بالانسجـام الودود بين الليل وبقية عناصر

الصورة ، فعمرو بن قميئة يرسم صورة الليل تتهادى فيها الهمسات الرقيقة ، من خلال الموعد الموافى والخيال المقبل .

وعند امريء القيس يقترن الليل بصورة حية من صور الهوى والشوق حين يتحاور صاحبه واياه ، محاورة رقيقة عذبة ، حيث يناجيه فيستجيب والعيون تتألق باللهفة والتطلع .

والمزرد يقترن ليله بالدل والصبوات والمشي الهاديء الرقيق .

والليل يضفي على جو الذكريات مسحة من رقة وعذوبة تتألق خلالها مشاعر انسانية شتى .

وعند بشر بن ابي خازم يكون الليل مسرحاً لحركة عاطفية تتهادى فيها الذكريات العذبة .

ومن خلال ذلك كله نجد أن الليل يضفي على الصورة المتكاملة العناصر وشاحاً حبيباً إلى النفس ، يتشابك الخيال وصدق المشاعر في خلق لحمته وسداه ، حتى تنبثق من اجوائه الحياة الاليفة الساجية بكل أبعادها .

مصادر البحث ومراجعه

١ — الادب وقيم الحياة المعاصرة — د. محمد زكي العشماوي — الدار القومية للطباعة والنشر — الاسكندرية ١٩٦٦

٢ — الاسطورة والرمز في الادب الجاهلي . د. عادل جاسم البياتي مقال في مجموعة من الابحاث بعنوان « الشعر والمجتمع » قدمت الى المهرجان الثالث للمربد ١٩٧٤ وزارة الاعلام — سلسلة كتاب الجماهير ٢١

٣ — الاصمعيات : ابو سعيد عبدالملك بن قريب بن عبد الملك — تحقيق احمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون — القاهرة دار المعارف ١٩٥٥ .

٤ —اغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي —د. احمد محمد الحوفي مكتبة نهضة مصر ١٩٥٨

٥ — امراء الشعر في العصر الجاهلي د. صلاح الدين الهادي ج١ ، مكتبة الشباب بمصر ١٩٧٥

٦ — امرؤ القيس شاعر المرأة والطبيعة . ايليا حاوي . ط١ دار الثقافة — بيروت ١٩٧٠

٧ — تطور الشعر العربي الحديث في العراق — اتجاهات الرؤيا وجماليات النسيج — د. علي عباس علوان . وزارة الاعلام — سلسلة الكتب الحديثة رقم ١٩٧٥/٩١

٨ — الحياة العربية من الشعر الجاهلي د. احمد محمد الحوفي ط٤ مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ١٩٦٢

٩ — ديوان امرىء القيس — تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم — ذخائر العرب ٢٤ ط٣ . دار المعارف بمصر ١٩٦٩

١٠ — ديوان اوس بن حجر — تحقيق وشرح محمد يوسف نجم . دار صادر ط٢ / ١٩٦٠

١١ — ديوان بشر بن ابي خازم الاسدي — تحقيق د. عزة حسن . وزارة الثقافة والارشاد القومي السورية — احياء التراث القديم ١٩٧٢

١٢ — ديوان شعر المثقب العبدي — تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي — منشورات معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية. ط١ / ١٩٧١

١٣ — ديوان عبيد بن الابرص: تحقيق وشرح د. حسين نصار ط ١٩٥٧/١

١٤ — ديوان عدي بن زيد العبادي — تحقيق محمد جبار المعيبد نشرة وزارة الثقافة والارشاد العراقية — سلسلة كتب التراث ٢ مطبعة الجمهورية العراقية بغداد ١٩٦٥

١٥ — ديوان عمرو بن قميئة — تحقيق خليل ابراهيم العطية. وزارة الاعلام — سلسلة كتب التراث ٢٠ / ١٩٧٢

١٦ — ديوان عنترة — تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي — المكتب الاسلامي — دمشق ١٩٧٠

١٧ — ديوان عنترة — دار صادر ١٩٦٦

١٨ — ديوان لبيد بن ربيعة العامري — دار صادر ١٩٦٦ .

١٩ — ديوان النابغة الذبياني — صنعة ابن السكيت . تحقيق د. شكري فيصل — دار الفكر — دمشق ١٩٦٨

٢٠ — الرحلة في القصيدة الجاهلية — وهب رومية — اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ط ١ / ١٩٧٥ .

٢١ — شعر الطبيعة في الادب العربي د . سيد نوفل — مطبعة مصر — القاهرة ١٩٤٥ .

٢٢ — شعراء النصرانية قبل الاسلام — ط ٢ جمع وتنسيق الاب لويس شيخو اليسوعي — دار المشرق — بيروت .

٢٣ — الطبيعة في الشعر الجاهلي . د. نورى حمودى القيس . دار الارشاد بيروت ط ١ / ١٩٧٠

٢٤ — مبادى النقد الادبي — إ . أ— ريتشاردز .

ترجمة وتقديم مصطفى بدوى — المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة — القاهرة .

٢٥ — مروج الذهب ومعادن الجوهر — المسعودى جـ٢ — تحقيق شارل بلا — منشورات الجامعة اللبنانية . قسم الدراسات التاريخية بيروت ١٩٦٦ .

٢٦ — المفضليات — ابو العباس المفضل بن محمد الضبي — تحقيق احمد محمد شاكر — وعبد السلام هارون — دار المعارف بمصر ط ٢ / ١٩٤٣ .

٢٧ — مقدمة للشعر الجاهلي — يوسف اليوسف — مقالة في مجلة المعرفة — السورية العدد ١٢١ ايلول ١٩٧٤ .

٢٨— النابغة — سياسته وفنه ونفسيته — دار الثقافة بيروت ١٩٧٠ .

1. Mohemmd - telephone operator- University of Mosul -8 a.m. 2.30 p.m.- work in the garden - chief telephone operator.
2. Amal - nurse - hospital - 6.a.m. - ID 60 - tennis - medical books- chief nurse .

Bibliography

1. Hassan, R. (1968), Grammatical Cohesion in Spoken and Written English ,Part one (Longmans).
2. Quirk, R. (1973) , A Grammar of Contemporary English (London Group) Limited, London .
3. Waterhouse, V. (1963) ' Independent and Dependent Sentences; International Journal of American Linguistics, 29. pp. 45- 54 .

Students are asked to consider the frames carefully and then try to form three sentences choosing the appropriate pronouns and possessive determiners, which substitute the nouns which have occurred in the first frame.

Students are expected to produce the following forms.

1. John is a lazy boy : he is always late for his morning classes.
2. Mary is a lazy girl ; she is always late for her morning classes .
3. John and Mary are lazy pupils ;
   they are always late for their morning classes

Exercise

The aim of this exercise is to test the students' command of the pronoun in a larger text .

You will give your students a paragrapn with slots in it.The slots represent missing pronouns and possessive determiners. Make sure that your students are given the referent in the first sentence and that they have to find out for themselves, the correct pronoun that would correctly refer to the noun phrase given in the first sentence.

Hassan is cashier in a bank (His) working hours are from 8 a.m to 2 p.m. (He) earns seventy dinars a month .On Fridays (he) stays at home. In(his) spare time(he)is studying administration and economics, and in ten or twelve years (he) hopes to become a bank manager.

Of course, the bracketed words are not to be shown to the students and they have to supply them themselves .

When the students have shown considerable progress, you could give them another exercise, which is a little more advanced and demanding on the part of the students than the previous ones. Here you ask your students to write a short paragraph like the one we have just seen. As a lead you give them some lexical items (no pronouns given).

Write a short paragraph, making use of the lexical items given below. Use the same pattern as in the exercise above.

John	is	a lazy boy	he
Mary	are	a lazy girl	she
John and Mary		lazy pupils	they

is	always late for	his	morning classes
are		her	
		their	

Ali and I don't drink coffee; *Ali and I* drink tea (*we*).

Ali dosen't drink coffee; Ali drinks tea . (he) .

Fatima dosen't drink coffee ; Fatima drinks tea (she).

The dog doesn't drink coffee; *the dog* drinks water (it).

Ali and Fatima don't drink coffee ; *Ali and Fatima* drink tea (they) .

Now ask your students to substitute the noun phrases by pronouns provided. You will get the following .

Ali and I don't drink coffee; we drink tea .

Ali doesn't drink coffee; he drinks tea.

Fatima doesn't drink coffee; she drinks tea .

The dog doesn't drink coffee; it drinks water .

Ali and Fatima don't drink coffee; they drink tea.

When the students are made aware why the pronouns are used, they are asked to form sentences, using the lexical items provided and following the same pattern as we have seen. The first exercise is done below :

not play : the guitar ; play the piano

Ali and I do n't play the quitar - *we* play the piano .

Ali doesn't play the guitar ; *he* plays the piano .

Fatima doesn't play the guitar; *she* plays the paino

Ali and Fatima don't play the guitar; they *play* the piano.

This exercise is to be done by the students .

1. not eat pork : eat beef
2. not work in an office : work in a department store.
3. not go to school on Friday: go on Saturday .
4. not like drama : like poetry
5. not drive a car : ride a bicycle.
6. not speak English : speak Arabic .
7. not live in London :live in Mosul .

Another way of practising the use of third person pronouns as substi-itute words for noun phrases is realized through a number of frames arran-gged in sequence .

Anwar was allowed to sit the examination again .
Basima also was allowed to do *so*.
'So' refers to the fact that the examination was taken again.

Part Tow

Pedagogic Considerations

In Part One we have given a theortical introduction to the use of pronouns as connectives. Part Two is an attempt is to provide some useful guidelines along with relevant exercises for first year university students who begin writing elementary compositions. There are two points these students should bear in mind . First, they should learn the relationship between sentences. Secondly , their sentences should be linked in such a way that in the end they read as a coherent paragraph.

We have said in the first part of the paper that pronouns play an important part in sentence connection by their potentiality of functioning as link- words which can bind pieces of a language together. These devices make it possible for the movement of ideas from sentence to sentence and from paragraph to paragraph to take place.

A simple and effective method of teaching the student how to use pronouns as connectives is not difficult of access; the student is given a short passage consisting of at least two sentences arranged in sequence in which pronouns are used to express some relationship between the sentences by being used as substitute words for noun phrases previously mentioned in the context and the presence of a pronoun presupposes the occurrence of its referent somewhere in the context .

Students should be aware of the various uses of the pronouns or proforms used in the passage .

Aim of exercise

The object of this exercise is to show how a pronoun is stylistically preferred to a noun if the noun has already been introduced .The pronouns to be practised here are : *we* ,*she* ,*he*, *it*, and *they*.

As was said earlier, the procedure is to give two sentences each of which begins with a noun phrase. The same noun phrase is repeated twice. In the case of the second noun phrase a pronoun is stylistically more appropriate than a noun;the noun has already occurred in the previous sentence. Thus:

He goes on to discuss the faculty by which we instinctively know whether a certain form of language is acceptable or not. This is called the ' linguistic sense.'

A demonstrative may refer to a whole rather than part of a sentence .

He suggested that all black people should leave Britain. This was rejected by all.

The corference of two noun phrases may be emphasized by the use of identical same, self same (formal, very etc (1) . Thus :

Chomsky wrote ' Syntactic Structures ', That very book made him world wide famous.

A two- and - a half year old was shot dead last night. That was extremely barbaric . Here *that* refers to the shooting of the child.

Certain demonstratives may be used to indicate that they are referentially equivalent to a preceding noun phrase as in the following example : She offered me a cup of tea. She then gave me two bars of chocolate . Those I enjoyed better .

Those refers to part of the preceding sentence, namely . 'two bars of chocolate' *'such'* like *this* and *that* , is used anaphorically .

They say they can make fire out of water;no one would believe *such* nonsense

Former and *latter* are used anaphorically to point to one of two previous noun phrases : I read two essays, one on the theory of evolution, and one on population. The former was more interesting .

One is a substitute item which has a nominal function. In a polygamous society one might say .

I have two wives; come and see the beautiful *one*. The item *one* is used as a substitute for ' wife', which is tacitly assumed in the context .

So is an item used as a substitute for preceding items, or a whole sentence.

Has every member of staff at the university been granted a piece of land?

I don't think *so*.

The item *so* does not substitute an item in the preceding sentence. But, it substitutes the whole sentence .'......... the fact that not every member of staff has been granted a piece of land' .

Possessive Determiners

What has been said of personal pronouns is also true of possessive pronouns and possessive determiners. Consider the following examples.

1.a. Al- Sayyab was a very famous Iraqi poet. One of *his* most famous poems is "A Rainless City ."
'His' refers *back to Al- Sayyab*

1.2. My aunt has been ill for sometime. Her doctor has absolutely forbidden her to eat greasy foods .
'Her' refers back to ' aunt '.

1.3. Paracetol stops pain fast. Its side -effects are negligible.
'Its ' refers back to Paracetol.

Demonstratives

One of the characteristics of the demonstratives is their deictic function . The demonstrative, like pronoun, may refer not to a preceding noun phrase but to an extended portion of the text ,if not to a whole paragraph.

We may look now at the deictic functions of the demonstratives and thus shedding light on the part they play in establishing a realtion between sentences. The demonstratives are basically used for cataphoric reference; they are used to a larger extent than personal pronouns. Consider the following examples:

The point I am trying to make is *this,* students' mistakes should not pass uncorrected. ' this ' is used cataphorically to point forward to aforward to a following unit. Here *this* covers the meaning of the whole sentence 'students' mistakes ......

Anaphoric Uses of the

Demonstratives :-

A demonstrative can be used with a noun. Thus: They are running an intensive course in Manchester. This is especialluy designed for overseas students. A demonstrative can be used as a substitute for several words or an entire sentence:

2.c. A big fire broke out in a laundry a few weeks ago . It destroyed all the clothes inside, and two adjacent buildings.

It refers to *fire*

2.d. Anas, Sattar and Ibrahim called to see me last night. They all came in Anas's car.

They refers to 'Anas, Sattar and Ibrahim.

3.d. Being very angry, Fareed slapped his wife. Later on, he felt guilty and went to apologize to her saying, 'forgive me, Fatin'. The pronoun *me*, which is in the objective case,is used to refer back to 'Fareed''.

4.d. Chomsky's transformational grammar has been held in great regard for the last twenty years. Now ,some linguists think of it as simply 'wrong'. *It* refers back to the noun phrase Chomsky's transformational grammar.'It 'also has a special use not merely as a substitute pronoun for a preceding noun, as is usually the case, but as an item covering a whole portion of the text.A.The insurance company will stand the loss.

B– It doesn't please me, though.

Note that nowhere does the syntactic function of the pronoun or that of its referent have any bearing on the anaphoric relation. It follows from this that their functions do not necessarily correspond to each other. Consider the following examples:

2.1. Fatin has a nice cardigan. She bought it at Orosdiback last week.

2.2. Fatin's cardigan is nice. She bought it at Orosdiback last week.

2.3. This nice cardigan is Fatin's.She bought it at Orosdiback last week. The pronoun 'She' is functioning as head, but it could refer back to Fatin in any of the preceding sentences, where Fatin is functioning as head (non-possessive) in (2.1.), as (deictic possessive) in (2.2) and as head(Possessive) in (2.3) Similarly, possessive pronouns(*mine*, *yours* etc.) and possessive determiners (my, your etc.) may refer to a referent having the same function as these of *Fatin* in 2.1., 2.3, Thus we could say :

3.1. I read yours; it was interestingly presented. I am sure your supervisor will be satisfied with it.

This ,however, would only be accepted in a context .

will be incomplete. This is referred to as 'textual reference' where the referent is a linguistic item in the text (3). For example, the occurrence of *he* normally presupposes a singular noun, human and male, common or proper, in some preceding sentence.

First person singular and second pronouns can also be used anaphorically.

More than one pronoun can occur in the same referential sentence; they may refer to the same preceding unit or to different ones. In what follows illustrative pronouns will be cited to show how personal pronouns are used anaphorically. Let us look at first person singular and second person singular pronouns:

1.a. Ahmed had a telegram from his mother. It read 'I am very ill and want to see you soon.'

Here the pronoun *I* refers back to Ahmed's mother; *You* refers back to Ahmed, and are thus anaphoric.

The first person plural *we* is also often anaphoric

1.b. My friend and I have applied for a job in this department. We have been accepted.

The pronoun *we* is used as a substitute word for 'My friend and I'

The pronouns *he*, *she*, *it* and *they* are used for reference and as substitutes for previously mentioned noun phrases in the context. Illustrative examples of the anaphoric use of third person pronouns are given below.

2.a. My father is sixty-five years old. He suffered from a severe heart attack last month. Fortunately he has now completely recovered.

Here the personal pronoun *he*, which is in the nominative case in the second and third sentences of 2.a. refers back *to father*.

2.b. Mrs Khayatt has been teaching in our department for many years. She first joined the department in 1967.

She refers back to Mrs Khayatt.

---

3. *R. Hassan* (1968) Grammatical Cohesion in Spoken and Written English, *'Part One, P.* 50.

Personal observation and experience show that the students' lack of mastery of the devices that enter into sentence connection very often results in loosley connected sentences, and thus coming out with a badly organized paragraph.

The paragraph is seen to consist of independent and dependent sentences. Independent sentences are those which can stand on their own and make sense. Dependent sentences, on the other hand, cannot occur independently, therefore they need some defining context to resolve their contexual ambiguity. The fact that some sentences are dependent on others presupposes some sort of connection between them. Some sentences are contextually dependent, that is to say they appear to be easily understood in the context of a larger unit in which they occur. (1)

In the present discussion however, attention is focused on one type of deictic reference, namely person deixis, in independent sentences.

Pronouns are used as substitute words for noun phrases. Thus the presence of a substitute presuposes the occurrence in a preceding, or following part of another item for which it is a substitute. Pronouns as such serve as a device for avoiding repetition and can express some relationship within the text. This is clearly shown in terms of ' deictic reference, that is to say they can point back to people or things or ideas mentioned earlier hence (anaphoric), or forward to something about to be mentioned in the text (cataphoric). (2)

A discussion of the anaphoric reference of the peronouns is given below. For the sake of using pronouns anaphorcically, one normally selects the third person pronouns, *he, she, it,* and *they*, since they are strictly speaking, anaphoric.

A third person pronoun normally implies the presence of a referent within the language of the text, so that in the absence of such a referent, the text

1. *Viola Wateeprhouse, ' Indepedent and Dependent Sentences, Journal of American Linguistics,* 29 (1963) 45– 54 .

2. R. *Quirk* (1972) A Grammar of Contemporary English, *P* 700

Forward

The present paper is in two sections, the first of which provides a linguistic description of a specific aspect of connectivity - person deixis -the role of pronouns as linking devices between sentences,, and the second section consists of teaching materials and methods suggested for the teaching of those connectives .

Introduction

On examining sentences that are placed together in a written or spoken text, even at a very simple level, one is bound to recognise various devices linking them. Such links can be made within a single clause, between adjacent clauses, between adjacent sentences, or even between sentences which are some distance apart in the text. The linguistic context is extremely important as being directly relevant to connection within a piece of language. One can also discern some internal features of the language and its organization which collectively contribute to the business of connection, such that we are able to say, whether a piece of language is coherent or not. Coherence can be lost if there is a break in the continuum of discourse. In connected discourse the meaning of each sentence depends on its relation with other sentences in the context. This relation can be expressed by a system of deictic reference;this system accounts for the relation between a sentence or apart of a sentence and the context in which it occurs. Connection as such can be achieved by, for instance, an anaphoric or dependent substitute one which implies an antecedent, or a previously uttered form .

In composition writing, the question of connection presents a special difficulty for many learners of English who begin writing paragraphs, and Iraqi learners are no exception.

THE ROLE OF PRONOUNS IN SENTENCE CONNECTION

By

R. M. KASIM AGHA
COLLEGE OF ARTS

Department of European Languages

Sa'nchez-Albornoz, Claudio. **En Torno a los Origenes del Feudalismo.** Buenos Aires , 1945.

Şua'rez Ferna'ndez .Luis .**Historia de Espa'na .Edad Media.** Madrid 1970.

Torres Balb'as Leopoldo . **Algunos Aspectos del Mudejarismo Urbano Medie -val.** Madrid , 1954 .

Vicens Vives, Jaime .**An Economic History of Spain** , tr. by F.M. Lo'pez-Morillas. Princeton University Press, 1969 .

Watt ,W. Montgomery. **A History of Islamic Spain.** New York, 1967.

Wehr, Hans. **A Dictionary of Modern Written Arabic**, edited by J. Milton Cowan. Ithaca, N.Y. : 1971..

Si quisiera Dios . = "If only God would."
¡Va'lgame Dios!="By God"(Literally, "Value me God"-used for surprise or displeasure.)
Vaya con Dios. = "Go with God."
Adio's = Good-bye. (Literally,,To God,,)

SELECTED BIBLIOGRAPHY

Asin Palacios . Miguel. **Contribucio'n a la Toponimia Arabe de Espana.** Madrid, 1940 .

Ba' albaki, Munir . **Al-Mawrid** (English -Arabic dictionary). Beirut .1977 (11th edition).

Baugh, Albert C. **A History of the English Language.** Englewood Cliffs, N.J.; 1936 (2nd edition).

Castro, Americo. **The Spaniards.** University of California Press, 1971.

Diccionario de la Lengua Espan'ola. Madrid: La Real Academia Espan'ola 1970 (19th edition).

Dozy, Reinhart. **Glossaire des Mots Espagnols et protuguis de'rivesde l'Arabe** Beirut .1974 (Librairie du Liban reprint).

Encylopaedia of Islam. Leiden: E.J. Brill Co. (2nd edition being issued).

Hitti, Philip K. **History of the Arabs.** London, 1964 (8th edition).

Le'vi–Provencal E. **Espa'na Musulmana**, tr. by E. Garci'a Go'mez. Madrid, 1967.

al–Makkari , Ahmed Ibn Mohammed. **The History of the Mohammedan Dynasties in Spain** , tr. by Pascual de Gayangos .New York, 1964 (Johnson Reprint Corporation).

Mone's, Hussain"La Division Politico–Administrativa de la Espa'na Musulmana" Madrid : **Revista del Instituto de Estudios Isla'micos** . Vol, V.,no 1–2 , 1957.

Pirenne, Henri . **Economic and Social History of Medieval Europe** . New york 1937.

As suggested above some of the closest relationships between Arabic and Spanish hinge on religion .It is certain that the *Reconquista* of Spain often took on aspects of a holy war-a veritable Christian version of the Islamic *jihād* . Historically this crusading spirit led to the fall of Granada,to the discovery and conquest of the New World and to the infamous Spanish Inquisition. The fanatically oppressive Catholicism of *El Santo Oficio* was, to some degree simultaneously a product of Islam and a reaction to Islam. The excesses of the Catholic *inquisidores* easily rivaled the abuses of their Islamic predecessors- notably the Mālikite *fuqahā* of Cordoba . With the expulsions and persecutions of the sixteenth century. Islam was apparently obliterated from the Iberian peninsula. The Muslims had indeed fled but they left some indelible traits on Spanish culture and language .The peculiar religious orientation of Spanish is particularly worthy of elucidation. In Spanish there are numerous expressions concerning God , roughly corresponding to the emphsasis on Allah in Arabic.The Spanish exclamation *ala!* for example, obviously owes much of its derivation and its vitality to the Arabic الله . Numerous phrases in Spanish ,while showing no direct linguistic connections with Arabic reveal a remarkable similarity of spirit with Islam and particularly with Allah:

Dios nos guarde = «May God protect us.»

¡ Vaya por Dios! = «By God !»

¡Ay .Dios! = «Oh' God !»

Si Dios quiere. = «If God wills it .»

Dios aprieta .pero no ahoga.= «God squeezes. but He does not strangle.»

Dios dara' . = «God will provide.»

Como Dios manda . «As God commands .»

¡Dios mio! = «My God !»

¡Por Dios! = «By God !»

Permita Dios ... =«May God grant ...» (This phrase is frequently used by the Spanish gypsies to introduce a curse ; e.g. *¡permita Dios que te hospitalizen!* = « May God grant that you be hospitalized.»

The above noted *almotace'n* is perfectly indicative of the subtle influence that the Muslims had on Spanish language and customs. The *almotace'n* is also called *zabazoque,* from the Arabic . صاحب السوق .
The *sāhib as-sūq* was an official concerned with the enforcement of *hisba*(حسبة). *Hisba* was the Islamic version of modern consumer protection schemes- insuring a good product at a fair price .The present - day Spanish *mercado pūblico*(also called *souk* or *zoco* form the Arabic *sūq*) owes most of its origins to the Muslims. Even the policeman who assures fair trading in the market has derived his position from the *sāhib as -sūq*.

The psychological effect of one language on another is difficult to determine with any precision . Such is the case in considering the more subtle influences of Arabic on Spanish; popular Spanish prejudices often obscure relationships that are linguistically clear .Despite the difficulties involved it is very interesting to examine the residual Arabic traits that are still reflected in the collective Spanish personality . Any such examination soon reveals some extreme paradoxes, especially in the area of history. The Muslim occupation of Spain was of long duration ,yet always plagued by an inherent instability .The majority of Andalusian Christians became Muslims soon after the conquest: then with the progressive *Reconquista,* the Spanish Muslims gradually became Christians. Consequently, Islamic Spain represents a unique love-hate relationship between Christians and Muslims- a vigorous shifting blend of resistance and acceptance. Thus we have the modern Spaniard using a fascinating duality in his language ;the most horrible curses and the sweetest blessings often show Arabic influences The Spanish tongue releases with equal facility *iMe cago en los moros !,* "I profane the Moors!"-or ioj*ala'!* , May God grant it ! (from the Arabic: وشاء الله) .Other paradoxical examples are not difficult to find.

When a spaniard (especially ayouny child)is not yet baptised as a christian, the popular saying is : *Es todavia un moro.* (He is still a Muslim). On the other hand , *Es muy moro* . «He is very Moorish.» could be taken as a compliment in the male-dominated Spanish society: it refers to a jealous, virile, frequently adulterous husband.

ARABIC ROOT	SPANISH DERIVATION	(ENGLISH)
الصائفة	*aceifa*	"summer campaign"
الدليل	*adalid*	"military guide"
الدرقة	adarga	"leather shield"
الديوان	*aduana* 22	"customs"
الغريد	*alarido*	"war -cry "
البند	*albenda* 23	"flag or banner"
القائد	*alcaide*	"general or chief"
القاضي	*alcalde*	"city mayor" (Arabic root = l"judge")
القصبة	*alcazaba*	"stronghold"
الخنجر	*alfanje*	"type of saber"
الفارس	*alf'erez*	"cavalryman"
القرادة	*algarrada*	"stone catapult"
الوزير	*alguacil* 24	"minister or official"
الجعبة	*aljaba*	"case for arrows"
أمير	*almirante* 25	"admiral"
المشرف	*almojarife*	"customs inspector"
المحتسب	*almotace'n*	"inspector of weights and measures "
امان	*ama'n*	"amnesty or safe-conduct"
دار الصناعة	*arsenal*	"arsenal"

---

22. *Compare: Spanish,* aduana, *Italian,* dogana, *Provencal,*doana *;Franch,* dcuane.

23. *There is no connection between* albenda *and bandera. another Spanish word for flag;* bandera *is derived from the Gothic* bando.

24. Alguacil *is now primarily a term for an official of the bullring;he is a colorful horseman who rewards a successful matador.*

25. *Compare: Spanish* , almirante*; Italian,* alm raglio.*Portuguese,* amirah*; French,* amiral, *English admiral.*

البناء	*albañil*	"construction worker"
البرادة	*albarrada*	"stone wall"
القنطرة	*alca'ntara*	"bridge, arch"
القبة	*alcoba*[20]	"alcove" (Arabic root="dome")
الضبة	*aldaba*	"door - knocker"
الفردة	*alfardo'n*	"hexagonal tile"
الفسحة	*alfe'izar*	"empty space"
الحماء	*alhami*	"stone bench"
العضادة	*alidada*	"carpenter's rule"
المنار	*alminar*	"minaret"
الرباع	*arraba'*	"architectural adornment"
الدائرة	*ataire*	"door or window frame"
التوريق	*ataurique* [21]	arabesque."
الزليج	*azulejo*	"floor or wall tile"

The occupation of Spain by the Muslims was both long and contested. The Arabs introduced an advanced civiization into al-Andalus, especially in terms of goverment. The Christians of the *Reconquista* learned from the Muslims concerning official and military affairs; it is perfectly logical that much Spanish borrowing occured in these areas - as confirmed by the list below :

---

20. Alocba *has passed into numerous modern European languages-e.g. Italian, alcova; French,* alco've *and English alcove.*

21. *Ataurique literally means "a floral design" in architecture-what has come to be called* "**arabesque**". *Arabesque first entered English* **Arabus** *during the 17th century, via the Italian arabesco (derived from Latin* Arabus+esco, *literally "more at Arab"). Arabesque was subsequently adopted by modern Arabic as* الارابيسك *,virtually eliminating its classical Arabic equivalent* التوريق .

Almoravid work was even plastered over. Simplicity and grandeur normally characterize Almohad monuments, suchas La Giralda and La Torre de Oro that still remain in Sevilla. Almohad military architecture was notable, having borrowed a great deal from Byzantium. One of the results of progressive *Reconquista* was the rise of Mude'jar(19)art, representing a vigorous blend of Islamic and Christian elements. The Alc'azar of Sevilla is on of the greatest products of Mude'jar architecture. The end of Muslim Spain corresponds to what is called Grenadine art. This closing period, lacking innovation but striving for perfect craftsmanship, is symbolized by the fragile beauty of Granada's Alhambra.

The following selections deal with Spanish architectural terminology that is derived from Arabic::

ARABIC ROOT	SPANISH DERIVATION	(ENGLLSH)
المسمار	*abismal*	"nail"
الدرجة	*adaraja*	"sttep or stair"
الطوب	*adobe*	"brick"
الدكان	*adoqu'in*	"cut building stone" (Arabic root "shop")
الشميس	*ajimez*	"arched window"
الشوار	*ajuar*	"matched furniture"

19. *The Spanish term* mude'jar, *"one left behind", is derived from* مدجن *A* mudajjan *was, therefore, a Muslim who chose to remain among his Christian conquerors. In Arabic,* mudajjan *is literally "domesticated or tamed" indicating a subtle distain for those Muslims "domesticated" by the Christians. Concidentally,* muder'jar *is similar in meaning to the Spanish* dejar, *"to leave". Nodirect connection, however, has been established between* mudejar *and* dejar. Dejar *is apparently derived from the Latin* laxāre, *"to relax, to weaken".*

لازورد	*azul*	"blue" (Arabic from Persian *lazaward* - the precious blue stone *lapislazuli*)

The enormous influence of Hellenized Islamic science on European science is readily apparent from the preceding list. As is evident, many terms have found their way into English with little or no change; azimuth, alkaline, camphor, alcohol, almanac and alchemy are some of the most salient examples.

Architecture in Islamic Spain, like so many other aspects of its civilization, represented a unique blending of influences. The outstanding production of the early period was the Great Mosque of Co'rdoba. While its use of the horse -shoe arch shows Visigothic influence, the presence of double, super -imposed arches is unique for a mosque - possibly being derived from the style of some Roman aqueducts in Spain . Hellenistic influences are quite evident in later additions to the mosque at Co' rdoba and in the construction of Madinat az-Zharā; it is probable that Abd ar-Rahman III and al-Hakam II imported numerous Byzantian craftsmen for these projects. The square minaret added to the Geat Mosque by the first Spanish caliph continues the tradition of Syrian Umayyad art. At the same time, however, many artistic influences were being derived from the rival caliphate in Baghdad . After the fall of the Spanish caliphate, there was a period of architectural continuity that looked more to traditions than to innovations. The bodies of skilled craftsmen that had previously served the needs of the caliphate now took commissions from the *taifa* kingdoms.(18)The succeeding Almoravids readily adopted Spanish architecture and used Andalusian artisans in North African building projects. The religious puritans of the following Almohads lead to a reaction against decoration; some of the previous

18. *The most notable example of Taifa architecture that remains is the* Aljafe'ria *of Zaragoza.*

ARABIC ROOT	SPANISH DERIVATION	(ENGLISH)
الباورى	*abalorio*	"crystalline"
حب المسك	*abelmosco*	"musk seed abelmosk" (*Hibiscus Abelmoschus*)
(السموت جمع السمت)	*acimut*	"azimuth"
آخر نهر	*Achernar*	"a star in the constellation Eridanus"
العقرب	*alacr´an*	"scorpion"
الانبيق	*alambique*	"alembic or beaker"
البرص	*albarazo*	"leprosy"
البياض	*albayalde*	"lead carbonate" used in white paint"
القالي	*´alcali*	"alkaline"
الكافور	*alcanfor*	"camphor"
الكحل	*alcohol*	"alcohol"
الكرة	*alcora*	"sphere"
الكبريت	*alcrebite*	"sulfur"
الفالجية	*alfereclia*	"hemiplegia-aparalytic disease of infancy"
الخفقان	*algafac´an*	"heart palpitation"
اليرقان	*aliac´an*	"jaundice"
الجوهر	*alj´ofar*	"pearl" (Arabic root meant jewel or gem)
المغرة	*almagra*	"iron oxide"
المناخ	*almanaque*	"almanac"
النشادر	*almohatre*	"ammonia salt"
الكيمياء	*alquimia*	"alchemy"
عنبر	*´ambar*	"ambergris or ambar"
التون	*at´un*	"tuna" (Arabic root is from Latin *thunnus* - from a Greek original)

intellectually commercially and militarily it had no rival. This great aehievement in science,,literature and the arts reached its apogee in C'ordoba under the next caliph, al-Hakam II . Al -- Hakam II is especially remembered as an extreme bibliophile; he is said to have collected the greatest library of his time - 400 , 000 volumes. Even the political disintegration of the caliphate at Co'rdoba did not slow the intellectual development of al- Andalus.The resulting petty kingdoms (16)not only maintained but increased the cultural leadership of Islamic Spain . The political rivalry of the various taifa kingdoms in turn caused the emergence of an intellectual rivalry. The taifa courts vied with one another not only in opulence but also in the quantity and the fame of resident scholars. These small kingdoms also represented a fragmentation of the intellectual restrictions that had previously been imposed by the powerful Malikite theologians. The result was an unsurpassed literary flowering in eleventh century Islamic Spain. This Spanish Arabic learning, built upon its base of Greek philosophy, came to permeate all of western Europe during the twelfth century. (17)

In light of the above resume'. the passage of numerous scientific terms from Arabic into Spanish should come as no surprise. The "a-" group once again serves as the basis for the following list:

---

16. *These petty kingdoms are known in Arabic as* ملوك الطوائف *literally «Kings of small states".* Muluk at-tawaif *is rendered in Spanish as* Reyyes de las Taifas .
17. *The city of Toledo was intellectually pre-eminent during the twelfth century . Having come under Christian control in* 1085, *it nevertheless continued the tradition of Arab scholasticism. The school of translators at Toledo is especially worthy of note, having passed much of Greek philosophy from the Spanish Arabs into medieval Europe.*

The advanced culture of Islam was characterized by the assimilation of knowledge from conquered populations. This trait meant the integration into Islam of the best from the Indian, Iranian and Greek civilizations. In their process of absorbing the fruits of various cultures, the Arabs themselves were physically absorbed; in a short time there came to be a pronounced lack of racial purity among the Arabs. The two things that were largely unaffected by this melting-pot of genes and ideas were the Islamic religion and the Arabic language. "The Arab Islamic civilization was at bottom the Hellenized Aramaic and the Iranian civilizations as developed under the aegis of the caliphate and expressed through the medium of the Arabic tongue." 14 Despite so much integration, the Arabs nevertheless made some highly original contributions to civilization.
Trigonometry, algebra and analytic geometry were largely founded by the Arabs. Yet their most important contribution was in the gray area between religion and philosophy. Medieval Islam"... succeeded for the first time in the history of human thought in harmonizing and reconciling monotheism the greatest contribution of the ancient Semitic world, with Greek philosophy, the greatest contribution of the ancient Indo-European world thus leading Christian Europe towards the modern point of view."15

The conquest of Spain had been intellectual as well as military.
The native Spaniards were confronted by a superior civilization that they soon came to adopt. Islam gave to the intellectual life of al-Andalus far more than it received. With the establishment of the caliphate by 'Abd ar-Rahman III (929 A.D.) Cordoba had become the premier of Europe-

---

14. *Philip K. Hitti, History of the Arabs, p.* 174.
15. *Ibid., p.* 381-382.

systems. The beautiful flowers that produce saffron (Sp. *azafr'an*, from الزعفران were first cultivated in Spain by the Muslims 12.In the active economy of al-Andalus, industrial plants became very important-good examples are flax, cotton13 silk and *esparto* grass. Livestock raising was also a significant activity with the husbandry of horses, cattle, goats, asses, sheep, fowls and bees being most dominant .Another selection from the a – group should further illustrate the agricultural importance of the Muslims in Spain :

ARABICROOT	SPANISH	DERIVATION ENGLISH
حب الرأس	*abarraz*	« seed or grain »
الزبيب	*acebibe*	«raisins or prunes »
الزيت	*aceite*	« olive oil »
السلقة	*acelga*	« *beta vulgris* a type of spinach »
السميد	*acemite*	« very white flour »
الزعرورة	*acerola*	« *mespilus azerolus*, a type of fruit tree »
عدسة	*adaza*	« *lentil* »
الجلجلان	*ajonjoli*	« sesame »
البقارة	*albacara*	« place for cows »
الباكور	*albacora*	« fig »
البيض	*albaire*	« eggs »
البندقة	*albondiga*	« meat-ball made the size of a hazel nut»
الخرشف	*alcachofa*	« artichoke »
الفصفصة	*alfalfa*	« alfalfa »
المعصرة	*almazara*	« olive oil press »
اللوبياء	*alubia*	« green bean »

12. *Saffron ,an important export in the time of the Muslims, is still an attractive export in modern Spain .In fact, saffron is generally considered to be the most expensive of all spices .*

13. *Cotton , like sugar , has becomea familiar domestic and linguistic item in Europe from the Arabic* القطن *we get the Spanish* algodon *the Portuguese* algodao, *the English* cotton *,and the French* cotton.

Arabic . Of special interest is the continuous improvement , expansion and innovation in irrigation (in large measure as a response to droughts that characterized al-Andalus). The following list indicates some of the words dealing with various aspects of irrigation :

ARABIC **ROOT**	SPANISH DERIVATION	(ENGLISH)
السانية	*acena*	«warter - wheel»
الساقية	*acequia*	«irrigation canal»
الدور	*ador*	«one 's turn for water»
الدفة	*adufa*	«sluice»
البركة	*alberca*	«depository for water»
البحيرة	*albuhera*	«water reservoir»
القادوس / القادس	*alcaduz*	«water pipe»
الجب	*alchub*	«well»
العامة	*alema*	«water' by turn»
الفوارة	*alfaguara*	«rushing spring water»
الجب	*aljibe*	«well»
المنهرة	*almenara*	«canal»
الطرحية	*atarjea*	«drain or sewer»
السد	*azud*	«dam with water-wheel»

The agricultural products of Andalusia were numerous and varied. Cereal production normally exceeded consumption, with wheat being the most important grain .Olives (Sp.*aceituna* from الزيتونة)were widely cultivated ; olive oil quickly became important both for domestic consumption and for export . The growing of grapes and the production of wines continued to be wide-spread, despite Qur''ynic prohibitons against the latter activity .The Arabs introduced rice (Sp. *arroz*, from ارز) and sugar cane 11 into Spain ; these plants prospered due to the extensive irrigation

11. *Sugar* (*sp*. azucar *from* السكر) *probably originated in India.As Dozy explains, the Arabic* as - sukar *may be derived from the Persian* شكر *The word has Passed more or less unchanged into the European languages, e.g., German* Zucker *and French* sucre .

rule is still reflected in the Spanish borrowings; thus «the suburb» (الربض) is rendered in Spanish as *arrabal*- not as *alrabal*. Where the normal definite article went unchanged in Arabic ,so it goes in the borrowed Spanish«the pillow» (المخدة) for example , becomes *almohada* -not *ammohada* .The Arabic definite article even helped to produce the modern Spanish definite article (in the masculine only); thus, the Arabic *al*- has been transformed indirectly into the Spanish *el*. This development runs from the Latin *ille* through the reinforcement by the Arabic *al*- to the modern Spanish *el*. Consequently some masculine Spanish nouns present an interesting«double» definite article ; for example *el alarde* (from العرض) linguistically means «the -military review »the first article being grammatical and the second etymological. Similarly with the Spanish indefinite article, *un alarde* could be analyzed as a the- military review. Despite these academic contradictions, there is no confusion in modern Spanish ; no word (even one with the residual Arabic *al*-) has a « built -in » article .

As previously shown ,the majority of Spanish words derived from Arabic begin with the letter «a» .Therefore ,it is reasonable to use this group as fairly representative of all the Spanish words that were borrowed from Arabic .From a total of 640«a-», words the approximate break-down is:

Agricultural terms	225
Scientific terms :	65
Architectural terms:	50
Military official terms:	50

The remaining derivations deal largely with matters of Islamic custom, religion, history and clothing ; some diverse examples are *adarme*, «dirham (الدرهم) ; *ajedrez* «chess» (الشطرنج) ;*Al*-, «God» (الله) *alborbola*, «joyful» cry » (الولولة) ; *albornoz*, cape (البرنس) *alcahuete*, «procurer»(القواد) and *algoritmo* «arithmetic» (الخوارزم).

The Spanish Muslims , adapting themselves to the native Andalusian spirit,always remained sensitive to the intimate connection between agricultural and urban prosperity . The fostering of agriculture by the Muslims in Spain explains the large number of agricultural terms that have come from

of military security virtually eliminated any Spanish motives for turning to a system of feudalism .As some of the subsequent vocabulary will indicate, the Muslims fostered agriculture in the fertile Andalusia; this agricultural base was expanded into urban industry and a flourishing Mediterranean trade. The Arabic propensity for cities (consistent with Roman urban (8) tendencies in Hispania) further helped Spain to avoid European feudalism.

The influence of Arabic upon Spanish is most pronounced in vocabulary. «It is a general observation that languages borrow words but do not borrow their grammar from other languages»(9)The Romance vernacular was, by711A.D., already firmly based on a modified form of Latingramma Spanish was already a rudimentary language before Islam appeared in Spain .The subsequent intimate contact of this Romance Spanish with Arabic served primarily to enrich the vocabulary of modern Spanish.

The modern Spanish words begining with the letter «a» are most representative of the influences from Arabic .The nineteenth edition of the *Diccionario de la Lengua Espanola* , for example gives over six hundred «a» words that have come directly from Arabic .Dozy in his *Glossaire des Most Espagnol set Portugais d'eriv'es de l 'Arabe*,devoted 221 out of 375 pages to words beginning with«a».This top-heavy«a-»vocabulary has a simple explanation; the Arabic definite article al-has, in many cases been retained in modern Spanish.(10) It is to be remembered that the Arabic article is altered when in combination with a word beginning with a sunletter consonant .This

---

8. *See the excellent article by Hussain Mon'es ,La Divisio'n polit'ico-Administrative de la Espna Musulmana .The great Spanish scholar Claudio Sa'nchez- Albornoz is recommended for his three volume work on feudalism-* En Torno a los Origines del Feudalismo.

9. *Albert C. Baugh* , A History of the English Languge *P*.**200**.

10. *The Arabic definite article was sometimes prefixed to a Latin root to produce a new word in Spanish* . Albarsa (*a fisherman's basket or kit),for example, is derived from a combination of the Arabic al- and the Latin* bursa «*bag*» . *Such hybrid words have not been directly considered in this study.*

The six million (4) Andalusians received generally tolerant treatment from their Muslim conquerors.(5) Al-Andalus was not financially or religiously oppressed by the Arabs ; the people in general and the Jews in particular , actually fared much better than under the Visigoths .The tolerance of languages was also very broad ; the official language was Arabic the street Romance was called *aljam'ia,* (6) the Berbers spoke a dialect called *algarabia'*, (7) and the Christian clergy used Latin . In the face of such lenient conditions the native Spaniards quickly became attracted to Islamic culture and religion· Large numbers of Andalusians soon began to intermarry with the Muslims, to speak Arabic and to profess Islam. مولدى (Spanish, *muladi*) refered to one who had converted to Islam ; these *muwalladu'm* soon became the Muslim majority in Spain . مستعرب (Spanish, *mozarabe*) was the designation for Arabized Christians; they did not actually profess Islam but were drawn to Muslim practices and institutions. Many of these *musta, ribun* dressed as Arabs,spoke good Arabic and even maintained harems.

A very significant benefit of the Islamic occupation was the retardation of Spanish feudalism ,contrary to the trend in Medieval Europe. The Islamic introduction of a monetary economy and a centralized maintenance

---

(4.) *This probable figure is given* by : *Jaime Vicens Vives* ,An Economic History of Spain *p*. 103.

(5.) *Conquered populations in Islam were known as* أهل الذمة «*People of the custody*» *yas such, they were taxed but were not forced to convert to Islam. The Christian and Hebrew communities fell into the even more favored group of* اهل الكتاب « *people of th book* » *and they were granted a large measure of political and religious autonomy* .

(6.) *The Spanish* alijamia *is derived from* العجمية *the strange language i.e. not Arabic* (*here applieid to Romance Spanish*).

(7.) *The Spanish* algarabi'a *comes from* العربية *literally* , «Arabic» *In modern Spanish*, algarabi'a *has five distinct meanings - reflective of the confusion caused by the speech of the Arabs and the Barbers:* **1** *Arabic language* **2**. *Unintelligible language or writing* **3**. *Poor pronunciation* **4**. *Confused shouting of several people* **5**. *Aweb* .

most of the old Roman cities survived the Muslim invasion, although their names were soon to be corrupted. The following table indicate the Arabization of some of previously Latin place - names in Spain :

LATIN	ARABIC	MODERN SPANISH
Cortuba	قرطبة	Cordoba
Carthago Nova	قرطاجنة	Cartagena
Hispali	اشبيلية	Sevilla
Caesaraugusta	سرقسطة	Zaragoza
Valetia	بلنسية	Valencia

Appropriately the, old Visigothic captal of *Toletum* survived in its diminutive form: طليطلة; *Toletula* subsequently became the modern Toledo. New areas established by the conquerors were logically given original Arabic place-names ; good examples are Algecirs (الجزيرة الخضراء « the green island) and Almerla «المرقب» the watch -tower).Many existing geographic features, such as rivers and mountains also took on new Arabic titles; thus, we have the great river of Cordoba and Sevilla being called the Guadalquivir (from الوادي الكبير). Some placs took the name of their «new Arabic or Berber inhabitants ; representatives of this trend are Ghāfiq (غافق) in C'ordoba province and Miknāsa (مكناسة) in Aragon. Many place - names in the Valencia region were formed like names of tribes, using the *Beni*-prefix, the modern resort of Benidorm is a well-known example.

= *to remind us of the Christian remnant that held out in northwest Spain. Islamacists, on the other hand, stress the vigour of early Islam and its tremendous capacity for expansion. Numerous popular tales have hindered rather than aided historical analysis), The most probable explanation is that Spain was easily conquered, because the people wanted to be conquered. The Visigothic abuses caused many native Spaniards to look upon the Muslims as deliverers from oppression. Through internal dissensions, the Visigoths further weakened their owm cause even at the crucial battle of Barbate the Visigoths did not with unity.*

The Muslims controlled a significant portion of the Iberian peninsula from the conquest of 711 A.D. until the fall of Nasrid Granada in 1492. This control extended, at times, over virtually the entire area of modern Spain and Portugal. The hājib al- Man ṣūr during the year 997 , even managed to sack Santiago de Compostela, the holiest Christian shrine in western Europe. This extended Islamic occupation profoundly affected the course of Spanish history. My intention in this paper is to focus on some of the Arabic contributions to the development of the modern Spanish language.

One of the earliest Islamic influences manifested itself in Spanish place - names. (1) The reconnaissance force of 710 A.D. under Tarīf · Ibn - Mallūq landed on a small peninsula that still bears the name Tarifa. The main invasion force of 711, under Tāriq Ibn - Ziyad entered near a peak that was given the name جبل طارق "the mountain of Tariq"- the modern Gibralter. Even the whole area invaded was given a new Arabic designation : الاندلس *al - Andalus* - origin of the modern Spanish *Andaluci'a* (2). After a decisive seven -day battle at the Ri'o Barbate, the Muslims quickly subjugated almost all of what had been Visigothic Spain; many cities simply opened their gates to the invader (3). Consequently,

---

1. *The best examination of Spanish place -names derived from Arabic is: Miguel Asi'n Palacios, Contribucio'n a la Toponimia Arabe de España. The new Encyclopaedia of Islam also has very helpful information in its article on al-Andalus .*
2. *The various names given by the Muslims to what is now called the Iberian peninsula are very interesting. The term al-Andalus (probably derived from Andalosh, a corruption of Vandalocii, "region of the Vandals") was first applied to the area around Tarifa but was soon expanded to include all of the Iberian peninsula. The Arabs and the northern Christians also used the ancient Hispania (Arabic, اسبانيا) for the region of Muslim conquest this path has led to the modern Spanish for the area-España. The modern Spanish Andaluci'a refers only to the southetn provinces.*
3. *The relative ease of the Islamic conquest of Spain has provoked much controversy among historians. Apologists for the Reconquista are quick=*

SOME INFLUENCES OF ARABIC ON MODERN SPANISH

BY

WILLIAM ELLIOTT, M. A
UNIVERSITY OF MOSUL

٤٩٩

qaratappa	village in Kirkuk	qurimpa:ra	a homosexual male
piʃpiʃ	for calling a cat	mpawwaT	demted
spinda:r	a kind of tree	pirda:ɣ	glass
? aspiri:n	Aspirine	po:pli:n	kind of cloth
pidʒa:ma	pyjamas		
pro:fi:so:r	professor	panarti or panalti	penalty (in foot-ball)

BIBLIOGRAPHY

Al-Bakiri,Hazim. **Diraasaat fil? alfadh? alˁaamijja ?al Muusilijja wamuqa : ranatiha maˁal ? alfaadh ? alˁaamijja fil ? aqaaliim ? alˁarabijja.** As'ad Printing House .Baghdad .1972. pp. 100-10 (In Arabic).

A-Hamash,Khalil I. **A Contrastive Study of the Sound Systems of Iraqi Arabic and Standard English** . Al-Sha'ab Press.Baghdad .1969.

Al-Mouslly. Dawud Al-Chalabi . **Kalimaat Faarisijja Mustaˁmala fiiˁaamijja - til Muusil wali ? anHa ?il ˁiraaq təliiha kalimaat Kurdijja wahindijja.** Al-Ani Printing House. Baghdad . 1960. pp. 27-36 (In Arabic).

Youhanna ,Edward . P Sounds in Iraqi Arabic . **Al-Mustansiriya Literary-Review.** . College of Arts . University of Al Mustansiriya . Vol.1.1975 - 1976 .pp. 35-42.

psaTła	in a bucket
pro:tista:nt	protestant
pairaks	pyrax
kapsu:la	capsule
pa:ʃa	lord
ʔo:pr a	opera
kapra	wooden house for tourists in Iraqi resorts
pre:miz	cooker
pro:li:ta:ri	proletarian
pla:star	plaster
paida:r	peddle
paip	pipe
po:sTa tʃi	postman
sipraj	spray
pi:ka:dilli	Piccadily
tapsi	a dish
po:li:n	proper name (feminine)
pa:Trija:rk	Patriarch
puTrus	Peter
pi:ano: or pja:nu:	piano
paʃki:r	towel
pSo:nda	with a hose-pip
pansali:n	Panciline
salma:npa:k	a resort in Iraq
piSwantʃi	night-guard
pandʒ	five
paʃ paʃ	talked in a low voice

puʃt	a bad person
palaʃti	devilish;bad-mannered—
kalaptʃa	scuff
pi:p	barrel
pla:w	cooked rice
pa:k	even
pa:rti	party
ʔapo:lo	Apolo
pla:stik	plastic
pla:zma	plazma
po:landa	Poland
purtuɣa:l	Purtugal
ʔimpirja:lijja	Imperialism
poppai	a character in cartoon films
pa:ri:s	Paris
pipsi	Pepsi Cola
pa:pa	Pope
pa:ska:l	Pascale
po:liS	Paul
tʃips	crisps
purtuqa:l	orange
ʔampisili:n	Ampiciline
na:piljo:n	Napoleon
pa:kiza or pa:ki:za	a name (feminine)
pist	hissing at someone to pay attention
piʃt	for dismissing a cat
pahlawa:n	clown

pirwa:z	frame	parawa:na	blades of the fan
pasta	song	pusTa:l	heavy boots
pukla	a lock of hair at the front	pla:ŋke:t	blanket
palati:qa	novelties	pamp	pump
pandʒara	window	pandʒa	hand
panzartʃi	a gay light-spirited person		sportsmen
		po:ti:n	shoes
pu.ʃi	veil	pwa:l	units of domino or backgammon
pihri:z	special food for the sick	pja:la	cup
japraɣ	special type of Iraqi food	marpi:tʃ	hose - pipe
mpajjas	dirty	mparTax	cheeky
lampa	lamp	qo:ptʃa	button
qanapa	sofa	qapaɣ	pan's cover
qappaT	finished	qa:pu:T	coat
Tappi	ball	Ta:pu	estate office
spe:r	spare-parts	sipriŋg	spring
rapo:T	report	tʃa:pa:n	coarse cloth
spe:na:ɣ	spinach	tʃappe:wi	left-handed
Spa:na	spanner	Spa:nja	Spain
sp:ort	gentle	?ampe:r	ampere
po:liski	name of car	psa:T	carpet
pa:tʃa	a dish of lamb's head etc.	panTalu:n or panTaru:n	trousers
pro:va	rehearsal	pa:S	bus
paisikil	bicycle	ho:p	stop
po:dra or paudir	powder	po:li:ʃ	polish
pra:wa	fitting	mapsu:T	beaten
pantʃar	puncture	pla:ti:n	platinium
pTa:la	bottles	psira	in a cue
po:z	swagger	pute:ta	potato
So:pa	heater	tpa:wa:k	debt settlement
tappu:la	a kind of dish	Surimpa:ra	girls-chaser

APPENDIX 1

IA Assimilated words : / b/ / is to be realised as [b̥]

bHa:li	in my condition	bkubra	of his age or size
bxandʒar	with a dagger	bʃa:riʕna	at our street
bsa:ʕ	in a hurry	Drabta	I hit him
?abxas	cheaper	mabqe:t	I didn't stay
bqalami	with my pencil	?ibtisa:m	a proper name (feminine)
bSaffi	next to me or in my class	bqarjatna	in our village
bʃa:ra	good news	jibtʃi	cries
?abʃaʕ	more cruel	?absaT	easier
kabt	suppression	Habs	prison
bfa:riq	with a difference	?abTa:l	heroes
bsurʕa	in a hurry	?ibtiha:dʒ	a proper name (feminine)
mibttal	wet	bta:ri:xilʕarab	in the history of Arabs
mubtada?	subject	bqe:na	we stayed
bʃarafi	by my honour	nabta	plant
mibtili	burdened	bke:fak	as you like

APPENDIX 11

Borrowed Words (in Mislawi and Baghdadi dialects)

pa:ro:la	trick	pa:ra	penny
pa:Ta	equal result	pa:lu:ta	sweets
pa:nda:n	ink	pa:ɔka or pa:ɔka	fan
pa:ja	step	si:pa:ja or ?e:pa:ja	roof-rack
tʃa:rpa:ja or tʃarpa:ja	bed	puxta	well-cooked or crushed
partʃam	rivet	partʃa	a piece of cloth
pe:k	a small glass of drink	pardasu:n	overalls
pa:lTu	coat	parda	curtain
paraT	vomit	prindʒ	copper

-mic terms , a plus juncture , /+/, is obviously there ,a fact which is unquestionable.[5] Even for $[k^hap^ht^h]$ 'supression' and [Hap^hs] 'prison , aspiration is not as marked as it is belived (*Ibid.*). Both words are clearly heard from the radio or TV, for example, as $[kab\underset{\circ}{t}]$ and $[Hab\underset{\circ}{s}]$,respectively.

To sum up this point, I find it necessary to set down a rule where the allophones of /b/ are realised in IA native words as $[\underset{\circ}{b}]$ s :

Rule VII

$$/b/ \longrightarrow [\underset{\circ}{b}] \;/\; __ \left\{ \begin{array}{c} T \\ t \\ s \\ S \\ \int \\ t\int \\ f \\ k \\ q \\ x \\ H \end{array} \right\}^{6}$$

Conclusion

When / b / is adjacent to voiceless consonants in IA native words, the resultant allophone is $[b_{\circ}]$ and not $[p^h]$ since this phonetic process results in partial assimilation, i. e., devoicing. [p] sounds in loan words occur in all positions, i. e. , initially, intervocalically and finally. These [p] s have four degrees of aspiration ; each degree is determined by the position a [p] sound occupies. It may either be moderately or strongly aspirated in word - initial position before vowels and in word -- medial position, while it is less aspirated or unaspirated when forming part of a consonant cluster.

5. *Listen to the recurrent word* $[?ip^ht^hada]$ *in one of Abdul Halim Hafudh's songs, the late Egyptian singer.*

6. ***The rule is to be read as:*** */b/ assimilates into* $[\,b_{\circ}\,]$ *before one of the bracketed voiceless consonants*

A third category of [p] sounds in IA is usually added to the two already mentioned . These [p] s are said to be realisations of the native IA/ b/ when adjacent to voiceless consonats. Moreover, it is also believed that the resulatant sounds are aspirated (cf · Youhanna, 36). But the question to be raised here, though springing from personal judgement , is : to what extent are these realisations of /b/ attested to be [p] sounds? Even if this were true, these [p] s would certainly lack aspiration. However, I feel that a [b̥] is much felt, and many people would argue that the follo- wing instances, for example, contain [b] s and not [p] s, though one may hear in some idiolects the latter sounds, but again, unaspirated:

/bxandʒ ar / ⟶ [b̥xandʒar] ~ [pxandʒ ar][4] 'with a dagger'
/ bkubra / ⟶ [b̥kubra] ~ [pkubra] 'of his age or size'
/bqalami / ⟶ [b̥qalami] ~ [pqalami] 'with my pencil'
/ bfa : riq / ⟶ [b̥ fa : riq] ⟶ [pfa : riq] ~ [ffa : riq] 'with a difference'
/?ibtisa : m/ ⟶ [?ib̥tisa : m] ~ [?iptisa : m] 'a feminine proper name'
/ ?absaT/ ⟶ [? ab̥saT] ~ [?apsaT] easier
/ bt ʃ e : t / ⟶ [b̥tʃe : t] ~ [p tʃ e : t] 'I cried'
/ bʃa : riʕna/ ⟶ [b̥ ʃa : riʕna] ~ [pʃa : riʕna] 'at our street'
/ ? abTa : l / ⟶ [? ab̥Ta : l] ~ [?apTa : l] 'heroes'
/ bsurʕ a / ⟶ [b̥surʕa] ~ [psurʕ a] 'in a hurry'

One may find many other examples of /b/ realisations in IA ,especially when it is adjacent to /t/ (see Appendix I).

Now, even if it were possible to produce an aspirated [p] in [?ip——] in the following examples :

[?ip^{h}t^{h}ak^{h}ra] 'innovated'
[?ip^{h}t^{h}alaʕa] 'swallowed'
[?ip^h$_t$^{h}ada?a] 'started' (*Ibid.*, P. 34)

then a pause is clearly marked between the first and second syllables . Consequently , these words would seem artificial . Nevertheless ,to speak in phone

4. ~ *means that [p] alternates with [b̥].*

Rule V

$$\# \ (V) + \left\{ \begin{matrix} m \\ r \\ s \\ S \\ t \end{matrix} \right\} + [p] + (V) = [+\ \text{aspirated}] \text{ —— } 2$$

2. But when it is the first element of initial and medial clusters, [p] is [- aspirated] —— 0 since the adjacent consonats are voiced (except for /j/ and / w/ which behave like vowels,), but [p] can have [+ aspirat-ed] —— 1 since the second elements are voiceless :

Rul VI A

$$\# \ (V) + [p] \ / \text{ ——— } \left\{ \begin{matrix} l \\ m \\ r \end{matrix} \right\} + (V) \ [-\ \text{aspirated}] \text{ —— } 0$$

Rule VI B

$$\# \ (V) + [p] \ / \text{ ——— } \left\{ \begin{matrix} s \\ S \\ T \\ t \end{matrix} \right\} + (V) = [+\text{aspirated}] \text{ —— } 1$$

Rule VI C

$$[p] \text{ —— } [p^h] \ / \text{ ——— } \left\{ \begin{matrix} w \\ j \end{matrix} \right\} = [+\ \text{aspirated}] \text{ —— } 2$$

One last note to be made is that of a geminate [p] sound. It is usually the second which is aspirated, with the feature [+aspirated] $<^{2}_{3}$ as in [qaratappʰa] *a village in Kirkuk* and [poppʰai] *a name heard in cartoon films* .

The second type of [p] sounds covers the following instances borrowed from English whose/b/sounds are changed into [p] s, e.g., [pʰa : s], *bus*, [pʰais-ikil] *bicycle* and [? akropʰ a : ti : ki] *acrobat*. The degrees of aspiration of these [p] s are the same as those given in Rules I, IV and II, respectively .

4. [parda] *curtain* . [po:dra] *powder*

Aspiration in intervocalic occurrences is at a maximum degree:

Rule II

$$[p] \longrightarrow [ph] \;/\; ___ \begin{bmatrix} a: \\ a \\ i \\ o \end{bmatrix} ___ \begin{bmatrix} \left\{ \begin{matrix} u: \\ u \end{matrix} \right\} \\ \left\{ \begin{matrix} o: \\ a: \\ a \\ i \end{matrix} \right\} \\ \left\{ \begin{matrix} a \\ o: \end{matrix} \right\} \\ a: \\ a \end{bmatrix} = [\,+\text{aspirated}\,] \text{——} 3$$

[p] scarcely occurs in word-final position where it is usually weakly released :

Rule III

$$______ \left\{ \begin{matrix} ai \\ i: \\ o: \end{matrix} \right\} + p \;________ \quad [\,+\text{aspirated}\,] \text{——} 1$$

as in :

[paip] *pipe,* [pi:p] *barrel* and [ho:p] *stop* .

I have also observed that [ph] occurs before two diphthongs only, where it may either be moderately or strongly aspirated:

Rule IV

$$[p] \text{———} [ph] \,/\, \text{——} \left\{ \begin{matrix} \textbf{au} \\ \textbf{ai} \end{matrix} \right\} \text{———} \quad [\,+\text{aspirated}\,] \text{———} 2\ (3)$$

as in :

[ph aisikil] *bicycle,* [ph aida:r] *peddle,* [ph audir] *powder* [3]

In consonant clusters [p] is felt to be either aspirated or unaspirated. When aspirated, only three degrees are possible :

1. When it forms the second element of initial and medial clusters, whatever the environment is , [p] acquires [+ aspirated] —— 2:

---

3. *[po:dra] is also heard .*

To start with, four degrees of aspiration are recognised:

[0 aspirated] = unaspirated
[1 aspirated] = minimum aspiration
[2 aspirated] = medium aspiration
[3 aspirated] = maximum aspiration

Generally speaking , the first degree is [- aspirated], while the other three are [+aspirated]. However ,these degrees are determined by the various positions [p] sounds occupy.For example ,when [p] occurs before vowels in word- initial position or intervocalically, aspiration will be greater than when forming part of a consonant cluster. The reason is obvious in that vowels are completely oral, a feature which allows the compressed air flow easily. Thus, as a general rule [p] occurring in word- intial position before all vowels or intervocalically is automatically [+ aspirated] with varying degrees.

Rule 1

$$[P] \longrightarrow [ph] \; / \; \underline{\qquad\quad} \left\{ \begin{array}{c} a \\ a: \\ u: \\ u \\ e: \\ o: \\ i \\ i: \end{array} \right\} = [+ \text{ aspirated }] <^{2}_{3}$$

Owing to the degrees of aspiration of [p] s occurring before these vowels, it is felt that the amount and force of air to be puffed at the time of production become less when vowels get backed and longer. The following diagram illustrates the decrease in both as the arrows move rightwards:

——→ i ——→ i: ——→ e: ——→ a ——→ u ——→ a: ——→ u: → o:

However, one might assign the feature [aspirated] — 3 to the [p] s that occur before the first three vowels since they are front while [+aspirated] —2 is given to the [p] s occurring before the rest, e.g.,

1.	[pirtʃi:m]	*rivet*	5.	[puxta]	*over -crushed*
2.	[pi:p]	*barrel*	6.	[pu:ʃi]	*vell*
3.	[pe:k]	*a small glass of drink*	7.	[pa:ja]	*step*

Introduction

[p] sounds in Iraqi Arabic (henceforth IA) [1] are mere borrowings. They are taken mainly from Persian, Turkish, Aramaic and English(cf. Al-Bakri pp. 100-10; and Al-Mosully, pp. 27-36).[2] These [p] s are of two types, either those occurring in loan words or realisations of [b] sounds of some words borrowed from English. Those resulting from partial assimilation of the IA native /b/ due to adjacent voiceless consonants are devoiced [b] s and not [p] s.

Aspiration of these [p] s, which is an outcome of factors involving:

a . the amount of air compressed in the oral cavity to be finally exploded,

b . tension of lips; and

c . the degree of tenseness of the muscles involved in speech organism (cf . Youhanna, p. 39), is determined by the various positions they occupy . Therefore, the distribution of all these [p] s is necessary since the degree of aspiration can be detected and marked only after finding out the position a certain [p] sound occupies .

Analysis

The [p] s occurring in loan words seem to vary in the degree of aspiration from one position to another. But to say that [p^h] "occurs before front vowels in a few loan words" and that the unaspirated [p] "occurs elsewhere in a few loan words" (Al-Hamash, p. 22) seems insufficient . This paper will discuss aspiration in details through presentation of specific phonetic rules in accordance with the distribution of these (p] s.

---

1. *Baghdadi is usually taken to represent IA because it is understood by all Iraqis . This article pays due attention to Mislawi dialect since many borrowed forms do not exist in Baghdadi.*
2. *In the data collected for analysis, I could find some* 145 *loan words.* (*see Apendix* 11).

Distribution and Aspiration of [p] Sounds in Iraqi Arabic

BY

DINHA TOBIYA GORGIS, M.A .

ASSISTANT LECTURER

Bibliography

1. Beeston , A.F.L. **The Arabic Language Today**. Hutchinson University Library , London,1970.
2. Gantarino Vicente, **Syntax of Modern Arabic Prose.** Indiana University Press, 1974.
3. Fleischk Henri . L' **Arabe Classique, Esquisse D'Une Structre Linguistic.** Dar El-Machreq , Editeurs ,Beyrouth ,1968.
4. Howell, Mortimer Sloper . **Grammar of the Arabic Language.** Allahabad ,1880.
5. Howson, Johne.**Article and Noun In English** .Mouton ,the Hague , Paris ,1972 .
6. Ibn Abdi Rabbih **al-Aqada l- Farid** Edited by Amin Ahmed ,al-Zain Ahmed ,and al-Abyari , Ibrahim . Cairo ,1965 .
7. Jespersen ,Otto . **A Modern English Grammar On Historical Principles** Reprinted by George Allen & Unwin Ltd ., 1965.
8. Leech ,G. **Meaning and The English verb** . Longman ,1971 .
9. —— **Towards a Semantic Description of English** . Longman, 2nd impression, 1971 .
10. Lyons ,John . **Introduction to Theoretical Linguistics** .C U P, 1968.
11. Monteil, Vincent **L'Arabe Moderne Libraire** C. Klincksich ;Paris ,1960.
12. Palmer ,F.R . **The English Verb** . Longman ,1974 .
13. Reckendorf , H . **Arabische Syntax** .Heidelberg ,1927 .
14. Quirk,R.,Greenbaum, S. Leech ,G.,and Svartvik ,J A **Grammar of Contemporary English** . Longman, 2nd Impression ,1972.
15. Twaddell, W.F . **The Englidsh Verb Auxiliaries** . Brown University Press .,1963.
16. Wright, William . **A Grammar of the Arabic Language** . C U P , 3rd Edition, 1971 .
17. Zandvoort ,R.W. **A Handbook of English Grammar** . Longmans ,3rd Edition , 1965 .

The English tense is used to mark possibility, unreality or tentativeness in conditional sentensce s .In Arabic ,these concepts are normaly expressed by the particles إذا ، إن and لو

Finally the English past tense is used in reported speech to mark sequence of tenses or'backshift' , a purely Linguistic phenomenon which is not found in Arabic .

Future in the Past

This is a type of future seen from a viewpoint in the past . To express this English uses some of the future constructions used in the past tense.

I was going to see him later.

I knew he was leaving for France the next day .

We were to meet at the same place.

The plane was about to take off .

Arabic does not distinguish between the future proper and future in the past as far as the particles and the verb form are concerned; all that is required is an appropriate time-marker indicating the past .In the following examples the time-marker is underlined

كنت سأراه فيما بعد .

علماً انه سيغادر في اليوم التالي.

قال اننا نلتقي في المكان نفسه.

فلما اوشكت الطائرة على الاقلاع قال..

Conclusion

No exact equivalences are possible between two languages, especially between such different languages as English and Arabic ,because of the numerous variations caused by situtional context. All that we hope for is approximation and not an exact reproduction .[26]

The imperfect may be used to render into Arabic most of the meanings of the simple present tense and the progressive aspect ; it may also express future time .

The Arabic perfect may be used to express the majority of the meanings denoted by the past tense and the perfect aspect in English .

Since the two Arabic forms have no deictic properties ,they should be used with an appropiate time marker in order to indicate the exact time.

(26.) *On the topic of exact equivalence see John Howson* Article and Noun in English (*Mouton ,the Hague ,Paris* 1972),*pp*.35-6 *and footnote* 31; *Gregory Rabassa ,If This Be Treason : Translation And Its Possibilities, The American Scholar* , 1975, 44,1 , *Win* .

not.Semantically the English shall and will have a wider range of meanings. They may refer to the present, in addition to the future, to express certainty or prediction, e.g.

We *shall always agree* that Shakespeare is a great poet. لا شك اننا نتفق
That will be the milk انه بائع الحليب

and سوف denote futurity and are not used to refer to the present.

The particles لن ، لا + the imperfect are restricted to negative sentences. لن may be said to be the negative of ســ or سوف. Hence in Arabic these two types of particles do not co-occur. لا is weaker than لن and may indicate the future or the present, depending on the time-marker with which it is used : لا يذهب غدا ، لا يذهب الآن

In classical Arabic هل + the imperfect indicates future time, where as أ + the imperfect is often used for the present (25.) هل تسافر غداً Will you travel tomorrow ? أتقرأ الروايات الانكليزية Do you read English novels ?

In modern Arabic these rules are not strictly observed. هل has probably become more common than أ, and is used for the present and the future. In the latter sense it is sometimes found with ســ or سوف هل . هل (سوف) ستحضر الحفلة ؟

All this is an attempt by the modern Arabic writers at a greater precision in marking time by means of verbs.

Immediate or near future is expressed in Arabic by a special group of verbs named verbs of appropinquation افعال المقاربة. The most common of these are:

كاد ، اوشك ، قارب

The water is about to boil اوشك الماء ان يغلي

Finally the *nomen agentis* اسم الفاعل is sometimes used to denote future time. But since this form may also denote the present, an appropriate adverbial is required to indicate temporal relation, e.g.

اني مسافر الآن / غداً I am travelling now/tomorrow

---

25. *M.S. Howell*, Grammar of the Classical Arabic (*Allahabad*., 1880) 111, 622

Arabic, on the other hand, has three main ways of denoting future;

(1) The imperfect . يذهب غداً

(2) The particles سـ ، سوف the imperfect ; used in affirmative sentences and in question introduced by سيذهب سوف يذهب

(3) other particles + the imperfect .These may be divided into

(a) Negative particles لا ، لن

لا يذهب ، لن يذهب

(b) Interrogative particle هل ، هل يذهب

The imperfect may be considered the major means of expressing future time in Arabic.Like the present tense and the progressive aspect in English, the imperfect in Arabic normally requires a time-marker to express futurity. However, the Arabic imperfect lends itself more readily to futurity than the two English coustructions. This is hardly surpising since the Arabic impefect has no deictic characteristics ;it is not a marked form and with approporiate time- marker it may easily denote the future, or for that matter any of the three divisions of time. The two English constructions on the other hand,are restricted to certain verbs. Thus, It rains (is raininig) tomorrow is unacoeptable .

The particles سـ or سوف is used with the imperfect to render futurity more definite They may be said to express determination insistence' or volition . These particles are used mainly in affirmative sentences and in questions except those introduced by هل . In Modern Arabic ,however ,they are occasionally found in negative sentences and in questions with هل سوف يذهب:هل سوف لن يذهب .Such constructions are unacceptable to some grammarians .

سوف and سـ are sometimes ' equated' with the English shall (will).But there are basic syntactic differences between the Arabic particles and the English auxiliaries . The Arabic particles are more restricted in their use than the English auxiliaries. We have stated that the Arabic particles are confined to certain kinds of sentences , whereas the English auxiliaries are

Future Time :

Modern grammarians generally agree that English has no future tense, since there is no special verb form which denotes futurity. There are ,how - ever , a number of possibilities of expressing future time .These are closely connected with tense, aspect and modality ,and include :

(1) Shall or will + infinitive

I shall (will) go there.

He will do his best.

(2) Simple present tense

She leaves for Paris tomorrow.

(3) Progressive aspect

They are coming next Week

(4) Shallor will + Progressive aspect

We shall be leaving soon.

(5) Be going to + infinitive .

It is going to rain .

(6) Be to + infinitive

We are to meet here .

(7) Be about to + infinitive

The plane is about to take off.

Futurity is normally coloured by other semantic implications. Thus shall and will may express determinatin , volition or insistence ; the simple present tense often implies certainty; the progressive aspect usually denotes future realizations of the present arrangements : the construction with shall or will + the progressive aspect implies a casual future ;Be going to + the infinitive may mean future of present cause, or with a personal subject it may denote intention, Be to + the infinitive may express arrangement, order or pre-destined future ; Be about to + the infinitive expresses near future .

The present tense and the progressive aspect when denoting time are usually used with adverbials , since futurity is not the basic function of these two constructions (see tense and progress aspect above).

adverbial, is sufficient to indicate 'past in the past' .e.g جلس حيث جلس ابوه من قبل He sat where his father had sat before him.

Lexical elements are also used to expresse the semantic implications of the English past perfect e.g. سبقوان اخبر بذلك he had been told about it ,where the lexical verb سبق makes this meaning clear .

Past perfect Progressive

The relation of the past perfect progressive to the past is similar to the relation of the present perfect progressive to the present .Thus the basic elements of past perfect progressive may be said to be (1) the deictic element referring to past time and (2) the aspectual element denoting incompletion, repetition, recent action, duration or continuity (22)

I gave him the book which I had been reading (incompletion).

He had been visiting us once a week. (repetition)

Meanwhile the man whose affairs they had been discussing walked home.(23) (recent action).The bell had been ringing all the morning. 24

We have already discussed how the deictic element referring to the past may be expressed in Arabic (see tense). The aspectual element may be rendered into Arabic by the imperfect form of the verb, and the example above may be translated as : اعطيته الكتاب الذي كنت اقرأه

كان يزورنا مرة كل اسبوع

وفي هذه الأثناء غادر الرجل الذي كانوا يبحثون في امره إلى داره .

ظل (كان) الجرس يدق طوال الصباح

It is to be noticed that the perfect form of كان is used in the first three examples to express past time and the imperfect of the appropriate verb to convey aspectual and semantic implications .In the last example ظل and طوال denote duration or continuity ,and the imperfect يدق incompletion.

(22.) O. *Jespersen* ,*V*,197-8.

(23.) *Ibid* , *p*. 198 .

(24.) *Ibid* ., *p*. 197 .

You have been working hard (you look tired).
I have been painting the house (that is why the place is in a mess).
Layla has been crying again (her eyes are red).

This type, too, has three basic features : (1) discontinuation of the verb action,(2)apparent results and(3),present relevance. The first of these features may be rendered into Arabic by the perfect ,'the 'other two are more difficult. Their Arabic equivalent may be an'adverbial', the context, or even a new utterance , e.g,. لقد ارهقت نفسك ، وها هو التعب قد بدا عليك

The fact that the action has stopped does not mean it is completed ; in fact it often indicates, incomplete action .Where incompletion is implied ,the imperfect is also possible as in the two examples above :

انك ترهق نفسك ، اني اصبغ البيت

The following two sentences ,from Leech, are worth quoting as examples of incomplete and complete action :

Who's been eating my dinner ? (Some of it is left).

Who's eaten my dinner (It's all gone). 19

The difference between the two sentences may be rendered into Arabic by using there partitive preposition من with the perfect form for the first one and the perfect transitive for the second . من اكل طعامي

من أكل من طعامي

Finally the present perfect progressive is often used with an emotional colouring e.g. what have you been doing 20. This is usually renderd into Arabic by the imperfect preceded by the perfect form of كان ماذا كنت تفعل ؟

Past Perfect

The past perfect denotes a ' past in the past '. 21 Such verb actions may be expressed in Arabic by the perfect alone or the perfect preceded by كان or / and قد e.g. he had gone out , كان قد خرج ، قد خرج كان خرج ، خرج .Often the perfect alone, used with an appropriate

19. Meaning and the English verb (Longman, 1971),.p. 46.
20. O. *Jespersen* ,*V*, 196-7 .
21. *Quirk* ,*p*.92 ;*Leech* , Meaning and the English Verb, *p*. 42 .

Peter has injured his ankle (it is still bad).

Peter injured his ankle (but now it's better).

Leech adds: "The second permits us (and in fact encourages us) to conclude that the result of the injury has disappeared ." Thus the perfect is connected with present time, the past tense is not.
This distinction is not expressed by the Arabic verb.

جرح بيتر كعبه is ambiguous; it may denote the sense expressed by either of the two English sentences quoted above. If the distinction is required to be rendered this should be achieved by other means, an additional clause, for instance .

Present Perfect Progressive

Our classification of the perfect into continuative and non-continuative is also valid for the present perfect progressive.

(a) Continuative present perfect, which denotes a verb action still going on at the time of utterance, differs from the present perfect in that it dnotes temporariness.

The Jones have been living in that house since they came to Mosul.

The Jones have lived in that houce since they came to Mosul.

Because of this element of temporariness the first sentence hints at the fact that the Jones have not lived in the house for very long.

The continuative present progressive may be said to have three basic features :
(1)'Continuity' or incompleteness, (2)temporariness and (3)'present relevance'
The first feature may be rendered into Arabic by the imperfect .The other two features are problematic and have to be expressed by adverbials lexical vebrs, etc, or even an additional clause.

عائلة جونز تعيش في هذا البيت منذ أن قدمت الموصل، ولم يمض على ذلك طويلا

(b) Resultatine present perfect progressive indicates that the verb action has recently stopped and its'effects'or 'results' are still apparent .

For example :

18. Meaning and the English verb (*Iongman*, 1971), *p* 36

The present perfect may refer to an indefinite past, the past tense to a definite or specified past.

Have you seen this man before ?

Did you see this man on the day of the accident?

The Arabic verb, on the other hand, is not marked for definite or indefinite past; it merely expresses a finished action.

هل رأيت هذا الرجل من قبل ؟   هل رأيت هذا الرجل يوم الحادثة؟

The present perfect may denote proximity in time, the past tense does not .

I have received two letters this morning.

I recevied two letters this morning .

The first sentence is said in the morning , the second at some other time. This opposition between the perfect and the simple aspects disappers in the Arabic sentence, where the perfect is used or both English aspects.

استلمت رسالتين هذا الصباح

Closely related to this sense is the use of the present perfect or immediate past, usually with adverbs like just, recently, already etc. ,

We have just mentioned this .

This meaning may be rendered into Arabic by the perfect and an approriate adverb or / and the particle قد 17.   قد ذكرنا قبل قليل

However, it should be noticed that قد is confined to assertive sentences only: it is not used in negative and interrogative sentences .

(b) **Resultative Perfect**

The following two examples quoted by Leech, who comments on the difference between the resultative present perfect and the past simple, illustrate a basic difference.

---

17. *For this meaning of* قد *see W. Wright, Part First, p* 286

1. Continuative Present Perfect

I have taught English since 1958 (implies that I still teach English). I taught English for 6 years (implies that I no longer teach English). These examples may be rendered into Arabic by the imperfect and the perfect respectively. أنا ادرس الانكليزية منذ ١٩٥٨؛درست الانكليزية مدة ست سنوات

2. Non-Continuative Present Perfect

This may (a) involve a time period extending to the present or (b) express result, commonly called resultative perfect.

(a) – Have you visited the International Trade Fair?

– Did you visit the International Trade Fair?

The first sentence implies that the fair is still running, whereas the second confines the time of the fair to the past. This basic difference is lost in the Arabic translation : هل زرت المعرض التجاري الدولي

An additional clause is required if this opposition between the perfective and the simple respects is to be rendered into Arabic .

In the examples (quoted by Quirk et al) 16: For generations Nepal has produced the world's greatest soldiers.

For generations, Sparta produced the world's greatest soldiers . The perfect imples that the Nepal still exists, whereas the simple aspect denotes that Sparta no longer exists. Here again the contrast is lost in Arabic and the perfect is used for both English aspects:

انجبت النبال طيلة اجيال اعظم جنود العالم . انجبت اسبارطة طيلة اجيال اعظم .

However, our knowledge of the outside world, will help us to know that Nepal exists , Sparta does not .

---

16. P : 91

speaking the perfect ذهب ,for example,is equivalent to neither the past *I went* nor to the perfect *I have gone,* since it does not mark a definite past nor does it express a past action connected with the present. All that it denotes is a finished action, presumably in the past.

For the purpose of this study two types of the present perfect may be distinguished :

(a) The continuative present perfect and (b) the non-continuative present perfect.

The continuative present perfect refers to a verb action which actually extends to and includes the present.

My brother has lived in that village since 1957(and he still lives there).

She has been teaching English for eight years (and she still does).

The non-continuative present perfect, on the other hand , refers to a verb action which has been completed at the time of utterance.

I have seen this man before, (action completed in the past).

They have been painting the door. (It does not necessarily imply that they are working now.)

The difference between these two types is basically that denoted by the opposition between the imperfect and the perfect forms in Arabic. Hence (a) may normally be rendered into Arabic by the imperfect and (b) by the perfect . يعيش اخي في تلك القرية منذ سنة ١٩٥٧ .

رأيت هذا الرجل من قبل

Expressions like لا يزال , مابرح ' مازال are often used to render 'continuativeness' more explicit in type (a).

However, these two types of the present perfect have one important feature in common; their "current relevance". The semantic implications of this common feature are problematic for the Arabic translater. Current relevance' is not a feature of the Arabic aspect, and hence it has to be expressed by other means, adverbials, lexical elements (verbs), particles and even the context. We shall now contrast some of these semantic implicitions with the simple aspect and point out the main problems of rendering these into Arabic .

No such contrast is conveyed by the two aspects in Arabic, and the imperfect is used to express the semantic implications denoted by the two English aspects.

صديقك يسأل دائماً اسئلة صعبة

The additional feeling of irritation is probably expressed in Arabic by a lexical element; an adverb of manner or a verb. In narrative style, one finds

قال متعضاً ، امتعض قائلا :

PERFECTIVE

English combines tense with the perfective aspect to form the present perfect, *I have gone,* and the past perfect, *I had gone*. These may also be combined with the progressive aspect to form the present perfect progressive, *I have been going*, and the past perfect progressive, *I had been going*. Thus we may distinguish two groups.

A– The present perfect, under which we also include the progressive; I have been going . . .

B– The past perfect including the progressive; I had been going.

Since all these are in one way or the other connected with past time, I shall therefore contrast them with the past time. I shall start with group A.

Present Perfect

It is a well- known fact that English differentiates between two types of action in the past: a past action related completly to the past and a past action connected with present time or with current relevance. The past tense is used for the former and the present perfect for the latter. Thus, *he went* and *he has gone* both indicate past time, the basic difference being that the present perfect has 'present or current relevance.'

The Arabic verb, on the other hand, does not make this distinction with regard to verbs denoting past time, i.e, between verbs with and without current relevance ; the perfect aspect merely denotes a completed or finished action and often implies past time in a general way. Thus strictly

(e) Vividness of Description.

Zandvoort quotes the following example; *In another year I shall probably be growing tea in Ceylon,* and comments : " The dynamic character of the progressive makes it particulary suitable for use in descriptive and emotional centext. Thus in the sentence about tea-planting in Ceylon the speaker is drawing a mental picture of himself as he will be a year hence."[4]
The simple aspect, on the other hand, is objective and neutral.
In another year I shall grow tea in Ceylon.

I know of no way in Arabic by which this contrast between vividness and objectivity may be expressed. The imperfect form is used for both and the contrast is probably lost. The first of the following two examples is more common although the second is nearer in its meaning to the English sentence.

بعد سنة سأزرع الشاي في سيلان

بعد سنة اكون ازرع الشاي في سيلان [15]

(f) Emotional Colouring.

The progressive aspect may carry the additional feeling of irritation, and usually occurs with adverbs like : always, continuously, for ever, perpetually, etc.

He is always asking difficult questions. The simple aspect, on the other hand, expresses an objective, neutral statement.
Your friend always asks difficult questions.

---

14. A Handbook of English grammar (*Longmans,* 1965), *pp.* 38 *and*39.
15. *Formal and rare. For this and other uses of* كان *with the imperfect andperfect see H- Reckendorf.* Arabische Syntax (*Heidelberg* 1921), *PP*-295-300.

(C) **Dramatic Action:**

In the present tense the progressine aspect is neutral and denotes a gradual action, whereas the simple aspect expresses a sudden dramatic action :

The train is stopping.
The house is falling.
The house falls!
The train stops!

Neutral, gradual actions are expressed in Arabic by the imperfect: e.g.

البيت يسقط ، القطار يقف .

whereas sudden, dramatic actions are expressed by the perfect

سقط البيت ! وقف القطار !

(d) **Simultaneity** .

In the following example the verb in the progressive aspect refers to an action simultaneous with the one expressed by the simple aspect and serves as a temporal frame for the latter.

The policeman looked at her; she was shouting

Two simple aspects in the above example would normally be regarded as two successive actions.

The policeman looked at her; she shouted.

In such examples the simple aspect basically emphasizesa short completed action, whereas the progressive aspect denotes durations, continuation and incomplection.The former aspect is expressed in Arabic by the perfect, the latter by the imperfect.

نظر اليها الشرطي وهي تصرخ

نظر اليها الشرطي ، فصرخت

Layla reads French novels. (usually ; a habit)
My friend lives in Basrah . (permanent residence).

In Arabic ,the imperfect expresses all those meanings , if a distinction is required between temporary and permanent actions ,this is achieved by an appropriate adverb of time ,the context or other markers not by the verb aspect . تقرأ ليلى رواية الآن ، تقرأ ليلى الروايات الفرنسية (عادة)

The *nomen agentis* (اسم الفاعل) may also be used to refer to temporary or instantaneous action ,e.g.
I am going home (now) انا ذاهب الى البيت

(b) **Incompletion**

The girl was drowning, but the man saved her. I was reading a novel from 9 to 11 O'clock. The progressive in these examples expresses an unfinished action and may be compared with the simple aspect, which denotes a finished or completed action
The girl drowned.
I read a novel from 9 to 11 o'clock .

Completion and incompletion are expressed in Arabic by the perfect and the imperfect aspects respectively.

كانت البنت تغرق ولكن الرجل انقذها
كنت اقرأ رواية بين الساعة التاسعة الحادية عشر
غرقت البنت
قرأت رواية بين التاسعة والحادية عشرة

The use of the progressive and the simple forms in the following examples is also worth noticing.

I saw him *crossing* the river رأيته يعبر النهر
I saw him *cross* the river رأيته عبر النهر

The first denotes an unfinished action and is expressed in Arabic by the imperfect; the second refers to a finished action and is 'equivalent' to the Arabic perfect.

13. *Quirk* , *p* 93

This use of the past simple is not unknown in Arabic and is expressed by the perfect. هل اردت مقابلة المدير الآن ؟

Having discussed how the deictio element (tense) of the English verb may be rendered into Arabic. I now turn to the other category of the English verb, namely aspect .

Aspect

Aspect, which concerns the manner of the verb action, is a common property of English and Arabic verbs. But the similarity ends there . For, as has already been mentioned, English has two sets of aspectual contrast: non-progressive / progressive , *I go : I am going, I went : I was going* ; and non- perfective / perfective ; *I go ; I have gone, I went , I had gone.*

Arabic, on the other hand, has only one set of aspectual contrast: imperfect / perfect; قال / يقول . Moreover , the semantic implications of aspects in these two languages show marked differences .I shall start with progressive aspect in English and examine the possibilities of 'correspondences' between it and the Arabic aspect .

Progressive

The semantic opposition between the simple aspect and the progressive aspect in English is notoriously problematic 12.In addition to process and continuation , "write Quirk *et al,* there are a number of otherc concomitant meanings or overtones that go with the progressive aspect, such , as limited duration, incompletion simultaneity, vividness of descriptions, emotional colouring and emphsis.13 I shall exemine how thase semantic implications may be expressed in Arabic

(a) **Limited Duration**

This includes actions taking place at the time of tterance and temporary actions .

Layla is reading a novel (now)

My friend is staying with his uncle (for a fortnight) (temporary action)

These examples may be contrasted with the simple aspect .

---

12. *G. N. Leech,* Towards A Semantic Description of English(*Longman,* 1969) ,*p.* 148.

The secondary functions of the simple past pose some problems. It should be remembered that the past tense here refers to present or future time, and is used (a) in tentative or unreal condition : *If you went there now you would see him. If cows had wings they would live on trees and* (b) in reported speech or thought in accordance with 'sequence of tenses' or 'back-shift':

The president of the University said that they always welcomed students from the Arab gulf. 10

Tentativeness and unreality are expressed in Arabic by the particle and not by the verb. As has already been stated, the distinction between the perfect and the imperfect is neutralized in such sentences :

لو ذهبت (تذهب) إلى هناك لرأيته (تراه)

However, this usage is not strictly observed in modern Arabic, which sometimes results in confusion.

Back - shift or sequence of tenses is a purily linguistic phenomenon which does not exist in Arabic. 11 Hence the past tense in such sentences is rendered into Arabic by the imperfect :

قال رئيس الجامعة انهم يرحبون دائماً بالطلبة من الخليج العربي

The imperfect يرحبون is ambiguous in the above example ; it may refer either to past time since the verb in the subordinate clause is in the perfect. or it may denote present time. However, the context will often show which of the two meanings is valid. The problem which a tyro may face here is to decide whether the past tense in the subordinate clause of reported speech refers to real past time or not ; If it does , the Arabic perfect would be the correct form; if it does not then the imperfect should be used.

Finally ,mention whould be made of the attitudinal past tense which reters to present time , and is used because it is more polite that the present tense ,e.g. Did you want to see the manager now ?

---

10. *Back-shift in such sentences is optional; the present tense (that they welcome) may be used since the validaty of the verb action extends to the present .*

11. *In fact , Arabic makes little distinction between direct speech and reported speech in so far as the form of the verb is concerned.*

A more detailed study for the future will be found in the last part of this study.

The simple present tense used in conditional and semi-conditional clauses to denote open (likely, possible) condition may be rendered into Arabic by using the perfect -or the imperfect form, since the distinction between these two forms is neutralized in conditional sentences. However, classical Arabic seems to favour the perfect .

If you work hard your manager will be pleased with you .

إذا (ان) اجتهدت (تجتهد) رضي (يرضى) عنك مديرك

The simple present denoting past time as in (a) historic present ,*she suddenly opens the door and starts shouting,* and (b) headlines in newspapers etc.

The president leaves for Algeria : president Al-Bakr left for Algeria this morning, are normally expressed in Arabic by the imperfect :

ثم تفتح الباب فجأة (فإذا بها تفتح الباب) وتأخذ بالصراخ

الرئيس القائد يغادر إلى الجزائر : غادر صباح اليوم إلى الجزائر.

A noticeable exception here is the simple present denoting past time in verbs of communication ; tell ,hear, learn etc: I *hear* that the manager has resigned. These verbs are rendered into Arabic by the perfect: سمعت ان المدير(قد)استقال

The Past Tense

The simple past tense in English when referring to past time may be rendered into Arabic by the perfect.

I saw them two weaks ago رأيتهم قبل أسبوعين

Shakespeare died in 1616 توفي شكسبير في عام ١٦١٦

But there are two exceptions : (a) habitual or repeated actions and (b) incomplete or progressive actions .These two types of action are normally expressed in Arabic by the imperfect with an appropriate time -marker.

(a) She went (used to go)to the doctor once every week كانت تذهب إلى الطبيب مرة كل اسبوع.

The time -makers in the above example are : كانت and مرة كل اسبوع.

(b) As he walked[9] across the fields, he saw a strange sight.

بينما هو يسير في الحقول رأى منظراً غريباً

رأى وهو يسير في الحقول منظراً غريباً

The time -maker in (b) is رأى

9. *The English progressive aspect is also possible here:*
As he was walking ....

performative actions ,etc.

E.g.

Ali passes the ball to Jassim علي يعبر (يعطي) الكرة إلى جاسم

I take a cup of suger and mix it with 4 cups of flour

آخذ كوباً من السكر واخلطه مع اربعة اكواب من الطحين

I declare the session open اعلن افتتاح الجلسة

Three exceptions may be noted here. First, instantaneous present expressing exclamation (usually) with there ....), e.g. *There comes the train, You lie!* are normally rendered into Arabic by using the perfect, جاء القطار ، كذبت The first example may also be translated by using *nomen agentis* القطار قادم , اسم الفاعل and the second by the imperfect , انك تكذب . Secondly , verbs of mental activities and will, e.g. *I know (understand) what you mean , I like (love) this girl,* are normally expressed in Arabic by the perfect although the imperfect is also possible (اعلم) احببت(احب)هذه الفتاة ، علمت where English normally use the simple present tense.

Thirdly, the Arabic perfect is also common in sentences of the type:wisemen say,Shaksespeare says. قالت الحكماء، قال شكسبير where English normally uses the simple present tense: Here again the imperfect is also possible , but probably less common , especially in classical Arabic .

The passive voice of the simple present poses a problem .Two senses of this passive can be distinguished as illustrated by these two examples [8]

(a) All sorts of books are sold here .

(b) These books are sold .

(a) expresses an action and is rendered into Arabic by the imperfect:

تباع جميع الكتب هنا

(b) denotes a state (or finished action) and corresponds to the Arabic perfect: قد بيعت هذه الكتب

The simple present referring to the future may also be translated by using the imperfect with an appropriate time-marker(سوف ، سـ) , adverbial etc) ,e.g. , *I leave for Paris tomorrow,* (سوف) اغادر إلى باريس غدا

---

8. *see F.R. palmer,* The English verb (*longman,* 1974) *P.* 88; *who uses the term statal passive for this type of construction.*

the verb by itself is not adequately provided to express a definite time, like the imperfect ,it requires an appropriate time- marker to achieve this deictic function ,e.g. انتهيت الآن ، انتهيت بالا مس . (بعد اسبوع) سأكون قد انتهيت

In Arabic the concepts of open/ rejected condition for possibility/non-reality are not expressed by the verb, but by the particles إذا ان and لو the first is often considered to be 'equivalent' to *when,* the second expresses open or possible condition and the last rejected, unreal , or hypothetical condition, the distinction between the perfect and the imperfect is neutralized after these particles. إن ذهبت (تذهب) الآن ، غدا If you go now ,tomorrow. . . .
لو ذهبت (تذهب) اليوم ، غدا

However ,with past time the perfect seems to be the normal form
ان سافر بالا مس If he left yesterday (open)
لو سافر بالا مس If he had travelled yesterday (rejected)

Finally , the linguistic phenomenon known as sequence of tenses or backshift , which is found in reported speech in English does not exist in Arabic. This is understandable since Arabic has no tenses in the proper sense of the word. However , it should be noticed that an imperfect verb in the subordinate clause acquires the time denoted by the verb in the superordinate clause if the verb of the latter is in the perfect ,e.g.
رأيته وهو يركض
where يركض expresses past time because it is dependent on the perfect-verb رأى.

After these general remarks, a more detailed discussion of the tenses and aspects and how they may be renderd into Arabic will be attempted.

The present Tense

Generally speaking , all the main use of the simple present tense may be rendered into Arabic by using the imperfect. These include :

A. Present without reference to a specific time as in facts , universal truths and repeated or habitual actions.
   The sun sets in the west تغيب الشمس في الغرب
   I don't read French novels لا اقرأ الروايات الفرنسية
B. Instantaneous present , as in commentaries (football) , demonstrtions,

However ,the Arabic verb by itself is not sufficient to denote temporal relations similar to those expressed by the English tense, since it lacks the deictic category (tense).To express these relations, Arabic makes use of other linguistic means .i.e., adverbials, particles and other time markers, or even extra- linguistic means such as our experience of the realities of the situation ,e.g. يصدر العراق النفط الى اوربا where we know from experience that يصدر refers to the present .

Thus the imperfect may refer to the present .the future or the past if it is used with an appropriate time-marker, e.g. يذهب الان . يذهب غدا . رأيته بالامس وهو يذهب إلى السوق Here is a further example from classical Arabic:

فلما نظر حوثرة إلى أهل الكوفة ، قال: ياأعداء الله ، انتم بالامس تقاتلون معاوية لتهدوا سلطانه . واليوم تقاتلون معه لتشدوا سلطانه[7] .

where the adverbs بالامس and اليوم show that the first تقاتلون refers to the past ,the second to the present .

The perfect, as has already been stated, expresses a finished action and as such it is usually taken to refer to the past unless there are indications pointing to the other divisions of time, the present or the future. Here again

---

= *present and past time respectively.* لوذهبت بالامس , لوتذهب اليوم . *In classical Arabic, the distinction between the two forms is neutralized in conditional sentences . A further proof of the modern tendency is the use of the signs of futurity* سوف ، سـ *in the following constructinos:* سوف لن(لا) يذهب هل سوف يذهب ، هل سيذهب . *In classical Arabic the singns of futurity are not found in such constructions since the imperfect by itself was sufficient to indicate the future . In modern Arabic ,the imperfect is felt to be marked for the present : hence the use of* سوف ، سـ *in these constructions to indicate the future .*

7. *Ibn Abdi Rabbih* al-'Aqd al - Farid, 1, 216-7. *Such examples prove what Henri Fleisch in* L' Arabe Classique (*Beyrouth* ,1968) , *p* 114, *says about classical Arabia; la langue arabe dissocie les deux 'ele'ment : temps aspect exprime le temps par differents moyen (time and aspect are separated in Arabic ; time is expressed by other means than the verb) .*

Besides expressing time relations, the tenses in English have two other important functions. The present and past tenses are used in conditional sentences, the former to indicate an open or 'possible' condition , the latter a rejected (or 'unreal') *condition, tentativeness, or open condition.*

If I go there (now or tomorrow)I shall tell him .(open condition)

If I went there (now or tomorrow) I would tell him . (rejected condition, tentativeness) .

If he went there (yesterday) he must have seen him..(open or possible condition).

If he had gone there (yesterday) he would have seen him (rejected or unreal condition).

The second function concerns the past tense only . This tense is used in reported speech or thought in what is known as 'sequence of tenses' or 'back-shift'; a purely linguistic phenomenon with no semantic implication. [4]

Arabic verbs, on the other hand, do not possess deictic characteristics. The two forms, the imperfect يذهب and the perfect ذهب basically express the manner of the verb action, i.e. they refer to the aspect of the verb. This ,however ,does not mean that these forms are completely divorced from time. In fact ,aspect , like tense ,is closely connected with time ,but differs from tense in that it is not a deictic category,[5] it only relates the verb form to time in a vague general way. The imperfect يذهب ,for instance, is generally taken to refer to present time unless there is a time-marker which indicates otherwise. The perfect ذهب is even more marked for time ; it usually denotes past time.This is probably duse to the very nature of a finished action which it expresses.[6]

---

4. *W. H. Twaddell* , The English Verb Auxiliaries (*Brown University Press*, 1963), *p:* 7
5. *J . Lyons*. Introduction to Theoretical Linguistics (*CUP*, 1968), *p:* 315.
6. *There is a tendency in Modern Arabic , probably promoted by translation from European languages , to regard the two forms as deictic categories referring to the present and the past . This tendency is clear in conditional sentences where the imperfect and the perfect are frequently used for=*

By means of this complicated verb system English is able to express a wide spectrum of temporal and aspectual meanings.

Arabic ,on the other hand ,has a relatively simple verb system. The verb phrase has two forms : the imperfect المضارع (يذهب)and the perfect الماضي (ذهب) These two forms are generally believed to refer to the manner of the verb action, the imperfect expressing an unfinished action and the perfect a finished action. They are therefore regarded as aspects.[3]

Syntactically , the Arabic verb phrase is essentially simple . The use of كان before the imperfect كان يذهب or the perfect كان ذهب is the nearest we get to the complex verb phrase .However , كان cannot be considered an auxiliary verb in the same way as DO, HAVE and BE are in English .In such constructions كان is a verb of full predication (lexical verb).

This article will examine how the wide spectrum of meanings expressed by the English tense and aspect may be rendered into Arabic. It will concentrate mainly on the practical implications of the subject ,which will,I hope, be of benefit to the student of translation and contrastive grammar .The article will conclude by discussing the various ways of expressing the future in English and Arabic, since these are closely connected with tense and aspect .

Tense

The main function of tense is deictic ; it relates the form of the verb to the time of utterance. Thus the present tense, *I go* and the past tense, *I went,* basically relate the verbs *go* and *went* to present and past time respectively. These may be considered the primary functions of the two tenses in English. However, the present and the past tenses may express other time relations. The present tense may refer to the future , usually with the help of an adverbial , *We leave for Baghdad tomorrow* , or to the past , *I hear that you are engaged.* The past tense may denote present or even future time: *You wanted to see me, we could go now* .

---

3. *See W. Wright,* A Grammar of the Arabic Language (*CUP* , 1971). *Part Second, P.* 51 *; A.F.L. Beeston,* The Arabic Language Today (*Hutchinson University Library ,London,* 1970), *P.* 76.

INTRODUCTION

Two features of the English verb are tense and aspect.[1] Tense, eventually derived from the Latin translation of the Greek word for 'time', is a linguistic category which expresses the correspondence between the verb form and time.

Aspect has to do with the manner in which the verb action is regarded or experienced.[2]

English has two verb forms *go, went,* corresponding to present and past time; hence there are two tenses in English : the present and the past tenses. There is no verb form in English denoting future time. Thus, English has no future tense, but ways of expressing future time.

There are two sets of aspects in English: non - progressive / progressive, *I go, I am going,* and non-perfective/perfective, *I went, I have gone*. The first member of each set may be termed the simple aspect, for convenience sake.

Tense and aspect are not used separately, but are combined together and with other categories to form the English verb phrase. Thus, two types of the verb phrase can be distinguished : the simple verb phrase, formed by combining the simple aspect with any of the two tenses, and the complex verb phrase which comprises the other verb phrases. Concentrating on aspect and tense, we may have the following combinations:

Simple Present	I go	simple verb phrase
Simple Past	I went	
Present Progressive	I am going	Complex Verb Phrase
Past Progressive	I was going	
Present Perfect	I have gone	
Past Perfect	I had gone	
Present Perfect Progressive	I have been going	
Past Perfect Progressive	I had been going	

1. *Other features are mood and voice.*
2. *See R. Guirk, S. Greenbaum, G. Leed and J. Svartvik,* A Grammar of Contemporary English (Longman, 1972), p- 90 ; henceforth quoted as Quirk .

SOME SUGGESTIONS FOR TRANSLATING THE ENGLISH TENSES AND ASPECTS INTO ARABIC

YOWELL Y. AZIZ

COLLEGE OF ARTS - MOSUL UNIVERSITY

٩٢٢

BIBLIOGRAPHY

1. **Destiny His Choice : The Loyalism of Andrew Marvell** by John M. Wallace. University Of Cambridge Press 1968.
2. **The New Poets** , By C. K. Stead - A Pelican Book
3. **Andrew Marvell** 1621 - 1678 Russel and Russel Inc., New York 1965. (Tercentenary Tributes)
4. **W, B. Yeats** 1865- 1965 Centenary Essays on the Art of W. B. Yeats Editor D. E. S. Maxwell and S.B. Bushrui. Ibadan Uni . Press 1965
5. **W. B. Yeats,** By G. S. Frazer. The British Council Series.
6. **W. B. Yeats** 1865 - 1939 , by Joseoph Hone. MacMillan and Co. Ltd., London .
7. **W. B. Yeats, The Poems ,** By A, Norman Jeffares. Edward Arnold Ltd., London 1967 .
8. **Andrew Marvell: Poet - Puritan- Patriot,** by Pierre Legouis, The Claredon Press , 1965.
9. **Yeats and the Heroid Ideal,** by Alex Zwerdling, New York Univ. Press 1965.
10. **The Permanence of Yeats,** Edited by James Hall and Martin Steinmann, Collier Books , New York , 1961 .
11. **The Modern Writer and His World,** by G. S Franzer, Apelican Book.
12. **Yeats : The Man and the Masks** , by Richard Ellmann, A Dutton Paperback .
13. **Modern Continental Literary Criticism** Edited by O. B. Hardison, Jr Appleton- Century - Crofts, New York 1962.
14. **Seven Types of Ambiguity** , by William Empson, Chatto and Windus, London .

With Yeats I compare painters like El Greco or Van Gogh; his pictures smoulder on the canvas. They have vaster dimensions of thought and feeling, ranging from the primitive, the esoteric and the fantastic to the intensely personal. They have an order which is all their own and an evocative power that is terribly disturbing. As Alex Zwerdling says of the heroes of the Easter Rising; they:

> 'transcend the ordinary terms of right and wrong' of 'practical and impractical action.' (1)

and as such offer a remarkably exciting literary and psychological experience

(1.) Yeats and the Heroic Ideal : *by Alex Zwerdling .N. Y. University Press* 1965 - *page* 124 .

In his fascinating review of drama, *The Death of Tragedy* Steiner state that tragedy is not poss ible in the modern Godless world; that if one takes out of an environment where he is subject to an omnipotent spiritual power, bar the doors of hell to him, place him in a society where the causes of disaster are temporal, and where conflict can be resolved by technical or social means, one takes tragedy out of his life . He omitted to mention, however , that there are some backwaters of the modern world tragedy may still be possible, and surely Ireland is such a place. Even today , Ireland has escaped most of the turmoils of the Industrial Revolution and is a land in which religion still plays a dominant role and in which older,if some what tarnished values than those respected elsewhere in the west are held in esteem. This is, possibly why Sean O'Casy's plays are so fundamentally tragic, and why Yeats was able to preserve his idealism . Judged in the light of Steiner, Yeats dwelt in a more potentially 'tragic ' environment than Marvell since the latter , although *living at* a time when a civil war was being waged on religious grounds, tended to put the preservation of good governement above other considerations -as did Shakespeare in his 'history plays'.

I realize, of course, that most of the criticism that I have cited concerns itself with drama rather than with poetry and that the poet, and especially the lyric poet, is not usually expected to exhibit the same characteristics. I do, however, believe that some interesting conclusions may be drawn and feel that there are elements of drama in both of these poems. I mention this criticism also, not because it is my intention to employ it to come to any decisive conclusions in favour of one or the other poet but in order that each may there by shed more light on the other and assist in a form of mutual appreciation.In the light of these criticism and of my own thought on these great poems I can express my own opinion best by making reference to painting. I detect in Marvell's poems much of the balance, formality and restraint of the early Italian school. They exhibit the clarity of the whole age of Enlightenment . At one and the same time they belong to an age that can never return but are yet essentially modern with their simple clear lines and an essentially scientific order in their construction. They are however, dignified with a human rather than an abstract theme.

from misgivings about the characters or motivations of his country-men, to doubt even of the partriots themselves :

This other man I had dreamed
A drunken , vainglorious lout. . (1)

However ,once they had made the supreme sacrifice of offering their lives to Ireland, all doubts are swept aside and the heroes are enshrined in the national pantheon of Ireland.

Bradley defines Shakespearean tragedy(2)as a demonstration of the terrible waste of human potentiality,and from this standpoint Yeats is essentially tragic The suicidal « delirium of the brave » could certainly beviewed in this light.

Again, if one is of the opinion that the heroes :

MacDonagh and MacBride
And Connolly and Pearse, (3)

were martyrs one removes the tragic element and substitutes an element of ultimate fulfillment (as did Milton in *Samson Agonistes* or Dante in (*The Divine Comedy*) which, although dramatic cannot be defined as "tragic".

One further factor which does not appear to have been considered by critics, concerns the presence of an Oriental element in Yeats' philosophy which reveals itself mainly in his conception of the historical process,of birth and rebirth with the idea of final judgement and extinction ruled out . Since great critics of Sanscrit drama(4)have noted this 'romantic - element at the root of Oriental thinking perhaps it could be argued that the Yeatsean con ception of human destiny cannot result in tragedy . Perhaps this dramatic element in Yeats is worthy of a new classification ; certainly his poems are more , archetypal than those of Marvell and delve back to a 'Dionysian' (5) pre- Sophoclean area of sensibility .,

(1.) Easter 1916 *Lines* 15- 16. *Stanza* 11.

(2.)Shakespearean Tragedy *MaMillan ,London* ,1964 .

(3.)Easter 1916 *Lines* 19 - 20.

(4.) *See* Indian Drama and the West' *by Henry W.Wells Pages* 86-94 *in* The Journal of Commonwealth Literature, *University of Leeds, September* 1965

(5.) *See* Modern Continental Criticism : *O . B . Hardison, Jr. Appletom-Cent,ry New York* 1962 . *Part IV* Psychology and Ant hropologe *on Nietzsche's* The of Traged - Page 231-233

'They 're with O'Leary in the grave' (1)

beyond the spite of the crowd and immortalized by verse.

One sees in this poem how perfectly Yeats has transformed the local, individual experience into a work of eternal significance . Stripped of its contemporary reference it might be interpreted as a passionate response to the finer ,more generous human instincts ,a celebration of virtue as much as an attack on narrow provincialism . Whether or not one is attracted by the aloof aristocratic persona is a matter of personal taste, but perhaps a poem should be evaluated by the passion it generates,and there can be little doubt that this is very powerful .

The difference between Classicism and Romanticism is in essence, what really divides these two works : Marvell's great poem is restrained, and in the clash between two forces, both almost equally right ,one is reminded of the Sopho-clean tragedy *Antigone* which is cited by Lessing as the first great example of pure tragedy . Cromwell would represent Creon ,who is responsible for the good government of Thebes and Charles would represent Antigone ,who obeys a more fundamental law, that of respect for the dead, or, in the case of the English monarch ,the divine right of kings. The fate of both protagonists is tragic : Charles suffers death and Cromwell is condemned to live by the sword - and possibly perish by it :

The same Arts that did gain
A Pow'r must it maintain. (2)

In the Yeats political poems the tension is not generated by ideas of right or wrong ; so far as 'principles' are concerned he is full of conviction .The Yeatsian tension springs from more personal sources : from misgivings about the effect of his poetry :

Did that play of mine send out
Certain men the English shot? (3)

(1.) September 1913 ; *Line* 32 .

(2.) An Horatian Ode : *Line* 119-120 .

(3.) The Man and the Echo *Lines* 11-12

The History Plays and *Henry iv* particularly are almost archetypal English representations of this problem .The basic problem involved was the reconcilliation of the desire for peace and firm government with the perception of the illegality of the ruling power ,–I doubt if anyone could imagine Yeats coming to terms with this dilemma in anything resembling the recongizing of«illegality».His whole life ,indeed, was a pean in praise of the sacrificial death of heroes ,.and the establishment of a culture worthy of them.

It seems to me that there are two distinct strains woven into the texture of Yeats thought. There is the essentially healthy strain of change and rebirth of the joyfull recreation of past glory which rings out through his final poems :

Cast your mind on other days
That we in coming days may be
Still the indomitable Irishry .(1)

and there is the strain of nostalgia and pity , a yearning almost , for the impossible which seems to express a distinct facet of the Irish temperament .The final stanza of *September* 1913 catches this mood:

Yet could we turn the years again ,
and call those exiles as they were
In all their lonliness and pain ... (2)

as he considers the recalling of those exiles and the startled response of the middle- class, whose ignoble sanity is contrasted with the apparent madness of the heroes .All Yeats tenderness and admiration wells out in the next line:

They weighed so lightly what they gave (3)

and this is followed by the resignation and immediacy of :

But let them be , they 're dead and gone ,(4)

which echoes a paternal concern and protectiveness for the peace and safety of these heroes slumbering where they had fallen in a noble cause. The stanza ends with the refrain slightly changed:

(1.) Under Ben Bulben *Verse V ,Lines* 14-16.
(2.) Septermber 1913 *Lines* 25-27.
(3.) *ibid* *Line* 30.
(4.) *ibid* *Line* 31.

John M. Wallace is of the opinion that Marvell's fine political balance is partly due to his classical education and philosophic temperament and that

> His millenarianism , however , was tempered by his aristocratic bias , his dislike of religious and political enthusiasm ,his classical training and Horatian irony,and perhaps above all, by his opinion of the poet's role.His function was to speak not himself but the truth , to mirror reality not to express opinion , and the solemnity of the ode is in part derived from the effacing of personality. (1)

Here , perhaps ,is the basic reason for the difference in the stlye of Marvell and Yeats .It is a difference that concerns the whole evolution of poetry over the last three hundred years. Marvell was still attached to the classic tradition from which Yeats was debarred, not only by a change of taste but also by a lack of formal education .Yeats' heritage was Romanticism and though this had been stiffened by the influence of symbolism and even when it retreats behind a mask. Such impartiality as he has is the expression of the genuine dilemma of being able to see right on both sides: it is achieved not by philosophic rationalizing of political necessity but by agonizing self appraisal and doubt .

An Horation Ode is however *not as impartial* Here *as it is often made* out to be .After the execution scene, which acts as a kind of poetic watershed ,Cromwell's supremacy is depicted by the use of imagery from falconry, Cromwell being the falconer obedient to the Falconer ,the constitution . He wears the laurels which were rejected in *The Garden* having left his retreat, where his highest plot (note the double meaning of plot) had been to plant the Bergamot perhaps a double meaning to Bergamot I'm told means prince peal(2)he proceeds effectively to ruin a great work of Time . There is nothing in this concept of political change of so vast a perspective as Yeats concept of gyrations and the rise and fall of civilizations . Marvell , indeed, might well be compared to Shakespeare *in his handling* of this theme of political power.

(1.) Destiny His Choice: The Loyalism of Andrew Marvell by *John M. Wallace. Cambridge University Press* 1968. *p* 105.

(2) An Horatian Ode *Line* 32 .

man.In both cases the' form 'is admirably suited to the content and in Yeats particularly, the tone of disappointment and disdain in *September* 1913 and of transforming revelation in *Easter* 1916 is perfectly suited to the 'persona ' of the poet.

The third stanza of *September* 1913 opens with the magnificent lines:

' Was it for this the wild geese spread
The grey wing upon every tide,

In this memorable outburst of impassioned rhetoric , the' wild geese' refer to the Irishmen who as a result of persecution, left their country to wander abroad. They are the symbols of loneliness, remote beauty and austere nobility, and their instinctive migrations possibly anticipate those of *The Wild Swans' at Coole* whose hearts had not grown old or degenerated in nobility as our own have done .

The repetition of 'for this' in lines one, three and four of this staza enhances the dramatic rhetorical effect and emphasizes Yeats ' plea that it most assuredly was not for this degenerate society that these martyrs had shed their blood . There follows the tolling chant of the heroes names imparting an almost epic quality and a 'keening' note of melancholy and pathos at the waste of life in this thoughtless self sacrificing 'delirium of the brave, and one is left wondering if, by the use of this most telling phrase, Yeats was not just a little regretful that their energy had not been more carefully husbanded.

Marvell too is critical of his heroes: the criticism of Cromwell may be oblique but by such expressions as ' forward youth' (which usually implies over ambition') and restlessCromwell' who urged his active star,) Marvell seems to recognize an indecent ambition in 'The Lord Protector', as well as a certain rightness in the claims of the Royalists:

' Though Justice against Fate complain.,
And plead the antient Rights in vain :

(1.) An Horatian Ode *Line* 1.

sensitive : the voice of a man as urbane and much travelled as Chaucer, the voice of an age of refinement.

However detached he may appear to be, judging by the tenor of my argument above, in such poems as *The Coronet*, Marvell shows that he is by no means insensitive. He recognizes also(as perhaps Yeats does not)that the 'real' ever falls short of the 'ideal' and discovers in the very Chaplet with which he would crown Christ's head:

the Serpent old
That, twining in his speckled breast,
About the flow'rs disguis'd does fold,
With wreath of Fame and Interest'. 13 - 16

Even in his own day, Marvell was considered a formal poet: a comparison between *The Coronet* and Herbert's *The Collar* is very enlightening and reveals how Marvell preferred to work behind the formal facade of the 'pastoral' mode with its stylized expression and structure in preference to Herbert's stark and personal immediacy. After reading *The Coronet* one cannot, surely, doubt of Marvell's sincerity and yet it is a restrained from of emotion that is expressed and its appreciation is not always immediate.

An Horatian Ode exhibits these qualities in their highest degree it has, morever, neither the emotion of *The Coronet* nor the idealism of *The Garden*. It exhibits, however, a mature and terrible honesty which has often been mistakenly regarded as an early example of ' double think ' Marvell, of course, was a born politician (perhaps I should say 'statesman ') and he brought to the rather dubious world of 17th century government, standards of integrity that have rarely been surpassed .

Yeats 'tone of passionate involvement' (1)while it hardly convinces one of detached rationality, is much more the creation of a poet that of a statesman

---

(1) *Yeats and the Heroic Ideal* by Alex Zwerdling, New York University Press - page 126

and exasperated disappointment that these men had been able to preserve so little. The persona, an irreverent, aristocratic soul boils over with pity and indignation .

Marvell holds his emotions much tightly under control. There is a distinct relationship between the restraint of his opinions and the formal style in which they are expressed. The pace of the poems must have been increased, one would think , if the passion had seethed as it does in *September* 1913. The classical strophe and anti - strophe perfectly transpose the solemn Horatian metre into English and the Metaphysical 'wit' of stanza eleven:

' Nature that hateth emptiness ,
Allows of penetration less :
And therefore must make room
Where greater spirits come '. (1)

If nature will not tolerate a power vacuum, no more will it allow two bodies to occupy the same space - although an apt analogy, serves to distance the emotional impact and , in a manner which would ,no doubt, have met with Yeats' intense disapproval, removes the immediate argument to a plain of abstraction .

Cromwell, himself, is praised because of his restraint : even the Irish :

can affirm his praises best,
And have, though overcome , confest
How good he is, how just , (2)

The overall effect of this poem is extremely ambiguous, reminding me somewhat of the work of another writer of an age of political transition, Sir Walter Scott. Scott, however, had accepted the new English dominated culture and in *Redgaumtlet*, (altough the old life is sanctified by noble tradition), he throws the weight of his reputation on the opposite balance on the ground of progress and political expediency·' (3) yet, inspile of its elusive quality, Marvell's verse has quite a distinct tone, it may be muted but it is melodious and full of harmony .It is also reflective, ironic, intelligent and

(1) An Horatian Ode- Lines 41-44

(2) An Horatian Ode *Lines* 77 - 79 .

(3)*I feel that a very valuable and interesting thesis could be done on the manner in which Scottish and Irish writers - particularly Yeats and Scott - faced up to this problem.*

a similarity of tone. To compare him with a poet like Marvell who really represents a tradition, not just of poetry but of culture, can only result in the discrediting of those who call Yeats austere and impersonal.

In the second stanza of *September* 1913 for instance, consider how the 'hollow men' of middle class Dublin are contrasted with the heroes whom they idolized in the more artless years of their childhood. The intensity of these heroic lives is vividly captured in the lines:

'They have gone about the world like wind,
And little time had they to pray' (1)

Their deeds would stand up and shout for them. Note too how the line 'They have gone about the word like wind' explodes among the more pedestrian language of this stanza and how the alliteration of 'world' and 'wind' evokes an atmosphere of infinite space suffused with nostalgia, pathos and tragedy . Yeats had repudiated Wordsworth's views on diction, (perhaps they were too democratic for him) and produced instead a passionate syntax with a momentum and energy that is capable of wonderful effects -not least an oracular tone of which the next line are a good example :

'But little time had they to pray
For whom the hangman's rope was spun,

Here, perhaps, is fatalism of an especial kind, for though 'the hangman's rope was spun' with the tragic vindictiveness of a Clotho, the victims were destined not for execution but for martyrdom. This raises the further question of the nature of Yeatsian tragedy -was it indeed tragedy when the protagonists sought their own deaths ?

The polarity between oracular formality and rhetorical intensity is nowhere better seen than in the line which follows :

'And what, God help us, could they save ? (2)

This terse immediacy intensifies the personal involvment , the aching concern

(1). September 1913 - *Lines* 11 -12
(2) September 1913 - *Lines* 14 .

Marvell's distinctive voice is in the tension: it is the tension of an age of political uncertainty but of traditional civilized living. How essentially different from Yeats who is committed to Ireland in spite of its pettiness, thanklessness and insularity. By deaths oftenless noble than that of Charles who mounted the scaffold, while all around :

"the armed Bands
Did clap their bloody hands ." (1)

The Irish patriots performed an almost ritualistic act of sacrifice which, though it might effect nothing, transmuted their little lives into the stuff of art .

An essential difference is not difficult to discover. Yeats evolves while Marvell is static . The Byzantine poems for instance are concerned with the problems of old age and its sublimation through art. They carry a stage further the dilemma touched upon in *The Wild Swans at Coole:*

'I have looked upon those brilliant creatures,
And now my heart is sore.
All's changed since I, hearing at twilight,
The first time on this shore,
The bell- beat of their wings above my head,
Trod with a lighter tread . (2)

Yet are they really more moving than Marvell's formal verse with all the weight of Horace, Catullus, Ovid, Jonson and Donne behind it ? With all his stoicism, Marvell seems to see a great void at his feet :

yonder all before us lye .
Desarts of vast Eternity (3)

By viewing Yeats beside Marvell one cannot but be struck by the seething passion of the Irish poet. This, I think, would not be nearly so obvious by comparing him with a poet of his own age where the 'Zeitgeist' introduces

---

(1) .*ibid Line* 55-56
(2) The Wild Swans at Coole *Lines* 15 - 18
(3) To His Coy Mistress - *Lines* 23 - 23

to rule which was not by "ancient rights" but by a supreme dynamism of character. He is pictured as a natural vortex :

'Tis madness to resist or blame .
The force of angry heaven's flame .
And, if we would speak true ,
Much to the man is due , . .(1)

He is revealed as an electrifying force who outstrips his parliamentary colleagues by "Breaking the Clouds"(2)where he had been nursed , and , by his " restless " energy ruining a 'great Work of Time'(3) and casting the kingdom old "into another Mould" (4) .

Al though the king is painted with sympathy :

'He nothing common did or mean .
Upon that memorable scene :"(5)

destiny carries cromwell forward to success and glory . The fate reserved tor the usurper is allotted to him and :

"The same Arts that did gain
A Pow'r must it maintain . "(6)

The informing morality activating Marvell is that of the detached rational philosopher. The king, though he met his death nobly , is not a martyr,but rather perhaps an actor on the " Tragick Scaffold"(7)of life, playing his role along with Cromwell . The theme of the drama in which they are both playing is the good government of England.

The divergent political elements : a natural inclination towards Puritanism, and a generous commiseration with Charles are kept under perfect control.

(1.)An Horatian Ode - *Lines* 25 - 28
(2.)*ibid* - *Line* 14
(3.)*ibid* - *Line* 34
(4.)*ibid* - *Line* 36
(5.)*ibid* - *Lines* 57 - 58 .
(6.)*ibid* - *Lines* 119 - 120
(7) An Horatian Ode *Line* : 54

For Marvell, civilization was greater than either king or Cromwell: by his education and temperament he was ideally suited to view them both dispassionately . The philosopher of *The Garden* did not alter appreciably when he stepped outside its confines .
Even in his love poem *To His Coy Mistress* there is a note of self mockery and stoicism . in the midst ot his ecstasy he can always hear :
'Timesswinged Charriot hurrying near'. in spite of his urbanity and poise, there is an undercurrent of fatalism and deep concern rippling under the calm surface of his poetry :

"Thus , though we cannot make our sun
Stand still , yet we will make him run ",, (1)

or :

Though justice against Fate complain,
And plead the antcient Rights in vain :
But those do hold or break
As Men are strong or weak . (2)

Even at the depth of his despair for the loss of 'Romantic Ireland there is nothing of this fatalism in Yeats . He himself , and Parnell not long before, were evidence of this 'potentiality' for rejuvenation. Even in line 25 of *September* 1913 'Yet could we turn the years again' there is the sugg-Stion that this might yet be possible - it is as if he already experienced intimations of that triumphant metamorophosis when all would be 'Transformed utterly' .

Yeats, heroes could undergo a metamorphosis which the more objective Marvell could not be deluded into believing possible : even John MacBride, that drunken , vainglorious lout, (3) could be numbered in this song . Marvell is never so generous with the fame of Cromwell .
The theme of *An Horatian Ode* might be considered as Cromwell's witness

(1.)*To His Coy Mistress* Lines 45 - 46 .
(2.)*An Horatian Ode* Lines 37 - 40 .
(3.)Easter 1916 *Line* 32 .

to celebrate stable government in England.England was really more important to him than who governed it .When Marvell turns to other lands, Ireland, Scotland or Holland he shows little sympathy. There is certainly nothing approaching Yeats, honest self appraisal,self criticism tormenting doubt. Even though Yeats was much nearer the centres of power,he was not swayed. The opening of *September* **1913** is bitterly critical of contemporary Ireland. The persona addresses itself to the detested Catholic commercial middle class in tones of admonition and disgust .He portrays the 'shopkeeper mentality, the loathsome 'fumbling' in 'greasy' tills which evokes the image of a Shylock sweating out his life at an ignoble profession .He points out the hypocricy and cowardice of this class as they add 'prayer to shivering prayer' and also their self righteousness– in the ironic line–"For men were born to pray and save". Here, in verse, is the priest-ridden society of *The Playboy of the Western World* ,these were the Shawn Keogh's whose very marrow or vital sap had been 'dried' ... 'from the bone'.Here indeed,the atrophy of the unheroic bourgeois is laid bare. As Yeats seems to imply in line four , neither religion nor politics can create minds generous enough to make a nation.

The value of heroism can never be measured in money :it is only that romantic vanished society, to which Yeats always appeals, which could appreciate such ideals .The society of contemporary Ireland was at the end of an epoch ,prefiguring the memorable warning note of *The Second Comming:*

> 'Things fall apart ; the centre cannot hold ;
> Mere anarchy is loosed upon the world,' Lines 3–4.

Even the life of the 'big houses' only preserved the old values with difficulty against nature and mankind.Only in such civilizations as that of Byzantium or China(as conceived in *Lapis Lazuli*)could 'passion and precision' really survive the ravages of time .

destruction of ancient rights would have appalled all just men and enlisted their resistance ,but a purpose had now emerged of which Cromwell was the embodiment. (1)

The philosophy of Yeats , however, does not seem to include the concept of God; the ultimate release from the gyrations of history being akin to the Buddhist conception of Nirvana. It seems almost as if ,as early as *September* **1913** he was moving to this view, the patriots having, by their heroism and suffering, gained release from the cycle of history .

While Marvell's hero, Cromwell,is an instrument of fate, yeats martyrs seem to overcome fate and time and dwell apart in a world of art Transformed utterly and beyond defamation, ' with 0' Leary in the grave' .

An Horatian Ode teases the reader by its ambiguity, both verbal and political .It is typical, stylistically and philosophically of an age of sophistication and doubt. Althought a poem of transition (being both a metaphisical poem and a forerunner of the neo-classical works of Gray and Collins). *An Horatian Ode* is possibly Marvell's most typical work. The poet is at once an asrtist and a man of affairs. *An Horatian Ode* is packed with implication, irony and ambiguity: it is neither a manifesto of Puritanism ,as is the *Bermudas*, nor a eulogy on Cromwell, as is *Upon the Death of Oliver Cromwell* ,but the true echo of a divided age .Though it is monument of impartiality, it is not a monument of indifference . Marvell's hero has not to be called up from the grave; he is alive and vital . If he fails to move us, it is surely because he is 'distanced' from us by a convention far more pervading than anything Yeats invented . The 'Ode' was written to celebrate Cromwells' return from Ireland at the close of 1650 .He was also preparing to attack Scotland, and Marvell anticipates the day when :

The Pict no shelter now shall find
Within his party-coloured Mind ;
But from this Valour sad
Shrink underneath the Plad: Line I05- 108 .

While Marvell remained an incorruptible man in a corrupt age, he was perhaps more narrowly nationalistic than Yeats. His prime concern as was that of Shakespeare in the history plays was

(1.) Destiny His Choice The Loyalism of Andrew Marvell *by John M Wallace: Cambridge University press* 1978. *page*72

celebration of the contemplative life .The pastoral garden,as in the poem *Bermudas* is a temple where to sound his (God's) name (1) and within this setting the poet's meditations are worked out ; this working out is done in a charming but stylized manner. Unlike Yeats who avoided extreme abstraction by embodying his ideas in concrete form, as we have seen in *The Tower* , Marvell's elusive personality expresses itself best behind a facade of formality and abstractionsism. One of the key passages which embodies favourite Neo- Platonic doctrine is the much discussed verse .6:

Meanwhile the Mind, from pleasure less,
Withdraws into its happiness:
The Mind ,that Ocean *where each kind*
Does streight its own resemblance find ;
Yet it creates , transcending these ,
Far other Worlds ,and other Seas;
Annihilating all that 's made
To a green Thought in a green Shade.

In which everything is reduced to its"ideal"from of greenness or innocence, as is fitting in this ideal garden .

It is not surprising ,therefore, when we turn to examine *An Horatian Ode* that we find a detachment in the handling of episodes of extreme dramatic potentiality .

John M. Wallaca seems to be of the opinion that (in an almost miltonic manner) Marvell is demonstrating the ways of God to man:

The theme of the ode is deliverance , and Marvel envisaged , in accordance with the concept of "dux bellorum"which permitted dictators at the commencement of new empires, Cromwell's election to the constitutional dictatorship of England .With the passage of time, and after more laurels for the victorious general ,the meaning of the previous tragedy had begun to reveal itself, and the end to which God 's judgments pointed had , to Marvell at least, been made clear . The signs could not have been read before . when the

1. *Marvell's* Bermudas , *line* 32.

He was at once disillusioned and inflamed with scorn and it was in this, mood that the opening lines of *September* 1913 were written. It might be argued that Yeats was blind to the actual realities of the Ireland of his day and that 'hard riding country gentlemen' (1)have no place in a modern 20th century republic but this does not invalidate the politicl poems or lessen one jot of their force.

Yeats once declared that modern cities have taught people to live on the surface of life, and so he set about the task of lashing his contemporaries into an awareness of their heritage. He was not so much against the British as against anything that savoured of abstractionism and impersonality in governemnt or private life .

Much of the time he wore a mask of Parnellian pride and disdain. Typical of this attitude is *To a friend whose work has come to Nothing:*

'how can you compete,
Being honour bred, with one
Who , were it proved he lies,
Were neither shamed in his own
Nor in his neighbours eyes?

but even here ,the mood is permeated by a strain of hurt pride and melancholy which is so typical of the true Yeats .

What really raises both Yeats and Marvell above the level of so many of their lesser jingoistic contemporaries is their personal integrity. As has already been mentioned they both possess an awareness of the deeper historical movements which catch up the transcient affairs of the moment and trans form them into significant facets of an organic process.

A representative philosophic poem of Marvell's is *The Garden* and once one has grasped the essence of this work one can appreciate thedetachment with which the poet approaches so disturbing a subject as the execution a King and the acceptance of a new regime.The central theme of *The Garden* is a

---

1. Under Ben Bulben *Stanza V; line* 8.

Auden's poem *In Memory of W. B. Yeats* as, I think, it reveals the essence of the 'love- hate' relationship which Yeats felt for Ireland and it was this that generated the tension and the passion of the political poems, proving triumphantly that great poetry can be made out of indecision and that often a situation is too complex to be honestly resolved . It was this searching honesty that irritated Maud Gonne and lost him many friends among the fanatics of the Republican party.

This "searching honesty" overcomes the more petty form of nationalism, and in *September* 1913 is directed against his fellow Irishmen, the shallow minded mercantile middle-class of Dublin.

The initial impulse in writing this poem was a political speech which Yeats made in July, 1913, in which he described Ireland as a'little greasy huxtering nation groping for half -pence in a till . Yeats was constantly trying to elevate Ireland to the heroic status it held in Celtic legend and his political career evinced a slow and painful realization of the truth that 'Romantic Ireland' 'was indeed, 'dead and gone' .

In 1913 Ireland was passing through a period of unrest prior to ' The Troubles' and political excitement is woven into the texture of most of the poems of this phase. Unlike the formal political poems of an earlier age(1) Yeats poems contain elements of satire, lyricism and electrifying oratory. They embody the very atmosphere of the age and are a distillation of all that Yeats thought and felt most profoundly. Even in *Easter* 1916 he could still say :

"England may keep faith
For all that is done and said"

and one cannot but sympathise with Yeats for the inner torment that these poems of excruciating ambivalence must have caused.

The petty squabbling which arose over the design and financing of the gallery to house the Lane Art Collection was a typical example of what Yeats hated most in the mentality of the middle - class.

---

1. *Dryden's Absalom and Architophel is good example of what I mean.*

'The fact that of all Marvell's verse, which is itself not a great quantity the really valuable part consists of a very few poems, indicates that the unknown quality of which we speak is probably a literary rather than a personal quality ; or, more truly, that it is a quality of a civilization, of traditional habit of life . i

Yeats, on the contrary, lived in an age devoid of tradition, the representatives of Irish culture had been :

beaten into the clay
Through seven heroic centuries; lines 12- 13 Verse V *Under Ben Bulben.*

and the creation of his new style was painfully achieved by sloughing off outworn pre-Rafaelite influence as he tells us in *A Coat:*

' I made my song a coat
Covered with embroideries
Out of old mythologies
From heel to throat ;
But the fools caught it,
Wore it in the world's eyes
As though they'd wrought it .
Song, let them take it,
For there's more enterprise
In walking naked .

While Marvell, through his birth, education and attainments never questioned his role in society, Yeats suffered from the naggng fear of being considered ' provincial '. He sprang from the outer fring of the Irish Protestant Ascendancy,his father being a rather bohemian,if genteel,artist from whom Yeats inheirted a romantic disposition but little in the way of a formal education. The Anglo-Irish, the 'people of Burke and Grattan/That gave, though free to refuse' (2) were outsiders, a minority in Catholic Ireland and it was of this minority that Yeats always felt himself .

'Mad Ireland hurt you into poetry ' is a particularly significant line in

(1) Andrew Marvell - *an essay by T. S. Eliot which appeared first in*The Times Literary Supplement *on* 31*st March*, 1921. *Included in*Andrew Marvell: Tercentenary Tributes. *P.* 63 .
Russell & Russell, New York 1965.

(2) The Tower *V III I* 12 - 13 .

age, sought an ideal civilization in either the heroic age of ancient Ireland or the regenerative " phases" of the future, which like his ideal man, "does not exist" (2) and "is but a dream" (3)

While both poets gave their support to the more liberal and popularist political faction neither could be classed as a democrat. Yeats was a poet of defeat while Marvell celebrated victory and neither poet was an unequivocal supporter of his party. Marvell was the master of the learning of his age and the heir to a tradition of art and fine living: Yeats was self educated and partly because of this, eccentric, egotistical and vulnerable to criticism.

Although Marvell took no appreciable part in the struggle between king and parliament his Anglican faith and his friendship with Lovelace and other Royalists suggests that his initial sympathies must have lain with Charles. However, the years 1650 - 52 found him serving as tutor to the daughter of Lord Fairfax the retired parl iamentary general, at the latter's estate, Nun Appleton. Like Yeats he admired the ordered life of the 'big houses' and benefited from the patronage that went with it.

Marvell's poem *Upon Appleton House,* like its model Jonson's *To Penshurst,* celebrated the harmonious life that was danger of disappearing in the tumult of civil war:

But all things are composed here,
Like nature, orderly and near Lines 25- 26

How closely this resembles the tone of Yeats, *Upon a House Shaken by the the Land Agitation:*

Where passion and precision have been one this house,
Time out of /mind, Lines 1- 3

only Yeats is more obviously concerned with the creation of 'passion and precision while Marvell reflects it, almost unconsciously. T. S. Eliot seems so rightly to have identified Marvell's voice when he says :

---

(2) *Yeats, W.B.* The Fisherman. *Line* 35 .

(3) ibid *line* 36

Marvell and Yeats are separated not just by time, personality and life style, but by that almost indefinable quality derived, not only from a culture but from that particular "phase" at which a culture has arrived. Like Yeats, I must admit to being a disciple of Vice, and to being fascinated by the vast cyclic movements of history, which, as they come to an end or "Fall apart", leave poets, and all those sensitive to the deeper unity of a culture, gasping in a limbo of doubt - rootless and tormented, attempting heroically to create an order and harmony of their own.

As a European who has felt the tremors of war shake the very foundations of our civilization, I am, perhaps, over sensitive to those wider issues which are not generally the concern of the literary critic, However, as I am here considering "political poetry", for which some background knowledge of the age is vital, I feel somewhat justified in adopting this historical approach.

Both Marvell's "An Horatian Ode upon Cromwell's Return from Ireland" and Yeats, "September, 1913" had their genesis in times of Civil War. The former was written in 1650 when thinking men were finding the opportunity to reflect in tranquility upon the emotional and bloody happenings of the preceding decade. Since 1642, when Charles I raised the royal standard at Nottingham, England had been rent by civil war. This ended in the execution of the king- but not in the smothering of Royalist sympathies. Marvell, the philosopher and public man, was able to view these events in perspective. Like the historian Clarendon, he thought of them as movements in a broad historical process, with which as John M. Wallace writes, "it was necessary for men to combine, if providence were to bring good out of evil". (1)

Yeats' concept of the historical process was fundamentally different from that of Marvell. While Marvell saw the passing of the tragic Stuart monarchs as an event necessary for the establishment of good government and the preservation of a civilization, Yeats, railing at the decadence of his

---

(1) *Wallace, John M.* Destiny His Choice : The Loyalism of Andrew Marvell. *Cambridge University Press,* 1968. *P.*2 .

A CONSIDERATION OF THE POLITICAL POEMS OF ANDREW MARVELL AND WILLIAM BUTLER YEATS, WITH PARTICULAR REFERENCE TO "AN HORATIAN ODE" AND " SEPTEMBER, 1913 "

BY

JOHN G. PATTISON

4^{44}

BIBLIOGRAPHY

Atkinson, Brooks (ed.). **The Selected Writings of Ralph Waldo Emerson.** New York: The Modern Library, 1964 .

Benet, W. R. and Pearson, N. H. (ed.). **The Oxford Anthology of American Literature** . New York : Oxford University Press, 1938 .

Bradley, Scullet , Beaty , R. C.and Long . E . H . (eds) . **The American Tradition in Literature** . 2 Vols . New York : W.W. Norton and Company , Inc., 1961 .

Davidson, Edward H. **Poe: A Critical Study.** Cambridge: Harvard University Press, 1964.

Emerson, Edward. W. and Forbes, Waldo Emerson (eds.). **The Journals of Ralph Waldo Emerson.** 10 Vols., Boston and New York : Hough Mifflin and Co., 1909 - 1914 .

Emerson, Ralph Waldo. **Society and Solitude.** Boston and New York : Houghton and Mifflin Co., 1904

Finkelstein, Dorothee M. **Melville's Orienda.** New Haven and London:Yale University Press, 1961 .

Irving, Washington. **The Legend of the Sleepy Hollow and other Selections.** New York: Washington Square Press, 1964 .

The Life of Mahomet. London: J.M. Dent and Sons, Ltd., 1944.

Longfellow, Henry Wordsworth. **The Poetical Works.** London : Oxford University Press , 1965.

Wagenknecht, Esward. **Edgar Allan Poe: The Man Behind the Legend** . New York: Oxford University Press, 1963

Wager, Willis **American Literature: A World New.** New York: New York University Press, 1968 .

feats of fairies and magicians and kings
and queens, was more dear and wondefful
a circle of children than any orator
in England or America is now (25)

Melville's interest in the East was of a different nature. "Fragments from a Writing Table, "is an adventure in an oriental setting and is closely patterned on a typical scene in *The Arabian Night*, which exerted a direct impact on the composition of these "Fragments."Melville frequently used Arabic names or variations of Arabic names in his works. But gradually, the East came to have a deeper significance for him than merely a source of romance with which to ornament his books. He began to search for some solution to his lost faith in religion and America itself. His visit to the Middle East in 1857 is closely tied up with this personal sense of despair and dismay at what western culture was coming up to. His long allegorical romance, *Mardi*,is filled with Islamic characters and symbols; Taji searches through a fantasy world for his lost love, Yillah when Taji first meets Yillah he is dressed in Eastern robes looking like "an Amir." In *Clarel* a young divinity student visits the Holy Land in search of faith, which he does not find. And since neither Clarel nor Mellvile find faith, Taji concludes in *Mardi*: Oh, Ourienda, in thee tis vain to seek Yillah. (26)

The American scholars of the ninteenth - century who looked to the East can be roughly divided into three groups : The Romantics,the Philosophers and the Skeptics. The Romantics needed and found splendor, excitement and enchantment. The East for them was a fairy land to satisfy their need for romantic imaginative escape from sordid everyday affairs. The philosophers needed to affirm their ideas in the solid intellectualism of the East. The Skeptics needed to find themselves and to vindicate their losses.

What has been presented is not a conclusion but a beginning, not a discovery but an exploration. Needless to say,the subject is ripe for further investigation, since every facet merits closer attention.

---

(25) *Ralph Waldo Emerson*. Soeciety and Solitude (*Boston and NewYork: Houghton and Mifflin Co*., 1904) *P*. 100.

(26) *For full treatment of the subject see : Finkelstein*, op.cit.

own ideas and philosophy. His essays and Journals contain many references to and quotations from *the Quran*. In Heroism" Courage "and other essays he exemplified the virtue of heroism by Arab -Islamic illustrations- Ali Ben Abu Taleb, Saladin and Abduel-Kader Emerson also included in his Journals the story of Hatem Tai who never liked to eat alone ; Hatem Tai even roasted his matchless and wonderful horse because he had nothing else to offer his guests. In Courage he again refered to HatemTai's extreme hospitality . For Emerson this hospitality is a kind of heroic act since the host must first overcome self love and covetousness."Arab hospitality was of course proverbial and was frequently alluded to in the literature of the time (23)Arabian proverbs were used by Emerson as confirmation of his ideas .In *The American Scholar* after expressing the need for the lamps of the East he says :

> Wehear that we may speak The
> Arabian proverb says" A fig tree,
> looking on a fig tree becometh
> fruitful (24)

Scheherazade of *The Arabian Nights* ,who fascinated the West, astonished Emerson by her eloquence and stratagem to save her life .In " Perpetual Forces ," and "Eloquence,"he refered to her and presented her as a universal expression of joy and youth unmatched in the West :

> The whole world knows pretty well the
> style of these improvisators, and how
> fascinating they are, in our translations
> of the Arabian Nights .Scheherazade tells
> these stories to save her life , and the
> delight of young Europe and young America
> in them proves that she fairly earned it.
> And who does not remember in childhood
> some white or black or yellow Scheherazade,
> who , by that talent of telling endless

(22) **Ibid** .*p* 22

(23) *Finkelstein* , **op. cit .p.** 41 .

(24) *Atkinson* ,**op.cit** .*p*.50 .

Of a love that shall not die
Till the sun grows cold,
And the stars are old ,
And the leaves of the Judgment
Book unfold !(18)

This certainly sounds like a free translation of an Arabic poem -the sentiment and the expression testify to this . Among Taylor's publication that deal with the East are *Land of the Sarcens* (1855) and *Cyclopaedia of Modern Travels* (1856) .

The same romantic elements of an oriental nature can be found in Edgar Allan Poe's works .Yet ,in Poe ,"... the tendency is naturally inclined towards the Arabesque and the Gothic". (19) In 1840, he published his first collection of short stories , *Tales of the Grotesque and Arabesque*. To these tales Poe had given the 'aesthetic creativity' of the Arabesque. His greatest stories have been classified among the Arabesque, because their material is selected "...with care on account of their strangeness,their appeal to the faculty of wonder".(20)Two of Poe's poems bear Islamic titles,"Al-Aaraaf," and "Israfel." Al-Aaraaf is not only the Qur)anic region between heaven and hell but "...the name Arab astronomers assigned the planet in Tycho's nova or constellation".(21) In Poe's poem Al- Aaraaf there is a wandering planet where Nesace ,the titular ruler ,dwells in search of awareness in order to ... restore the eternal harmony to the cruelly deranged and fractured world of men (22)

For Ralph waldo Eoerson, the East was not simply a fantasy land in which romance still lived but rather the home of the oldest philosophic truth. Therefore he sought in theEast truth and ideals to help him form his

---

(18.) *William Rose Benet and Norman Holm esPearson .eds* ., The Oxford Anthology of American Literature(*New York :Oxford Universitx Press,* 1938) *pp.* 855-856 .

(19) *Finkelstein* ,op, cit .*P*.17.

(20) *Edward Wagenknecht* , Edgar Allan Poe: The Man Behind the Legend (*New York :Oxford University Press,* 1963) *P.* 157 .

(21) *Edward H. Davidson.* poe: A Critical Study (*Cambridge : Hravard University Press,* 1964) *P.* 15.

his "dreamy eyes" strech across this Arabian desert like a panoramic picture of history, and watch the successive passage of "weary centuries"-the passage of Moses, Mary, Christ and pilgrims until:

The vision vanishes ! these walls again
Shut out the lurid sun,
Shut out the hot, immeasurable plain;
The half-hour's sand is run !(16)

The East has become a poetic source that nourishes imaginative creativity. The walls that shut out the sun are a condemnation of a mechanical industrialized civilization which he found barren. Longfellow's poem Allah, which he translated from German, seeks light in the midst of the prevailing confusion and darkness that surrounds him:

Gladly to Allah's dwelling
Younder would I take flight;
There will the darkness vanish,
There will my eyes have sight.(17)

Bayard Taylor's desert was not as visionary as that of Irving or Longfellows. In 1851 he visited the Near East and travelled extensively in the area. He studied Arabic poetry, which he was able to read in the original, and imitated this poetry in *Poems of the Orient*, Published in 1854. In Bedouin Song, for example, he transplanted into English poetry a traditional Arabic poem of wooing the beloved. The images are all culled from a fanciful, oriental -colored setting:

Look from thy window and see
my passion and pain;
I lie on the sands below,
As I faint in thy disdain
Let the night-winds touch thy brow
With the heat of my burning sigh,
And melt there to hear the vow

(16.) Ibid. .*p*.187.
(17.) Ibid .*p*.757.

traveller who is carried by the south wind to Arabia s ᵾ cceeds not only in seeing the «gay bazaars» but also in smelling the perfume of Arabian gales:

I see below
The long line of the Libyan Nile,
Flooding and feeding the parched land
With annual ebb and overflow,
...
This city , in whose gay bazaars
The dreaming traveller first inhales
The perfume of Arabian gales ,
And sees the fabulous earthen jars ,
Huge as were those where in the maid
Morgiana found the Forty Thieves
Concealed in midnight abmuscade ;
And seeing ,more than half believes
The fascinating tales that run
Through all the Thousand Nights (14) and One,
Told by the fair Scheherezade .

Here *The Arabian Nights*, mixed with travellers' tales ,are Longfellow's sources. They give exotic flavor to his poem. His readers response must have been immediate since they were familiar with *The Arabian Nights*. In «Sand of the Desert in an Hour-Glass,» he dreams of a freer,more exciting world -gazing at :

A handful of red sand, from the hot clime
of Arab deserts brought,
Within this glass becomes the spy of Time,
The minister of thought . (15)

The ancient Eastern primitive device of measuring time has become "a minister of thought" for the poet. It allows room for meditation .And then

(14.)*Henry Wadsworth Longfellow* .The poetical Works (*Londom :Oxford University Press,* 1965) *P.* 727 .

(15.)Ibid . *P.* 186 .

> him ; how they galloped over bush and brake. over hill and swamp, until they reached the bridge; when the horseman suddenly turned into a skelton , threw old Brouwer into the brook, and sprang away over the tree-tops with a clap of thunder... This story was immediately mactched by... Brom Bones ...he had been over taken by this mid – night trooper... but just as they came to the church bridge,the Hessian bolted , and vanished in a flash of fire .11

The Tales of the A lhambra ,which Irving published in 1830, includes fantastic legends and superstitions still alive among the gypsies and peasants, and it is full of the flavor of *The Arabian Nights. The Life of Mahomet* followed in 1832. He admitted that ...most of the particulars for the book were drawn from Spanish sources,and from Gagnier's translation of the Arabian hitorian Abulfeda, a copy of which he found in the Jesuits Library of the Convent of St. Isidro, at Madrid.(12) Irving's slove of chivalry, heroism, romance and legend so dominated this book that it is considered more as ... a picturesque biography of a hero of Arabian romance than an adequate account of the founder of Islam. (13) Such a presentation of prophet Muhammad reveals Irving's romantic temperament in treating a religious topic, and the appeal that the East held for him.

Similar familiar features are found in Henry W. Longfellow's poem in which his imaginary desert is filled with caravans ,minarets ,noble Arabian warriors , and palaces of delight . His interest in Islam and Arabia was also aroused by a visit to Spain in 1827.In his poem«Keramos,»the dreamy

---

(11.) The Legend of The Sleepy Hollow and other Selections (*New York :Washington Square Press,* 1964)*PP.*28-29.

(12) Iruing. *The life of Mahomet,* op - cit., p.l

(13) Finkelstein, op. cit., q.17.

American journals and books .Beginning with January 1836, the third year of its publication ,the *Knickerbocker Magazine* ... carried articles on Near Eastern lands, life, and manners in almost every number (.8) The same approach was taken by the *Knickerbocker* rival, the *Democratic Review* a few years later .(9)

From 1826 to 1829, while Emerson was still contemplating the mystery and greatness of the East, Washington Irving Lived and studied in Spain and his interest in Islam, Arabia and Prophet Muhammad was aroused. In Spain and Andalusia, he was fascinated with scenes so oriental that he felt the early associations of Arabian Romance . He discovered traces of the courage ,urbanity, high poetical feeling and elegant taste of the Arabs in Spain. Irving is well known for his love of the exotic and picturesque:

> I longed to wander over the scenes of renowned achievement - to tread, as it were, in the footsteps of antiquity-to loiter about the ruined castle -to meditate on the falling tower - to escape in short , from the commonplace realities of the present , and lose myself among the shadowy grandeurs of the past . (10)

In "The Legend of the Sleepy Hollow," he strove to give the charms and spells of legends and romance from Arabia :

> This was one of the favorite havnts of the headless horsman ...The tale was told by Brouwer , a most heretical disbeliever in ghosts,how he met the horseman returning from his foray in to Sleepy Hollow, and was obliged to get up behind

---

(8.) *Finkelstein* .op. cit . *P.* 19 .

(9.) Ibid . *P.* 21.

(10.) *Washington Irving*. The Life of Mahomet (*London: J.M. Dent and Sons , Ltd.,* 1944) *P.*1.

felt that the time had come when their sluggard intellect must look from"... its iron lids," and do something "...better than the exertions of mechanical skill.," (6) In that period of scientific discovery and doubt, there was also a desire to know and to experience if possible, the land and the original source of great religions :

> ...when the intervals of darkness come, as come they must - when the sun is hid and the stars withdraw their shining - we repair to the lamps which were kindled by their ray, to guide our steps to the East again, where the dawn is .(7)

A tabulation of the material from which ninteenth-century American scholars drew their knowledge of the Islamic World reveals numerous travel books, histories and translations of Arab-Islamic literature - *The Quran*, *The Arabian Nights*, romances and poetry. Various examples follow: Thomas Carlyle's *On Hero and Hero-Worship*, Edward Gibbon's *The History of the Decline and Fall of the Roman Empire*, James Bruce's *An Interesting Narrative of Travels into Abyssinia to Discover the Source of the Nile*, William Beckford's *Vathek*, Simon Ockley's *The Conquest of Syria Persia and Egypt by the Saracens: Containing the Lives of Abubeker, Omar and Othman ,the Immediate Successors of Mahomet.* These are only a few of the sources among the inexhaustible reservoir of material available for the American scholars of the ninteenth- century. Arab-Islamic literature in translation includes George Sale's translation of *the Qurān* ,first published in 1734, many American editions of *The Arabian Nights* (as early as 1815) and translations of romances and poetry ,such as *Antar : A Bedoueen Romance.* It is evident that this orientalizing tendency drew at the beginning on European sources .But by the middle of the century original American compositions on the East and the Near East began to appear in several

(6) *Atkinson,* op,. cit ., *P.* 45 .
(7) Ibid. *P.* 50 .

In 1837 Ralph Waldo Emerson asked American scholars to tear America away from lavish adherence to European thought and literary models. In his famous , enthusiastically received, address entitled *The American Scholar* , he asserted that scholars" ... have listened too long to the courtly muses of Europe"(1)and should now guide their steps to the East. A year later in *An Address* delivered at Harvard Divinity School he noted that "Europe has always owed to oriental genius its divine impulses," (2) and looked for the hour when" ...that supreme Beauty which ravished the souls of those Eastern men, shall speak in the west also".(3)Seven years later in his Journal of 1845 he wrote : " The East is grand and makes Europe appear the land of trifles" (4).

This desire to turn America from Europe in the early years of the nineteenth century was accompanied by active interest and preoccupation with the East ,and this desire manifested itself on the American literary scene during that period . Although this interest "... was an integral part of a general Western preoccupation with the East that characterized the larger movement ot European Romanticism"(5)yet it was American in its eclecticism . In most of the American scholars who turned towards the East there was nostalgia for the past and for a sense of tradition- a need for conscious historical awareness. There was also a reaction against what was happening in America -an escape from the ugliness and corruption associated with industrialism and the prevalence of materialistic values . Scholars

---

(1) *Brooks Atkinson ,ed* The Selected Writings of Ralph Waldo Emerson (*New York: The Modern Library* , **1964**) *P.***62**.

(2) *Ibid* ., *P.* **71**.

(3) *Ibid* ., *P.* **84** .

(4) *Edward W. Emerson and Waldo Emerson Forbes , eds* . The Journals of Ralph Waldo Emerson, **10** *vols.* (*Boston and New york: Houghton Mifflin and Co* ., **1909** - **1914**) *vol V***11** , *P.* **305**

(5) *Dorothee M. Finkelstein.* Melville's Orienda (*New Haven and London: Yale University Press* **1961**) *P.* **13** .

ARAB – ISLAMIC ELEMENTS IN NINTEENTH-CENTURY AMERICAN LITERATURE

ANAS AL–SHAIKH ALI
DEPARTMENT OF EUROPEAN LANGUAGES
UNIVERSITY OF MOSUL
MAY 1978

The East is grand and makes Europe appear
the land of trifles
Emerson, Journals, 1845

BIBLIOGRAPHY

Corbuth, J. D., "English or Special English ?" *English Language Teaching Journal,* Vol. 29, London, 1975.

Croft, K. & Brown, B. W. ed., *Science Readings* , London, 1966.

Elliot, C. R., "Must Scientific English be Dull ?" *English Language TeachingJournal,* Vol. 31, No. 1, London 1976.

Ewer, J. R. & Lattore, G., *A Course in Basic Scientific English,*London,1973.

Hargraves, P. H., Burgess, J. E. & Sidewell, S. S., *English for Technicians,* London, 1966 .

Kahn, J. H., *Human Growth and the Development of Personality,* London, 1965

Maclean , Joan, *English in Basic Medical Science,* Oxforsd 1975 .

Widdowson, H. G., " Literary and Scientific Uses of English", *Espemena Journal,* Vol. 28, No. 8, Khartoum, Sudan, 1977.

Wilkins, D. A., *Second Language Learning and Teaching,* London , 1974.

5. If you think that a second language is needed, do you think that a student should be given language related closely to his subject matter or general English, Check:

General English   Specialised English

6. Do you think that the subject should be taught by a teacher of English Check .

A teacher in the specialised field whose English is good enough   A native speaker

7. What in your opinion should be the skill or skills emphasised in teaching English . Check please ;

Reading and understanding   Reading, understanding and writing

The skills above plus speaking.

8. From your experience thus far, have the students had enough benefit to justify the hours taken for English .

Yes   No.   To some extent

Mona Kharrofa
Lecturer at the Dept.
of European Languages

Nihad Khayatt
Lecturer at the Dept.
of European Languages

QUESTIONNAIRE

English for Special Purposes

With the expansion of our Colleges particularly the technological and scientfic college, and wtih, the Arabisation of Learning and teaching in Iraq which has already either started or about to start, the need for a second language -English -has been found to become even greater than it was before.

The purpose and aim of this questionnaire is to establish beyond doubt such necessecity and the type of teaching material that professors at scientific Colleges may deem necessary and useful in serving their purposes and facilitating their job in the use of references and terminology.

The answers should be as accurate as possible and thank you for your cooperation.

The Questionnaire

Specialty :

College :

Nationality :

Native language (by native language we mean the language you master most)

1. Please, check the language used in teaching:

   Arabic English Mixed

2. Do you believe that students at your college should be given a second language as such, check :

   Yes No

   Please, briefly give reasons for your answer.

3. If your answer is "Yes", do you believe that:

   Ist year is enough ?

4. If not, how many years should a student study Englis h :

   two years three years All through his college years

CONCLUSIONS AND RECOMMENDATIONS

It is clear that in acquiring a language, comprehension precedes production. This particular skill, we can assume was acquired by the students in the years prior to their joining the university even though the nature of the language acquired then may be different from what they may encounter in their specific fields of study .

From the responses of the faculty members in the colleges tested, the following may be recommended :

1. Since most professors prefer and use mixed language approach, or use only English as their medium of teaching (see table 2), then English must be taught at our colleges and universities to enable the students to follow lectures, read references and express themselves in English . This is particularly true at both the Medical and Engineering Colleges while at the Colleges of Agriculture and Business Administration and Economics the staffmembers favour Arabic as their medium of teaching .

2. From the answers of staff - members it is recomemended that English be given at least for two years. There are some difficulties facing such a practice particularly the shortage of teachers of English compared to other subjects, since English is already being taught at almost all the Colleges for a minimum ot at least one year .

3. From the response and the analysis we find that both types of English are favoured whether specialised English or general English. Thus, a mixture of both is recommended with all this, we have to keep in mind that the student and how much he knows of the foreign language: is the main factor in teaching. And since interest also is essential, the material provided must be interesting to the learners. Hence, specialised English plays its role in holding the interest of the students.

Table – 7

OPINION OF FACULTY MEMBERS IN REGARD TO WHETHER OR NOT THE HOURS TAKEN FOR ENGLISH ARE JUSTIFIED

Colleges	Hours Justified	Hours not Justified	To Some Extent	Have no Opinion
Medicine	5	3	9	6
Engineering	6	11	17	4
Science	11	16	24	5
Agriculture	7	16	24	2
Business Adm	—	5	2	—
and Economics	—	5	2	—
Total	29	51	76	12

The analysis of data showed that there is a significant difference between the hours justified and to some extent .The number of people who did not express an opinion on the matter have little effect on the over all opinion. Thus, we can infer that those who say that "the hours are justified to some extent" have been significantly different from the rest. So it is to be concluded that the hours of teaching English should be increased so as to meet the demand of the majority among the staff members tested.

The professors at the Business Administration and Economics are about the only members whose majority declared that the hours taken for English are not justified.

Table – 6

SKILLS DESIRED IN LANGUAGE LEARNING AS EXPRESSED BY FACULTY MEMBERS

Colleges	Reading and Understanding	Reading, Understanding and Writing	All The Skills + Speaking	Total
Medicine	1	9	13	23
Engineering	—	16	22	38
Science	3	28	25	56
Agriculture	5	32	12	49
Business Ad. and Economics	—	5	2	7
Total	9	90	74	173

The figures in the first column were so few that they were neglected in the analysis as compared to the figures in the other two columns. The analysis shows that there are no significant differences between the opinions on reading, understanding and writing as compared to the opinion of all these skills plus speaking. We find that at the Faculties of Medicine and Engineering most teachers favour the acquisition of all skills related to language teaching; while at the school of Agriculture reading 'writing and understanding seemed to be satisfactory. This could be interpreted that in the former two faculties most of the teaching and discussions are carried in English, while at the latter Arabic is used extensively in the classroom discussions.

As to the last and final question, it deals with the justifcation of taking hours from the specialised field of the students to devote such hours to the teaching of English.

Table 7 presents the opinion of the faculty members, whether or not such practice is justifiable.

before reaching university level. This, we can assume, should give him at least a general knowledge of the language to enable him to pursue his studies at university level in English. Also, we must keep in mind that the curriculum prior to university is geared towards every-day English especially at the elementary and intermediate levels. On the other hand, teaching any subject matter, including language is only as both the receiver and giver make of it. Therefore, it becomes the responsibility of the student and the teacher to make optimum of what is to be acquired.

A learner of a language must be exposed to more than one aspect of that languiag. If he is exposed, to only one of the skills he will learn only that particular skill. Thus, we find that previously, there were some people who were able to read, but not to write. Also in learning a lauguage "we must be able to associate speech and writing;we must have control over speech and writing ; we must have control of the forms of the language in order to express its meanings"(1) . The learner should reflect all the skills of a language acquired in order to prove that he has learned. A proper balance among all the skills is necessary. Yet, here we stop and ask ourselves as teachers, which of these skills should be emphasised in language teaching of science students ?

In fact, we know that it is necessary to develop in the students the ability to handle written English relevant directly to their field of specialisation. Here, learning English does not mean simply to use every day language, but to be able to understand and interpret the highly specialised language, of science with its unlimited terminology. The aim here is to developin the student the ability to read and understand and thus give him indirectly the skills and techiniques of writing.

When faculty members were asked as to what skills should be emphasised through the teaching of language, the answers were mostly in favour of developing all the skills namely, 'reading: understanding, writing and speaking .

Table 6 clearly shows the varied opinions of faculty members.

---

1. *D. A Wilkins, Prologue.*

Table – 5

OPINION OF STAFF-MEMBERS AS TO WHO SHOULD UNDERTAKE THE JOB OF TEACHING ENGLISH

Colleges	A Teacher of English	ATeather Specialised in His Field	A Native Speaker (English)	Total
Medicine	4	17	2	23
Engineering	14	17	7	38
Science	21	30	5	56
Agriculture	21	20	8	49
Business Adm. and Economics	1	6	—	7

With most of the faculty members tested, the clear preference is that Engilsh should be given by a teacher who is specialised in the field.

At the College of Agriculture the opinion was almost equally divided between a teacher ot English and a teacher specialised in agricultural science. As to a native speaker teaching English, very few showed such preference. As to the preference shown for teachers of the specific fields of the sciences (see -axle 5), this could be interpreted that a teacher in the specialised field of study is less likely to make a technical mistake as compared to a teacher of English who knows hardly anything about the sciences.

As to question No. 7, which deals with the skills to be emphasised in teaching English, once again the answers varied. Thus, we have the question of whether or not it is enough for the students of the sciences to acquire the ability to read, to understand to write, or is speaking English equally important.

The Iraqi student generally begins his acquisition of a foreign language at the fifth elementary grade, which roughly gives him eight years of English

Therefore, regardless of the matter given, whether scientific or otherwise, the aim is to enable the students to acquire sufficient vocabulary both in English and science in order to enable them to put into use what they have acquired for effective communication in their studies as well as their every day living . Thus, we can generalise and state as Dr. D. A. Wilkins says: "What works is good and what does not is bad" (1).

Yet in this case, quite frequently we have to be careful and not jump to conclusions in deciding what works and what doesn't . A set of principles which may work in one situation may not work in another, particularly as teaching language to science students may differ in its aims and purposes from teaching students of literature, translation or education.

When staff- members were asked to express their opinion on question No. 6, as to who should teach English, the answers varied . Table 5 shows clearly the varied opinions.

By analysing the data obtained it was found that there is no significant difference between the teacher of the English language and a teacher with specialization in the subject being taught such as Medicine, or Engineering etc. Of course there are marked differences between a native speaker, a teacher of English, and a specialist in the field.

---

1. *A. D. Wilkins*, Second Language Learing and Teaching (*London*, 1974) *prologue*.

By analysing the data, it has been found that the response for the one or two or four years of English is more significant as compared to the three years. Furthermore the response of the four years of English is even more significant than either the one or the two years. This shows that it is preferable to continue the teaching of English through four years.

As to question No. five, which deals with wether the students should be given special English closely related to their subject matter or general English which may enable them to both understand and express themselves, the results are presented in table four.

Table-4

STAFF MEMBERS IN FAVOUR OF GENERAL ENGLISH AS COMPARED TO THOSE WHO PREFER SPECIALISED ENGLISH

Colleges	General English	Special English	Total
Medicine	10	13	23
Engineering	17	21	38
Science	21	35	56
Agriculture	23	26	49
Business Adm. and Economics	3	4	7

We notice from table 4, with the exception of the Faculty of Science, there is almost no marked preference in the use of either types of English to be used in the classroom.

It is definitely necessary to keep in mind the need of the student to increase his vocabulary and capacity for understanding and producing English . Teaching a subject depends to a great extent on what the teacher himself or the students make of it inside and outside the classroom .

Asignificant difference is noted between the first treatment in Arabic and the second and third treatment of English and mixed language. Thus, there are more in favour of English as compared to the Arabic; and there is little difference between the mixed teaching and teaching in English.

Colums No. 2, 3, 4 (see table three) deals with whether or not a second language should be given at college level as such. And if the answer is in the affirmative, how many hours per week should be devoted to languge teaching(1). The answer varied among the staff members of the various colleges. At the College of Agriculture 25 out of 49 are in favour of giving English through the four year college program; 16 out of 22 at the College of Medicine; 12 out of 30 and 15 out of 55 at the Colleges of Engineering and Science respectively. The returns from the Business Administration and Economics were so few, that it is impossible to make a reliable assumption from the answers provided. Even so three out of seven favour that English should be given through the whole four year program.

Anegligible number in the colleges were against giving English at all(one each in Medicine, Science, Business Adm. and Economics respectively).

Table-3

NUMBER OF YEARS ENGLISH SHOULD BE GIVEN AT THE VARIOUS SCIENTIFIC COLLEGES AS SUGGESTED BY STAFF MEMBERS

Colleges	In Favour					Not in Favour
	1 Year	2Years	3Years	All Through	Total	
Medicine		2	2	6	22	1
Engineering	10	13	3	12	38	–
Science	12	21	7	15	55	1
Agriculture	18	6	–	25	49	–
Business Adm. and Economics	1	1	1	3	7	1

1. *In all the colleges only one year of English is given except in the College of Business Adm. & Economics where two years of English are given.*

Table – 2

NUMBER AND PERCENTAGES OF THE USE OF LANGUAGES AS THE MEDIUM OF TEACHING

Colleges	Arabic		English		Mixed		Total
	No.	Present	No.	Present	No.	Present	No.
Medicine	—	—	19	83	4	17	23
Engineering	1	3	20	52	17	45	38
Science	3	5	20	36	33	59	56
Agriculture	23	47	7	14	19	39	49
Business Adm and Economics	6	86	—	—	1	14	7

In both the Medical and Engineering Colleges a large percentage of the professors use English as their medium of teaching , even though the returns of the questionnaires from the Faculty of Medicine show that they were unanimously Iraqis (see table one). At the Faculties of Science and Agriculture the majority of staff members favour the use of a mixed language approach; while the faculty of Business Administration and Economics prefer Arabic as their medium of teaching. at the College of Agriculture and Business Administration the foreign staff members are mostly Arabs. Hence the prefernce for lecturing in Arabic . Also, this may be due to the availability of teaching material in the mother tongue as Egypt, being a pioneer in agriculture, has been able to produce a wealth of material in the last few decades to meet the growing demand of the Arab world.

In the returns from the Faculty of Business Administration and Economics it has been found that 86% use Arabic as their medium of instruction (1).

Analysis of the data shows that there is no significant difference between teaching in English and teaching in mixed language approa.ch

1. *The staff of the Business Administration p Economics is all made up of Arabs .*

The retuns varied in number as may be noticed from the list above. In the opinion of the authors that Arabic speaking faculty members did not return the forms simply because they were in English.

The questionnaires were to be answered by Iraqi, Arab and foreign staff- members. On the questionnaire sheet each member was required to write down his nationality and the language he uses in teaching.

DISCUSSION AND FINDINGS

Table one represents clearly the number of Iraqi and non-Iraqi staff members at each of the scientific colleges of Mosul University. This division was made solely on the returns of the questionnaires and not on the actual number of staff members.

Table – 1

NUMBER OF IRAQI STAFF MEMBERS AS COMPARED TO NON -- IRAQIS

Faculties	Iraqis	Non-Iraqis	Total
Medicine	23	–	23
Engineering	9	29	38
Science	40	16	56
Agriculture	18	31	49
Business Adm. & Economics	2	5	7
Totals	92	81	173

In the first question of the questionnaire each Faculty member was asked to check the language or languages used in teaching. Table two shows the variation in the use of the medium of teaching.

who actually teach, and frequently using English as their medium of teaching in the various faculties of this young but fast growing university.

Realistic information from both teachers and students is required whether for methods or material on teaching for the optimum benefit of the student (1). Thus, the question arises: "Do we teach English through science?" or "Do we teach science through and for English ?"

METHOD OF PROCEDURE

A set of questionnaires was prepared by the authors based on personal experience on teaching English as a foreign language to students of the Department of English and to students at the Technical and Scientific Colleges of the University of Mosul (2). Also experience was gained in teaching scientific English to students either in the English or Translation Section of the Faculty of Arts.

These questionnaires were distributed among the following faculties of the University (3).

	No. Distributed	Returns
Faculty of Medicine	50	23
Faculty of Enginerring	70	38
Faculty of Agriculture	70	49
Faculty of Science	100	56
Faculty of Business Administration & Economics	50	7
Total	340	173

No separation was made among the Departments within each of the Faculties .

1. *A follow up research work, by the same authors, has been designed to be carried out on the students' opinion versus the teachers on the same matter.*
2. *Complete copy of the questionnaire is given in the appendix.*
3. *English is taught at least for one year in each of the tested faculties.*

until we become self-sufficient in Iraqi or Arab staff-members,we depend to a great extent on teachers who use English as their medium of instruction(1). In order to reach the point of self-sufficiency, students are annually sent abroad either to Europe or America, and these, definitely need a basic knowledge of a foreign language to enable them to pursue their higher studies in their chosen fields .Thus we can summarise the objectives of the present research as follows :

1. To establish whether or not a foreign language, namely English is needed as expressed by the answers of the staff-members lecturing at the various scientific faculties of the University of Mosul.

2. To have an insight as to the number of hours necessary for the teaching of English as seen by the teachers of the technical and scientific subjects, particularly when the hours for English will be subtracted from the specific fields of the students' studies .Not only is the number of hours important but also the number of years as well.

3. In teaching and learning a foreign language certain skills are involved namely: reading, comprehension and production, (writing and speaking). Which of these skills should be given priority in scientific colleges? All of these skills are important to the learner, but for a student of engineering for example, is speaking as important as reading and understanding?

4. In preparing the curriculum for the teaching of English at a given stage in a scientific or technical college, what material should the student be exposed to? An Iraqi student, upon joining his university, has already had eight years of general English. Hence, the question arises whether to continue with general English or to shift into special English related to the students' own specialization .

When thest objectives are met through the present study an insight may be gained so as to gear the curriculae of English in the various colleges to meet the demands of a foreign language as expressed by staff -members

---

1. *Europeans, Pakistanis ,Indians and others are employed as lecturers and technicians at the University of Mosul.*

INTRODUCTION

Language is the main means of communication among homo sapiens. The social structures of the human society is definitely related to language and thus we can safely assume that the higher and more complex the civilization the richer the language. We have many examples of the cessation in the use of a certain language with the death of its relevant civilization. Science has undoubtedly played a great part in our modern civilization, a civilization largely based on technology, inventions and new discoveries in all the fields of science .The welfare, stability and security of a country nowadays depend on its scientific and technological progress. Hence, the scientific revolution and fast industrialisation in our country requires unprecedented attention not only to the teaching of science but also to providing our students with media that enable them to pursue and widen their scope,each in his own specialised field of study. Thus, the need for a foreign lang- uage emerges.«Language is a skill,and all skills are developed through regular concientious practice,»(1)therefore,we have to set programs and curriculae throughout the college years to train our students in deve--loping and cultivating a foreign language side by side with their technical abilities.

AIMS AMD OBJECTIVES OF THE STUDY

The majority of the science books available to student in Iraqi Universities are in English (2). The purpose of this study is to establish whether or not a foreign language is needed, and , if so, how many hours should be devoted to the teaching of the foreign language .We must keep in mind that even though the medium of instruction may become Arabic in the foreseeable future, yet most of the scientific references, research papers and earlier works are either in English or other foreign languges . Also,

1. *P.H. Hargraves ,J.E. Burgess& S.S. Sidwell,* English for Technicians (*London* , **1966**) *P.* 12 .
2. *English is the main foreign language taught in Iraqi schools at all levels.*

A SURVEY ON THE TEACHING OF ENGLISH AT SCIENTIFC COLLEGES UNIVERSITY OF MOSUL

BY

NIHAD KHAYATT AND MONA KHARROFA

Sa'nchez-Albornoz, Claudio. **En Torno a los Origenes del Feudalismo.** Buenos Aires , 1945.

Şua'rez Ferna'ndez .Luis .**Historia de Espa'na .Edad Media.** Madrid 1970.

Torres Balb'as Leopoldo . **Algunos Aspectos del Mudejarismo Urbano Medie -val.** Madrid , 1954 .

Vicens Vives, Jaime .**An Economic History of Spain** , tr. by F.M. Lo'pez-Morillas. Princeton University Press, 1969 .

Watt ,W. Montgomery. **A History of Islamic Spain.** New York, 1967.

Wehr, Hans. **A Dictionary of Modern Written Arabic**, edited by J. Milton Cowan. Ithaca, N.Y. ; 1971..

Si quisiera Dios . = "If only God would."
iVa'lgame Dios!="By God"(Literally, "Value me God"-used for surprise or displeasure.)
Vaya con Dios. = "Go with God."
Adio's = Good-bye. (*L*iterally,,To God,,)

SELECTED BIBLIOGRAPHY

Asin Palacios . Miguel. **Contribucio'n a la Toponimia Arabe de Espana.** Madrid, 1940 .

Ba' albaki, Munir . **Al-Mawrid** (English -Arabic dictionary). Beirut .1977 (11th edition).

Baugh, Albert C. **A History of the English Language.** Englewood Cliffs, N.J.; 1936 (2nd edition).

Castro, Americo. **The Spaniards.** University of California Press, 1971.

Diccionario de la Lengua Espan'ola. Madrid: La Real Academia Espan'ola 1970 (19th edition).

Dozy, Reinhart. **Glossaire des Mots Espagnols et protuguis de'rivesde l'Arabe** Beirut .1974 (Librairie du Liban reprint).

Encylopaedia of Islam. Leiden: E.J. Brill Co. (2nd edition being issued).

Hitti, Philip K. **History of the Arabs.** London, 1964 (8th edition).

Le'vi–Provencal E. **Espa'na Musulmana**, tr. by E. Garci'a Go'mez. Madrid, 1967.

al–Makkari , Ahmed Ibn Mohammed. **The History of the Mohammedan Dynasties in Spain** , tr. by Pascual de Gayangos .New York, 1964 (Johnson Reprint Corporation).

Mone's, Hussain"La Division Politico–Administrativa de la Espa'na Musulmana" Madrid : **Revista del Instituto de Estudios Isla'micos .** Vol, V.,no 1–2 , 1957.

Pirenne, Henri . **Economic and Social History of Medieval Europe .** New york 1937.

As suggested above some of the closest relationships between Arabic and Spanish hinge on religion .It is certain that the *Reconquista* of Spain often took on aspects of a holy war-a veritable Christian version of the Islamic *jihād* . Historically this crusading spirit led to the fall of Granada,to the discovery and conquest of the New World and to the infamous Spanish Inquisition. The fanatically oppressive Catholicism of *El Santo Oficio* was, to some degree simultaneously a product of Islam and a reaction to Islam. The excesses of the Catholic *inquisidores* easily rivaled the abuses of their Islamic predecessors- notably the Mālikite *fuqahā* of Cordoba . With the expulsions and persecutions of the sixteenth century, Islam was apparently obliterated from the Iberian peninsula. The Muslims had indeed fled but they left some indelible traits on Spanish culture and language .The peculiar religious orientation of Spanish is particularly worthy of elucidation. In Spanish there are numerous expressions concerning God , roughly corresponding to the emphsasis on Allah in Arabic.The Spanish exclamation *ala!* for example, obviously owes much of its derivation and its vitality to the Arabic الله . Numerous phrases in Spanish ,while showing no direct linguistic connections with Arabic reveal a remarkable similarity of spirit with Islam and particularly with Allah:

Dios nos guarde = «May God protect us.»
¡ Vaya por Dios! = «By God !»
¡Ay .Dios! = «Oh' God !»
Si Dios quiere. = «If God wills it .»
Dios aprieta .pero no ahoga.= «God squeezes, but He does not strangle.»
Dios dara' . = «God will provide.»
Como Dios manda . «As God commands .»
¡Dios mio! = «My God !»
¡Por Dios! = «By God !»
Permita Dios ... =«May God grant ...» (This phrase is frequently used by the Spanish gypsies to introduce a curse ; e.g. *¡permita Dios que te hospitalizen!* = « May God grant that you be hospitalized.»

The above noted *almotace'n* is perfectly indicative of the subtle influence that the Muslims had on Spanish language and customs. The *almotace'n* is also called *zabazoque,* from the Arabic . صاحب السوق .
The *sāhib as-sūq* was an official concerned with the enforcement of *hisba*(حسبة). *Hisba* was the Islamic version of modern consumer protection schemes- insuring a good product at a fair price .The present - day Spanish *mercado pūblico*(also called *souk* or *zoco* form the Arabic *sūq*) owes most of its origins to the Muslims. Even the policeman who assures fair trading in the market has derived his position from the *sāhib as -sūq.*

The psychological effect of one language on another is difficult to determine with any precision . Such is the case in considering the more subtle influences of Arabic on Spanish; popular Spanish prejudices often obscure relationships that are linguistically clear .Despite the difficulties involved it is very interesting to examine the residual Arabic traits that are still reflected in the collective Spanish personality . Any such examination soon reveals some extreme paradoxes, especially in the area of history. The Muslim occupation of Spain was of long duration ,yet always plagued by an inherent instability .The majority of Andalusian Christians became Muslims soon after the conquest: then with the progressive *Reconquista,* the Spanish Muslims gradually became Christians. Consequently, Islamic Spain represents a unique love-hate relationship between Christians and Muslims- a vigorous shifting blend of resistance and acceptance. Thus we have the modern Spaniard using a fascinating duality in his language ;the most horrible curses and the sweetest blessings often show Arabic influences The Spanish tongue releases with equal facility *¡Me cago en los moros !,* "I profane the Moors!"-or ¡oj,*ala'!* , May God grant it ! (from the Arabic: وشاء الله) .Other paradoxical examples are not difficult to find.

When a spaniard (especially ayouny child)is not yet baptised as a christian, the popular saying is : *Es todavia un moro.* (He is still a Muslim). On the other hand , *Es muy moro* . «He is very Moorish.» could be taken as a compliment in the male-dominated Spanish society: it refers to a jealous, virile, frequently adulterous husband.

ARABIC ROOT	SPANISH DERIVATION	(ENGLISH)
الصائفة	*aceifa*	"summer campaign"
الدليل	*adalid*	"military guide"
الدرقة	adarga	"leather shield"
الديوان	*aduana* 22	"customs"
الغريد	*alarido*	"war -cry "
البند	*albenda* 23	"flag or banner"
القائد	*alcaide*	"general or chief"
القاضي	*alcalde*	"city mayor" (Arabic root = l"judgc")
القصبة	*alcazaba*	"stronghold"
الخنجر	*alfanje*	"type of saber"
الفارس	*alf'erez*	"cavalryman"
القرادة	*algarrada*	"stone catapult"
الوزير	*alguacil* 24	"minister or official"
الجعبة	*aljaba*	"case for arrows"
أمير	*almirante* 25	"admiral"
المشرف	*almojarife*	"customs inspector"
المحتسب	*almotace'n*	"inspector of weights and measures "
امان	*ama'n*	"amnesty or safe-conduct"
دار الصناعة	*arsenal*	"arsenal"

22. *Compare: Spanish,* aduana, *Italian,* dogana, *Provencal,*doana *;Franch,* dcuane.

23. *There is no connection between* albenda *and bandera. another Spanish word for flag;* bandera *is derived from the Gothic* bando.

24. Alguacil *is now primarily a term for an official of the bullring;he is a colorful horseman who rewards a successful matador.*

25. *Compare: Spanish* , almirante*; Italian,* alm raglio*, Portuguese,* amirah*; French,* amiral, *English admiral.*

البناء	*albañil*	"construction worker"
البرادة	*albarrada*	"stone wall"
القنطرة	*alca'ntara*	"bridge, arch"
القبة	*alcoba*[20]	"alcove" (Arabic root="dome")
الضبة	*aldaba*	"door - knocker"
الفرة	*alfardo'n*	"hexagonal tile"
الفسحة	*alfe'izar*	"empty space"
الحماء	*alhami*	"stone bench"
العضدة	*alidada*	"carpenter's rule"
المنار	*alminar*	"minaret"
الرباع	*arraba'*	"architectural adornment"
الدائرة	*ataire*	"door or window frame"
التوريق	*ataurique* 21	arabesque."
الزليج	*azulejo*	"floor or wall tile"

The occupation of Spain by the Muslims was both long and contested. The Arabs introduced an advanced civiization into al-Andalus, especially in terms of goverment. The Christians of the *Reconquista* learned from the Muslims concerning official and military affairs; it is perfectly logical that much Spanish borrowing occured in these areas - as confirmed by the list below :

---

20. Alocba *has passed into numerous modern European languages-e.g. Italian, alcova; French,* alco've *and English alcove.*

21. *Ataurique literally means "a floral design" in architecture-what has come to be called "***arabesque***". Arabesque first entered English* **Arabus** *during the 17th century, via the Italian arabesco (derived from Latin* Arabus+esco, *literally "more at Arab"). Arabesque was subsequently adopted by modern Arabic as* الارابسيك *,virtually eliminating its classical Arabic equivalent* التوريق .

Almoravid work was even plastered over. Simplicity and grandeur normally characterize Almohad monuments, suchas La Giralda and La Torre de Oro that still remain in Sevilla. Almohad military architecture was notable, having borrowed a great deal from Byzantium. One of the results of progressive *Reconquista* was the rise of Mude'jar(19)art, representing a vigorous blend of Islamic and Christian elements. The Alc'azar of Sevilla is on of the greatest products of Mude'jar architecture. The end of Muslim Spain corresponds to what is called Grenadine art. This closing period, lacking innovation but striving for perfect craftsmanship, is symbolized by the fragile beauty of Granada's Alhambra.

The following selections deal with Spanish architectural terminology that is derived from Arabic::

ARABIC ROOT	SPANISH DERIVATION	(ENGLLSH)
المسمار	*abismal*	"nail"
الدرجة	*adaraja*	"sttep or stair"
الطوب	*adobe*	"brick"
الدكان	*adoqu'in*	"cut building stone" (Arabic root "shop")
الشميس	*ajimez*	"arched window"
الشوار	*ajuar*	"matched furniture"

19. *The Spanish term* mude'jar, *"one left behind", is derived from* مدجن *A* mudajjan *was, therefore, a Muslim who chose to remain among his Christian conquerors. In Arabic,* mudajjan *is literally "domesticated or tamed" indicating a subtle distain for those Muslims "domesticated" by the Christians. Concidentally,* muder'jar *is similar in meaning to the Spanish* dejar, *"to leave". Nodirect connection, however, has been established between* mudejar *and* dejar. Dejar *is apparently derived from the Latin* laxāre, *"to relax, to weaken".*

لازورد	*azul*	"blue" (Arabic from Persian *lazaward* - the precious blue stone *lapislazuli*)

The enormous influence of Hellenized Islamic science on European science is readily apparent from the preceding list. As is evident, many terms have found their way into English with little or no change; azimuth, alkaline, camphor, alcohol, almanac and alchemy are some of the most salient examples.

Architecture in Islamic Spain, like so many other aspects of its civilization, represented a unique blending of influences. The outstanding production of the early period was the Great Mosque of Co'rdoba. While its use of the horse-shoe arch shows Visigothic influence, the presence of double, super-imposed arches is unique for a mosque - possibly being derived from the style of some Roman aqueducts in Spain. Hellenistic influences are quite evident in later additions to the mosque at Co'rdoba and in the construction of Madinat az-Zhará; it is probable that Abd ar-Rahman III and al-Hakam II imported numerous Byzantian craftsmen for these projects. The square minaret added to the Geat Mosque by the first Spanish caliph continues the tradition of Syrian Umayyad art. At the same time, however, many artistic influences were being derived from the rival caliphate in Baghdad. After the fall of the Spanish caliphate, there was a period of architectural continuity that looked more to traditions than to innovations. The bodies of skilled craftsmen that had previously served the needs of the caliphate now took commissions from the *taifa* kingdoms.(18) The succeeding Almoravids readily adopted Spanish architecture and used Andalusian artisans in North African building projects. The religious puritans of the following Almohads lead to a reaction against decoration; some of the previous

18. *The most notable example of Taifa architecture that remains is the* Aljafe'ria *of Zaragoza.*

ARABIC ROOT	SPANISH	DERIVATION (ENGLISH)
الباورى	*abalorio*	"crystalline"
حب المسك	*abelmosco*	"musk seed abelmosk" (*Hibiscus Abelmoschus*)
(السموت جمع السمت)	*acimut*	"azimuth"
آخر نهر	*Achernar*	"a star in the constellation Eridanus"
العقرب	*alacr/an*	"scorpion"
الانبيق	*alambique*	"alembic or beaker"
البرص	*albarazo*	"leprosy"
البياض	*albayalde*	"lead carbonate" used in white paint"
القالي	*/alcali*	"alkaline"
الكافور	*alcanfor*	"camphor"
الكحل	*alcohol*	"alcohol"
الكرة	*alcora*	"sphere"
الكبريت	*alcrebite*	"sulfur"
الفالجية	*alferecia*	"hemiplegia-aparalytic disease of infancy"
الخفقان	*algafac/an*	"heart palpitation"
اليرقان	*aliac/an*	"jaundice"
الجوهر	*alj/ofar*	"pearl" (Arabic root meant jewel or gem)
المغرة	*almagra*	"iron oxide"
المناخ	*almanaque*	"almanac"
النشادر	*almohatre*	"ammonia salt"
الكيمياء	*alquimia*	"alchemy"
عنبر	*/ambar*	"ambergris or ambar"
التون	*at/un*	"tuna" (Arabic root is from Latin *thunnus* - from a Greek original)

intellectually commercially and militarily it had no rival. This great aehievement in science,,literature and the arts reached its apogee in C'ordoba under the next caliph, al-Hakam II . Al -- Hakam II is especially remembered as an extreme bibliophile; he is said to have collected the greatest library of his time - 400 , 000 volumes. Even the political disintegration of the caliphate at Co'rdoba did not slow the intellectual development of al- Andalus.The resulting petty kingdoms (16)not only maintained but increased the cultural leadership of Islamic Spain . The political rivalry of the various taifa kingdoms in turn caused the emergence of an intellectual rivalry. The taifa courts vied with one another not only in opulence but also in the quantity and the fame of resident scholars. These small kingdoms also represented a fragmentation of the intellectual restrictions that had previously been imposed by the powerful Malikite theologians. The result was an unsurpassed literary flowering in eleventh century Islamic Spain. This Spanish Arabic learning, built upon its base of Greek philosophy, came to permeate all of western Europe during the twelfth century. (17)

In light of the above resume'. the passage of numerous scientific terms from Arabic into Spanish should come as no surprise. The "a-" group once again serves as the basis for the following list:

---

16. *These petty kingdoms are known in Arabic as* ملوك الطوائف *literally "Kings of small states".* Muluk at-tawaif *is rendered in Spanish as* Reyyes de las Taifas .
17. *The city of Toledo was intellectually pre-eminent during the twelfth century . Having come under Christian control in* 1085, *it nevertheless continued the tradition of Arab scholasticism. The school of translators at Toledo is especially worthy of note, having passed much of Greek philosophy from the Spanish Arabs into medieval Europe.*

The advanced culture of Islam was characterized by the assimilation of knowledge from conquered populations. This trait meant the integration into Islam of the best from the Indian, Iranian and Greek civilizations. In their process of absorbing the fruits of various cultures, the Arabs themselves were physically absorbed; in a short time there came to be a pronounced lack of racial purity among the Arabs. The two things that were largely unaffected by this melting-pot of genes and ideas were the Islamic religion and the Arabic language. "The Arab Islamic civilization was at bottom the Hellenized Aramaic and the Iranian civilizations as developed under the aegis of the caliphate and expressed through the medium of the Arabic tongue." 14 Despite so much integration, the Arabs nevertheless made some highly original contributions to civilization.
Trigonometry, algebra and analytic geometry were largely founded by the Arabs. Yet their most important contribution was in the gray area between religion and philosophy. Medieval Islam"... succeeded for the first time in the history of human thought in harmonizing and reconciling monotheism the greatest contribution of the ancient Semitic world, with Greek philosophy, the greatest contribution of the ancient Indo-European world thus leading Christian Europe towards the modern point of view."15

The conquest of Spain had been intellectual as well as military.
The native Spaniards were confronted by a superior civilization that they soon came to adopt. Islam gave to the intellectual life of al-Andalus far more than it received. With the establishment of the caliphate by 'Abd ar-Rahman III (929 A.D.) Cordoba had become the premier of Europe-

---

14. *Philip K. Hitti, History of the Arabs, p.* 174.
15. *Ibid., p.* 381-382.

systems. The beautiful flowers that produce saffron (Sp. *azafr'an,* from الزعفران were first cultivated in Spain by the Muslims 12.In the active econo-omy of al-Andalus, industrial plants became very important-good examples are flax, cotton13 silk and *esparto* grass. Livestock raising was also a significant activity with the husbandry of horses, cattle, goats, asses, sheep, fowls and bees being most dominant .Another selection from the a – group should further illustrate the agricultural importance of the Muslims in Spain :

ARABICROOT	SPANISH	DERIVATION ENGLISH
حب الرأس	*abarraz*	« seed or grain »
الزبيب	*acebibe*	«raisins or prunes »
الزيت	*aceite*	« olive oil »
السلقة	*acelga*	« *beta vulgris* a type of spinach »
السميد	*acemite*	« very white flour »
الزعرورة	*acerola*	« *mespilus azerolus*, a type of fruit tree »
عدسة	*adaza*	« *lentil* »
الجلجلان	*ajonjoli*	« sesame »
البقارة	*albacara*	« place for cows »
الباكور	*albacora*	« fig »
البيض	*albaire*	« eggs »
البندقة	*albondiga*	« meat-ball made the size of a hazel nut»
الخرشف	*alcachofa*	« artichoke »
الفصفصة	*alfalfa*	« alfalfa »
المعصرة	*almazara*	« olive oil press »
اللوبياء	*alubia*	« green bean »

12. *Saffron ,an important export in the time of the Muslims, is still an attractive export in modern Spain .In fact, saffron is generally considered to be the most expensive of all spices .*

13. *Cotton , like sugar , has becomea familiar domestic and linguistic item in Europe from the Arabic* القطن *we get the Spanish* algodon *the Portuguese* algodao, *the English* cotton *,and the French* cotton.

Arabic . Of special interest is the continuous improvement , expansion and innovation in irrigation (in large measure as a response to droughts that characterized al-Andalus). The following list indicates some of the words dealing with various aspects of irrigation :

ARABIC **ROOT**	SPANISH DERIVATION	(ENGLISH)
السانية	*acena*	«warter - wheel»
الساقية	*acequia*	«irrigation canal»
الدور	*ador*	«one 's turn for water»
الدفة	*adufa*	«sluice»
البركة	*alberca*	«depository for water»
البحيرة	*albuhera*	«water reservoir»
القادوس / القادس	*alcaduz*	«water pipe»
الجب	*alchub*	«well»
العامة	*alema*	«water' by turn»
الفوارة	*alfaguara*	«rushing spring water»
الجب	*aljibe*	«well»
المنهرة	*almenara*	«canal»
الطرحية	*atarjea*	«drain or sewer»
السد	*azud*	«dam with water-wheel»

The agricultural products of Andalusia were numerous and varied. Cereal production normally exceeded consumption, with wheat being the most important grain .Olives (Sp.*aceituna* from الزيتونة)were widely cultivated ; olive oil quickly became important both for domestic consumption and for export . The growing of grapes and the production of wines continued to be wide-spread, despite Qur''ynic prohibitons against the latter activity .The Arabs introduced rice (Sp. *arroz,* from أرز) and sugar cane 11 into Spain ; these plants prospered due to the extensive irrigation

11. *Sugar (sp.* azucar *from* السكر *) probably originated in India.As Dozy explains, the Arabic* as - sukar *may be derived from the Persian* شكر *The word has Passed more or less unchanged into the Europeon languages, e.g., German* Zucker *and French* sucre .

rule is still reflected in the Spanish borrowings; thus «the suburb» (الربض) is rendered in Spanish as *arrabal*- not as *alrabal*. Where the normal definite article went unchanged in Arabic ,so it goes in the borrowed Spanish«the pillow» (المخدة) for example , becomes *almohada* -not *ammohada* .The Arabic definite article even helped to produce the modern Spanish definite article (in the masculine only); thus, the Arabic *al*- has been transformed indirectly into the Spanish *el*. This development runs from the Latin *ille* through the reinforcement by the Arabic *al*- to the modern Spanish *el*. Consequently some masculine Spanish nouns present an interesting«double» definite article ; for example *el alarde* (from العرض) linguistically means «the -military review »the first article being grammatical and the second etymological. Similarly with the Spanish indefinite article, *un alarde* could be analyzed as a the- military review. Despite these academic contradictions, there is no confusion in modern Spanish ; no word (even one with the residual Arabic *al*-) has a « built -in » article .

As previously shown ,the majority of Spanish words derived from Arabic begin with the letter «a» .Therefore ,it is reasonable to use this group as fairly representative of all the Spanish words that were borrowed from Arabic .From a total of 640«a-»,words the approximate break-down is:

Agricultural terms	225
Scientific terms :	65
Architectural terms:	50
Military official terms:	50

The remaining derivations deal largely with matters of Islamic custom, religion, history and clothing ; some diverse examples are *adarme*, «dirham (الدرهم) ; *ajedrez* «chess» (الشطرنج) ;*Al*-, «God» (الله) *alborbola*, «joyful» cry » (الولولة) ; *albornoz*, cape (البرنس) *alcahuete*, «procurer»(القواد) and *algoritmo* «arithmetic» (الخوارزم).

The Spanish Muslims , adapting themselves to the native Andalusian spirit,always remained sensitive to the intimate connection between agricultural and urban prosperity . The fostering of agriculture by the Muslims in Spain explains the large number of agricultural terms that have come from

of military security virtually eliminated any Spanish motives for turning to a system of feudalism .As some of the subsequent vocabulary will indicate, the Muslims fostered agriculture in the fertile Andalusia; this agricultural base was expanded into urban industry and a flourishing Mediterranean trade. The Arabic propensity for cities (consistent with Roman urban (8) tendencies in Hispania) further helped Spain to avoid European feudalism.

The influence of Arabic upon Spanish is most pronounced in vocabulary. «It is a general observation that languages borrow words but do not borrow their grammar from other languages»(9)The Romance vernacular was, by711A.D., already firmly based on a modified form of Latingramma Spanish was already a rudimentary language before Islam appeared in Spain .The subsequent intimate contact of this Romance Spanish with Arabic served primarily to enrich the vocabulary of modern Spanish.

The modern Spanish words begining with the letter «a» are most representative of the influences from Arabic .The nineteenth edition of the *Diccionario de la Lengua Espanola* , for example gives over six hundred «a» words that have come directly from Arabic .Dozy in his *Glossaire des Most Espagnol set Portugais d'eriv'es de l 'Arabe*,devoted 221 out of 375 pages to words beginning with«a».This top-heavy«a-»vocabulary has a simple explanation; the Arabic definite article al-has, in many cases been retained in modern Spanish.(10) It is to be remembered that the Arabic article is altered when in combination with a word beginning with a sunletter consonant .This

---

8. *See the excellent article by Hussain Mon'es ,La Divisio'n polit'ico-Administrative de la Espna Musulmana .The great Spanish scholar Claudio Sa'nchez- Albornoz is recommended for his three volume work on feudalism-* En Torno a los Origines del Feudalismo.

9. *Albert C. Baugh* , A History of the English Languge *P*.**200**.

10. *The Arabic definite article was sometimes prefixed to a Latin root to produce a new word in Spanish* . Albarsa (*a fisherman's basket or kit),for example, is derived from a combination of the Arabic al- and the Latin* bursa «*bag*» . *Such hybrid words have not been directly considered in this study.*

The six million (4) Andalusians received generally tolerant treatment from their Muslim conquerors.(5) Al-Andalus was not financially or religiously oppressed by the Arabs ; the people in general and the Jews in particular , actually fared much better than under the Visigoths .The tolerance of languages was also very broad ; the official language was Arabic the street Romance was called *aljam'ia,* (6) the Berbers spoke a dialect called *algarabia'*, (7) and the Christian clergy used Latin . In the face of such lenient conditions the native Spaniards quickly became attracted to Islamic culture and religion· Large numbers of Andalusians soon began to intermarry with the Muslims, to speak Arabic and to profess Islam. مولدى (Spanish, *muladi*) refered to one who had converted to Islam ; these *muwalladu'm* soon became the Muslim majority in Spain . مستعرب (Spanish, *mozarabe*) was the designation for Arabized Christians; they did not actually profess Islam but were drawn to Muslim practices and institutions. Many of these *musta, ribun* dressed as Arabs,spoke good Arabic and even maintained harems.

A very significant benefit of the Islamic occupation was the retardation of Spanish feudalism ,contrary to the trend in Medieval Europe. The Islamic introduction of a monetary economy and a centralized maintenance

---

(4.) *This probable figure is given* by *: Jaime Vicens Vives* ,An Economic History of Spain *p*. 103.

(5.) *Conquered populations in Islam were known as* أهل الذمة «*People of the custody*» *yas such, they were taxed but were not forced to convert to Islam. The Christian and Hebrew communities fell into the even more favored group of* اهل الكتاب « *people of th book* » *and they were granted a large measure of political and religious autonomy* .

(6.) *The Spanish* alijamia *is derived from* العجمية *the strange language i.e. not Arabic* (*here applieid to Romance Spanish*).

(7.) *The Spanish* algarabi'a *comes from* العربية *literally* , «Arabic» *In modern Spanish*, algarabi'a *has five distinct meanings - reflective of the confusion caused by the speech of the Arabs and the Barbers:* **1** *Arabic language* **2**. *Unintelligible language or writing* **3**. *Poor pronunciation* **4**. *Confused shouting of several people* **5**. *Aweb* .

most of the old Roman cities survived the Muslim invasion, although their names were soon to be corrupted. The following table indicate the Arabization of some of previously Latin place - names in Spain :

LATIN	ARABIC	MODERN SPANISH
Cortuba	قرطبة	Cordoba
Carthago Nova	قرطاجنة	Cartagena
Hispali	اشبيلية	Sevilla
Caesaraugusta	سرقسطة	Zaragoza
Valetia	بلنسية	Valencia

Appropriately the, old Visigothic captal of *Toletum* survived in its diminutive form: طليطلة; *Toletula* subsequently became the modern Toledo. New areas established by the conquerors were logically given original Arabic place-names ; good examples are Algecirs (الجزيرة الخضراء « the green island) and Almerla «المرقب» the watch -tower).Many existing geographic features, such as rivers and mountains also took on new Arabic titles; thus, we have the great river of Cordoba and Sevilla being called the Guadalquivir (from الوادي الكبير). Some placs took the name of their «new Arabic or Berber inhabitants ; representatives of this trend are Ghā̃nīq (غافق) in C'ordoba province and Miknāsa (مكناسة) in Aragon. Many place - names in the Valencia region were formed like names of tribes, using the *Beni*-prefix, the modern resort of Benidorm is a well-known example.

= *to remind us of the Christian remnant that held out in northwest Spain. Islamacists, on the other hand, stress the vigour of early Islam and its tremendous capacity for expansion. Numerous popular tales have hindered rather than aided historical analysis). The most probable explanation is that Spain was easily conquered, because the people wanted to be conquered. The Visigothic abuses caused many native Spaniards to look upon the Muslims as deliverers from oppression. Through internal dissensions, the Visigoths further weakened their owm cause even at the crucial battle of Barbate the Visigoths did not with unity.*

The Muslims controlled a significant portion of the Iberian peninsula from the conquest of 711 A.D. until the fall of Nasrid Granada in 1492. This control extended, at times, over virtually the entire area of modern Spain and Portugal. The hājib al- Man ṣūr during the year 997 , even managed to sack Santiago de Compostela, the holiest Christian shrine in western Europe. This extended Islamic occupation profoundly affected the course of Spanish history. My intention in this paper is to focus on some of the Arabic contributions to the development of the modern Spanish language.

One of the earliest Islamic influences manifested itself in Spanish place - names. (1) The reconnaissance force of 710 A.D. under Tarīf Ibn - Mallūq landed on a small peninsula that still bears the name Tarifa. The main invasion force of 711, under Tāriq Ibn - Ziyad entered near a peak that was given the name جبل طارق "the mountain of Tariq"- the modern Gibralter. Even the whole area invaded was given a new Arabic designation : الاندلس *al - Andalus* - origin of the modern Spanish *Andaluci'a* (2). After a decisive seven -day battle at the Ri'o Barbate, the Muslims quickly subjugated almost all of what had been Visigothic Spain; many cities simply opened their gates to the invader (3). Consequently,

---

1. *The best examination of Spanish place -names derived from Arabic is: Miguel Asi'n Palacios, Contribucio'n a la Toponimia Arabe de España. The new Encyclopaedia of Islam also has very helpful information in its article on al-Andalus .*
2. *The various names given by the Muslims to what is now called the Iberian peninsula are very interesting. The term al-Andalus (probably derived from Andalosh, a corruption of Vandalocii, "region of the Vandals") was first applied to the area around Tarifa but was soon expanded to include all of the Iberian peninsula. The Arabs and the northern Christians also used the ancient Hispania (Arabic, اسبانيا) for the region of Muslim conquest this path has led to the modern Spanish for the area-España. The modern Spanish Andaluci'a refers only to the southetn provinces.*
3. *The relative ease of the Islamic conquest of Spain has provoked much controversy among historians. Apologists for the Reconquista are quick=*

SOME INFLUENCES OF ARABIC ON MODERN SPANISH

BY

WILLIAM ELLIOTT, M. A
UNIVERSITY OF MOSUL

Bibliography

Abercrombie D. **Elements of General Phonetics** . Edinburgh University Press, 1967

Al-Bamerni, A.H. **An Instrumental Study of the Allophonic Variations of /1/in RP.** Unpublished M. A. Dissertation UCNW-Bangor, 1975

Al-Toma. Salih J. **The Problem of Diglossia in Arabic.** Harvard Eastern Monograph Series, 1969

Bladon R.A.W. and Al-Bamerni, A.H. Coarticulation Resistance in English /1/. **Journal of Phonetics** 4, 1976 pp. i37 - i50

Fant. G. **Acoustic Theory of Speech Production** . The Hague, Mouton, 1960

Ferguson. C. The Emphatic 1 in Arabic. **Word**, Vol.9,1956 pp.446-452

Gimson. A.C. **An Introduction to the Pronunciation of English.** London: Arnold 1970

Gimson, .A.C. Daniel Jones and Standards of Pronunciation, **English Studies** Vol. 58 No. 2 i977 pp. 151-158

Jones, Daniel **An Outline of English Phonetics.** Ninth Edition, Heffer Cambridge .1972.

Jones, Daniel: The Use of Syllabic and Non-syllabic 1 and n in Derivatives of English Words Ending in Syllabic 1 and n. **Zeitschrift fur Phonetik und Alg. Sprachwiss.** Vol .12 1956 pp. 136-144

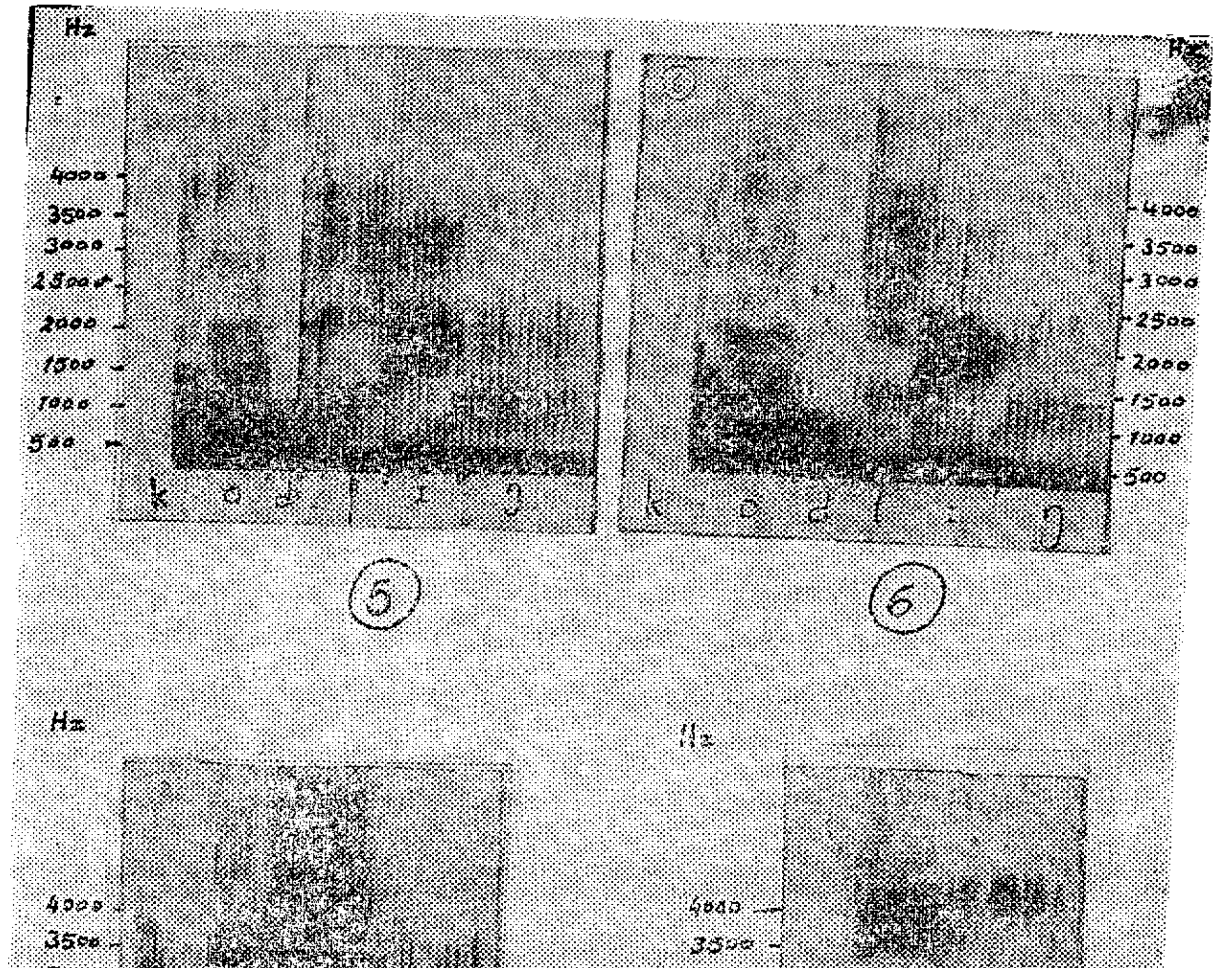
MacKenzie, D.N. **Kurdish Dialect Studies** I . Oxford University press 1961

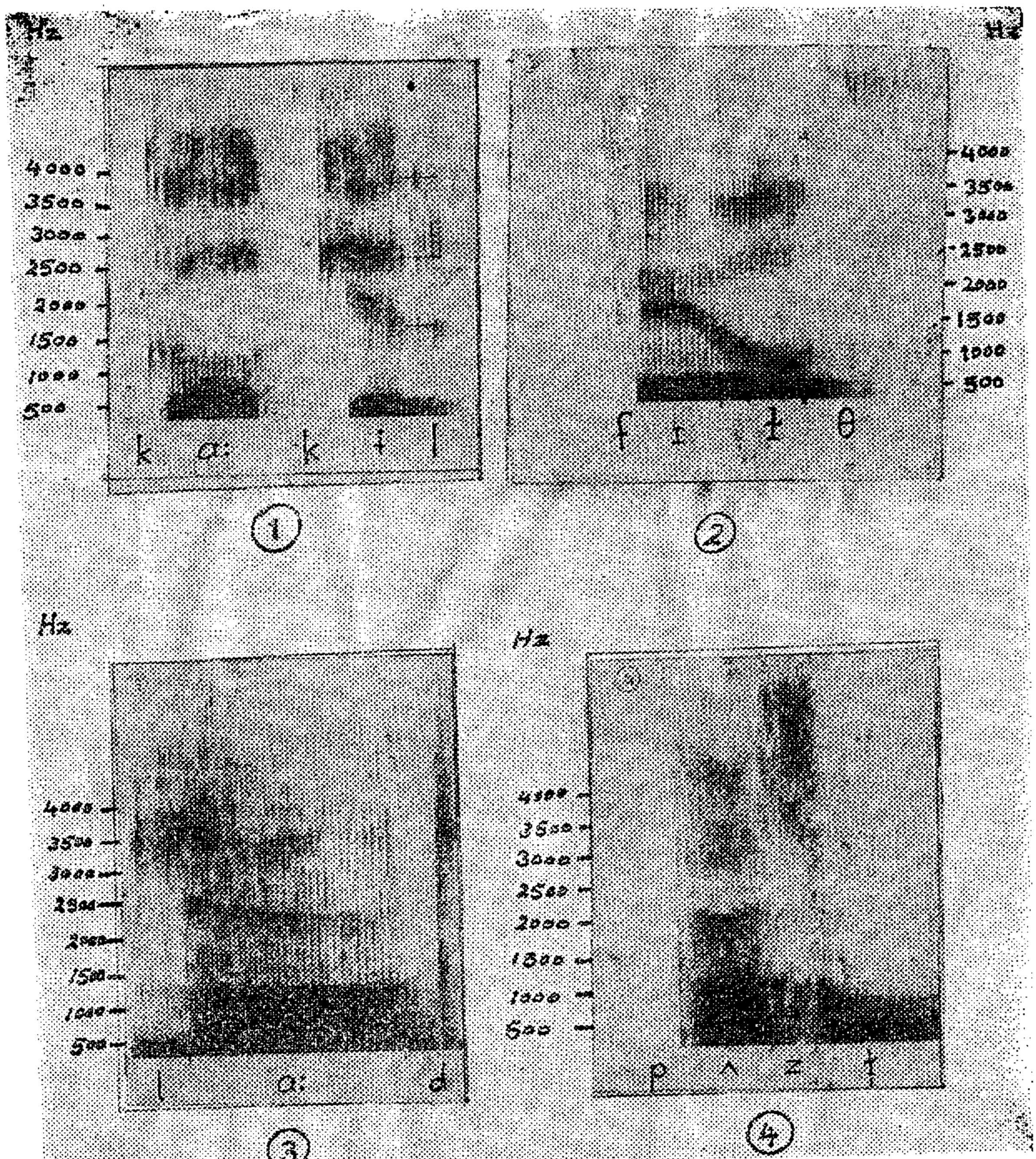
O' Connor J.D. Gerstman, L.J., Liberman , A.M., Delattre, P.C., and Cooper , F. S. Acoustic Cues for the Perception of Initial / w,j r,1/ in English. **Word** Vol.13. 1957 pp.24-33

O'Connor, J.D. **Phonetics**. Penguin Books Ltd. Harmondsworth 1973

Potter, K. K., Kopp, G.A. and Green, H. C. **Visible Speech** .Dover Publications 1966

Tarnoczy, T. Resonance Data Concerning Nasals , Laterals and Trills. **Word** 4, 1948 pp. 71-77


Hz
4000
3500
3000
2500
2000
1500
1000
500
5
6
7
8


Hz
4000
3500
3000
2500
2000
1500
1000
500
k a: k i l
1
Hz
4000
3500
3000
2500
2000
1500
1000
500
f ɪ ɫ θ
2
Hz
4000
3500
3000
2500
2000
1500
1000
500
l a: d
3
Hz
4000
3500
3000
2500
2000
1500
1000
500
p ʌ z ɫ
4

vowel(i.e./ ɨ /) is inserted between the two consonants as in/dikɨl/(rooster) and / kā kɨl/ (kernel).[1] Thus we may safely say that in Kurdish, syllabicity is not a property of any of the two phonemes /l/ or / ɫ / .

3. Conclusion

The foregoing descriptions of the lateral sounds in the three languages English, Arabic and Kurdish have revealed two points which can be taken as reasons for the difficulty encountered by Iraqi Arab and Kurdish students in producing English lateral sounds. Firstly the three languages have in their sound systems the two qualitatively distinct varieties of the lateral sounds, namly [l] and [ɫ] which however do not have equal significance in the phonological systems of these languages. In English they are variants of the same phoneme in complementary distribution, whereas they are distinctive in Arabic and Kurdish . In other words they are two separate phonemes . This difference in the phonemic status of the two varieties creates a problem for the students because the distribution of these sounds is not the same. What happens is that the student substitutes a phoneme for an allophone (e.g./l/ for [ɫ])not because [ɫ] does not exist in his mother tongue, but because that phoneme (i.e./l/) can occur in the same conext. This clearly explains why so many students in the test group (Arabs and Kurds) used a clear lateral instead of the dark one.

Secondly laterals are not usually syllabic in Arabic (except for stylistic reasons mentioned above)and Kurdish, while they can be syllabic in English, a fact which clearly explains why speakers of the first two languages find it difficult to produce [ɫ] .It is non–existent in their mother tongues, so they regularly insert a short vowel between the lateral and the preceding consonant, exactly as they do when they speak their native languages .

---

1. *See spectsogram No* **.1**

velarized variety regularly occurs in a phonetic environment identical to that in which the non–velarized variety occurs . Yet speakers of this variety of Kurdish regularly use the velarized lateral in some cases and the non–velarized in other cases regardless of the fact that the phonetic contexts are identical . For example, a lateral can be velarized or non-velarized initially before the vowels/'a/ and/ ɨ /as in / ɫɨtʃ / (overcooked)/ ɫat / (a small field)/l ɨ ŋg/(leg), /l ɨ vā/(kind of wool). In medial intervocalic position, again the two varieties may occur as in / baɫāv / (scattered) / balāʃ / (free) / faɫak/ (one Christian) /falak/ (the world)/ paɫāv / (boiled rice), / halāv) (kind of sweets), /baɫā/ (calamity) and / qalā / (crows–objective case).

In word-final position after a vowel the lateral is usually non-velarized as in /gul/(rose) and / pɨl / (turn); yet even here we find words in which the velarized lateral is regularly used as in / tʃɨɫ /(clumsy ; disagreeable).

A quick examination of the words cited above will lead us to the phonological generalization that the two lateral sounds are phonemic. Apart from / faɫak /, /falak/ I know of no other minimal pairs distinguished by the velarized or non-velarized lateral, but the phonetic environments in which they occur are identical. In/lɨŋg/and/l ɨ vā/the environment provided by the following vowel is the same as that in /ɫɨtʃ/;and in /balāʃ/and/halāv/ the phonetic environment is the same as that in / baɫāv / and / baɫā / for in both cases the lateral occurs in the context /... a–ā ../. We cannot say that the two varieties are in free variation in these contexts, where one variant is preferred to the other for stylistic reasons, because no speaker of this dialect will ever say [fala] for [faɫa] [tʃɨl] for [tʃɨɫ] or [palāv] for [paɫāv]. So if this sameness of phonetic environment is taken into consideration, it will rule out any possibility of regarding the two sounds[1] and [ɫ] as allophones of the same phoneme .

In the two dialects mentioned above there is no evidence of syllabic laterals. When a lateral follows another consonant , say a plosive , a short

1. *See spectrogram No.* 8

Syllabicity is not a common characteristic of Arabic laterals (at least in colloquial Arabic). Except in Classical Arabic where the lateral is final in a word before a pause and where, for stylistic reasons, the word containing the lateral is not inflected, syllabic laterals are not used. And even in the context that has just been mentioned, the syllabic lateral is non-ehatic as in/ʕajnulʕaql/ (very wise very reasonable). Otherwise the lateral is non-syllabic. In colloquial Arabic a non - syllabic lateral would be used in the same context with a short vowel inserted between the preceding consonant and the lateral. Thus the word for *mind* would be pronunced as /ʕaq ɨ l / and the one for *justice* as /ʕad ɨl /.

2.4 Laterals in Kurdish[1]

Two qualitatively distinct varieties of lateral sounds are used in Kurdish. The first is a voiced dental no–fricative lateral sound with the resonance of a front vowel (hence symbolised as [l] and the second a voiced velarized dental non-fricative lateral with the resonance of a back vowel (hence symbolized [ɫ]).

In the literature available on Kurdish phonology (cf MacKenzie 1961) the laterals [l] and [ɫ] in Soraini dialect have been given a phonemic status on the basis of minimal pairs such as / kāɫa / (kind of red) and / kāla/ (light shoes) / kal / (chipped) and / kaɫ / (ox) . On the other hand they are treated as allophones of the same phoneme /l/ in Bahdinani dialect (cf MacKenzia ibid p.32). The velarized variety which occurs in words like [ᵗiɫp] (clod) has been considered an allophone occurring in the neighbourhood of other emphatic sounds. However this phonological analysis is not satisfactory because the velarized lateral may also occur in other contexts where there is no neighbouring emphatic sound. In some other cases the

1. *Kurdish is here treated in terms of the two major dialects spoken in Iraq: Sorani and Bahdinani sopken by people in Suleimaniya and Amadiya respectively .*

the contrastive function of a sound is confirmed, it is given a fixed phonemic status: once a phoneme always a phoneme .[1]

Moreover, the phonetic context mentioned by Al-Toma (i.e. in the proximity of other emphatic sounds such as/ ṭ /and / ṣ / where /l/is separated from the emphatic consonant by /a/) does not seem to be always valid.A large number of people when speaking Classical Arabic, use a nonemphatic variety instead of the emphatic as in / ṭalaba / (asked, demanded) and / ṣalaba / (he crucified) . This can be regarded as a case of neutralization in which the distinction between the two lateral phonemes is neutralized in the same way as the distinction between /d/ and / t / is neutralized in the final position in German .

(2) As far as colloquial Arabic is concerned the two lateral sounds are separate phonemes . This is obvious in Baghdadi Arabic in which there exist a number of minimal pairs distinguished by the lateral sound used in each. In the pairs / galla/(he told him) and / gatta / (a group of friends) /xali/ (empty) and / xati / (my mother's brother) /xalli/ (let) and / xatti / (my vinegar) the contrastive function of [l] and [t] is obvious and the phonemic status of the two sounds cannot be deined .

In other dialects such as that of Mosul minimal pairs like those in Baghdadi dialect are not so easy to find . However, it is always possible to establish minimal pairs when the word for God is involved as in / watta / (by God) and / walla / (he went away). But again this is enough to show that the two sounds in question are phonemic .

---

1. *See C. Ferguson. The Emphatic* 1 *in Arabic, Word Vol* **.9 (1956)** *pp.* **446- 452**
2. *Arabic dialects have been taken into consideration in this study because they are of great relevance to the process of learning a foreign language since. they may function as a source of interference in the performance of the learner ,especially in his production of the sound system of the language he is learning .*

Yet, due to the fact that these pairs of words can be pronounced identically with a non-syllabic/l/, as it is the case with the pronunciation of the majority of RP speakers , this distinction can safely be ignored since it will not throw any light on the problem which is being investigated.

2.3 Laterals in Arabic

In Arabic (whether classical or colloquial) two varieties of lateral sounds are identifed namely a palatalized dental lateral symbolized as [l] and an'emphatic' lateral sound with some degree of pharyngealization normally symbolized in the literature as [ḷ]. However for convenience and in order to avoid confusion on the part of the reader , I shall use the same symbol as used for the 'dark' laterals in English, viz [ɫ].

The phonemic status of the two varieties mentioned above has been a subject of long controversy .In classical Arabic though there are minimal pairs which differ only in the lateral sound used such as /waɫɫāhi/ (by God) and/wallāhi/(and one who amuses)or/waɫɫāhu/(andGod)and/wallāhu/(gave him responsibility), the two types have been treated by some scholars as allophones of the same phoneme on the basis that [ɫ] appears in restricted contexts as in the word for God "provided that/l/is not preceded by/i/" and in other contexts, namely in the proximity of other emphatic sounds such as/ ṣ ṭ ḍ ð̣/provided that these immediately precede/l/or are separated from it by a short vowel such as /a/ (cf Al –Toma 1969 p.14). However this treatment does not seem satisfactory because once minimal pairs have been established, we cannot ignore the phonemic status of the sound on the basis of its restricted occurrence .The word for God is regularly used with [ɫ] in certain contexts where the other variety and other established phonemes can occur, as illustrated in the minimal pairs above. So the two lateral sounds cannot be said to be in complementary distribution .Besides, once

However the degree of 'clearness' or 'darkness' is subject to substantial variation depending on the quality of the vowel with which the lateral combines, whether it is a preceding or a following vowel though coarticulation with a following vowel is more marked(1). These varieties have a characteristic distribution .The clear variety is found before vocoids (the set of vowel phonemes plus the frictionless continuent /j/)as in *live, loud, million,* and the dark quality elsewhere (that is to say finally before a pause and preconsonantally) as in *fall, fault* and *struggle,* where it is additionally syllabic .

The allophones mentioned above can be described shortly as voiced alveolar lateral sounds .However , other variants are established according to the phonetic contexts in which they occur . Thus /l/ is dentalized in the proximity of a dental fricative as in *all this* [ɔ: ɫðɪs] and *health* [heɫθ] while in the proximity of a post- alveolar sound as in *already* the actual point of articulation is postalveolar. A wholly or partially devoiced/l / occurs after voiceless aspirated plosives as in *play* [pʰ l̥eɪ] *clay* [kʰ l̥eɪ] and *aptly* [aptl̩ I].In such a case we may perceive some audible friction. In the proximity of a nasal sound the lateral can be strongly nasalized as in *kiln* [kiɫ̃ n] and *elm* [eɫ̃m] .

Though it was mentioned earlier that there is one lateral phoneme in RP, it is worth mentioning that [ɫ,] can be established as a phoneme since it is possible to find minimal pairs (in the speech of some people) distinguished by the type of lateral occurring in each as in coddling [kɒd ɫ,ɪŋ] (from the verb *coddle*) and *codling* [kɒdlɪŋ] (a small cod) *suckling* [sʌk ɫ,ɪŋ] (from the verb *suckle*) and *suckling* [sʌklɪŋ] (baby who still suckles).[2]

---

1. *For further details see R.A.W. Bladon and Ameen Al-Bamerni, (op,cit)*
2. *for further information see Daniel Jones, The Use of Syllabic and Non-syllabic* l *and n in Derivatives of English Words Ending in Syllabic* l *and n. Zeitschrift fur Phonetik und Alg. Sprachwiss. Vol.*12,(1956),*pp.* 136-144 .

articulatory variable "(Fant op.cit. p.79). However it has been found that F4 correlates rather strongly with the retraction of the tongue (1). This formant seems to have a lower frequency when the lateral sound is combined with back vowels than when it is combined with front vowels.

The identification of a lateral depends mainly on the transition of the first formant, for there is " a sudden shift up of F1 from the lateral to the adjacent vowel. "(Fant ibid p.167). In addition to F1 another factor is taken into consideration for the identification of the lateral namely the antiresonance(or zero frequency) which appears at the ange of 2000Hz .

The above mentioned spectral characteristics are applicabe to all the lateral sounds in the three languages, related to this investigation as we can find both varieties of the lateral sound 'clear' and 'dark' (2).

2.2 Laterals in RP

RP is different from many other widely used dialects of English in showing one lateral phoneme/1/ with two qualitatively distinct allophones traditionally referrred to as 'clear' (with some degree of palatalization and with the resonance of a front vowel hence symbolized as [1]) and 'dark' (with some degree of velarization and the resonance of a back vowel hence symbolized as [ɫ]). In addition to these two allophones a syllabic allophone symbolized as [ɫ̩] is also distinguised which may be additionally dark.

(1). *For further details see A.H. Al-Bamerni, An Instrumental Study of the Allophonic Varitions of /1/ in RP. an unpublished M.A. Dissertation UCNW-BANGOR* 1975.

(2). *Syllabic l is also included in these varieties since it is of a dark quality in English and of a clear quality in classical Arabic (cf p. 7) ; however quality is not a good clue for the identification of a syllabic sound. Syllabicity is measurable mainly in terms of duration. See spectrogram No.4 and 5 and compare the latter with spectrogram 6*

been found to give "fairly clear resonance" (Tarnoczy 1948 p. 75) and that the spectra of these sounds consist of "resonance bars" (1) (Potter et al 1966 p. 232). Thus lateral sounds reveal spectral characteristics typical of vowels. In fact the qualitatively distinct allophones [l] and [ɫ] (as far as English is concerned) have the resonance of the front vowel [i] and the back vowel [u] respactively.

The spectrum of a lateral usually reveals four distinct formants to be numbered from the bottom as F1 F2 F3 and F4 (2). These formants are related to cavities the volumes of which are determined by the shape and movements of the body of the tongue in addition to the movements of the velum. F1 and F2 of [l] are dependent on cavity volumes similar to those of [i] and F1 and F2 of [ɫ] on cavity volumes similar to those of [u]. Fant (1960 p. 165) states that "the dependency of F1 on the lateral constriction and F2 on the pharyngeal constriction is definite and similar to the conditions for the production of [u] " .The 'dark' quality of the lateral sound seems to be substantially related to F2 (3) . "The lower the frequency the 'darker' the [l] sound" (Gimson 1970 p.201).

F3 is rather problematic, for it is very often suppressed by an anti resonance which appears in the spectrogram and sometimes this formant is shifted up to higher frequencies approximating those of F4 (4), or very often these two formants (i.e.F3 and F4) cluster together. thus, creating great difficulty of identification.

F4 has usually been neglected as being "fairly independent of any

---

1. *By resonance bars 'they mean areas of maximal energy conoentration along the scale of frequency Resonance bars are also . referred to as 'formants' abbreviated and numbered as Fl, F2 . . . ,etc.*

2. *See specrogram No. 1*

3. *Compare specrograms 1 and 2*

4. *See spectrogram No.3*

This study therefore sought to display the general articulatory and acoustic characteristics of the sounds in question and to reveal the phonological status of the laterals in the three languages in an attempt to show the differences , if any , between the laterals in English and the other two languages and hence to explain the cause (or causes) of difficulty faced by the students .

2.1 General Articulatory and Acoustic Properties of the Laterals

A lateral which is an "articulatory label" (O'Connor 1973 1.105) is a type of consonant segment which is produced by "a stricture of complete closure in the centre of the vocal tract, so that there is a lateral passage of the airstream round the side or sides of the obstruction " (Abercrombie 1967 .50) . This definition is rather general and overlooks the secondary articulations(1)which accompany the primary contact made by the tongue somewhere in the vocal tract. However, these secondary movements of the tongue will be deferred to the sections that follow in which allophonic variations of the laterals are discussed with reference to each of the three languages mentioned above. Nevertheless both the primary and secondary articulations are to be taken into consideration when an acoustic description of these lateral sounds is made for it is the movements of the body of the tongue and not of its tip that determine the varying quality of the laterals. (2)

The vibration of the vocal cords and the tongue movements necessary for the production of lateral sounds in these languages are important factors which bring about modulations in the supraglottal cavities and hence variations in the spectral qualities of the sounds for the l - like sounds have

1. *Such as velarization in the case of English and kurdish laterals and pharyngealization in the case of Arabic ones.*
2. *cf Daniel Jones, An Outline of English Phonetics. Ninth Edition Heffer. Cambridge* (1972). 174

1. Introduction

Iraqi Arab and Kurdish students face a number of difficulties in the perception and production of some English sounds .Among the many difficulties encountered by the students are those related to the prod-uction of lateral sounds in British English Received Pronunciation (hereafter RP) ([1]) These difficulties were confirmed in a production test whereby a group of fifty students(2) (twenty Kurds and thirty Arabs) read a typed piece of conversation in which there were twenty – five occurrences of lateral sounds mainly covering three allophones of/l/viz [l] [ɫ]and[ɫ̩].Other allophones(3)were not taken into consideration onthe assumption that the greatest difficulty is encountered in the distinction between the clear an ddark [4]varieties on the one hand,and between syllabic and non– syllabic allophones on the other.The results showed that 52 % of the Kurds regularly used the clear variety where the 'dark' variety should have been used while only 40 % substituted a non–syllabic allophone for the syllabic one .On the other hand 43 % of the Arabs used a'clear' variety instead of the 'dark' one and 75 % used the non–syllabic variety instead of the syllabic .Surprisingly no student substituted a dark variety for the 'clear' one except before the diphthpong / aI /, though both varieties do exist in Arabic (classical and colloquial) and in Kurdish.

1– *R P in the sense used by Daniel Jones . See A.C. Gimson, Daniel Jones and Standards of Pronuciation . English Studies Vol.58 No,2 (1977) pp.* 151 158 .

2. *Ten of these students were from second year Translation. The rest were First Year students English and Translation)*

3. [t] , [l̥] *and* [t̄]

4. *Clearness or darkness varies according to the phonetic context. For derails see R. A. W. Bladon and Ameen Al - Bamerni , Coarticulation Resistance in English /l/ . Journal of Phonetics , No .4 (1976)*

LATERALS IN ENGLISH , ARABIC AND KURDISH

AMEEN H. AL-BAMERNI

COLLEGE OF ARTS

UNIVERSITY OF MOSUL

٧١٢

able to let the topic determine the kind of writing. And through constant practice, the student will develop a sense of choosing the right kind or mixture of them for the topic he is writing about.

Finally, the training outlined above is one component of the wide educational process. The aims of this process, however, are not only academic. Mental discipline helps the social and psychological maturity of students who, consequently, become more responsible as citizens. Likewise, it prepares the individual of our rapidly developing country to meet the complex demands of the modern confusing world. The individual acquires a degree of reasonableness, and the changing values receive a corresponding degree of stability. In a society that is changing rapidly, reasonableness and stability safeguard the disciplined-individual from the pitfalls of undisciplined change, and help to bring order to the confusion of the modern world.

In this way teaching composition can achieve something not in the field of language alone, but also in the field of cultural change.

and organization are explained, each followed by students' practice.(1) Errors in language, punctuation, paragraph division, development and organization are pointed out by the teacher, while self-correction may prove more effective. This process of analysis, practice and correction can be employed to demonstrate various types of development and organization, beginning from the simplest and working up through the more complex, Likewise of subject matter and style in the sample composition chosen for analysis can be helpful to keep interest alive.

This method is one of many that can be used. However, we should keep in mind that any method employed should have the aim of instilling in the student's mind a sense of order which must be reflected in his writing. A well - organized composition indicates an orderly mind a mental discipline which our students need badly.

However, it should not be understood that stressing the need to train students in organizing content means neglecting the language side of composition writing. As a matter of fact the two are interdependant. Students in the process of learning a foreign language naturally do make mistakes. These appear in the agreement of tense, sentence structure, the use of vocabulary, spelling, and other aspects of language. Thus, while paying attention to the use of language in writing, a sense of order in the development and organization of content should be gradually introduced.

On the other hand, one aspect of composition writing can be given but little attention. The distinction between narrative, argumentative, descriptive and other kinds of writing is unnecessary. To go through such distinction in analysing a piece of writing or to demand that students should write in one of these kinds is fruitless. It is beyond their reach. It is a subject for the professional and not for the pupil or student of a foreign language. Besides, much writing is a mixture of these different kinds. Hence it is advis-

---

(1) *For different types of developing and organizing a paragraph, see Hans p. Guth, Concise English Handbook (Belmount, California,* **1962**), *pp.* **142 - 153**.

CULTURAL CHANGE AND WRITTEN COMPOSITION

Written composition here refers to the work done by Iraqi secondary school pupils and university students as part of their learning English as a foreign language. Certain defects in form are constantly noticed in their written work 1. Paramont among these is lack of a sense of order in organizing the content .

The causes of this deficiency are to a certain extent cultural. If we read through the works of most ancient Arab writers we notice abrupt shifts from one subject to another, sometimes completely unrelated to it, or constant digressions and unnecessary intrusion of irrelevant material . The use of punctuation, if it at all exists, and paragraph division are arbitrary. Exuberant emotion and fanciful imagination stand in the way of mental control and consequently of a coherent development of the subject at hand.

These defects are still noticed in much modern Arabic writing, though they are less flagrant .Often the love of the sound of language for its own sake, the beauty of rhetorical expressions, and the intensity of feeling and imaginative power weaken mental discipline . The result may be a piece of writing that displays no logical development, no smooth transitions, nor clear organization of subject matter.

All such errors are noticed in the written composition of Iraqi pupils and students. What can we, as teachers, do to rectify them?

To start with, the student should be made aware of a sense of order in certain, carefully chosen paragraphs, or essays. Familiar content will not stand in the way of easy understanding, and hence no unnecessary burden is added . Such pieces as might be chosen for study should demonstrate one type of development at a time . Gradually the different types of development

---

(1)*By "form" I mean the coherence, development and unity of the written work* .

CONTENTS

ADAB AL RAFIDAYN

Published by College of
Arts
University of Mosul

VOLUME 9
I. September 1978

Printed at: Dar Al – Kuttub
Organisation for Printing
and Publishing
MOSUL – IRAQ